

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا



٢٠١٤

٢٠١٤

الحياة الأخيرة

ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار

رسالة مقدمة لنيل الشهادة العلمية العالمية الكوثرية

إعداد

مخالد بن علي العويش

جامعة الإسلام بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
رقم التسجيل العام ٥٠٧
التاريخ / / ١٤ هـ

بإشراف فضيلة الأستاذ

محمد عمر الخطيب

أستاذ بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كلمة شكر وتقدير) -

احمد الله سبحانه وتعالى على ما انعم به من عون وتوفيق لاتمام هذا
البحث المتواضع الذى أقدمه وانا متبرئ من حولى وقوتى فيه الا بحول الله
وقوته جل وعلا .

واصلى وأسلم على نبيه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة
للعالمين وعلى جميع الانبياء والمرسلين صلاة دائمة كما يحب ربنا ويرضى .
وبعد :

فانى اتقدم بخالص الشكر والتقدير الى فضيلة استاذى المشرف على هذا
البحث الاستاذ العلامة محمد نمر الخطيب واعترافا بالحق وفعل الجميل
فانى اذكره بكل خير، ولا أنسى جهوده الموفقه ورحابة صدره وقوة صبره وكرم
اخلاقه وتوجيهاته السديدة التى افادتني ، وعودتى على الصبر وتحمل جميع
المعاب لاتمام هذا البحث على خير مايرام جزاه الله عنى خير الجزاء واكرمه .
كما اننى اشكر كل من ساعدنى سائلا المولى جلت قدرته أن يشيهم خير الثواب
وأخص من هؤلاء الكرام فضيلة الاستاذ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد
الذى افادنى بتوجيهاته القيمة فى كثير من مسائل هذا البحث .

كما أشكر جميع المسئولين فى الجامعة الاسلامية الذين قدموا كل
العطف والرعاية والمساعدة لابنائهم الطلاب جزى الله الجميع خيرا الجزاء
وأسأله عز وجل ان يتقبل منى ما قمت به من خدمة هذه الرسالة وان ينفع بها
انه سميع مجيب .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

اللقامة

.. بسم الله الرحمن الرحيم ..

- ب -

الحمد لله رب العالمين ، جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، والصلاة والسلام على
نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين . وبعد :

فان مما لا جدال فيه ان اشرف العلوم وأولها بالعناية والاهتمام هو ما يتعلق
منها بأمر العقيدة وكيف لا يكون ذلك وقد كان من عظم أمرها ان الله عز وجل
هو الذى تولى بيانها فأنزل الكتب وارسل الرسل ثم بين ان القصد من خلق
الجن والانس وايجادهم انما هو لتوحيده وعبادته جل وعلا .

فقال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم سئ رزق
وما اريد ان يطعمون) (١)

وهذا العلم هو الفقه الاكبر " كما سماه الامام أبو حنيفة رحمه الله . (٢)
ولست فى حاجة الى التطويل بذكر مزايا هذا الطريق وبيان عظم شأنه فلقد
صار أمرا معلوما فى اذهان العقلاء الذين لم تدنس فطرهم .

واذا كان ذلك واضحا وشرفه معلوما فان البحث فى جزء من اجزاء هــــــــــــــــــــــ
الطريق الا وهو بحث اليوم الآخر وما يقع فيه للخلق من الوقوف لرب العالمين
من أولهم الى آخرهم فى صعيد واحد لهو من الهمية بالمكان الأعلى .
وخصوصا فى عصرنا ^{ونحن} تنفك الناس فيه الى المادة بل واصبح اكثرما تسرى
وتشاهد من حولك لا يذكرك بالمصير المحتوم والحياة الباقية .
ان بحث اليوم الآخر مطلب جليل لا يندم صاحبه مهما بذل فيه من جهد ومهما تكبد
بسببه من عناء .

(١) الذاريات: آية : ٥٦ ، ٥٧ ، ومعنى الاليعبدون " قال ابن عباس أى
الا ليقروا بالعبودة طوعا وكرها " وهو ما رجحه ابن جرير فى تفسيره ١٢/٢٧ .
وقال ابن كثير فى معناها : " أى انما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لالاختياجى
اليهم تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٣٨ .
(٢) له كتيب صغير بهذا الاسم .

وقد كان من نعمة الله على - وله الحمد والشكر - أن وحث اليوم الآخر
والاطلاع على ما جاء به كتاب الله تعالى وما جاء في سنة نبيه صلى الله عليه
وسلم واقوال العلماء على اختلاف علومهم ، هو البحث الذي كانت تميل اليه
نفسى وتشتاقه فلقد شغفت بكل ما يتعلق بهذا الموضوع قبل أن يكون دراسة
لمرحلة من مراحل طلب العلم ، وقد حقق الله الرغبة فاجتهدت أن تكون الفترة
الزمنية الواقعة بين البحث ودخول الجنة أو النار موضوعا لهذا البحث السدى
اقدمه وانا اطمع ان يتقبل الله ما كان فيه من صواب وأن يغفر ما اخطأت فيه
أو قصر عنه الفهم مما يلحق بطبيعة النقص الانسانى .
ولقد بذلت فى هذا البحث من الجهد وتحمل التعب ما قد علمه الله
عز وجل والكمال لله تعالى وحده .

ولا اتول ذلك مستكثرا لما بذلته فى خدمته فانه ما من بحث الا ويهر بتلك المشاق
والمتاعب خصوصا حينما تعترضه بعض القضايا التى لا مدخل للعقل فى الحكم
فيها الا بعد استفراغ اقصى ما لديه للوقوف على دليلها من الكتاب والسنة
أو اقوال أهل العلم .

وقد كانت طريقة بحثى فى كل مسألة ان اعمد أولا الى اثباتها أو نفيها مستندا
فى كل ذلك الى ما جاء فيها من النصوص التى تثبتها أو تنفيها وتكون تلك
النصوص اما من كتاب الله تعالى أو من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم أو من
أقوال أهل العلم فيها ثم عرض تلك النصوص بطريقة واضحة وتخريج الآيات
والأحاديث ومزج الاقوال الى اهلها وترجيح ما قد يوجد فيها مما فى ظاهره
تعارض وكذلك تحقيق ما يحتاج الى تحقيق من اقوال العلماء وقد رأيت أن
تطافر الأدلة فى المسألة الواحدة مما يزيد لها قوة واطمئنانا فى نفس السامع
على حد ما اوضحه الامام مسلم فى صحيحه ^{ما يوجب الامام النووي لصحيح مسلم} قال : " باب زيادة طمأنينة القلب
بما يوجب الامام مسلم لصحيح مسلم بن الزبير هو الامام النووي
بتظاهر الأدلة . (1)

على أن تلك الأدلة التي أوردتها مهما كثرت فهي مقصودة إذ لا يخلو نص منها عن فائدة قد لا توجد في النص الآخر ، وقد أوردت بعض الآثار للإشارة إليها ثم أذكر درجة الاثر وإذا لم اجتهد نصا صحيحا في المسألة فأنى أورد ما جاء فيها من تلك الآثار وما قاله العلماء فيها ثم أبدي رأبي حسبما ظهر لى من خلاصة البحث فيها . وقد جمعت شتات هذا البحث من مصادره المتفرقة سواء منها ما كتب من اليوم الآخر كتابة مستقلة مثل ما كتبه السيوطى فى كتابه المسمى الهدى والسفرة حيث جمع فيه عدة أحاديث وكذا ما كتبه القرطبي رحمه الله فى كتابه " التذكرة " .

وما كتبه البيهقى - رحمه الله - فى البعث والنشور وما كتبه ايضا البردبسى فى كتابه تكملة شرح الصدور وغيره هو " لا " من العلماء . أو ما ذكره العلماء من هذا الباب فى مؤلفاتهم ضمن مواضيع عامة ومن تلك الكتب ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع وقد وفق الله الى جمعها والاستفادة منها وقد بلغ مجموعها ما يقارب مائة وثمانين كتابا . اضافة الى ما استفدت منه من آراء بعض العلماء - الذين اذكركم بخالص الشكر والتقدير - حيث كان لهم الفضل - بعد الله تعالى - فى توجيهى الى بحث مسائل فى هذا الباب وابرازها بوضوح لأهمية الحاجة اليها ، اسأل الله العلى القدير ان يغفر لى ولوالدى ولجميع مشايخى وقد سرت فى خطة البحث على النحو الآتى :

١- المقدمة وقد بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختيارى له ومنهج الدراسة فيه .

٢- ابواب الرسالة وقد قسمتها الى خمسة عشر بابا .

ومائة وثمانية فصول .

٨ بينت فى الباب الاول منها ما يتعلق بالبعث والحشر ووقوف الخلق فى

- ٣- هل تحشر بقية المخلوقات غير الجن والانس .
- ٤- بيان دفع ما نأشهره التعارض بين بعض النصوص الدالة على أن الكفار يسمعون ويبصرون ويتكلمون عند حشرهم وبين ماورد من عدم اتصافهم بذلك .

وأما الفوائد فهي :-

- ١- بيان أول من يحشر من الخلق .
- ٢- بيان أول من يكسى منهم .
- أما الفصل الحادى عشر: وهو آخر فصول هذا الباب - فقد جعلتسه خاصا بالموقف بينت المراد من الموقف لغة واصطلاحاً وصفة حالته الناس وهم وقوف لرب العالمين وأدلة ذلك من القرآن الكريم والسنة المطهرة وبيان صفة الارض التي يقف عليها الخلق والخلاف في تلك الارض ثم بيان مدة وقوف الخلق فى الموقف وذكر ادلة ذلك من القرآن الكريم ومن السنة النبوية .

الباب الثانى وموضوعه : الشفاعة

فقد قسمته الى الفصول الآتية :

الفصل الأول : عرفت فيه الشفاعة فى اللغة وفى الشرع

الفصل الثانى : بينت اقسام الشفاعة وانها تنقسم الى مثبتة ومنفية .

وقد جعلت الفصل الثالث لبيان اقسام الشفاعات الثابتة التى ورد بها النص وهى ثمانى شفاعات بينها مفصلة بأدلتها .

وأما الفصل الرابع : فقد كان لبيان ثبوت الشفاعة فى بعض الأعمال وذكرتها منها ثلاثة أمور .

أما الفصل الخامس : فقد جعلته لبيان الشفاعات التى لم يرد بها نص صريح وذكرت منها تسعة أمور .

وأما الفصل السادس : فهو فى بيان الامور التى تمنع الشفاعة وذكرت منها ثلاثة .

وأما الفصل السابع : فقد كان لبيان ذنوب لم يثبت نفي الشفاعة فيها وذكرت منها اربعة أمور . .

وأما الفصل الثامن : وهو آخر هذا الباب .

فقد كان لبيان اقسام الشفعاء وهم قسم ثبتت صحة شفاعتهم وذكرت منهم سبعة اصناف .

وقسم لم تثبت صحة شفاعتهم وذكرت منهم ثلاثة .

وأما الباب الثالث : وموضوعه مجيبىء الله تبارك وتعالى لفصل القضاء فتتبع

اشتمل على فصلين :-

الفصل الأول : ذكرت فيه الادلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية على نزول الله تعالى لفصل القضاء .

وأما الفصل الثاني فقد كان في بيان معنى المجسّم الذي اتصف الله به ، بيئت فيه مذهب السلف ، ثم مذهب المومولين •

وأما الباب الرابع: وموضوعه : رومية الله تعالى في عرصات القيامة

ويشتمل بعد التمهيد على أربعة فصول :

أما الفصل الاول : فهو في بيان الأدلة على إمكان وقوع رومية الله تعالى وأدلة ذلك من القرآن الكريم ومن السنة النبوية مع بيان وجه الاستدلال

• وذكر شبه المخالفين والرد عليهم •

• ثم الاستدلال بالحقل على امكانها •

وأما الفصل الثاني : فهو لبيان آراء الفرق في إمكان وقوع رومية الله تعالى

وأما الفصل الثالث: فهو لبيان الخلاف في رومية غير المومنين لربهم وبيان

• الخلاف بين المثبتين للرومية والنافيين لها •

وأما الفصل الرابع والاخير : فقد جعل لبيان هل تستلزم رومية الله تعالى

الجهة أم لا ؟

وأما الباب الخامس متمممممم

وموضوعه :

((كلام الله تعالى في يوم القيامة))

فقد جعلته بعد التمهيد في أربعة فصول :

الفصل الاول : في اثبات صفة الكلام لله تعالى مع ذكر ادلته من القرآن

الكريم والسنة النبوية ، ومن اجماع علماء الاسلام .

أما الفصل الثاني : فقد كان في بيان اثبات صفة كلام الله تعالى للمخلوق

في يوم القيامة في موقف فصل القضاء .

وذكرت الادلة على ذلك من القرآن الكريم ومن السنة النبوية .

أما الفصل الثالث : فقد كان في بيان اثبات ان الله تعالى لا يكلم بحسب

خلقه في يوم القيامة وذكر ادلته من القرآن الكريم ومن السنة النبوية مع

بيان وجه الجمع بين ماورد من اثبات عدم كلام الله تعالى لبعض خلقه وبين

ماورد من ثبوت ذلك .

وأما الفصل الرابع : فقد كان لبيان ~~اقوال~~ أهم المذاهب في كلام الله تعالى

مذهب أهل السنة ، والجماعة ومذهب الاشاعرة . ومذهب الجهمية

والمعتزلة ثم الاجابة عن مسألة هي خاتمة الفصل عن اللغة التي يخاطب

الله بها الخلق يوم القيامة هل هي العربية او السريانية او الفارسية وبين ان

الصحيح من ذلك .

وأما الباب السادس متمم

وموضوعه :

((العرض على الله جل وعلا في موقف فصل القضاء))

وقد اشتمل بعد التمهيد : على ثلاثة فصول

الفصل الاول : معنى العرض لغة واصطلاحاً .

الفصل الثاني : الادلة على حصول العرض على الله تعالى .

وذكر ادلته من القرآن الكريم ومن السنة النبوية .

أما الفصل الثالث : فهو في بيان دلالة تلك النصوص من كتاب الله تعالى

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على كيفية العرض على الله مع بيان رأى

المثبتين للعرض على الله والمؤولين له والرد عليهم .

- ل -

وأما الباب الثامن متممممممم

وموضوعه :

((الحساب))

فقد اشتمل على الفصول الآتية :

الفصل الأول : في تعريف الحساب لئحة وشعرها •

الفصل الثاني : في ذكر أدلة اثبات الحساب من القرآن الكريم • ومن السنة

النبوية المطهرة •

الفصل الثالث: متى يكون الحساب واین يكون المحاسبون •

الفصل الرابع: في بيان من يتولى حساب الخلق •

الفصل الخامس : في بيان كيفية الحساب •

الفصل السادس : في ذكر من هم الذين يشملهم الحساب

الفصل السابع : في بيان أول من يحاسب من الناس •

الفصل الثامن : في أول ما يسأل عنه العبد •

الفصل التاسع : في تقرير الله لعباده في الحساب •

الفصل العاشر : ذكر الشهود في الحساب •

الفصل الحادي عشر: بيان عدل الله في القضاء بين الخلق •

وفي الفصل الثاني عشر: بيان ان الجزاء في يوم القيامة يكون من جنس العمل

وفي الفصل الثالث عشر: ذكر رحمة الله تعالى بحباده في الحساب *

وفي الفصل الرابع عشر: المفكرون للحساب والرد عليهم *

وأما الفصل الخامس عشر: وهو الاخير في هذا الباب فكان عن دور العمل

في دخول الجنة *

وأما الباب التاسع

وموضوعه :

(الميزان)

فقد اشتمل على الفصول الآتية :

١- الفصل الاول : تعريف الميزان

١- في اللشنة

٢- في الاصطلاح

٢- الفصل الثاني : أدلة اثبات الميزان من كتاب الله تعالى ومن سيرة

نبيه صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثالث : وجوب الايمان بالميزان واجماع الامة على ذلك .

الفصل الرابع : المنكرون للميزان والرد عليهم .

الفصل الخامس : صفات الميزان وبيان المثبتين لصفاته والنافين لهما .

الفصل السادس : ما الذي يوزن في الميزان هل هو الحامل ؟ أو العنصل

أو صحف الاعمال .

وأداة وزن كل واحد من هذه الثلاثة .

الفصل السابع : حكمة الله تعالى في وزن أعمال العباد والرد على من ينكسره .

الفصل الثامن : مرجحات الميزان .

الفصل التاسع : متى تندب الموازين .

- س -

الفصل العاشر : لمن يلصق الميزان ◦

الفصل الحادى عشر: كيفية السونن ◦

الفصل الثانى عشر: هل هو ميزان واحد فى يوم القيامة ◦

أم هى موازين متعددة ◦

الفصل الثالث عشر: هل توزن أعمال الجن ◦

=====

- ع -

وأما الباب الحاشر
ممنمممم

و موضوعه :

((الصراط))
ممنمم

فقد اشتمل على الفصول الآتية :

تمهيد :
ممنمم

- الفصل الأول : تعريف الصراط : ١- في الفلسفة
- ٢- في الاصطلاح
- الفصل الثاني : الأدلة على إثبات الصراط من القرآن الكريم
والسنة النبوية

الفصل الثالث : وصف الصراط والمرور عليه

الفصل الرابع : متى يتم المرور على الصراط

الفصل الخامس : الحكمة في نصب الصراط

الفصل السادس : مسافة الصراط

الفصل السابع : المنكرون للصراط

الفصل الثامن : هل يرجح الخلق على الصراط ؟

الفصل التاسع : أول من يجوز الصراط

الفصل الحاشر : شعار المؤمنين على الصراط

الفصل الحادي عشر : الأعمال الموجبة للجواز على الصراط

- ف -

الفصل الثاني عشر: هل الصراط قد خلق ام سيخلق في يوم القيامة .

الفصل الثالث عشر: هل يبقى الصراط الى خروج عصاة الموحدين أم لا ؟

=====

- ص -

وأما الباب الحادى عشر

موضوعه :

((القطرة))
مممم

فقد اشتمل بعد التمهيد على اربعة فصول :

الفصل الاول : ادلة اثبات القطرة •

الفصل الثانى : موضع تلك القطرة •

الفصل الثالث : هل هى قنطرة واحدة ام هى قناطر متعددة والراجح

فى ذلك •

الفصل الرابع : والاخير فهو لماذا اخر الله حساب ^{أهل} هؤلاء الى القطرة

ولم يكمله فى الموقف •

=====

- ق -

وأما الباب الثاني عشر

وموضوعه :

-- ((الورد)) --

فقد اشتمل بعد التمهيد على اربعة فصول

الفصل الأول : في بيان اقوال العلماء في معنى الورد وذكر ادلة كل قول

الفصل الثاني : في بيان القول الراجح في معنى الورد

الفصل الثالث : فكان جوابا عن مسألة هي هل يستثنى الانبياء مسن ورد

النار واجتيازهما ؟

وأما الفصل الرابع : والاخير وهو جواب كذلك عن مسألة اخرى هي " ما فائدة

دخول أهل السعادة النار واجتيازهم فوقها وقد كتب الله

لهم الجنة

=====

وأما الباب الثالث عشر

وموضوعه :

((أصحاب الاعراف))

وفصوله خمسة

الفصل الاول منها فى ذكر ما ورد فى القرآن الكريم بشأن أصحاب الاعراف

والمفصل الثانى : فى بيان ما هو المراد بالاعراف لفة واصطلاحا •

والمفصل الثالث: عن الخلاف فى تعيين اصحاب الاعراف •

والمفصل الرابع: فى بيان ما هو الراجح فى أهل الاعراف •

والمفصل الخامس : فى ذكر سور الاعراف الحاجز بين الجنة والنار •

هل يكون دائما ام فى فترة من الفترات •

=====

- ت -

و أما الباب الخامس عشر وهو آخر أبواب الرسالة

وموضوعه :

((الكوثر
ممممم))

وقد اشتمل على خمسة فصول :

الفصل الاول : منها في بيان تعريف الكوثر في اللغة والاصطلاح

الفصل الثاني : بيان ادلة اثباته من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة

أما الفصل الثالث : فقد كان في بيان تسمية الكوثر بالحوش والحوش بالكوثر وبيان

وجه الاتصال بينهما

أما الفصل الرابع : فهو في بيان اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم بالكوثر

دون غيره من الانبياء

الفصل الخامس : والاخير فهو في بيان صفات الكوثر

وأخيرا فقد انتهت تلك الدراسة بخاتمة تضمنت اهم ما اشتمل عليه البحث من

نتائج

هذا وأسأل الله العلي القدير ان يجعل ثواب ما بذلته من خدمة

لهذا البحث رضوانه والجنة وان يوفقني وكل من ساعد في خدمته مهتديا

ثواب ربه ليكون في ميزانه يوم القيامة انه سميع مجيب

((وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين))

عصام الدين //

- (الباب الأول) -

- (البحث والحشر ووقوف الخلق في الموقف) -

ويشتمل على الفصول الآتية :

- ١- الفصل الأول : تمهيد في وجوب الايمان بالفيسب .
- ٢- الفصل الثاني : في اسما' يسوم القيامة .
- ٣- الفصل الثالث : التعريف بالبحث ويشمل :
 - ١- تعريفه لصفة
 - ٢- تعريفه شرعا
 - ٣- الفاظ ينفي التنبيه اليها .
 - ٤- مراتب الموقف .
- ٤- الفصل الرابع : ادلة البحث .
 - ١- عناية الكتاب والسنة بالايمان باليوم الآخر .
 - ٢- بعرض أسباب العناية باليوم الآخر .
 - ٣- ادلة البحث من القرآن الكريم .
 - ٤- أدلة البحث من السنة النبوية .
 - ٥- بيان عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر البحث .
 - ٥- دلالة العقل على البحث .
- ٥- الفصل الخامس : المنكرون للبحث وأقسامهم .
- ٦- الفصل السادس : أسباب انكار البحث .
- ٧- الفصل السابع : كيفية البحث كما في الكتاب والسنة .
- ٨- الفصل الثامن : أقوال علماء الاسلام في كيفية البحث والرد على الفلاسفة وابطال حججهم في انكار البحث .

الفصل التاسع: النفخ في الصور .

نفخة البعث .

١- معنى النفخ :

١- فس اللفظة

٢- في الاصطلاح .

٢- عدد النفخات

٣- الأدلة على اثبات النفخ في الصور

١- من القرآن الكريم

٢- من السنة النبوية

الفصل العاشر: صفة حشر الخلق وانهم على صور شتى

١- حشر الخلق حفاة عراة غـرلا

٢- حشر الكفار يسحبون على وجوههم

٣- حشر المتكبرين .

٤- حشر السائلين .

٥- حشر أصحاب الفلول .

٦- حشر أهل الوضوء أهل الغرة والتجميل .

٧- حشر الشهداء .

ويشتمل هذا الفصل كذلك على مسائل وفوائـد :

أما المسائل فهى :-

١- الحكمة في إعادة الخلق : لا .

٢- بعث الموتى في اكفانهم .

٣- هل تحشر بقية المخلوقات غير الجن والأنس .

٤- دفع تعارض .

وأما الفوائد :

١- أول من يحشر من الخلق .

٢- أول من يكسى من الخلق .

الفصل الحادى عشر: الموقف

١- تعريفه فى اللفظة

٢- تعريفه فى الاصطلاح .

صفة حالة الناس وهم فى الموقف .

١- تمهيد

٢- صفته فى القرآن الكريم .

٣- صفته فى السنة النبوية .

٤- صفة الأرض التى يقف عليها الخلق وبيان الخلاف فى أرض المحشور .

٥- مدة وقوف الخلق فى الموقف

١- ما جاء فى القرآن الكريم .

٢- ما جاء فى السنة النبوية .

الفصل الأول

— (الايمان بالفيب) —

مدخل :-

- أ - معنى الفيب فى اللفظة
ب - معنى الفيب فى الاصطلاح
ج - الايمان بالفيب وأدلتيه .

مدخل:

ان الايمان بالغيب هو أحد أركان الايمان ، والتي لا يسمى الشخص
لؤمننا
سكيا الا اذا آمن بها وصدق بأخبارها .

فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم في اجابته عن الايمان - هيمن

سئل ما هو الايمان - جعل الايمان باليوم الآخر أحد أركان الايمان .

والأحاديث في هذا كثيرة اضافة الى ما جاء في القرآن الكريم من ربط الايمان

باليوم الآخر بالايمان بالله كما سنفصل الكلام عن هذا في موضعه .

ولقد كان الموضوع الذي وقع عليه اختياري لكتابة هذه الرسالة هو

الحياة الآخرة ما بين البعث الى دخول الجنة أو النار .

وظاهر ان هذا الموضوع من الأمور السمعية ومعبرة أخرى من الأمور الفيزيائية

التي أمرنا بالايمان بها عن طريق السمع .

ومن المعلوم أن ما صح من الأمور السمعية وخصوصا ما جاء في تفاصيل

اليوم الآخر - التي لا يدركها العقل بمفرده - أن الايمان بذلك وقبوله مما

لا ينهض ان ينازع فيه أحد ، لأن هذه الأمور مما لا مجال للعقل في ادراك

حقائقها وجزئياتها الا ماورد به النص .

ولهذا فانه قبل أن نشرع في ذكر تفاصيل تلك الأمور السمعية نحب ان

نبين الأمور الآتية:

١- أن نبين معنى الايمان بالغيب في اللغة والاصطلاح .

٢- أن نبين امكانية هذه الفيزييات وانها ليست من المستحيلات عقلا بل هي

من الامور الممكنة التي ليست مستحيلة على الله تعالى لاعقلا ولا نقلا

بل هي عين العدل والحق ولم يخالف في اعتقاد هذا أو ادعى استحالتة

غير أهل الشرك الذين قالوا * ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا
الا الدهر ، وهو لا * هم الجهال الذين لا علم عندهم ولهذا قال الله فـسـى
جوابه عن مقالتهـم * ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون *^(١)

• وأسأل الله التوفيق والمـسـون •

(١) سورة الجاثية ، آية : ٢٤ .

أ - معنى الغيب في اللغة:

يطلق لفظ الغيب في اللغة على عدة معان دائرة كلها حول الاستتار والاختفاء وعدم المشاهدة .

قال الأزهري فيما ينقله عن علماء اللغة : " قال شمر " كل مكان لا يدري ما فيه فهو غيب وكذلك الموضع الذي لا يدري ما وراءه وجمعه غيوب " .

وقال أبو اسحاق في قول الله جل وعز (يؤمنون بالغيب) ^(١) أي يؤمنون بما غاب عنهم ما أخبرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر البعث والجنة والنار وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب " وقال " أبو القباس عن الأعرابي في قوله (يؤمنون بالغيب) قال : يؤمنون بالله قال : والغيب أيضا ما غاب

عن العيون وان كان محصلا في القلوب .

" وقال اللحياني امرأة مغيبة ومغيب اذا غاب زوجها " وقال بعضهم:

بد اغيبان الشجرة وهي عروقها التي تغيبت في الارض فحفرت عنها حتى ظهرت ^(٢)
وقال الراغب: " الغيب مصدر غابت الشمس وغيرها اذا استترت عن العين يقال غاب عني كذا " .

" والغيب في قوله (يؤمنون بالغيب) ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بديه العقول وانما يعلم بخبر الانبياء عليهم السلام ويدفعه يقع على الانسان اسم

الاحكام " (٣)

(١) سورة البقرة ، آية : ٣

(٢) تهذيب اللغة : ٢١٤ / ٨ .

(٣) المفردات في غريب القرآن : ص ٣٦٢ .

وذكر الرازي عن جمهور المفسرين : " ان الغيب هو الذي يكون غائبا
عن الحاسة " ثم قسمه الى ما عليه دليل والى ما ليس عليه دليل وان قول الله
تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب) المراد به مدح المتقين بأنهم يؤمنون
بالغيب الذي دل عليه دليل . (١)

(١) التفسير الكبير ١/ ٢٧ ، ويقصد بما ليس عليه دليل هو الذي لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى لا غيره وان الذي عليه دليل هو العلم الحاصل بالتفكير والاستدلال كالمعلم بالله وصفاته والاخرة والاحكام والشرائع الخ

ب) معنى الغيب فى الأصطلاح :

الغيب فى المعنى اللغوى أعم وفى معناه الاصطلاحى أخص وذلك لأن

الغيب لفظة يطلق على كل ما غاب سوا^١ كان أمرا حسيا أو أمرا معنويا وسوا^٢

أكان ما يجب الايمان به أو ما لا يجب الايمان به .

وأما الغيب بالمعنى الشرعى فهو أخص ما ذكر فهو ما غاب عنا وأمرنا

رَبِّهِمْ مِنَ الْمِزَانِ

بالايمان به كالايمان باليوم الآخر وبالتسميات الأخرى كالميزان والصراط ونعيم

الجنة وعذاب النار وغير ذلك .

وعلى هذا فان المعنى الاصطلاحى للغيب هو الايمان بما لا نعلمه أو بما لا تقع

عليه حواسنا من ما أخبر به الله سبحانه وتعالى أو أخبر به رسوله صلى الله

عليه وسلم من المفيات كاليوم الآخر وما يقع فيه من حساب وجزاء وغيرهما

وكلها منقولة

ما ثبت به النص وان كان علما^٣ التفسير يذكرون أقوالا^٤ فى معنى الغيب الذى

ذكره الله بقوله^٥ الذين آمنوا بالغيب^٦ من انه الله سبحانه وتعالى أو هو

القضا^٧ والقدر أو هو القرآن وما فيه من الفيوب أو أن الغيب هو كل ما أخبر به

الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا تهتدى اليه العقول من أشرط الساعة وعذاب

القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار^٨ وقد ضف ابن العربى

القول الأول وقال ابن عطية عن تلك الأقوال انها لا تتعارض بل يقع الغيب على

جميعها^٩ بمعنى ان الغيب هو كل ما غاب عنك ولا تعلمه ولا يقع تحت احساسك قال :

محمد رشيد رضا : " والايمان بالغيب هو الاعتقاد بوجوده ورا^(١) المحسوس^(١)

(١) انظر: فتح القدير: ١/٣٤٠

ثم استشهد بكلام للاستاذ الامام محمد عبده فقال : " وصاحب هذا الاعتقاد

واقف على طريق الرشاد وقائم على أول النهج لا يحتاج الا الى من يدلّه على

المسلك ويأخذ بيده الى الغاية فان من يعتقد بأن وراء المحسوسات موجودات

يصدق بها العقل وان كانت لا تأتي عليها الحس اذا اقتص له الدليل على وجود

فاطر السماوات والأرض المستعلى عن المادة ولو احقها المتصف بما وصف به نفسه

على السنة رسله بوصف اليوم الآخر أو بذكر عالم من العوالم التي استأثر الله

بعلمها كعالم الملائكة مثلا لم يشق على نفسه تصديق ما جاء به الخبر بعد ثبوت

النبوة - لهذا جعل الله سبحانه هذا الوصف في مقدمة أوصاف المتقين الذين

يجدون في القرآن هدى لهم .

وأما من لا يعرف من الموجود الا المحسوس ويظن ان لاشي وراء المحسوسات

وما اشتملت عليه فنفسه تنفر من ذكر ما وراء مشهوده أو ما يشبه مشهوده وكما

تجد السبيل الى قلبه اذا بدأته بدعواك نعم قد توصلك المجاهدة بعد مرور

الزمان في ايراد المقدمات البعيدة والأخذ به في الطرق المختلفة الى تقريبيه

ما تطلب ولكن هيئات ان ينصرك البصر أو يخضعه القهر حتى يتم لك منه الامر

فمثل هذا اذا عرض عليه القرآن ثنا عنه سمعه ولم يجمل من نفسه وقعه فكيف يجد

فيه هداية أو منقذا من غوايه ؟ (١)

(١) تفسير المنار: ١/١٢٨ .

١) برد على الله امور الاخرة ليست من الامور
المسوسة وهو بمنزلة الواجع

ج - الايمان بالغيب وأدلتسه

واذا كان الايمان بالغيب يراد به ان يؤمن العبد بأن وراء هذه الحياة المحسوسة الدنيوية حياة اخرى هي أشرف وأعلى منها ، فقد اشنى الله تعالى على المتصفيين به ووصفهم بصفات حميده عديدة وما يجسدر ذكره ان الله تعالى قد ذكر لفظة الغيب في ثلاث وخمسين آية ، في القرآن الكريم ذكر منها ثمانى آيات فى الحث على الايمان بالغيب ومدح من ينصف بذلك .

فقال تعالى (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما أنزل من قبلك ، وبالاخرة هم يوقنون ألك على هدى من ربهم وألك هم المفلحون) (١)

فجعل سبحانه هذا الوصف فى مقدمة أوصاف المتقين وقال تعالى فى مدح الذين يؤمنون بالغيب ومبشرا لهم بما أعدده من جزائهم من المصفرة والأجر الكبير .

(ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مصفرة وأجر كبير) (٢)
وأخبر تعالى انه قد ابتلى عباده ببعض المنهيات كالصيد حتى يتبين من يؤمن بالغيب ممن هو ضعيف الايمان به فقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشىء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه

بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) (٣)

- (١) سورة البقرة : آية : ١ - ٥ .
(٢) سورة الملك : آية : ١٢ .
(٣) سورة المائدة : آية : ١٤ .
- لا يطلع الله عليهم من هذه الآية الواه الأخرى .
ليست من الأمور المحسوسة

وقال تعالى : (والذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون)^(١)

وقال تعالى : (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة)^(٢)

وقال تعالى : (انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشـره

بمغفرة وأجر كريم)^(٣)

وقال تعالى : (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب)^(٤)

وقال تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان

ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس

وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز)^(٥)

ففي هذه الآيات الكريمات وغيرها يخبرنا تعالى ان وراء هذا الكون

كونا آخر ، ووراء هذه الحياة حياة أخرى يجب الايمان بها والعقل يؤيد

ذلك فلولم يكن وراء هذه الحياة حياة أخرى لكان هذا الوجود المشتمل على

الظالم والمظلوم ، والمحسن والمسيء ، والطائع والمعاصى وجودا أشبه

ما يكون بالعبث بل هو عين العبث الذى تنزه الله تعالى عن الاتصاف به

قال تعالى : (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون فتعالى الله

الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم)^(٦)

(١) سورة الانبياء : آية : ٤٩

(٢) سورة فاطر ، آية : ١٨ .

(٣) سورة يس ، آية : ١١

(٤) سورة ق ، آية : ٣٣

(٥) سورة الحديد ، آية : ٢٥

(٦) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥ ، ١١٦ .

وكذلك لو لم تكن هناك حياة أخرى وحساب وجزاء لتساوى الناس في الحكم بأن يكونوا كلهم على نتيجة واحدة وهو خلاف ما تقتضيه بداهة العقول وتأباه الطباع ، قال تعالى : (ان سعيكم لشتى ^(١)) وإذا كان السعى شتى فلا بد من ان يجازى كل واحد بقدر عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ولو لم يحصل هذا لتفاوت في الجزاء لتساوى المجرم بالمسلم والطائع بالمعاص وهو ما صرحت الآيات القرآنية بنفيه اشد النفي وتوعدت من اعتقد ذلك كما نلاحظه في الآيات الآتية :

قال تعالى : (أفجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) (٢)

وقال تعالى : (ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا

وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) (٣)

وقال تعالى : (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض

أم نجعل المتقين كالفجار) ^(٤)

فهذه الآيات صريحة في انه لو لم يكن هناك يوم آخر يجازى فيه المحسن باحسانه والمسيء باسائه لتساوى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالمفسدين في الأرض ولتساوى المتقون بالفجار وهذا أمر يأباه الله تعالى ويأباه عدله وان رغمت انوف من ينكرون اليوم الآخر وان كان الناس يرفضون مساواة المصلح بالمفسد ، والطائع بالمعاص فكيف بالله تعالى الذي له صفات الكمال المطلق في العدل وفي غيره من سائر الصفات وقد رأينا كيف تضافرت ادلة العقل والنقل

(١) سورة الليل : آية : ٤

(٢) سورة القلم : آية : ٣٥ ، ٣٦

(٣) سورة الجاثية : آية : ٢١

(٤) سورة القصص : آية : ٢٨

على وجوب الايمان باليوم الآخر ووجوب العدل والتفرقة بين المحسن والمسيء
والكافر والمعاصي (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره) (١)

فليست الحياة هي هذه الدنيا المملوءة بالمتناقضات فحسب كما يعتقده
الماديون بل هناك عالم آخر .

ان الشخص الذي لا يؤمن الا بالحسيات هو شخص مادي بعيد عما يوجبها
العقل السليم والفظوة المستقيمة اما غير المادي فهو الشخص المستقيم الذي
يؤمن بما لا يدركه الحس من الأمور التي ثبت وجوب اعتقادها بالنصوص الصحيحة
الصريحة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولو أراد الله
اظهار المفيات لزال حكمة التكليف بل ولأفضى الحال بالناس الى الوقوع
في مضار كثيرة كما قال صلى الله عليه وسلم " لولا أن لاتدافنوا لدعوت الله
أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع " (٢)

ولما كان الايمان باليوم الآخر يعتبر من أهم الأمور الغيبية كما تقدم فلا شك
انه يحتاج الى يقين ثابت لأن أول ما يضعف من يقين العبد هو اخبار اليوم
الآخر .

ولهذا كانت دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أعظم أهداهم
هو تعريف البشر باليوم الآخر وما يقع فيه فلم تخل أمة من الأمم منذ أول

(١) سورة الزلزلة: آية: ٧ - ٨

(٢) أخرجه مسلم عن ابي سعيد ٢٢٠٠ / ٤

الخلق الى آخرهم من معرفة اليوم الآخر ولم ينكره الا الكفار الجاحدون
فما من نهي الا وقد انذر قومه ذلك اليوم وحذرهم من القدوم على ربهم
بدون عمل صالح فمنهم من آمن بهم وبهداهم وصدقهم في ذلك ومنهم
من كفر ونأى عن ربه وهم كثيرون اتبعوا الشيطان واجتنبوا تعاليم الانبياء
فهذا آدم أبو البشر عليه السلام قد أخبره الله بالقيامة وانها ستقع منذ أن
أمر الله باهباطه من الجنة قال تعالى : (قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون) (١)

وهذا نوح عليه السلام يقول لقومه وهو يجاد لهم ويبين لهم نعم الله عليهم

" والله انبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا " (٢)

وقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام (والذي اطمع ان يفر لي خطيئتي يوم
الدين) (٣)

ويقول الله تعالى لموسى (ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس

بما تسعى فلا يصدك عنها من لايوه من بها واتبع هواه فتري)

وأخبر عن أهل النار انهم اذا قال لهم خزنتها (ألم يأتكم رسل منكم يتلون

عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على

الكافرين) (٤) وهذا اعتراف من اصناف الكفار الداخلين جهنم ان الرسل

انذرتهم لقاء يومهم هذا (٥)

(١) سورة الاعراف، آية: ٢٥ .

(٢) سورة نوح، آية: ١٧ - ١٨ .

(٣) سورة الشعراء، آية: ٨٢ .

(٤) سورة الزمر، آية: ٧١ .

(٥) الطحاوية: ص ٤٥٨ .

ومعلوم ان الداخلين في النار ام شتى ليسوا باصحاب رسول واحد وصح
هذا الجمع كله فانهم جميعا اعترفوا بانذار رسلهم لهم لقا^ء ربهم في هذا
اليوم العظيم والآيات في هذا المعنى كثيرة كلها تقرر أمر البعث ووقوعه
وانه كذلك ما من نبي ولا رسول الا وقد انذر قومه أمر اليوم الآخر . واذ ا عرف
هذا فلا بد من الاشارة الى مسألة هامة ضل بسبب الجهل بها طوائف
عديدة لانهم لم يعرفوا الحقيقة فيها وهي مسألة التفاصيل الدقيقة التي جاء
بها نبينا صلى الله عليه وسلم أكثر من غيره من الرسل وهو^ءلاء هم جهال
الفلاسفة الذين ظنوا انه لم يخبر بمعاد الابدان الا محمد صلى الله
عليه وسلم لأنهم وجدوا تفاصيل لليوم الآخر لم تكن معروفة عند غيره من
الرسل المتقدمين أو على الأصح - لم توجد تلك التعاليم ولم يعثروا عليها
اما لضياغ لحقها واما لتحريف أصابها حتى تنوسيت مع مرور الزمن وحلت محلها
الخرافات التي هي أشبه ما تكون بنسيج الخيال أو بالضوء الخافت وللرد
على شبهة ألتك الملاحدة يجب أن نتنبه الى حقيقة هامة وأمر لا يجادل فيه
الا من ضل عن الطريق الصحيح ولم ينصرف عقله ذلك الامر هو ان الرسول
صلى الله عليه وسلم لما كان آخر الرسل وكتابه آخر الكتب كان من الضرورن
أن يفصل أمر اليوم الآخر بما لا مزيد بعده وان يبين جميع حقائقه لانه اذا لم
يتبين تلك الحقائق كان نقضا في الرسالة وقصورا عن البيان وهو ما لا يمكن
وقوعه بحال يتنزه الله ورسوله عنه وفي هذا يقول ابن ابي العز^م ومحمد
صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الانبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين
وكان هو الحاشر المقفى - بين تفصيل الاخرة بيانا لا يوجد في شى^ء من

من كتب الانبياء وللهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم انه لم يفصح بمعنا
الابدان الا محمد صلى الله عليه وسلم وجعلوا هذه حجة لهم في انه من
باب التخييل والخطاب الجمهوري " (١)

فلأنهم ملاحظة قد استمرؤا الكذب ظنوا ان الرسل يستجيزون الكذب
ويضللون الجماهير بما لا يصح وقوعه وقولهم هذا انما هو تملك من لاجحة له
ولا برهان وهم لا يؤمنون لا بالقيامة ولا بمعاد الابدان شأنهم شأن البهائم
بل هم أضل سبيلا ولما كان من المفيد جدا ان نتعرف على أقوال المنكرين
والرد عليهم حتى لا يبقى لضعيف الايمان شبهة فسنفصل القول في ذلك
بادئين بذكر اسما يوم القيامة

(١) شرح الطحاوية: ص ٤٥٧.

الفصل الثاني
مممه

— (أسماء يوم القيامة) —

وردت ليوم القيامة أسماء كثيرة قد تتبعها العلماء من كتاب الله تعالى
وبينوا معانيها ، ومن اهتم بسرد ها الغزالي ^(١) ، والقرطبي في التذكرة ^(٢)
وابن كثير في كتابه الفتن والملاحم ^(٣) والبرد يسي وغيرهم من علماء الاسلام .
وأسماء يوم القيامة كثيرة شأن كل عظيم ، فان العرب كانوا اذا عظم الشئ
في نفوسهم اطلقوا عليه عدة أسماء كما هو معروف في أسماء الاسد والسيف
والافعى ولهذا يقول القرطبي معللا لسبب كثرة أسماء يوم القيامة .
" وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه ، وهذا مهيج كلام العرب
الا ترى أن السيف لما عظم عند هم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا
له خمسمائة اسم وله نظائر ، فالقيامة لما عظم امرها وكثرة احوالها سماها الله
تعالى في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة " ^(٥)
وقال البرد يسي : " اعلم ان العرب تسمى الشئ أسماء كثيرة وتجعل له القبا
عديدة تعظيما لشأنه واكبارا لأمره وقد سمي الله يوم القيامة أسماء كثيرة " ^(٦)
والقرطبي وابن كثير وان كانا قد ذكرا كثيرا من أسماء يوم القيامة الا أن بعض
تلك الأسماء انما هي أوصاف على صيغة جمل فلم أذكرها مثل (يوم لا تجزى
نفس عن نفس شيئا " ^(٧)

(١) الاحياء : ٥١٦/٤

(٢) التذكرة : ص ٢١٤ - ٢٢٣ .

(٣) النهاية : ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ج ١ ، ط ١ .

(٤) تكملة شرح الصدور ص ٩ للبرد يسي وهو مخطوط ، والبرد يسي هو :

محمد أمين بن محمد بن محمد الانصارى البرد يسي المالكي .

(٥) التذكرة : ص ٢١٤ (٦) تكملة شرح الصدور ص ٩

(٧) سورة البقرة ، آية : ١٢٣ .

يوم لا تملك نفس لنفس شيئا^(١) يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم^(٢) (يوم

لا يبيع فيه ولا خلال^(٣)) (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه^(٤)) .

وذكرنا أيضا اسما^٥ لم أقف لها على نص بهذه الصيغ التي ذكرها مشـ

(يوم يجد كل عامل عمله امامه) يوم لاتعني مناعن (يوم تخرج السموات

وتظهر العورات (يوم يدعى فيه الى النار) يوم لا يرتجى فيه الا المففرة

يوم الانقطاع لعقابه ولا يكشف فيه كافر عن ما به " .

وقد حاولت ان اذكر اسما^٦ يوم القيامة مرتبة على الحروف الهجائية مستدلا

على كل اسم من اسمائها بدليله من القرآن مقتصرا فيما أورده على ما جاء

في القرآن عن اليوم الآخر في كلمة واحدة مفردة مثل الصاخة والحاقة والظامة

أو ما كان مضافا الى " يوم " وهو كلمة واحدة مثل يوم الفصل يوم الجمع

يوم التناد وبيان ذلك فيما يلي :

١- اليوم الآخر: قال تعالى : (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق

والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر^(٥) الخ الآية الكريمة

٢- الآخرة قال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خيرا وابقى^(٦))

قال ابن حجر رحمه الله في سبب تسميته باليوم الآخر :-

(١) سورة الانفطار: آية : ١٩

(٢) سورة غافر : آية : ٥٢

(٣) سورة ابراهيم : آية : ٣١

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٦

وفي المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم في مادة يوم آيات كثيرة من

هذا النوع يصف الله تعالى ذلك اليوم باوصاف عديدة .

(٥) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٦) سورة الاعلى : ١٦ - ١٧ .

" وأما اليوم الآخر " فقليل له ذك لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة

المحدودة^(١) وعلى هذا فالمراد باليوم الآخر أمران " :-

الأول : فناء هذه الجوارم كلها وانتهاء هذه الحياة بكاملها .

والثاني : اقبال الحياة الآخرة وابتدائها ، فدل لفظ اليوم الآخر على

آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية

ان هو يوم واحد لثاني له فيها البتة^(٢) .

يوم الآزفة :

قال تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة ان القلوب لدى الحناجر كاظمين)^(٣)

المراد بالآزفة " يوم القيامة سميت بذلك لقربها ان كل ما هو آت قريباً"^(٤)

يوم البعث :

قال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايان لقد لبثتم في كتاب الله

الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون)^(٥)

وسمى يوم البعث لما يقع فيه من احياء الموتى وأخراجهم من قبورهم .

(١) فتح الباري : ١ / ١١٨

(٢) عقيدة المؤمن : ص : ٣١١

(٣) سورة غافر : آية : ١٨

(٤) التفسير الواضح : ٢٤ / ٢٧

(٥) سورة الروم : آية : ٥٦ .

يوم التغابن : يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك . يوم التغابن (١)

" وسمى يوم القيامة يوم التغابن لأنه غيب فيه أهل الجنة أهل النار
أن أهل الجنة أخذوا الجنة وأخذ أهل النار على طريق المبادلة فوقع

الغبين لأجل مبادلتهم الخير بالشر والجيد بالردى " (٢)

يوم التلاق : رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء

من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء (٣)

سمى يوم التلاق : (قال ابن عباس ، وقتادة : يوم تلتقى أهل السماء وأهل

الأرض .

وقال قتادة أيضا ، وأبو العالية ، ومقاتل : يلتقى فيه الخلق والخالق

وأهل العابدون والمعبودون ، وقيل : الظالم والمظلوم ، وقيل : يلتقى كل

إنسان جزاء عمله ، وقيل : يلتقى الأولون والآخرون على صعيد واحد "

قال القرطبي : وكله صحيح . (٤)

يوم التناد : (ويقوم انى أخاف عليكم يوم التناد) (٥)

سمى بذلك : لمناداة الناس بعضهم بعضا فينادى أصحاب الأعراف رجالا

يعرفونهم بسيماهم وينادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا

ما وعدنا ربنا حقا وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان أفيضوا علينا من

الماء ، وينادى المنادى أيضا بالشقوة والسعادة ألا أن فلان ابن فلان

(١) سورة التغابن : آية : ٩

(٢) تفسير القرطبي : ١٢٦ / ١٨ ، ١٣٢ .

(٣) سورة غافر : آية : ١٥ .

(٤) تفسير القرطبي : ١٥ / ٣٠٠ .

(٥) سورة غافر : آية : ٣٢ .

قد شقى شقاوة لا يسمد بعدها الا ان فلان بن فلان قد سعد سعادة
لا يشقى بعدها أبدا ، وهذا عند وزن الأعمال وتنادى الملائكة أصحاب الجنة
ان **تلكموا** الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون وينادى حين يذبح الموت يا أهل
الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت وينادى كل قوم بامامهم الى
غير ذلك من النداء ^(١) .

يوم الجمع ؛ (لتندر أم القرى ومن حولها وتندري يوم الجمع لاريب فيه)^(٢)
وسمى يوم الجمع لأنه (يوم يجمع الله الاولين والآخرين والأنس والجن وأهل
السماء وأهل الأرض ، وقيل : هو يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله ، وقيل :
لأنه يجمع فيه بين الظالم والمظلوم ، وقيل : لأنه يجمع فيه بين كل نبي وأمه
وقيل : لأنه يجمع فيه بين ثواب أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصي ^(٣) .

يوم الحساب : (انى عدت برى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب)^(٤)
وسمى يوم الحساب : لأن البارئ سبحانه يمدد على الخلق أعمالهم من
احسان ، واساءة يمدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالمعص ^(٥)

أو هو : " توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرا كانت
أو شرا " ^(٦) .

(١) تفسير القرطبي : ٣١١ / ١٥

(٢) سورة الشورى : آية : ٧

(٣) تفسير القرطبي : ١٨ / ١٣٦ .

(٤) سورة غافر : آية : ٢٧ .

(٥) التذكرة : ص ٢٧١ .

(٦) الاسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية : ص ٢٢٣ .

الحاقة :

(١) (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة)

وسميت بذلك : لأنها " تحق فيها الأمور ويجب فيها الجزاء" على الأعمال "

(٢) وقيل لأنها : احقت لكل عامل عمله ، وقيل : لأنها احقت لكل قوم أعمالهم

وقيل سميت : حاقة لأنها كانت من غير شك ، وقيل : سميت بذلك لانها

(٣) أحقت لا قوام النار .

يوم الحسرة :

(٤) (وأنذرهم يوم الحسرة ان قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون)

وسمى يوم الحسرة لانه : يتحسر فيه الكافر على كفره والظالم على ظلمه

(٥) والمسئى على اساءته .

(٦) ويتحسر الكافر كذلك حينما يبيس من دخول الجنة ويرى ما فاتته من النعيم

يوم الخلود :

// ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٧)

(٨) سماه يوم الخلود لأنه لا انتهاؤه له بل هو دائم أبداً .

(١) سورة الحاقة : آية : (١ ، ٢)

(٢) تفسير الطبرى : ٢٩ / ٤٧ ، ٤٨

(٣) التذكرة : ص : ٢٧٥ .

(٤) سورة مريم : آية : ٣١

(٥) أوضح التفاسير : ص : ٣٧١

(٦) تفسير الطبرى : ١٦ / ٨٨

(٧) سورة ق : آية : ٣٤

(٨) فتح القدير : ٥ / ٧٨ .

يوم الخروج :

يوم يسمون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (١)

وسمى يوم الخروج : لخروج الناس فيه من قبورهم للبعث (٢)

يوم الدين :

(مالك يوم الدين) (٣)

الدين هنا بمعنى الجزاء ، وعن ابن عباس انه قال : " يوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر الا من عفا عنه .

قال ابن كثير— رحمه الله — : وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين—
والسلف وهو ظاهر . (٤)

الساعة :

(ان الساعة آتية أكاد أخفيها) (٥)

وقد اختلف الناس في معنى كلمة الساعة الى أقوال عديدة :

فقال البرديسي : " الساعة لغة اسم لطائفة من الزمان مبهمة وأقل ما يطلق عليه اسم الساعة طرفة عين أو أخذ نفس ورده وهى نكرة، وكل نكرة تقبل التعريف والتنكير الا هذه فان الألف واللام قد لزمها على وجه التفليب كالشرا ونحوها والمراد هنا يوم القيامة

(١) سورة ق : آية : ٤٢ .

(٢) فتح القدير : ٥ / ٨١ / ٨٢ ، تفسير الطبرى : ٢٦ / ١٨٣ .

(٣) سورة الفاتحة : آية : ٣ .

(٤) تفسير ابن كثير : ١ / ٢٥ (تفسير القرآن العظيم) .

(٥) سورة طه : آية : ١٥ .

وقال بعضهم : الساعة من أصل الوضع مقدار من الزمان غير معين

كقوله (مالبثوا غير ساعة من نهار) .

وفي لسان أهل الشرع : القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر

ساعات الدنيا أو أنها تقع بفتة وصارت علما بالقلبة كالكوكب للزمسرة

والساعة في عرف الفلكيين جزء من أربعة وعشرين جزءا من أوقات الليل والنهار .

وقال بعضهم : سميت بذلك لأنها بالنسبة الى كمال قدرته وجلاله كساعة

واحدة أو من باب تسمية الكل بلفظ البعض ويجوز أن يراد بالساعة أول ساعة

من الآخرة وقيد : هي عبارة عن آخر ساعات الدنيا ، وقيل : الساعة عبارة

عن انقراض الدنيا . (١) .

الصاخة :

(فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته ونيه

لكل امرئ منهم يومئذ شأن يفنيه) (٢) .

والصاخة هي : صيحة القيامة لأنها تصخ الأذان أي تصها . (٣)

والصاخة لفظ ذو جرس عنيف نافذ يكاد يخرق صماخ في الأذن وهو يشق

الهواء شقا حتى يصل الى الأذن صاخا ملحا . (٤)

الطامة :

(فإذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى) (٥) .

(١) انظر : كتاب تكملة شرح الصدور : ٢ ، ١ .

(٢) سورة عبس : آية : ٣٣ ، ٣٦ .

(٣) تفسير النسفي : ٣٣٤ / ٤ .

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب : ٥٦ / ٣٠ .

(٥) سورة النازعات : آية : ٣٤ ، ٣٥ .

قال القرطبي : " معناها الفالبة من قولك طم الشيء إذا علا وغلب
ولما كانت تغلب كل شيء كان لها هذا الاسم حقيقة دون كل شيء " (١) .

الفاشية

(٢) هل أتاك حديث الفاشية

" سميت فاشية لأنها تفسى كل شيء بأهوالها " (٣)

يوم الفصل

(ان يوم الفصل كان ميقاتا) (٤)

وسمى يوم الفصل : لأنه يوم عظمه الله يفصل الله فيه بين الأولين والآخريين

بأعمالهم " (٥)

يوم الفتح

(قد يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون) (٦)

قال في الفتوحات الالهية : " يوم الفتح المراد به يوم القيامة الذي هو يوم

الفصل بين المؤمنين وأعدائهم " . (٧)

(١) التذكرة : ص ٢٧٥ .

(٢) سورة الفاشية : آية : ١

(٣) تفسير الخازن : ٢٣٧/٧ .

(٤) سورة عم : آية : ١٧ .

(٥) تفسير الطبري : ٨/٣٠ .

(٦) سورة السجدة : آية : ٢٩ .

(٧) الفتوحات الالهية : ٤٢٠/٣ .

وقال الألويسي : " أخرجه الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير
وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال : يوم الفتح يوم القيامة
ثم قال : " هذا وتفسير يوم الفتح بيوم القيامة ظاهر على القول بأن المراد
بالفتح الفصل للخصومة " ثم ذكر ما قيد من تفسير يوم الفتح بأنه يوم بدر
أو يوم فتح مكة وما إلى ذلك من أقوال علماء التفسير وهي مرجوحه والراجح
هو ما تقدم من تفسيره بيوم القيامة . (١)

يوم القيامة :

لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا (٢)
قال البرديسي : (وسمى يوم القيامة لقيام الخلق من قبورهم فيـه
وقيامهم بين يدي خالقهم وقيام الحجة لهم وعليهم " : (٣)

القارعة :

القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة (٤)
" سميت بذلك لأنها تقرب القلوب بأشغالها " . (٥)

الواقعة :

(اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة) (٦)

(١) انظر: روح المعاني : ١٤٠/٢١ ، ١٤١ .

(٢) سورة مريم : آية : ٩٤ ، ٩٥ .

(٣) تكملة شرح الصدر : ص ٢ .

(٤) سورة القارعة : آية : ١ ، ٣ .

(٥) التذكرة : ص : ٢٦٣ .

(٦) سورة الواقعة : آية : ١ ، ٢ .

قال الأوسى بعد أن بين أن الواقعة هي القيامة قال :

” صرح ابن عباس بأنها من أسمائها وسميت بذلك للايذان بتحقق وقوعها
لامحالة^(١) ”

يوم الوعيد :

(ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد)^(٢)

وسمى يوم الوعيد لأن الله (أوعد به الكفار ، قال مقاتل : يعنى بالوعيد
العذاب فى الآخرة وخصى الوعيد مع كون اليوم هو يوم الوعد والوعيد جميعا
لتهويله)^(٣) .

وبعد أن ذكر القرطبي كثيرا من أسماء يوم القيامة التى هى على صيغة
جمل ذكر أن أسماء يوم القيامة قد تتبعها بعض العلماء منهم ابن نجاش
فى سبل الخبرات وأبو حامد الفزالي فى غير موضع من كتبه كالأحياء وغيره
والقتبي فى كتاب عيون الأخبار ثم قال :

” ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ما ذكرنا حسب الأحوال الكائنة فيه من
الازدحام والتضايق واختلاف الأقدام والخزى والهوان والذل والافتقار والصفار
والانكسار ويوم الميقات والمرصاد الى غير ذلك من الاسماء ” . (٤)

(١) روح المعاني : ١٢٩/٢٨ .

(٢) سورة ق : آية : ٢٠ .

(٣) فتح القدير : ٧٦/٥ .

(٤) التذكرة : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وانظر : تكملة شرح الصدور : ٩ .

((الفصل الثالث))

- (التعريف بالبعث) -

ويشمل :

- ١- تعريفه في اللغـة .
- ٢- تعريفه في الشرع .
- ٣- الفاظ ينبغى التنبيه اليها .
- ٤- مراتب الموقـب .

١- تعريف البعث في اللفظة:

يختلف تعريف البعث في اللفظة باختلاف ما علق به فقد يطلق ويراد به

١- الارسال : يقال بعث فلانا أو ابتعثته أي أرسلته

٢- البعث من النوم : يقال بعثه من منامه اذا أيقظه .

٣- الاثارة : وهو أصل البعث ومنه قيل للناقاة بعثتها اذا اثرتها

وكانت قبل باركة .

. وفي هذا يقول الأزهري :^(١)

" قال الليث بعثت البعير فانبعث اذا حلت عقاله وارسلته لو كان باركا

فأثرته " .

وقال أيضا : " والبعث في كلام العرب على وجهين أحدهما : الارسال

كقول الله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم موسى)^(٢) معناه أرسلناه

والبعث أيضا الاحياء من الله للموتى ومنه قوله جل وعز (ثم بعثناكم من بعد

موتكم)^(٣) أن أحييناكم .

وقال أبو هلال : " بعث الخلق اسم لاخراجهم من قبورهم الى الموقف ومنه

قوله تعالى : (من بعثنا من برقدنا)^(٤)

(١) انظر: تهذيب اللفظة: ٣٣٤/٢ - ٣٣٥ ، القاموس المحيط : ١/١٦٨ .

وغيرهما من كتب اللفظة في مادة "بعث" .

(٢) سورة الأعراف: آية: ١٠٣ ويونس: آية: ٧٥ .

(٣) سورة البقرة: آية: ٥٦ .

(٤) سورة يس: آية: ٥٢ ، الغرور: ص ٢٨٤ .

ويقول الفيروز أبادي :

"بعثه كمنعه أرسله كابتعثته فانبعث والناقة أثارها وفلانا من منامه
أهبه . . . وتبعث معنى الشعر إنبعث كأنه سأل" (١) .

وقال الراغب: "أصد البعث اثاره الشئ" وتوجيهه يقال بعثته فانبعث

ويختلف البعث بحسب ما علق به .

فبعثت البعير اثرته وسيرته وقوله عز وجل (والموتى يبعثهم الله) (٢)

أى يخرجهم ويسيرهم الى القيامة .

فالبعث ضربان بشرى كبعث البعير وبعث الانسان فى حاجة، والهوى وذلك

ضربان

عنه انه يعاك عليه لاسى

أحد هماً: ايجاد الاعيان والاجناس والأنواع عن ليس وذلك يختص به البارئ

تعالى ولم يقدر عليه أحدا .

والثانى: احياء الموتى وقد خسر بذلك بعض أوليائه كعيسى صلى الله عليه

وسلم وأمثاله ومنه قوله عز وجل (فهذا يوم البعث) (٣) يعنى الحشر .

وقوله عز وجل (بعث الله غرابا يبحث فى الأرس) (٤) أى قيضه .

وقوله تعالى : (ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) (٥)

(١) القاموس المحيط : ١ / ١٦٨ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ٣٦ .

(٣) سورة الروم : آية : ٥٦ .

(٤) سورة المائدة : آية : ٣١ .

(٥) سورة الكهف : آية : ١٢ .

وذلك اشارة بلا توجيه الى مكان (١)

وهذه المعاني ثابتة في اللفظة لكلمة البعث . (٢)

٢- المراد بالبعث في الشرع:

البعث في الشرع يراد به : " احياء الله للموتى واخراجهم من قبورهم —

احياء للحساب والجزاء .

قال الامام ابن كثير — رحمه الله — : " البعث وهو المعاد وقيام الأرواح

والأجساد يوم القيامة " (٣)

وقال السفاريني : " أما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فانه

المتبادر عند الاطلاق اذ هو الذي يجب اعتقاده ويكفر منكره " (٤)

وقال البيهقوري : " البعث عبارة عن احياء الموتى واخراجهم من قبورهم " (٥)

وقال السيد سابق عن البعث : " هو اعادة الانسان روحا وجسدا كما كان في

الدينيا " (٦)

وهذا يكون حينما تتعلق ارادة الله تبارك وتعالى بذلك فيخرجون من

القبور حفاة عراة غرلا بهما ويساقون ويجمعون الى الموقت لمحاسبتهم ونيل كل

مخلوق ما يستحقه من الجزاء العادل .

(١) المفردات : ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) أساس البلاغة : ص ٢٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٢٠٦ / ٣ .

(٤) انظر : مختصر اللوامع : ص ٣٨٢ .

(٥) شرح جوهرة التوحيد : ص ١٢٠ .

(٦) العقائد الاسلامية : ص ٢٦٩ .

وهذا ما تشير اليه كثير من الآيات الواردة في كتاب الله عز وجل كما قال
الله تعالى : (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير
وأن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من فى القبور)^(١)

وقوله تعالى (وإذا القبور بعثرت)^(٢) .

وقوله تعالى : (والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون)^(٣)

وبالمقارنة بين المعنى الشرعى لكلمة " البعث " والمعنى اللغوى لها نجد
ترابطاً ظاهراً وذلك ان من معانى البعث فى اللغة الاثارة لما كان ساكناً
من قبل وكذا الارسال كما فى قوله تعالى : (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا
ان اعبدوا الله)^(٤) .

وهذا ما جاء فى كلمة البعث مراداً بها معناها الشرعى الذى هو ارسال
الحياة الى الأموات واثارتها من جديد لتتھياً لما يراد منها من الانطلاقة
الى الموقف للحساب .

(١) سورة الحج : آية : ٦ ، ٧ .

(٢) سورة الانفطار : آية : ٤ .

(٣) سورة الأنعام : آية : ٣٦ .

(٤) سورة النحل : آية : ٣٦ .

(٣) - (أفاظ ينفي التبييه اليها) -

١- النشور

٢- المعاد

٣- الحشر

عرفنا فيما مضى معنى البعث لفة ، واصطلاحا ، ولا يفوتنا التنبيه على

أن هناك الفاظاً قد استعملت في هذا المعنى وهي :-

النشور ، المعاد ، الحشر ونفصلها فيما يلي :

١- النشور:

تعريفه في اللفظة: النشر في اللفظة يأتي بمعنى البسط والانتشار وتقلب

الانسان في حوائجه ويأتي بمعنى التفرق .

أما مجيئه بمعنى البسط فمثل قوله تعالى : (وإذا الصحف نشرت)^(١)

ومنه قوله تعالى : (والناشرات نشرًا)^(٢) أي الملائكة التي تنشر الرياح أو الرياح

التي تنشر السحاب .

وأما مجيئه بمعنى الانتشار فمثل قوله تعالى (وجعل النهار نشورًا)^(٣)

أى جعل فيه الانتشار وابتغاء الرزق .

وعن تقلب الانسان في حوائجه قوله تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا

في الأرض)^(٤) أى تفرقوا فيها . (٥)

قال الأزهرى في باب نشر: " قال الليث النشر نشر الريح الطليبة " وعن

ثعلب عن ابن الاعرابى قال: " النشر الحياة ، والنشر الريح الطليبة " .

(١) سورة التكوير : آية : ١٠

(٢) سورة المرسلات: آية : ٣٠

(٣) سورة الفرقان : آية : ٤٧

(٤) سورة الجمعة : آية : ١٠

(٥) انظر: المفردات للراغب: ص ٤٩٢ ، ٤٩٣ .

قال الأزهري : " يقال أنشر الله الموتى فنشروا اذا حيوا كما قال

الأعشى : -

حتى يقول الناس مما رأوا . . . ياعجبنا للميت الناشر

وقال الزجاج : يقال نشرهم الله أى بعثهم كما قال الله (واليه النشور)^(١)

وقال أبو علال المسكزي : " والنشور اسم لظهور المبعوثين وظهور أعمالهم

للخلائق ومنه قولك نشرت اسمك ونشرت فضيلة فلان الا انه قيل انشر الله الموتى

بالالف ونشرت الفضيلة والثوب للفرق بين المعنيين .^(٢)

وذكر الزمخشري فى أساس البلاغة : أن من معانيه أيضا اذاعة الخبر

ونشره فى الناس .^(٣)

(١) سورة الملك : آية : ١٥ ، تهذيب اللغة : (١١/ ٣٣٨ ، ٣٤٠ .

(٢) الفروق فى اللغة : ص ٢٨٤ .

(٣) أساس البلاغة : ص ٤٥٦ .

وفى الاصطلاح :

ينطلق ويراد به معنى البعث وهو انتشار الناس من قبورهم الى الموقف للحساب والجزاء .

وانا كان المعنى اللفوى يراد به الانتشار والتفرق والانسياط والبعث
فهى معان عامة يدخل فيها المعنى الاصطلاحى وهو نشر الله للاموات
واحياؤهم قبورهم ، فالنشور يراد به سريان الحياة فى الأموات كما رأيناه

فى تعريفات العلماء السابقة من انه يراد به البعث فى اليوم الآخر وخبرون
الناس من قبورهم احياء وهذا ما فسر به قوله تعالى : (ثم اذا شاء انشره)^(١)

قال ابن كثير: " أى بعثه بعد موته) قال " ومنه يقال البعث والنشور^(٢)

وجاء فى الحديث عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن ينام قال (اللهم باسمك أموت واحياء

وانا استيقظ قال : الحمد لله الذى احيا نفسى بعد أن أماتها واليه النشور^(٣)

وقال ابن الأثير: " يقال نشر الميت ينشر نشورا اذا عاش بعد الموت

وانشره الله أى احياه " .^(٤)

وعرفه البرديسى بأنه " قيام الناس من قبورهم " .^(٥)

(١) سورة عبس : آية : ٢٢

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٤٧٢ .

(٣) أخرجه الترمذى : ٥ / ٤٨١ وقال حديث حسن صحيح - .

(٤) النهاية لابن الاثير : ٥ / ٥٤ .

(٥) تكملة شرح الصدور ص ١٦ .

وقال السفاريني : " وأما النشور فهو يراد في البحث في المعنى نشور

الميت ينشر نشورا اذا عاش بعد الموت ونشره الله أي أحياه " . (١)

٢- المعاد :

المعاد في اللغة:

قال الفيروز أبادي : " والمعاد الآخرة والحج ومكة ، والجنة وكليةها فسور

قوله تعالى (لرادك الى معاد)^(٢) والمرجع والمصير .

وقال : " واعاده الى مكانه رجمه والكلام كرره وتعادوا في الحرب عاد كل فريق

الى صاحبه " .^(٣)

وقال الراغب : " والمعاد يقال للمود وللزمان الذي يمود فيه وقد يكون

للمكان الذي يمود إليه " .^(٤)

وتدل تلك التعريفات للمعاد على أنه مصدر ميمي مأخوذ من العود وهو

برجوع الشيء الى ما كان عليه أولا .

المعاد في الاصطلاح :

وفي الاصطلاح يطلق لفظ المعاد على الرجوع الى الله تعالى في يوم

القيامة ورجوع اجزاء البدن المتفرقة الى الاجتماع كما كانت في الدنيا وحلوس

الروح فيه .

(١) انظر: مختصر لوائح الأنوار : ص ٣٨٨ .

(٢) سورة القصص: آية : ٨٥ .

(٣) القاموس المحيط: ١/ ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٤) المفردات ص ٣٥٢ .

قال ابن الأثير: " وفي أسماء الله تعالى المعيد هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة^(١) .
ومنه الحديث .

" واصلاح لى آخرتى التقى فيها معادى^(٢) " أى ما يعود اليه يوم القيامة
ومنه حديث على " والحكم الله والمعود اليه يوم القيامة^(٣) " أى المعاد^(٤)
وقال الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم رحمه الله " المعاد : وهو المراد الى الله عز وجل والاياب اليه^(٥) .

وقد فسر قوله تعالى (كما بدأكم تعودون^(٦)) بعدة تفسيرات كلها تدل على
الاعادة والرجوع الى الله تعالى .

١- عن مجاهد " كما بدأكم تعودون " يحييكم بعد موتكم . وقال الحسن
البنورى : " كما بدأكم في الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة احياء " .
وقال قتادة : " كما بدأكم تعودون " قال بدأ فخلقهم ولم يكونوا شيئاً ثم ذهبوا
ثم يعيدهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم " كما بدأكم أولاً كذلك يعيدكم اخيراً^(٧) "

(١) النهاية لابن الاثير: ٣١٦/٣ .

(٢) أخرجه مسلم: ٥٦٩/٥ .

(٣) ذكره ابن الاثير فى النهاية : ٣١٦/٣ .

(٤) ابن الأثير فى النهاية ٣١٦/٣ .

(٥) معارج القبول : ١٠١/٢ .

(٦) سورة الأعراف : آية : ٢٩ .

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم : ٢٠٠٨/٢ .

٣- الحشر :

معنى الحشر في اللغة :

قال الراغب الأصفهاني : " الحشر اخراج الجماعة عن مقرهم وازعاجهم
عنه الى الحرب ونحوها " (١) .

ويطلق على الازالة " يقال حشرت السنة مال بني فلان أي ازالته عنهم " .

" ولا يقال الحشر الا في الجماعة " (٢) .

قال تعالى : (وابعث في المدائن حاشرين) (٣)

وقال تعالى : (والطير محشورة) (٤)

وقال تعالى : (واذ الوحوش حشرت) (٥)

الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى وهي كثيرة تدل على اطلاق

لفظة الحشر على الكثرة والجماعة مرادها بها جمع الناس في مكان .

وعرفه القرطبي بأنه الجمع (٦) وهو ما عرفه به كذلك البرديسي (٧) ، والسفارييني

وقال الأزهرى : نقلا عن الليث : " الحشر حشر يوم القيامة " (٨) .

(١) انظر: المفردات ص ١١٩ .

(٢) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٣) سورة الشعراء: آية: ٣٦ .

(٤) سورة س: آية: ١٩ .

(٥) سورة التكويد: آية: ٥ .

(٦) التذكرة ص ٢٤٢ .

(٧) تكملة شرح السدور ص ١٦ وانتشر مختصر اللوامع ص ٣٨٨ .

(٨) تهذيب اللغة: ١٧٧/٤ .

ثم ذكر أن من معانيه وروده بمعنى "المجمع الذي يحشر اليه القوم وكذلك
إذا حشروا إلى بلد أو معسكر ونحوه" (١).

ويقول أبو هلال العسكري:

"الحشر هو الجمع مع السوق والشاهد قوله تعالى: (وابعث في المداين
هاشريين) (٢) أن أبعث من يجمع السحرة ويسوقهم اليك ومنه يوم الحشر
لأن الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف" (٣).

وهو ما ذكره الزمخشري في أساس البلاغة (٤)

قال البرديسي: "وأما المحشر بفتح الشين فهو المصدر ويكسرهما اسم

للموضع، وبعضهم يذهب إلى أن الكس بمعنى واحد، ونقل عن الجوهري

أنه قال: "المحشر بالكسر موضع الحشر" قال وذكر صاحب العين أن المحشر

بالكسر والفتح. الموضع الذي يحشر الناس إليه" (٥)

(١) تهذيب اللغة ١٧٧/٤ .

(٢) سورة الشعراء: آية: ٣٦ .

(٣) الفسوق في اللغة ص ١٣٦ .

(٤) أساس البلاغة ص ٨٤ .

(٥) انظر: تكملة شرح الصدور ص ١٦ .

معنى الحشر فى الاصطلاح :

ويطلق الحشر على يوم القيامة^(١) وهو سوق الناس وجمعهم الى المحشر

لحسابهم كما ظهر من التعريفات السابقة .

وقال ابن حجر فى بيان معنى الحشر انه " حشر الأموات من قبورهم وغيرها

بعد البعث جميعا الى الموقف .

قال الله عز وجل : (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) (٢)

وقال البيهقى " الحشر عبارة عن سوقهم - أى الناس - جميعا الى الموقف

وهو الموضع الذى يقفون فيه^(٣) "

ويتضح مما تقدم أن الفرق بين البعث والحشر هو أن البعث ارجاع

الحياة الى الأموات والحشر هو سوق هؤلاء المبعوثين وجمعهم الى الموقف .

(١) المفردات ص ١٢٠ .

وأنظر: اساس البلاغة ص ٨٤ .

(٢) سورة الكهت: آية: ٤٧ .

فتح البارى: ٣٧٩/٤ .

(٣) شرح جوهره التوحيد: ص ١٧٠ .

لا يوجد نص يستند اليه في ترتيب أعمال يوم القيامة ولم تخص هذه المسألة بالبحث والتحقيق وانما تذكر تلك الأمور التي تحصل في يوم القيامة كل مسألة مستقلة بمفردها .

غير ان بعض العلماء قد ذكر في ترتيب تلك الأمور رأيه ، ومن هؤلاء العلامة البرديسي حيث قال في مخطوطته " تكلمة شرح الصدور " ما نصه :

" أعلم ان مراتب الموقف البحث ثم الحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرس ثم تطاير الصحف ثم أخذها بالأيمن والشمال ثم السؤال والحساب ثم الميزان^(١) وقد ترك أعمالا أخرى لم يذكرها مثل الصراط والقنطرة ، والشفاة ، ومجس " الله لفصل القضاء .

وقال السفاريني : " أعلم ان مراتب المعاد ، البحث ، والنشور ، ثم الحشر ، ثم القيام لرب العالمين ، ثم العرس ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين والشمال ثم السؤال والحساب ثم الميزان^(٢) .

وقد فاته كذلك بعض المراتب فهو لم يذكر الشفاة العظمى ، ولا مجس " الله لفصل القضاء ولا الصراط .

وبغض النظر عما قيل من ترتيب ذلك فاننا سنرتب تلك الأمور ترتيبا ربما يخالف بعض ما قيل في ذلك .

وأسأل الله تعالى العون والتوفيق .

(١) تكلمة شرح الصدور : ص ١٤ .

(٢) انظر: مختصر لوامع الأنوار ص ٤٠٦ .

الفصل الرابع

=====

— ((أدلة البعث)) —

- ١— عناية الكتاب والسنة بالايان باليوم الآخر .
 - ٢— بعض أسباب العناية باليوم الآخر .
 - ٣— أدلة البعث من القرآن الكريم .
 - ٤— أدلة البعث من السنة النبوية وبيان عناية الرسول صلى الله عليه وسلم .
- بأمر البعث .
- ٥— دلالة العقل على البعث .

=====

ان الايمان بالبعث أمر معلوم من الدين بالضرورة ومنكره خارج عن الاسلام .
ولقد خسر ذكر اليوم الآخر بمزيد من العناية والتعظيم لشأنه في كتاب الله
تعالى وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وقد أجمع على ذلك المسلمون .

وسوف نورد فيما يلي : —

١ — بيان عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بذكره .

٢ — أدلته من القرآن الكريم .

٣ — أدلته من السنة النبوية .

٤ — دلالة العقل عليه .

=====

=====

=====

١- ((عناية الكتاب والسنة بالايان باليوم الآخر)) -

ان المتبع لطريقة القرآن الكريم فى مجادلة خصوم العقيدة يجد أن الاهتمام باليوم الآخر أخذ قسطا واسعا من تلك الحجج والبراهين الدامغة لمنكرى اليوم الآخر وكذا فى السنة المطهره ويتمثل ذلك فيما يلى :-

١- ربط الله تعالى الايمان به بالايان باليوم الآخر كما قال تعالى :
(ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ^(١)) وكذا قوله
(ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاريون والمسيحيون من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ^(٢))
فنحن نرى كيف ربط الله تعالى الايمان به بالايان باليوم الآخر وجعله فى المرتبة الثانية بعد الايمان بالله .

فلا ايمان اذا للشخير وان قال انه مؤمن بالله حتى يؤمن باليوم الآخر كما يمانه بالله تعالى وان الفرق بينهما لا حائل له من الايمان وان ادعاه وقد كان كثير من الكفار يؤمنون بالله ولكنهم يجحدون اليوم الآخر فلم ينفهم ذلك الايمان وأباح الله للمؤمنين دماءهم وأموالهم لأنهم كفار .
ويتمثل كذلك ربط الايمان بالله باليوم الآخر من السنة المطهرة فى مثل قوله

صلى الله عليه وسلم (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تسافر مسيرة يوم

الا مع ذى محرم) (٣)

(١) سورة البقرة: آية: ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة: آية: ٦٢ .

(٣) صحيح مسلم : ١/٢٧٧ .

وقال صلى الله عليه وسلم (من كان يومًا من بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا
أو ليصمت ومن كان يومًا من بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يومًا من بالله
واليوم الآخر فليكرم ضيفه)^(١)

وقال صلى الله عليه وسلم (لا يبيخف الا نصار رجل يومًا من بالله واليوم الآخر)^(٢)

٢- الاكثار من ذكره في القرآن الكريم وفي السنة النبوية فقلما تخلو سورة من
سور القرآن عن التحدث عنه وتقريبه الى الازهان بشتى الأساليب من اقامة للحجة
والبرهان أو من ضرب للأمثال كالاستدلال بالنشأة الأولى وكذا خلق السماوات
والأرض واحياء الأرهف بعد موتها على الاعادة وما الى ذلك من المسالك التي
سلكها القرآن الكريم كما سنذكر ذلك .

٣- كثرة الأسماء التي جاءت له في القرآن الكريم فقد وردت أسماء كثيرة وكلها

تبين ما سيقع في هذا اليوم من أعوال . (٣)

ومعلوم من أساليب العرب انهم يكثرون الأسماء للشئ اذا كان ذا أهمية

وشأن وقد نزل القرآن بلغتهم ولتلك العناية أسباب نذكرها فيما يلي :-

(١) مسلم : ٦٨ / ١ .

(٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) انظر: المعقائد الاسلامية : ص ٢٦١ .

٢ - ((بعض أسباب العناية باليوم الآخر)) -

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في وقت اتسمت فيه كثير من الأمور التعبدية وجهلت فيه على الخصوص عقيدة الايمان باليوم الآخر فلم تعد على ذلك الوضوح الذي كان في زمن الأنبياء بل صارت بتطاؤل الزمن عقيدة محرفة بعيدة عن الصواب والواقع فلم تبق من معالم الايمان باليوم الآخر الا بقايا رسوم هي الى الاندثار أقرب منها الى التماسك ليس عند جهة أو قوم بل في كل بقاع الأرض وعند كل أمة عربية أو غير عربية اللهم الا ماورد عن اناس بخصوصهم من العسرب بقوا على الحنفية مله ابراهيم فالعرب^{مسح} المشركون ينكرون اليوم الآخر اساسا وأهل الكتاب من يهود ونصارى - وان كانوا يؤمنون باليوم الآخر عموما - لكنهم على جهل كبير بحقيقته وما ينبغى اعتقاده فيه وغير هؤلاء وثنيون أو مجوس لا يؤمنون به مطلقا عند بعضهم وعند بعضهم الآخر يؤمنون بأن هناك عودة للروح لكه لا يمت الى الايمان باليوم الآخر كما جاءت به الأنبياء بأى صلة كما هو الحال عند الهنود والبوذيين وغيرهم من الفرق الضالة .
وعلى هذا فمن اسباب تلك العناية ما يلي :-

١ - انكار المشركين لليوم الآخر اشد انكار ونسبة ما يشاهد من الاحياء والاماتة الى الدهر دون ان يكون هناك تنظيم لهذا التفسير المستمر أو هدف من وراء هذا الخلق (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) (١)
فكان من الأمور البديهية أن ينزل القرآن بتلك الحجج القوية ليشد من أزر الرسول صلى الله عليه وسلم في مواجهة ذلك السيل الجارف من الجحسود لليوم الآخر .

(١) سورة الجاثية : آية : ٢٤ .

٢- وكما قلنا سابقا فان أهل الكتاب وان كانوا يؤمنون باليوم الآخر لكنهم لم يكونوا على العقيدة الصحيحة فيه فقد حرفوه وبلغوا به منتهى الفساد وحتى صاروا فيه كالوثنيين من هنود وبنو يمين وذلك من ناحية ان الهنود يعتقدون في كرشة انه هو المخلص لهم من الألام . (١)

والنصارى - بخصوصهم - يعتقدون في عيسى أنه هو المخلص لأمة من عقوبة الخطايا في الآخرة فالكل في الجنة والنعيم . (٢)
وأما اليهود فقد اختلفوا في الايمان باليوم الآخر وحتى نفس هذا الاختلاف بعيد كل البعد عن حقيقة اليوم الآخر .

٣- ومن الأسباب التي جعلت القرآن الكريم يهتم باليوم الآخر ذلك الأهتمام الشديد هو التأكيد على أن هذه الحياة انما جعلت لهدف أعلى وغاية سامية ولولا أن هناك يوما يجازى فيه المحسن باحسانه والمسيء باسائه لما كان هناك فرق بين عمل الخير وعمل الشر ولا كانت هناك فضائل ولا رذائل فالحياة فوضى والمصير مجهول ولا وازع نفسى ولا ضمير حى .

اذا فلا عجب ان رأينا الأسلام يهتم بذكر اليوم الآخر ويحث على الايمان به ويجعله من أهم القضايا الأساسية التي لا يمكن ان يسمى الشخص مسلما الا اذا جاء بها معتقدا صحتها في قرارة نفسه .

فالا سلام خاتم الديانات ورسوله خاتم المرسلين ، ولا عجب كذلك

(١) الديانات القديمة لابي زهرة ص ٣٠ .

حينما نرى ونقرأ حقائق وتفصيل عن اليوم الآخر لم تكن معلومة عند أهل
الديانات السابقة .

وهذا هو الذى حمل بعض الفلاسفة ومن سار على طريقتهم على القول
بأنه لم يفصح بمعاد الأبدان الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم^(١)
كما تقدم ولأن تلك التفاصيل لم تكن معلومة لدى الكفار من قريش وغيرهم
نرى أن الاسلام قد سلك مسالك شتى وطرق متعددة فى اقناع الكفار
بالايمان باليوم الآخر مبينا ان هذا الكون لا بد وان ينتهى ويزول كل اثر له
وانه لم يخلق عبثا دون حساب وجزاء .

ونتبين الطرق التى سلكها القرآن الكريم فى محاجة خصومه لاثبات

البعث فيما يلى :

(١) انظر: المقيدة الطحاوية ص ٤٥٧ .

٣- ((أدلة البعث من القرآن الكريم)) -

وسوف نرى كيف اهتم القرآن الكريم بذكر البعث اهتماما بالغا حيث يتجلى ذلك في كثرة الأدلة عليه وفي تنوعها في الرد على المنكرين له وانه سلك في سبيل توضيح ذلك طرقا عديدة ومنها :-

١- الاقسام على وقوع البعث كما نرى في الآيات الآتية :-

قال الله تعالى **آمرا نبيه أن يقسم بربه سبحانه وتعالى على أن البعث حق لا ريب فيه وانه لا بد من وقوعه وحاسبة آلك المكذبين الجاحدين له وان ذلك لا يعجز الله تعالى بل هو عليه يسير فقال عز وجل :-**

١- (**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئنهون**

بما عملتم وذلك على الله يسير) (١)

٢- وقال تعالى : (**وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي**

لتأتينكم عالم الغيب لا يميز عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض

ولا أصفر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) (٢)

٣- وقال تعالى : (**ويستنبئوك أحق هو قل أي وربي انه لحق وما أنتم**

بممجزين) (٣)

ففي هذه الآيات البينات يأمر الله تعالى نبيه وهو الصادق المصدوق

أن يقسم على وقوع البعث والجزاء وانه كائن لا محالة ومعلوم أنه ولو لم يقسم

صلى الله عليه وسلم على وقوع البعث لتلقى المؤمنون خبره بالتصديق المتام

وعدم وجود ادنى شك في ذلك ولكان ذلك الأخبار كافيا لصحة ثبوته

(١) سورة التغابن : آية : ٠٧ .

(٢) سورة سبأ : آية : ٠٣ .

(٣) سورة يونس : آية : ٠٥٣ .

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد زيادة في التأكيد والايضاح والبيان أن يقرن ذلك الاخبار بالقسم فقد أمر الله نبيه ان يجيبهم بهذا الجواب في مقابلة استهزائهم وانكارهم لأمر البعث الذي سيعلمون اذا ماتوا ووقفوا أمام ربهم وبينت لهم الحقيقة انهم كانوا على ضلال وجهل في نفيهم ذلك . حين زعموا ان لن يبعثوا زعما يدل على مكابرتهم وعنادهم للحق ولأنهم زعموا ذلك دون ان يذكروا لهم مستندا فان الله تعالى لم يقم لهم الادلة على حصول البعث بل أمر نبيه ان يقسم على أن المماد حق وكأن حالهم لا يحتاج الى ذكر الأدلة بل يحتاج الى القسم حتى ينقادوا للتصديق وقد ذكر الامام الرازي الفائدة من هذا القسم على وقوع البعث من وجوه ، فقال : " اهدسوا أن يستميلهم ويتكلم معهم بالكلام المعتاد ومن الظاهر أن من اخبر عن شيء وأكده بالقسم فقد أخرجه عن الهزل وأدخله في باب الجد .

وثانيها : ان الناس طبقات فمنهم من لا يقرب بالشئ الا بالبرهان الحقيقي ومنهم من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الاقناعية نحو القسم ، فان الأعرابي الذي جاء للرسول عليه السلام وسأل عن نبوته ورسالته اكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم فكذا همنا^(١) .

٢- من الطرق الأخرى التي سلكها القرآن الكريم في اثبات البعث : -

" التنبيه بالنشأة الأولى على النشأة الثانية "

١- قال تعالى : (وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا ؟
قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا ؟
قل الذي فطركم أول مرة فسينفضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبئس الا ظيلا)^(٢)

(١) التفسير الكبير : ١٧ / ١١٠ .

(٢) سورة الأَسْرَاء : آية : ٤٩ ، ٥٢ .

٢- وقال تعالى : (أولم ير - الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم

مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها

الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر

نارا فاذا انتم منه توقدون (١)

٣- وقال تعالى : (أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى

يعنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك

بقادر على أن يحيى الموتى)^(٢)

٤- وقال تعالى : (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون) (٣)

٥- وقال تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)^(٤)

٦- وقال تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلمين)^(٥)

٧- وقال تعالى : (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم

من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضفة مخلقه وغير مخلقه لنبين لكم

ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم

ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا)^(٦)

٨- وقال تعالى : (ويقول الانسان اذا مات لسوف أخرج حيا أو لا يذكر

الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) (٧)

(١) سورة يس : آية : ٧٧ ، ٨٠

(٢) سورة القيامة : آية : ٣٦ ، ٤٠

(٣) سورة الحاقة : آية : ٦٢

(٤) سورة السورم : آية : ٢٧ ، ٠

(٥) سورة الأنبياء : آية : ١٠٤

(٦) سورة الحج : آية : ٥ ، ٦ ، ٧

(٧) سورة مريم : آية : ٦٦ ، ٠

٩- وقال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله
أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون)
١٠- وقال تعالى : (فلينبظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من

بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر) . (١)
وفي هذه الآيات المباركة يوضح تعالى لعباده انه يعيد المخلوقات
بعد أن يموتوا وييلوا في الأرض ، فكما انه أنشأهم أول مرة وأوجدهم
من العدم لا يمجزه ان ينشئهم مرة أخرى ومعلوم أن النشأة الأخرى
تكون أهون من النشأة الأولى والله سبحانه وتعالى وان كان يسهل
عليه النشأة الأولى والنشأة الثانية على حد سواء لكن القرآن يخاطب
البشريين لهم تنزلا مع عقولهم دليلا لا يستطيعون جهده ويعرفون
صدقه في أنفسهم وهوان من قدر على النشأة الأولى فهو على النشأة
الثانية أقدر من باب أولى فاذا كان في عرف البشران النشأة الثانية
لأى شيء كان أسهل عليهم من النشأة الأولى أفلا يليق بالله تعالى
وهو القادر على كل شيء أن تكون النشأة الثانية أهون عليه وهذ
حجة قوية ظاهرة لا يستطيع دفعها الا من كابر عقله وأجحف في الحكم
على ربه .

ومعلوم ان هذا التفاوت لا يقال على الله فان القدرة الإلهية انما تقول
للشيء " كن فيكون " فليس هناك جهد يبذل أو محاولات تتكرر ولكنها

(١) سورة المؤمنون : آية : ١٢ ، ١٦ .

(٢) سورة الطارق : آية : ٥ ، ٩ .

كلمة واحدة يتحقق بها كل شيء يريد الله فمشيئته لا راد لها وحكمه لا معقب له فالذي انشأ البشر وأوجدهم ورباهم بنعمه قادر على ارجاعهم الى الحياة مرة أخرى لمجازاتهم وهم وقد عرفوا النشأة الأولى من أين جاءت وكيف وجدت وكيف تنتهي كان الأخرى بهم أن تدلهم فطرتهم على أن السدى أنشأ هذا الكائن الحي أول مرة أنشأه من نطفة ثم صيره علقة ثم صيره مضفة مخلقه وغير مخلقه ثم صير تلك المضفة عظاما ثم كسها العظام لحما ثم أنشأه خلقا آخر ، ثم بعد ذلك مرتبك الظلمات العظيمة قبل خروجه الى الدنيا طفلا لا يملك أى شيء فرباه بنعمه الى أن صار انسا نا قويا متماسك البنية فاذا هو خصيم مبین ونسى ذلك الفضل لله عليه جملة وتفصيلا وحارب الله علانية حتى اذا جاءه الموت فاذا به ضعيف مسكين قد أثقل نفسه بالذنوب والآثام وركب كل صعب ودلول ليأخذ جزاءه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

قال شمس الدين بن القيم - رحمه الله - فى شرح قول الله تعالى :

(يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب) الآية

الكريمة .

" يقول سبحانه ان كنتم فى ريب من البعث فليستم ترتابون فى مبدأ خلقكم من حال الى حال الى حين الموت ، والبعث الذى وعدتم به نظير النشأة الأولى فهما نظيران فى الامكان والوقوع فاعادتكم بعد الموت خلقا جديدا كالنشأة الأولى التى لا ترتابون فيها فكيف تنكرون احدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها (1)

ويقول الرازي في الآية الأولى من سورة الاسراء " وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا " الخ الآيات .

يقول عن تقرير شبهة ألتك المتكرين " فهى أن الانسان اذا مات جفت أعضاؤه وتناثرت وتفرقت فى حوالى العالم فاختلط بتلك الأجزاء سائر أجزاء العالم أما الأجزاء المائية فى البدن فتختلط بمياه العالم ، وأما الأجزاء الترابية فتختلط بتراب العالم وأما الأجزاء الهوائية فتختلط بهواء العالم وأما الأجزاء النارية فتختلط بنار العالم وانما صار كذلك فكيف يعقل اجتماعها بأعيانها مرة أخرى وكيف يعقل عود الحياة إليها بأعيانها مرة أخرى فهذا هو تقرير الشبهة " .

ثم أجاب عن هذه الشبهة وهذا الأشكال فقال : " والجواب عنها أن هذا الأشكال لا يتم الا بالقدح فى كمال علم الله وفى كمال قدرته انما اذا سلمنا كونه تعالى عالما بجميع الجزئيات فحينئذ هذه الأجزاء وان اختلطت بأجزاء العالم الا انها متميزة فى علم الله تعالى ولما سلمنا كونه تعالى قادرا على كل الممكنات كان قادرا على إعادة التآليف والتركيب والحياة والمقل الى تلك الأجزاء بأعيانها فثبت انما متى سلمنا كمال علم الله وكمال قدرته زالت هذه الشبهة بالكلية " (١)

ثم استمر فى مناقشة الجاهدين للبعث على ضوء الآية مبينا ان تلك الاجسام قابلة للحياة والعقل ان لولم يكن هذا القول حاصلا لما حصل العقل والحياة لها فى أول الأمر والله العالم عالم بجميع الجزئيات فلا تشببه عليه أجزاء بدن زيد المطيع بأجزاء بدن عمرو العاصى وقادر على كل الممكنات واذا ثبت ان عود الحياة الى تلك الأجزاء ممكن فى نفسه وثبت ان اله العالم

عالم بجميع المعلومات قادر على كل الممكنات كان عود الحياة الى تلك الأجزاء
ممكنا قطعا سواء صارت عظالما ورفاتا أو صارت شيئا أبعد من العظم في قبول
الحياة وهي أن تصير حجارة أو حديدا " ثم قال :
" فهذا تقرير هذا الكلام بالدليل المنطقي القاطع " . ثم ان " القادر على
الابتداء يجب أن يبقى قادرا على الحياة " .
قال : " وهذا كلام تام وبرهان وقوى " . (١)

(ج) - التنبيه باحياء الأرض بعد موتها على احياء الموتى -

١- قال تعالى : (وترى الأرض هامدة فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور) (١)

٢- وقال تعالى : (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ان ذلك لمحى الموتى وهو على كل شيء قدير) (٢)

٣- وقال تعالى : (والذى نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون) (٣)

٤- وقال تعالى : (ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فإذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احيها لمحى الموتى انه على كل شيء قدير) (٤)

٥- وقال تعالى : (حتى اذا اقلت سحباً ثقلاً سقناه لبلد ميتاً فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (٥)

٦- وقال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركاً فانبثنا به جنت وحب الحميد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للمعبود واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) (٦)

(١) سورة الحج : آية : ٥ ، ٧

(٢) سورة الروم : آية : ٥٠

(٣) سورة الزخرف : آية : ١١

(٤) سورة فصلت : آية : ٣٩

(٥) سورة الأعراف : آية : ٥٧

(٦) سورة ق : آية : ١١ ، ٩

٧- وقال تعالى : (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي

الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) (١)

٨- وقال تعالى : (والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد

ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) (٢)

٩- وقال تعالى : (وآية لهم الأرض الميتة احييناها وأخرجنا منها حبا

فمنه يأكلون) (٣)

ووجه الدلالة من هذه الآيات البينات واضح تمام الوضوح بل هو من الأمور المشاهدة أرض أصابها الجذب فاذا باشجارها تيبس بعد نضارتها واذا بتلك الأرض هامة خاشعة مستكينة قد مات منها كل شيء يدل على حياتها فيريد الله احياءها فتنزل عليها الامطار فاذا بها قد اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج وكأنها لم تكن هي التي كانت ميتة بالأمس قبل أن تمطر فاذا بثمراتها تؤتي اكلها من كل نوع واذا بها تكسى حلقة خضراء واذا بالزهور على أشكال شتى أفيعجز من اعاد الحياة الى هذه الأرض الميتة والاشجار اليابسة ان يعيد الى الانسان حياته مرة أخرى لمجازاته وهو الذي كرمه واصطفاه على سائر من خلق ، وحمله في البر والبحر ورزقه من كل الثمرات واسجد له ملائكته وارسل اليه رسله وانزل اليه كتبه أيظن باحكم الحاكمين وصاحب الملك والعظمة ان يترك هذا الانسان المكلف يحيا حياته الدنيوية ثم ينتهي الى العدم المحض لاشك ان هذا هو عين العيب الذي يتنزه عنه المخلوق الناقص فضلا عن الخالق العظيم ولو تأمل العاقل بعقله فقط دون الرجوع الى كلام الله ورسله

(١) سورة الروم : آية : ١٩ .

(٢) سورة فاطر : آية : ٩ .

(٣) سورة يس : آية : ٣٣ .

لتبين له ان احياء الله للأموات أمر لا بد منه ولا محيص عنه يسلم بصحته كل عاقل ويجد ضرورة في نفسه للتصديق به لأنه هو الحقيقة ولا مانع يحصل دون التصديق .

قال ابن كثير في قوله تعالى : (وترى الأرض هامدة) " هذا دليل آخر على قدرته تعالى على احياء الموتى كما يحيى الأرض الميتة الهامدة وهي المقحلة التي لا ينبت فيها شيء " وقال قتادة غبراء متهشمة . وقال السدي ميتة .

(فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) أى فاذا انزل الله عليها المطر اهتزت أى تحركت بالنبات وهيبت بعد موتها وربت أى ارتفعت ثم أنبتت ما فيها من الألوان والنفون من ثمار وزروع وأشجارات النباتات فى اختلاف الوالنها وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها ولهذا قال تعالى (وانبتت من كل زوج بهيج) أى حسن المنظر طيب الريح (١)

د - ((التنبية بخلق السماوات والأرض على احياء الموتى)) -

- ١- قال تعالى : (أولم يروا ان الله الذى خلق السماوات والأرض ولم يحيى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير) (١)
- ٢- وقال تعالى : (أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها) (٢)
- ٣- وقال تعالى : (أوليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى (٣) وهو الخلاق العليم) (٤)
- ٤- وقال تعالى : (أولم يروا ان الله الذى خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) (٥) (٦)

-
- (١) سورة الأحقاف : آية : ٣٣
 - (٢) سورة النازعات : آية : ٢٧ .
 - (٣) الضمير يرجع الى الخلق قال ابن جرير الطبرى فى معناها : " يقول تعالى ذكره منبها هذا الكافر الذى قال (من يحيى العظام وهى رميم) على خطأ قوله وعظيم جهله (أوليس الذى خلق السماوات) السبع (والأرض بقادر على أن يخلق) مثلكم فان خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السماوات والأرض يقول : فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم فكيف يتعذر عليه احياء العظام بعد ما قدر مت وبليت . تفسير ابن جرير ٢٣ / ٣٢٢ .
 - (٤) سورة يس : آية : ٨١
 - (٥) الضمير يرجع الى الخلق قال ابن كثير فى معناها : " أى يوم القيامة يعيد ابدانهم وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم نزل تفسير القرآن العظيم ٣ / ٦٦ .
 - (٦) سورة الأسراء : آية : ٩٩

هـ - وقال تعالى : (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر

الناس لا يعلمون)^(١)

وفي هذه الآيات الكريمت يخبر تعالى عن وقوع البعث بالتنبيه على أمر مشاهد امام الأنظار وهو خلق السماوات والأرض ألم ير هؤلاء المكذبون ان الله الذى خلق السماوات والأرض ولم يعنى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ؟ بلى انه على كل شىء قدير فالذى يضع الأمر العظيم لا يعسر عليه ان يصنع الأمر الصغير فالذى يستطيع ان يبنى قنصرا عظيما لا يعسر عليه ان يعيد بناء غرفة من غرفه

وما هو هذا الكائن الانسانى بالنسبة لحجم السموات والأرض فلولوا غرور الانسان بنفسه لرأى أنه كذرة تائهة فى جانب هذا الكون الهائل من الأجرام العلوية والسفلية وايهما اشد فى عقول البشر خلق السموات والأرض أم خلق الانسان (ولا شك ان خلقهما أعظم وأفخم من اعادة هذا الشخص حيا بعد أن صار ميتا والقادر على الأقوى والأكمل لا يسد وان يكون قادرا على الأقل والأضعف)^(٢)

ان هذه المقارنه تقال بالنسبة لعقل الانسان ، والا فالكل عند الله وقدرته سواء بدليل قوله تعالى (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون)^(٣)

(١) سورة غافر : آية : ٥٧ .

(٢) التفسير الكبير : ٢٨ / ٣٤ .

(٣) سورة يس : آية : ٨٢ .

ومما لا شك فيه كذلك ان خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولم يـ
هذه المسألة على بساطتها ووضوحها قد تخفى دلالتها على احياء الموتى
على كثيرين ممن لم يوفقهم الله للنظر في هذا الأمر وتدبره وما سبب ذلك
الا الخفلة والأعراض عن تقبل ما جاء عن الله .

(ه) ((اخبار الله تعالى بما وقع من البعث الحسى المشاهد فى الحياة الدنيا ليكون احياء الله للموتى فى الدنيا دليلا على البعث فى يوم القيامة كما فى الآيات الآتية))^(١)

١ - قصة العزيز أو غيره ممن ذكرهم علماء التفسير من الخلاف فى تعيين المار على تلك القرية ^(١)

قال تعالى : (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى المظالم كيف ننشها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شىء قدير)^(٢)

٢ - طلب ابراهيم من ربه مشاهدة احياء الموتى :

قال تعالى : (وان قال ابراهيم رب انى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليظمن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جيل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سميا وأعلم ان الله عزيز حكيم)^(٣)

٣ - موت بنى اسرائيل الذين تنطعوا فى ايمانهم واشتروا لذلك أن يروا ربهم فأخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله ليريبهم قدرته

قال تعالى : (وان ظنتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون)^(٤)

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٤/١ ، والتفسير الكبير: ٢٩/٧ . وغيرهما من كتب التفسير .

(٢) سورة البقرة: آية: ٢٥٩ .

(٣) سورة البقرة: آية: ٢٦٠ .

(٤) سورة البقرة: آية: ٥٥ .

٤- اخبار الله عن قتل بنى اسرائيل الذى أعاد الله الحياة بعد ما قتل
واخبر عن قاتله معجزة لنبي الله موسى عليه الصلاة والسلام .

فقال تعالى : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم
آياته لعلكم تعقلون)^(١)

٥- اخبار الله تعالى عن اماتة آلاف من الناس خرجوا من ديارهم حذر الموت
فأماتهم الله ثم أحياهم .

(ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال الله
لهم موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس
لا يشكرون)^(٢)

٦- اخبار الله تعالى عن أهل الكهف وهم فتية آمنوا بربهم وتحابوا فيسه
فأواهم ذلك الكهف الذى كان قبرا لهم الى حين أراد الله اظهارهم
كما قال تعالى : (ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا ان أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا هبى لنا من أمرنا رشدا
فضرنا على أفنانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أى
الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا)^(٣)

وفى هذه الآيات البينات دلالات واضحات على قدرة الله تعالى فى
احياء الأموات .

وقد رأينا نماذج من احياء الله تعالى لاناس ماتوا فأعادهم الله الى الحياة .

(١) سورة البقرة: آية: ٧٣
(٢) سورة البقرة: آية: ٢٤٣
(٣) سورة الكهف: آية: ١٠٩ ، ١٢٠ .

ومن ذلك ما وقع من احياء الذى مر على تلك القرية التى ذكرها الله تعالى ووصفها بأنها خربة موحشة خاوية على عروشها ، فوقف عندها هذا الرجل يتأمل كيف تحيا هذه القرية بعد الذى صارت اليه وكيف ستعود اليها أيامها التى كانت فيها فى زهو واختيال وفى أثناء هذا التأمل وتلك المسألة يأتيه الجواب من الله لما خطر فى قلبه بأنه هو نفسه سيكون الجواب عن سوءه فأما الله مائة عام ثم رد اليه روحه وبعثه حيا صحيحا لم يفقد شيئا من شخصه ثم أراه الجواب شيئا فشيئا طعامه امامه لم يتغير وشرابه لم يأسن وهذا بخلاف ما يعهده من طبيعة الأشياء ولا سيما مثل الطعام والشراب الذى هو سريع التفسير .

لم يحض

وحماره الذى صار قطعاً ممزقة وعظاماً نخره رجعت اليه الحياة من جديد فهذه العظام تهتز لدبيب الحياة فيها وهذه اللحوم تظهر كالكساء على العظام وما هى الا لحظات فاذا بالرجل والطعام والشراب والحمار كأن لم يمضى عليهم - رغم مرور مائة سنة - الا يوم أو بعض يوم ولكنه أخبرانه مكث مائة سنة فهل الآن سيقنع ان الذى احياه سيحيى الموتى وبعثهم متى شاء الجواب نعم وقد قال هو بنفسه " أعلم ان الله على كل شىء قدير" والفرض من القصة واضح وهو اثبات البعث بتلك الطريقة المشاهدة عياناً " لأن تبين الاحياء على سبيل المشاهدة ما كان حاصله قبل ذلك " (١) ولقد احب ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أن يريه الله كيف يحيى الموتى ولم يقل هذا لنقص فى ايمانه بقدره الله على ذلك ولكن احسب أن يطمئن قلبه بزيادة المشاهدة عياناً فأحيا الله له اربعة من الطيور المفرقة الأجزاء وعادة اليه كما كانت قبل الموت وكأنه لم يصيبها موت ولا تقطيع

لأجزائها ان عاد كل جزء الى جزئه ثم جاءت من الجبال الأربعة سـرعا
كأن لم يصبها شىء قبل دعوته لها وكم لبث أصحاب الكهف فى كهفهم أمواتا
الى أن شاءت ارادة الله تعالى احياءهم فاذا هم احياء يطلبون ازكى طعام
من البلدة ظانين انه لم يمض على رقدتهم فى الكهف الا يوم أو بعض يوم
وهكذا احياءهم نشأة ثانية وعادوا كما كانوا لم ينكروا من أنفسهم أى تغيير
أو جديد ، والفرض من ذكر هؤلاء هو البيان والايضاح لمن فى قلبه شك فى
أمر البعث ان الله يحييه بروحه وحسبه كما احيى هؤلاء الفتية وان ذلك ليس على
الله بعزيز .

لم يمض

وقد أشار شيخ الاسلام ابن تيمية الى بيان الطرق التى استعملها القرآن
الكريم لاثبات البعث فقال : " فتارة يخبر عن أماتهم ثم احياءهم كما أخبر عن
قوم موسى الذين قالوا " ارنا الله جهرة " قال (فأخذكم الصاعقة وأنتم تنظرون
ثم بعثناكم من بعد موتكم) وعن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر
الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياءهم) .

وعن الذى مر على قرية فأماته الله مائة عام ثم بعثه " وعن ابراهيم ان قال
رب ارنى كيف تحى الموتى .

وكما أخبرنا عن المسيح انه كان يحيى الموتى باذن الله وعن أصحاب الكهف
انهم بعثوا بعد ثلاثمائة وتسع سنين ، وتارة يستدل على ذلك بالنشأة
الأولى . فان الاعادة أهون من الابتداء كما فى قوله تعالى (ان كنتم فى
ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب) الآية .
وقوله قل يحييها الذى أنشأها أول مرة (قل الذى فطركم أول مرة) " وهو
الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه " .

وتارة يستدل على ذلك بخلق السماوات والأرض فان خلقهما أعظم من
اعادة الانسان كما فى قوله تعالى (أولم يروا ان الله الذى خلق السماوات
والأرض ولم يعمى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى .

وتارة يستدل على امكانه بخلق النبات كما فى قوله (وهو الذى يرسل
الرياح بشرا) الى قوله (كذلك نخرج الموتى)^(١)

ورغم تلك الدلائل كلها ورغم ذلك البيان الكافى الا ان المشركين لا يريدون
ان يسمعوا القول الحق لقد عظم عليهم أن يؤمنوا بأن وراء هذه الحياة
حياة أخرى هى أعلى منها وأفضل لمن اطاع الله واتعس منها وأنكد لمن عصى
الله ولكن الايمان بهذه الحقيقة سيكلفهم عبادة رب واحد وطاعة اله واحد
وينبذ ما افوه وما صنموه من الهة لا تضروا ولا تنفع وهذا أمر عسير جدا على نفوسهم
عسير عليهم أن ينبذوا تلك الالهة التى تشربت قلوبهم حبها .

لقد عظم على المشركين ان يؤمنوا بأن وراء هذه الحياة حياة أخرى أجمل
وأعظم منها فهم لا يريدون ان يصدقوا بأنهم اذا كانوا ترابا وعظاما ان يعودوا
فى خلق جديد فهذا من الأمور المعجبية المستحيلة فى خيالهم ذلك انهم
قاسوا قدرة الله على قدرة المخلوق فكما ان المخلوق يستحيل عليه ان يعيد
الميت حيا فكذا فى مقياسهم قدرة الله لانهم لم يقدروا الله حق قدره ولهذا
فهم على اصرار بأنه ليس امامهم الا حياتهم الدنيا يحيون ويموتون وينتهى
كل شىء فلا اعادة ولا حساب ، ولا عقاب ، ولا جنة ، ولا نار شأنهم فى ذلك
شأن النبات بل تجاوزوا فى استكبارهم الى حد انهم يتحدون الرسل بمجيسىء
المذاب والبعث صراحة فيقولون (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) (٢)

(١) الفتاوى : ٢٢٤ / ٩ .
(٢) سورة الانبياء : آية : ٣٨ .

وزهبوا الى أن القول بالبعث انما هو من اساطير الاولين فقد سـمـمـمـمـمـم
ان اباؤهم ايضا كذلك انذروا لقاء الله ومع ان هذا دليل قوى على تأصل
فكرة البعث عند الناس لكنهم استدلوا به على عكس ما كان ينبغي فالأولى بهم
ان يقولوا ان هذا الوعد ليس بجديد علينا فقد انذربه من كان قبلنا مما يدل
على صحة وقوعه ولكنهم - والأمر معكوسة لديهم - جعلوا هذا دليلا على
أن الايمان به مستحيل لانه من الأساطير وصاروا يسخرون ويستهزئون بمن
يؤمن بالبعث بأنه مفتر وأنه مجنون وبأنه ساحر الى آخر ذلك السبب
الذى يدل على انقطاعهم وحيرتهم ، وعند ان كاد نور الحق يسطع فى
قلوبهم سول لهم الشيطان ان يطلبوا مطلبا غريبا وهو ان يأتى الرسول
بآبائهم ان أراد ان يؤمنوا بالبعث وما علموا ان الله لا يشاء هذا بسـلـل
ولا تقضىه حكمته ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وعلى هذا فقد أرجعوا حياتهم وموتهم الى الدهر ليكونوا على منأى بعيد
عن الله وعن التصديق باليوم الآخر ولكن سوف يأتى الوقت الذى يصدقون
فيه بذلك اليوم حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا هم ينصرون .

٤- () أدلة البعث من السنة () -

وكما حصلت العناية في القرآن الكريم بذكر البعث وإبرازه في صور
متعددة جليلة فقد حصلت العناية كذلك من النبي صلى الله عليه وسلم
فقد كان دائم الحث على الايمان به والدعوة اليه لا يفتر عن ذلك في كل
مناسبة ولهذا فقد وردت أحاديث كثيرة جدا فيه تحمل صورا عديدة لأمر
البعث ولكيفية الحشر والحساب والجزاء والشفاة وطول ذلك اليوم وكيفية
نزول الرب فيه ومجىء الناس فيه اشتاتا وهكذا ، ونذكر هنا أسبابا أخرى
من عناية الرسول صلى الله عليه وسلم باليوم الآخر بالاضافة الى ما ذكرناه
سابقا من عناية القرآن الكريم بذلك وهى :-

١- انه قد أمر بتبليغ كافة البشر ما ينفعهم وما يضرهم وما يقربهم الى ربهم
ويوصلهم اليه ومن أوليات ذلك الايمان برجوعهم الى ربهم وما يستلزمه
ذلك الرجوع من استعداد للعمل الصالح فان الايمان باليوم الآخر
يستلزم العمل الصالح والبعد عن الأعمال الشريرة .

٢- ان الايمان باليوم الآخر وحشر الاجساد والعرض على الله كان أمرا
في غاية الاستعداد عند الكفار من قريش وغيرهم ولهذا كان الصراع
بينه وبينهم في هذا المجال من الأمور الأولية لأنه لا يؤمن احد
الا اذا آمن باليوم الآخر .

٣- كان يهدف صلى الله عليه وسلم من تقريب اليوم الآخر الى أذهان
المنكرين له والمكذبين به الى أمر له مابعد . فقد كان يعلم صلى الله
عليه وسلم ان الكفار اذا آمنوا باليوم الآخر وانقادوا له فان الايمان
بالأمور الأخرى سيكون من باب أولى ولهذا كان يحرص دائما على
التذكير به والدعوة اليه في كل مناسبة مبالغة في النصيحة وايصال
الخير الى البشرية الجاهلة بأساليب متعددة تختلف باختلاف

المخاطبين ومقدار حاجتهم ، ولكثرة الأحاديث الواردة في ذلك فاننا سنكتفي بالإشارة الى أماكنها ذلك ان كل ما ثبت به النص مما يجرى في الدار الآخرة كلها تثبت وتدل على البعث كماخبره صلى الله عليه وسلم عن نسمة المؤمن انها طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله الى جسدها يوم القيامة^(١) وهكذا جميع ماورد من الأحاديث التي تدل على اخبار اليوم الآخر وما يقع فيه كلها تثبت أيضا البعث اما صراحة أو ضمنا لانه لا يقع في يوم القيامة شيء الا وقد تقدم البعث قبله وكذلك ماوردت به النصوص مما يقع في الحشر وكيفيته والحساب والجزاء والعرض وغير ذلك ، كل هذه الأمور لا تقع الا بعد البعث كما هو معلوم .^(٢)

-
- (١) أخرجه النسائي ١٠٨/٤
(٢) انظر: صحيح البخاري ١١٤/١ ، ٤٥٠/٦ ، ٦٠/١٣ ، ٣٣٨/٤ ، ١٣٦/٣ ، ٢٤٣ ، ٦٩٠/١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨/١١
وانظر: صحيح مسلم ٣٧/١ ، ٢٢٠٦/٤ ، و ص ٢٢٠٨ الى ٢٢١٠
و ص ٢١٩٩ ، ص ٢١٩٤ ، ٨٦٤/٢
وانظر: سنن ابن ماجه ٣٢ ، ٢٥/١ ، ١٣٥١/٢ و ص ١٤٢٩
وسنن ابوداود ١٤/٢ ، ص ٢٠
وسنن الترمذي : ٣٨٣/٣
وسنن النسائي ١٠٨/٤
والسند : ٤٤٠/٥

٥ - (دلالسة العقل على البعث) -

ان فكرة البعث عميقة في نفوس البشر منذ ان أوجد الله البشرية على هذه الأرض الى أن تقوم الساعة . وحتى قال بعضهم ان الايمان بالبعث من قبل الفرائز والفطر التي فطر الله الناس عليها ، وان ما وجد من انحراف عند منكري البعث ، أو عن اعتقادات غريبه وخاطئه فيه فلا شك انه من نتيجة الجهل وتناول الزمن وفساد الفطر الذي أخذ يحمي عقيدة البعث الصحيحة التي جاءت بها الرسل شيئا فشيئا حتى لم تبق منها الا تلك الوضعات الخافته وقد اخبرنا القرآن الكريم انه لم تخل أمة من الأمم من نذير وليس من المعقول ان يففل ذلك النذير أهم ما يدعو اليه وهو الايمان بالله واليوم الآخر .

ألم يكن الاساس الذي خلق الله لأجله الخلق من أنس وجن هو عبادته سبحانه وحده وبها يشيب ويعاقب والا لكان هذا الخلق عبثا لا غاية له ولا هدف ان من يظن ان هذا الكون ليس غاية له ولا نهاية قد افترض في عظه ان هذه الحياة عبث ولهو ولعب وتفاخر في الأموال والاولاد فحسب ولكن الله يبرر هذا الافتراض ويهدد من يمتدده بقوله (افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليها لاترجعون) (١) .

ثم قال تعالى مبينا السر في هذا الخلق والفرض منه

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (٢) .

(١) سورة المؤمنون : آية : ١١٥ .

(٢) سورة الذاريات : آية : ٥٦ ، ٥٨ .

وإذا كان الله قد خلقه لعبادته وتكفل برزقه واطعامه وهو الرزاق ذو القوة المتين وجعل كل ما فى الكون فى خدمة الانسان وله فان هذا يعنى أن جزاء حاسدا لا بد أن يلحقه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)^(١) أى فلا يهتم الانسان الا بالعمل فقط وسيجد النتيجة مرصودة امامه وسيجنى ثمارها يوم يقف بين يدي ربه ليس معه الا ما قدم فى حياته الدنيا قبل نهاية عمره .

وإذا كان لا بد من الغناء فلا بد من العمل لأن ذلك الغناء الانسانى انما هو بداية أخرى لحياة أخرى إما نعيم لا ينتهى وإما عذاب لا ينقطع وقد بين الله للخلق تفاصيل ذلك كله فليطلب الانسان الحياة التى يريد ها فى الآخرة فلا بد من الجزاء ولا يظلم ريك أحدا .

وإذا كان الغناء حقيقة لا محيد عن الايمان به ، فان البعث كذلك حقيقة لا محيد عن الايمان به ، والعقل السليم لا يرد الايمان بالبعث بل يوجبه وكيف لا وهو يشاهد الآثار الدالة عليه أينما وقعت عليه عيناه .

ذلك أن الأدلة العامة التى تدل على المعاد جطة^(٢) مشاهدة مألوفة لا تحتاج

(١) سورة الزلزلة : آية : ٧ ، ٨ .
(٢) أى بخلاف التفصيل فانه لا يعلم أمر المعاد مفصلا الا بالاستناد الى الأدلة السمعية كما قال ابن القيم الجوزية رحمه الله فانه بعد أن ذكر

ان أصل الثواب والعقاب هل يعلم بالعقل مع السمع أولا يعلم الا بالسمع وحده ؟ وان فيه قولين لنظر المسلمين قال " والصحيح ان العقل دل على المعاد والثواب والعقاب اجمالا وأما تفصيلا فلا يعلم الا بالسمع "

حادى الأرواح : ص ٢٥٧ .

الا الى العقل السليم ليدرك حقيقة وقوع المعاد يتساءل العاقل وهو
يشاهد هذه المخلوقات تخلق ثم تفتى ويشاهد كذلك تصرفات تلك المخلوقات
فى حياتها الدنيا فهذا ظالم وذاك مظلوم ، وهذا معطى وذاك محروم ،
وهل هذه الحركات الدائبة التى تعمم الأرض يكون نهايتها الفناء الأبدى
هؤلاء الذين يموتون الى أين يذهبون أين تلك النفس التى كانت تعمم
هذا الجسد لابد وانها انتقلت من هذا الجسد الى جهة أخرى ان عليها
حسابا وعقابا فالحياة ليست عبثا لم يخلق هؤلاء الخلق بدون هدف
ولا غاية ومن هنا يعلم العاقل ان وراء هذه الحياة حياة أخرى . ولقد
أحسن قس بن ساعدة حينما قال " أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من
عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ، أما بعد فان فى السماء لخبرا
وان فى الأرض لعبرا نجوم تمور وبحار تغور وسقف مرفوع ومهاد موضح
أقسم قس بالله قسما لا حائثا فيه ولا آثما ان لله لدينا هو أرضى من دين
أنتم عليه مالى أراهم يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا
فناموا " (١) . . الخ .

وان من أدل الدلائل على البعث أمر معروف لكل احد يجده كل شخص
فى نفسه فهو يعلم انه يموت ويبعث وهو فى هذه الحياة الدنيا ذلك انه
يموت حين ينام فلا أكل ولا شرب ولا كلام ولا احساس ولا فكر ولا تدبير فاذا
ما أفاق من نومه عادت اليه الحياة من جديد ولهذا كان يقول الرسول
صلى الله عليه وسلم حينما يستيقظ من نومه (الحمد لله الذى أحيانا
بعد ما اماتنا واليه النشور) (٢)

(١) انظر: مروج الذهب ٦٩/١ .

(٢) أخرجه البخارى : ١١٣/١١ .

ومسلم : ٢٠٨٣/٤ .

وهذه الحالة التي يربها الشخص تشبه تماما الموت الأكبر والبعث الأكبر لا ينكر هذا الا فاسد العقل لأنها مسألة ظاهرة الدلالة على البعث وكان عبد المطلب يقول : " انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فليل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيء باساءته^(١) .

قال محمد بن علي الشرفي معلقا على قول عبد المطلب في أمر البعث حينما أعمل فكره في خروج ذلك الظالم من الدنيا معافى قال : " فظاهر قوله "فكر " انه أدرك بفطرته السليمة أنه لا بد من الدار الآخرة اجمالا وقد جاء الشرع مطابقا ومتضمنا لتفصيل ذلك وتقرير ما ذهبت اليه العقول الصحيحة وادركته - بالايان والالهام مع التوفيق ونبذ العناد والأوهام^(٢) .

ومن أدرك كذلك أمر المعاد اجمالا زهير بن ابي سلمي فلقد كان " يمر بالعضاة وقد أورقت بعد ييس فيقول : " لولا ان تسبني العرب لآمنت أن الذي أحياك بعد ييس سيحيي العظام وهي رميم^(٣) فهو في حيرة من أمره بين ان يصدق عقله في هذا الأمر ويتعرض لسخط العرب وسبها فيؤمن بأن الذي أحيا تلك الشجرة العظيمة بعد ييس قادر على أن يحيي هذا الانسان وهو اكرم على الله من تلك الشجرة وبين أن يجارى ما عليه العرب من عدم

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٢٣٩ .

(٢) نير البرهان في توطيد عقائد الايمان ١/ ٧٣ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٢٤٤ .

الايان بالبعث فيكون قد كابر عقله وخذع نفسه وهذا مما يدل على اصالة
الايان بالمعاد في نفوس الناس قديما وحديثا وان كابر المكابرون وقد ذكر
الشهرستاني رحمه الله ان من العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
ثم ذكر مجموعة من هؤلاء العرب الذين صفت عقولهم فأمنوا بالبعث واستشهد
لكل منهم بقوله الذي يدل على ايمانه بالبعث نكتفى بذكر الاسماء فقط وهم :

١- عبد المطلب

٢- زيد بن عمرو بن نفيل

٣- وأميه بن ابي الصلت .

٤- قس بن ساعدة الايادي

٥- عامر بن الظرب العدواني

٦- النابغة الذبياني .

٧- زهير بن ابي سلمى المزني

٨- علاف بن شهاب التيمي

٩- جريه بن الاشم الأسدي

١٠- عمرو بن زيد بن المتمنى .

وغير هؤلاء وليس الفرض الاستشهاد هؤلاء على اصالة البعث في نفوس
الناس ولكن الفرض ذكر من شهد عنه الايمان به بمجرد تفكيره الصحيح
والا فالايان بالبعث قضية لا تحتاج الى الأخذ والرد في مجملها الا مع من
سفه نفسه وانحط ادراكه .

قال الراغب الأصفهاني : "لم ينكر المعاد والنشأة الآخرة الا جماعة
من الطبيعيين اهلوا أفكارهم وجهلوا اقدارهم وشغلهم عن التفكير فسي
مبدئهم ومنشئهم شغلهم بما زين لهم من حب الشهوات المذكورة فسي

قوله تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا)^(١) ثم قال (فلولم يكن للانسان عاقبة ينتهى اليها غير هذه الحياة الخسيسة المطوأة نصبا وهما وحرزنا ولا يكون بعدها حال مغبوطة لكان أخس البهائم أحسن حالا من الانسان)^(٢)

وهذا هو الاعتقاد الصحيح والذي عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم من أولهم الى آخرهم .

يقول البفدادى فى بيان الاصول التى أجمع عليها أهل السنة :
" وقالوا ان الله عزوجل يعيد فى الآخرة الناس وسائر الحيوانات التى ماتت فى الدنيا"^(٣)

وهذا هو التعبير الذى يقوله جميع السلف ويذكره عنهم كل من كتب عنهم ورغم ان هذه القضية من الأمور المعلومه بداهة وقد جرى عليها الناس قد يما ، وهديثا نجد ان هناك أقواما لم تصل هذه الحقيقة الى قلوبهم فأنكسروا البعث أو حرفوه عن حقيقته الى صورة بعيدة خرافية وحيث ان المقام لا يستدعى عرض شبهة آلك النفاة ومناقشتهم فى كل ما ذهبوا اليه وابطال أدلتهم الباطلة لكن نذكر ان من آلك النفاة للبعث فرقة البراهمة^(٤) كما يذكر البيرونى ، والبونيين^(٦) ومشركى العرب^(٧) ، وكذا الصائب^(٨)

(١) سورة آل عمران : آية : ١٤ .

(٢) انظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٣٤٨ .

(٤) هى أكبر الديانات فى الهند .

(٥) تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٨ .

(٦) انظر: مشاهد القيامة فى القرآن ص ٢٦ .

(٧) انظر: الملل والنحل ص ٢٣٥ / ٢٣٦ ج ٢ .

(٨) انظر: الملل والنحل ٥٥ / ٢ .

والمعطلة فيما يذكر الجيلاني^(١) ولعله يقصد معطلة العرب الذين سماهم
الشهرستاني معطلة العرب وفرقة الحرانية من الصافية^(٢) ، وفرقة الهندوس^(٣)
ومن أنكره كذلك جماعة من اليهود^(٤) كما عبر عن ذلك التلمود ومنهم
السامرية ، والصدوقيون^(٥) ، وجميع الدهرية وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر .
ومن انكره ايضا فيما يذكر الاشعري غلاة الروافض^(٦) على تفصيل فيهم .
ومن الذين انكروه كذلك فرقة البهائية^(٧) وقد قسم الشيخ حافظ الحكيمى
رحمه الله منكرى البعث الى أربعة أصناف :
جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية ، وطائفة من الدهرية يقال لهم
الدورية ، والدهرية من مشركى العرب وملاحدة الجهمية^(٨) كما سنذكر
ذلك مفصلا .

-
- (١) الفنية ص ٦٩ ، ج ١ .
(٢) المثل والنحل : ٢ / ٥٥٥ .
(٣) المصدر السابق : ٢ / ٢٥٥ .
(٤) انظر : الاسفار المقدسة للدكتور عبد الواحد ص ٥٨ .
(٥) انظر : الفصل لابن حزم ١ / ٩٩ .
(٦) انظر : الاسفار المقدسة فى الاديان السابقه للاسلام للدكتور عبد الواحد
ص ٥٦ .
(٧) انظر : المقالات ١ / ١١٩ .
(٨) انظر : البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية ص ٢٧٥ .
(٩) انظر : معارج القبول ٢ / ١٩٩ .

— (الفصل الخامس) —

— (المنكرون للبعث وأقسامهم) —

- ١- المنكرون للبعث مطلقا
- ٢- المنكرون لبعث الأجساد
- ٣- الذين يقولون بالتناسخ .

=====

ذكرنا فيما مضى ان الايمان باليوم الآخر يعد من أعظم الأمور استبعاداً^(١)
عند الكفار ويعد أكبر قضية ينازعون فيها هي وأفراد الله تعالى بالعبادة
وحده لا شريك له وأنه ما من نبي الا وهم يقفون في وجهه ويصدون دعوتَه
بكل ما يستطيعون قائلين "اجعل الالهة الهة واحدا ان هذا لشيء عجاب"^(١)
(انذا كنا عظاما ورفاتا اثنا لبعوثون خلقا جديدا)^(٢)

ان هذا لمن أعظم المستحيلات في خيالهم السقيم الجاهلى ، وهم فسى
انكارهم هذا لم يستندوا الى أى برهان لامن النقل ولا من العقل وانما
استبعاد ذلك فحسب ثم يسألون اسئلة المنقطع الحائر كيف يرجع من مات
وقد تحلل وصار ترابا ؟ لماذا لم يرجع ابائنا ؟ متى يكون البعث ؟ ائتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين^(٣) الى غير ذلك من الاسئلة التى يقصدون بها
نفى وقوع البعث ، وكل هذه الاسئلة انما تعبر عن جهلهم وغفلتهم عن حكمة
الله فى خلقه ولو أنهم أعملوا أفكارهم باتزان ونظروا الى الحق بعين المتفهم
المتقبل والناقد النصف لرأوا أن تلك الاسئلة انما هى تعبير عن الجهل
والبساطة الساذجة التى هم عليها .

وسنبين فيما يلى مذاهب هؤلاء المنكرين للبعث ثم الرد عليهم ببيان حقيقة
البعث كما فى الكتاب والسنة وأقوال علماء السلف ، وينبغى أن نعرف أولا
ان المنكرين للبعث من الكفار درجات فمنهم من انكره مطلقا وانكر كل ما جاء به
الحق من تفاصيله ، ومنهم من أنكر البعث وقال بتناسخ الأرواح فقط
ومنهم من فرق بين بعث الروح والجسد فقال الأول وانكر الثانى وهو
بعث الأجساد كما ذهب اليه الفلاسفة الالهيون ومنهم قال بممكن ذلك وهو

(١) سورة ص : آية : ٥٥

(٢) سورة الاسراء : آية : ٤٩

(٣) سورة الجاثية : آية : ٢٥

ثبوت المعاد الجسماني فقط كما ذهب اليه أكثر المتكلمين ومنهم من ذهب
الى مذاهب أخرى وأراء بعيدة عن الحق وذهب أكثر المتكلمين الى ثبوت
المعاد الجسماني فقط .

وحيث ان البحث لم يخصص لذكر البعث بكل تفاصيله فاننا - كما ذكرنا
آنفا - سنبين بايجاز من ذهب الى انكار البعث ثم الرد عليهم ببيان حقيقة
البعث كما في الكتاب والسنة ثم نذكر بعض أقوال السلف .

١- ((النكرون للبعث مطلقا)) -

ومن هؤلاء النفاة بعض الفلاسفة الذين اعتقدوا عدم البعث مطلقا فلا إعادة للأجساد الميتة بعد أن انعدمت فيها طبيعة الحياة واصبح هذا الميت ذرة من ذرات الكون ولا هناك حساب ولا جزاء ولا جنة ولا نار انما هي الحياة الأولى فاذا انتهت انتهى كل شيء بالنسبة لصاحبها .
وانا كان هؤلاء قد انكروا البعث مطلقا فانهم قد زادوا الى انكارهم فريسة عظيمة على الله وعلى رسوله كما يحدثنا الشهرستاني عنهم بقوله :
" الفلاسفة الالهيون قالوا الشرائع وأصحابها أمور مصلحة عامة والحسد ود والأحكام والحلال والحرام أمور وضعية وأصحاب الشرائع رجال لهم حكم عطية وربما يؤيدون من عند واهب الصور باثبات أحكام ووضع حلال وحرام مصلحة للمباد وعمارة للبلاء .

وما يخبرون عنه من الأمور الكائنة في حال من أحوال عالم الروحانيين من الطلائكة والعرش والكرسى ، واللوح ، والنظم فانما هي أمور معقولة لهم قد عبروا عنها بصور خيالية جسمانية وكذلك ما يخبرون به من أحوال المعاد من الجنة والنار مثل قصور وانهار ، وطيور ، وثمار في الجنة فترغيبات للمعوم بما تميل اليه طباعهم وسلاسل وأغلاق وخزى وتكال في النار فترهييات للمعوم بما تنزع عنه طباعهم والا ففى العالم العلوى لا يتصور أشكال جسمانية وصور جرمانية " (١)

وأى فرية على الله وعلى رسوله أكبر من هذه وأى مسلك أفحش من هذا المسلك المكذب بجميع الأديان .

(١) الطل والنحل : ٣ / ٢ ، ٤ .

ومن الذين انكروا البعث كذلك بعض العرب ، وقد تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية عن مواقفهم تجاه البعث وبين شبههم ورد عليهم مبطلاً لتلك الشبه في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والعرب كما هو معلوم عاشوا في انعزال تام عن حضارات وديانات الأمم من حولهم ولكن تسربت اليهم الوثنية والقول بالتناسخ وغير ذلك من الأقوال بسبب تسرب تلك الأفكار اليهم وتأثرهم بها رغم وجود بعض أهل الكتاب الى جوارهم فان هؤلاء قد انحرفوا هم ايضاً في عقائدهم انحرافات بعيدة شائنة ومن ذلك عقيدتهم بالبعث فكانوا ينكرونه أشد انكار ووقفوا من الايمان بالبعث المواقف التي تحدث عنها القرآن الكريم في كثير من الآيات فقال تعالى : (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت) (١) .

وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون (٢)

(وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم) (٣)

(وقالوا اذا كنا عظاماً ورفاتاً ائنا لمبعوثون خلقاً جديداً) (٤) .

(وقالوا اذا ضللنا في الأرض ائنا لفي خلق جديد) (٥)

(١) سورة النحل : آية : ٣٨ .

(٢) سورة الجاثية : آية : ٢٤ .

(٣) سورة يس : آية : ٧٨ .

(٤) سورة الاسراء : آية : ٤٩ .

(٥) سورة السجدة : آية : ١٠ .

وآيات كثيرة كلها تتحدث عن موقف هؤلاء الضلال الذين استولى عليهم
الشیطان ففیر عقائد هم وأبعد هم عن طریق ربهم ایما ابعاد .

وقد ذكر العلامة الشهرستاني اصناف العرب بالنسبة لموقفهم من قضية
الایمان بالله وكذا البعث فقال : " الفصل الأول معطلة العرب وهم أصناف

١- منكرو الخالق والبعث والاعادة : فصنف منهم انكرو الخالق والبعث

والاعادة وقالوا بالطبع المحيى والدهر المفقى وهم الذين اخبر عنهم

القرآن المجید (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحیى^(١))

اشارة الى الطبائع المحسوسة فى العالم السفلى وقصرا للحياة والموت

على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر (وما يهلكنا

الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون^(٢)) ثم ذكر أدلة القرآن فى

رده عليهم .

٢- منكرو البعث والاعادة :

وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق والابداع وانكرو البعث

والاعادة وهم الذين اخبر عنهم القرآن (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه

قال من يحيى العظام وهى رميم)^(٣) .

٣- منكرو الرسل : عباد الأصنام

وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا

الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله فى الدار الآخرة

(١) سورة الجاثية : آية : ٢٤ .

(٢) سورة الجاثية : آية : ٢٤ .

(٣) سورة يس : آية : ٧٨ ، ٧٩ .

وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا اليها بالمناسك
والمشاعر واحلوا وحرموا وهم الدهماء من العرب^(١) .

وفي قول الشهرستاني "نوع من الاعادة" هذه اللفظة فيها غموض اذا
المعروف أن من يؤمن بالاعادة والبعث يؤمن به كاملا لانوع منه ثم ما المراد
بهذا النوع من الاعادة هل هي اعادة الأجسام فقط أو اعادة الأرواح فقط
دون اعادة الأجسام والظاهر ان كلام الشهرستاني يصدق على هذا لكن
الكثرة الكاثرة منهم وهم الذين سماهم الدهماء كانوا على انكار البعث مطلقا
أو ربما يريد الشهرستاني ان هؤلاء الذين ذكرهم كانوا يؤمنون بالبعث وعبر
عنه بقوله "نوع من الاعادة" فان كان هذا هو المراد فظاهرا انه لا يسمى
نوع من الاعادة بل هو القول بالاعادة .

٢- (المنكرون لبعث الأجساد) -

وهناك قسم آخر من الفلاسفة انكروا بعث الأجساد رغم وضوح دليله واجماع أهل الطل على اعتقاده وسند كرفى الرد على منكرى البعث وحقيقته فى الكتاب والسنة ما يثبت وقوعه ويدحض شبه القائلين باستبعاده وهؤلاء قد نفوا وقوعه وعدم جوازه فيما يذكره عنهم أهل العلم ذلك .

قال الايجى : " المقصد الثانى فى هشر الاجساد ، اجمع أهل الطل عن آخرهم على جوازه ووقوعه وانكرهما الفلاسفة " (١) .

ويقول ابن أبى المز عنهم : " وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى وينكرون معاد الأبدان " (٢) .

وقال ابن الجوزى : " وقد انكرت الفلاسفة بعث الأجساد ورد الأرواح الى الأبدان " (٣) .

وهم - بلا شك يخالفون فى هذا الانكار - جمع ما عليه أهل الاسلام وقد اضافوا الى انكار بعث الأجساد انكار وجود الجنة وما فيها من الحور الممين وسائر ما وعد الله به أهلها من أنواع المآكل والمشارب والمسكن وانكسروا كذلك وجود النار الجسمانية وقالوا : " ان كل ذلك امثلة ضريت لموام الخلق لتفهم ثواب وعقاب روحانيين هما أعلى رتبة من الجسمانيين " (٤) بل زعموا ان الأنبياء تخيلوا ماورد فى الشرع لأجل مصلحة الخلق " وذلك ما يتقدس عنه منصب النبوة " . (٥) كما قاله الامام الفزالى رحمه الله .

-
- (١) المواقف : ص ٢٧٢ .
(٢) شرح الطحاوية : ص ٤٥٧ .
(٣) تلبيس ابليس : ص ٤٧ .
(٤) تهافت الفلاسفة ص ٢٨٢ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٩٢ .

ويقول ابن رشد فى بيان ذلك : " وكذلك الأمر فيما قيل فى المعاد هو أبحث على الأعمال ما قيل فى غيرها ولذلك كان تمثيل المعاد لهم بالأمر الجسمانية أفضل من تمثيله بالأمر الروحانية كمال قال الله سبحانه وتعالى :

(مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار)^(١) وقال عليه الصلاة والسلام (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر بخطر بشر)^(٢)

وقال ابن عباس رضى الله عنه " ليس فى الآخرة من الدنيا الا الأسماء"^(٣) وقال أيضا : " انهم - يعنى الأنبياء - أصحاب الشرائع - رأوا ان التمثيل بالمحسوسات هو أشد تفهيمًا للجمهور اليها وعنهما أشد تحركًا فأخبروا ان الله يعيد النفوس السعيدة الى أجساد تنعم فيها الدهر كله بأشد المحسوسات نعيمًا وهو مثلا الجنة وانه تعالى يعيد النفوس الشقية الى أجساد تتأذى فيها الدهر كله بأشد المحسوسات عذابًا وهو النار"^(٤) .

وهذا ما عناه ابن ابى العزحين ذكر ان الفلاسفة انكروا البعث وما جاء من تفاصيله وانهم " جعلوا هذه - يعنى ذكر تفاصيل أمور الآخرة - حجة لهم فى أنه من باب التخييل والخطاب الجمهورى " .^(٥)

(١) سورة الرعد : آية : ٣٥ .

(٢) نص الحديث فى البخارى " عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال الله

اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر

على قلب بشر " البخارى ١٣ / ٤٦٥ .

(٣) تهافت التهافت ص ٨٧٠ .

(٤) مناهج الأدلة فى عقائد السطة ص ٢٤٣ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٧ .

ويؤكد انكارهم للبعث الجسماني وما فيه من نعيم مادي ايضا الفيلسوف خوجه زاده فيقول في معرض تعداده للخلاف في أمر المعاد " وثانيها ثبوت المعاد الروحاني فقط وهو قول الفلاسفة الالهيين (١) .

وقد اضطرب كلام ابن سينا حول الايمان بقضية البعث الجسماني كما يظهر ذلك في ما حققه الدكتور سليمان دينا في تعليقه على ما ذكره الفزالي عن الفلاسفة فقد نقل سليمان أقوالا مضطربة مطولة خلاصتها ان رأى ابن سينا في البعث يتمثل في شطرين :-

١- شطر رجع فيه الى الشريعة المحمدية وما جاء فيها عن بعث البدن ونيمه وعذابه وقد آمن بكل ذلك وأذعن له .

٢- وشرطر رجع فيه الى العقل وما تأدى اليه من بعث الروح ونيمها وعذابها وقد حكى كل ذلك ايضا حكاية المذعن المؤمن " .

قال سليمان دينا : " والذي لا يستطيع المصنف ان يمارى فيه ان ما جاء في الشطر الثاني يكاد يؤدي بما جاء في الشطر الأول ان قد جعل مناط السعادة والشقاوة في الخلاص من البدن ، فالنفوس التي توفرت لديها أسباب السعادة انما كان يضمنها من الشعور بها البدن فاذا خلعت وتخلصت منه استذوقت سعادتها واستكملتتها ، والنفوس التي توافرت لديها أسباب الشقاوة انما كان يحول بينها وبين الشعور بها البدن وشواغله فاذا القته جانبا تأذت وتألمت .

ولقد ورد في عبارته ما يفيد ان كلا الصنفين من النفوس سيفارق بدنه الى غير رجعة ومعنى هذا انكار البعث الجسماني وما يترتب عليه من نعيم البدن وعذابه

(١) تهافت الفلاسفة ١٠٧/٢ ، ط . مصر سنة ١٣٢١ هـ .

فهل كان ابن سينا يعنى ما جاء فى الشطر الثانى وانما ذكر الأول تقيسة؟
هذا محتمل أم هو الاضطراب الذى كان ظاهرة شائعة فى الفلسفة الاسلامية
من جراء ايمان أصحابها بمصدرين مختلفين واعتقادهم فيها العصمة والنزاهة
ان كان الأول فلماذا لم يستشعر "ابن سينا" التقية فى غير هذه المسألة
مما لا يقل خطره فى نظر خصومه عن خطرها كالقول بقدم العالم ، وان كان
الثانى فكيف غاب عنه هذا التناقض الواضح بين الجانبين فان كلا منهما ينفى
ما يثبت الآخر ؟ .

فى الحق ان موقف ابن سينا فى هذه المسألة غامض ورأيه فيها مضطرب^(١) ثم
ذكر الدكتور دينا أن ترجيح أحد هذين الشطرين على الآخر - كما فصل
الغزالي - حين بنى على أحد الشطرين تكفير الفلاسفة أمر لا يوافق عليه^(١)
وقد ذهب الى انكار بعث الأجساد بعض طوائف من النصارى كما سنذكر
موقف الديانتين الكبيرتين اليهودية ، والنصرانية من قضية البعث فيما يلى :

(١) انظر: تهافت الفلاسفة ص ٢٩٥ .

— ((البعث عند اليهودية)) —

أما بالنسبة للبعث عند أهل الديانتين الكبهرتين اليهودية، والنصرانية فإن مما يجدر ذكره أولاً بالنسبة لقضية البعث عند اليهود ان الديانة اليهودية التي جاء بها موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كانت مشتملة على ذكر وجوب الايمان باليوم الآخر والبعث والجزاء كما حكى الله عنهم هذا المعتقد فى كتابه الكريم كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام:—

(انى تركت طمة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) (١)

وقال تعالى عنه (رَبِّىَ قَدْ اتَيْتَنِى مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلَىٰ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَالْحَقِّقْنِى بِالصَّالِحِينَ) (٢)

وقد أخبر الله تعالى موسى عن يوم القيامة فى أول وحى أوحاه اليه حين قال له تعالى (انى انا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى لئن الساعة أتتة أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) (٣)

وكذلك قال تعالى حكاية عن أحد اتباع موسى عليه السلام (وقال الذى آمن يا قوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار) (٤)

(١) سورة يوسف ج آية : ٣٧ .

(٢) سورة يوسف : آية : ١٠٩ .

(٣) سورة طه : آية : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

(٤) سورة غافر : آية : ٣٨ ، ٣٩ .

وقال عنه ايضا " لاجرم انما تدعوننى اليه ليس له دعوه فى الدنيا ولا فى الآخرة وان مردنا الى الله وأن السرفين هم أصحاب النار (١)

ولكن هذه العقيدة بالنسبة لليوم الآخر لم تطل بعد موسى ان حرفت التوراة " العهد القديم " باسفاره الخمسة .

وحيث ان المقام لا يستدعى ذكر تلك الأسفار ولا شرحها فان الواقع ان العهد القديم " التوراة " لم يذكر فيه أخبار اليوم الآخر وما جاء فيها من أخبار تنفيذ الثواب والمعاقب أو الوعد والوعيد فانما يدل على ان ذلك الجزاء الذى يحصل انما يقع فى الدنيا وهذا ما عناه بعض العلماء فى نسبة انكار اليوم الآخر الى اليهود عامة كما قال محمود بن الشريف " ان المتبوع للتوراة المتداولة ، والمستقرى لآياتها والقارى لاسفارها لا يكاد يجد فيها ذكر اللوح ولا للروحانية ولا لليوم الآخر وما يحفل به من جزاء وشوية " (٢)

وهذا ما يقوله على عبد الواحد وافى حينما ذكر ان " الديانة اليهودية فى أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار كما ينبىء بذلك القرآن الكريم ولكن أسفار العهد القديم التى بين ايدينا الآن قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه ومن ثم لانجد من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذى يقره الاسلام " (٣)

(١) سورة غافر: آية: ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) الأديان فى القرآن ص ١١٤ ط ٣ ١٩٧٦ م .

(٣) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام ص ٣٤ .

ويقول سيد قطب - رحمه الله - " فأما في العهد القديم الذي بين
أيدينا " كتاب اليهود الأول - لأن الكتاب الثاني هو التلمود - فلا نجد
ذكرا للمالم الآخر بتاتا ومن السياق كله نفهم ان الجزاء على الشركسان
يتحقق في الدنيا بالقياس الى الأفراد والى الجماعات^(١) .
فلا ذكر لليوم الآخر في العهد القديم على انه قد وجد بعض العبارات فى
سفر اشعيا وفى سفر دانيال .
تشير الى تهويلات تحدث فى الكون يتغير كل شىء لصالح اليهود وهذه
التهويلات لانص فيها ايضا صراحة على ذكر البعث الأخرى بمعناه الصحيح
وانما هى محل احتمال ان تكون فى البعث الأخرى وان تكون كذلك فى يوم
نصر اليهود على اعدائهم ورفع شأنهم .
ففى سفر اشعيا ما نصه : " ويقال فى ذلك اليوم -
هوذا هذا الهنا انتظرناه فخلصنا هذا هو الرب انتظرناه نبتهج ونفرح
بخلصه لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل -
ويداس مؤاب فى مكانه كما يداس التبن فى ماء العزلة فيسقط يديه فيه كما يبسط
السابع ليسبح فيضع كبرياءه مع مكابديه وصرح ارتفاع أسوارك يخفضه
يضعه يلصقه بالأرض الى التراب^(٢) .
وفى سفر دانيال يقول : " وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون هؤلاء
الى الحياة الأبدية وهؤلاء الى العار للازدراء الأبدى^(٣) . "

(١) مشاهد القيامة فى القرآن الكريم ص ٣٠ .

(٢) الاصحاح ٢٥ ص ١٠٢٠ .

(٣) الاصحاح ١٢ ص ١٢٨٥ .

وكذا قوله " أما انت فاذهب الى النهاية فتستريح وتقوم لقرعتك فى نهاية
الأيام " . (١)

فأما النص الوارد فى سفر اشعيا فانه لا يدل دلالة صريحة على ذكر البعث
فى الآخرة بل هو أقرب الى أن يكون معناه مجيئ اليوم الذى ينتصر فيه
اليهود على من سواهم من البشر .

وأما النص الوارد فى سفر دانيى فانه يظهر منه القول بالبعث الأخرى
لكنه على فكرة محرفة ان الاشرار يكونون فى عار الازدراء وليس فى النار
كما تثبته الأديان الصحيحة .

ثم ان قوله " وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض " لا يدل على بعث الناس
كلهم بل كثير منهم ومعناه ان فيه بقية لم يذكر مصيرهم .

ومن فرق اليهود الذين انكروا البعث فرقة الدوستانية وهم فرقة انشقت عن
فرقة السامرة وفيهم يقول الشهرستانى : " والدوستانية تزعم ان الثواب والعقاب
فى الدنيا " . (٢)

ومعنى الدوستانية " الفرقة المتفرقة الكاذبة " ^(٣) تمييزا لهم عن فرقة الكوستانية
وهى الفرقة الثانية من فرق السامرة التى معناها " الجماعة الصادقة " وهؤلاء
- الكوستانية - يؤمنون بالبعث والثواب والعقاب فى الدنيا .

والخلاصة ان البعث فى الديانة اليهودية ثابت قبل أن يدخل عليها
التحريف وبعد امتداد يد العبث والتحريف اليها رأينا كيف أن فرقهم قد
ذهبوا الى انكار البعث أو القول بالتناسخ .

(١) الأصحاح ١٢ ص ١٢٨٥ .

(٢) الطل والنحل ١/٢١٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢١٨ .

- (البعث عند المسيحية) -

أما البعث عند المسيحية أي الدين السماوي المنزل على عيسى عليه السلام فلا شك أنه قبل التحريف يثبت أمور الآخرة شأنه شأن بقية الأديان .

وفى هذا يحكى الله عن عيسى عليه السلام ايمانه بالبعث فى قوله تعالى عنه (والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) (١) لكن هذه الديانة قد شطها التحريف وامتدت اليها أيدي العابثين ولم تكن بأحسن حالا من اليهودية .

على أن ما يجب ذكره ان الايمان بالبعث فكرة اصيلة فى الديانة المسيحية فان من يرجع الى الاناجيل - وان كانت محرفة كما ذكرنا من قبل - سيجد فيها التصريح بالبعث الجسماني والروحاني فى أكثر من موضع .

كأنجيل متى^(٢) ، وأنجيل لوقا ، وأنجيل يوحنا ، وأنجيل مرقس ففى هذه الاناجيل اشارات كثيرة الى ذكر البعث الجسماني والروحاني وحيث أن المقصود هو ذكر المنكرين للبعث ، فنقول ان بعضا من النصارى انكسروا ان يكون البعث بالروح والجسم فقالوا ببعث الروح فقط دون بعث الجسم وهذا ما يفيد كلام العلامة الشهرستاني حين قال : " وفى النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان وقال ان عاقبة الاشرار فى القيامة غم وهزن الجهل وعاقبة الاخيار سرور وفرح العلم^(٥) " .

(١) سورة مريم : آية : ٣٣ .
(٢) انظر الاصحاح الثانى عشر ، والاصحاح التاسع عشر ، والاصحاح الخامس والعشرين .
(٣) انظر : الاصحاح الرابع عشر ، والاصحاح الثانى والعشرين .
(٤) انظر الاصحاح الثانى عشر .
(٥) الطل والنحل ١ / ٢٢٣ .

ويقول البغدادي : " وانكرت الحلوية وأكثر النصارى إعادة الاجساد
وزعموا ان الثواب والعقاب انما يكون للأرواح^(١) ".
ومما جاء مصرحا به من أمر البعث الجسماني والروحاني في الاناجيل ما يلي :
١- في انجيل متى جاء في الاصحاح الثاني عشر قول المسيح " ومن قال
كلمة على ابن الانسان يغفر له وأما من قال على الروح القدس ظن يغفر له
لا في هذا العالم ولا في الآتى " " ولكن أقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم
بها الناس يعطون عنها جوابا يوم الدين لأنك بكلامك تتبرر وكلامك تدان^(٢) ".
وفي الاصحاح الخامس والعشرين قوله " ومتى جاء ابن الانسان في مجده
وجميع الملائكة والقديسين فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجتمع امامه
جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداة
فيقيم الخراف عن يمينه والجداة عن اليسار ثم يقول الملك للذين عن يمينه
تعالوا يا مباركى ابنى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لانى جعلت
فاطمتمونى ، عطشت فسقيتمونى كنت غريبا فأويتونى عريانا فكسوتمونى
مريضا فزرتمونى محبوسا فأتيتم الى فىجييه الابرار حينئذ قائلين ومتى رأيناك
جائعا فاطعمناك أو عطشا فسقيناك ومتى رأيناك غريبا فأوبناك وعريانا فكسوناك
ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتيناك فيجيب الملك ويقول الحق أقول لكم
بما انكم فعلتموه باهد اخوتى هؤلاء الاصاغر مبنى فعلتم ثم يقول للذين
عن اليسار اذ هبوا عنى يا ملاعين الى النار الابدية المعدة لابليس وملائكته
لانى جعلت فلم تطعمونى وعطشت فلم تسقونى وكنت غريبا فلم تؤوبني عريانا فلم

(١) أصول الدين ص ٢٣٥ .

(٢) الاصحاح الثاني عشر .

تكسونى مريضا ومحبوسا فلم تزورونى حينئذ يجيئونهم هم أيضا قائلين يارب منى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك؟ فيجيبهم قائلا الحق أقول لكم بما انكم لم تفعلوه بأحد اخوانى هؤلاء الا صاغر فبئى لم تفعلوا فيمضى هؤلاء الى عذاب ابدى والابرار الى حياة ابدية^(١) . هذا ما جاء فى انجيل متى .

وفى انجيل مرقس كذلك تصريح باعادة هذا الانسان ودخوله فى الحياة أو فى عذاب جهنم التى لا تطفأ ودودها لا يموت^(٢) .

ومثله انجيل لوقا : من دعوة المسيح الناس الى الصدقة التى يكافؤن بها فى قيامة الابرار^(٣) .

وفى انجيل يوحنا ذكر اليوم الآخر واشارات الى الحساب والجزاء^(٤) ومن تلك النصوص يتضح ان عقيدة البعث الجسمانى والروحانى امر مقرر فى العقيدة المسيحية وان من خالف ذلك من النصارى فانه يعتبر خارجا عن ما دلت عليه الاناجيل والى جانب ذلك فقد رأينا كيف دخل الانحراف فى هذه العقيدة حينما قررت تلك الاناجيل ان المحاسب والمجازى هو المسيح حيث يدخل هؤلاء الحياة الابدية ويدخل آلك فى المذاب الأبدى ومطلان هذا معلوم من دين الاسلام لأن المحاسب للخلق هو ربهم مالك يوم الدين .

(١) الاصحاح الخامس والمشرون .

(٢) انظر انجيل مرقس الاصحاح التاسع .

(٣) انظر: انجيل لوقا الاصحاح الرابع عشر .

(٤) انظر: انجيل يوحنا الاصحاح الثانى عشر .

٣- (الذين يقولون بالتناسخ) -

أما القول بالتناسخ فإنه يعنى انتقال روح الميت الى جسد آخر بعد خروجها من جسدها الأول وهكذا تظل تنتقل من جسد الى جسد آخر حتى يتم تطهيرها وتزكيتها فاذا اصبحت طاهرة زكية وصلت الى درجة النيرفانا التى هى تساوى فى عقيدة المسلمين الجنة أو النار فهى نهاية مصير الروح بعد أن تستنفذ جميع طلباتها ورغباتها فى هذه الحياة وتكون روحه فى هذا التجوال انما هى تابعة لمعلمه ولما فى نفسه من شر أو خير فاذا كان الشخص الذى ماتت روحه شريرة فانها ستنتقل الى جسم شرير تعذب به الى ان تصفو وتتطهر من الأثام وجميع الرغائب وتبعا لهذا المعتقد فان القائلين بسسه بيالفون فى التزهد وتعذيب أنفسهم فى الدنيا لما يرجون من اتحاد أرواحهم بالذات الأقدس والوصول الى النيرفانا التى هى نهاية التجوال للروح التى هى مناط الأمر بخلاف الجسد فإنه لا قيمة له ولا ينظر اليه بل يجب حرقه بعد خروج الروح منه ولهذا فان الهنود البراهمة يبادرون الى حرق الميت فور موته .

يقول الشهرستاني عن التناسخ : " هو ان تتكرر الاكوار والأدوار الى ما لانهاية ويحدث فى كل دور مثل ما حدث فى الأول . والثواب والعقاب فى هذه الدار لا فى مدار أخرى لا عمل فيها والأعمال التى نحن فيها انما هى اجزئية على أعمال سلفت منا فى الأدوار الماضية فالراحة والسرور والفرح والدعة التى نجدها هى مرتبة على أعمال البر التى سلفت منا فى الأدوار الماضية والفم ، والجن ، والضنك ، والكلفة التى نجدها هى مرتبة على أعمال الفجور التى سبقت منا " (١)

والغاية التي يهدف اليها أصحاب التناسخ هي الوصول إلى النيرفانا كما تقدم وفي هذا يقول سيد قطب رحمه الله عن التناسخ في الهندوكية " وتحطيم حدود الذات يفسره بعضهم بالتخلص من الجسد وينشأ عن هذا ما هو مشهور عن الهندوكيين من تعذيب الجسد وتعريضه لأشق التجارب في سبيل تخليص الروح من سيطرته لتنتقل منه في النهاية، وتصل إلى درجة النيرفانا والانسان لا يصل إلى هذه الدرجة إلا حين تتطهر روحه وتخلص وتصبح جديرة بأن تفنى في الكل هنا يقوم التناسخ بتحقيق هذه الغاية فالانسان حينما يموت تنتقل روحه إلى جسم حيوان أو انسان وتلقى العذاب الوانا حتى تتطهر بهذا العذاب فتصل في النهاية إلى النيرفانا وتستريح من التناسخ" (١)

وهو كذلك الاندماج في الكائن الاسمي طلعة " براهما " كما يقول الكيلاني في تعدادة لأفكار العظيمة الهندية .

" أما الفكرة الثالثة فهي فكرة الانطلاق وهي تمثل محاولة النفس الافلات من دورات تجوالها ونتائج أعمالها ، فالحياة في عرف البراهمة شر وخداع وأسر أما الحياة الحق فهي استجلاء طلعة براهما التي لاكتسب إلا بالاندماج فيه كما تندمج قطرة الماء من المحيط العظيم وهدف الحياة الأسمى هو الانطلاق من دورات الوجود المتوالية والاندماج في الكائن الأسمى وهذا الانطلاق لن يكتسب بالأعمال لأن الأعمال الصالحة تنتج ثمارها عن طريق الميلاد المتكرر" (٢)

(١) مشاهد القيامة في القرآن. ص ٢٧ .
(٢) انظر: ذيل المثل والنحل لمحمد سيد الكيلاني بهامش المثل والنحل للشهرستاني ص ١٢ ج ٢ .

وأشد من تزعم القول بالتناسخ واعتبره عقيدة ثابتة لا يسع الخروج عنها ، هم
البراهمة الهنود ولهذا فانهم لا يمتبرون من لم يقل به من أهل ملتهم
وموافقيهم وهو مماثل عدم النطق بالشهادتين في الدين الاسلامي كما يذكر
ذلك البيروني بقوله : " وكما ان الشهادة بكلمة الاخلاص من شعار المسلمين
والتلثيت علامة النصرانية والاسبات علامة اليهود كذلك التناسخ فانه علم
النحلة الهندية ومن لم ينتحله لم يكن فيها ولم يعد من جملتها . " (١)

ومن قال بالتناسخ كذلك البوذيون :

وأهل هذه النحلة ينسبون الى بوذا واسمه " سدهارثا " وقيل " سيزاراسا "
ولقب ساكياموني " ومعناه المتبتل وصمى بوذا أى المستنير .

وقد أنشأ بوذا نخلته على أساس من مقاومة الشهوات والتجرد من الأطماع
والانسلاخ من الذاتية ليصل الشخص الى النيرفانا ^(٢) .

ولا بد قبل الوصول الى درجة النرفانا ان يمر بأربعة أطوار من مجاهدة
النفس " الطور الأول الاحياء والتجدد حين يدرك الانسان الحقائق وعندما
يبلغ الانسان هذا الطور يقوى على كسر القيود الثلاثة الأولى وهى الوهم
الخادع فى وجود النفس والشك فى بوذا وتعاليمه والاعتقاد فى تأثير الطقوس
والرسوم الدينية .

أما فى الطور الثانى فيقوى المهتدى على التخفيف من حدة الشهوة والكراهية

وغرور الأوهام .

وفى الطور الثالث : يحطم قيود الشهوة .

(١) تحقيق ما للهند من مقوله ص ٣٨ .

(٢) مشاهد القيامة ص ٢٨ .

وأما الطور الرابع : فيسمى صراط المقدسين وفي هذا الطور يتحرر القديس

من القيود الباقية وهي : الرغبة في البقاء المادى وغير المادى والكبرياء والاعتداد بالبر الذاتى والجهل وعند بلوغه هذا الطور يكون قد ادرك الهدف الذى يسمى اليه وهو " النرفانا ^(١) " .

ويقول سيد قطب - رحمه الله - عن عقيدة الهراهمه والبوذيين " لانجد فى الديانات الهندوكية ولا فى الديانة البوذية وهى عقيدة طائفة من الهندوعقيدة أهل سيلان ومعظم اليابانيين وكثير من الصينيين لانجد فى هذه الديانات عالما آخر للحساب والجزاء اما نجد مكانه النيرفانا وهى الفناء فى الروح الأعظم وان اختلفت وسائل الوصول الى هذه المرتبة بين الديانتين ^(٢) . ومن الذين يعتقدون القول بالتناسخ أيضا فرقة الهرنانية من الصائبة وهم أول من قال بالتناسخ كما يذكر الشهرستاني عنهم ذلك بقوله " وانما نشأ أصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم ^(٣) " وهم طائفة من الصائبة . ومن قال بالتناسخ كذلك بعض اليهود وهو ما يذكره التلمود بقوله : " أما اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديا فان ارواحهم تدخل بعد موتهم فى الحيوانات أو النباتات ثم تذهب الى الجحيم وتعذب عذابا ألما مدة اثني عشر شهرا ثم تعود ثانيا وتدخل فى الجمادات ثم فى الحيوانات ثم فى الوثنيين ثم ترجع الى جسد اليهود بعد تطهيرها ^(٤) " .

(١) ذيل الملل والنحل للكيلانى ١٦/٢ .

(٢) مشاهد القيامة فى القرآن . ص ٢٦ .

(٣) الملل والنحل : ٥٥/٢ .

(٤) الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص ٦١ .

وهذا النصر يفيد انكار البعث والقول بالتناسخ وربما يفهم من هذا ان التناسخ انما يشمل آلك الذين يرتدون عن اليهودية فانه يكون عقابهم اذا فعلوا ذلك أن يشمل أرواحهم التناسخ حتى تتطهر تلك الروح فـ اذا ما تطهرت رجعت فحلت في جسد اليهود .

قال البغدادي " وقال بعض اليهود بالتناسخ ورغم انه وجد في كتاب دانيال ان الله تعالى مسح بختنصر في سبع صور من صور البهائم والسباع وعذبه فيها كلها ثم بعثه في آخرها موحدًا " (١)

والبيانية وهي نسبة الى بيان بن سمران الهندي من يقول بالحلول والتناسخ (٢) ومثلهم كذلك الحربية اتباع عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي وقد كان من اتباع بيان بن سمران ثم فارقه وهم على عقيدة القول بالتناسخ . (٣) وذكر البغدادي أن فريقًا من السمنية يقولون بالتناسخ " واجازوا ان ينقل روح الانسان الى كلب وروح الكلب الى انسان " (٤) .

ويذكر البغدادي ان المانوية اتباع ماني قد ذهب الى القول بالتناسخ " وذلك ان ماني قال في بعض كتبه : ان الأرواح التي تفارق الاجسام نوعان أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلالة فأرواح الصديقين اذا فارقت اجسادها سرت في عمود الصبح الى النور الذي فوق الفلك فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم وأرواح أهل الضلال اذا فارقت الأجساد وأرادت اللبسوق بالنور الأعلى ردت منعكسة الى السفلى فتتناسخ في أجسام الحيوانات التي أن تصفو من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور العالي " . (٥)

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٧٢ .

(٢) الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٦٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٤ .

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٧٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٧١ .

ثم ذكر ان سقراط ، وافلاطون واتباعهما من الفلاسفة قد قالوا بتناسخ
الأرواح أيضا .

وكل آتلك الفرق على جهل وضلال سببه عدم الرجوع الى الله وكراهية الدين
وتكذيب الرسل بل وتكذيب ما يوحى به العقل السليم والفترة المستقيمة .
وأغيرا . . . فان ذكر هذه الفرق وان كانت ليست من صميم الموضوع
الا انى قد وجدت ان ذكرها والاشارة اليها مما يستتبع البحث ويتمسه
فوجدت أن من المناسب ان لا يخلو البحث عن مثل ذلك .
وفيما يلى بيان كيفية البحث كما فى الكتاب والسنة :-

✳ وفى الفهرست قالوا بالناسخ من لغوات المقالة مرمرارة السنة

١- النصيرية

٢- والزرورية

— (الفصل السادس) —

— (أسباب انكار البعث) —

ومعد عرض ما تقدم يتضح لنا مدى قوة وصلابة المشركين في تمسكهم
بكفرهم وانكارهم أمر البعث اشد انكار، ويتضح كذلك صعوبة اقناعهم
بالايمان بالبعث وكيف كان جل الاهتمام بأمر العقيدة يتمثل في اقناعهم
بالايمان والاقاربه .

هنا يتبادر سؤال الى الذهن ما هي الأسباب الكامنه وراء هذا العناد
والنفور ومن الاجابة عن ذلك ان يقال ان هناك أسبابا عديدة لعل من
أهمها ما يأتي :-

١- الاستبعاد : ولكنهم درجوا على ذلك مقلدين فيه الأباء والأجداد
كان مجرد طلب تغيير عقيدتهم عن هذا المألوف أمرا من الصعوبة بمكان
بل جعلوه وهو الأمر المألوف الذي يقتضيه العقل السليم أمرا مستبعدا غاية
البعد فهم لم يشاهدوا ان الأموات يحيون بعد دفنهم فيقومون من قبورهم
ليخبروهم بالعالم الآخر وهم كذلك يشاهدون دائما أن الميت بعد دفنه
بأيام تأكله الديدان ويستحيل الى تراب وعظام نخرة فكيف يتصور أن ترجع
اليه الحياة من جديد هذا بعيد في مقياسهم السقيم غير مقتنعين بأن
قدرة الله تعالى لا يحدها حدود ولا يعجزها أمر وقد استلزم هذا انكارهم
أيضا لكمال عظم الله تعالى حيث تصوروا أن الانسان حينما يصبح ذرات متفرقة
في الكون في مشارق الأرض ومفاريها فكيف يعلم اماكن هذه الذرات ليجمعها
ويجعلها كما كانت قبل الموت ونسوا ان الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق
عليم لا يعجزه ذلك .

٢- الكبر : وهو آفة الجهال والمعرضين عن الله وقد قص الله تبارك

وتعالى علينا قصة أهل هذا الكبر منذ رسالة نوح عليه السلام (واني كلما
دعوتهم لتفغر لهم جعلوا اصابهم في آذانهم واستشفوا ثيابهم وأصبروا
واستكبروا استكبارا) (١)

” فقال الحلاّ الذين كفروا من قومه مانرك الا بشرا مثلنا ومانرك اتبعك
الا الذين هم أراذ لنا بادی الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم
كاذبين (١)

الى هود عليه السلام ” قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا
عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بمرض آلهتنا بسوء قال

انى اشهد الله واشهدوا انى پرى ” مما تشركون (٢)
الى عادة الذين (اتبعوا أسركل جبار عنيد) (٣)
الى ثمود الذين قالوا لنبيهم ” يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا
ان نعبد ما يعبد أبائنا واننا لفي شك ما تدعونا اليه مريب (٤)

الى قوم شعيب الذين قالوا له عليه السلام :

(ما نفقه كثيرا ما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وماأنت
علينا بعزير) (٥)

الى غير ذلك من القصص التى اخبرنا الله جل وعلا بها من أول الرسل الى
آخرهم بما فى ذلك قصة كفار قريش وموقفهم من الاسلام حين قالوا فى
حق نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم ” لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القرتين عظيم (٦)

-
- (١) سورة هود : آية : ٢٧ .
 - (٢) سورة هود : آية : ٤٤ .
 - (٣) سورة هود : آية : ٥٦ .
 - (٤) سورة هود : آية : ٦٢ .
 - (٥) سورة ثمود : آية : ٩١ .
 - (٦) سورة الزخرف آية ٣١ .

أو قولهم له عليه الصلاة والسلام : (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) (١)

كل ذلك كان ناشئا عن الكبر والتعالي والتعنت فكان جزاء ذلك ان حرموا نعمة الايمان ودخولهم في رحمة الله تعالى .

٣- ميلهم الى الشهوات وانغماسهم في الملذات التي يعز عليهم أن يتركوها فهم يعلمون ان اقتناعهم بالايمان بالبعث والنشور سيحول بينهم وبين هذه القاذورات التي ألفوها واشربت قلوبهم حبها .

٤- وعامل اقتصادي فهم كانوا يتاجرون بالخمور والربا ويكرهون فتياتهم على البغاء لقاء مبلغ من المال وفي مملوهم ان الدخول في الاسلام وبالتالى الايمان بالبعث سيحول بينهم وبين هذه الموارد الفاجرة والارباح الخاسرة .

٥- عامل سياسى الا وهو حب الزعامة والمحافظة عليها وقهر واذلال ممن لا حول له ولا قوة لتبقى الزعامة فى ايديهم ولتبقى مراكزهم فى المجتمع خالصة لهم ، لأنهم يعرفون ان الايمان مطلقا وخاصة البعث سيجعلهم سواسية مع عبدهم ومع سائر الناس وسيحرمهم من نصب انفسهم آلهة للناس وساعة لهم .

فهذه العوامل وغيرها كانت فكرة الايمان بالبعث مرفوضة لدى الكفار وكان

(١) سورة الاسراء : آية : ٩٠ ، ٩٣ .

امره مستبعدة في نفوسهم ، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا منهم
الراغب ومنهم الراهب ومحا الاسلام تلك العقبات التي كانت تحول بين الناس
وبين الايمان بالله ولقائه .

• ((الفصل السابع)) •

— ((كيفية البحث كما في الكتاب والسنة)) —

نريد من عرض هذا الموضوع بيان ما هو الذي يبعث في يوم القيامة هل هو الجسد وحده أم الروح وحدها أم كلاهما ، وقد أردنا اثبات المبعوث من تلك الأمور كما اثبتته الله ورسوله فاذا ما تبينت الأدلة ووضح المقصود منها في حقيقة ذلك المبعوث كان فيها غنى وراحة للنفس واطمئنانا وخروجنا بهما من دنس أهل الكفر والوثنية نفاة البعث وفيها كذلك الرد عليهم وعلى الفلاسفة الذين انكروا البعث الجسماني أو الروحاني والجسماني وابطال خطبهم واضطرابهم في حقيقة المبعوث وابطال الايرادات التي يوردونها على تناقض كلامهم فانه بحث لم يبين على النصوص الصحيحة ولا نتيجة من وراءه الا اضاءة الوقت وفتح باب للتشكيك في أمر المعاد وهذا لو ترك الاشتغال بذلك سره ان كيف نشغل انفسنا بما لم نؤمن به فان الحق هو ضالة المؤمن وما دنا نجده واضحا في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فلا حاجة الى تكلف ما لم ينفعنا في ديننا ولا في دنيانا .

١. أما كيفية البعث في كتاب الله تعالى فقد قدمنا ايراد كثير من نصوص القرآن الكريم التي جاءت لاثبات البعث والرد على من ينكره من مثل قوله تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) (١)

أى فكما انه هو الذي خلقها أول مرة في الدنيا وبعث فيها الروح قادر على ان يعيدها مرة اخرى ويبعث فيها الروح كما بعثها في أول مرة .

٢ - (ابحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه)^(٢)

(١) سورة يس : آية : ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) سورة القيامة : آية : ٤ ، ٣ .

٣- وقال تعالى : (ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعينهم قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ)^(١)

٤- وقال تعالى : (وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا لبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينفضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) (٢)

٥- وقال تعالى : (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا لبعوثون خلقا جديدا) (٣)

٦- وقال تعالى : (وقالوا اذا ضللنا فى الأرض انا لفي خلق جديد)^(٤)

٧- وقال تعالى : (والله انبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخرجاً) (٥)

٨- وقال تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)^(٦)

فهذه الآيات وغيرها ما جاء فى معناها كلها تثبت البعث لهم

الانسان الذى استخلفه الله فى الأرض وفيها الاشارة كذلك الى أن

(١) سورة ق : آية : ١ ، ٤ .

(٢) سورة الاسراء : آية : ٤٩ ، ٥٢ .

(٣) سورة الاسراء : آية : ٩٨ .

(٤) سورة السجدة : آية : ١٠ .

(٥) سورة نوح : آية : ١٧ ، ١٨ .

(٦) سورة طه : آية : ٥٥ .

الكفار لا يملكون أى دليل على نفى البعث غير مجرد الاستبعاد ووقوعه
لقصر انهامهم وعقولهم وفيها الرد كذلك عليهم بما يبطل ذلك الاستبعاد
واثبات ان لله القدرة الكاملة فى احياء التى الأموات برد الحياة اليهم .
فيخرجون من قبورهم سراعا كأنهم الى نصب يوقفون خاشعة ابصارهم يأتون
الى الموقف كما بدأهم أول خلق لا يملكون سوى انفسهم وأبدانهم وقد علم
الله حين اراد سريان الحياة فيهم باعادة أرواحهم علم ما تنقص الأرض منهم
واضافة الى ذلك فانه قد سجل كل ذلك فى كتاب حفيظ وان الناس
لا يؤخرهم الى البعث بعد موتهم الا دعوة الله لهم فاذا دعاهم بحمده
وعظمته استجابوا فورا وخرجوا الى لقاء ربهم بكل مسر وسهولة يجمع الله
تعالى العظام ويركب كل بنان أما مجرد الاستبعاد كما اشارت اليه الآيات
السابقة فى الأخبار عنهم فان الاستبعاد ليس بحجة وانما هو حجة المنقطع
المجاز على انه من المشاهد المحسوسة ان النفس قد تستبعد اشياء وهى
واقعة ولهذا يقول ابو حامد الغزالي رحمه الله : " فى طبع الآدمى انكار
كل ما لم يأنس به ، ولو لم يشاهد الانسان الجهة وهى تمشى على بطنها
كالبرق الخاطف لانكر تصور المشى على غير رجل ، والمشى بالرجل
أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فأياك ان تنكر شيئا من عجائب يوم
القيامة لمخالفته قياسا فى الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب
الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا لها (١) .

(١) احياء علوم الدين ٤/٤٩٧ .

وهكذا من نفى البعث الجسماني واستبعده بحجة ان الانسان بعد دفنه يصير ترابا وعظاما ويتفرق في الأرض فكيف يعاد .
والآيات السابقة تعطينا الصورة التي يتم عليها بعث الناس اعادة الجسد الأول بروحه التي كانت في الدنيا لم ينقص منه شيء ، وازافة الى ذلك ذكر الله تعالى ان تلك الأعضاء التي يعيدها الى جسدها هي التي ستكون شاهدة على الانسان بكل ما عطته في الدنيا ولو أن تلك الأعضاء لم تكن في ذلك الجسد لكانت شهادتها في غير محلها ان كيف تشهد على جسم لم تكن فيه .

وقد قال الله تعالى : (يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين) (١) .

وقال تعالى : (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط . فأنى يبيصرون) (٢) .

وقال تعالى : (حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا ما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم مسمومين الخاسرين) (٣)

(١) سورة النور : آية : ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) سورة يس : آية : ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) سورة فصلت : آية : ٢٠ ، ٣٩ .

فلا أدل على بعث الاجساد التي كانت في الدنيا من هذه الآيات
ذلك انه لا يعقل ان تشهد تلك الجوارح في الانسان من السمع والبصر
والجلود بشيء لم تعلمه في الدنيا ولم تباشر العمل بنفسها وان يقول :
" وقالوا لجلودهم " ولم يقل لجلود مما يدل على أن تلك الجلود هي التي
كانت في الدنيا ولو انها جلود أخرى لكانت تلك الشهادة باطلة ولكانت
شهادة زور يمكن للشخص ان يقول - وكان الانسان أكثر شيء ^(١) جدلاً - يمكن
له ان يقول ان هذه الجوارح لاعهد لى بها ولم تكن معى في الدنيا ولا سمعا
وان الانسان شديد الجدل لربه شديد الجحود لما صدر منه في الدنيا .
بل تلك الجوارح ربما تعتذر - أمام أعدل العادلين - حين يستنطقها
تعالى والمقام مقام اظهار العدل بأنها لاتشهد بما لم تعلم منه شيئاً
و لالانت بعدل الله ان تدلى بشيء في هذا الموقف الخطير .
فدل نطقها بما باشرت العمل به انها هي نفسها التي كانت في الدنيا
وهذا هو الحق والمعقول عند كل منصف ومن الأدلة الدالة على أن الأجساد
التي تبعث هي الأجساد التي كانت في الدنيا بعينها ما ذكره الله في قصة
ابراهيم واحياء الطيور التي أمره الله بذبحها بعمد أن يقطعها اربا اربا
ويخلطها مع بعضها بعضها ثم يجعل على كل جيل منهم جـزءاً
وحين فعل ذلك كانت النتيجة ما شاهدته ابراهيم بنفسه ان رجع كل عضو
الى عضوه الآخر حتى تكاقت الطيور الأربعة ثم جاءت سرعاً وهذه صورة
لما يقع عليه البعث في الآخرة .

(١) سورة الكهف : آية : ٥٤ .

وبصور القرآن الكريم كذلك الانسان وهو سائر الى ربه للموقف ليحاسب على ما قدم في الدنيا آخذاً طريقه نحو الموقف هو وما يحيط به من السائق والشهيد فقال تعالى : (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) (١)

ثم أخبر تعالى عن الانسان وقد اكتمل خلقه وعادت جميع حواسه اليه فهو يسمع ويبصر وذلك في قوله تعالى : (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) (٢) .

وقال تعالى : (وحيى يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى)^(٣)

ولفظ الانسان كما عبرت عنه الآية اذا اطلق فانه - كما هو معلوم - يشمل الروح والجسد معا وقد أخبر تعالى ان الانسان في يوم البعث يتذكر ما عمل في الدنيا من خيراً أو شراً فقال تعالى : (وحيى يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى) .

وفي هذا السياق ولفظه الانسان دليل على أن المبعوث هو الجسد والروح معا لأن الانسان جسم مركب من هذين الوصفين من الجسم والروح والقول بأن الانسان يراد به الجسد فقط أو الروح فقط قول لا دليل عليه .

(١) سورة ق : آية : ٢١ .

(٢) سورة ق : آية : ٢٢ .

(٣) سورة الفجر : آية : ٢٣ .

الطراز عليه السلام في تفسيره

(ب) .. كيفية البحث في السنة ..

..... وبعد ما قدمنا عرضه من الآيات البينات التي دلت بوضوح على ان الله تعالى يعيد كل مخلوق خلقه في الدنيا ليوم القيامة وان الانسان يعاد بروحه وجسده الذي كان في الدنيا .

بعد هذا نود أن نعرض أيضا نماذج من النصوص النبوية تدل على حقيقة الصعوث أهو الجسد أم الروح أم كلاهما ، وهي نصوص تدل بوضوح كذلك على أن الصعوث هو الروح والجسد .

١- ومن ذلك حديث ابي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه عليه وسلم في ذكر النفخات التي تسبق قيام الناس من القبور وفيه " ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة " وقال البرديسي " قال العلماء وهو عظم كالخردلة في المصعص وهو آخر سلسلة الظهر عند الصلب وهو من الانسان بمنزلة مفرز الذنب من الدابة ولذا اضيف اليه وهو يفتح العين الصهلة وسكون الجيم آخره باء موحدة وقد تبدل ميما "

" وقيل عجب الذنب حبة نسل بني آدم فاذا نزل عليها الماء كالمنى الذي هو من جنسه جذب اليه كل ما انحل من جسده في حال الحياة والموت فان ذلك كله محفوظ وجواهره مصنوعة في خزائن العالم وهي

العناصر الأربعة الأرض والهواء والماء ، والنار قال تعالى (قد علمنا ما تنقص
الأرض منهم) فيجذب عجب الذنب ذلك كله فترجع تلك الأجزاء كلها
الى عجب الذنب فتركب عليه الجسد مرة اخرى بقدرته من أحاط بكل شىء
علما (١) .

وقد روى هذا الحديث بعده روايات ففي رواية " كل ابن آدم يأكله التراب
الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب (٢) .

وفي رواية أخرى " ان فى الانسان عظما واحدا لا تأكله الأرض ابدا فيه يركب
الخلق يوم القيامة قالوا أى عظم هو يارسول الله ؟ قال عجب الذنب (٣)
وفي هذا الحديث يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ان الأرض تأكل جميع
الجسد لم تبق منه الا عجب الذنب ليعيد الله الجسد من ذلك العظم
وهو عجب الذنب بعد أن استحال الجسد الى تراب فى الأرض ثم الله
تعالى بقدرته يعيد ذلك الجسد الذى استحال الى تراب الى خلق سوى
يركبه على عجب الذنب وينشأه خلقا سويا كما كان بواسطة ذلك الما
الذى اقتضت حكمته تعالى أن يكون سببا لانباتهم من عجب الذنب .

قال البرديسى : " قال الزركشى : فان قيل ما فائدة ابقاء هذا العظم
عند القائل به دون سائر الجسد قلت أجاب ابن عقيل الحنبلى بأن لله
فى هذا سرا لانعلمه وطل بجواز أن يكون البارى جعل ذلك للملائكة

(١) تكملة شرح الصدور ص ١٠٠ .

(٢) صحيح مسلم ٢٢٧١ / ٤ .

(٣) صحيح مسلم ٢٢٧١ / ٤ .

علامة على ان يحيى كل انسان بجواهره التى كانت فى الدنيا بأعيانها ولولاه
لجوزت الملائكة اعادة الأرواح الى أبدان غيرها " (١)

فيعود الجسد الى الحشر فى أكمل صورته لم ينقص منه شىء حتى تلك الفرلة
التى ذهبت عند الختان تعود يوم القيامة كما فى حديث عائشة رضى الله
عنها (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا) . (٢)

وأخبر صلى الله عليه وسلم بأن الروح تعود الى الجسد حين يأذن الله
بالبعث ومعلوم أن مقر الروح غير مقر الجسد حين يأمر الله الأرواح لتدخل
فى اجسادها كما فى حديث كعب بن مالك رضى الله عنه (انما نسمة
المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجع الى جسده يوم يبعث) (٣)

وأخبر صلى الله عليه وسلم عن بعث الاجساد بما قاله فى الرجل الذى
وقصته ناقته فمات فى الحج انه يبعث يوم القيامة وهو يلبي وفى رواية
يهلل وهذه الصفات لا تكون الا لانسان سوى .

وهذا ما يروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : (خر رجل
عن بصيره فوقص فمات فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغسلوه بما وسدر
وكفنوه فى ثوبيه ولا تخمروا رأسه فان الله يبعثه يوم القيامة ملبيا)
وفى رواية فانه يبعث يوم القيامة ملبدا
وفى رواية فانه يبعث يوم القيامة وهو يهلل (٤)

(١) تكملة شرح الصدور ص ١١٠ .
(٢) البخارى ج ٧ ص ١٩٥ ، مسلم ١٥٦/٨ .
(٣) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٢٨ ، وسنن النسائى ج ٤ ص ١٠٨ .
(٤) صحيح مسلم ج ٢ ص ٨٦٥ - ٨٦٦ .

وهي روايات كلها صحيحة والتلبية ، والتلبيد ، والتهليل هذه صفات لا تقوم الا بانسان روحا وجسدا وكذا ما جاء في حديث أبي هريرة رضى الله عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه (ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل)^(١)

وقد قدمنا في ذكر الأدلة من القرآن الكريم على بعث الجسد الأول بعينه ان من الأدلة على ذلك شهادة أعضاء الانسان وجوارحه كما رأينا فى الآيات التى تثبت ذلك وجاء من السنة النبوية فى هذا عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : هل تدرون مم اضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فانى لا اجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقى قال فتنتطق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فممكن كنت أناضل) (٢)

وكذا ما جاء عن ابي هريرة فى تقرير الله لعبده فى الحساب وفيه قال صلى الله عليه وسلم عن المنافق (ثم يقال له : الآن نبعت شاهدنا عليك ويتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد علىّ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنتطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه) (٣)

(١) صحيح مسلم : ٤ / ٢٢٧١ .

(٢) مسلم : ٤ / ٨٠ - ٢٢٨١ .

(٣) مسلم : ٤ / ٢٢٨٠ .

وهل دلالة هذا الحديث على بعث الأجساد ما روى الشيخان عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قال رجل لم يعمل خيرا قط اذا مات فحرقوه وانزروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فأمر الله البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت قال من خشيتك وأنت أعلم ففقرله ^(١))

وهذه الأحاديث صريحة فى قيام الاجساد التى هى تحت الأرض قد استحالت الى تراب وتفرقت وحين يأذن الله بقيامها تقوم لرب العالمين . وما تقدم نكتفى لاثبات بعث الأجساد من السنة وهى ظاهرة فى دلالتها على ذلك لا ينكرها الا من عطل فكره واتساق مع هواه وكيف يجيب من ينكر بعث الاجساد عن هذا السؤال ما الذى يمنع بعث الجسد مادام المعدل يقتضى ذلك لأن الروح والجسد هما اللذان اشتركا فى العمل خيرا وشرا فاذا كان العذاب على الروح فقط أو الجسم فقط كان ذلك اخلا لا ظاهرا بالعدل بينهما فيجب اذا ان يتحملا العذاب معا وان يتنمعا معا وهذا هو مقتضى الحق ، والعدل وهو مقتضى العقل كذلك .

(١) البخارى ٤٦٦/١٣ وأخرجه مسلم عن ابي هريرة ، وابى سعيد الخدرى

— (الفصل الثامن) —

— (أقوال علماء الاسلام في كيفية البعث والرد على) —

الفلاسفة وابطال حججهم في انكار البعث

=====

بعد ما تقدم ذكره في اثبات كيفية البعث من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وان ذلك يكون بالروح والجسد ، أود أن أقول هذا هو الرأى الصحيح الذى عليه عامة علماء السلف وانه من الأمور المعلومة لديهم كما نتبين هذا من أقوالهم الآتية :-

(١) - سئل شيخ الاسلام رحمه الله هل تبعث هذه الأجسام بعينها ؟ فأجاب بقوله : " وهذه الأجساد هى التى تبعث كما نطق به الكتاب والسنة " .^(١)

ويقول ابن القيم رحمه الله " وأما من خلقه سبحانه فانه أوجده لحكمة فى ايجاده فاذا اقتضت حكمة اعدامه جملة أعدمه وأحدث بدله وانما اقتضت حكمته بتبديله وتغييره وتحويله من صورة الى صورة بدله وغيره وحوله ولم يعدمه جملة ، ومن فهم هذا فهم مسألة المعاد وما جاءت به الرسل فيه فان القرآن والسنة انما دالا على تغيير العالم وتحويله وتبديله لاجله عدما مهضا وأعدامه بالكلية فدل على تبديل الأرض غير الأرض والسماوات وطسقى تشقق السماء وانفطارها وتكوير الشمس وانتشار الكواكب وسجر البحار وانزال المطر على اجزاء بنى آدم الممقتلطة بالتراب فينبتون كما ينبت النباتات وترد تلك الأرواح بعينها الى تلك الأجساد التى احييت ثم أنشئت نشأة أخسرى " . الى أن يقول :

" وقد أخبر الله سبحانه انه يحى المظالم بعدما صارت رميما وانه قد علم ما تنقص الأرض من لحوم بنى آدم وعظامهم فيرد ذلك اليهم عند النشأة الثانية وانه ينشئ تلك الأجساد بعينها بعدما بليت نشأة أخرى فيرد اليها تلك الأرواح " . (٢)

(١) الفتاوى ٣١٦/٤

(٢) مفتاح دار السعادة ٣٤/٢ - ٣٥

وقد استفاض الامام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الفوائد في بيان
اعادة الانسان حينما شرح آيات من سورة " ق " نأخذ منها ما يأتي
(وتأمل كيف دلت السورة صريحا على ان الله سبحانه يعيد هذا الجسد
بعمينه الذي اطاع وعصى فينعمه ويعذبه كما ينعم الروح التي آمنت بعمينها
ويعذب التي كفرت بعمينها لأنه سبحانه يخلق روحا أخرى غير هذه فينعمها
ويعذبها كما قاله من لم يعرف المعاد الذي اخبرت به الرسل حيث زعم
ان الله سبحانه يخلق بدنا غير هذا البدن من كل وجه عليه يقع النعيم
والعذاب والروح عنده عرض من أعراض البدن فيخلق روحا غير هذه السروح
وبدنا غير هذا البدن . . . الى أن يقول " وهذا في الحقيقة انكار للميعاد
وموافقة لقول من انكره من المكذبين " الخ كلامه في هذه المسألة وعلماء الفرق
كلهم على هذا المعتقد فلا شعري يذكر ان أكثر المسلمين يقولون :
" ان المبتدأ في الدنيا هو المعاد في الآخرة " (١) .

ويقول البغدادي عن عقيدة السلف : " وقالوا ان الله عز وجل يعيد

في الآخرة الناس وسائر الحيوانات التي ماتت في الدنيا " . (٢)

(١) الفوائد ص ٥ - ١٣ .

(٢) المقالات ٢ / ٦٢ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٣٤٨ .

وقال علي بن ابي العز الحنفى :-

" القول الذى عليه السلف وجمهور العقلاء ان الأجسام تنقلب من حال الى حال فتستحيل ترابا ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال فى النشأة الأولى فانه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظاما ولحما ثم انشأه خلقا سوا كذلك الاعادة يعيده الله بعد ان يبلى كله الاعجب الذنب^(١)"
قال الفاكهاني - فيما ينقله عنه البرديسي " وفى الحديث اذا صار العظم رميا ولم يبق الأعب الذنب فيأمر الله تعالى بمطر ينزل من تحت العرش كمنى الرجال يحيى الله الخلائق من ذلك كما كانوا أول مرة " (٢)

وقال مالك بلفنى انه اذا كان قبل قيام الساعة تطر السماء اربعين ليلة حتى تنطق الأرض عن الهام كما تنطق عن الكفاة والهام رؤس الناس فتشقق الأرض عنهم فاذا هم قيام ينظرون^(٣) .

ويقول ابن حزم : " اتفق أهل القبلة على تنايد فرقهم على القول بالبعث فى القيامة وعلى تكفير من انكر ذلك ، ومعنى هذا القول ان لمكت الناس وتناسلهم فى دار الابتلاء التى هى الدنيا أمد يعلمه الله تعالى فاذا انتهى ذلك الأمد مات كل من فى الأرض ثم يحيى الله عز وجل كل من مات من خلق الله عز وجل الى انقضاء الأمد المذكور ورد أرواحهم التى كانت بأعيانها وجمعهم فى موقف واحد وحاسبهم عن جميع أعمالهم

(١) شرح الطحاوية ص ٤٦٤ .

(٢) تكملة شرح الصدور ص ١١ .

(٣) نفس المصدر السابق .

ووفاهم جزاءهم ففريق من الجن والأنس فى الجنة وفريق فى السعير وبهذا جاء القرآن والسنة^(١) .

ويقول الجرجاني عن اثبات القول ببعث الجسد والروح ممسأ :
" وهو قول كثير من المحققين كالحلي ، والفزالي ، والراغب ، وابن زبيد
الدبوسى ، ومعمر من قداما المعتزلة ، وجمهور من متأخري الامامية
وكثير من الصوفية " . (٢)

ويقول ابن كثير: " وقال أبو بكر بن ابي الدنيا : حدثنا فضيل بن
عبد الوهاب اخبرنا هاشم عن ابي بشر عن سعيد بن جبير قال : جاء
العاصم بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته وقال
يا محمد ببعث الله هذا ؟ قال نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم
ونزلت (وضرب لنا مثالا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل
يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)^(٣) سورة يس ٧٨ ، ٧٩ .
ويقول محمد رشيد رضا :

" ولو كان البعث للأرواح وهدها لنقص من ملكوت الله تعالى هذا
النوع الكريم المكرم من الخلق المؤلف من روح وجسد فهو يدرك اللذات
الروحية ، واللذات الجسمانية ويتحقق بحكم الله " جمع حكمة " واسترار
صنعه ، فهما معا من حيث حرم الحيوان والنبات من الأولى والملائكة
من الثانية " .^(٤)

(١) انظر: الفصل لابن حزم ٧٩/٤ .

(٢) انظر: المواقف بشرح الجرجاني ٢٨٨/٣ .

(٣) النهاية ٢٥٣/١ .

(٤) الوحي المحمدى ص ١٨٠ ، ط ٨ المكتبة الاسلامى .

وأما ما حصل من خلاف في إعادة الأجسام " هل تعود عن العدم المحض وهو ان الله يعدم الذوات بالكيفية ثم يعيدها " أو تعاد الأجسام عن تفريق محض ، أو يكون الأولى التوقف في ذلك " .

الثابت في ذلك ان الله تعالى يعيد هذا الجسد الذي كان في الدنيا بعينه وترجع اليه روحه بقدرة الله تعالى والبحث عما وراء ذلك يعتبر من التكاليف التي تحتاج الى اثبات .

قال البرديسي : " إعادة الاجسام حق يجب الايمان بها ، لكن اختلف هل تعود عن العدم المحض وهو ان الله يعدم الذوات بالكيفية ثم يعيدها وهذا قول الأكر ، وقال الزركشي وهو الصحيح : وقيل بل تعاد الاجسام عن تفريق محض وقال السعد الحق التوقف وقال في شرح المواقف ، وهل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها أو يفرقها ويميد فيها التأليف الحق انه لم يثبت في ذلك شيء فلا جزم فيه نفيا ولا اثباتا لعدم الدليل على شيء من الطرفين (١) .

هذا هو رأي السلف : " ومن المؤلف بعد تلك النصوص جميعها أن نرى من المسلمين من يزعم ان القرآن لم يشأ ان يقطع بحكم واضح فسي مسألة كيفية البعث وانه قابل للاحتتمالات فيحتمل ان يكون بعثا للجسد والروح وان يكون بالجسد فقط أو بالروح فقط وان تلك الكيفية البسي اثبتتها الحقائق السابقة جزئية بسيطة لا تقدم ولا تؤخر وهذا ما نراه في كلام عبد الكريم الخطيب حين يقول :-

(١) تكملة شرح الصدور ص ١٢٠ .

"والشىء الذى لم يشأ القرآن ان يمرضه له وان يدخل مع المجادلين فيه هو " كيفية البعث " وهل هو بالجسد والروح أو بالروح دون الجسد ؟ فان القرآن لم يلتفت الى هذه الجزئية من القضية لأن امرها لا يقدم ولا يؤخر فى هذه المسألة فاذا ثبت البعث وآمن به من آمن فلا يعنيه بعد هذا أن يقع على أى صورة ليكن بالجسد والروح أو ليكن بالروح وحده فهو على أية حال حياة يجدها الانسان ويجد فيها وجوده الذى يتعامل به فى الحياة الآخرة فينعم بالنعيم أو يشقى بالعذاب .

ويقول كذلك : " وكذلك شأن القرآن فى موضوع البعث لم يقل انه بالروح أو الجسد ولكنه يقف موقفا وسطا ، فتارة يبدو وكأنه يقول بالبعث الروحى (يا ايها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) (١) وتارة يلوح وكأنه يقول بالبعث الجسدى فيقول " اychسب الانسان ان لن نجمع عظامه " (٢) .

وفى حال أخرى يجمع بين الامرين فى موقف واحد " وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٣)

ثم ذكر ان المسلم غير مطالب ان يبحث عن حقيقة البعث ولا على اية صورة يقع ولا فى أى مكان أو فى زمان يكون بل المطالب به هو الايمان بوقوع البعث وحتميته بفض النظر عن كون البعث بالجسد وبالروح أو الروح بلاجسد

(١) سورة الفجر : آية : ٢٧ - ٣٠ .

(٢) سورة القيامة : آية : ٣ .

(٣) سورة ق : آية : ٢١ - ٢٢ .

أو الجسد بلا روح " فالأمر كله سواء " مادام الانسان سيوجد في اليوم الآخر وجوده ويتعرف الى ذاته فليكن بعد هذا على (أية صورة) (١) والواقع ان هذا الكلام يعد كلاماً خاطئاً يدل على ان صاحبه لم يتبين له الأمر في هذا ولم تتبين له الحقيقة الساطعة التي قررها القرآن الكريم والسنة النبوية في بعث الأجساد والأرواح .

ويجب الانتباه عن هذا القول الخاطيء " فانه قول في مقابلة النصوص ذلك ان النصوص جميعها من كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأقوال علماء الاسلام كلها - كما قدمنا - تدل على ان البعث هو الجسد الأول بعينه لا الجسد وحده ولا الروح وحدها ولا الجسد بلا روح أو الروح بلا جسد كما يقرره عبد الكريم الخطيب ومن الضروري أن القائل بهذه الأقوال يحتاج الى إعادة النظر فيها وتقرير الحق منها الموافق لما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهو مع مخالفته لجميع النصوص الدالة على البعث الجسماني والروهاني رأى غير واضح في هذه القضية وهو يشابه قول القائل يكفي أن يعلم الانسان ان له ربا وليس عليه بعد ذلك ان يكون على أي مذهب ومعلوم ان الشرع لم يرد هذا وقد صرح القرآن ببعث الأجساد في أكثر من آية وصرحت السنة النبوية بذلك في أكثر من حديث .

فالادعاء بعد ذلك " أن الشيء الذي لم يشأ القرآن ان يعرض له وان يدخل مع المجادلين فيه هو كيفية البعث " كما قال عبد الكريم قول غير مقبول

(١) الله والانسان ص ٢٨١ - ٢٨٣ .

وليس له ما يؤيده لا من القرآن ولا من السنة ولا من أقوال السلف - فيما أعرف -
فالقرآن يبدى ويبيد في وصف الجنة ونعيمها ونعيم أهلها ووصف
مأكولاتهم ، وساكنهم ، وشبابهم ، وخدمهم بل يذكر القرآن ما هو أبعد
من ذلك يذكر ما يدور بين أهل الجنة من أحاديث الذكريات التي كانت
لهم في الدنيا ثم يمدون الله على ما وصلوا اليه من الخير العظيم ومثل
ذلك يذكر أهل النار ، ومثل ذلك أيضا جاءت السنة النبوية فكيف يمكن
ان يقال بعد ذلك ان القرآن لم يشأ ان يعرض لقضية البعث وبيان ما هو
البعث فكيف نسي عبد الكريم هذه النصوص وكيف نسي كذلك ما أجمع عليه
علماء الاسلام من تكفير منكري البعث الجسدى .

وما استند اليه من قوله تعالى : (يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى
ربك راضية مرضية) على أنه قول باعادة الأرواح دون الأجساد .
وما استند اليه كذلك من قوله تعالى : (ايعسب الانسان ان لن نجمع
عظامه)^(١) على انه قول بالبعث الجسدى فقط ، أو ما استند اليه من
قوله تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) على أنه قول بالبعث
الروحى والجسدى .

ثم استنتج بعد ذلك من تلك النصوص ان القرآن لم يبين هذا الأمر
بيانا قاطعا بل كان قابلا لتلك الاحتمالات فى البعث فيمكن ان يكون
بالروح أو الجسد أو كليهما لا شأن للمسلم بذلك بل عليه ان يؤمن بالبعث
ثم ليكن على أى صورة كان ، لا شك ان هذا قول غير سديد

(١) سورة القيامة : آية : ٣

وذلك ان الآية (يا ايها النفس المطمئنة) جاء خطابا عاما لكل نفس ثم لا يمكن ان يفهم منه قصر البعث على الروح وحدها والا كان حكما بلا مستند مع أن هذا الخطاب انما يقال لكل نفس عند احتضارها كما ذكر ابن جرير رحمه الله في روايته عن ابي صالح أو بمعنى رجوع الروح الى الجسد في يوم القيامة كما جاء عن ابن عباس انه قال في تفسيرها أي (ترد الأرواح المطمئنة يوم القيامة في الأجساد) وعن الضحاك أي (يأمر الله الأرواح يوم القيامة ان ترجع الى الأجساد فيأتون الله كما خلقهم أول مرة) وعن عكرمة ارجعى الى ربك راضية مرضية (الى الجسد " وهو ما فسره به الكلبي ايضا . (١)

وكذا الآية (ايعسب الانسان ان لن نجعل عظامه) لا يمكن ان يفهم منه بعث العظام دون الأرواح .

قال ابن جرير في شرح معنى الآية :-

" يقول تعالى ذكره : أياظن ابن آدم ان لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقتها بلى قادرين على أعظم من ذلك أن نسوي بنانه وهي اصابع يديه ورجليه فنجعلها شيئا واحدا كخف البعير أو حافر الحمار فكان لا يأخذ ما يأكل الا بغية كسائر البهائم ولكنه فرق اصابع يديه يأخذ بهما ويتناول ويقبض اذا شاء ويسط فحسن خلقه " (٢)

ثم نسب هذا القول الى ابن عباس وعكرمة ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة والضحاك .

(١) انظر: جامع البيان ١٩١/٣٠ - ١٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٢٥/٢٩ .

ومعلوم ان هؤلاء لا يقولون ببعث العظام بمفرد ها جسما بلا روح ويوضح
هذا المعنى الشوكاني رحمه الله فيقول :-

" والمعنى أن الله سبحانه يبعث جميع اجزاء الانسان ، وانما خسر العظام
لأنها قالب الخلق^(١) " ومن ذلك يتضح أن القول الحق هو اعتقاد ببعث
الروح والجسد معا لا التفرقة بينهما .

وما قد ناه من أدلة على اثبات اعادة الأرواح الى الاجساد التي قد بليت
وصارت رميا انما يتوجه هذا على الأجساد التي قد فنت ، وهناك أجساد
فנית لا تفنى تصود اليها الأرواح قد أكرمها الله ببقاء أجسادها
كالانبياء والشهداء على خلاف في الشهداء ونفصل ذلك فيما يلي :-
الأنبياء : فقد ورد ان اجسادهم لا تأكلها الأرض وذلك لما روى أوس

ابن أوس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان من
أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه قبض وفيه النفخة
وفيه الصعقة فأكثر وأعلى من الصلاة فان صلاتكم معروضة على^(٢) قالوا
يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ أى يقولون قد بليت
قال ان الله قد حرم على الأرض ان تأكل اجساد الأنبياء عليهم السلام^(٢)
وقال ابن حجر رحمه الله عند شرحه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل بنى آدم يلى الأعجب الذنب قال " قال العلماء هذا عام يخص منسبه
الأنبياء لأن الأرض لا تأكل اجسادهم والحق ابن عبد البر بهم الشهداء
والقرطبي المؤذن المحتسب ثم قال : قال عياض : فتأويل الخبر وهو ككل

(١) جامع البيان ١٧٥ / ٢٩

(٢) سنن النسائي ٩١ / ٣

ابن آدم يأكله التراب أى كل ابن آدم مما يأكله التراب وان كان التراب
لا يأكل اجسادا كثيرة كالانبياء^(١) .

وقال ابن القيم رحمه الله :

والانبياء فانهم تحت الشرى . . . اجسادهم حفظت من الديدان
ما للبلوى بلحومهم وجسومهم . . . ابدا وهم تحت التراب ببدان
وكذلك عجب الظاهر لا يبلى بلى . . . منه يركب خلقه الانسان^(٢)
ومن الذين وجدوا بعد مده من دفنهم لم تأكل الأرض اجسادهم الشهداء
فقد ورد فى صحيح البخارى عن جابر رضى الله عنهما قال : لما حضر أحد
دعانى ابنى من الليل فقال لى : ما ارانى الا مقتولا فى أول من يقتل من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وانى لا اترك بعدى اعز منك غير نفس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان على دنيا فأقضى واستوصى باخواتك خيرا فأصبحنا
فكان أول قتيل ودفن معه آخر فى قبره ثم لم تطب نفسى ان اتركه مع الآخر
فاستخرجته بعد ستة أشهر فاذا هو كيووم وضعته هنية غير انه وفى رواية
غير هنية فى اذنه^(٣) .

(٤)

وقال ابن حجر فى الرواية الأخيرة وهى الصواب .

وقد ذكر العلماء السبب الذى جعل الأرض لا تأكل اجساد الشهداء وهو
لكونهم احياء عند ربهم يرزقون .

(١) فتح البارى ٥٥٣/٨

(٢) النونية ص ١٦

(٣) صحيح البخارى ٢١٤/٣

(٤) فتح البارى ٢١٦/٣ ومعنى هينة أى شيئا يسيرا .

قال العلماء انما لم تأكل الأرض اجساد الشهداء لكونهم احياء عند ربهم
يرزقون كما صرح به القرآن وثبت في الصحيح ان عمرو بن الجموح وعبد الله
ابن عمرو الانصارى دفنا في قبر واحد يوم أحد فجرى السيل عن قبرهما
فحفروا عليهما لينقلا الى مكان آخر فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس
وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فكانوا يرفعون
يده عن الجرح فترجع الى ما كانت وذلك بعد ست واربعين سنة من وقعة
أحد (١) .

وكذلك ماورد عن الامام أحمد رحمه الله انه وجد لم يتغير فيه أى شىء بعد
مائتين وثلاثين سنة من دفنه وهو ما ذكره ابن حجر العسقلانى بقوله
" وقال أبو الحسن ابن الزاغونى كشف قبر أحمد حين دفن الشريف
أبو جعفر بن ابي موسى الى جانبه فوجد كفته صحيحا لم يبل وجنبه
لم يتغير وذلك بعد مائة وثلاثين سنة " (٢) .

والواقع انه لا يوجد نص صريح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى ان الشهداء
لا تأكل الأرض اجسامهم فيحتمل ان يبقوا كذلك ويحتمل ان يفنوا بعد مدة
والله أعلم .

وفى هذا يقول شارح الطحاوية ابن ابي العز :

" وحرّم الله على الأرض ان تأكل اجساد الانبياء كما روى فى السنن وأما الشهداء
فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير فيحتمل بقاءه كذلك ففى
تربيته الى يوم محشره ويحتمل انه يبلى مع طول المدة والله أعلم وكأنه والله أعلم

(١) انظر: مختصر التذكرة للشمرانى ص ٥١ .

(٢) تهذيب التهذيب ١/٧٦٠ .

كلما كانت الشهادة أكمل والشهيد أفضل كان بقاء جسده أطول . (١)
وإذا كنا قد خرجنا عن موضوعنا الأصلي وتكلمنا عن حياة الشهداء هل
تبقى اجسادهم أم لا فان ذلك تكميلا للفائدة وتميما للبحث هذا ما يتعلق
بالنسبة عند المسلمين .

(١) شرح الطحاوية ص ٤٥٦ .

— (الرد على الفلاسفة وابطال حججهم في انكار البعث) —

وانا كما قد قدنا بيان حقيقة البعث والرد على من خالف في ذلك من المشركين والملاحدة وكنا قد ذكرنا كذلك اراء غير هؤلاء في قضية البعث وهم الفلاسفة فاننا سنختم فيما يلي بالرد على الفلاسفة وبيان ضلالهم ورد علماء المسلمين عليهم .

والواقع أن الذي حمل الفلاسفة على هذا المعتقد الفاسد هو انكارهم لقدرة الله تعالى على البعث الجسماني بعد تفتت الجسد وصورته ترايبسا مضافا اليه عدم التفاتهم الى الجسد وما يقع له من النعيم والعقاب ، وجعلوا حصول ذلك للروح وحدها فذهبوا الى " ان النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمديا اما في لذة لا يحيط الوصف بها لمظنها واما في ألم لا يحيط الوصف به لمظنه " وهم لا يجزمون ببقاء هذا الألم دائما بل " قد يكون ذلك الألم مخلدا وقد ينمحي على طول الزمان " (١)

ثم يقسمون تفاوت الناس بالنسبة لدرجاتهم في الألم واللذة الى أقسام لا تنحصر كثافتهم في المراتب النبوية ولذاتها غير المنحصرة ، فيقولون ان للذة السرمدية تكون " للنفوس الكاملة الزكية " .

والألم السرمدى " للنفوس الناقصة الطمخنة " .

والألم المتفضى للنفوس الكاملة الطمخنة " .

والنتيجة من ذلك ان السعادة المطلقة لاتنال الا بالكمال والتزكية والطهارة وسبيل الكمال يكون بالملم وسبيل الزكاء والطهريكون بالعمل .

(١) يرجع لهذه النصوص التي سنذكرها الى كتاب الامام الفزالي " تهافت الفلاسفة " من ص ٢٨٢ الى ص ٣٠٣ بتصرف في بعض الاماكن .

وبعد أن ذكر الفزالي ما قدمناه - بتصرف - شرع في بيان وجه الحاجة إلى العلم ببيان مفاضلة الفلاسفة بين حاجة النفس إلى ادراك المعقولات والتذاهب بها وبين الوصول إلى اللذات الجسمانية التي هي لاتساوى شيئاً في جانب ادراك اللذات العقلية مدعين ان اللذة الكاملة هي نفس ادراك اللذات العقلية التي هي اشرف وأعلى من اللذات الجسمية مستدلين على ذلك بأمرين "أحدهما : أن حال الملائكة اشرف من حال السباع والخنازير من البهائم وليست لها اللذات الجسمية من الشراب والأكل^(١) وانما لها لذة الشعور بجمالها وجمالها الذي خصت به في نفسها في اطلاعها على حقائق الأشياء " .

والثاني : ان الانسان ايضا قد يؤثر اللذات العقلية على الجسميه " وضربوا لهذا من الأمثلة بحال من يتمكن من غلبة عدوه والشماته به فانه قد يهجر في سبيل الحصول على ذلك ملاذ الانكحة والأطعمة .

وكذا لاعب الشطرنج والنرد فان المنتصر فيهما قد لا يحس بالجوع ويستمرى اللعب طول النهار .

وكذا الرجل الذي يحب الثناء عليه فانه قد يهجم على عدوه ولو كانوا جميعا غفيرا مستحقرا خطر الموت شغفا بما يتوهمه من لذة الثناء والاطراء عليه)
والنتيجة بعد هذا ان اللذات العقلية أفضل من اللذات الجسمية الدنيوية .

(١) في الأصل من الجمال والأكل والصحيح من الشراب والأكل كما هو ظاهر من سياق العبارة .

هذا ما يتعلق باستدلالهم على ان اللذات العقلية أفضل من اللذات
الجسمية ليتوصلوا الى ان الجسد لا قيمة له فلا يبعث ولا يحاسب ولا ينعم .
أما بالنسبة لاستدلالهم على وجه الحاجة الى العمل والعبادة بقصد زكاء
النفس فهو " ان النفس في هذا البدن مصدودة عن درك حقائق الأشياء
لا لكونها منطبعة في البدن بل لاشتغالها ونزوعها الى شهواتها وشوقها
الى مقتضياتها " ويذكرون انه اذا صار حب الشهوات طبيعة لتلك النفس
ومات البدن على هذا المسلك فان نتيجة ذلك تكون مؤذية للنفس من وجهين :
أحدهما : انها تمنعها عن لذاتها الخاصة بها وهي الاتصال بالملائكة
والاطلاع على الأمور الجميلة الالهية ولا يكون معها البدن شاغل فيلبيها
عن التألم كما قبل الموت .

والثاني : انه يبقى معها الحرص والميل الى الدنيا واسبابها ولذاتها
وقد استلبت منها الآلة فان البدن هو الآلة للوصول الى تلك اللذات ويمثلون
لذلك " بحال من عشق امرأة والفراسة واستأنس بأولاده واستراح الى
مال وابتهج بحشمة ، فقتلت معشوقة وعزل عن رياسته وسبى أولاده ونسأوه
واخذ أمواله اعداؤه وسقطت بالكلية حشمته فيقاس من الالم ما لا يخفى وهو
في هذه غير منقطع الأمل عن عوده أمثال هذه الأمور فان امر الدنيا غاد
ورائح ، فكيف اذا انقطع الامل بفقدان البدن بسبب الموت "

فالنتيجة اذن للخروج عن هذا المسلك لا يكون الا " بكف النفس عن الهوى والأعراض عن الدنيا والاقبال بكنه الجد على العلم والتقوى حتى تنقطع علائقها عن الأمور الدينية وهي في الدنيا وتستحكم علاقتها مع الأمور الأخروية فان مات كان كالمخلص من سجن ، والواصل الى جميع ما اليه وهو جنته ، وهم مع ذلك يعترفون بأنه " لا يمكن سلب جميع هذه الصفات عن النفس ومحوها بالكلية فان الضرورات البدنية جاذبة اليها الا أنه يمكن تضعيف تلك العلاقة " وكنتيجة لذلك " فقد ورد الشرع في الأخلاق بالتوسط بين كل طرفين متقابلين فيقدم ويهجم بأشارته^(١) لباختياره فتتهذب بسببه اخلاقه " .

قالوا : " ومن عدم هذه الفضيلة في الخلق والعلم جميعا فهو الهالك ولذلك قال الله تعالى : " قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها " .
ومن جمع الفضيلتين ، العلمية والعطية فهو المعارف العابد وهو السعيد ومن له الفضيلة العلمية دون العطية فهو العالم الفاسق ويتمذب مسددة ولكن لا يدوم لأن نفسه قد كطت بالعلم ولكن الموارد البدنية لطخته تلطيخها عارضا " . . . ومن له الفضيلة العطية دون العلمية فيسلم وينجو عن الألم ولكن لا يحظى بالسعادة الكاملة " .

وأخيرا فقد " زعموا ان من مات فقد قامت قيامته ثم زعموا لقصد ابطال القول بالبعث ان " ماورد في الشرع من الصروح الحسية فالقصد به ضرب الأمثال لقصور الافهام عن درك هذه اللذات فمثل لهم ما يفهمون ثم ذكر

(١) أي بالشرع .

لهم ان تلك اللذات فوق ما وصف لهم * .

هذه هي خلاصة آراء الفلاسفة في انكار البعث كما ذكرها الامام

الفزالي .

وقد تمدى الفزالي للرد على تلك المزاعم ببيان الصحيح والفاقد منها
فقال اجمالاً " ونحن نقول أكثر هذه الأمور ليست على مخالفة الشرع فانما
لانكران في الآخرة انواعاً من اللذات أعظم من المحسوسات ولا ننكر بقاء
النفس عند مفارقة البدن ولكنا عرفنا ذلك بالشرع ان قد ورد - الشرع -
بالمعاد ، ولا يفهم المعاد الا ببقاء النفس وانما انكرنا عليهم من قبل دعواهم
معرفة ذلك بمجرد العقل * .

ثم بين أقوالهم المخالفة للشرع وضحها :-

* انكار حشر الأجساد .

وانكار اللذات الجسمانية في الجنة .

وانكار الآلام الجسمانية في النار .

وانكار وجود الجنة والنار كما وصف في القرآن * .

ثم ذكر في رده على الفلاسفة حينما فرقوا بين السعادة أو الشقاوة

الجسمانية والروحانية بأنه ليس هناك مانع من تحقق الجمع بين السعادتين

الروحانية والجسمانية ثم ابطال استدلالهم بقوله تعالى (فلا تعلم نفس

ما اخفى لهم من قرة أعين ^(١))

على أن اللذات انما هي روحانية فقط. بأن معنى النصر الكريم هو بيان انه

لا يعلم جميع ذلك .

(١) سورة السجدة : آية : ١٧ .

وكذا قوله تعالى في الحديث القدسي : " اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " ^(١) معناه ان " وجود هذه الأمور الشريفة لا يدل على نفي غيرها بل الجمع بين الأمرين أكمل والموعود به أكمل الأمور وهو ممكن فيجب التصديق به على وفق الشرع " .
وأما زعمهم بأن ماورد من اخبار اليوم انما هي امثال ضربت لتفهم عوام الخلق ولتفهمهم النعيم الروحاني بالأمثلة المادية التي يعرفونها فان ابطال هذا القول ظاهر ان أخبار اليوم الآخر قد بلغت حد التواتر وهي كذلك من الأمور الممكنة وليست من المستحيلات وليس هناك داع يضطر المؤمن الى أن يسلك نسلك التأويلات التي سلكها الفلاسفة بالنسبة للنصوص الصريحة في ذلك المثبتة للنعيم الروحاني والجسماني معا .
أما قولهم بأنه قد دل الدليل العقلي على استحالة بعث الاجساد فهذا ليس بصحيح بل دل الدليل العقلي على جواز ذلك وجاء باثباته الشرع فوجب التصديق به ، ولا يضح ذلك نقول انهم قد سلكوا في استدلالهم سلكين وهما : -

السلك الأول قالوا : تقدير المود الى الابدان ثلاثة أقسام
١- اما ان يقال : الانسان عبارة عن البدن والحياة التي هي عرض قائم به كما ذهب اليه بعض المتكلمين وان النفس التي هي قائمة بنفسها ومدبرة للجسم فلا وجود لها ومعنى الموت انقطاع الحياة : أي امتناع الخالق عن خلقها فتعدم والبدن أيضا ينعدم ، ومعنى المعاد : اعادة الله تعالى

(١) قد تقدم اخرجيه .

للبدن الذى انعدم ورده الى الوجود واعادة الحياة التى انعدمت .
أو يقال ان مادة البدن تبقى ترابا ومعنى العائد ان يجمع ويركب على
شكل الآدمى ويخلق فيه الحياة ابتداء فهذا قسم " .

٢- وأما ان يقال ان النفس موجودة وتبقى بعد الموت ويكون رد النفس
الى البدن الأول بجمع تلك الأجزاء بعينها وهذا قسم " .

٣- وأما ان يقال رد النفس الى بدن سواء كان من تلك الأجزاء أو من غيرها
ويكون العائد ذلك الانسان من حيث ان النفس تلك النفس ، وأما المادة
فلا التفات اليها ان الانسان ليس انسانا بها بل بالنفس " .

ثم عقب الفلاسفة على تلك الافتراضات أو الأقسام الثلاثة ببطلانها
فقالوا : " وهذه الأقسام الثلاثة باطلة

أما الأول فظاهر البطلان لأنه مهما انعدمت الحياة والبدن فاستثناف
خلقها ايجاد لمثل ما كان لالصين ما كان بل العود المفهوم هو الذى
يفرض بقاء شىء وتجدد شىء كما يقال عاد فلان الى الانعام أى ان المنعم
باق وترك الأنعام ثم عاد اليه أى عاد الى ما هو الأول بالجنس ولكنه غيره
بالعدد فيكون عودا بالحقيقة الى مثله لا اليه .

ويقال فلان عاد الى البلد أى بقى موجودا خارجا وقد كان له كون فى البلد
فعاد الى مثل ذلك ، وان لم يكن شىء باقيا وشيئان متعددان متماسكان
يتخللها زمان لم يتم اسم العود الا أن نسلك مذهب المعتزلة فيقال المعدوم
شىء ثابت والوجود حال يعرض له مرة وينقطع تارة ويمود أخرى فيتحقق معنى
العود باعتبار بقاء الذات ولكنه رفع للمعدم المطلق الذى هو النفى المحض

وهو اثبات اللذات مستمرة الثبات الى أن يعود اليها الوجود وهو محال قالوا : " فان احتال ناصر هذا القسم بأن قال تراب البدن لا يفنى فيكون باقيا فتعاد اليه الحياة فتقول عند ذلك يستقيم ان يقال عاد التراب حيا بعد ان انقطعت الحياة عنه مدة ، ولا يكون ذلك عودة للانسان ولا رجوع ذلك الانسان بعينه لأن الانسان انسان لا يماثته ، والتراب الذي فيه ان يتبدل عليه سائر الأجزاء أو أكرها بالفذاء وهو ذاك الأول بعينه فهو هو باعتبار روجه ونفسه فاذا عدت الحياة والروح فما عدم لا يعقل عوده وانما يستأنف مثله ، ،

وسهما خلق الله تعالى حياة انسانية في تراب يحمل من بدن شجرة أو فرس أو نبات كان ذلك ابتداء خلق انسان ، فالمعدوم قط لا يعقل عوده ، والمعائد هو الموجود ، أى عاد الى حالة كانت له من قبل أى الى مثل تلك الحالة فالعائد هو التراب الى صفة الحياة ، وليس الانسان ببدنه ان قد يصير بدن الفرس غذاء لانسان فيتخلق منه نطفة يحصل منها انسان ، فلا يقال الفرس انقلب انسانا بل الفرس فرس بصورته لا يماثته وقد انعدمت الصورة وما بقى الا المادة

وأما القسم الثانى :

وهو تقدير بقاء النفس وردها الى ذلك البدن بعينه فهو لو تصور لكان معادا أى عودة الى تدبير البدن بعد مفارقتة ولكنه محال ان بدن الميت يستحيل ترابا أو تأكله الديدان والطيور ويستحيل ماء وبخارا وهواء ويمتزج بهواء العالم وبخاره ومائه امتزاجا يبعد انتزاعه واستخلاصه ولكن ان فرض

ذلك اتكالا على قدرة الله تعالى فلا يخلوا ما ان يجمع الأجزاء التي مات عليها فقط فينبغي ان يعاد الاقطع ومجدوع الأنف والأذن وناقص الأعضاء كما كان ، وهذا مستقبح لاسيما في أهل الجنة وهم الذين خلقوا ناقصين في ابتداء الفطرة فأعادتهم على ما كانوا عليه من الهزال عند الموت ففى غاية النكال هذا ان اقتصر على جمع الأجزاء الموجودة عند الموت وان جمع جميع اجزائه التي كانت موجودة فى جميع عمره فهو محال من وجهين :-

أحدهما : ان الانسان اذا تغذى بلحم انسان ، وقد جرت به العادة فى بعض البلاد ويكثر وقوعه فى أوقات القحط فيتمذر حشرهما جميعا لأن مادة واحدة كانت بدنا للمأكل وصارت بالفداء بدنا بعد ذلك للأكل ولا يمكن رد نفسين الى بدن واحد .

والثانى : أنه يجب ان يعاد جزء واحد يدا وقلبا ورجلا فانه ثبت بالصناعة الطبية ان الأجزاء العضوية يتغذى بعضها بفضلة غذا بعضها فيتغذى الكبد باجزاء القلب وكذا سائر الأعضاء فنفرض اجزاء معينة قد كانت مادة لجملة من الأعضاء فالى أى عضو تمام ؟ !

بل لا يحتاج فى تقدير الاستحالة الى أكل الناس الناس فانك اذا تأملت ظاهر التربة المعمورة علمت بعد طول الزمان ان ترابها جثث الموتى قد تترت وزرع فيها وغرس وصارت حبا وفاكهة وتناولها الدواب فصارت لحمنا وتناولناها فصارت ابدانا لنا فما من مادة يشار اليها الا وقد كانت بدنا لأناس كثيرة فاستحالت وصارت ترابا ثم نباتا ثم لحما ثم حيوانا ! ! .

قالوا : " بل يلزم منه محال ثالث وهو ان النفوس المفارقة للابدان غير متناهية والأبدان متناهية فلا تفى المواد التي كانت مواد الانسان بأنفس الناس كلهم بل تضيق عنهم .

وأما القسم الثالث:

وهو رد النفس الى بدن انسان من اى مادة كانت وأى تراب اتفق
فهذا محال من وجهين :-

أحدهما : ان المواد القابلة للكون والفساد محصورة فى مقعر فك القمر
لا يمكن عليها مزيد وهى متناهية والأنفس المفارقة للابدان غير متناهية
فلا تفى بها .

والثانى : ان التراب لا يقبل تدبير النفس ما بقى ترابا بل لا بسد وان
تمتج العناصر امتزاجا يضاهاى امتزاج النطفة ، بل الخشب والحديد
لا يقبل هذا التدبير ولا يمكن اعادة الانسان وبدنه من خشب أو حديد
بل لا يكون انسانا الا اذا انقسم اعضاء بدنه الى اللحم والعظم والاخلاط
وسهما استعد البدن والمزاج لقبول نفس استحق من المبادئ الواهية
للنفوس حدوث نفس فيتوارد على البدن الواحد نفسان .

وهذا بطل مذهب التناسخ ، فان رجوع الى اشتغال النفس بعد خلاصها
من البدن بتدبير بدن آخر غير البدن الاول فالمسلك الذى يدل على
بطلان التناسخ يدل على بطلان هذا المذهب .

ثم يتابع الفزالي بيان مذهب الفلاسفة فى انكارهم البعث ببيان المسلك
الثانى من تلك المسالك فيقول :

" المسلك الثانى ان قالوا ليس من المقدور ان يقلب الحديد ثوبا منسوجا
بهيث يتعمم به الانسان الا بتحليل اجزاء الحديد الى بسائط العناصر
بأسباب تستولى على الحديد فتحلله الى بسائط العناصر ثم تجمع العناصر
وتندار فى أطوار الخلقه الى أن يكتسب صورة القطن ثم يكتسب القطن صورة

الغزل ثم الغزل يكتسب الانتظام المعلوم الذي هو النسج على هيئة معلومة ولو قيل ان قلب الحديد عمامة قطنية ممكن من غير الاستحالة في هذه الأطوار على سبيل الترتيب كان محالا " قالوا :

نعم يجوز ان يخطر للانسان ان هذه الاستحالات يجوز ان تحصل كلها في ازمان متقاربة لا يحس الانسان بطولها فيظن أنه وقع فجأة دفعة واحدة وانا عقل هذا فالانسان المبعوث المشهور لو كان بدنه من حجر أو ياقوت أو در ، أو تراب محض لم يكن انسانا بل لا يتصور ان يكون انسانا الا ان يكون متشكلا بالشكل المخصوص مركبا من العظام والعروق واللحوم ، والفضاريص والاخلاط والأجزاء المفردة تتقدم على المركبة فلا يكون البدن مالم تكن الأعضاء ولا تكون الأعضاء المركبة مالم تكن العظام واللحوم ، والعروق ولا تكون هذه المفردات مالم تكن الاخلاط ولا تكون الاخلاط الأربعة مالم تكن موادها من الغذاء ، ولا يكون الغذاء مالم يكن حيوانا أو نباتا وهو اللحم والحبوب ولا يكون حيوانا ونباتا مالم تكن العناصر الأربعة جميعا معتزجة بشـرـائـط مخصوصة طويلة أكثر مما فصلنا جملتها فان لا يمكن ان يتجدد بدن الانسان لترد النفس اليه الا بهذه الأمور ولها اسباب كثيرة .

ثم أوردوا التساؤلات الآتية فقالوا :

" أفينقلب التراب انسانا بأن يقال له كن فيكون ؟ أو بأن تمهد اسباب انقلابه في هذه الأدوار واسبابه هو القاء النطفة المستخرجة من لبان بدن الانسان في رحم جتى يستمد من دم الطمث ومن الغذاء مدة ثم يخلق مضفة ثم علقة ثم جنينا ثم طفلا ثم شابا ثم كهلا فقول القائل يقال له كن فيكون غير معقول ان التراب لا يخاطب وانقلابه انسانا دون التردد في هذه الأطوار محال وتردده في هذه الأطوار دون جريان هذه الأسباب محال فيكون البعث

(١)
محالا

هذا هو مذهب الخلاصة في قضية البعث استوفاه الفزالي كما سبق ذكره
— فما مدى صحة قولهم في هذه القضية وهل ترد تلك الشبه على من يقول
بالبعث الجسماني والروحاني أم لا ؟ والجواب سيكون بالنفي ولا شك ذلك
أن قول الفلاسفة برد النفس الى بدن انسان من أى مادة كانت وأى بدن
اتفق " قول يخالف ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وهو أمر يأباه العدل الالهي .

وقد رد الفزالي على الفلاسفة في هذه القضية فقال في الأعتراض عليهم
" والأعتراض هو أن يقال بم تنكرون على من يختار القسم الأخير ويرى أن النفس
باقية بعد الموت وهو جوهر قائم بنفسه فان ذلك لا يخالف الشرع بل دل عليه
الشرع في قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
عند ربهم يرزقون)

ويقوله عليه السلام (أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش)
وبما ورد من الأخبار بشعور الأرواح بالصدقات والخيرات وسؤال منكر وتكبير
وعذاب القبر وغيره وكل ذلك يدل على البقاء .

نعم قد دل مع ذلك على البعث والنشور بعده وبعث البدن وذلك ممكن
بردها الى بدن اى بدن كان من مادة البدن الأول أو من غيره أو من مادة
استأنف خلقها فانه هو بنفسه لا يبدنه ان تتبدل عليه اجزاء البدن من الصفر
الى الكبر بالهزال والسمن ويتبدل الغذاء ويختلف مزاجه مع ذلك وهو
ذلك الانسان بعينه فهذا مقدور لله تعالى ويكون ذلك عودا لتلك النفس
فانه قد تعذر عليها ان تحظى بالآلام واللذات الجسمانية بفقد الآلة وقصد
اعيدت اليها آلة مثل الأولى فكان ذلك عودا محققا .

ثم يتابع الفزالي ابطال حجج الفلاسفة فيقول : " وما ذكرتموه من استحالة

هذا بكون النفس غير متناهية وكون المواد متناهية محال لا أصل له فانه بناء على قدم العالم وتعاقب الأدار على الدوام ومن لا يعتقد قدم العالم فالنفوس المفارقة للأبدان عنده متناهية وليست أكثر من المواد الموجودة وان سلم انها أكثر فالله تعالى قادر على الخلق واستئناف الاختراع وانكاره انكار لقدرة الله تعالى على الأحداث وقد سبق ابطاله في مسألة حدوث العالم .

وأما احالتكم الثانية:

بأن هذا تناسخ فلا مشاحة في الأسماء فما ورد الشرع به يجب تصديقه فليكن تناسخا وانما نحن ننكر التناسخ في هذا العالم ، فأما البعث فلا ننكره سمي تناسخا أو لم يسم تناسخا .

وقولكم : ان كل مزاج استعداد لقبول نفس استحق حدوث نفس من المبادىء رجوع الى ان حدوث النفوس بالطبع لا بالارادة ، وقد ابطالنا ذلك في مسألة حدوث العالم كيف ولا يبعد على مساق مذهبكم ايضا ان يقال انما يستحق حدوث النفس اذا لم تكن ثم نفس موجودة فتستأنف نفس فيبقى أن يقال فلم لم تتعلق بالأفرجة المستعدة في الأرحام قبل البعث والنشور بل في عالمنا هذا .

فيقال : لعل الأنفس المفارقة تستدعى نوعا آخر من الاستعداد ولا يتم سببها الا في ذلك الوقت ولا يبعد في ان يفارق الاستعداد المشروط للنفس الكاملة المفارقة الاستعداد المشروط للنفس الحادثة ابتداء التي لم تستفد كمالا بتدبير البدن مدة والله تعالى أعلم بتلك الشروط وبأسبابها وأوقاتها

وبأوقات حضورها وقد ورد الشرع به وهو ممكن فيجب التصديق بـه .
وهذه المناقشة العملية للامام الفزالي في تفنيد شبه الفلاسفة في تلك
المسائل الفيزيائية قوية مقنعة لولا انه يرد عليه اعتراض ينبغي التوقف عنده
وذلك في رأيه بجواز رد النفس الى بدن انسان كيفما اتفق سواء كان من
مادة البدن الأول أو من غيره أو من مادة استؤنف خلقها فالواقع ان الصحيح
الذي يفيد مفهوم القرآن والسنة خلاف هذا وهو اثبات المعاد للجسد
الأول بعينه ورد الروح اليه بعينه لا جسم آخر كيفما اتفق فهذا يأباه عدل
الله أن يعذب جسدا لا زنب له ، وأن يقبل كذلك شهادة أعضاء ما كانت
هي الفاعلة - كما سيأتى ايضاح هذا في مبحث الحساب . -

ثم قال الفزالي في رده على الشبهة الثانية التي توصلوا بها الى ان القول
بالبعث يعد من المحال قال : " أنا نسلم ان الترقى في هذه الأطوار لا بد
منه حتى يصير بدن انسان لحما بل لا بد منه حتى يصير الحديد عمامة فانه
لو بقي حديدا لما كان ثوبا بل لا بد وان يصير قطننا مفزولا ثم منسوجا ولكن
ذلك في لحظة أو في مدة ممكن ولم يبين لنا ان البعث يكون في ^{أدنى} ~~أدنى~~
ما يقدر ان يكون جمع العظام وانشاز اللحم وابناته في زمان طويل وليس
المناقشة فيه وانما النظر في ان الترقى في هذه الأطوار يحصل بمجرّد
القدرة من غير واسطة ^(١) أو بسبب من الأسباب وكلاهما ممكن عندنا
وأما الثاني : فهو ان نقول ذلك يكون باسباب ولكن ليس من شرطه ان يكون
السبب هو المعهود بل في خزانة المقدرات عجائب وغرائب لم يدلمع عليها

(١) كقول الله تعالى للشيء "كن فيكون" .

ينكرها من يظن ان لا وجود الا لمشاهده كما ينكر طائفة السحر وال نار بختيات
والطلسمات والمعجزات والكرامات وهي ثابتة بالاتفاق باسباب غريبه لا يطلع
عليها بل لو لم ير انسا الصفناطيس وجذبه الحديد وحكى له ذلك لاستنكره
وقال لا يتصور جذب الحديد الا بخيوط يشد عليه ويجذب فانه الشاهد في
الحس حتى اذا شاهده تعجب منه وعلم انه قاصر عن الاحاطة بمجائب القدرة
وكذلك الملحده المنكرة للبعث والنشور اذا بعثوا من القبور ورأوا عجائب
صنع الله فيه ندموا ندامة لا تنفهم ويتحسرون على جهودهم تحسرا لا يفنيهم
ويقال لهم هذا الذى كنتم به تكذبون " (١)

وفيما تقدم اثباته من كتاب الله تبارك وتعالى ومن أقوال نبيه صلى الله عليه
وسلم وأقوال علماء الاسلام ما يبطل هذا المذهب كما لا يخفى ذلك .

والله الموفق

.. الفصل التاسع ..

- (النفخ في الصور) -

نفخة البعث

١- في اللفظة

١- معنى النفخ :

٢- في الاصطلاح

٢- عدد النفخات :

٣- الأدلة على اثبات النفخ في الصور :

١- من القرآن الكريم

٢- من السنة النبوية

— (نفخة البعث) —

وبعد ان انتهينا من ذكر البعث بما تقدم من ذكر الأدلة فان مما ينبغي معرفته انه لا يتم البعث الا اذا حصل أمر الله لاسرافيل بالنفخ في الصور نفخة البعث التي يتم بها قيام الناس من قبورهم ليستقر بهم الحال في الموقف المعد لمكثهم فيه الى ان يقضى الله بينهم كما سنذكر ذلك في موضعه ونفخة البعث هذه هي المقصودة في بحثنا من بين بقية النفخات التي نعرض لها بايجاز لاستكمال البحث وقبل البدء في ذكر تلك النفخات والخلاف فيها نبين الأمور الآتية :-

- ١- ما معنى النفخ في اللفة ، وفي الأصطلاح .
- ٢- كم عدد النفخات وما الذي يحصل في كل نفخة منها .
- ٣- الأدلة على اثبات النفخ في الصور من الكتاب والسنة .

١ - معنى النفخ في اللفظة:

- (١) قال الراغب: " النفخ ، نفخ الريح في الشيء " قال " يوم ينفخ في الصور"
(ونفخ في الصور) (٢) ، ثم نفخ فيه اخرى (٣) .
وذلك نحو قوله (فاذا نقر في الناقور) (٤) . ومنه نفخ الروح في النشأة
الأولى (٥) .

وذكر الزمخشري بعض الاطلاقات التي تقال على النفخ ومنه " نفخ في النار ونفخ النار بالنفخ وهو الكير ونصبوا على النار المنافيح ونفخت في الزق فانفخ ونفخت فيه فتنفخ وهو يجد نفخة في بطنه ونفخة انتفاخا من طعام وغيره (٦) .

وهذه المعاني اللغوية كلها تدور حول النفخ المعروف وهو دفع الهواء

-
- (١) سورة طه : آية : ١٠٢
(٢) سورة يس : آية : ٥١
(٣) سورة الروم : آية : ٦٨
(٤) سورة المدثر : آية : ٨
(٥) المفردات ص ٥٠٠
(٦) اساس البلاغة : ص ٤٦٦

(٢) أما معناه الاصطلاحي :

فهو النفخ . المخصوص في الوقت المخصوص^{من} الملك المخصوص لا يجاد ما أراد الله تعالى كما جاء في كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من ان نافخا ينفخ في صور عظيم لارادة الله تعالى تغيير ما يريد تغييره في خلقه لأمر القيامة واما ما هو الصور فمن أقوال العلماء في ذلك :-

ما قاله ابن جرير الطبري - رحمه الله - من ان الناس قد اختلفوا فيه " فقال بعضهم هو قرن ينفخ فيه نفختان احدهما لفناء من كان حيا على الأرض، والثانية: لنشركل ميت .

وقال آخرون : الصور في هذا الموضع جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيا^(١) ولكنه وهو يذكر هذين القولين يرجح ان الصور قرن ينفخ فيه لقوة الأدلة على هذا فقال : " والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان اسرافيل قد التقم الصور^(٢) وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ " وانه قال : " الصور قرن ينفخ فيه^(٣) وقال الامام الرازي : " المسألة الثالثة قوله (يوم ينفخ في الصور) (٣)

ولا شبهة ان المراد منه يوم الحشر ولا شبهة عند أهل الاسلام ان الله سبحانه خلق قرنا ينفخ فيه ملك من الملائكة وذلك القرن يسمى بالصور على ما ذكر الله تعالى هذا المعنى في مواضع من الكتاب الكريم ولكنهم اختلفوا في المراد

(١) جامع البيان ٧ / ٢٤١ .
(٢) نفس المصدر السابق .
(٣) سورة الأنعام : آية : ٧٣ .

بالصور في هذه الآية على قولين :

القول الأول : ان المراد منه ذلك القرن الذي ينفخ فيه وصفته مذكورة فنى
سائر السور .

والقول الثانى : ان الصور جمع صورة والنفخ فى الصور عبارة عن النفخ فى صور
الموتى * (١)

ثم ابطال الرازى هذا القول الأخير واعتبره خطأ فاحشا من قائله كما
نقل ذلك عن أهل العلم .

وقد أيد الامام ابن كثير ما قاله الامام الرازى حيث قال فى من ذهب الى ان
الصور هنا جمع صورة وان معناه أى سيوم ينفخ فيها فتحيا قال :

* والصحيح ان المراد بالصور القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام^(٢)

وكذلك ذهب الألوسى حيث قال عن قوله تعالى (ثم نفخ فيه أخسرى)

ظاهر فى ان الصور ليس جمع صورة والا لقال سبحانه " فيها " بدل " فيه "

وارتكاب التأويل يجعل الكلام من باب التمثيل ظاهر فى انكار ان يكون هناك

صور حقيقة وهو خلاف ما نطقت به الأحاديث الصحاح * .

ثم قال الألوسى : " وقد قال ابو الهيثم على ما نقل عنه القرطبي فى تفسيره

من انكر أن يكون الصور قرنا فهو كمن انكر العرش والصراط ، والميزان وطلب

لها تأويلات * (٣)

وعلى هذا فان الصور هو قرن ينفخ فيه ، وقد ورد ان الذى ينفخ فيه على

التعيين هو اسرافيل عليه السلام كما سيأتى النص عليه ،

(١) التفسير الكبير : ٣٤ / ١٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١٤٦ / ٢ .

(٣) روح المعاني : ٣٠ / ٢٠ .

ينفخ فيه النفحات التي سنذكرها ، ويتبين لنا كذلك مما تقدم في التعريف
اللفوى ، والاصطلاحى انهما متطابقان فى المعنى وان كان المعنى اللفوى
عاما يشمل النفخ فى الصور وغيره من أنواع النفخ لكنه خصص فى الاصطلاح
بالنفخ فى الصور .

(٢) عدد النفخات:

النفخات الواردة ثلاث يتغير بها كل شيء كان قبلها وهذه النفخات

هي :-

١- نفخة الفزع

٢- نفخة الصعق

٣- نفخة القيام من القبور لرب العالمين الى الموقف .

والقول انها ثلاث هو قول أكثر أهل العلم وسنذكر الخلاف في عددها

أما نفخة الفزع ، ونفخة الصعق فانما نذكرها استطرادا لاكمال البحث

لعدم تعلق الفرض بها كما تقدم .

وقد ورد ذكر هذه النفخات الثلاث في حديث أبي هريرة رضى الله عنه انه

قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في الصور ثلاث نفخات

الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين

تبارك وتعالى يأمر الله اسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع

فتفزع أهل السماوات وأهل الأرض الا من شاء الله قال أبوهريرة يا رسول الله

فمن استثنى حين يقول ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض الا من شاء

الله) قال : آلك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء ، آلك احياء

عند ربهم يرزقون وتأهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم " . (١)

وقال ابن كثير: " وفى حديث الصور ان اسرافيل هو الذى ينفخ فيه

بأمر الله تعالى فينفخ فيه أولا نفخة الفزع ويثولها وذلك فى آخر عمر الدنيا

حين تقوم الساعة على شرار الناس من الاحياء فيفزع من فى السماوات ومن

فى الأرض .

(١) ذكره الطبرى ٣٠/٢٤ فى التفسير .

عدد النفخات من صور
النفخات الواردة ثلاث يتغير بها كل شيء كان قبلها وهذه النفخات
هي :-
١- نفخة الفزع
٢- نفخة الصعق
٣- نفخة القيام من القبور لرب العالمين الى الموقف .
والقول انها ثلاث هو قول أكثر أهل العلم وسنذكر الخلاف في عددها
أما نفخة الفزع ، ونفخة الصعق فانما نذكرها استطرادا لاكمال البحث
لعدم تعلق الفرض بها كما تقدم .
وقد ورد ذكر هذه النفخات الثلاث في حديث أبي هريرة رضى الله عنه انه
قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في الصور ثلاث نفخات
الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين
تبارك وتعالى يأمر الله اسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع
فتفزع أهل السماوات وأهل الأرض الا من شاء الله قال أبوهريرة يا رسول الله
فمن استثنى حين يقول ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض الا من شاء
الله) قال : آلك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء ، آلك احياء
عند ربهم يرزقون وتأهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم " . (١)
وقال ابن كثير: " وفى حديث الصور ان اسرافيل هو الذى ينفخ فيه
بأمر الله تعالى فينفخ فيه أولا نفخة الفزع ويثولها وذلك فى آخر عمر الدنيا
حين تقوم الساعة على شرار الناس من الاحياء فيفزع من فى السماوات ومن
فى الأرض .

هذا هو حديث
الصور المشهور
وهو صحيح
كل حقه ذلك
الاربعيني

وأما النفخة الثانية وهي نفخة الصعق

فقد جاء عن ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق فيقول انفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات والأرض الا من شاء الله فاذا هم خابدون) (١) الحديث

وأما النفخة الثالثة وهي نفخة البعث

فانها بداية الحياة الآخرة يأمر الله اسرافيل فينفخ في الصور فتبعث الخلائق من قبورهم أحياء للحساب والجزاء .

وفيها يقول الله تعالى : " ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون " (٢) وقد ذكر الطبري عن السدي " ثم نفخ فيه اخرى " قال في الصور وهي نفخة البعث " (٣) .

(١) ذكره الطبري ٣٠/٢٤ في التفسير .

(٢) سورة الزمر: آية: ٦٨ .

(٣) تفسير الطبري ٣١/٢٤ .

— ((الخلافا في عدد النفخات)) —

اختلف العلماء في عدد النفخات فمنهم من يجعلها نفختين ومنهم من يجعلها ثلاثا والذين جعلوها نفختين جعلوا نفخة الصعق ونفخة الفزع نفخة واحدة والذين جعلوها ثلاثا جعلوا نفخة الفزع نفخة مستقلة عن نفخة الصعق ، ونذكر فيما يلي أقوال العلماء في ذلك وحجة من قال انهما نفختان أو ثلاث أو غير ذلك من أقوالهم .

يقول الرازي :

” **واختلفوا** في الصعقة منهم من قال انها غير الموت بدليل قوله تعالى في موسى عليه السلام (وخر موسى صعقا ^(١)) مع انه لم يميت فهذا هو النفخ الذي يورث الفزع الشديد وعلى هذا التقدير فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع واحد وهو المذكور في سورة النمل في قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض) ^(٢) وعلى هذا القول فنفخ الصور ليس الا مرتين .

والقول الثاني : ان الصعقة عبارة عن الموت والقائلون بهذا القول قالوا انهم يموتون من الفزع وشدة الصوت وعلى هذا التقدير فالنفخة تحصل ثلاث مرات **أولها** (نفخة الفزع وهي المذكورة في سورة النمل .
والثانية) نفخة الصعق .

والثالثة) نفخة القيام وهما مذكورتان في هذه السورة ^(٣))

(١) سورة الأعراف: آية: ١٤٣ .

(٢) سورة النمل : آية: ٨٧ .

(٣) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ١٨ .

وقال ابن كثير عند قوله صلى الله عليه وسلم فى نفخة الفزع وما بعدها
ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصفى لينا ورفع لينا - قال (١) - وأول
من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله
أو قال يتزل الله مطرا كأنه الطل فتنبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه
أخرى فاذا هم قيام ينظرون)
قال " الليت هو صفحة العنق أى امال عنقه ليستمعه من السماء جيدا فهذه
نفخة الفزع ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو الموت ثم بعد ذلك نفخة القيام
لرب العالمين وهو النشور من القبور لجميع الخلائق " (٢)
ويقول الشوكانى : " والنفخات فى الصور ثلاث : الأولى فى نفخة الفزع ،
والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث " ثم قال " وقيل انها نفختان
وان نفخة الفزع اما ان تكون راجعة الى نفخة الصعق أو الى نفخة البعث
واختار هذا القشيرى والقرطبى وغيرهما وقال الماورى هذه النفخة
المذكورة هنا يوم النشور من القبور (ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض)
أى خافوا وانزعجوا لشدة ما سمعوا " (٣)
والبرديسى بعد أن ذكر النفخات ثلاث قال " وقال قوم نفختان فقط
بدليل قوله أخرى واجابوا عن الآية ان المراد ان يلقي عليهم الفزع
حتى يصعقوا واستدلوا على ذلك بقوله ثم نفخ فيه اخرى فالأخرى لاتقال
الا للثانية وجرى على هذا القول البهوى ، والزمخشرى ، والبيضاوى وصححه
القرطبى وصحح بعضهم الأول وقال ان الاخرى تقال للثالثة " قال " والأكثر
انهما نفختان (٤)

(١) راوى الحديث عبد الله بن عمرو .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٧٨ وهو فى صحيح مسلم ٤/٢٢٥٩ .

(٣) فتح القدير ٤/١٥٤ - ١٥٥ .

(٤) تكملة شرح الصدور ص ٤ .

وذكر الألوسى الخلاف في عدد النفخات فقال :-

" وأعلم انهم اختلفوا في عدد النفخات ف قيل ثلاث : نفخة الصعق المذكورة

في قوله تعالى : (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض)^(١)

ونفخة البعث المذكورة في قوله تعالى : (ونفخ في الصور فاذا هم من

الاجداث الى ربهم ينسلون)^(٢) ونفخة الفزع المذكورة في الآية المذكورة هنا^(٣)

يعنى قوله تعالى (ففزع من في السماوات ومن في الأرض) وذكر ان هذا

هو اختيار ابن المبريق^(٤) .

ثم قال : " وقيل اثنتان ونفخة الفزع هي نفخة الصعق لأن الأمرين الفزع

بمعنى الخوف والصعق بمعنى الموت لازمان لها " (٥)

والقرطبي ممن ذهب الى انها نفختان فقط لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص

" ثم ينفخ في الصور فأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم يصعق

الناس ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون " (٦)

فهذا الحديث يدل فيما يذهب اليه القرطبي ان النفخ مرتان لا ثلاثا ثم

قال " وهو الصحيح " (٧) أى وتكون نفخة الفزع هي نفخة الصعق بعينه لاتحاد

الاستثناء في آيتينهما .^(٨)

وقال الألوسى عن رأى القرطبي المذكور : " وتعقب بأنه

لا دلالة في الحديث على عدم النفخة الثالثة^(٩) ، غاية انه وسائر الأحاديث

(١) سورة الزمر : آية : ٦٨ .

(٢) سورة يس : آية : ٥١ .

(٣) - (٨) روح المعاني ٢٠ / ٣١ .

(٩) أى الفزع .

الواردة على نسقه ساكت عنها ولا يلزم من ذلك عدمها وكذا لا دلالة فى اتحاد الاستثناء فى الآيتين ان يكون المذكور فيهما نفخة - واحدة وهذا ظاهر ثم قال والصحيح عندي ما فى القول الأول من ان نفخة الفزع غير نفخة الصعق فان حديث الصحيحين لا تخبرونى من بين الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا انا بموسى عليه السلام آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري أفأق قبلى أو جزى بصعقة الطور صريح فى ان الصعق يوم القيامة وان لا موت فيه فهو فزع بلا موت^(١) فمن قال هسى ثلاث نفخات نفخة الفزع ، ثم نفخة الصعق ، وهو الموت ، ثم نفخة البعث فقد اصاب فى التفرقة بين نفخة الفزع ونفخة الصعق الا انه لم يصب فى زعمه ان نفخة الفزع قبل نفخة الصعق^(٢) ، كيف وقد دل حديث الصحيحين المذكور على عموم حكم نفخة الفزع للأنبياء عليهم السلام الذين ماتوا قبل نفخة الصعق أى الموت .

ثم نقل عن القاضى عياض قوله : " ان نفخة الفزع بعد النشر حين تنشق السماوات والأرض وعلى هذا فان النفخات تكون أكثر من ثلاث وهو ما نص عليه بقوله " فظهر ان النفخات ثلاث بل أربع نفخة يميت الله تعالى جميع الخلق بهما كما جاء فى الحديث وعند ذلك ينادى سبحانه لعن الطلح اليوم وينادى على ذلك قوله تعالى (كل شىء هالك الا وجهه) (٣)

(١) وهذا يحصل فى الموقف كما سيأتى .
(٢) هذا بناء على ان نفخة الفزع هى التى تحدث بعد نفخة الصعق وبعد نفخة البعث والخلائق كلهم احياء وهذا القول لا يتفق مع قول من يجعل نفخة الفزع هى التى تحصل فى آخر عمر الدنيا .
(٣) سورة القصص : آية : ٨٨ .

ونفخة البعث كما نطق به قوله تعالى (ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث
الى ربهم ينسلون)^(١) ونفخة الصعق وهي نفخة الفزع بعينها وقد سمعت
آيتيهما ونفخة للفاقة كما قال تعالى بعد ذكر نفخة الصعق(ثم نفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون) (٢)

ثم قال : " وقد عرفت ما في زعم ان نفخة الصعق هي نفخة الفزع بعينها فتدبر)^(٢)
قال الألوسي : " وتعقبه بعضهم بأنه يلزم حينئذ على القول بالمفايسرة
بين نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ان تكون النفخات خمسا ولم نسمع متنفسا
يقول بذلك وأيضا فيه القول بأن نفخة الصعق بعد نفخة البعث وبأبواه
قوله صلى الله عليه وسلم انا أول من تنشق عنه الأرض فأرفع رأسي فاذا موسى
متعلق بقائمة من قوائم العرش فما ادري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله
تعالى " فان انشقاق الأرض عنه صلى الله عليه وسلم بعد نفخة البعث
لا محالة فاذا عقبه رفع رأسه صلى الله عليه وسلم ومفاجأة كون موسى عليه
السلام متعلقا بقائمة من قوائم العرش فأين نفخة الصعق^(٤) "

وسياتى بيان توجيه العلماء لهذا الحديث .

وما تقدم نقله يتبين لنا الأمور الآتية :-

١- ان أكر العلماء على ان النفخات ثلاث نفخة الفزع ، والصعق ، والبعث

على القول الراجح .

(١) سورة يس: آية: ٥١ .

(٢) سورة الزمر: آية: ٦٨ .

(٣) روح المعاني ٢٠ / ٣١ - ٣٢ .

(٤) روح المعاني ج ٢٠ ص ٣٢ والحديث في صحيح البخارى ج ٦ ص (٤٤١) .

٢- ان نفخة الفزع هي النفخة الأولى ثم تتبعها نفخة الصعق وان بعضهم قد خالف في هذا جاعلا نفخة الفزع ، ونفخة الصعق بمعنى واحد أو جعلها ضمن نفخة البعث .

٣- ان القول بأن نفخة الفزع قبل نفخة الصعق هو ما ذهب اليه كثير من العلماء ، وبعضهم يخطئ من يذهب الى هذا كما ذكر ابن الكمال والقاضي عياض كما نقل عنه الألويسي قوله في نفخة الفزع بأنها تكون بعد النشر حين تنشق السماوات والأرض وهذه النفخة غير نفخة الفزع الأولى التي تقع في آخر عمر الدنيا .

٤- القول بتعدد النفخات الى أكثر من ثلاث كما نقله الألويسي عن القاضي عياض ليس عليه نص ثابت .

وان من ذهب الى انها أكثر من ثلاث يقول " نفخة الموت لجميع الخلق ونفخة البعث ، ونفخة الصعق وهي نفخة الفزع بعينها ، ونفخة الافاقة وانه قد تعقب هذا القول بأنه يلزم من القول بالمفايرة بين نفخة الفزع ونفخة الصعق أن تكون النفخات خمساً أي نفخة الموت ، ونفخة البعث ونفخة الصعق ، ونفخة الفزع ، ونفخة الافاقة وهذا قول قد رده العلماء .

٥- القول بأن نفخة الصعق تكون قبل نفخة البعث هو ما ذهب اليه كثير من العلماء بناء على ان نفخة الصعق التي تكون بعد البعث هي نفخة خاصة تحصل عند نزول الله لفصل القضاء ، لان نفخة الصعق التي تعقب النفخة الأولى نفخة الفزع ، وذهب بعضهم الى القول بأن جعل نفخة البعث ياباه قوله صلى الله عليه وسلم انا أول من تنشق عنه الأرض فأرفع رأسى الخ . . . الحديث كما ذكره الألويسي ، فان العلماء قد اجابوا

عن هذا الحديث ، والحديث الآخر الذى يمارضه وهو قوله صلى الله عليه وسلم " ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا موسى أخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلى أم جوزى بصعقة يوم الطور " .
يقولهم ان هذا الصعق المذكور فى الحديث يراد به الصعق الحاصل فى موقف القيامة اذا جاء الله لفصل القضاء واشرقت الأرض بنور ربها فحينئذ يصعق الخلائق كلهم وان هذه الرواية هى المحفوظة وأما الرواية الأولى فان الراوى لها أدخل حديثاً فى حديث حيث أدخل الرواية الأولى على الثانية فنشأ الاشكال .

قال العلامة ابن ابى العزرحمى الله بعد ان ذكر الرواية الأولى والرواية الثانية قال : " قيل لاريب ان هذا اللفظ قد ورد هكذا ومنه نشأ الاشكال ولكنه دخل فيه على الراوى حديث فى حديث فركب بين اللفظين فجاء هذان الحديثان هكذا احدهما " ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق كما تقدم .

والثانى : " أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة " فدخل على الراوى هذا الحديث فى الآخر ثم قال ابن ابى العز " ومن نبه على هذا أبو الحجاج المزى وبعده الشيخ شمس الدين بن القيم وشيخنا الشيخ عماد بن كثير رحمهم الله ، وكذلك اشتبه على بعض الرواة فقال " فلا أدري أفاق قبلى أم كان ممن استثنى الله عز وجل " .

والمحفوظ الذى تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول وعليه المعنى الصحيح فان الصعق يوم القيامة لتجلى الله لعباده اذا جاء لفصل القضاء فموسى عليه السلام ان كان لم يصعق معهم فيكون قد جوزى بصعقة يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكا فجعلت صعقة هذا التجلى عوضاً عن صعقة الخلائق

لتجلى ربهم يوم القيامة * ثم قال ابن ابي العز * فتأمل هذا المعنى العظيم
ولا تهمله * (١)

وقال البرديسي : * قال شيخنا في شرح عقيدة الرسالة^(٢) وهذه الصمقة
ليست صمقة الموت بل هي صمقة ثالثة تقع للناس يوم القيامة اذا تجلى الله
للفصل بين العباد يوم المعاد وهو المشار اليها بقوله (فذرهم يخوضوا ويلعبوا
حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) (٣) (الطور : ٤٥) .

(١) الطحاوية ص ٤٦٢ ، ٤٦٨ .

(٢) الرسالة الشعرية .

(٣) تكملة شرح الصدور ص ١٢ .

٣- (الأدلة على اثبات النفخ في الصور) -

١- من القرآن الكريم .

٢- من السنة النبوية .

=====

(١) ((الأدلة من القرآن الكريم على اثبات النفخات))

ففى الصور
=====

ذكر الله سبحانه وتعالى عدة آيات فى اثبات ان النفخ فى الصور
المعظم يحصل حينما يأمر الله بذلك حسب ما يريد سبحانه من تضييـ
وقد ذكر الله تعالى فى كتابه الكريم هذا النفخ فى أكثر من آية ما يدل على
اهميته ومدى خطورته لكى يدرك ألتك الهاربون عن ربهم وهم لا يمـ
ان هذه الحياة التى قد غرتهم ليست بشىء فى تنتهى بنفخة واحدة
فاذا بها كأن لم تكن بالأمس نفخة واحدة فاذا بالفزع قد بلغ من كل نفس
منتهاه ، وبنفخة أخرى فاذا هم اجساد بلا أرواح ثم بنفخة ثالثة فاذا هم
قيام ينظرون فأى قدرة أعظم من هذا وأى جهل أعظم من جهل من أغرض
عن ربه واغتر بقوته ، ونسى انه يموت بنفخة ويحيا بنفخة رغم هذا التعالى
الذى قد ملأ رأسه وجميع مشاعره .

وسنذكر فيما يلى مصداق ما قدمنا من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه
صلى الله عليه وسلم والواقع ان الله تعالى قد ذكر النفخ فى الصور ففى
ما يعقوب اثنى عشر موضعا فى كتابه الكريم ونذكر من تلك الآيات .

قوله تعالى : (ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض الا

من شاء الله وكل اتوه داخرين) (١)

٢- (ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض الا من شاء الله

ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون) (٢)

(١) سورة النمل : آية : ٨٧ .

(٢) سورة الزمر : آية : ٦٨ .

٣- فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة

واحدة (١)

٤- (ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون) (٢)

٥- (ونفخ في الصور فجمعناهم جميعا) (٣)

٦- (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) (٤)

٧- (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) (٥)

٨- (فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) (٦)

٩- (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) (٧)

١٠- (قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو

الحكيم الخبير) (٨)

وهذه الآيات وغيرها تدل دلالة واضحة ليس بعدها خفاء على حتمية

وقوع النفخ في الصور ~~محتلة على ذكر النفخات الهائلة ، نفخة الفجر~~

~~ونفخة الصبح ، ونفخة البعث .~~

وستتبع ذلك بذكر أدلة أخرى من السند النبوية فيما يأتي :-

-
- (١) سورة الحاقة : آية :
 - (٢) سورة يس : آية : ٥١ .
 - (٣) سورة الكهف : آية : ٩٩ .
 - (٤) سورة طه : آية : ١٠٢ .
 - (٥) سورة النبأ : آية : ١٨ .
 - (٦) سورة المؤمنين : آية : ١٠١ .
 - (٧) سورة ق : آية : ٢٠ .
 - (٨) سورة الأنعام : آية : ٧٣ .

(٢) ((الأدلة من السنة على اثبات النفخ في الصور))

رأينا كيف اهتم القرآن الكريم بذكر النفخ في الصور وكيف كرهه لتقريره
وتثبيته في النفوس في أكثر من آية وبين سبحانه وتعالى نتيجة كل نفخة
وما يحصل بسببها من التغيير الهائل وبعد ذكر تلك الآيات التي تدلنا
على مدى أهمية تلك النفخات ومدى عناية القرآن الكريم بذكرها يجب معرفة
انه قد جاءت السنة النبوية فبينت كذلك هذا الأمر العظيم واعتنت بذكره
عناية شديدة فتكرر ذكره في أكثر من حديث ، كما نتبين ذلك من عرض
الأحاديث الآتية : عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : (بينما يهودى يعرض
سلمته اعطى بها شيئا كرهه فقال لا والذي اصطفى موسى على البشر فسمعه
رجل من الأنصار فقام فظلم وجهه وقال : تقول والذي اصطفى موسى على
البشر والنبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فذهب اليه فقال ابا القاسم
ان لى ذمة وعهدا فما بال فلان لطم وجهى فقال لم لطمت وجهه ؟
فذكره فغضب النبى صلى الله عليه وسلم حتى رؤى فى وجهه ثم قال لا تفضلوا
بين أولياء الله فانه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السماوات ومن فى الأرض
الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى فأكون أول من يموت فاذا موسى آخذ
بالمرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلى) (١)
وفى رواية لمسلم عن ابي هريرة " (لا تخيرونى على موسى فان الناس يصعقون
فأكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن
صعق فأفاق قبلى أم كان ممن استثنى الله) (٢)

(١) البخارى ج ٦ ص ٤٥١ ، ومسلم ٤ / ص ١٨٤٤ .

(٢) مسلم : ج ٤ ص ١٨٤٤ .

وعن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (انى أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فاذا انا بموسى متعلق بالعرش فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة) (١)

وقد قدمنا ذكر حديث عبد الله بن عمرو . (٢)

واخرج الامام أحمد عن ابن عباس فى قول الله تعالى (فاذا نقر فسى الناقر) (٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ فقال اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا) (٤) وأخرجه كذلك الترمذى عن ابي سميد (٥)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : جاء اعرابى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور ؟ قال قرن ينفخ فيه) (٦)

فهذه النصوص صريحة فى اثبات الصور ونفخ اسرافيل فيه النفخات

المذكورة .

ومنها النفخة الثالثة وهى نفخة البعث قال ابن كثير:

فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله تعالى وعزتى وجلالى لترجمن كل روح الى جسدها فتدخل الأرواح فى الأرض الى

(١) البخارى : ٥٥٦/٨
(٢) الليث صفحة العنق ومعنى الاصفاء الامالة أى أمال صفحة عنقه وقد تقدم شرحه . وخرجه ايضا فى ص ١٥٩
(٣) سورة المدثر: آية : ٨ .
(٤) أخرجه أحمد : ٣٢٦/١ .
(٥) الترمذى ج ٤ ص ٦٢٠ وقال : حديث حسن .
(٦) أخرجه الترمذى ج ٤ ص ٦٢٠ .
وقال " هذا حديث حسن " وأخرجه أبو داود ٥٣٧/٢

الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشى في الأجساد مشى السم فسى
اللد يغ ثم تنشق الأرض عنكم (١)

ويقول السفاريني : " قال المفسرون المنادى هو اسرافيل عليه السلام
ينفخ في الصور وينادى أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحم
المتمزقة والشعور المفترقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء (٢)
ثم بعد هذا يساقون الى الموقف ليقع فيه ما سذكركه عند بحث الموقف .

(١) النهاية لابن كثير ج ١ ص ٢١٢ .
(٢) لوامع الأنوار ج ص ١٦٦ .

— (مقدارما بين النفختين) —

وعلى القول بأنهما نفختان أى نفخة الفزع والصعق ، ونفخة البعث^(١)
فان بينهما اربعين يوما أو سنة أو شهرا حسب ما جاء فى حديث ابي هريرة
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما بين النفختين اربعون
قالوا ياأبا هريرة اربعون يوما قال أبيت قال اربعون سنة قال أبيت قال
اربعون شهرا قال : أبيت ويلى كل شىء من الانسان الأعجب ذنبه فيه
يركب الخلق) (٢)

وسبب امتناع أبو هريرة عن التعمين انه ليس عنده الجزم بالتعمين قال
ابن حجر : " وزعم بعض الشراح انه وقع عند مسلم اربعين سنة ولا وجود لذلك"
وذكر روايات أخرى فى التحديد وضمفها كرواية التحديد بأربعين سنة
أو أربعين جمعة^(٣) . وقال عن الأخيرة انها منقطعة .

وذكر القرطبي ان الحلبي قال : " اتفقت الروايات على ان بين النفختين
اربعين سنة وذلك بعد أن يجمع الله تعالى ماتفرق من أجساد الناس"^(٤)
وذكر البرديسى تبعا للسيوطى ان بين النفختين اربعين سنة من
سني الدنيا .^(٥)

وقد سبق رد ابن حجر على مثل هذا القول .

(١) انظر تكملة شرح الصدور ص ١١٠ .

(٢) البخارى ٥٥١/٨ ،

ومسلم ٢٢٧٠/٤ ، ٢٢٧١ .

(٣) فتح البارى ٥٥٢/٨ .

(٤) التذكرة ص ١٨٤ .

(٥) تكملة شرح الصدور ص ٩ .

— (الفصل العاشر) —

— (صفة حشر الخلق وانهم على صور شتى) —

- ١- حشر الخلق حفاة عـرارة غرلا
- ٢- حشر الكفار يسحبون على وجوههم .
- ٣- حشر المتكبرين .
- ٤- حشر السائلين .
- ٥- حشر أصحاب الغلول .
- ٦- حشر أهل الوضوء أهل الفزة والتحجيل .
- ٧- حشر الشهداء .

حينما يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين يساقون الى المحشر^(١) لفصل القضاء
ولتجزى كل نفس بما تسعى فيجزى كل عامل ما يستحق من الجزاء ان خيرا
فخير وان شرا فشر .

ولكن كيف يكون مجيئهم للحشر؟

والجواب: قد بينت السنة النبوية الهيئات التي يأتي بها الخلائق وهمى

هيئات وحالات مختلفة اما حسنة واما قبيحة بحسب ما قدموا من خير ، وشر
وايمان ، وكفر وطاعة ، ومعصية فيتزود لها بالعمل الصالح .

ومن تلك الهيئات الأمثلة الآتية :-

١- ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن حالة الناس عند حشرهم لفصل القضاء
مؤمنهم وكافرهم من أنهم يكونون فى هيئة واحدة لاعد لهم بها فى الدنيا
ولا يتصورون حدوشها ولهذا فقد كثر التساؤل والاستغراب لتلك الحالة
حينما اخبرهم بها الرسول صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الذى
ترويه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (تحشرون حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت يا رسول الله الرجال
والنساء ينظر بعضهم الى بعض فقال الأمر أشد من ان يهيمم ذاك) (٢)

(١) ذهب البرديسى الى ان مكان الحشر هو أرض الشام مستدلا بما اخرج
البزار فى مسنده من حديث ابى ذر الضفارى قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشام أرض المحشر والمنشر (أى البقعة التى يجتمع
الناس فيها الى الحساب وينشرون من قبورهم ثم يساقون اليها ثم ذكر
سبب ذلك وهو انها " انما . . . صت به لأن الانبياء بعثوا منها فأنتشرت فى
العالم شرائعهم فناسب كونها أرض المحشر " .

تكملة شرح الصدور ص ١٦ . والله أعلم بحقيقة ذلك .
(٢) اخرجه البخارى ج ٧ ص ١٩٥ . ومسلم ج ٨ ص ١٥٦ . ونحوه أخرجه
النسائى ج ٤ ص ١١٥ .

ومعنى حفاة : أى تمشون على أرجلكم دون نعل أو خف .
والعارى هو من لا ثوب له على جسده ، والأغرل هو الذى لم يختتن أى ان
البشر يرجعون كهيتتهم يوم ولدوا حتى ان الفزلة ترجع وان كان قد اختتن
صاحبها فى الدنيا تحقيقا لقوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) (١)
وقد ورد هذا المعنى فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قام فىنا
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : (انكم محشورون حفاة عراة) كما
بدأنا أول خلق نعيده) (٢)

٢- يحشر بعض الناس (وهم الكافرون) وهم يسحبون فى المحشر على
وجوههم وكم يستغرب كثير من الناس هذه الحال لأنهم فى الدنيا لم يعرفوا
تلك الحال ولم يتصوروا وقوعها ومع انها حالة غريبة لكنها غير منفية لا عقلا
ولا نقلا فأما العقل فانه لا ينفى وقوعها وذلك اذا علمنا ان القدرة لله على
كل شىء أمرهين فان الذى أمشى هؤلاء على الرجلين له القدرة على أن
يمشيهم على وجوههم بل لو أراد الله ذلك لحصل فى الدنيا فضلا عن الآخرة .
ومصداق ما قدمنا ما جاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه كما فى الصحيحين
ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال أليس الذى
أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على ان يمليه على وجهه يوم القيامة
قال قتادة بلى وعزة ربنا^(٣)

قال ابن حجر فى بيان معنى المشى المذكور فى الحديث " قوله أليس الذى
أمشاه . . . الخ " ظاهر فى ان المراد بالمشى حقيقته فذلك استفرسوه

(١) سورة الأنبياء : آية : ١٠٤ .

(٢) أخرجه البخارى ج ٧ ص ١٩٥ .

(٣) البخارى ج ٧ ص ١٩٤ ، مسلم ج ٨ ص ١٣٥ .

حتى سألوا عن كفيته^(١) ثم رد على الذين يزعمون أن هذا هو مثل ضربه
النبي صلى الله عليه وسلم بأن "الجواب الصادر عن النبي صلى الله عليه
وسلم ظاهر في تقرير المشى على حقيقته" أي فلا حاجة الى صرف الكلام
عمن ظاهره ومعلوم أن أمر الآخرة وأحوالها غير أمر الدنيا وأحوالها
فكل شيء في الآخرة جديد ولا عهد للناس به فهي حياة أخرى لها مميزات
وكيفيات لا توجد في الدنيا وليس على الله بعزيز في أن يمشى الكافر على
وجهه ان لو أراد الله ذلك في الدنيا لكان حاصلًا فيها ولكن أمرًا مألوفًا
كما هو الحال في المشى على الرجلين .

ولله تعالى فوق هذا كله حكم قد ندرکہا ، وقد لاندركہا فان الكافر في
الدنيا كان ذاعوا واستكبار يمشى على رجله متبخترا معتزا بنفسه لا يحميني
رأسه لشيء غير هواه فلا يمر ف التواضع لله في شيء بل كان يستتكف من
السجود لربه والخضوع له وهذا ما ذهب اليه ابن حجر في بيان حكمة هذا
المشى حين قال " والحكمة في حشر الكافر على وجهه انه عوقب على عدم
السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهه في القيامة اظهارا لهوانه
بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقى عن المؤذيات " (٢)
وكثرة النصوص في هذا الموضوع تمنع كونه من باب التشليل فهو اذا على حقيقته
فلا ينبغي تأويله بالاضافة الى انه من الأمور الممكنة عقلا وليست من قبيل
المستحيلات على الله تعالى كما سبق .

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٢٨٢ .

(٢) نفس المرجع السابق .

٣- ((حشر المتكبرين)) -

ومن الأوصاف الأخرى التي وردت في السنة لحشر فئات من الناس صنف من الناس يحشرون في أحقر صفة وأذلها وهؤلاء هم المتكبرون فلأنهم في الدنيا يمشون في كبرهم وتبخترهم على الناس عالية رؤسهم عن التواضع لله أول خلقه هؤلاء المستكبرون ورد في صفة حشرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مارواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يحشر المتكبرون يوم القيامة امثال الذر في صور الرجال يفشاهم الذل من كل مكان)^(١) الحديث .
وفي رواية عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر يطؤونهم الناس بأقدامهم فيقال ما هؤلاء فسى صور الذر فيقال هؤلاء المتكبرون في الدنيا)^(٢)
وهذه الحالة المخزية تناسب ما كانوا فيه في الدنيا من تعاضم وغرور بأنفسهم لأنهم كانوا في الدنيا يتصورون انفسهم أعظم وأجل المخلوقات فجعلهم الله في دار الجزاء أحقر المخلوقات وأصفرها .

(١) صححه الترمذى ج ٤ ص: ٦٥٥ وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) قال المنذرى ج ٤ ص ٣٨٧ رواه البزار .

(٤) (حشر السائمين) -

ومن الصور الأخرى التي تشاهد في يوم القيامة صور آلتك السائمين الذين يسألون الناس وعندهم ما يفنيهم يأتون يوم القيامة وفي وجوههم خموش أو كدوح أو يأتون وليس في وجوههم مزعة لحم يعرفهم الناس كلهم وهذا ماورد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم) (١)

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سأل وله ما يفنيه جاءت خموشا أو كدوحا في وجهه يوم القيامة) (٢) والجزء من جنس العمل .

والمزعة هي : " يضم الميم وحكى كسرهما وسكون الزاى بمدّها مهطة أى

قطعة " وقال ابن التين ضبطه بعضهم بفتح الميم والزاى "

قال ابن حجر: "والذى احفظه عن المحدثين الضم" .

ومعنى الحديث: " قال الخطابى يحتل ان يكون المراد انه يأتى ساقطا لا قدر له ولا جاه أو يمدب في وجهه حتى يسقط لحمه لمشاكله العقوبة ففى مواضع الجناية من الأعضاء لكونه اذل وجهه بالسؤال او انه يبعث ووجهه عظم كله فيكون ذلك شعاره الذى يعرف به " والمعنى الأول الذى ذكره الخطابى تأويل للحديث بغير معناه ولهذا قال ابن حجر: " والأول صرف للحديث عن ظاهره " . وان كان قد ورد ما يؤيده وهو ما أخرجه الطبرانى

(١) صحيح البخارى ٣/٢٣٨٠

(٢) أخرجه النسائى ٥/٩٧٠

والبزار من حديث مسعود بن عمرو مرفوعا (لا يزال العبد يسأل وهو غنى حتى يخلق وجهه فلا يكون له عند الله وجه) .
(وقال ابن ابي جمرة : معناه انه ليس في وجهه من الحسن شيء لأن حسن الوجه هو بما فيه من اللحم ومال المهلب الى حملة على ظاهره)
ثم ذكر ان السرفى ذلك هو (ان الشمس تدنو يوم القيامة فاذا جاء اللحم بوجهه كانت اذية الشمس له أكر من غيره) قال - يعنى المهلب - والمراد به من سأل تكبرا وهو غنى لاتحل له الصدقة واما من سأل وهو مضطر فذلك مباح له فلا يعاقب عليه (١)

(١) انظر: فتح البارى ج ٣ ص: ٣٣٩ .

٥- (حشر أصحاب الفلول ^(١)) -

ومن المشاهد كذلك مشهد أقوام يأتون حاملين أثقالا على ظهورهم كالبعير والشاة وغيرهما وهؤلاء هم أهل الفلول فانهم يحشرون في هيئة تشهد عليهم بالخيانة والفلول اسام الخلق اجمعين فمن غل شيئا في حياته الدنيا ولم يظهره فسيظهره الله عليه يوم يبعث يكون علامة له وزيادة فسى النكابة وتشهيرا بجريمته يحمل ماغل على ظهره ، ومصداق هذا ما جاء في كتاب الله عز وجل حيث قال : (وما كان لنبي أن يغل ، ومن يفلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (٢) قال قتادة في معنى الآية :

" كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غنم مفعما بعث مناديا الا لا يفلن رجل مخيطا فمادونه الا لا يفلن رجل بعيرا فيأتى به على ظهره يوم القيامة له رغاء الا لا يفلن رجل فرسا فيأتى به على ظهره يوم القيامة له حمحة) (ز وما جاء في السنة النبوية كما في حديث أبى مسعود الأنصارى قال " بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم ساعيا ثم قال انطلق ابا مسعود لا ألفينك يوم القيامة تجبى " وعلى ظهرك بعير من اهل الصدقة له رغاء قد غلته قال اذا لانطلق قال اذا لا اكرهك " (٣)

وسنذكر مزيد بيان لهذا فى مهت الحساب .

والخلاصة : ان مات على عمل بعث عليه .

(١) الفلول : له معان كثيرة الا ان المراد به هنا الأخذ من بعض الفنائم

على سبيل الخفية ، انظر: تفسير القرآن العظيم ١/٤٢٠ - ٤٢١ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ج ٤ ص ١٦١ .

(٣) أخرجه أبو داود ج ٢ ص : ١٢٢ .

قال البرديسي في شرح حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يبعث كل عبد على ما مات عليه " .
قال : " أى على الحالة التى مات عليها من خير أو شر فالزاهر يأتى يوم القيامة بمزمارة والسكران بقدحه ، والمؤذن يؤذن ونحو ذلك (١)

(١) تكملة شرح الصدور ص ١٢٠

(٦) (حشر أهل الوضوء ، أهل الخفة والتحجيل)

وإذا كان من قدمنا ذكرهم كانوا أمثلة سيئة لمن يعمل أعمالهم فإنه في الجانب الآخر نجد من يتسم بالصفات الحميدة ولهذا فإنه يبعث حميدا عليه سيما أهل الصلاح والتقوى سيما أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الغر والتحجيل بسبب آثار الوضوء وهي كرامة من الله تعالى لا وليائه واحبائه كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة (ان امتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء) فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل (١) وكما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبد الله بن بسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال امتي يوم القيامة غر من السجود محجلون من الوضوء (٢)

(٧) (حشر الشهداء)

ومن المشاهد الأخرى مشهد لا قوام يحشرون ودماءهم تسيل عليهم وهم الشهداء فانهم يحشرون ودماءهم تسيل كهيئتها يوم جرحت في الدنيا تفجر دما كما ورد عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل كلم بكلمة المسلم في سبيل الله ثم تكون يوم القيامة كهيئتها اذا طعنت تفجر دما اللون لون دم والصفراء صفراء المسك) الى آخر الحديث . (٣) وهذا اكرام لهم وبيان لمزاياهم وتشهيرا بمواقفهم وعلو مقامهم عند الله تعالى لأن الجزاء من جنس العمل .

(١) أخرجه البخاري ج ١ ص : ٤٣ . مابسه الوضوء ص ٩ ص ١٢٥ ص ١٢٦ ص ١٢٧
(٢) أخرجه الترمذي ج ٢ ص : ٥٠٦ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث عبد الله بن بسر .
(٣) أخرجه مسلم ج ٤ ص : ٥٤٠ ، والترمذي مع اختلاف في بعض الألفاظ .
١٨٤ / ٤ ، وينحوه عند النسائي ٢٥ / ٦

قال النووي " وأما الكلم بفتح الكاف واسكان اللام فهو الجرح ويكلم
باسكان الكاف أى يجرح " قال " وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم
بفسل ولا غيره والحكمة فى مجيئه يوم القيامة على هيئته ان يكون معه
شاهد فضيلته وبذله نفسه فى طاعة الله تعالى " (١)

ويلخص البرديسى أحوال البشر فى مجيئهم الى الموقف فيقول " وأعلم أن
الناس يحشرون يومئذ على ثلاثة أصناف ركبانا ، ومشاة ، وعلى وجوههم .
قال تعالى : (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى
جهنم وردا) (٢)

ثم قال " الوفد فى اللغة القوم المكرمون يفدون من بلادهم فى جماعتهم
الى ملكهم فينزلون ويكرمهم والورد المطاش يساقون كما تساق الأبل وغيرها
من الأنعام فتسوقهم الملائكة باسياط النار الى النار وقوم يمشون على
وجوههم .

وقال بعضهم اذا قام الناس من قبورهم لفصل القضاء حضروا على أحوال
مختلفة فمنهم من يكسى ، ومنهم من يحشر عريانا ومنهم راكبا ومنهم ماشى
ومسحوب على وجهه ، ومنهم من يذهب الى الموقف راغبا ، ومنهم من يذهب
خائفا ، ومنهم من تسوقه النار سوفا) (٣)

وقوله " ومنهم راكبا " هذه المسألة مما أكثر فيه المؤلف الكلام عنها وان كان
القول بأن الناس يأتون ركبانا يخالف ما ثبت فى الصحيح من انهم يأتون
" حفاة عراة غرلا " الا ان المؤلف جمع بين أقوال من ذهب الى انهم يأتون
ركبانا وبين هذا النص وما جاء فى معناه بقوله " ثم ان الروايات التى فيها

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ٥٤١

(٢) سورة مريم : آية ٨٥ - ٨٦

(٣) تكملة شرح الصدور ص ١٨

الركوب في المحشر يخالف حديث الصحيحين ان الناس يحشرون حفاة عراة
ولا يبعد ان يكون الركوب في المحشر لبعض السعداء فيكون حديث الصحيحين
محمولا على بعض الصور * (١)

قال : وجاء ان المؤذن والمطبخ يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن
ويلبى المطبخ ، وجاء ان النابحة تخرج من قبرها شمعا غيرا عليها جلباب
من لعنه ودرع من نار يدها على رأسها تقول واويلاه ، وفي رواية النابحة
اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران أى قميص
من قطران لأنه ابلغ في الاشتعال ودرع من جرب أى يصير جلدها أجرب
حتى يكون كقميص على بدنها والذين يأكلون الربا ينبعثون كالمجانين عقوبة
لهم ويجعل معهم شيطان يخنقهم ، ومن مات على مرتبة من المراتب بعث
عليها يوم القيامة فمنهم أقوام يحشرون على صفة القردة وهم القثاؤون فسى
الناس أى النمامون وآخرون على صفة الخنازير هم أهل السحت وآخرون
ناكسو رؤسهم ، وأرجلهم فوق رؤسهم وهم أهل الربا وآخرون عميا وهم الذين
يجورون فى الحكم صا بكما وهم المحجبون بأعمالهم وآخرون يسيل من أفواههم
القيح يستقذرهم أهل الجمع وهم الصلماة الذين تخالف أقوالهم أفعالهم
وآخرون اشد نتنا من الجيفة وهم الذين يتبعون الشهوات واللذات وآخرون
كالسكارى وهم الذين يئتمون حق الله من أموالهم وآخرون عليهم سـرابيل
من قطران لاصقة بجلودهم وهم الذين يشنون بالغيبة والنميمة ، ومن مات
على مرتبة بعث عليها (٢)

(١) تكلية شرح الصدور ص ١٨ ثم عزاه الى القرطبي .

(٢) تكلية شرح الصدور ص ١٨ .

ونكفي هنا بما قدمنا من الأمثلة لبيان إختلاف الناس وتباينهم عند المحشر وان كانت هناك صور أخرى سنذكرها ان شاء الله في باب الحساب وقد اتضح مما تقدم عرضه من الأحاديث أنها اضافة الى اثبات البعث وانه أمر واقع لا بد منه ان المبعوثين يكونون على كفيات مختلفة حسب أعمالهم التي قدموها في دار الدنيا وأنهم يأتون الى الموقف اصنافا شتى وعلى هيئات غريبة لم ير مثلها في الدنيا فهذا يسحب على وجهه بدلا من المشى على رجله لأن جزاءه هو هذه الحال التي هي أخط ما يكون من الخزي ؛ والهوان وذاك يحشر في أذل ما يكون يحشر في صورة ذرة حقيرة يدوسها الناس بأقدامهم وهم في صور الرجال يخشاهم الذل من كل مكان لأن جزاءهم الضاسب هو جعلهم في هذه الحال الحقيرة وهناك فريق آخر من الناس يأتون الى الموقف وفي وجوههم خموش أوكدوح أو يأتون وليس في وجوههم مزعة لحم لأنهم لم يصونوها في الدنيا فعاقبتهم الله في الآخرة بما يناسب أعمالهم السيئة .

ومن الناس من يأتي ودمه يسيل من جسده طريا كأنما جرح في ساعته تلك اكراما له واطهار الشرفه وفضل عمله الذي قدمه في الدنيا الى آخر ماورد من الصفات والمشاهد مما ذكر في الأحاديث الشريفة واستفاضت بها الروايات .

مسائل

- ١- الحكمة في اعادة الخلق غيرلا .
- ٢- بعث الموتى في اكفانهم .
- ٣- هل تحشر بقية المخلوقات غير الجن والانس .
- ٤- دفع تعارض .

=====

— (الحكمة فى اعادة الخلق عرلا) —

عرفنا فيما مضى ان الناس يبعثون على هيئات مختلفة حفاة ، عراة عرلا والحفاة ، والمرأة معروفون ، والأغرل هو الذى لم يبعثن وهنا يمرض سؤال وهو ما الحكمة التى لأجلها يعاد بنو آدم عزلا من ابعثن منهم ومن لم يبعثن الظاهر من كلام الامام ابن القيم أنه يرى أن تلك الفزلة التى حدثت فيهم لم تكن فى وقت قيامهم من القبور وانما حدثت بعد ذلك وطسى فرض انهم بعثوا كذلك فان تلك الفزلة لا يلزم ان تكون معهم دائما بل يحتمل ان تبقى ويحتمل ان تزول اذ ليس هناك نص يقطع هذا الاحتمال قال ابن القيم فى ذلك ما نصه : " لما وعد الله سبحانه وهو صادق الوعد الذى لا يخلف وعده أنه يعيد الخلق كما بدأهم أول مرة ، كان من صدق وعده أن يعيده على الحالة التى بدأ عليها من تمام اعضاءه وكمالها .

قال تعالى (يوم نطوى السماء كطى السجل للكاتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) (١)

وقال تعالى : (كما بدأكم تعودون) (٢) وأيضاً فان الختان انما شرع فى الدنيا لتكميل الطهارة والتنزه من البول ، وأهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون فليس هناك نجاسة تصيب الفزلة فيحتاج الى التحرز منها والطفة لا تمنع لذة الجماع ولا تعوقه .

هذا ان قدر استمرارهم على تلك الحالة التى بعثوا عليها والا فلا يلزم من كونهم يبعثون كذلك ان يستمروا على تلك الحالة التى بعثوا عليها فانهم

(١) سورة الأعراف: آية: ٢٩ .

(٢) سورة الأنبياء: آية: ١٠٤ .

يبعثون حفاة عراة بهما ثم يكسون ويمد خلقهم ويزاد فيه بعد ذلك ييزاد
فى خلق أهل الجنة ، وأهل النار .

والا فوقت قيامهم من القبور يكونون على صورتهم التى كانوا عليها فى الدنيا
وعلى صفاتهم ، وهيئاتهم ، وأحوالهم فيبعث كل عبد على ما مات عليه ثم
ينشئهم الله سبحانه كما يشاء وهى تلك الفرلة التى كملت خلقهم فى
القبور أو تزول يمكن هذا وهذا ولا يعلم بخبر يجب المصير اليه والله
سبحانه وتعالى أعلم " . (١)

وهنا يمرض سؤال آخر وهو هل تتغير الأجسام فى المحشر أو فى الجنة قال
البرديسى فيما ينقله عن شرح الجوهرة :

" الناس فى الموقف يكونون على حالتهم التى خلقوا عليها فاذا دخلوا الجنة
دخلوها جررا مردا ابناء ثلاث وثلاثين على عظم آدم طول كل واحد
ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع لا يزيدون ولا ينقصون لا يأكلون لجموع
ولا يلبسون لبرد بل للتلذذ والتعم " (٢)

قال : " وأما اجسام الكفار فمختلفة المقادير حتى ورد أن ضرس الكافر مثل
أحد وفخذه مثل ورقان جبلان بالمدينة " (٣)

ونشير هنا الى مسألة ظهرت فى هذا الزمان فى عالم الطب وهى قضية زرع
القلوب فقد اصبح اجراء هذه المسألة أمرا عاديا فى البلاد الغربية ،
والبلاد الأخرى .

(١) تحفة المودود ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) - (٣) تكملة شرح الصدور ص ٣٨ .

هل هذه الأعضاء التي أخذت من جسم وزرعت في جسم آخر هل ستعود عند البعث الى الجسم الأول أم الى الجسم التي زرعت فيه ؟ والذي يظهر أنها ستعود الى صاحبها الأول كما سيماد العضو التالف الذي أخذ من المريض يعاد اليه فيعاد كل عضو الى صاحبه . والله أعلم .

وهنا مسألة ثالثة :

وهي ان بعض الناس يولدون بعاهات ، ويبقون بها الى الصمات كمن يولد بنير عينين ويبقى كذلك أو كمن يولد بغير يدين أو رجلين ويبقى كذلك فكيف يعاد هذا ؟ هل يعاد كما مات من غير أعضاء الناقصة أم يعطى أعضاء جديدة مثل ما نقص منه .

والجواب :

ان الظاهر من قوله تعالى (كما بدأكم تعودون) انه يعاد كما كان عليه ، ثم ينشئ الله تبارك وتعالى له الأعضاء التي تكلمه . والله أعلم .
نقرأ في بعض الجرائد ونسمع في بعض الأخبار عن عجائب في مخلوقات الله تعالى منها :-

١- ان اشخاصا يولدون توأم متحدين .

فاذا وجد الأطباء ان لكل واحد قلبا مستقلا اجريت له عملية انفصال وكثيرا ما يبقى على قيد الحياة ، وأما اذا وجد الأطباء ان القلب واحد فيبقى على ما هو الى الصمات لعدم استطاعة فصله عن تؤمه الآخر فكيف تكون النشأة الآخرة هل العودة تكون بالاتصال أو بالانفصال ؟ .

والله تعالى يقول : (كما بدأكم تعودون) .

٥- كذلك تذكر الجرائد ان بعض المواليد ولدوا برأسين أو بأربعة أرجل أو بأربعة أيدي ثم اجريت لبعضهم عمليات لاستئصال هذه الزوائد فكيف تكون العودة ؟ .

والجواب : ان هذه المسألة وسابقتها ما لم يتضح الجواب فيها والله تعالى

(٢) (بحث الموتى في اكفانهم) -

تفيد الأحاديث الصحيحة المتعددة ان الناس ييمثون حفاة عراة غرلا لاشي معهم ، وأجسادهم عارية عن كل شي ، وهذا هو الثابت في الصحيحين وغيرهما ولكن قد وردت بعض روايات أخرى تفيد أن الناس ييمثون فسي ثيابهم التي ماتوا فيها .

ومن ذلك :-

ما أخرجه الامام أبو داود عن أبي سعيد الخدري انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها) (١) .

وقد أخرج الامام أبو داود هذا الحديث مترجما له بقوله " باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت) .

وقد قال أبو بكر بن ابى الدنيا اخبرنا أحمد بن ابراهيم ابن كثير حدثنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح اخبرني سعد بن هاني عن عمرو بن الأسود قال : أوصاني معاذ بامرأته وخرج فماتت فدناها فجاءنا وقد رفعنا ايدينا من دفنها فقال في أي شي هيتموها قلنا في ثيابها فأمر بها فنبشت وكفناها في ثياب جدد وقال احسنوا أكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها) (٢)

وهاتان الروايتان تعارض كما هو ظاهر تلك الروايات التي قدمنا ذكرها والتي تفيد ان الناس ييمثون عراة حفاة غرلا .

(١) سنن أبو داود ١٦٩/٢ .
(٢) ذكره ابن كثير في النهاية ج ١ ص ٢٨٨ . وعزاه الى ابن ابى الدنيا .

وفى الجمع بين تلك الروايات أجاب البيهقي رحمه الله عن ذلك بثلاثة
أجوبة فقال :

أحدها : انها تبلى بعد قيامهم من قبورهم فاذا وافوا الموقف يكونون
عراة ثم يكسون من ثياب الجنة .

الثانى : انه اذا كسى الأنبياء ثم الصديقون ثم من بعدهم على مراتبهم
فتكون كسوة كل انسان من جنس ما يموت فيه ثم اذا دخلوا الجنة ألبسوا من
ثياب الجنة .

الثالث : ان المراد بالثياب هاهنا الأعمال أى يبعث فى أعماله التى يموت
فيها من خير وشر قال الله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) .

وقال (وثيابك فطهر) قال قتادة : عطك فاخلصه . (١)
ولعل الأرجح من تلك الأجوبة هو الجواب الثالث وهو ما يشهد له حديث
عائشة رضى الله عنها الذى استشهد به بهذا الموضوع ، وحديث أم سلمة
الواردين فى الصحيح فى قصة الجيش الذى يفتروا الكعبة ثم يخسف الله بهم
جميعهم بما فيهم المكره ثم يبعثهم الله على نياتهم .

فقد قال صلى الله عليه وسلم فى حديث أم سلمة (ولكنه يبعث يوم القيامة على
نيتهم) (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث عائشة (يبعثهم الله على نياتهم) (٣)
وقد ذكر ابن كثير رحمه الله حديث بعت الموتى فى اكفانهم مترجما له بقوله
(الانسان يبعث يوم القيامة فى ثياب عمله من خير أو شر) (٤)

(١) ذكره ابن كثير فى ج ١ ص ٢٨٨ وعزاه الى البيهقي .

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ٧٣١ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٣٣ .

(٤) النهاية : ج ١ ص ٢٨٨ .

وهذه الترجمة تشتمر برؤيه في معنى الحديث وأنه ليس المراد به بعث الميت في الكفن الذي دفن فيه وإنما المراد بعثه في ثياب عمله من خيراً أو شراً وقد رجح فضيلة المشرف بالنسبة للأحاديث التي تدل على حشر الناس حفاة عراة ، غرلاً بغير اكفانهم وبين حديث حشرهم بأكفانهم ان وجه الجميع بينها هو الجواب الأول من الأجوبة التي ذكرها البيهقي قال : " وخصوصاً اذا لاحظنا عمل الصحابي الذي أخرج امرأته وكفنها بكفن جديد " .

٣- هل تحشر بقية المخلوقات غير الجن والأنس .

قد دلت الآيات والأحاديث على ان الجن والأنس سيحشرون ويجازون بأعمالهم ان خيراً فخير وان شراً فشر .

وهذا أمر معلوم كما قد منا ويبقى سؤال وهو هل المخلوقات الأخرى غير الجن والأنس تحشر أم لا .

والجواب : ان هذه المسألة ما وقع فيها الخلاف بين العلماء فذكر البرديسي ١- ان بعضهم ذهب الى القول بأنها تحشر لظاهر حديث حتى يقاد للشاة الجساء من الشاة القرناء . (١)

٢- وذهب بعضهم الى القول بأنها لا تحشر لانها لا تحاسب . . . واليه نحا الاقهيسى . (٢)

وقد اختلف النقل عن ابن عباس قال القرطبي : " فروى عن ابن عباس ان حشر الدواب والطير موتها .

وقال الضحاك : وروى عن ابن عباس في رواية أخرى ان البهائم تحشر وتبعث قاله أبو نذر ، وأبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والحسن البصرى وغيرهم . قال القرطبي : وهو الصحيح . (٣)

(١) مسلم : ١٩/٨ والترمذى ٦١٤/٤ وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) انظر: تكملة شرح الصدور ص ١٤٠ .

(٣) التذكرة ص ٣٢٩ .

وقد استدلل القائلون بأنها تحشر بأدلة كثيرة من القرآن ، والسنة أما من القرآن الكريم فنها .

١- قوله تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم

امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) (١)

٢- وقال تعالى : (وانذا الوحوش حشرت) (٢)

٣- وقال تعالى (ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة

وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) (٣)

واما ما استدلوا به من السنة فنها ما روى عن ابي نذر ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان جالسا وشاتان تقترنان فطاحت احداها الأخرى فاجهضتها

قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يضحكك يا رسول الله

قال : عجبت لها والذي نفسي بيده ليقادن لها يوم القيامة) (٤)

وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا والذي نفسي

بيده ليختصن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا) (٥)

قال القرطبي ~~نذكر ابن وهب اخبرني بن لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكر~~

~~ابن سواده ان ابا سالم الجيشاني حدثه ان ثابت بن طريف استأذن على~~

~~ابي نذر فسمعه رافعا صوته يقول اما والله لولا يوم الخصومة لسؤتك قال ثابت~~

(١) سورة الأنعام : آية : ٣٨ .

(٢) سورة التكوير : آية : ٥٥ .

(٣) سورة الشورى : آية : ٢٩ .

(٤) اخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ١٧٣ .

(٥) المسند ٢ / ٣٩٠ .

فدخلت فقلت ماشأنك يا أبا ذر قال : هذه قلت وما عليك ان رأيتك
تضربها قال والذي نفس بيده أو نفس محمد بيده لتسألن الشاة فيما نطحت
صاحبها وليسألن الجماد فيما نكب اصبع الرجل)

وروى عن شعبة عن الأعمش ، عن ابراهيم التيمي ، عن ابيه ، عن ابي ذر

قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين تنتطحان فقال يا أبا ذر

تدرى فيم تنتطحان قلت لا يا رسول الله قال لكن الله يدرى ويقضى بينهما
يوم القيامة .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه اذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم

وحشر الجن والانس والدواب والوحوش فاذا كان ذلك اليوم جعل الله

القصاص بين الدواب حتى يقص للشاة الجما من القرناء تنطحها فاذا

فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها كوني ترابا فيراها الكافر فيقول

يا ليتنى كنت ترابا .

وذكر عبد الكريم الامام ابو القاسم القشيري في التحبير له فقال وفي خبر

الوحوش والبهائم تحشر يوم القيامة فتسجد لله سجدة فتقول الملائكة ليس

هذا يوم سجود هذا يوم الثواب والعقاب وتقول البهائم هذا سجود شكر

حيث لم يجلنا الله من بنى آدم ويقال ان الملائكة تقول للبهائم لم يحشركم

الله جل ثناؤه لثواب ولا لعقاب وانما يحشركم تشهدون فضائح بنى آدم .

وهذه الروايات قد ذكرها الامام القرطبي في تذكرته ووصفها بأنها أخبار ثابتة .

نلتقى بمائة
ذكره من الروايات
والإهداءات
في شهر الحسنة

وهذه الروايات مع ما تقدم من الآيات تفيد القطع بحشر البهائم كسائر الثقلين
الا انها تستوفى قصاصها في الموقف وليس لها جنة ولا نار كما هو معلوم بل
تكون ترابا ولهذا فان الكافر يقول ياليتنى كنت ترابا .
وقد ذهب كثير من العلماء الى هذا الرأي وهو القول بحشر جميع الحيوانات
وفي هذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " واما البهائم فجميعها يحشرها
الله سبحانه وتعالى كما دل عليه الكتاب والسنة " ثم ذكر الأدلة على هذا
وهي الآيات السابقة الى ان قال " والأحاديث في ذلك مشهورة فان الله
عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتصر لبعضها من بعض ثم يقول لها كونى
ترابا فتصير ترابا فيقول الكافر حينئذ ياليتنى كنت ترابا " (١)
ومن قال انها لا تحيا فهو مخطىء في ذلك اقبح خطأ بل هو ضال أو كافر^(٢)
ويستدل ابن كثير رحمه الله على حشر بقية الحيوانات بما سبق من الآيات
وبالأحاديث التي تدل على انتصاف البهائم ببعضها من بعض وحدِيث
صاحب الغلول ثم قال : " فهذه الأحاديث مع الآيات فيها دلالة على حشر
الحيوانات كلها) (٣)
وسنمعرض بعض الأدلة على ذلك ايضا في باب الحساب وقد فسر أبو هريرة
وابن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص قوله تعالى في شأن الكافر
يوم القيامة وتمنيه أن يكون ترابا انه يقول ذلك حينما يشاهد عدل الله تعالى

(١) سورة عم : آية : ٤٠ .

(٢) الفتاوى ج ٤ ص ٢٤٨ .

(٣) النهاية ج ٢ ص ١١٣ .

بين الحيوانات ثم يقول لها كوني ترابا فانه يتمنى عند ذلك أن يكون مصيره
كمصيرها ويخلص مما ينتظره من العذاب والخزى . (١)

ولقد ذكرنا هذه المسألة - وان لم تكن في موضوعنا - تماما للبحث
ولما فيها من الفوائد تتعلق بالموضوع جطة .
٤- دفع تعارض :

وردت في القرآن الكريم آيات تفيد ان الله تعالى يسلب الكفار اسماعهم
وأبصارهم والسننهم فيكونون صما بكما عميا يوم القيامة عند حشرهم .
وردت آيات تفيد ان الكفار يبصرون ويسمعون ويتكلمون
أما مثال النوع الأول فمثل قول الله تعالى .

١- ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ما وأهم جهنم كلما
خبث زدناهم سعيرا " (٢)

٢- ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال
رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى (٣)

ومثال النوع الثاني قوله تعالى :

- ١- اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا (٤)
- ٢- (ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها) (٥)

(١) انظر التذكرة ص ٣٢٩ .

(٢) سورة الأسراء : آية : ٩٧ .

(٣) سورة طه : آية : ١٢٤ - ١٢٦ .

(٤) سورة مريم : آية : ٣٨ .

(٥) سورة الكهف : آية : ٥٣ .

٣- قالوا ربنا ابرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا . (١)
ووردت كذلك آيات تفيد ان الكفار لا يحاسبون ، ووردت آيات أخرى

تفيد أنهم يحاسبون .

ومن أمثلة النوع الأول :

١- قوله تعالى : (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) (٢)

٢- (فيومئذ لا يسئل عن ذنوبه انس ولا جان) (٣)

ومن امثلة النوع الثاني قوله تعالى :

١- وقفوهم انهم مسؤولون (٤)

٢- تالله لتسئلن عما كنتم تفترون . (٥)

٣- فوربك لنسألنهم اجمعين (٦)

فهل بين تلك الآيات تعارض ؟

الجواب : ليس بين آيات الله تعالى تعارض ولا يمكن ان يكون في كلام الله

تعارض ومن لم يعرف المراد من مدلول تلك الآيات يظن ان بينها تعارضا

ويعتقد هذا لاشك في كفره .

وقد أجاب العلماء عن ذلك بأن الناس عند البحث لا يكونون على حالة واحدة

من وقت بعثهم الى وقت تفرقهم الى الجنة أو النار بل هناك مواقف .

(١) السجدة : آية : ١٢ .

(٢) سورة القصص : آية : ٧٨ .

(٣) سورة الرحمن : آية : ٣٩ .

(٤) سورة الصافات : آية : ٢٤ .

(٥) سورة النمل : آية : ٥٦ .

(٦) سورة الحجر : آية : ٩٢ .

عديدة وأحوال مختلفة يجتازها الناس وهناك من الأحوال حالة البعث من القبور وفي هذه الحالة يكون الكفار كاملى الحواس ، والجوارح فهم يتعارفون ، ويتخافتون وينظر بعضهم الى بعض ويتكلمون بنص القرآن ومثل تلك الحال حالة حشرهم الى موقف الحساب قال تعالى :

(احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوههم انهم مسؤلون) (١)

وكذلك ايضا حالة محاسبة الله لهم فانهم عندها يكونون فى كامل حواسهم وجوارحهم ليسمعوا ما يقال لهم وما يوجه اليهم وليقرأوا ما فى كتبهم من الحسنات والسيئات وقد اخبر الله تعالى ان الكفار يوجهون اللوم الى جوارحهم من اسماعهم وابصارهم وجلودهم قائلين لهم لم شهدتم علينا والا فكيف يمثل محاسبة اعمى أصم أبكم ؟

ولكن فى حالة حشرهم وسوقهم الى جهنم يصدق عليهم قوله تعالى :
(ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ما وأهمل جهنم) (٢)

ففى هذه الحالة يسلب الله الكفار اسماعهم وابصارهم والسننهم زيادة فى التنكيل بهم وشدة الأمر عليهم .

أما فى حال الخلود فى النار والمكث فيها فانهم اذا انطلقوا من الموقف الى النار وهم فى حالة سلب الله اياهم الاسماع والأبصار والالسننة فانهم اذا أوصلوا الى النار رد الله اليهم تلك الحواس ليشاهدوا جهنم وما أعد الله لهم من العذاب فيها فهم (يمرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى) (٣)

(١) سورة المصافات : آية : ٢٢ .

(٢) سورة الاسراء : آية : ٩٧ .

(٣) سورة الشورى : آية : ٤٥ .

(١) ويتكلمون قائلين (ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين)
ويحدث هناك خصام وتخاطب بين أولاهم وآخرهم (كلما دخلت اممة
لعنت اختها حتى اذا ادركوا فيها جميعا قالت اخراهم لأولاهم ربنا
هؤلاء اذلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون)
(٢) ويمترفون بالسذتهم حينما يسألهم خزنة جهنم (ألم يأتكم نذير قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) (٣)
ويستغيثون بأهل الجنة قائلين لهم : (افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)
ثم يستغيثون بمالك ويستغيثون به الى ربهم في اهلاكهم قائلين له :
(يا مالك ليقض علينا ربك) (٥)
فلا يجدون عنده الا الجواب الشديد (انكم ما تكون) (٦)
فيتوسلون بخزنة جهنم يقولون لهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب)
فيجيئونهم بقولهم توبيخا وتخريما لهم (أولم تأتكم ^{نزل} رسلكم بالبينات قالوا
بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال) (٨)
فاذا انتهى الأمر الى خلودهم في النار كانوا فيها لا يسمعون شيئا ولا يسمع
منهم الا الزفير (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) (٩)

-
- (١) سورة الأنعام : آية : ٢٧ .
 - (٢) سورة الأعراف : آية : ٣٨ .
 - (٣) سورة الطسك : آية : ٨ ، ٩ .
 - (٤) سورة الأعراف : آية : ٥٠ .
 - (٥) سورة الزخرف : آية : ٧٧ .
 - (٦) سورة الزخرف : آية : ٧٧ .
 - (٧) سورة غافر : آية : ٤٩ .
 - (٨) سورة غافر : آية : ٥٠ .
 - (٩) سورة الأنبياء : آية : ١٠٠ .

لأن الجزاء من جنس العمل فهم في الدنيا كانوا لا يسمعون الحق ولا يحبون أن يسموه فعاقبهم الله بأن سلب اسماعهم .^(١)

وقد أجاب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عن هذا بثلاثة اجوبة فقال :
" الوجه الأول : واستظهره أبو حيان ان المراد بما ذكر من الصم ، والصم
والبكم حقيقة ويكون ذلك في مبدأ الأمر ثم يرد الله تعالى اليهم ابصارهم
وينطقهم وسمعهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله تعالى
عنهم في غير موضع .

الوجه الثاني : انهم لا يرون شيئا يسرههم ولا يسمعون كذلك ولا ينطقون
بحجة كما انهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ، ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه
واخرج ذلك ابن جرير وابن ابى حاتم عن ابن عباس وروى أيضا عن الحسن
كما ذكره الألوسى وغيره وعلى هذا القول فقد نزل ما يقولونه ويسمعونه ويصرونه
منزلة العدم لعدم الانتفاع به (الخ)

الوجه الثالث :

ان الله اذا قال لهم (اخسوا فيها ولا تكلمون) وقع بهم ذلك الصم
والصم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج ، قال تعالى (ووقع القول
عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) وعلى هذا القول تكون الأحوال الخمسة
مقدرة أعنى قوله في طه (ونحشره يوم القيامة اعمى) وقوله فيها (لـم
حشرتني أعمى) وقوله في الأسراء (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا
وبكما وصما) وأظهرها عندى الأول . (٢)

(١) انظر: التذكرة . للقرطبي ص ٢٠٥ .

(٢) انظر: أضواء البيان ٤ / ٥٩٨ - ٥٩٩ .

وقد سأل نافع بن الأزرق بن عباس عن قول الله تعالى (هذا يوم

لا ينطقون) (١)

وقوله (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) (٢)

وقوله : (والله ربنا ما كنا مشركين) (٣)

وقوله (ولا يكتمون الله حديثا) (٤)

فقال ابن عباس: " ويحك يا ابن الأزرق انه يوم طويل وفيه مواقف تأتي عليهم ساعة لا ينطقون ثم يؤذن لهم فيختصمون ثم يكون ما شاء الله يحلفون ويجحدون فاذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم وتؤمر جوارحهم فتشهد على أعمالهم بما صنعوا ثم تنطق السننهم فيشهدون على انفسهم بما صنعوا وذلك قوله (ولا يكتمون الله حديثا) (٥) .

وقد أجاب بمثل هذا الجواب عبد الله بن عمرو بن العاص حين سئل عن قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون) فقال : " ان يوم القيامة له حالات وتارات فسي حال لا ينطقون وفي حال ينطقون " (٦)

وكذلك المسألة فانها تكون في مواطن خاصة وفي مواطن أخرى لا يسألون قال القرطبي " القيامة مواطن فموطن يكون فيه سؤال وكلام ومواطن لا يكون ذلك فلا يتناقض الآي والأخبار) (٧)

وقال عكرمة : " القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها) (٨)

(١) سورة المرسلات: آية: ٣٥ .

(٢) سورة الزمر: آية: ٣١ .

(٣) سورة الأنعام: آية: ٢٣ .

(٤) سورة النساء: آية: ٤٢ .

(٥) انظر فتح الباري ١١/٦٨٦ .

(٦) نفس المرجع السابق .

(٧) التذكرة ص ٣٤٤ .

(٨) نفس المرجع السابق .

وقال ابن عباس " لا يسألون سؤال شفاء وراحة وانما يسألون سؤال تقرير
وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا " (١)

وقد قيل كذلك ان نفي السؤال لهم يراد به انهم لا يسألون سؤال التعريف
لتمييز المؤمنين من الكافرين أى أن الملائكة لا تحتاج الى سؤال أحد عن دينه
بل يعرفونهم بعلاماتهم الظاهرة على وجوههم من الفرح والسرور والبياض
أو سواد الوجوه ، وزرقة العيون والمعبوس والهم والحزن وهذا خاص بيوم
القيامة . (٢)

ويضاف الى هذا جواب آخر بالنسبة الى بعض الآيات التى تنص على السؤال
والآيات الأخرى التى تنفى السؤال وهو أن السؤال قد ينصب على بعض الخلق
من الكفار دون بعضهم ، فالعتاة منهم كإبليس وفرعون وهامان فهؤلاء
لا يسألون بل يساقون الى جهنم وردا أو تتخطفهم جهنم حينما يرونها فهم
اللغة السائفة للعنق الذى يخرج من النار .
وأما السؤال لبعض الكفرة فهم الذين دون ذلك من لم يكونوا بمنزلة الأولين
فهؤلاء لا يسألون تحقيقا للعدالة الالهية .

(١) التذكرة ص ٣٤٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٤٥ .

.. ((فوائيد)) ..

- ((أول من يحشر من الخلق)) -

اختلف العلماء في أول من يحشر من الخلق هل هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - أو غيره من الأنبياء مثل موسى عليه السلام ، والصحيح في ذلك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو أول من يحشر حيث تنشق عنه الأرض قبل كل مخلوق لقوله صلى الله عليه وسلم (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر) (١)

فهو أول الناس يحشر وأول الخلق تنشق عنه الأرض لا غيره من البشر . قال البرديسي : " وأما أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم " .

ونقل عن شارح الجوهرة قوله : " وأول من يحيا ويحشر نبينا صلى الله عليه وسلم لا موسى على الأصح " (٢)

(١) أخرجه مسلم ج ٥ ص ١٣٦ .

(٢) تكملة شرح المدور ص : ١٢ .

(٢) - (وأما أول من يكسى من الخلق) -

فقد ورد في حديث ابن عباس ان ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام هو أول من يكسى يوم القيامة وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم (وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم) وهذا يدل على أن الخلائق يخرجون من القبور دون كسوة كلهم ثم يكسى بعد ذلك من أراد الله كسوته من اصفياه وهذا يعارض ماورد في حديث ابي سعيد ، وما جاء ايضا عن معاذ بن جبل من ان الأموات يبعثون في ثيابهم التي كفتوا فيها وقد جمع الامام ابن حجر بين هذه الأحاديث " بأن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا " أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الانبياء فأول من يكسى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى ابراهيم وحمل بعضهم حديث ابي سعيد على الشهداء لأنهم الذين أمر ان يزلوا في ثيابهم ويدفنوا فيها فيحتمل ان يكون ابو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على المموم ، ومن حمله على عمومه معاذ بن جبل فأخرج ابن ابي الدنيا بسند حسن عن عمرو بن الأسود قال : " دفنا ام معاذ بن جبل فأمر بها فكفنت في ثياب جدد وقال : احسنوا أكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها) قال وحمله بعض أهل العلم على العمل " الخ ماأورده ابن حجر . (١)

وقد أكر العلماء من الاجابة حول اختصاص ابراهيم عليه السلام بالكسوة قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل يكون المراد ان ابراهيم هو أول من

(١) فتح البارى ٣٨٣/١١ وقد أورد ابن كثير هذه الرواية - كما تقدم - على انها واردة في حق امرأة معاذ وأوردها ابن حجر على انها واردة في امه ولم أجد من ينسب على هذا فقد يحتمل ان تقع الحادثتان معا لامه وامراته ، وقد يكون الصحيح انها أمه فكتبها بعضهم امراته .

يكسى على الأطلاق قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أم ان هناك أمرا آخر لم يبين فى الحديث وأن نبينا صلى الله عليه وسلم قد كان فى ذلك الوقت قد كسى لأن تقديم ابراهيم فى الكسوة يشمر بأنه أفضل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهل هنا مفاضلة أجاب العلماء عن هذه المسألة بأنه " لا يلزم من تخصيص ابراهيم عليه السلام بأنه أول من يكسى ان يكون أفضل من نبينا عليه الصلاة والسلام مطلقا " .

هذا ما أجاب به العلامة ابن حجر ثم ظهر له ان هناك احتمالا آخر وهو " ان يكون نبينا عليه الصلاة والسلام خرج من قبره فى ثيابه التى مات فيها والحلة التى يكساها حينئذ من حلل الجنة خلعة الكرامة بقريئة اجلاسه على الكرسي عند ساق العرش فتكون أولية ابراهيم فى الكسوة بالنسبة لبقية الخلق . " أما الحلبي فانه يرى أن الخبر يجب أن يمر على ظاهره دون اللجوء الى التعليل الا ما يرى من نفاسة حلة نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أجاب بقوله " بأنه يكسى أولا ثم يكسى نبينا صلى الله عليه وسلم على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا صلى الله عليه وسلم أعلى وأكمل فتجبر نفاستها ما فات من الأولوية^(١) " ويذكر القرطبي فى حكمة تقديم ابراهيم عليه السلام بالكسوة أقوالا للعلماء منها :-

١- انه لم يكن من الأولين والأخريين لله عز وجل عبد أخوف من ابراهيم عليه السلام فتعجل له كسوته امانا له ليطمئن قلبه .

(١) فتح البارى ١١ / ٣٨٥ .

- ٢- وذكر أيضا انه تعجل له كسوته لاحتمال ان يكون ذلك لما جاء به
الحديث من انه أول من أمر بلبس السروايل اذا صلى مبالفة في
التستر وحفظا لفرجه من ان يماس مصلاه .
- ٣- أو لاحتمال ان يكون الذين القوه في النار جردوه ونزعوا عنه ثيابه على
أعين الناس كما يفعل بمن يراد قتله وقال بأن هذا الاحتمال أحسن
الأقوال .

وقال البردبلي : " ومن حديث عائشة أول من يكسى ابراهيم أي أول
من يكسى بعدما يحشر الناس كلهم عراة أو بعد تناثر ثيابهم التي
ماتوا فيها وخرجوا من قبورهم ابراهيم فيكسى من حلل الجنة أي
بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه جرد في ذات الله حين
القي في النار فجوزى بذلك . " (١)

(١) تكملة شرح الصدور ص ١٢ .

الفصل الحادى عشر

~~~~~

الموقف

~~~~~

تعريفه: ١- فى اللفظة .

٢- فى الاصطلاح .

=====

تعريفه في اللفظة:

الموقف في اللفظة: المكان الذي يقف فيه الانسان .

قال الراغب: " وموقف الانسان حيث يقف " . (١)

وقال الفيروز ابادى:

" وقف يقف وقوفا دام قائما " (٢)

وقال أيضا: " والموقف محل الوقوف " (٣)

٢- أما معناه في الاصطلاح:

فهو المكان الخاص الذي أعده الله تبارك وتعالى لحشر الناس لحسابهم

وفصل القضاة بينهم) .

(١) المفردات ص ٥٣٠ .

(٢) - (٣) القاموس المحيط ٢/٣ ٢١٢ .

— ((صفة حالة الناس وهم في الموقف)) —

١- تصهيد

٢- صفته في القرآن الكريم .

٣- صفته في السنة النبوية .

٤- صفة الأرض التي يقف عليها الخلق .

وبيان الخلاف في أرض المحشر .

٥- مدة وقوف الخلق في الموقف .

١- ما جاء في القرآن الكريم .

٢- ما جاء في السنة النبوية .

=====

- ((صفة حالة الناس وهم فى الموقف)) -

تمهيد :-
مهممم

إذا انتهى الناس الى الموقف الذى اعدّه الله تبارك وتعالى مكاننا
لاجتماع خلقه فيه وشرفه جل وعلا بنزوله فيه لفصل القضاء بين عباده
فان الخلق يكونون فيه على ما لا يتصور ولا يدرك كنهه من القلق والخوف
العظيم وقد جاء فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية الشريفة أوصاف
كثيرة لهذا الموقف العظيم .

فالشمس فوق رؤسهم والعرق قد بلغ من كل واحد قدر عمله حتى ان
منهم من يلجمه الجاما ، وهم وقوف ، حفاة عراة غرلا شاخصة ابصارهم
الى السماء ينتظرون فصل القضاء ، لا ينظرا احد الى أحد يفر الحميم
من حميمه والقريب من قريبه قد ملئت قلوبهم بما يشغلها وكيف لا تملأ
ينتظرون اما نارا حامية ، واما جنة عالية ، كل واحد يتذكر ما سعى
وما قدم لهذا الموقف العظيم لاشغل له الا ذلك حتى يفصل الله بينهم
ويتبين مصير كل واحد منهم كما يتبين ذلك من عرض الآيات ، والأحاديث
الآتية :-

- (صفته فسى القرآن الكرىم) -

أما ما جاء فى صفته من القرآن الكرىم فهو ما تتحدث عنه الآيات الآتية
قال الله تعالى فى وصف خوف وامتلاء الخلائق بالغم ووقوف قلوبهم فسى
حناجرهم :

١- وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لى الحناجر كاظمين (١)

قال قتادة : " وقفت القلوب فى الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود الى
اماكنها وكذا قال عكرمة والسدى وغير واحد " (٢)

٢- وقال تعالى مبينا حال الكفار وما يصيبهم من الفزع الشدى لسهول
ما يرون وذلتمهم وفراغ قلوبهم عن كل شىء .

(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم لىوم تشخص فىسه
الأبصار مهطعين مقضى^(٣) رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء^(٥))
(يقول تعالى ذكره انما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذبونك
ويجهدون بنبوتك لىوم تشخص فىه أبصار الخلق وذلك يوم القيامة " (٦)

-
- (١) سورة غافر : آية : ١٨ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٧٥ .
(٣) أى رافعى رؤسهم .
(٤) قلوبهم .
(٥) أى قلوبهم خالية من العقل لفزعهم .
(٦) جامع البيان ج ١٢ ص ٢٣٦ .

وقال تعالى فى بيان حال المؤمنين والكافرين وما امتاز به كل فريق من علامات الشقاء أو السعادة :

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) (١)
فقد جعل الله جميع أهل الآخرة فريقين

" احدهما سودا " وجوهه والآخر بيضا " وجوهه " (٢)

وقال تعالى : (وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون) (٣)

" قال الليث الجنوا الجلوس على الركب كما يجشى بين يدي الحاكم "

وقال ابن عباس " جاثية : مجتمعة مرتقبة لما يعمل بها و (الى كتابها) أى الى صحائف أعمالها " (٤)

وقال ابن كثير (جاثية) أى على ركبها من الشدة والعظمة ، ويقال ان هذا اذا جىء بهنم فانها تزفر زفرة لا يبقى أحد الا جثا لركبتيه " (٥)

وقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا) (٦)

-
- (١) سورة آل عمران : آية : ١٠٦ - ١٠٧ .
(٢) جامع البيان ص ٤٠ ج ٤ . هكذا في جامع البيان . هذا القضا
(٣) سورة الجاثية : آية : ٢٨ .
(٤) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ٢٧٢ .
(٥) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٥١ .
(٦) سورة المزمل : آية : ١٧ - ١٨ .

يقول تعالى كيف تقون انفسكم ان كفرتم أى أن بقيتم على كفركم يوماً أى عذاب يوم يجعل الولدان شيئا لشدة هوله أى يصير الولدان شيوها والشيب جمع أشيب وهذا يجوز ان يكون حقيقة وانهم يصرون كذلك أو تمثيلاً لأن من شاهد الهول العظيم تقاصرت قواه وضعفت أعضاؤه وصار كالشيخ فى الضعف وسقوط القوة^(١) والسماء منظر به^(٢) أى متشقة به لشدته وعظيم هول^(٣) وقال تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً^(٤)) اخرج ابن جرير رحمه الله عدة روايات عن ابى هريرة وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن زكوان ، وسفيان ، ان الكافر يقول ذلك حينما يشاهد البهائم وقد أمر الله بها فصارت تراباً فعند ذلك يتمنى انه صار تراباً مثلها ولم يقف بين يدي الله تعالى^(٥) . (يومئذ يود الذين كفروا لو تسوى بهم^(٦) الأرض ولا يكتفون الله حديثاً) (٤)

وقال تعالى : (يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبه وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها صرة) (٥)

أى يفر عن أخيه وصاحبه أى زوجته التى كانت زوجته فى الدنيا (وبنيه) هذا من مطالبتهم اياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم (وغيره) ذكر ان البهائم التى يصيرها الله تراباً يومئذ بعد القضاء بينها يحول ذلك التراب

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٣١٩ .

(٢) سورة النبأ : آية : ٤٠ .

(٣) انظر جامع البيان ج ٣٠ ص ٢٦ .

(٤) سورة النساء : آية : ٤٢ .

(٥) سورة عبس : آية : ٣٤ - ٤١ .

غبرة في وجوه أهل الكفر " والقفرة " بمعنى الغيرة (١)
وما هذا الفرار من الأخ والأم والأب والزوجة والابناء الا لما يتوقع الانسان
من الأمور العظام التي هي في انتظارها بين لحظة وأخرى
(لكل امرئ منهم يومئذ شأن يفنيه) .
وقال تعالى : في بيان حال المشركين الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك
والولد اليه جل وعلا وبينا علامتهم التي يتصفون بها
(ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم
شوى للمتكبرين) (٢)
أى ويوم القيامة ترى يا محمد هؤلاء الذين كذبوا على الله من قومك فزعموا
ان له ولدا وان له شريكا وعبدوا آلهة من دونه وجوههم مسودة) (٣)
الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في وصف هذا الموقف العظيم
وما يقع فيه من الثواب والعقاب ، وما يقع فيه كذلك للخلق من الكرب الشديد
والفزع العظيم وما يكون عليه من صفات شتى بينها القرآن الكريم تمام البيان
حتى انها لتكاد ان تصل الى ان يتخيلها الانسان وكأنها قد وقعت لظهورها
وكثرة العناية بآثارها واضحة جليلة في أساليب متعددة مؤثرة .

(١) جامع البيان ج ٣٠ ص: ٦٢ - ٦٣ .

(٢) سورة الزمر: آية: ٦٠ .

(٣) تفسير الطبرى جامع البيان ج ٢٤ ص ٢٢٢ .

(٣) - (صفته في السنة النبوية) -

وأما في السنة النبوية فقد جاء ان العرق يبلغ من الانسان على مقدار عمله فمن الناس من يبلغ العرق الى أنصاف أذنيه ، ومنهم من يلجمهم الجاما ومنهم من يكون الى كعبيه ، ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه فهم على حالات شتى ومصداق هذا :

١- ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال يقدم اهدهم في رشحه السى
انصاف أذنيه * (١)

وعن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ أذانهم) (٢)

وفي رواية مسلم سبعين عابا وانه ليبلغ الى أفواه الناس (٣)
ولهذا فان الانسان ليتمنى من شدة الهول والعرق^{ان} يذهب به ولو الى النار ويستريح منه كما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول يا رب ارحمني ولو الى النار) (٤)

وفي الصحيح من حديث عدى بن حاتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) البخارى : ٣٩٢/١١ .

ومسلم : ٥/٧١٤ .

(٢) البخارى : ٣٩٢/١١ .

(٣) مسلم : ٥/٧١٥ .

(٤) قال الضدري ٣٩٠/٤ رواه الطبرانى في الكبير باسناد جيد .

(ثم ليقفن احدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ثم ليقولن له ألم اوتك مالا فليقولن بلى ثم ليقولن ألم ارسل اليك رسولا فليقولن بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتقين احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فيكمه طيبة) (١)

وفي هذا الموقف الرهيب يكون للشمس وقع شديد على الناس فهي تدنو من رؤس البشر رغم حرارتها الهائلة حتى تكون كمقدار ميل ولانسان أن يتصور مدى ما يلحق أهل الموقف من ألم حرارتها وهو ما رواه المقداد ابن الأسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليم - ابن عامر أحد رواة الحديث - فوالله ما أدري ما يعنى بالميل اسافة الأرض أم الميل الذي تكحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما قال وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه) (٢)

وروى انس بن مالك قال لم يلق ابن آدم قط شيئا منذ خلقه الله اشد عليه من الموت ثم ان الموت لأهون عليه مما بعدة انهم ليلقون من هول ذلك اليوم وشدته حتى يلجمهم العرق حتى لو ارسلت فيه السفن لجزت * (٣)

(١) صحيح البخارى ٢ / ٢٨١ .

(٢) أخرجه مسلم ٥ / ٧١٥ .

(٣) ذكره البرديسى فى تكملة شرح الصدور ص ١٩ ولم يعزه الى أحد .

وربما استشكل بعضهم ما جاء في لفظ الحديث من ان العرق يبلغ أذانهم بأن في الناس الطويل وفيهم القصير وهم وقوف على أرض مستوية فيلزم من ذلك عدم استوائهم في وصول العرق الى هذا الحد . (١)

ويرد هذا الاستشكل ما جاء في لفظ الحديث من بيان درجات الناس في ذلك واختلافهم في العرق باختلاف أعمالهم والحديث لم يقصر وصول العرق لجميع من في الموقف الى اذانهم وانما ذكر حالات متعددة مقسما ذلك كله بحسب العمل وهنا قد يرد على اذعان بعضهم سؤال من اين هذا العرق هل هو من الانسان نفسه ام من غيره ثم ما سبب هذا العرق كله .

وقد أجاب النووي فيما يعزوه اليه البرديسي عن ذلك بقوله :

قال النووي : يحتمل ان المراد بالعرق عرق نفسه وغيره ، ويحتمل عرق نفسه خاصة " قال " وسبب كثرة العرق تراكم الأهوال ودنو الشمس من رؤسهم^(٢) على أنه لا ينبغي ان يستبعد الانسان مثل هذه الحالات في أهل الموقف فلا يقال مثلا كيف يفرق احدهم بعرقه ويكون الذي بقربه مثلا عرقه السى ركبتيه .

لأنا نقول : ان أهوال الآخرة لا تقاس على أهوال الدنيا فهي امور غيبية ومددتها الى قدرة الله تبارك وتعالى فهو القادر ان يجعل واحدا يفرق في عرقه وآخر لا تصيبه قطرة من الماء ويقرب لنا هذا المعنى ما حصل لموسى عليه السلام عندما ضرب البحر بعصاه فانظق فكان كل فرق كالطود العظيم فمشوا فيه ومع ذلك لم يصب الماء أحدا منهم .

(١) انظر: تكملة شرح الصدور ص ٢١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢٣ .

" ولقد أوحينا الى موسى ان اسربعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر
يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده ففشيهم من اليمم
ما غشيهم " (١)

فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانطق فكان كل فرق كالطود
العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجيننا موسى ومن معه أجمعين ثم اغرقنا
الآخرين (٢)

فهذا دليل مشاهد محسوس من قدرة الله تعالى قوم دخلوا فى البحر
جميعا هؤلاء نجوا وألئك غرقوا وكل ذلك بقدرة الله تعالى فكذلك المارق
فى الآخرة .

(١) سورة طه : آية : ٧٧ - ٧٨ .

(٢) سورة الشعراء : آية : ٦٣ - ٦٦ .

- (صفة الأرض التي يقف الخلق عليها) -

عن سهل بن سعد قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (يحشر
الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي قال سهل - أو غيره -
ليس فيها معلم لأحد) (١)

ويتبين من معاني تلك الكلمات الواردة في الحديث ان تلك الأرض التي
يقف عليها الخلق غير هذه الأرض وليس بينهما تشابه فلك أرض لها
صفات وهذه أرض لها صفات أخرى وان هذه الأرض المعهودة قد انتهت
وحلت محلها أرض أخرى هي أكبر منها واشرف .

أما معنى كونها عفراء : فقال الخطابي : " العفر بياض ليس بالناصح "
وقال عياض : " العفر بياض يضرب الى حمرة قليلا ومنه سمي عفر الأرض وهو
وجهها " .

وقال ابن فارس: معنى عفراء ، خالصة البياض " .

وقال الداودي : " شديدة البياض " . قال ابن حجر " كذا قال والأول هو
المعتمد " .

ومعنى " كقرصة النقي " " بفتح النون وكسر القاف أى الدقيق النقي من الغش
والنخالة قاله الخطابي " .

ومعنى " ليس فيها معلم لأحد " أو علم كما فى رواية مسلم " وهما بمعنى
واحد .

قال الخطابي يريد أنها مستوية ، والمعلم بفتح الميم واللام بينهما مهطة
ساكنة هو الشئ الذى يستدل به على الطريق .

(١) البخارى ج ١١ ص ٣٧٢ .

مسلم: ج ٥ ص ٦٥٩ .

وقال عياض: المراد انها ليس فيها علامة سكن ولا بناء ولا اثر ولا شىء من
العلامات التى يهتدى بها فى الطرقات كالجبل والصخرة البارزة
قال ابن حجر: " وفيه تعريض بأرض الدنيا وانها ذهب وانقطعت
العلاقة منها " وقال الداودى : المراد انه لا يجوز أحد منها شيئا الا ما ادرك
منها .

ويذكر ابن حجر نقلا عن ابن ابي جمرة ان فى الحديث اشارة الى
ان أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جدا .
وان الحكمة فى نقاء وصفاء تلك الأرض المبذلة وانبساطها .
ان ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق فاقضت الحكمة ان يكون المحل الذى
يقع فيه ذلك طاهرا عن عمل المعصية والظلم وليكون تجليه سبحانه على عبادة
المؤمنين على أرض ظاهرة لعظمته ولأن الحكم فيه انما يكون لله وحده فناسب
ان يكون المحل خالصا له وحده . (١)

وقال صلى الله عليه وسلم (يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد

واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر) (٢)

قال البرديسى : " يريد عليه الصلاة والسلام ارضا مستوية لا جبل فيها ولا اكمة
ولا ربوه ولا وهدة ارض بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولا عمل عليها خطيئة
ولا ارتكب فيها محرم) (٣)

وعن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يقبض الله

الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الطك اين ملوك الأرض) (٤)

(١) فتح البارى ٣٧٥/١١ وانظر تكملة شرح الصدور ص ١٧٠

(٢) اخرجه البخارى فى صحيحه ٣٩٥/٨ ومسلم ٤٦٩/١

(٣) تكملة شرح الصدور ص ١٧٠

(٤) البخارى فى صحيحه ٣٧٢/١١

- (بيان الخلاف في أرض المحشر) -

وتبدل هذه الأرض بأرض أخرى جديدة مما وقع الخلاف فيه بين السلف

على ضوء قول الله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) (١)

(هل معنى بتبدلها تغيير ذاتها وصفاتها أو تغيير صفاتها فقط)

الظواهر من النصوص تشير الى أن ذلك التغيير يحصل في ذاتها وفي صفاتها ويستدل له بما يلي :-

١- حديث سهل بن سعد **المتقدم** .

٢- ما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد ، والطبري في تفاسيرهم والبيهقي

في الشعب من طريق عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى

(يوم تبدل الأرض غير الأرض) الآية .

قال تبدل الأرض ارضا كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها

خطيئة ورجاله رجال الصحيح وهو موقوف واخرجه البيهقي من وجه آخر

مرفوعا وقال الموقوف أصح ، واخرجه الطبري والحاكم من طريق عاصم عن

زرب بن حبيش عن ابن مسعود بلفظ " أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة " . ورجاله

موثقون أيضا ولأحمد من حديث ابى أيوب " أرض كالفضة البيضاء قيل فأيسن

الخلق يومئذ ؟ قال هم اضياف الله لن يعجزهم ما لديه ، وللطبري من

طريق سنان بن سعد عن أنس مرفوعا " يبدلها الله بأرض من فضة لم يعمل عليها

الخطايا " وعن علي موقوفا نحوه ، ومن طريق ابن ابى نجيع عن مجاهد

" أرض كأنها فضة والسماوات كذلك " وعن علي " والسماوات من ذهب وعند

عبد من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة قال : بلغنا ان هذه الأرض يعنى

أرض الدنيا تطوى والى جنبها أخرى يحشر الناس منها اليها وفي حديث
الصور الطويل "تبدل الأرض غير الأرض والسموات فيسطها ويسطحها
ويدها من الأديم العكاضي لا ترى فيها عوجا ولا أمثا ؟ ثم يزجر الله الخلق
زجرة واحدة فاذا هم فى هذه الأرض المبدلة فى مثل مواضعهم من الأولى
ما كان فى بطنها كان فى بطنها وما كان على ظهرها كان عليها " (١)
قال ابن حجر: " وهذا يؤخذ منه ان ذلك يقع عقب نفخة الصعق
بعد الحشر الأول ويؤيده قوله تعالى (واذا الأرض مدت والقت ما فيها
وتخلت) (٢) وبعد

وبعد ان ذكر الحافظ ابن حجر ما سبق نقله من حجج القائلين بأن التفسير
يحصل فى ذات الأرض هذه وفى صفاتها ذكر مستند القول الآخر وهو ان
التبديل انما يقع فى صفات الأرض دون ذاتها :-

بما اخرجها الحاكم عن عبد الله بن عمرو قال : " اذا كان يوم القيامة مدت
الأرض من الأديم وحشر الخلائق " ومن حديث جابر رفعه " تمد الأرض من
الأديم ثم لا يكون لابن آدم منها الا موضع قدميه " ورجاله ثقاة الا انه
اختلف على الزهرى فى صحابه ووقع فى تفسير الكلبي عن ابي صالح

عمن ابن عباس فى قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال :
" يزد فيها وينقص منها وينهب آكامها وجبالها واوديتها وشجرها وتمد

(١) قال ابن كثير فى تفسير الامثا أى " لا ترى فى الأرض يومئذ واديا ولا
رابية ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا كذا قال ابن عباس ، وعكرمة ،
ومجاهد ، والحسن البصرى ، والضحاك وقتادة وغير واحد من
السلف " تفسير ابن كثير : ١٦٥ / ٣ .

(٢) سورة الانشقاق : آية : ٣ ، ٤ .

مد الأديم العكاضى " وعزاه الثعلبى فى تفسيره لرواية ابى هريرة وحكاه
البيهقى عن ابى منصور الأزهرى .

قال ابن حجر: " وهذا وان كان ظاهره يخالف القول الأول فيمكن
الجمع بأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا لكن أرض الموقف غيرها " (١)
- وخلاصة الاقوال فى أرض المحشر : ان بعضهم ذهب الى انها ارض بيضاء
كالفضة ويعزى هذا القول الى :-

عبدالله بن مسعود وذكر له الطبرى عدة روايات

والى عبدالله بن عباس

والى مجاهد

والى عمرو بن ميمون .

وبعضهم ذهب الى أنها ارض بيضاء من فضة ويعزى هذا القول الى
أنس بن مالك

وعلى بن ابى طالب لكن لم يبين اسم الراوى عنه .

ورواية عن ابن عباس .

وذهب بعضهم الى انها تبدل خبزة ويعزى هذا القول الى سعيد بن

جبير ، ومحمد بن كعب القرظى أو عن محمد بن قيس .

وذهب بعضهم الى :

انها تبدل الأرض بأرض أخرى ويعزى هذا القول الى كعب .

ورواية عن ابى هريرة مرفوعة وفى سندها من لم يسم من الرواة .

والى عمرو بن ميمون الأودى .

وقال بعضهم انها تبدل نارا ويعزى هذا القول الى عبدالله بن مسعود
وذكره الطبرى روايتين غير مرفوعة يذكر فيها ان الأرض تبدل نارا وبعدها
ذكر الطبرى رحمه الله تلك الأقوال قال :-

* وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه يوم تبدل الأرض
التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها وكذلك السماوات اليوم تبدل
غيرها كما قال جل ثناؤه وجائز ان تكون المبدلة ارضا اخرى من فضة وجائز
ان تكون نارا وجائز ان تكون غير ذلك ، ولا خبر فى ذلك عندنا من الوجه
الذى يجب التسليم له أى ذلك يكون فلا قول فى ذلك يصح الا ما دل عليه
ظاهر التنزيل . * (١)

— (مدة وقوف الخلق في الموقف) —

١— ما جاء في القرآن الكريم .

٢— ما جاء في السنة النبوية .

=====

عرفنا مما سبق ان الناس يقفون في الموقف الذي اعدّه الله تعالى في الأرض الطاهرة التي تليق بجلال الله سبحانه وتعالى ان ينزل فيها لفصل القضاء بين المخلوقات .

وقد اختلف العلماء في مقدار تلك المدة التي يقفونها قبل الانتهاة الى المصير النهائي ، وفي مدى مكثهم في الموقف هل له مدة محددة معلومة في القرآن أو السنة أم لا ؟ وللاجابة عن هذا السؤال اذكر ما يلي :-

أ- أما من القرآن الكريم فقد جاءت بعض الآيات تفسير التحديد ولكن ذلك التحديد فيه تباعد جدا ويظهر ذلك واضحا في تحديد المدة بألف سنة أو بخمسين ألف سنة فان هذا التحديد مما استشكله جماعة من العلماء كما ذكر الشوكاني . (١)

فما ورد في تحديد المدة بألف سنة قول الله تعالى (يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) (٢) وقال تعالى : (ويستعملونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) (٣) .

ومما ورد من تحديده بخمسين ألف سنة قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) (٤)

-
- (١) فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٨ .
(٢) سورة السجدة : آية : ٥٥ .
(٣) سورة الحج : آية : ٤٧ .
(٤) سورة المعارج : آية : ٤ .

وتفصيل تلك الآيات وبيان ما قاله علماء التفسير فيها نبينه فيما يلي :-
أما الآية الأولى فانها واردة على غير يوم القيامة بل هي حالة من الحالات
التي تحصل للملائكة من الهبوط والصعود ما بين الأرض والسما كما ذهب
اليه كثير من العلماء . (١)

ومعظم يذهب الى انها واردة في تحديد يوم القيامة ولكن هؤلاء قد أشكل
عليهم ما جاء في الآية الثانية التي تحدد مقداره بخمسين الف سنة .
لأن بين هاتين المسافتين ما لا يخفى من التفاوت ولهذا كان لا بد من الجمع
بينهما على ان من العلماء من فسر الآية الثانية أيضا بحصول تلك المسافة وهي
خمسون ألف سنة بالنسبة للملائكة في الدنيا من صعودهم وهبوطهم ما بين
الأرض والسما . (٢)

وسنذكر فقط من الأقوال ماله علاقة بتحديد يوم القيامة فنقول :-
١- من العلماء من فسر هذا اليوم بأنه يوم القيامة وقالوا ان معنى تقديره
بخمسين الف سنة ان الله يفرغ من القضاء بين عباده في يوم واحد قدره خمسين
ألف سنة .

ويعزى هذا الرأي فيما يذكر الطبرى الى

عكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد . (٣)

ويذكر ابن كثير ان الرواية الى ابن عباس في تفسيره للآية " وفي يوم كان مقداره
خمسين ألف سنة " بأنه يوم القيامة سندها صحيح . (٤)

(١) - انظر جامع البيان ج ٢٩ ص ٧٠ .

(٢) جامع البيان ج ٢٩ ص ٢٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤١٩ .

٢- ومن السلف من خصص طول هذا اليوم بالنسبة للكفار بخلاف المؤمنين فانه يكون قصيرا عليهم رغم انه خمسون ألف سنة .
ويعزى هذا الرأي الى :

ابن عباس رضى الله عنهما ويروى عنه انه توقف عن بيان هذا اليوم بل وغضب على السائل حينما سأله عن هذا كما أخرج الطبري بسنده الى ابن ابي مليكة قال : "سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة قال فاتهمه ف قيل له فيه فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال انما سألتك لتخبرنى فقال هما يومان ذكرهما الله جل وعز الله أعظم بهما واكره أن أقول فى كتاب الله بما لأعلم " (١)

ومن توقف كذلك من السلف سعيد بن المسيب كما أورد الشوكاني عنه (٢)
أما تلك الرواية عن ابن عباس الدالة على توقفه فانه يعارضها ما اخرج الطبري ايضا بسنده الى ابن عباس " فى قوله " تعرج الملائكة والروح اليه فى يسوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فهذا يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة " (٣)

والى هذا ذهب كثير من العلماء فى توفيقهم بين الآيات الواردة فى تحديده وقد ذهب الرازى الى الجزم بأن تخصيص طول الموقف انما هو بالنسبة للكفار وذلك فى قوله " واعلم ان هذا الطول انما يكون فى حق الكافر انما فى حق المؤمن فلا والدليل عليه الآية والخبر انما الآيه فقوله تعالى (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقبلا) (٤)

(١) - (٢) جامع البيان ج ٢٩ ص ٧١ - ٧٢ .

(٣) فتح القدير ج ٤ ص (٢٥١) .

(٤) سورة الفرقان : آية : ٢٤ .

واتفقوا على ان ذلك المقييل والمستقر هو الجنة ، وأما الخبر فما روى عن
ابى سعيد الخدرى انه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أطول هذا اليوم فقال والذي نفسى بيده انه ليخفف عن المؤمن حسرتى
يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلحها فى الدنيا " (١)
ومن الأقوال الأخرى :

٣- ما ذكره الرازى عن الحسن انه قال " المراد أن موقفهم للحساب هتى
يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سنى الدنيا ثم بعد ذلك يستقر أهل
النار فى دركات النيران " (٢)

٤- ومنها :-

((ان هذه المدة واقعة فى الآخرة لكن على سبيل التقدير لا على
سبيل التحقيق والمعنى انه لو اشتغل بذلك القضاء والحكومة أعقل الخلق
واذكا هم لبقى فيه خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة
فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا)) (٣)
٥- ان يوم القيامة مقداره الف سنة من أيام الدنيا ولكنه باعتبار صعوبته
وشدة أهواله على الكفار خمسين الف سنة^(٤) وهذا القول ذكره الشوكانى
وفيه تحديد المدة بألف سنة من أيام الدنيا .

(١) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٢٣ والحديث قد اخرج الطبرى فى تفسيره
(٢) التفسير الكبير: ج ٣٠ ص ١٢٣ .
(٣) المصدر السابق: ص ١٢٤ .
(٤) فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

٦- " وقيل ان يوم القيامة فيه أيام فمنها ما مقداره الف سنة ومنها ما مقداره

خمسون الف سنة " (١)

٧- " وقيل هي أوقات مختلفة يعذب الكافر بنوع من أنواع العذاب ألف سنة

ثم ينقل الى نوع آخر فيعذب به خمسين ألف سنة " (٢)

٨- " وقيل مواقف القيامة خمسون موقفا كل موقف الف سنة فيكون معسني

(يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة " انه يعرج اليه في وقت

من تلك الأوقات أو موقف من تلك المواقف " (٣)

قال البرديسي :

" ومقدار ذلك اليوم كما قال تعالى في سورة السجدة " في يوم كان مقداره

الف سنة ما تعدون " أي في الدنيا ، وقال تعالى في سورة سأل

" في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " وهو يوم القيامة لمدة أهواله بالنسبة

الى الكافر واما المؤمن فيكون اخف عليه من صلاة مكتوبة في الدنيا ، وقيل

يوم القيامة خمسون موطنا كل موطن الف سنة " (٤)

ويقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله في الجمع بين قوله تعالى (وان يوما

عند ربك كالف سنة ما تعدون " وكذا قوله تعالى (يدبر الأمر من السماء

الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة ما تعدون) وبين

قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف

سنة) الآية

(١) - (٣) فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٤) كتاب تكملة شرح الصدور ص ٧٠ .

قال : " اعلم أولاً ان ابا عبيدة روى عن اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن ابن ابي مليكة^(١) انه حضر كلا من ابن عباس وسعيد بن المسيب سئل عن هذه الآيات فلم يدر ما يقول فيها ، ويقول لا ادري وللجمع بينهما وجهان :

الأول : هو ما أخرجه ابن ابي حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس من أن يوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض ، ويوم الألف في سورة السجدة هو مقدار سير الأمر وعروجه اليه تعالى ويوم الخمسين الفا هو يوم القيامة .

الوجه الثاني : ان المراد بجمعها يوم القيامة وان الاختلاف باعتبار

حال المؤمن والكافر ويدل لهذا قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذكر هذين الوجهين صاحب الاتقان والعلم عند الله^(٢) " وقد وردت اخبار تفيد تحديد مدة الوقوف بأربعين سنة كما يروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قيا ما اربعين سنة شاخصة ابصارهم ينتظرون فصل القضاء " (٣)

وكذا ما روى عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قيا ما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء^(٤)) الحديث . ووردت اخبار تفيد ان مدة المكث في الموقف الف سنة كما جاء عن زيد الرشد قال : " يقوم الناس يوم القيامة الف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة"^(٥)

-
- (١) انظر: جامع البيان ج ٢٩ ص ٧٢ .
(٢) دفع ابهام الاضطراب مع اضواء البيان ص ٢٠٧ ج ٩ .
(٣) ذكره المنذرى في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٩١ وعزاه الى ابن ابي الدنيا والطبرانى من طريق اهداها صحيح واللفظ له والحاكم وقال صحيح الاسناد .
(٤) النهاية ٢٦٥/١ وعزاه الى البيهقي .
(٥) النهاية ١٥/٢ وعزاه الى ابن ابي الدنيا .

وهذه الأخبار التي تحدد المدة بأربعين سنة أو بألف سنة لا تتفق مع ما جاء في كتاب الله وفي الصحيحين من تحديد ذلك اليوم بما ذكر وتوجيه ذلك ما تقدم ذكره من أقوال العلماء .

وأما التحديد بأربعين سنة فقد جاءت مراداً بها ما بين النفختين لأمدة القيام في الموقف وحتى هذه المدة ما بين النفختين غير مسلمة أنها أربعون سنة على ضوء ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وأما التحديد بألف سنة قياماً وعشرة آلاف سنة للقضاء بينهم فهو تفضيل فيه نظر لما اسلفنا ذكره .

وفيما يبدو فإن القول بأن تلك المدة وهي خمسون الف سنة إنما هي مدة نسبية إذ هي على الكافر كذلك بخلاف المؤمن فإنها تكون عليه قصيرة هو القول الذي تجتمع عليه تلك الأقوال .

وما هو معروف أن الإنسان حينما يكون في بلوى وهم يكون الوقت عليه بطيئاً ثقيلًا وكأن الساعات أيام بخلاف من كان في سرور وانسراح فإن الوقت يمر عليه خفيفاً مسرعاً " وفي هذا يقول الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله : " ان يوم القيامة يطول على الكفار ويقصر على المؤمنين ويشير لهذا قوله تعالى بمد هذا بقليل " الطك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً (١)

فتخصيصة عسر ذلك اليوم بالكافرين يدل على ان المؤمنين ليسوا كذلك وقوله تعالى (فذلك يوم عسير ^{يومئذ} على الكافرين غير يسير) يدل بمفهومه ايضاً على

انه يسير على المؤمنين غير عسير كما دل عليه قوله تعالى (مهطمين السى
الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) (١) .

ومن المعلوم ان السرور يقصر به الزمن ، والكروب والمهوم سبب لطولسه^(٢)
وما ورد فى تقوية هذا الرأى ماروى عن ابى سعيد قال : قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده انه ليخف على

المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصلحها فى الدنيا) . (٣)
وقال عبد الله بن عمرو " ان للمؤمنين يوم القيامة كراسى من نور يحبسون
عليها وتظلل عليهم الغمام ويكون يوم القيامة عليهم كساعة من نهار أو كأحد
طرفيه . (٤)

وعن ابى هريرة قال : (يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر السى
العصر) وذكر ابن كثير عن البيهقى انه قال : " هذا هو المحفوظ وقد روى
مرفوعا " (٥)

وقال ابن مسعود فى قوله تعالى (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
وأحسن مقيلا) قال : لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء^(٦)

-
- (١) سورة القمر : آية : ٨ .
 - (٢) أضواء البيان ج ٩ ص ٢٤٣ .
 - (٣) مسند أحمد ج ٥ ص : وقال البيهقى فى مجمع الزوائد ٣٢٧/١ .
واسناده حسن على ضعف فى رواية .
 - (٤) ذكره ابن كثير فى النهاية ج ١ ص ٣٢٤ وعزاه الى ابن ابى الدنيسا .
 - (٥) النهاية لابن كثير ج ١ ص ٣٢٦ .
 - (٦) القيلولة : هى النوم وقت الظهيرة واذ كان النون وقت الظهيرة
فى الجحيم أشد عذابا ونكالا . النهاية ج ١ ص ٣٢٧ .

وفى رواية اخرى عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
(يوم القيامة يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة
فيهن ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب الى ان تضرب) (١)

(١) ذكره الهيثمي فى مجمع الزوائد وقال : ورجاله رجال الصحيح غير
اسماعيل بن عبدالله وهو ثقة ، مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٢٧ ش
عزاه الى ابي يعلى .

- (الأحاديث الواردة في تحديد مدة الوقف) -

=====

ب) وبالإضافة الى ما تقدم ذكره من بعض الروايات التي جاءت من خلال شرح الآيات في تحديد مدة يوم القيامة فقد وردت احاديث في الصحيح تنص على تحديد مدة يوم القيامة بخمسين الف سنة غير انها تقبل - فيما يظهر - تلك الاحتمالات التي تقدمت في النصوص السابقة ومن تلك الاحاديث: ما أخرج الامام مسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار) قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم ورتها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضه بأفواها كلما مر عليه أولاها رد عليه اخرها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار " قيل يا رسول الله فالبقرة والغنم قال: (ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء^(٣) ، ولا جلحاء^(٤)

(١) بطح لها " قال النووي: " قال جماعة معناه القى على وجهه قال القاضي قد جاء في رواية للبخارى يخبط وجهه باخفافها قال: وهذا يقتضى انه ليس من شرط البطح كونه على الوجه وانما هو في اللفظة بمعنى البسط والمد يكو على وجهه ، وقد يكون على ظهره ومنه سميت بطحاء مكة لانيساطها " .

(٢) بقاع قرقر: القاع المستوى الواسع من الأرض يملوه ماء السماء فيمسكه والقرقر المستوى ايضا من الأرض الواسع وهو بفتح القافين " .

(٣) عقصاء قال أهل اللفظة العقصاء ملتوية القرنين .

(٤) والجلحاء" التي لا قرن لها .

ولا أعضاء^(١) تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه
اخرها (٢) في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد
فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار^(٣)
وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من صاحب
كنز لا يؤدي زكاته الا احمى عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها
جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة
ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وما من صاحب ابل لا يؤدي زكاتها
الا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت تستن^(٤) عليه كلما مضى عليه اخرها ردت
عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة
ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وما من صاحب غنم لا يؤدي زكاتها
الا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت فتطؤه باظلافها وتنطحه بقرونها ليس
فيها عقصاء ولا جلاها^(٥) كلما مضى عليه اخرها ردت عليه أولاها حتى يحكم
الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما تعدون ثم يرى سبيله
اما الى الجنة واما الى النار . (٥)

(١) والفضباء التي انكسر قرننها الداخلى .
(٢) وفي رواية كلما مر عليه اخرها رد عليه أولاها وهذا ينتظم الكلام .
(٣) اخرجه مسلم ج ٣ ص ١٨٠ .
(٤) تستن : أى تجرى .
(٥) صحيح مسلم ج ٣ ص ٢١٠ .

وأخرج الامام احمد عن ابي سميد قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلحها فى الدنيا (١)
ولكن فى سند هذا الحديث راويان ضميضان وهما دراج ، وأبو الهيثم (٢) .
وأخرج كذلك عن ابي عمر العدانى قال : كنت عند ابي هريرة فمر رجل من بنى عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكبر عامرى مالا فقال أبو هريرة ردوه الى فردوه فقال : نبئت انك ذو مال كبير فقال العامرى أى والله ان لى لمائة حمراء أو مائة ادماء حتى عد من ألوان الأهل وافنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة : اياك واخلاف الأهل واظلاف الغنم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامرى يتغير فقال ما ذاك يا ابا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من كانت له ابل لا يعطى حقها فى نجدتها ورسلها قلنا يا رسول الله ما نجدتها ورسلها قال فى عسرها ويسرها فانها تأتى يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره واسمنه وأشره حتى يبيطح لها بقاع قرقر فتطوه بأخفافها فاذا جاوزته أخراها اعيدت عليه أولاها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين الناس فىرى سبيله واذا كانت له بقرا لا يعطى حقها فى نجدتها ورسلها فانها تأتى يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره واسمنه وأشره ثم يبيطح لها بقاع قرقر فتطوه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا اعضاء اذا جاوزته أخراها اعيدت عليه أولاها

(١) المسند ج ٣ ص ٧٥ ، وتفسير ابن جرير ج ٢٩ ص ٧٢ .

(٢) ابن كثير فى تفسيره ج ٤ ص ٤١٩ .

فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله
وانا كانت له غم لا يعطى حقها فى نجدتها ورسلاها فانها تأتى يوم القيامة
كأغذ ما كانت واسمنه واشره حتى يبطلح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف
بظلفها وتتطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضاء اذا جا وزته
أخراها اعيدت عليه أولاها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى
بين الناس فيرى سبيله " . . . الخ الحديث .^(١)

ويتبين لنا مما تقدم بحثه انه ليس معنى طول ذلك اليوم هو تحديده بزمن
ينتهى بنهاية وقته كما هو الحال فى أيام الدنيا اذا انتهى وقت النهار
جاء وقت الليل وبالعكس ليس ذلك اليوم كذلك بل انه يوم على صفة واحدة
يطوله الله تعالى كيفما يشاء ينتهى باكمال الله تعالى فصله بين خلقه .
وهذا ما اشار اليه البرديسى بقوله : " واعلم ان يوم القيامة ليس بطوله كما
عهد من طول الأيام ، بل هو الاف من الأعوام وليس يكون كلامهم دفعة واحدة
ولا فراغهم فى مرة واحدة بل يتخلصون ويفرغون شيئا بعد شىء لكن طول
ذلك اليوم خمسين الف سنة بل يتخلصون ويفرغون شيئا بعد شىء لكن طول
ذلك اليوم خمسين الف سنة فيفرغون بفرغ اليوم ويفرغ اليوم بفرغهم وليس
أيضا هذا اليوم مثل ايام الدنيا التى تكون على حكم دوران الفلك اذا
ذهب الليل جاء النهار واذا ذهب النهار جاء الليل حكمة الله التى حيرت
المتقول واكت الأبصار واخرست الإلسن ليس هناك ليل انما هو وقت واحد
على صفة واحدة وهو الذى يسمى يوما انما هو مقدار من ذلك الوقت يطولسه
الله عز وجل ما شاء ويقصره ان شاء . . . واعلم ان هذا اليوم يتلون الوانا

(١) أخرجه أحمد ج ٢ ص ٢٦٢ .
وأبو داود ج ١ ص ٣٨٦ .
والنسائى ج ٥ ص ١٣ - ٢٤ .

ويستحيل أحوال الناس فيه أحوالا فينبعثون فيه من قبورهم ويساقون فيه الى محشرهم ومكان القصاص فيهم ويقفون منه ما شاء الله ان يقفوا شاخصا بصارهم الى السماء فبهوتين سكارى حيارى من عظم ما اصابهم وهول ما نزل بسهم . ويأتى فى ذلك اليوم وقت منه يتكلم فيه المشركون فيقولون الله ربنا ما كنا مشركين ويأتى عليهم منه وقت آخر لا يتكلمون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفيه تكون المحاسبة والمناقشة وفيه يتعلق الناس بعضهم ببعض ويلبب بعضهم بعضا ويخاصم بعضهم بعضا " الى ان يقول " وبالجملة فليس يتم ذلك اليوم الا وقد نزل كل انسان بداره واستقر فى قراره من جنته أو ناره " (١)

وقال البرديسى أيضا - فى كلام نفيس : " واعلم انه كلما طال قيامك فى أيام الدنيا قل تعبك فى ذلك اليوم وكلما كثر تصرفك فى طاعة الله تعالى وانتصاهك له قصر قيامك فى ذلك اليوم وكلما قصر تصرفك فى طاعة الله واقبالك وادبارك فى قضاء حاجة مسلم ومشيك معه ومشاركته له تقل مشيك فى ذلك اليوم وتقل نصبك فيه ويقدر ما تبذل تعطى وكما تدين تدان ولعلك يا هذا تستطيل ركعتين تقرأ فيهما جزء أو جزئين تقدم فيهما لربك جل جلاله ولعلك تعجز من ميل فى قضاء حاجة مسلم أو ميلين وبين يديك هذا اليوم الطويل المديد والكرب العظيم الشديد الذى لا يقصر الا على من اطال التعب لله ولا يسهل الا على من تحمل الشدائد فى ذات الله ولعلك ان صليتهما ليلة عجزت عنهما ليلة أخرى ولعلك ان مشيت يوما فى قضاء حاجة مسلم برمت من ذلك يوما آخر وضجرت منه وكسلت عنه وربما وقفت لسماع حديث فارغ يكون تقديره أكثر من جزء أو جزئين وربما مشيت فى فضول الميل والغيلين

واكثر من ذلك ولو تدبرت في امرك ونظرت فيما يراد بك لسهل عليك من
امرك العسير وقرب عليك فيه البعيد فاعمل رحمك الله في أيام قصار وعمر
قصير لا يام طوال وعمر طويل فتنفمك رحمك الله في ذلك الزحام والانضمام
والانشقاق والتلاق واجتماع الأنس والجان ومن يجمع بين سائر اصناف الحيوانات
وانتقالهم وتدافعهم واختلاطهم ولا قرار ولا انتهاء ولا ملاذ ولا انقياد وقرب
الشمس فيهم قبل تكويرها وكانت كمقدار ميل وتزيد في حرها وضعف في
وهجها ولا ظل الا ظل عرش ربك بما قدمته من كسبك وقد انضاف الى حر
الشمس حر الانفاس ومزاحمة الناس واختراق القلوب لما غشيها من الكرب
واشتد الفرق وعظم القلق وسال من الاجسام العرق وانبعث من كل موضع
من الجسد وانبثق وكان الناس فيه على قدر أعمالهم فتفكر في نفسك ايها
المسكين وقد ضاق نفسك وزاد قلقك وسال عرقك وجري من جميع بدنك من
مفرك الى قدمك ووصل منه الى حيث اوصلته بعطك اما الى كعبك أو صاعدا
الى اذنك فانظر الى هذا الحال وتفكر في هذا الويال وسوء هذا البآل واعلم
انه لو سال عرقك في الدنيا طول عمرك واضعاف عمرك في طاعة ربك وفسي
رضا سيدك على أن لا تمرق في ذلك اليوم لكان ذلك يسيرا أو لكنت به
جديرا لكانت سلامتك منه مضمنا كثيرا وفوزا كبيرا نسأله سبحانه وتعالى أن

يوفقنا لما يحبه ويرضاه آمين (١)

وقد نقلنا هذه العبارات لنفاسها ولأنه لا يستطيع الاطلاع عليها لانها
لاتزال في غياهب المخطوطات .

الباب الثاني

(في الشفاعة) -

ويتكون من الفصول الآتية :

تمهيد : ١- الفصل الأول : تعريف الشفاعة :

١- في اللفظة

٢- في الشروع

٢- الفصل الثاني : اقسام الشفاعة :

١- الشفاعة المثبتة التي ورد بها النص .

٢- الشفاعة المتفيدة .

٣- الفصل الثالث : اقسام الشفاعات الثابتة التي ورد بها النص :

١- الشفاعة المعطى .

٢- الشفاعة لقوم استحقوا النار أن لا يدخلوها .

٣- الشفاعة في أهل الكبائر .

٤- الشفاعة لأقوام ان يدخلوا الجنة بغير حساب .

٥- شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة المنورة

٦- الشفاعة في دخول المؤمنين الجنة .

٧- الشفاعة لرفع درجات أهل الجنة .

٨- شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب في تخفيف

المذاب عنه .

الفصل الرابع : ثبوت الشفاعة في بعض الأعمال

١- طلب الوسيلة للرسول صلى الله عليه وسلم والاكثار من الصلاة

عليه .

- ٢- قول الشخص لا اله الا الله خالصا من قلبه وموته على ذلك .
- ٣- الأكتار من السجود .

الفصل الخامس : الشفاعات التي لم يرد بها نص صحيح .

تمهيد :

- ١- الشفاعة لمن زار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٢- الشفاعة للأقرب فالأقرب منه صلى الله عليه وسلم .
- ٣- الشفاعة لأهل مدن بمينها غير المدينة المنورة
- ٤- الشفاعة لأكرم ما على وجه الأرض من شجر ومدر .
- ٥- الشفاعة لمن مات في أحد الحرمين .
- ٦- الشفاعة لمن تأخها في اللس .
- ٧- الشفاعة لمن قضى حوائج آل البيت .
- ٨- الشفاعة لمن حفظ اربعين حديثا .
- ٩- الشفاعة لمن قضى حوائج الناس .

الفصل السادس : الأمور التي تمنع الشفاعة :

- ١- الاشراك بالله تعالى .
- ٢- كثرة تعمد اللعن .
- ٣- التكذيب بوقوع الشفاعة .

الفصل السابع : ذنوب لم يثبت نفي الشفاعة فيها .

- ١- القول بمنع الشفاعة عن صاحب البدعة .
- ٢- المرجئة والقدرية .

٣- من غش العسرب .

٤- من سارت تحت رايات العباسيين .

الفصل الثامن : أقسام الشفعا

أ- قسم ثبت صحة شفاعتهم وهم :

١- شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

٢- شفاعة الانبياء الآخرين غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

٣- شفاعة الملائكة .

٤- شفاعة الشهداء .

٥- شفاعة الولدان .

٦- شفاعة المؤمنين بعضهم في بعض .

٧- شفاعة القرآن الكريم .

ب) قسم لم تثبت صحة شفاعتهم .

١- شفاعة الحجر الأسود .

٢- شفاعة بعض الأعمال : مثل : ١- الصيام

٢- قراءة قل هو الله أحد ألف مرة .

٣- شفاعة بعض الأشخاص مثل :

١- المؤمنین

٢- الحجاج

الفصل الأول
مم

- (تعريف الشفاعة) -

تمهيد :

- ١- في اللفظة .
- ٢- في الشرع .

=====

تمهيد :

بحث الشفاعة في الآخرة من اهاب الابحاث الى النفس ان بها يعرف المسلم قدر رحمة الله تعالى ، ويعرف تفضله على انبيائه عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام وقد جعلها الله كرامة منه ورفعها لدرجة الشافع واظهار لمبزلته وهي بالاضافة الى انها لاکرام الشافع فهي كذلك نفع للمشفوع له من أهل المعاصي الذين توقفت سعادتهم على حصولها بمد اذن الله ورضاه .

واذا كان الله قد تفضل باكرام أقوام فقبل شفاعتهم وسند كرمهم فان لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم المقام الأول والحظ الأوفر في ككرة شفاعته لأمته وهو الرؤف بهم الصادق في ايصال الخير اليهم صلى الله عليه وسلم تسليما كغيرا .

واذا كان أمر الشفاعة من الأمور التي يعتقد ها كل مسلم اتخذ الكتاب والسنة هاديا وابتعد عن أقوال أهل البدع والزيغ فان من المؤسف ان يوجد من بين صفوف المسلمين من ينكر بعض جوانب الشفاعة بحجج واهية وأقوال سقيمة .

واذا كان قد وجد من ينكر بعض جوانب الشفاعة ممن ينتمى الى أهل القبلة فان قسما آخر منهم قد اثبتوا جوانب أخرى من الشفاعة لم يثبت بها نص ولم يقل بها أحد من السلف مبالفة منهم في حب من اثبتوا له تلك الشفاعات وهؤلاء هم جهلة المسلمين وگلتا الطائفتين خرجتا عن الحق وعن الاعتقاد السليم وقبل التفصيل لاقسام الشفاعات الثابته ، وغير الثابته نذكر تعريف الشفاعة في اللفظة وفي الشرع .

— (معنى الشفاعة فى اللفظة) —

الشفاعة فى لغة العرب مشتقة من الشفع الذى هو غير الوتر أى أن الشفع هو الزوج الذى هو عكس الوتر عند الأطلاق تقول اعطيتك كتابا ثم شفعتك بآخر أى صار ما معك زوجا بعد أن كان وترا (قال ابن منظور " شفع الوتر من العدد شفعا صيره زوجا " (١)

والمشفع — بكسر الفاء — هو الذى يقبل الشفاعة .

والمشفع — بفتح الفاء — هو الذى تقبل شفاعته .

قال ابن الأثير فى النهاية: " قد تكرر ذكر الشفاعة فى الحديث فيما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة وهى السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم يقال شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع الذى يقبل الشفاعة والمشفع الذى تقبل شفاعته " (٢) وعرفها اللقانى بأنها فى اللفظة هـى :
" الوسيلة والطلب " . (٣)

ومن الشفع أخذت تسمية الشفعة التى هى الزيادة لأن من حقت له الشفعة زاد فى ماله ذلك المشفوع فيصير ما معه شفعا وكأن ما حصل معه من الطك قبل الشفعة وترا وبعد أخذ المشفوع صار شفعا وفى هذا يقول ابن الأثير:
" الشفعة فى الطك معروفة وهى مشتقة من الزيادة لأن الشفيع يضم المبيع الى ملكه " (٤) .

(١) لسان العرب ١٨٣/٨ .

(٢) النهاية ٤٨٥/٢ .

(٣) شرح جوهرة التوحيد ص ١٨٦ .

(٤) النهاية لابن الأثير: ٢ / ٤٨٥ .

وقال الراغب : " الشفع ضم الشىء الى مثله " قال : " والشفعة : هو

طرب صبيع فى شركته بما يبيع به ليضمه الى ملكه وهو من الشفع " . (١)

وقد سميت المخلوقات بالشفع كما قال أهل التفسير فى بيان معنى قول

الله تعالى : (والشفع والوتر)^(٢) انهم المخلوقات الذكر والانثى على أحد

الأقوال التى قيلت فى معنى الشفع كما ذكر ابن كثير .^(٣)

وذكر الراغب ان المخلوقات سميت بالشفع " من حيث انها مركبات كما قال

(ومن كل شىء خلقنا زوجين)^(٤) (٥)

ويطلق الشفع كذلك على الشيتين مطلقا سواء أكانا فى شىء واحد أم فى

أشياء متفرقة وذلك كاطلاق لفظ الشفعة على ركعتى الضحى فى قولهم شفعة

الضحى ومنه " من حافظ على شفعة الضحى غفر له ذنوبه " قال ابن الأثير

يعنى ركعتى الضحى . (٦)

وللشفع معان كثيرة كلها تدور حول معنى لفقوى واحد وهو ضروره الوتر

شفعا أى زوجا (٧) وقد اطلق الله تعالى فى كتابه الكريم على من طلب

(١) المفردات ص ٢٦٣ .

(٢) سورة الفجر : آية : ٤ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير : ٤ / ٥٠٥ - ٥٠٦ .

(٤) سورة الذاريات : آية : ٤٩ .

(٥) المفردات للراغب : ص ٢٦٣ .

(٦) النهاية لابن الأثير : ٢ / ٤٨٥ .

(٧) انظر : كتب اللغة مادة " شفع " .

شيئا لغيره سواء أكان في فعل الخير أو الشر شفيعا وشافعا فقال تعالى
(من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له
كفل منها) (١)

يقول ابن كثير في بيان معنى الآية (أى من يسعى في أمر فيترتب عليه
خير كان له نصيب من ذلك) (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها)
أى يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذى ترتب على سعيه ونيته كما ثبت فى
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (اشفعوا تؤجروا أو يقضى الله
على لسان نبيه ما شاء) (٢)

ويقول الشوكاني فى معرض تفسيره للآية (أصل الشفاعة والشفعة ونحوهما
من الشفع وهو الزوج ومنه الشفيح لأنه يصير مع صاحب الحاجة شفعا والشفع
ضم واحد الى واحد . . . فالشفاعة ضم غيرك الى جاهك ووسيلتك) (٣)
وفى لسان العرب: " والشافع الطالب لغيره يتشفع به الى المطلوب يقال
تشفعت بفلان الى فلان فشغنى فيه " وكذا قوله عن الشفاعة " الشفاعة كلام
الشفيع للطك فى حاجة يسألها لغيره " (٥)

(١) سورة النساء : آية : ٨٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٥٣١ .

(٣) فتح القدير ١ / ٤٩٢ .

(٤) لسان العرب : ٨ / ١٨٤ .

(٥) المصدر السابق ٨ / ١٨٤ .

انظر: تاج العروس ٥ / ٤٠١ .

(ب) - (معنى الشفاعة في الشرع) -

معاني الشفاعة الشرعية متقاربة مع معانيها اللغوية وذلك لأن الشفاعة ^{يراد} الشرعية يراد بها ما أريد بمعانيها اللغوية من انضمام شيء إلى شيء آخر وزيادته في مكان مخصوص وهي التي يراد بها معناها الواضح الذي ورد به الشرع مخبرا عنه ومبيناً أمره مما يحصل في الدار الآخرة وهي طلب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره من الله في الدار الآخرة حصول منفعة لأحد من الخلق " ويدخل تحت هذا التعريف جميع أنواع الشفاعات الخاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره كالشفاعة العظمى وهي طلب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من ربه اراحة الناس من الموقف بمجيئه لفصل القضاء ، ويدخل كذلك شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول أهل الجنة الجنة وشفاعته في تخفيف العذاب عن ابي طالب وشفاعة الشفعاء في رفع الدرجات في الجنة وكذا الشفاعة في اخراج قوم من النار وادخالهم الجنة ، ولوضوح أمر الشفاعة في الآخرة فان تعريفها تعريفاً خاصاً بها ومحدداً لها لم يرد الا قليلاً على السنة علماء العقائد لظهور المراد منها ان هي ايصال الخير أو دفع الضرر عن الغير بأي صفة كانت وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار معرفاً لها في الاصطلاح بعد أن عرفها في اللفظة قال :
وأما في الاصطلاح فهو مسألة الغير ان ينفع غيره أو ان يدفع عنه مضرة^(١)
وهذا التعريف عام يشمل جميع أقسام الشفاعة في الدنيا والآخرة ، ويعرفها ابن الأثير كذلك بقوله : " وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم " (٢) أي الخلق .

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٨ .

(٢) النهاية : ٤٨٥ / ٢ .

وقال الراغب: " والشفاعة الانضمام الى آخر ناصر له وسائلا عنه" (١)

وعرفها الجرجاني بأنها: " هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي

وقع الجناية في حقه " (٢)

وعرفها اللقائى بأنها: " سؤال الخير من الفير للفير " (٣)

ومن هنا يتبين لنا العلاقة بين تعريف الشفاعة في اللغة وتعريفها في الاصطلاح ، والنسبة بينهما ان المعنى اللفوى عام يشتمل المعنى الاصطلاحى وغيره ، وذلك ان الشفاعة في اللغة يراد بها كل ما يدل على الانضمام والزيادة سواء كانت في خير أو شر ، وسواء أكانت في الدنيا أو الآخرة .

وأما في الاصطلاح فهي لا تكون الا في الخير في دار الآخرة كما هو معلوم وحيث ان الشفاعة في الآخرة اصبح لها مدلولها الخاص بها عند الناس فانهم اختلفوا فيها اختلافا كثيرا بين نافلها وبين قائل بها كما سنفصل هذا في موضعه ان شاء الله تعالى .

(١) المفردات ص ٢٦٣ .

(٢) التعريفات: ص ١٢٧ .

(٣) شرح جوهرة التوحيد ص ١٨٦ .

الفصل الثاني

أقسام الشفاعة :

١- الشفاعة المثبتة

٢- الشفاعة المنفية

=====

لقد قضت حكمة الله تعالى ان يتجلى على عباده في الموقف بالجلال
والجبروت وقد تقدم لنا من أحوال الموقف ان الناس يخرقون في عرقهم، وان
الشمس تدنو منهم كقيد ^{لهم} ميل حتى يتمنى الناس ~~الكل~~ الانصراف ولو الى النار
فيتلفون يمينا وشمالا ليجدوا مخرجا من هذا الهول العظيم وهنا تتجلى
حكمة الله تعالى في انقاذ خلقه باكرامه لمن اذن له بالشفاعة ، الشفاعة
العظمى التي خصها لرسوله صلى الله عليه وسلم وسيأتي الحديث في ذلك
مفصلا ، والشفاعة في الآخرة تنقسم أولا الى قسمين :

١- شفاعة ثابتة

٢- شفاعة منغية

— (الشفاعات الثابتة ، والشفاعات الضمنية) —

ذكر الله سبحانه وتعالى كثيرا من الآيات في اثبات الشفاعة وتحقق وقوعها في يوم القيامة بعد اذنه سبحانه وتعالى للمشافع ورضاه عن المشفوع له كما ذكرت آيات أخرى تنفي الشفاعة ووقوعها في يوم القيامة .
فهل هناك تعارض بين اثبات الشفاعة ونفيها حسب ما تقدم من ظواهر الآيات والجواب : انه لا تعارض بينها ، وستعرف انه ليس هناك تعارض حقيقي وانما هو تعارض في الظاهر اذ أن الآيات الثبته للشفاعة اثبتتها في مكان خاص ولجماعة خاصة والآيات التي نفت الشفاعة نفتها في مكان خاص ولجماعة خاصة كما سيأتى تفصيل ذلك .

أ (الآيات التي ذكرها الله تعالى لاثبات الشفاعة ووقوعها في يوم القيامة بعد اذنه تعالى ورضاه قال تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) (١)

٢— (وقال تعالى : ما من شفيع الا من بعد اذنه) (٢)

٣— وقال تعالى (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى

وهم من خشيته مشفقون) (٣)

٤— وقال تعالى : (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له

قولا) (٤)

٥— وقال تعالى : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق

وهم يعلمون) (٥)

(١) سورة البقرة : آية : ٢٥٥ .

(٢) سورة يونس : آية : ٣ .

(٣) سورة الانبياء : آية : ٢٨ .

(٤) سورة طه : آية : ١٠٩ .

(٥) سورة الزخرف : آية : ٨٦ .

٦- (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن

الله لمن يشاء ويرضى) (١)

فقد اثبت الله تعالى في هذه الآيات وغيرها انه يقبل الشفاعة اذا أذن

في ذلك وبالتالي فيها اثبات للشفاعة الخالية عن الموانع .

ب) وأما الآيات التي ذكرها سبحانه وتعالى في نفى الشفاعة وعدم وقوعها

فقال تعالى : (واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها

شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) (٢)

٢- وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا انفقوا ما رزقناكم من قبل أن يأتي

يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) (٣)

٣- وقال تعالى : ~~لا يعبدون من دون الله~~ ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون

هولاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في

الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) (٤)

٤- وقال تعالى : (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة

أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أظن لا تتذكرون)^(٥)

(١) سورة النجم : آية : ٨٦ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٤٨ .

(٣) سورة البقرة : آية : ٢٥٤ .

(٤) سورة يونس : آية : ١٨ .

(٥) سورة السجدة : آية : ٤٠ .

- ٥- وقال تعالى : وذر الذين اتخذوا دِينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها آلتك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون (١)
- وقال تعالى : (وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لهمم يتقون) (٢)
- وقال تعالى على لسان بعض عباده وهو الرجل الذى جاء من اقصى المدينة يسعى لينصح قومه بهذه النصيحة (اتخذ من دونه آلهة ان يردنى الرحمن بضر لا تغنى عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) (٣)
- وقال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض ثم اليه ترجعون) (٤)
- وقال تعالى (وانذرهم يوم الآزفة ان الطوب لى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاغ) (٥)
- وقال تعالى (فما تنفعهم شافعة الشافعين) (٦)

(١) سورة الأنعام : آية : ٥٧٠ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ٥١ .

(٣) سورة يس : آية : ٢٣ .

(٤) سورة الزمر : آية : ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) سورة غافر : آية : ١٨ .

(٦) سورة المدثر : آية : ٤٨ .

قال تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فمسيء ما تدعون
السماوات ولا في الأرض) (١) *ولا تدعون الله الا بشفاعتهم انهم كانوا على بصيرة*

وقال : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وصل عنكم
ما كنتم تزعمون) (٢)

ونكتفي بما تقدم ايراده من الأدلة في اثبات الشفاعة وفي نفيها المذكورة في
القرآن الكريم .

أما القسم الأول : وهي الشفاعات المثبتة *وهو ان يطلب منه الشفاعة وبأسبابها المبررة*

فهي خاصة بمن كان على التوحيد الخالص وقد ذكر الله تعالى كما فسي
الآيات السابقة انها لا تتحقق الا بتحقيق شرطين :

الأول : رضاه عن المشفوع له لكونه من أهل التوحيد .

الثاني : اذنه للشافع ان يشفع .

أما الشرط الأول فقد ذكره الله بقوله (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) (٣)

ولا يرتضى الله تعالى الا من كان موحداً قد رضى قوله وعمله لم يتخذ من
دون الله شفعاء كما فعل المشركون الذين جعلوا مع الله شفعاء يتوسلون
بهم الى الله زلفى .

وأما الثاني فقد ذكره الله تعالى بقوله (من ذا الذي يشفع عنده الا بآذنه) (٤)

(١) سورة سبأ : آية : ٢٣ .

(٢) سورة الانعام : آية : ٩٥ .

~~سورة الانبياء~~ : آية : ٢٨ .

~~سورة البقرة~~ : آية : ٢٥٥ .

..... ما من شفيع الا من بعد اذنه (١)

..... أى فلا تحصل هذه الشفاعة الا بعد اذن الله تعالى .

وقد جمع الله بين الاذن والرضى فى آية واحدة كما فى قوله تعالى (وكم من ملك فى السماوات لا تنفى شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (٢) .

وقوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له ^(٣) قولاً) فاذا اذن الله تعالى ورضى وقعت تلك الشفاعة والا لم تقع ولم يتقدم لطلبها أحد سواء أكان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا .

~~فليس الشفاعة فى الدار الآخرة كالشفاعة فى الدنيا~~ يأتى الشافع الى من يرجى منه النفع فيشفع دون اذن ذلك المرجو أو علمه فليس من شروط الشفاعة فى الدنيا الأذن فيها بخلاف الشفاعة الى الله تعالى فانها لا تكون الا بتحقيق الشرطين السابقين كما دل عليه كتاب الله تعالى اذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له وفى هذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية عن الشفاعة المنفية والمثبتة : "نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ولم يبق الا الشفاعة فبين انهم لا تنفع الا لمن اذن له الرب كما قال ولا يشفعون الا لمن ارتضى (٤) فهذه الشفاعة التى يظنها المشركون هى منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن الكريم وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه يأتى فيسجد لربه ويحمده لا يسأله

(١) سورة يونس : آية : ٣ .

(٢) سورة النجم : آية : ٢٧ .

(٣) سورة طه : آية : ١١٠ .

(٤) سورة الأنبياء : آية : ٢٩ .

بالشفاعة أولاً ثم يقال له ارفع رأسك وقل يسمع وأسأل تعط واشفع تشفع
وقال له أبو هريرة من اسعد الناس بشفاعتك قال (من قال لا اله الا الله
خالصاً من قلبه فتلك الشفاعة لأهل الاصلاح بان الله ولا تكون لمن اشرك
بالله وحقيقته ان الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاصلاح فينفر
لهم بواسطة دعاء من اذن له ان يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود
فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بانسه
فى مواضع وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم انها لا تكون الا لأهل التوحيد
والاخلاص) (١)

فمن اتى بالتوحيد كان قد أتى بالأسباب التى تجعله من أهل الشفاعة
المثبتة فان سبب الشفاعة الأعظم هو كون الشخص من أهل التوحيد
وأما المشرك فليس له اليها سبيل وان الانداد التى اتخذها من دون الله
لا تنفعه يوم القيامة بل يكون آتاك الشفعاء الذين تعلق بهم المشركون
عليهم لا لهم كما قال تعالى : (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول الملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانه انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) (٢)

فلا شفاعة اذا من الملائكة لهؤلاء الذين اشركوهم مع الله ولا يستحقون ان
يكرمهم الله بقبول شفاعة احد فيهم فان الله سبحانه هو الذى يتفضل على
أهل الاصلاح فينفر لهم بقبوله للشفاعة فيهم فالأمر كله لله لا يشركه فيه
أحد ولا يملك أحد لأحد نفعاً الا بان الله بل لا يملك الخلق حتى مجرد

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص ٢٨٨ .

(٢) سورة سبأ : آية : ٤١ - ٤٢ .

الكلام بدون اذن الله لما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صافا

لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) (١)

أما القسم الثاني : وهي الشفاعات المنفية ^{الشركية} فالمراد بها الشفاعات التي " تطلب

من غير الله أو بغير اذنه أو لأهل الشرك) (٢)

وهذه هي التي تعلق بها أهل الشرك وركنوا الى آلهتهم لتشفع لهم عند

الله ولتكون زلفى لهم اليه سبحانه وتعالى وقد ورد الله عليهم زعمهم هذا

في آيات كثيرة وقطع اطماعهم في شفاعه آلهتهم عنده . انظر في الحروف

وبين تعالى في كتابه الكريم انه ليس هناك زلفى الى الله الا بالعمل الصالح

واما ادعائهم تعظيم الله باتخاذ الوسطاء اليه فانه من الشرك الذي لم يأمر

به وليس عليه أي حجة الا اتباع الظن .

وقد أخبر تعالى في كتابه الكريم عن الكفار الذين لا قوه على الكفر انهم انهم

لا تنفعهم شفاعه أحد يوم القيامة لأن الشفاعه لا تكون الا اذا كان المحصل

قابلا وهؤلاء ليسوا محلا بقبول الشفاعه .

وما تقدم من الآيات التي فيها نص الشفاعه كلها تفيد ان الشفاعه لله وحده

ولمن ارتضى .

① انظر في الحروف -

(١) سورة عم : آية : ٣٨ .

(٢) انظر : الكواشف الجليلة ص ٣٥٢ .

الفصل الثالث

مممم

— (أقسام الشفاعات الثابتة) —

- ١ — الشفاعة العظمى .
 - ٢ — الشفاعة في دخول المؤمنين الجنة .
 - ٣ — الشفاعة لرفع درجات أهل الجنة .
 - ٤ — الشفاعة لقوم استحقوا النار ان لا يدخلوها .
 - ٥ — الشفاعة في أهل الكبائر .
 - ٦ — شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لعنه ابي طالب في تخفيف العذاب عنه .
 - ٧ — الشفاعة لأقوام ان يدخلوا الجنة بغير حساب .
 - ٨ — شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة المنورة .
- ومن هذه الشفاعات ما هو خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم ومنها ما يكون له وللانبياء الآخرين عليهم الصلاة والسلام ، ومنها ما يكون لخواص الخلق الى غير ذلك مما سنذكر تفصيله .
- وحيث ان الشفاعة لمن ذكرناهم فان الشفاعة لابي طالب ليست من غرض بحثنا لأن ابا طالب من أهل النار الذين استقروا فيها وليس لهم مصير غيرهما .
- وكذا الشفاعة في رفع درجات أهل الجنة ليست من غرضنا لأنها في أقوام قد استقر مصيرهم وانما ذكرت هذا القسم من الشفاعة من باب التقسيم .
- والواقع ان تلك الأقسام السابقة التي ذكرناها للشفاعة ليست من الأصول المتفق عليها بهذا التقسيم بل ان العلماء قد اختلفوا في عد أنواع من الشفاعة مستقلة أو مندرجه مع غيرها كما يتضح ذلك مما يلي :—

فمثلا هي عند ابن كثير ثمان شفاعات .
الشفاعة المعظمي ، وشفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم
وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة . وفي أقوام قد أموبهم الى النار
ان لا يدخلوها وشفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة
فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم ، وشفاعته صلى الله عليه وسلم في
دخول أقوام الجنة بغير حساب وان كان هذا النوع من الشفاعة قد تردد
فيه وانما نقله عن القاضي عياض فهو يقول : " ولم أر لهذا شاهدا فيما علمت
ولم يذكر القاضي عياض فيما رأيت مستند ذلك ثم تذكرت حديث عكاشة
ابن محصن حين دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم ان يجعله من السبعين
الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب . والحديث مخرج في الصحيحين
كما تقدم وهو يناسب هذا المقام " (١)

وكذا شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف العذاب عن عمه ابي طالب
وشفاعته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين الذين استحقوا دخول الجنة بدخولها
واخيرا شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الكباير من أمته . (٢) بينما هي
عند ابن القيم ست شفاعات . (٣)

ويذكر القرطبي " ان العلماء اختلفوا في شفاعته صلى الله عليه وسلم وكم هي
فقال النقاشي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات العامة وشفاعة
في السبق الى الجنة وشفاعة في أهل الكباير .

(١) النهاية ٢/ ٢٧٥ ، وانظر: ص ٢٦٩ الى ص ٢٧٥ .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) انظر: تيسير المزيز الحميد ص ٢٩٤ .

وقال ابن عطية في تفسيره : والمشهور انهما شفاعتان فقط العاصمة
وشفاعاة فى اخراج المذنبين من النار وهذه الشفاعاة الثانية لا يتدافهما
الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء .

وقال القاضى عياض : شفاعات نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة خمس
شفاعات * فذكر الشفاعاة العامة وادخال قوم الجنة بغير حساب وشفاعته
لقوم استوجبوا النار بذنوبهم ان يخرجوا منها وشفاعته لأقوام اخرين استحقوا
النار ان لا يدخلوها ، وشفاعته صلى الله عليه وسلم فى زيادة رفع الدرجات
فى الجنة ^(١) ، وهكذا عند السفارينى ^(٢) ويمكن فى تلك الشفاعات القول بأن
اعتبار كل نوع من أنواع الشفاعات مستقلا بنفسه أو مندرجا تحت غيره مسن
أنواع الشفاعات انما هو أمر اجتهادى فبعض العلماء يعدد أنواعا كثيرة
وبعضهم يدرج انواع الشفاعات فى بعضها وقد ذكر ابن حجر رحمه الله
أنواعا من الشفاعات وذكر ان بعض تلك الشفاعات يمكن ان يندرج تحت
بعضها الآخر كما فعل حينما استورد فى بيان أنواع الشفاعات . ^(٣)
وقد أفرد ابن حجر الشفاعاة فىمن استوت حسناته وسيئاته ان يدخل
الجنة وأفرد كذلك الشفاعاة فىمن قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط ^(٤)
وسوف نعتقد لكل قسم من تلك الأقسام التى تقدمت للشفاعاة فصلا مستقلا .
وما تجدر الاشارة اليه هنا ان بحث الشفاعاة وأقسامها قد استوفيته فى مكان
واحد وذلك ليكون بحث الشفاعات مجموعا مع بعضه فى مكان واحد لكى
لا يتخلله ما ليس منه كما لو فرقناه حسب الترتيب الزمنى فان هذا وان كان
ممكنا لكنه يفصل بحث الشفاعات عن بعضها فمثلا الشفاعاة العظمى يفصلها عن

(١) انظر: التذكرة ص ٢٤٩ .

(٢) لوامع الأنوار : ص ٢١١ - ٢١٢ ، ج ٢ .

(٣) - (٤) فتح البارى ١١ / ٤٢٨ - ٨٢٩ .

بقية الشفاعات اشياء أخرى، من أمور القيامة كمجيبه الله لفصل القضاء وما بعده من أمور وهكذا فلو فرقناه حسب ترتيبه الزمني في يوم القيامة لتفرق بحسب الشفاعه .

وأول ما نبدأ به من بحث تلك الشفاعات ، الشفاعه العظمى فنقول :-

١- (النوع الأول من أنواع الشفاعات المثبتة) -

.. الشفاعة العظمى ..

تصهيد :-

وفى هذا الموقف العظيم الذى قدمنا الاشارة اليه الناس فى قلق شديد وكرب عظيم لا يدرون كيف يهتدون الى الخلاص مما هم فيه يلهم الله تعالى بعض عباده طرب الشفاعة من الرسل الى الله تعالى لفصل القضاء وارحتهم مما هم فيه .

فيتقدم هؤلاء لطلب الشفاعة وسواء كان هؤلاء المتقدمون هم من العلماء العاملين أو من رؤساء اتباع الرسل أو من سائر من فى الموقف فهم يتقدمون بذلك الطلب والالاحاح الى الرسل وأولهم آدم عليه السلام ثم من بعده وكل رسول يعتذر ويقول "عليكم بفلان" فانه كذا وكذا يمدحه وهكذا الى ان ينتهوا الى محمد صلى الله عليه وسلم عند ذلك تبدأ الشفاعة وتبدأ أول علامات الانتهاء من كرب ذلك الموقف الرهيب وهذا هو المقام المحمود الذى وعده به ربه ، فيقول انا لها انا لها وما ذلك الا لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم ان الله قد وعده بها والله لا يخلف الميعاد ولم يقل ذلك اعتذارا بنفسه لماله عند الله أو تطاولا ، فهو أعظم الناس بره وما يليق به ثم يأتى ربه فيخسر ساجدا تحت العرش يحمد الله ويعظمه بحامد يلهمه الله تعالى اياها الهاما فى وقته فلا يزال ساجدا حامدا ربه تعالى الى ان يناديه المولى جللت قدرته "ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع" .

فيفبسطه الاولون والآخرون ويعلمون أنه أفضل البشر وارفعتهم درجة والظاهر من ترددهم على الأنبياء انه متتابع وان كان القرطبي قد ذكر ان بيين

اتيانهم آدم الى نوح الفعام وكذا بين كل نبي الى محمد صلى الله عليه وسلم .

وذكر ان الذين يطلبون الشفاعة لدى الانبياء هم العلماء العاملون الذين يجلسون على كراسى من نور ثم عزا هذا القول الى ابي حامد الفزالي وذكر قولا آخر لابن برجان ان الذين يلهمون طلب الشفاعة هم رؤس المحشر وهم رؤساء اتباع الرسل^(١) .

وقد رد السفاريني رحمه الله على قول الفزالي ان بين اتيان أهل الموقف آدم واتيانهم نوحا الف سنة وكذا بين كل نبي ونبي بأنه قول لا دليل عليه^(٢) . وقد قال ابن حجر المسقلاني — رحمه الله — في هذا الموضوع "لم أقف لذلك على أصل" وقال ايضا عن ما أورده الفزالي في كتابه كشف علوم الآخرة .

"ولقد أكرر في هذا الكتاب من ايراد أحاديث لا أصول لها فلا يفتر بشي" منها^(٣) .

وأمر الشفاعة العظمى معلوم لدى كل مسلم يقول ابن كثير رحمه الله عند قوله صلى الله عليه وسلم "واعطيت الشفاعة" يقول :
"يعنى بذلك الشفاعة العظمى وهي الأولى التي يشفع فيها عند الله عز وجل ليأتي لفصل القضاء وهي التي يرغب اليه فيها الخلق كلهم حتى الخليل ابراهيم وموسى الكليم وسائر النبيين والمرسلين ، والمؤمنين ويغبطه

(١) انظر: التذكرة ص ٢٤٥ — ٣٢٣ .

(٢) انظر: لوامع الأنوار ص ٢٠٨ ، ج ٢ .

(٣) فتح الباري : ٤٣٤/١١ .

بها الأولون والآخرون فهذه هي الشفاعة التي اختص بها دون غيره فأما شفاعته في العصاة فكما ثبت له ثبت لغيره من الأنبياء وكذلك الملائكة وسائر المؤمنين " (١)

وقال السفاريني: " والشفاعات المختصة به صلى الله عليه وسلم عدة: أولها وأعظمها وأعمها شفاعته صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء بين الوري^(٢) " وقال أيضا: " شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها اجماع أهل الحق من السلف الصالح " (٣)

وذكر ان هذه الشفاعة مجمع عليها لا اختلاف فيها بين المسلمين فقال: " لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر ان هي للراحة من طول الوقوف حين يتمنون الانصراف من موقفهم ذلك ولوالى النار " (٤)

وحتى الممتزلة فانهم يثبتون هذه الشفاعة في أهل الموقف كما قال القاضي عياض فيما ينقله عنه النووي بقوله: " وهذه — أى شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات أهل الجنة — لا ينكرها الممتزلة ولا ينكرون أيضا شفاعته الحشر الأول " (٥)

وما يؤخذ على ابن ابي العز شاح الطحاوية رحمه الله انه لا الحكم على الممتزلة في نفيهم لما عدا الشفاعة في رفع درجات المؤمنين ومعلوم انهم

(١) انظر: النهاية ٢/٢٦٩.

(٢) — (٣) لوامع الأنوار: ٢/٢١١.

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٨.

(٥) انظر شرح النووي لمسلم ١/٤٤٣.

لا ينفون الشفاعة العظمى وهذا التعميم فى قوله : " وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث فيها " (١) وهذا التعميم لعله يصدق على طائفة من المعتزلة كما يفيد كلام شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله عن الوعيدية من الخوارج والمعتزلة " وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا ان الشفاعة انما هى للمؤمنين خاصة فى رفع بعض الدرجات وبعضهم انكر الشفاعة مطلقا " (٢)

وإذا كانت الشفاعة العظمى خاصة به صلى الله عليه وسلم فلماذا لم يبادر اليه أهل الموقف ويطلبون منه التقدم لربه فيها من أول الأمر ؟ أو ما السر فى تأخيره صلى الله عليه وسلم فى الطلب ؟ .

أجاب عن هذا السؤال السفاريني بقوله :-

" وحكمة الهام الناس التردد الى غير النبي صلى الله عليه وسلم قبله ولم يلبسوا المجيب " اليه من أول وهلة لاظهار فضله وشرفه صلى الله عليه وسلم " (٣)

ويقول ابن حجر : " ولعل الله تعالى انساهم ذلك - يعنى المجيب "

الى الرسول لطلب الشفاعة من أول وهلة - للحكمة التى تترتب عليه من

اظهار فضل نبينا صلى الله عليه وسلم " (٤)

وفيما يلى نذكر أدلة تلك الشفاعة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

(١) انظر: شرح الطحاوية ص ٢٥٧ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٣١٤/١ .

(٣) لواع الأنوار : ٢٠٨/٢ .

(٤) فتح البارى ٤٤١/١١ .

١- الأدلة من القرآن الكريم على حصول الشفاعة العظمى "

قال الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ومن الليل فتهدى به
ناظرة لك عسى أن يعثك ربك مقاما محمودا) (١)

ولئن كان الخلاف قد اشتد بين العلماء في المراد بالمقام المحمود الا أن
أغلب العلماء على اتفاق ان المقام المحمود هو الشفاعة العظمى وعلى هذا
فان تلك الآية هي الدليل من القرآن الكريم على اختصاص نبينا صلى الله
عليه وسلم بالشفاعة العظمى ، ونذكر فيما يلي بايجاز ايضاح أقوال العلماء
في المقام المحمود وهي :

(ما هو المقام المحمود)

- ١- المقام المحمود هو الشفاعة العظمى .
- ٢- المقام المحمود هو اعطاؤه عليه الصلاة والسلام لواء الحمد يوم القيامة .
- ٣- المقام المحمود هو اخراجه طائفة من النار .
- ٤- المقام المحمود هو شفاعته رابع اربعمة .
- ٥- هو ان يجلس الله تبارك وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم معه
على كرسيه . (٢)
- ٦- المقام المحمود هو أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بحلقة باب الجنة .
- ٧- هو ان النبي صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل
فيخبطه لمقامه ذلك أهل الجمع " .

(١) سورة الأسراء : آية : ٧٩ .

(٢) انظر: جامع البيان ١٤٤/١٥ - ١٤٨ والتذكرة للقرطبي ص ٢٩٩ - ٣٠٠

وتفسير القرآن العظيم ٥٥/٣ - ٥٨ ، وفتح الهاري ٣/٣٣٩ .

و ٣٩٩/٨

وفي بيان هذه الأقوال نذكر ما يلي :-

أما القول الأول وهو ان المقام المحمود هو الشفاعة العظمى فان أكرم العلماء قد رجحه كالطبري وابن كثير ، والقرطبي ، وابن حجر وغيرهم من أهل العلم وهو القول الذي ينبغى اعتقاده لكثرة من رواه عن الصحابة من السلف .

وقد ذكر الطبري منهم حذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس ، والحسن ومجاهد ، وسلمان ، وقتادة .

ومن الأدلة التي تدل على ان المقام المحمود هو الشفاعة العظمى ما ورد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وقال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق لصفى الأذن فيناهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم (١) وبما جاء عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وسئل عنها فقال هي الشفاعة " (٢) وبما جاء عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة فأكون انا وامتي على تل ويكسونى ربي تبارك وتعالى حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله ان أقول فذاك المقام المحمود " (٣)

(١) صحيح البخارى ٣/٣٣٨ .

(٢) سنن الترمذى ٣/٤٥٦ .

(٣) تفسير الطبري ١٥/١٤٦ .

"وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن ابى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي فى شعب الايمان من طريق على بن حسن قال : أخبرنى رجل من أهل الملم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم ولا يكون البشر من بنى آدم فيها الا موضع قدميه ثم ادعى أول الناس فأخر ساجدا ثم يؤذن لى فأقول يارب اخبرنى هذا لجبريل وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه جبريل قبلها قط انك ارسلته الى جبريل عليه السلام ساكت لا يتكلم حتى يقول الرب صدقت ثم يؤذن لى فى الشفاعة فأقول أى رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض، فذلك المقام المحمود " (١)

قال ابن حجر " ورجاله ثقات وهو صحيح ان كان الرجل صحابيا " (٢)
وعن ابن عمر رضى الله عنهما : " ان الناس يحشرون يوم القيامة فيجسسى مع كل نبى امته ثم يجسسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر الأم هو وامته فيبرقى هو وامته على كوم فوق الناس فيقول يا فلان اشفع ويا فلان اشفع فما زال يرددها بعضهم على بعض يرجع ذلك اليه وهو المقام المحمود الذى وعده الله اياه " (٣)

وعن حذيفة قال : " يجمع الناس فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس الا باذنه ينادى يا محمد فيقول لبيك وسعديك والخير فى يدك والشر ليس اليك والمهدى من هدى عبدك بين يدك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا المقام الذى ذكره الله تعالى " (٤)

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٥/٥ وعزاه الى من ذكره
(٢) فتح البارى ٠٤٠٠/٨
(٣) جامع البيان ٠١٤٦/١٥
(٤) جامع البيان ص ٠١٤٤

ولعله لا تنافي بين تلك الأقوال فهي متقاربة في المعنى ذلك ان القول الثاني لا ينافي القول بأنه الشفاعة العظمى فان لواء الحمد يكون بيده وهو كذلك أول شافع وكذلك القول الثالث فان اخراج طائفة من النار بسببه مقام عظيم وشرف جليل وأما القول الرابع وهو شفاعته رابع اربعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس على كرسيّ الله تعالى وكذا القول السادس وهو أنه أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بحلقة باب الجنة .

والقول السابع وهو وقوفه صلى الله عليه وسلم بين الجبار وجبريل فلا شك أن كل ذلك يعتبر مقاما محمودا لكن الأكثرون على القول الأول .

ومعنى القول الرابع وهو ان المقام المحمود هو شفاعته الرسول صلى الله عليه وسلم رابع اربعة معناه أن يسبق الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة فيشفعون ثم يأتي صلى الله عليه وسلم فيشفع فيكون ترتيبه الرابع وان كان كذلك فمن هم الثلاثة الذين سبقوه بالشفاعة يقول القرطبي عن جواب ذلك :

" وذكر ابن السماك أبو عمرو عثمان بن أحمد قال حدثنا يحيى بن جعفر ابن الزهرقان قال : أخبرنا علي بن عاصم قال : حدثنا خالد الحذاء

عن سلمة بن كهيل عن أبيه عن ابي الزعراء قال : قال عبد الله بن مسعود يشفع نبيكم رابع اربعة : جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم

صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ."

قال القرطبي : " قال المؤلف رحمه الله ، وقيل ان هذا هو المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وسلم خرجه أبو داود الطيالسي قال : حدثنا يحيى ابن سلمة بن كهيل عن ابيه ، عن ابي الزعراء ، عن عبد الله قال : ثم يأذن

الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام ثم يقوم ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقوم موسى أو عيسى عليهما

السلام ، قال أبو الزعراء : لا أدري ايهما قال : ثم يقوم نبيكم

صلى الله عليه وسلم رابعا فيشفع لا يشفع لأحد بعده فى أكرم ما يشفع
وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما
محمودا) (١)

أما القول الخامس وهو ان يجلس الله تبارك وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم معه على كرسية فان ابن جرير الطبرى رحمه الله قد ذكر كلاما كبيرا
حول معنى هذا وتوجيهه وهذا القول يحكى عن مجاهد .

وفيه يقول ابن جرير : " ان ما قاله مجاهد من ان الله يقعد محمدا صلى الله
عليه وسلم على عرشه قول غير مدفوع صحته لان جهة خبر ولا نظر وذلك
لأنه لا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه
ولا عن التابعين باحالة ذلك " .

ثم ذكر أن القائلين بذلك لا يقولون بحماسة الرسول صلى الله عليه وسلم
ولا العرش والكرسى لله سبحانه وتعالى فسواء أقعد محمدا صلى الله عليه
وسلم على الكرسى أو على الأرض فهو غير مماس له وبعضهم ذهب إلى ان
الله تعالى وان كان مماسا للعرش باستوائه عليه لكن جلوس الرسول صلى الله
عليه وسلم معه ليس موجبا له صفة الربوبية ولا مخرجه من صفة العبودية لرسوله^(٢)
وقد أعرض بعض العلماء عن ذكر هذا القول بل وقال فيه بعضهم وهو
القرطبي : " انه قول مرغوب عنه " قال " وان صح الحديث — أى الحديث الذى
استدللت به الطائفة التى قالت هذا القول — فيتأول على انه يجلسه مع انبيائه
وملائكته " .

(١) انظر: التذكرة ص ٤١٣ .

(٢) انظر: جامع البيان ١٥ / ١٤٧ ، ١٤٨ .

ثم استشهد القرطبي بقول ابن عبد البر في مجاهد الذي نسب إليه هذا
الرأى وهو قوله : " ومجاهد وان كان أحد الأئمة بتأويل القرآن فان له
قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما هذا ، والثانى فى تأويل
قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) قال تنتظر الثواب وليس
من النظر " (١)

وأما القول السادس فقد استدل القائلون به بحديث ابن عمر السابق
" فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه
الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم " (٢)

وأما القول السابع فيستدل له بما رواه ابن ابي حاتم من طريق سعيد
ابن ابي هلال انه بلغه ان المقام المحمود الذى ذكره الله ان النبى
صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه لمقامه
ذلك أهل الجمع .

قال ابن حجر: ورجاله ثقات لكنه مرسل . (٣)

ومهما كثرت الأقوال فى بيان المقام المحمود فان القول بأنه الشفاعة العامة
لاراحة الناس من كرب الموقف يبقى هو الأقوى .

(١) التذكرة : ص ٣٠٠ .

(٢) فتح البارى : ٣ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٣) المصدر السابق : ٨ / ٤٠٠ .

(ب) ((الأدلة من السنة على ثبوت الشفاعة العظمى لنبينا))

محمد صلى الله عليه وسلم .

ووردت في السنة النبوية عدة أحاديث في اثبات الشفاعة العظمى التي
أكرم الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم حيث يلبي طلبه فيأتي تبارك
وتعالى لفصل القضاء في أهل الموقف ومن تلك الأدلة ما يلي :

عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : " أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم
فرفع اليه الذراع — وكانت تعجبه — فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيّد
الناس يوم القيامة وهل تدرّون ممّ ذلك ؟ يجمع الناس الاولين والآخرين
في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ^(١) وتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الفم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون ما قد بلفنكم
الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعضهم الناس لبعض عليكم بآدم
فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى الى
ما نحن فيه الا ترى الى ما قد بلفننا فيقول آدم ان ربي قد غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه نهانى عن الشجرة
فمصيته نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون
نوحا فيقولون يا نوح انك أنت أول الرسل الى أهل الأرض وقد سماك الله
عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي
عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله
وانه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى ، نفسى اذهبوا
الى غيرى اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم انست

(١) أى يحيط بهم الرائي لا يخفى عليه منهم شىء لا استواء الأرض .

نبي الله وخليفه من أهل الأرض اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قد كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرهن أبو حيان ^(١) في الحديث نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم أوامر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبيا اشفع لنا الا ترى الى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الأنبياء قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فانطلق فأتى تحت المرش فاقع ساجدا للنبي عز وجل ثم يفتح الله على من محامده وحسن الشناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسك فأقول امتي يارب امتي يارب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى (٢)

(١) هو أحد رواه الحديث .

(٢) البخارى ٣٩٥/٨ واخرجه مسلم ٤٦٩/١ .

وعن انس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يجمع الله المؤمنين يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم اما ترى الناس خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شىء اشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناك ويذكر لهم خطيئته التي اصاب ولكن أئتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناك ويذكر خطيئته التي اصاب ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقول لست هناك ويذكر لهم خطاياهم التي اصابها ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه تكليما فيأتون موسى فيقول لست هناك ويذكر لهم خطيئته التي اصابها ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول لست هناك ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونى فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لى عليه فاذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال لى ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لى حدا فادخلهم الجنة ثم ارجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاحمد ربي بمحامد علمنيها ثم ارجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله ان يدعنى ثم يقال ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاحمد ربي بمحامد علمنيها ثم اشفع فيحد لى حدا فادخلهم الجنة ثم ارجع فأقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج

من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة^(١) وقال البخارى رحمه الله "حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال المنزى قال : اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا الى انس بن مالك وذهبنا معنا بثابت البناني اليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة فاذا هو في قصره فوافقناه صلى الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة فقال يا ابا حمزة هؤلاء اخوانك من أهل البصرة جاؤك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال : حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا الى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم فانه خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كلم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيأتوننى فأقول أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لى ويلهمنى محامد أحمد به لا يحضرنى الآن فاحمد به بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطى واشفع تشفع فأقول يا رب

(١) البخارى ٣٩٢/١١ ، واخرجه ايضا فى ص ٤٢٢ ، ببعض الزيادات وفيه قول قتادة " وهذا المقام المعبود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم واخرجه كذلك فى ج ١١ ص ٤١٧ وأخرجه مسلم ٤٥٩/١ .

امتى امتى فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال شعيرة من
ايمان فانطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخرله ساجدا فيقال
يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب امتى
فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة أو خردلة من ايمان
فانطلق فافعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخرله ساجدا فيقال
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب امتى
امتى فيقول انطلق فأخرج من كان فى قلبه ادنى مثقال حبه خردل من
ايمان فأخرجهم من النار فانطلق فأفعل فلما خرجنا من عند انس قلت
لبعض أصحابنا لو مررنا بالحسن وهو متوار فى منزل ابى خليفة فحدثنا
بما حدثنا انس بن مالك فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا فقلنا له يا أبا سعيد
جئناك من عند اخيك انس بن مالك فلم نر مثل ما حدثنا فى الشفاعة فقال
هيه فحدثناه بالحديث فانتهى الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا ظم يزد لنا
على هذا فقال لقد حدثنا وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري انس أم كره
ان تتكلموا فقلنا يا ابا سعيد فحدثناه فضحك وقال خلق الانسان عجولا
ما ذكرته الا وانا اريد أحدثكم به حدثنى كما حدثكم به قال ثم أعود
الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخرله ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك
وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب اذن لى فى من قال
لا اله الا الله فيقول وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لا اخرجن منها من قال
لا اله الا الله " (١)

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع)^(١)
وعن ابي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع
وأول مشفع ولا فخر ولوا الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر (٢)
وعن ابي بكر الصديق رضى الله عنه قال : أصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم فصلى الفداة ثم جلس حتى اذا كان من الضحى ضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس مكانه حتى صلى الاولى والعصر
والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى المشاء الآخرة ثم قام الى أهله فقال
الناس لابي بكر ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه صنع اليوم
شيئا لم يصنعه قط قال فسأله فقال نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا
وأمر الآخرة فجمع الاولون والآخرون بصعيد واحد ففزع الناس بذلك حتى
انطلقوا الى آدم عليه السلام والعرق يكاد يلجمهم فقالوا يا آدم انت
أبو البشر وانت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا الى ربك قال لقد لقيت مثل
الذى لقيتم انطلقوا الى ابيكم بعد ابيكم الى نوح ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال فينطلقون الى نوح عليه السلام
فيقولون اشفع لنا الى ربك فانت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدع
على الأرض من الكافرين ديارا فيقول ليس ذاكم عندي انطلقوا الى ابراهيم
عليه السلام فان الله عز وجل اتخذه خليلا فينطلقون الى ابراهيم فيقول ليس
ذاكم عندي ولكن انطلقوا الى موسى عليه السلام فان الله عز وجل كلمه تكليما
فيقول موسى عليه السلام ليس ذاكم عندي ولكن انطلقوا الى عيسى بن مريم فانه
يبرئ الاكهم والابرص ويحيى الموتى فيقول عيسى ليس ذاكم عندي ولكن
انطلقوا الى سيد ولد آدم فانه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة انطلقوا

الى محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع لكم الى ربكم عز وجل قال فينطلق فيأتي
جبريل عليه السلام ربه فيقول الله عز وجل اذن له وبشره بالجنة قال
فينطلق به جبريل فيخبر ساجدا قدر جمعه ويقول الله عز وجل ارفع رأسك
يا محمد وقل يسمع واشفع تشفع قال فيرفع رأسه فاذا نظر الى ربه عز وجل
فخر ساجدا قدر جمعه أخرى فيقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل يسمع واشفع
تشفع قال فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل عليه السلام بضميه فيفتح الله
عز وجل عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط فيقول أى رب خلقتنى
سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تتشقى عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر حتى انه
ليرد على الحوض أكرم ما بين صنعاء وائله ثم يقال ادعو الصديقين فيشفعون
ثم يقال ادعوا الانبياء ، قال فيجيب النبي صلى الله عليه وسلم وصعه العصابة
والنبي وصعه الخمسة والستة والنبي وليس معه أحد ثم يقال ادعوا الشهداء
فيشفعون لمن أرادوا وقال فاذا فعلت الشهداء ذلك قال يقول الله عز وجل
أنا أرحم الراحمين ادخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئا قال فيدخلون
الجنة قال ثم يقول الله عز وجل انظروا فى النار هل تلقون من أحد عمل
خييرا قط قال فيجدون فى النار رجلا فيقول له هل عملت خيرا قط فيقول
لا غيرانى كنت اسامح الناس فى البيع والشراء فيقول الله عز وجل اسمحوا
لعبدى كما سماحه الى عبدي ثم يخرجون من النار رجلا فيقول له هل عملت
خييرا قط فيقول لا غيرانى قد أمرت ولدى اذا مت فاحرقونى بالنار ثم اطحنونى
حتى اذا كنت مثل الكحل فانهبوا بى الى البحر فاذرونى فى الريح فوالله
لا يقدر على رب العالمين ابدا فقال الله عز وجل لم فعلت ذلك قال من
مخافتك قال فيقول الله عز وجل انظر الى ملك أعظم ملك فان لك مثله وعشرة
أمثاله قال فيقول لم تسخر بى وأنت الملك قال وذاك الذى ضحكت منه الضحى (١)

ونكتفى بما تقدم ذكره من عرض أحاديث الشفاعة العظمى الخاصة بنبيينا
محمد صلى الله عليه وسلم لأن الأحاديث فيها كثيرة ثم هي من القضايا العسيمة لدى
كل مسلم وقد وردت بعض الاشكالات في أحاديث الشفاعة العظمى وهي :-

١- الأشكال الأولى :-

ان أحاديث الشفاعة العظمى قد جاءت على اشكال مختلفة . وذلك ان
أولها يذكر الشفاعة العظمى لراحة الناس من هول الموقف بنزول الله تعالى
لفصل القضاء .

وأخرها يذكر الشفاعة لاجراء اقوام من النار .

وهذا هو السبب الذي جعل بعض الرواة لا يذكرون الشفاعة العظمى في أهل
الموقف في نزول الله لفصل القضاء فيما بينهم بل يأخذون بعد سرد احاديثها
في الرد على الخواج وغيرهم ممن ينكر اجراء عصاة المؤمنين من النار ومعلوم
ان الشفاعة العظمى انما هي لراحة الناس من الموقف لا لاجراءهم من النار
لانهم لم يدخلوها بعد وانما هم في الموقف ينتظرون نزول الله تعالى لفصل
القضاء بينهم وقد تعجب العلامة ابن ابي العزاشد العجب من أغفل الكلام
عن الشفاعة العظمى ولم يأخذ من أحاديثها الا اثبات شفاعة الرسول صلى الله
عليه وسلم في اجراء طائفة دخلوا النار ان يخرجوا منها كما في قوله :
" والمجب كل العجب من ايراد الائمة لهذا الحديث من أكثر طرقه لا يذكرون
أمر الشفاعة الأولى في مآتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء كما ورد هذا
في حديث الصور ^(١) فانه المقصود في هذا المقام ومقتضى سياق أول الحديث

(١) حديث الصور حديث طويل ذكره ابن كثير في النهاية ١/٢١٤٠ وقد فرغ من تحرير
وتفسيره ج ٢ ص ٤٤٠ وسائر الكلام عن ص ٥٠٥

فان الناس انما يستشفعون الى آدم فمن بعده من الأنبياء في ان يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه فاذا وصلوا الى الجنزاة انما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة واخراجهم من النار وكأن مقصود السلف في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذين انكروا خروج أحد من النار بعد دخولها فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النصر الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا اليه من البدعة المخالفة للأحاديث (١) واذا كان الأمر كذلك فكيف صار الحديث في الشفاعة العظمى مشتملاً على الشفاعة في اخراج عصاة المؤمنين من النار وهما متفايرتان وهذا الاستشكال اثاره الداودي كما ينقل عنه ابن حجر فذلك حيث شرح قوله في الحديث (ثم اخرجهم من النار) فقال " قال الداودي : كأن راوى هذا الحديث ركب شيئاً على غير أصله وذلك ان في أول الحديث ذكر والشفاعة في الراحة من كرب الموقف ونسى آخره ذكر الشفاعة في الاخراج من النار يعني وذلك انما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الاخراج " قال ابن حجر: " وهو اشكال قوى " ثم ذكر الاجابة عن هذا الاشكال بجواب عياض والنووي وغيرهما " بأنه قد وقع في حديث حذيفة المقرن بحديث ابي هريرة بعد قوله فيأتون محمداً فيقوم ويؤذن له أي في الشفاعة وترسل الامانة والرحم فيقومان جنبى الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق . الحديث قال عياض فهذا يتصل الكلام لأن الشفاعة التي لجأ الناس اليه فيها هي الراحة من كرب الموقف ثم تجسسى "

الشفاعة في الاخراج وقد وقع في حديث ابي هريرة — يعنى الأثر في الباب الذى يليه بعد ذكر الجمع في الموقف الأمر باتباع كل امة ما كانت تعبد ثم تمييز المنافقين من المؤمنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والممرور عليه فكان الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء والاراحة من كرب الموقف قال وبهذا تجتمع متون الأحاديث وتترتب معانيها " وعزا

ابن حجر هذا الاختلاف في وقائع الشفاعة المعطى الى الرواة بقوله

" قلت فكان بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر " (١)

قال ابن حجر " فظهر منه أنه صلى الله عليه وسلم أول ما يشفع ليقضى بين

الخلق وان الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك " (٢)

وقد جاء من طريق حمزة بن عبد الله بن عمر عن ابيه بلفظ " ان الشمس تدنو

يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فيناهم كذلك استغاثوا بسآدم

ثم موسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشى حتى

يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم " (٣)

قال ابن حجر: " وتعرض الطيبي للجواب عن الاشكال بطريق آخر فقال :

يجوز ان يراد بالنار الحبس والكرب والشدة التى كان أهل الموقف فيها من

دنو الشمس الى رؤسهم وكربهم بحرما وسفحها حتى الجمهم العرق وان يراد

بالخروج منها خلاصهم من تلك الحالة التى كانوا فيها " وهذا تأويل لا يتبادر

الى الفهم من نص الحديث ولهذا فان ابن حجر لم يوافق على هذا الجواب

من الطيبي ووصفه بأنه " احتمال بعيد "

(١) فتح البارى ٤٣٧/١١ - ٤٣٨ -

(٢) صحيح البخارى ٣/٣٣٨ -

"الا ان يقال انه يقسح اخراجا ن وقع ذكر احدهما في حديث الباب على
اختلاف طرقه والمراد به الخلاص من كرب الموقف .

والثانى فى حديث الباب الذى يليه ويكون قوله فيه " فيقول من كان يمسد
شيئا فليتبعه بعد تمام الخلاص من الموقف ونصب الصراط والاذن فى المرور
عليه ، ويقسح الأخراج الثانى لمن يسقط فى النار حال المرور فيتحمدا"^(١)

(١) فتح البارى ١١ / ٤٣٨ .

٢- ((الاشكال الثاني)) -

وما يستشكل كذلك في أحاديث الشفاعة العامة قول الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قيل له ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع " امتى امتى " ان أن المقام يقتضى ان يكون طلب الشفاعة عاما لجميع الخلق دون ان يخص امته بذلك وهو يطلب الشفاعة لراحة الخلق من كرب الموقف وفصل القضاء بينهم .

وقد أجيب عن ذلك :-

١- بأنه لعل هذه اللفظة غير واردة في الحديث وهذا على سبيل الظن (

٢- ان هذه اللفظة ليست من نص الحديث بل هي زيادة خارجة عنه

على سبيل الجزم " ولكن ابن حجر المسقلاني لم يرتضى هذا

الجواب لأن الحديث متصل بهذا السياق .

٣- وبمضهم اجاب بأن السياق من أول الحديث ينتهى عند قوله

" فاستأذن على ربي فيؤذن لى " أى فى الشفاعة العامة " وقوله

بعد ذلك " ويلهمنى محامد " الخ الى آخر الحديث كلاما مستأنفا

وفيما يلى نص كلام ابن حجر ونقده عن العلماء اجاباتهم عن هذا الاشكال .

قال ابن حجر: " فأقول امتى امتى " قال الداودى: " لأراه محفوظا

لأن الخلائق اجتمعوا واستشفعوا ولو كان المراد هذه الامة خاصة لم تذهب

الى غير نبيها فدل على ان المراد الجميع واذا كانت الشفاعة لهم فى فصل

القضاء فكيف يخصها بقوله امتى امتى ثم قال وأول هذا الحديث ليس متصلا

بآخره بل بقى بين طلبهم الشفاعة وبين قوله فأشفع أمور كثيرة من أمور القيامة

قلت: وقد بينت الجواب عن هذا الأشكال عند شرح الحديث بما يبنى عن

اعادته هنا . (١)

(١) لعله يشير الى ما سبق من قوله " فكان بمصر الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخرون .

وقد أجاب عنه القاضي عياض بأن معنى الكلام فيؤذن له في الشفاعة الموعود بها في فصل القضاء ، وقوله ويلهمني ابتداء كلام آخر وبيان للشفاعة الأخرى الخاصة بأتمته وفي السياق اختصار ، وادعى المهلب ان قوله " فأقول يارب امتي " مما زاد سليمان بن حرب على سائر الرواة كذا قال وهو اجترأ على القول بالظن الذي لا يستند الى دليل فان سليمان بن حرب لم ينفرد بهذه الزيادة بل رواها معه سعيد بن منصور عند مسلم . وكذا أبو الربيع الزهراني عند مسلم والاسماعيلي ولم يسق مسلم لفظه ، ويحيى بن حميب بن عسدي عند النسائي في التفسير ، ومحمد بن عبيد بن حساب ، ومحمد بن سليمان كلاهما عند الاسماعيلي كلهم عن حماد بن زيد شيخ سليمان بن حرب فيسه بهذه الزيادة ، وكذا وقعت هذه الزيادة في هذا الموضع من هديت الشفاعة في رواية ابي هريرة الماضية في كتاب الرقاق وبالله التوفيق " (١) وأخيرا وبعد عرض ماتقدم فانه اتضح من بحث الشفاعة المعظمي انها تتلخص فيما يلي :-

- ١- أنها أولى الشفاعات .
- ٢- انها خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٣- انه لم يخالف فيها احد ممن يقول بالحشر .
- ٤- انها تكون لخالص الناس مما هم فيه من كرب الموقف بنزول الله تعالى لفصل القضاء .

(١) فتح الباري ١٣ / ٤٧٦ .

- ٥- أنها هي المقام المحمود .
- ٦- أنها قد رواها عدد كثير من الصحابة .
- ٧- ان بعض الرواة أغفلها بتحويل انظارهم الى الشفاعة لاخراج اقوام من النار دون التركيز على الشفاعة العامة .
- ٨- ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد تحدث بأحاديث الشفاعة في مناسبات عديدة وكل مناسبة يحضرها من لم يكن حضر في المفاسد التي قبلها ولا بد أن يحصل نوع اختلاف في اشكال الشفاعة فيحدث كل شخص بما سمعه فحصل فيها الاختلاف .
- ٩- أو لعل ذلك يرجع الى الرواة أنفسهم بحيث انهم يختلفون في الحفظ فلا بد أن يختلف ذكر وقائع أحاديث الشفاعة لأن كل راو يحفظ ما لم يحفظه الآخر كما ذكر ابن حجر . (١)
- ١٠- يؤخذ من مجموع تلك الروايات والوقائع المختلفة أن شفاعة خاصة للرسول صلى الله عليه وسلم ستقع في يوم القيامة لفصل القضاء وهي أول الشفاعات والمقام المحمود الذي وعد به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم .

(٢) - (الشفاعة لأناس قد أمر بهم الى النار) -

أن لا يدخلوها
=====

يذكر كثير من العلماء ان هذا النوع من الشفاعة ثابت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كباقي الشفاعات الثابتة الأخرى .
وهي في أقوام قد استحقوا النار بأعمالهم ان لا يدخلوها ، ولكن العلماء وهم يقررون ثبوت هذه الشفاعة لم يذكروا لها دليلا ثابتا لوقوعها فيمران تضافرهم على ذكرها يوحي بأن لها دليلا استدوا اليه في اثباتها لم يذكره ، وهذا الاستثناس هو ما يستند اليه القائل باثبات هذه الشفاعة
فمن أقوالهم في اثباتها :

١- قول النووي رحمه الله في تكملة لأشواق الشفاعات " الثالثة : الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى " (١)

٢- وقال القرطبي نقلا عن القاضي عياض :

" الثالثة في قوم من امته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن شاء ان يشفع ويدخلون الجنة " (٢)

٣- وقال السفاريني : " ثلثها شفاعة صلى الله عليه وسلم في قوم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها " (٣)

(١) شرح النووي لمسلم ١/٤٤٣ .

(٢) التذكرة ص ٣٠١ .

(٣) لوامع الأنوار ٢/٢١١ .

بالتالي
نظره
٢٨٤

ويقول ابن ابي العز : " النوع الثاني والثالث من الشفاعة : شفاعة صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة وفي أقوام آخرين قد أمر بهم الى النار ان لا يدخلوها . " (١)

ولكونه لم يرد في هذه الشفاعة نص صريح في اثباتها لاناس استحقوا النار ان لا يدخلوها فقد كانت محل توقف عند بعض العلماء ، فالامام ابن القيم — رحمه الله تعالى — فيما ينقله عنه صاحب عون المعبود يذكر أن نوعين من الشفاعة لم يجد فيهما نما عن المصطفى صلى الله عليه وسلم الا ذكر لها وانه لم يقف لهما على دليل ثابت وهما الشفاعة في من استوجب النار ان لا يدخلها والشفاعة لقوم في زيادة ثوابهم وذلك في قوله :

" ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس :

احدهما : في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم ان لا يدخلوها وهذا النوع

لم أقف الى الآن على حديث يدل عليه وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من ارباب الكبار انما تكون بعد دخولهم النار واما ان يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلم اظفر فيه بنص " (٢)

وقد ذكر الامام ابن حجر ان دليل هذا النوع من الشفاعة ما جاء في حديث هذيفة عند مسلم وفيه (ونبئكم على الصراط. يقول رب سلم) (٣)

(١) شرح الطحاوية ص ٢٥٧ .

(٢) عون المعبود ٧٧/١٣ .

(٣) فتح الباري ٤٢٨/١١ والحديث أخرجه مسلم ٤٧٥/١ .

ومعنى هذا ان دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم على الصراط بقوله اللهم سلم سلم هو شفاعته لمن هو مستحق للنار وشاء الله ان ينفعه هذا الدعاء أما من شاء الله ان يدخلها من عصاة المؤمنين فانه تنفعه الشفاعة الأخرى وهى الشفاعة فى الاخراج من النار التى تواترت بها النصوص .

وقد ورد ان الناس فى مرورهم على الصراط منهم من يسقط فى النار ومنهم من يمر عليه كالبرق ومنهم من يمر عليه كالريح ومنهم من يمر عليه كأجاويد الخيل كما سنبين هذا ان شاء الله فى مبحث الصراط ومع ما تقدم - فانه لا يزال بعض الفموض باقيا حول الاستدلال بهذا الحديث على ثبوت تلك الشفاعة ولم يصرح بذكر هذه الشفاعة مرفوعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم الا الحافظ ابن أبى الدنيا فى كتابه "الأهوال" - كما عزاه اليه ابن كثير - فى الحديث الآتى :-

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ينصب للانبياء يوم القيامة منابر من ذهب فيجلسون عليها قال ويبقى منبرى لا أجلس عليه قائما بين يدى الله عز وجل منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة وتبقى امتى بعدى فأقول يارب أمتى فيقول الله يا محمد وما تريد ان يصنع بأمتك ؟ فأقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ومنهم من يدخل بشفاعتي وما أزال اشفع حتى اعطى فكأ - وفى رواية صكاكا - برجال قد بعث بهم الى النار حتى ان مالكا خازن جهنم ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك لامتك من نقمة) (١)

(١) النهاية لابن كثير ٢/٢٧١ . حيث يصرّوه لا ابن ابراهيم بن ابراهيم
ولم اجد فى الكتاب وقد ذكره ايضا الحيدري فى التفسير
والترهيب وعزاه الى المطران زواى السيرة ثم قال " وليس
في اسنادها من صرّوك "

فهذا الحديث صريح في هذا النوع من الشفاعة لوصح لكن الحديث فيه علة من جهة السند فقد ضعف من قبل أحد الرواة وهو من بن ثابت البناني البصرى الذى تكلم عليه العلماء بالتجريح يقول فيه ابن حجر: "محمد بن ثابت بن اسلم البناني البصرى ضعيف" (١)

وذكر ابن كثير حديثا آخر عزاها الى ابن مردويه من طريق بقية عن اسماعيل بن عبد الله الكدى عن الأعشى عن سفيان عن عبد الله بن مسعود مرفوعا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فيوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله) (٢) أجورهم قال ادخلهم الجنة (ويزيدهم من فضله) قال الشفاعة فيمن وجبت له النار من صنع اليهم المعروف في دنياهم) ولكنه ذكر أن اسناده لا يثبت وأنه اذا روى عن ابن مسعود موقوفا فهو جيد . (٣)

ومما تقدم يتضح انه ليس هناك نص قاطع يعتمد عليه في اثباتها غير ما اشتهر عند العلماء من ذكرها وعدها نوعا من أنواع الشفاعات الثابتة . وقد وقع الخلاف بين الشبثيين لها في اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم بها أو عدم اختصاصه بها على رأيين متقابلين .

وسبب ذلك هو عدم وجود نص يقطع ذلك الخلاف وحاصل الخلاف أنه "جزم القاضى وابن السبكي بعدم اختصاصها به صلى الله عليه وسلم وتردد النووي في ذلك . قال السبكي لانه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنفيه ."

(١) تقريب التهذيب ١٤٨/٢ . ولعل الصحيح في هذا الضعف في محمد بن ثابت البناني لا يتم الاشارة الى
(٢) سورة النساء آية: ١٧٣ . به عم راجع الحديث المذكور وذلك لعدم اتمامه الاول المذكور
بالمذهب والوضع ولاخذ اهل العلم عنه في الاجتهاد
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/١ .
وهو هذا فانه الضعيف عمل الاجماد وهذا الحديث لا سيما
انه متنه من غير التمسك والتمسك به معان
بلا هادئ لنووي الشرح الصحيح لا يثبت له اجابا لاسانيد

قال السفاريني : " وجزم في الانموذج ^(١) بأنها من خصائصه صلى الله عليه وسلم " (٢) .

أما من ناحية وقوع هذا النوع من الشفاعات فان المعتزلة قد نفوها وبالفوا في الانكار على من يمتقدها .

وإذا كانوا ينفون الشفاعة في اخراج قوم دخلوا النار أن يخرجوا منها منع ورود النصوص الصريحة فيها فكيف الحال بهذا النوع من الشفاعة التي خفى دليلها .

••• ***** •••

(١) للقرطبي .

(٢) لوامع الأنوار ٢/٢١١ .

-- (الشفاعة في أهل الكبائر) --

تمهيد

الشفاعة في أهل الكبائر من أهم مواضع بحث الشفاعة وقد اشتمت
النزاع في اثباتها وعدم اثباتها بين الفرق الاسلامية كأهل السنة والجماعة
في جانب وغيرهم من أهل البدع في جانب آخر.
ويتمثل ذلك الخلاف في هذا السؤال : " هل لأهل الكبائر^(١) الذين دخلوا
النار بذنوبهم شفاعة فيخرجون منها ؟ أم ليست لهم شفاعة بحيث ان من
دخلها لا يخرج منها ابدا ، تفصيل الكلام حول هذا السؤال سيكون موضوع
بحثنا فيما يلي وأول ما نبدأ من ذلك ببيان آراء الفرق واختلافهم حول هذه
الشفاعة .

(١) ومعلوم انهم من أهل التوحيد .

- (أراء الفرق في الشفاعة لأهل الكبائر واخراجهم من النار) -

ذكرنا فيما مضى ان الخلاف في هذه القضية يتمثل بين أهل الحق من جانب وأهل البدع من جانب آخر .
أما الرأي الأول وهو رأى أهل القول الحق فهو الاعتقاد الجازم بأن أهل الكبائر هم تحت المشيئة ان شاء عز وجل عذبهم وان شاء غفر لهم وان من دخل النار من أهل التوحيد فانه يخرج منها بعد ان يعذبه فيها المدة التي يشاؤها الله عز وجل تطهيراً له ثم يرحمه ويحسن اليه ويدخله الجنة وان لا يدخل في النار مثل خلود أهل الكفر والشرك بالله تعالى .
وقد استند أهل هذا القول الى ما جاء في كتاب الله تعالى من الآيات البينات والى ما جاء في السنة النبوية ، ولهذا فقد اجمعوا على القول بها وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم له المقام الأعلى في ذلك كما أنه يشفع غيره أيضا من ارتضاهم الله تعالى ، وقد كانت هذه المسألة قضية مسلمة بين الصحابة بثبوتها على ضوء ما جاء في كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

وسنذكر فيما يلي بعض النصوص الواردة عن السلف في صحة ما قدمنا من النقل عنهم .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الانبياء والملائكة حتى انه تعالى في آخر الأمر يقول : من كان من المسلمين فليدخل الجنة قال فهينالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين . (1)

وقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهل يدخلون الجنة أم لا فأجاب بقوله :
" ان أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اتفق عليها السلف من الصحابة والتابعين باحسان وائمة المسلمين وانما نازع في ذلك أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم ولا ييقس في النار احد في ظبه مثقال ذرة من ايمان بل كلهم يخرجون من النار ويدخلون الجنة " (١)

وهو يجزم بأن الشفاعة لأهل الذنوب من المسائل المتفق عليها بين الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان وسائر الائمة والعلماء ويؤكد هذا بقوله عن ثبوت شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم . " وأما شفاعته لأهل الذنوب من امة فتفق عليها بين الصحابة والتابعين باحسان وسائر ائمة المسلمين الاربعة وغيرهم ، وانكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية وقال هؤلاء من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها " (٢)
وفي ثبوت هذه الشفاعة واشتراك الانبياء وغيرهم من ارتضى الله في طلبها يقول : " وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيشفع فيمن استحق النار ان لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها ان يخرج منها " (٣)

ويقول السفاريني في لواعم الأنوار : " اتفق أهل السنة والجماعة على ان النار لا يدخل فيها أحد من أهل الايمان والتوحيد كما ثبت ذلك في الأحاديث

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٩/٤

(٢) التوسل والوسيلة ص ١٠

(٣) مجموع الفتاوى ١٤٧/٣

انه يخرج من في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونحوه لكن لا بد أن يدخل النار من أهل التوحيد طائفة بذنوبهم ويعاقبون على مقدار ذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره أو برحمة ارحم الراحمين " (١)

ويقول في شرح ثلاثيات المسند عنهم : " وقال أهل الحق هم في مشيئة الله تعالى لا يقطع لهم بعقاب ولا نجاة الا انهم انفقوا على انه لا يخلص في النار احد من أهل الايمان والتوحيد كما ثبت ذلك في الأحاديث انه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان " (٢)

وقال الآجري في من يكذب بالشفاعة في العمارة ويتأول النصوص الواردة

في ذلك على غير وجهها .

" قال محمد بن الحسين رحمه الله ان المكذب بالشفاعة اخطأ في تأويله خطأ فاحشا خرج به عن الكتاب والسنة وذلك انه عمد الى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر اخبر الله عز وجل انهم اذا دخلوا النار انهم غير خارجين منها فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين ولم يلتفت الى اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم في اثبات الشفاعة أنها انما هي لأهل الكبائر^(٣)

... الخ .

ويقول ابن حزم : " قد نص الله تعالى على صحة الشفاعة في القرآن فقال

تعالى (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) (٤)

(١) لوامع الأنوار ج : ص ٧٢٣ .

(٢) شرح ثلاثيات المسند ٥٣٧/٢ .

(٣) الشريعة ص ٣٣٤ .

(٤) سورة مريم : آية : ٨٧ .

فأوجب عز وجل الشفاعة لمن اتخذ عنده عهدا بالشفاعة وصحت بذلك الأخبار

المتواترة المتاصرة بنقل الكوافلها قال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا

من اذن له الرحمن ورضي له قولا) (١)

وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له) (٢)

فصر تعالى على ان الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن اذن له فيها

ورضى قوله ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم

لأنه افضل ولد آدم عليه السلام .

وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا بانه) (٣) وكم من طك فسى

السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٤)

وقال تعالى : (ولا يطك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق

وهم يعلمون) (٥) وقال تعالى (ما من شفيع الا من بعد اذنه) (٦)

فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه فصح يقينا ان الشفاعة التي ابطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي

اثبتها عز وجل وان لاشك في ذلك فالشفاعة التي ابطل عز وجل هي

الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار (٧) الخ كلامه في الاستدلال على

(١) سورة طه : آية : ١٠٩

(٢) سورة سبأ : آية : ٢٣ .

(٣) سورة البقرة : آية : ٢٥٥ .

(٤) سورة النجم : آية : ٢٦ .

(٥) سورة الزخرف : آية : ٨٦ .

(٦) سورة يونس : آية : ٣ .

(٧) الفصل ٦٣ / ٤ - ٦٥ .

الشفاعة واثباتها للمصاة ونفيها عن الكفر المنمن قد حكم الله عليهم بالخلود
في النار وابعدهم عن رحمة على الدوام .

ويقول الباقلاني : " والاخبار في الشفاعة أكثر من ان يؤتى عليها وهي كلها
متواتره متوافيه على خروج الموحدين من النار ، وقد اطبق سلف الامة على
تسليم هذه الرواية - بمعنى رواية شفاعتي لأهل الكباثر من امتي - وصحتها
مع ظهورها وانتشارها والملم بأنها مروية عن الصحابة والتابعين (١)

وأما ماورد من اختلاف في بعض الروايات في أحاديث الشفاعة واخراج
أقوام من النار مثال قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات انهم يخرجون
" بعد ما امتحشوا فيه وعادوا حمما " (٢) وفي خبر آخر انهم يخرجون من
النار " ضبائر ضبائر " (٤) وكذا ما جاء انهم يدخلون الجنة مكتوباً على
جباههم " الجهنميون " (٥) وفي بعض الروايات " عتقاء الرحمن " (٦) وغير
ذلك .

فلا ينبغي أن يمد ذلك قادحا في ثبوت الشفاعة للمصاة بزعم ان ذلك فيه
تناقض فالواقع انه ليس فيه تناقض ولا اضطراب وانما هو من باب اختلاف الالفاظ

(١) التمهيد ص ٣٦٧ .

(٢) هذه الرواية مخرجة في البخارى (١١/٤١٦) ، ومسلم (١/٤٤٤) ومعنى

امتحشوا أى احترقوا فتح البارى (١١/٤٥٧) .

(٣) والحمم قريب من معنى امتحشوا .

(٤) ضبائر ضبائر هذه الرواية أخرجهما مسلم (١/٤٤٥) ، وضبائر " بفتح الضاد

المعجمة وهو جمع ضبارة " بفتح الضاد وكسرهما لفتان . . . قال أهل

اللسنة الضبائر جماعات في تفرقة " شرح النووى (١/٤٤٦) .

(٥) اخرج هذه الرواية البخارى (١٣/٤٣٤) .

(٦) اخرجها البخارى (١٣/٤٢٢) .

قال الباقلاني : ان كل ما ورد في هذه الروايات انما هو من اختلاف الألفاظ ولا يقدر في صحة الشفاعة أي قادر ولو كان هناك أي مطمئن على أخبار الشفاعة لكان الصحابة أول الناس تحذيرا من اعتقادها أو روايتها ولكن الأمر بعكس الحال " (١)

وغنى عن القول فان هذه المسألة - أي عدم تخليد أهل الكبار في النار وشهوت الشفاعة لهم - تعتبر من المسائل المشهورة المعلومة لدى جميع علماء السلف وعامتهم ، فالكل على اثباتها واثبات بقية الشفاعات الأخرى كالشفاعة العظمى وغيرها ما ورد به النص وشفاعة من ورد بهم النص كالحلائكة والشهداء والصالحين وما ورد كذلك من شفاعة القرآن وغيره كما سيأتي ذلك مفصلا ولا ينفي السلف أي من أنواع الشفاعات التي جاء بها النص بل العنفي عندهم هو مانفته النصوص من الشفاعة في الكفار الذين ماتوا على الكفر وهذا هو ما تشهد به النصوص الثابتة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهم قد استندوا في رأيهم هذا الى ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا سابقا ، وفيما يلي نعرض لبعض الأدلة في ذلك.

(١) انظر: التمهيد ص ٣٦٧ .

— ((أدلة اثبات الشفاعة لأهل الكبائر من القرآن الكريم)) —

ذكر الله في كتابه الكريم كثيرا من الآيات التي تفيد اثبات الشفاعة لكل

عاصي عموما غير من كان عصيانه هو الشرك بالله تعالى * .

ومن تلك الآيات نذكر ما يلي : (١)

أ- قول الله تعالى حكاية عن عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

١- (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) (٦)

٢- قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام (فمن تبعني فانه مني

ومن عصاني فانك غفور رحيم) (١١)

٣- قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى

جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) (٤)

٤- وقوله تعالى في صفة الملائكة (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) (٥)

٥- قوله تعالى في حق الكفار (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) (٣١)

٦- وقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم (واستغفر لذنبك وللمؤمنين

والمؤمنات)

(١) هذه الآيات استدل بها الرازي كما في تفسيره في الجزء الثالث وغيره من

الملماء على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر من القرآن الكريم .

(٢) سورة المائدة : آية : ١١٨ .

(٣) سورة ابراهيم : آية : ٣٦ .

(٤) سورة مريم : آية : ٨٥ - ٨٧ .

(٥) سورة الانبياء : آية : ٢٨ .

(٦) سورة المدثر : آية : ٦ .

(٧) وقوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) (١)
٨— وقوله تعالى (في صفة الملائكة) الذين يحيطون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا (٢)
الى غير ذلك من الآيات (٣)

ثم ان كل آية فيها نفى الشفاعة عن المشركين أو الكفار فانها تفيدها اثباتها للمؤمنين وللعصاة منهم وكذا الآيات التي فيها نفى الشفاعة الا بعد اذن الله تعالى ، وسنبين ما ذكره العلماء من وجه الاستدلال بالآيات السابقة على ثبوت الشفاعة فيما يلي :

— (وجه الاستدلال بالآيات السابقة على ثبوت الشفاعة) (

لأهل الكبائر
=====

أ— أما الآية الأولى فان وجه الاستدلال بها (ان هذه الشفاعة من عيسى عليه السلام اما ان يقال انها كانت في حق الكفار) .

(١) سورة النساء : آية : ٦٤ .

(٢) سورة غافر : آية : ٧ .

(٣) انظر حجج القرآن ص ٧٧ .

٢- أو في حق المسلم المطيع .

٣- أو في حق المسلم صاحب الصغيرة .

٤- أو المسلم صاحب الكبيرة بعد التوبة .

٥- أو المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة .

والقسم الأول باطل لأن قوله تعالى (وان تفرلهم فانك انت العزيز الحكيم)

لا يليق بالكفار - لأنه لا شفاة لهم - والقسم الثاني ، والثالث ، والرابع

باطل لأن المسلم المطيع والمسلم صاحب الصغيرة ، والمسلم صاحب الكبيرة

لا يجوز بعد التوبة تعذيبه عقلا عند الخصم واذا كان كذلك لم يكن قوله

(ان تعذبهم فانهم عبادك) لائقا بهم ، واذا بطل ذلك لم يبق الا أن

يقال ان هذه الشفاة انما وردت في حق المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة

واذا صح القول بهذه الشفاة في حق عيسى عليه السلام صح القول بهما

في حق محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة انه لا قائل بالفرق " (١)

ومثل ما سبق في الآية الأولى يقال في الآية الثانية فان وجه الاستدلال

بها هو ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال " ومن عصاني فانك غفور

رحيم ، ما كان يريد بمصيانه في توحيد الله والانقياد له سبحانه لا يدللب

الشفاة الى ربه في الكفار ويتوسل اليه بأنه غفور رحيم فهو يعلم جزاء الكفار

عند الله انهم مخلدون في النار وقد قيل في معنى الآية ثلاثة أوجه وهى :

١- ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال هذا القول " قبل أن يعلم ان الله

لا ينفخ ان يشرك به كما وقع منه الاستغفار لأبيه وهو مشرك " ويمسزى

هذا القول الى ابن الانبارى .

٢- وقيل المراد عصيانه هنا فيما دون الشرك .

٣- وقيل ان هذه المغفرة مقيدة بالتوبة من الشرك " (١)

وخلاصة تلك الأقوال انها تفيد نفي الشفاعة عن المشرك فقط لانفيها
عن عداه .

ويقول الرازي ان قول ابراهيم " ومن عصاني فانك غفور رحيم " .

" لا يجوز حمله على الكافر لأنه ليس أهلا للمغفرة بالاجماع ولا حمله على
صاحب الصغيرة ولا على صاحب الكبيرة بعد التوبة لأن غفرانه لهم
واجب عقلا عند الخصم فلا حاجة له الى الشفاعة فلم يبق الا حمله على
صاحب الكبيرة قبل التوبة " (٢)

ثم استدل لتأكيد دلالة قول الله تعالى عن ابراهيم " ومن عصاني
فانك غفور رحيم .

وقول عيسى " ان تمذبههم فانهم عبادك " على الشفاعة بما جاء في
صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن الماص أن النبي صلى الله عليه وسلم
تلا قول الله عز وجل في ابراهيم : رب انهن اضلن كثيرا من الناس

فمن تبصني فانه مني (٣)

وقال عيسى عليه السلام ان تمذبههم فانهم عبادك وان تنفر لهم فانك

انت العزيز الحكيم " (٤)

(١) فتح القدير ٣/١١٢ .

(٢) التفسير الكبير ٣/٥٩ .

(٣) سورة ابراهيم : آية : ٣٦ .

(٤) سورة المائدة : آية : ١١٨ .

فرفع يديه وقال " اللهم امتى امتى " وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فسله ما ييكفك فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك فى امتك ولا نسؤوك " (١)

ووجه الاستدلال فى الآية الثالثة ان الله تعالى قد أخبر ان الشفاعة لا يملكها ولا يستحقها الا من اتخذ عند الرحمن عهدا بطاعته وتوحيده .

يقول الامام ابن كثير رحمه الله فى معناها ان المجرمين " ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبراً عنهم (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) وهو شهادة ان لا اله الا الله والقيام بحقها .

قال على بن ابي طلحة عن ابن عباس " الا من اتخذ عند الرحمن عهدا " قال العهد شهادة ان لا اله الا الله ويبرأ الى الله من الهول والقوة ولا يرجوا الا الله عز وجل " وذكر ابن كثير عن الأسود بن يزيد انه قال : " قرأ عبد الله بن مسعود هذه الآية " الا من اتخذ عند الرحمن عهدا " ثم قال اتخذوا عند الله عهدا فان الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا يا ابا عبد الرحمن فعلمنا قال قولوا اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة فانى اعهد اليك فى هذه الحياة الدنيا ان لا تكلمنى الى عمل يقربنى من الشر ويباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا تؤدىه الى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد " (٢)

(١) صحيح مسلم : ١/١٩١ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير : ٣/١٣٨ .

وقال الأمام الرازى - رحمه الله - :

" الآية تدل على حصول الشفاعة لأهل الكبائر لأنه قال عقيبه " الا من اتخذ عند الرحمن عهدا " والتقدير ان المجرمين لا يستحقون أن يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا اتخذوا عند الرحمن عهدا ، فكل من اتخذ عند الرحمن عهدا وجب دخوله فيه وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهدا وهو التوحيد والاسلام فوجب ان يكون داخلا تحته " (١)

ووجه الاستدلال من الآية الرابعة هو ان الله تعالى قد أخبر ان الملائكة لا يشفعون الا لمن ارتضى الله تعالى من عباده ، وصاحب الكبيرة ليس خارجا عن رضى الله خروجا كاملا لأنه ليس بكافر ورضى الله تعالى عنه يكون بحسب ايمانه وتوحيده " فثبت ان صاحب الكبيرة مرتضى عند الله واذا ثبت هذا وجب ان يكون من أهل الشفاعة " .

" واذا ثبت أن صاحب الكبيرة داخل في شفاعة الملائكة وجب دخوله فى شفاعة الأنبياء وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة انه لا قائل بالفرق " (٢)
ووجه الاستدلال بالآية الخامسة: ان الله تعالى أخبر ان الكفار لا تتفهم شفاعة أحد لأنهم ليس معهم أى مرجع لرحمتهم بخلاف غيرهم من عصاة الموحدين فان الشفاعة تتفهم والا لتساوا مع الكفار فى عدم انتفاعهم بالشفاعة . (٣)

(١) التفسير الكبير ٣ / ٦٠ .

(٢) تفسير الرازى ٣ / ٦٠ .

(٣) نفس المصدر السابق .

وقال شيخ الاسلام - بعد ان ذكر بعض الآيات التي احتج بها منكرو

الشفاعة ومنها هذه الآية قال :

" جواب أهل السنة ان هذا لعله يراد به شيطان :

أهدهما : انها لا تنفع المشركين كما قال تعالى في نعمتهم (ما سلككم فسى

سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين

وكنا نكذب ببيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تفمهم شفاعة الشافعين) (١)

فهؤلاء نفى عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفارا .

والثانى : انه يراد بذلك نفى الشفاعة التي أثبتها أهل الشرك ومن شابههم

من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون ان للخلق عند الله

من القدر أن يشفعوا عنده بغير اذنه كما يشفع الناس بعضهم عند بعض

فيقبل المشفوع اليه شفاعة الشافع لحاجته اليه ، رغبة ورهبة وكما يعامل

المخلوق المخلوق بالماوضة " (٢)

وأما وجه الاستدلال بالآية السادسة : فهو ان الله تعالى قد أمر نبيه محمد

صلى الله عليه وسلم بأن يستغفر لكل المؤمنين والمؤمنات وصاحب الكبيسة

يدخل في هذا الأمر لأنه من جملة المؤمنين ويكون قد استغفر له الرسول

صلى الله عليه وسلم كما أمره الله تعالى ان لو لم ينفعه دعاء الرسول

صلى الله عليه وسلم واستغفاره له لما كان للأمر له بالدعاء والاستغفار للمؤمنين

والمؤمنات معنى وهو شبيه بالسخرية ان كيف يأمره بأمر لا فائدة من ورائه وهذا

لا يليق بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة المدثر: آية : ٤٨ .

(٢) التوسل والوسيلة : ص ١٠ - ١١ .

وفي هذا يقول الرازي حول هذه الآية :

" وقد بينا في تفسير قوله تعالى (الذين يؤمنون بالفيء) ان صاحب الكبيرة مؤمن واذا كان كذلك ثبت أن محمدا صلى الله عليه وسلم استغفر لهم واذا كان كذلك ثبت ان الله تعالى قد غفر لهم والا لكان الله تعالى قد أمره بالدعاء ليرد دعاءه فيصير ذلك محض التحقير والا يذا " وهو غير لائق بالله تعالى ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان الله تعالى لما أمر محمدا بالاستغفار لكل العصاة فقد استجاب دعاءه وذلك انما يتم لو غفر لهم ولا معنى للشفاعة الا هذا " (١)

أما وجه الاستدلال بالآية السابعة فهو أن الله تعالى قد أخبر ان استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم للعصاة والمذنبين من أمته ودعاهم لهم ينفعهم عند الله وقد علق الله قبول التوبة وحصول الرحمة للمذنب باستغفاره لنفسه وباستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم له وهذا في الدنيا (٢) فاذا كان دعاؤه واستغفاره للمذنبين ينفعهم في الدنيا فكذلك شفاعته .

قال الامام الرازي بعد ذكر هذه الآية : " وليس في الآية ذكر التوبة ، والآية تدل على أن الرسول متى استغفر للعصاة والظالمين فان الله يغفر لهم وهذا يدل على ان شفاعة الرسول في حق أهل الكبائر مقبولة في الدنيا فوجب ان تكون مقبولة في الآخرة لأنه لا قائل بالفرق " (٣)

وأما وجه الاستدلال بقول الله تعالى في صفة الملائكة (الذين يحملون العرش الخ الآية " فهو ان صاحب الكبيرة يشطه هذا الدعاء بما

(١) التفسير الكبير ٣ / ٦١ .

(٢) انظر التوسل والوسيلة ص ٥٠ ، ٧٧ ، ١٣٧ .

(٣) التفسير الكبير ٣ / ٦١ .

معهم من الايمان لأنه ليس بكافر وأما تقييده بالتوبة " فاعفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) فان هذا دعاؤه آخر ومزيد دعائه لهم بزيادة النفران وهو — الاستثناء — " لا يقتضى تخصيص ذلك العام لما ثبت في أصول الفقه ان اللفظ العام اذا ذكر بعده بعض أقسامه فان ذلك لا يوجب تخصيص ذلك العام بذلك الخاص " (١)

وفي الختام يحمل الرازى الجواب عن أدلة الممتزلة في نفهم الشفاعة عن أهل الكبائر ومثبتا أدلة حصول الشفاعة ففهم بقوله : —
" والجواب على جميع أدلة الممتزلة بحرف واحد وهو ان ادلتهم على نفسي الشفاعة تفيد نفي جميع أقسام الشفاعات وادلتنا على اثبات الشفاعة تفيد اثبات شفاعة خاصة والعام والخاص اذا تعارضا قدم الخاص على العام فكانت دلائنا مقدمة على دلائهم " (٢)

وبعد عرض ما سبق من الأدلة على اثبات الشفاعة للمذنبين في القرآن الكريم نعرض لذكر اثبات الشفاعة لهم من السنة في الفصل الآتى .

(١) تفسير الرازى ٢/٦٢٢ .

(٢) التفسير الكبير ٣/٦٥٠ .

- (أدلة اثبات الشفاعة لأهل الكبائر من السنة) -

رأينا ما سبق عرضه كيف اثبت القرآن الكريم في أكثر من آية حصول الشفاعة للمذنبين واستحقاقهم لها وانهم ليسوا بمنزلة الكفار والمشركين فسي ذلك وانه لم يوحد الحكم عليهم أحد من السلف بل الممتزلة ومن قال بقولهم من الفرق المبتدعه هم الذين ساووا بينهم ، واستكمالا للأدلة نذكر هنا بعض ما جاء في السنة النبوية من التصريح بحصول الشفاعة للمذنبين كما هو مذهب أهل السنة والجماعة الذين سعدوا بتخالف النصوص الكثيرة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم لما ذهبوا اليه من ثبوت تلك الشفاعة في المذنبين الذين هم احوج ما يكونون اليها في وقت لا يملكون فيه أى شىء من وسائل الطاعة والشواب وحين لم يبق لهم من أمل في النجاة من النار الا ما قدموا والا ما فضل الله به عليهم من قبول شفاعة أوليائه واحيائه فيهم ممن ارتضاه من الأنبياء أو من غيرهم من خلقه فرحمة الله واسعة ولا يهأس منها الا القوم الكافرون .

~~وان يفتن الناس منها لهو من أكبر الخطأ وأعظم الفلط ، فمن ذا الذى قد كتبت له العصمة من الذنوب أو ارتكاب الاثام - غير الأنبياء - وهل آلتك الذين نفوها عن أهل الكبائر قد ثبتت عصمتهم من الذنوب ان القول بهذا يشير الى ادعاء صاحبه انه مبرأ من الذنوب والآثام .~~

وسنورد فيما يلي ما استدلل به على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من يرتضيه الله تعالى . ولا يفوت التنبيه الى ان الأحاديث التي وردت في ثبوت الشفاعة كثيرة في الصحيحين وفي السنن وفي المسانيد وسنقتصر على بعض ما يتضح به ثبوت أمر هذه الشفاعة ومن ذلك ما يلي :-

١- عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(شفاعتى لأهل الكبائر من امتى) (١) ومثله ما جاء عن جابر بن عبد الله
وزاد فيه (قال الراوى محمد بن على فقال لى جابر " يا محمد من لم يكن
من أهل الكبائر فما له وللشفاعة) (٢)

وعن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان
شفاعتى يوم القيامة لأهل الكبائر من امتى) (٣) وعن كعب بن عجرة
قال : قلت يا رسول الله الشفاعة ؟ فقال (الشفاعة لأهل الكبائر من
امتى) (٤)

وهذه الأحاديث نص ظاهر الدلالة على حصول الشفاعة لأهل الكبائر.
وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف امتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها
أعم واكفى اترونها للمتقين لا ولكنها للمتوشين الخطاؤون) (٥)
وعن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليخرجن قوم
من امتى من النار بشفاعتى يسمون جهنميون) (٦)

-
- (١) أخرجه الترمذى ٦٢٥/٤ ، وأبو داود ٥٣٧/٢ ، وابن ماجه ١٤٤١/٢ .
(٢) أخرجه الترمذى ٤٥/٤ .
(٣) أخرجه ابن ماجه ١٤٤١/٢ ، وأبو داود ٥٣٧/٢ ، والترمذى ٦٢٥/٤ .
(٤) الأجرى فى الشريعة ص ٣٣٨ وأخرج تلك الأحاديث عن أنس وجابر
ابن عبد الله ، وكعب بن عجرة ، وحذيفة بن اليمان انظر ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .
(٥) أخرجه أحمد ٧٥/٢ انظره الخطاؤون
وقال زياد اما انها لحسن أولئك هكذا حدثنا الذى حدثنا ، وأخرج
الحديث ابن ماجه ١٤٤١/٢ من حديث ابى موسى الأشعري بنحوه وقال
المعلق : اسناده صحيح ورجاله ثقات .
(٦) أخرجه الترمذى ٧١٥/٤ ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه
ابن ماجه ١٤٤٣/٢ ، وأبو داود ٥٣٧/٢ .

أخبر عليه الصلاة والسلام ان أهل النار الذين هم أهلها يخلدون فيها
ولا يخرجون أبدا .

وان الذين ينجون منها هم قوم من أهل الكبائر يعذبون فيها مدة ثم
يخرجهم الله بعد أن يأذن بالشفاعة فيهم وجاء عن أبي سعيد أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم
لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم
فاماتهم اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن بالشفاعة فحس بهم ضائر ضائر
فبثوا على انهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات
الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجل من القوم كأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية) (١)

واذا كان للرسول صلى الله عليه وسلم المقام الأرفع والمزية العظمى في الشفاعة
لأهل الكبائر الا ان هذه الشفاعة لم يختص بها وحده بل يشركه فيها
المؤمنون والملائكة كما جاء من حديث أبي سعيد الخدري وفيه قوله
عليه الصلاة والسلام (حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده
ما منكم من أحد باشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يسوم
القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون
فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد
أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد من

(١) أخرجه مسلم ٤٤٥/١ وابن ماجه ١٤٤٦/٢ .

أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا من امرتنا ثم يقول
ارجعوا فمن وجدتم بقلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها من أمرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سميذ الخدري يقول ان لم تمد قونسي
بهذا الحديث فاقروا ان شقتم (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما) فيقول الله عز وجل شفعت
الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة
من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقبهم في نهر
في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل
السهيل (الحديث (١)

وقال الآجري: " فيشفع الانبياء والملائكة والشهداء والعلماء والمؤمنون
فيمس دخل النار من المسلمين فاخرجوا منها على حسب ما اخبرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على طبقات شتى فدخلوا الجنة " (٢)
وأخبر صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة دعا بها الا همس
عليه الصلاة والسلام فقد ادخرها شفاعا لأمة يوم القيامة فلم يتمجل حصولها
بل جعلها لما هو انفع لأمة كما جاء عن ابي هريرة - رضى الله عنه -

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤٣٨/١

(٢) الشريعة ص ٢٣٥

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن اختبىء دعوتى شفاعا لأمتى فى الآخرة) (١)
وعن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكل نبي دعوة فأريد ان شاء الله ان اختبىء دعوتى شفاعا لأمتى يوم القيامة) (٢)
وعنه ايضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعا لأمتى يوم القيامة فهسى ناطة ان شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا) (٣)
وقد استشكل معرفة وجه التنصيص على هذه الدعوة المستجابة مع ان الانبياء يستجاب لهم فى دعوات كثيرة ؟
والجواب كما ذكر النووى أن معناه ان كل نبي له دعوة متيقنة الاجابة وهو على يقين من اجابتها واما باقى دعواتهم فهم على طمع من اجابتها وبعضها يجاب وبعضها لا يجاب * (٤)
ونقل عن القاضى عياض انه قال : " يحتمل ان يكون المراد لكل نبي دعوة لأتمه " (٥)

وذكر العلامة ابن حجر عدة أجوبة حول هذا الاشكال هى :

١- ان المراد بالاجابة فى الدعوة المذكورة القطع بها وماعدا ذلك مى

-
- (١) البخارى ٠٩٦/١١
(٢) البخارى ٤٤٧/١٣ ، ومسلم ١٨٨/١ - ١٩٠ ، عن ابى هريرة
وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله .
(٣) مسلم ٠١٨٨/١
(٤) - (٥) شرح النووى لمسلم ٠٤٧٨/١

دعواتهم فهم على رجاء الاجابة وقد سبق هذا الجواب للنووى رحمه الله .

٢- ان معنى قوله " لكل نبي دعوة " أى أفضل دعواته ولهم دعوات أخرى

٣- لكل منهم دعوة عامة مستجابة فى أمته اما باهلاكهم واما بنجاتهم وأما

الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب .

٤- لكل منهم دعوة تخصه لدنياه أو لنفسه كقول نوح " لاتذر على الأرض من

الكافرين ديارا " وقول زكريا " فهبلى من لدنك ولما يرثنى " وقول

سليمان (وهبلى ملكا لا ينفى لأهد من بعدى) (١)

وخلاصة تلك الأحاديث ان فيها دلالة على فضل نبينا صلى الله عليه

وسلم ومحبتة لأمة وحرصه على ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة وإبشاره

لمصلحتهم على مصلحة نفسه ومدى صبره على أذاهم ظم يدع عليهم

بالهلاك بل على العكس من ذلك كان دائما يقول اللهم اهد قومي فانهم

لا يعلمون صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

- (آراء الفرق الأخرى) -

وبعد عرض رأى السلف وأدلتهم فاننا نتابع عرض بقية الآراء الأخرى فهناك فرق تنتسب الى الاسلام تزعم ان الشفاعة منفية عن من دخل النار من أهل الكبائر وتزعم ان من دخل النار منهم لا يمكن ان يخرج منها لأن الله قد توعدهم بالعذاب وتلمسوا لهذا القول المبتدع ادلة حطوها ما لم تدل عليه من نفي الشفاعة ولم ينظروا بالقول الى ماورد من الأحاديث الكثيرة المتعددة التي تثبت الشفاعة ولا الى مقاله علماء السلف من تفسير تلك الأحاديث ، لم ينظروا لهذا كله بل ذهبوا الى تأويل ماورد من تلك النصوص كما هو حال أهل البدع حينما لا يستطيعون دفع النصوص وردّها ومن تلك الفرق ما يلى :-

أ - المعتزلة :

تنكر المعتزلة ان يخرج أحد من النار بعد أن دخلها لا بشفاعة ولا بغيرها وكذلك لا يجوز عندهم الشفاعة في أهل الكبائر الذين امر بهم الى النار وما ورد من أحاديث الشفاعة فانما هي في أهل الجنة وبأعطائهم فوق ما يستحقون من الفضل وان ثبوتها انما هو خاص بالتائبين لا بالمذنبين من الناس كما زعموا وهذا ماواتر به النقل عنهم ومن الأدلة على ذلك ما يلى :

قال القاضي عبد الجبار مقررا على أن الشفاعة لا تكون الا للتائبين من المؤمنين فقط دون غيرهم وأن الفاسق وأهل الكبائر مخلدون في النار قال : " فمعدنا ان الشفاعة للتائبين من المؤمنين وعند المرجئة انها للفاسق من أهل الصلاة ، " ثم استمر في التدليل على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر الى أن يقول : " وايضا فقد دلت الدلالة على ان العقوبة تستحق على طريق الدوام فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي عليه السلام " (١)

وقال أيضا : " وقد دل السمع من جهة الاستدلال على ان الفاسق مالم يمتحبه يستحق النار مع أهلها مخلدا فيها " (١)
وقال بعد ان ذكر آيات في الوعيد :
" والذي يدل على ان الفاسق يخلد في النار ويعذب فيها أبدا ما ذكرناه من عمومات الوعيد فانها كما تدل على ان الفاسق يفعل به ما يستحقه من العقوبة تدل على انه يخلد اذا ما من آية من هذه الآيات التي مرت الا وفيها ذكر الخلود والتأييد أو ما يجرى مجراها " (٢) ومن أقوال علماء الاسلام في تقرير مذهب المعتزلة ما قاله ابن القيم في معرض امثله لمن يرد النصوص المحكمة بالمشابهة قال : " المثال الخامس رد الخوارج والمعتزلة النصوص الصريحة غاية الأحكام في ثبوت الشفاعة للمصاة وخروجهم من النار " (٣)
وقال الأشعري عنهم : " واختلفوا في شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هي لأهل الكبائر فأنكرت المعتزلة ذلك وقالت بابطاله ، وقال بعضهم الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ان يزدوا في منازلهم من باب التفضل " (٤)
ويقول الأجرى :

" قال محمد بن الحسين رحمه الله اعلموا رحمكم الله ان المنكر للشفاعة يزعم

(١) رسائل العدل والتوحيد ٢٤٤/١

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٦٦٦

(٣) اعلام الموقعين ٢٩٥/٢

(٤) المقالات ١٦٦/٢

ان من دخل النار فليس بخارج منها وهذا مذهب المعتزلة " الى ان يقول فيهم انهم " لا يلتفتون الى سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الى سنن الصحابة رضی الله عنهم وانما يمارضون بمتشابه القرآن وبما أراهم العقول عندهم " (١)

وقال السفاريني " الشفاعة التي تنكرها المعتزلة وتجهد ما هي فيمن استحق النار من المؤمنين ان لا يدخلها وفيمن دخلها منهم أن يخرج منها فكذبت بها المبتدعة ونفتها مع ثبوت ادلتها وتضافر حججها مما تيسر احصاؤه ويتمذراستقصاؤه " (٢)

وبعد أن ثبت رأى المعتزلة بالنسبة لاجراء العصاة من النار فاننا — وبعد عرض — اراء بقية الفرق سنذكر ما استندوا اليه من نصوص في نفهم الشفاعة سواء اكانت تلك النصوص آيات من القرآن الكريم أو أحاديث اخذوها على ظاهرها وقصروا معناها على ما يريدون من حكم غير ملتفتين الى غيرها من الآيات والأحاديث التي تثبت الشفاعة .

٢- الخوارج :

ومثل المعتزلة في انكار الشفاعة لأهل الكبائر الخوارج فقد قال هؤلاء " بأن من يدخل النار لا يخرج منها أبداً ومعلوم أن الخوارج والمعتزلة قد اتفقوا على الحكم الأخرى بالنسبة لأهل الكبائر وهو القول بتخليد هم في

(١) الغنية ١/٩٢ .

(٢) لوامع الأنوار ٢/٢١٢ .

وشرح ثلاثيات المسند ٢/٥٣٧ .

النار أبدا وان كانوا قد اختلفوا في التسمية في الدنيا فالخوارج يسمونه
كافرا والمعتزلة يسمونه فاسقا أو في منزلة بين المنزلتين " فالخلاف بينهم
لفظي فقط " (١) وقد استفاض النقل عن الخوارج في قولهم بتخليد العصاة
في النار وعدم شفاعاة أحد فيهم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا
ان شفاعته انما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات ومنهم من انكر الشفاعاة
مطلقا " (٢)

وقال أيضا : " وعند الخوارج والمعتزلة انه لا يشفع لأهل الكبائر لأن الكبائر
عدهم لا تغفر ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بخيرها " (٣)
ويقول العلامة علي بن علي ابن ابي المز في شرح الطحاوية :
" والمعتزلة والخوارج انكروا شفاعاة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره فسى
أهل الكبائر " (٤)

وقال ابن حزم " اختلف الناس في الشفاعاة فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج
وكل من تبع ان لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها " (٥)
ويقول المرادوى : شفاعاة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعيات قد وردت
بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوى وانعقد طيها اجماع أهل الحق
قبل ظهور الخوارج الذين ينكرون الشفاعاة " (٦)

(١) شرح الطحاوية ص ٣٦٢ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ١٠/١ .

(٣) المصدر السابق ١١/١ ، وانظر التوسل والوسيلة ص ١٣١ .

(٤) شرح الطحاوية ص ١٨١ .

(٥) الفصل ٦٣/٤ .

(٦) الألكى البهية ص ٩٤ .

ومثل انكار الخوارج للشفاعة في المصاة انكار فرقة الاباضية لها - وهم في الواقع فرقة من الخوارج كما قرره علماء الفرق وان كانوا ينكرون اشد انكار ان يكونوا من الخوارج واما ما كان فقد ذهب هذه الفرقة الى ان الشفاعة لا تكون للمصاة وانما هي للمتقين كما هو الحال عند المعتزلة ومن الأدلة على ذلك ما قاله صاحب كتاب الاديان وهو اباضى " والشفاعة حق للمتقين وليست للمعاصين " (١)

ويقول السالى كذلك : ١٠٠

(٢)
وما الشفاعة الا للتقى كما . . . قد قال رب العلاء فيها وقد فصلا
وقد استشهد الربيع بن حبيب لهذا الرأي في مسنده بما رواه عن جابر
ابن زيد امام الاباضية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (ليست
الشفاعة لأهل الكبائر من امتي) يحلف جابر بن زيد عند ذلك مالأهمل
الكبائر شفاعة لأن الله قد أوعد أهل الكبائر النار في كتابه وان جاء
الحديث عن انس بن مالك ان الشفاعة لأهل الكبائر فوالله ما عنى القتل
والزنى والسحر وما أوعد الله عليه النار .
ويقول الربيع أيضا " حتى بلغنا ان الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته
اذا كانوا مؤمنين متقين " .

(١) الاباضية تنكر اشد انكار ان تكون فرقة من الخوارج وفي كتابات على يحيى
مصر وهو اباضى ما يبين ذلك كما في كتابه " الاباضية بين الفرق الاسلامية"
وغيره من كتب الاباضية .
(٢) كتاب الاديان ص ٥٣ .
(٣) غاية السراد : ص ٩ .

واستشهد الربيع بن حبيب لهذا الرأي أيضا بما رواه من قوله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب ان الله امرني ان انذركم فاني لا أغني عنكم من الله شيئا الا ان أوليائي منكم المتقون الا لا أعرفن ما جاء الناس فندا بالدين فجتتم بالدنيا تحملونها على رقابكم يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترى انفسكما من الله فاني لا اغني عنكما من الله شيئا " (١) وهذا ما قرره الحارثي الاباضي ايضا في نفي الشفاعة في كتابه العقود الفضية . (٢) ويقول الطالبس :

" وتنكر الاباضية ايضا الشفاعة لانها لاتنال عندهم أصحاب الكبائر " (٣)

٣- ومن أنكر الشفاعة في أهل الكبائر وقال بعدم خروجهم من النار فرقة الزيدية أيضا قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

" واما شفاعة لأهل الذنوب من امته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين باحسان وسائر ائمة المسلمين الأربعة وغيرهم وانكرها كثير من أهل البدع من الخوارج ، والمعتزلة ، والزيدية وقال هؤلاء من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها . (٤)

٤- الجهمية :

تنكر الجهمية الشفاعة مطلقا سواء كانت لرفع الدرجات في الجنة أو لخراج المصاة من النار وهم بذلك يخالفون أهل السنة والمعتزلة والزيدية والخوارج .

(١) الجامع الصحيح ٣١/٤ - ٣٤ .

(٢) العقود الفضية ص : ٢٨٦ .

(٣) آراء الخوارج : ص ١٨٠ .

(٤) التوسل والوسيلة ص : ١٠ .

ويعرضون اعراضا كاملا عن ماورد في اثباتها من نصوص وفي هذا يقول المطلبى :

” وانكر جهنم الشفاعة وأن قوما يخرجون من النار (١)

وقال ايضا عن الجهمية : ” وانكروا الشفاعة ان يشفع رسول الله صلى الله

عليه وسلم لأحد من أمته وان يخرج الناس من النار بعدما دخلوها ” (٢)

وهذا غلو في النفي ورد للنصوص الصريحة بذلك .

هـ - اما مذهب المرجئة وهم الذين يقولون لا يضر مع الايمان معصية ولا تنفع

مع الكفر طاعة ثم فتحوا للناس أبوابا من الامانى الفارغة وكسلوا الناس عن

الطاعات واطمعوهم فيما لم يوصل اليه الا بالعمل والجد فان من مذهبهم

في باب الشفاعة انه لا حاجة اليها كما نقل ذلك البرديسى عن الفاكهائى^(٣)

وبطلان هذا القول ظاهر كبطلان هذا المذهب في مسألة الايمان والكفر

هـ (الشيعة :

هـ - واذنا كنا قد عرضنا آراء الفرق في الشفاعة - مذهب السلف وبقية المذاهب

الأخرى - ورأينا ان الفرق السابقة تنفى ثبوت الشفاعة فاننا الآن بصدور

بيان مذهب يعتبر نقيض تلك المذاهب وهو مذهب الشيعة .

فان هؤلاء قد تجاوزوا في اثباتها الى الخروج عن الحق ذلك انهم قد

ركبوا الى وهم خاطىء وهو التعلق بآل البيت وخصوصا - على رضى الله عنه

وأولاده من فاطمة رضى الله عنهم أجمعين - فقد ذهبوا الى ان هؤلاء لهم

مطلق الحق في الشفاعة لشيعتهم فلا ترد لهم شفاعة .

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ١٢٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٦ .

(٣) انظر: تكملة شرح الصدور ص ٣٦ .

واختلفوا لهذا القول أحاديث كثيرة وروايات عديدة وقصص مكد وبسوسة
يستدلون بها على ان الشيعة كلهم داخلون في ضمان شفاعت آل البيت
مهما بلغ جرم المتشيع فهو لا خوف عليه ولا ينبغي ان يحزن فان أمته وعمله
امامه وهو من يتشيع لهم " (١)

ومن النصوص التي تثبت ذلك عنهم ما ذكره الخوضي الشيعي عن معاوية بن وهب
انه قال : " سألت ابا عبد الله - ع - عن قول الله تبارك وتعالى (لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) ~~(٢)~~
قال نحن والله المأذون لهم في ذلك والقائلون صوابا قلت جعلت فداك
وما تقولون اذا كلمتم قال نمجد ربنا ونصلي على نبينا ونشفع لشيعتنا فلا يردنا
ربنا) (٣)

وقال أيضا : " وروى محمد بن يعقوب في الكافي باسناده عن محمد بن
الفضيل عن ابي الحسن الماضي طيه السلام مثله " (٤)
وتحت عنوان : " احاديث الشفاعة عند الهامة " يذكر الخوضي المفسر وهو
من ائمة الشيعة رواية عن ابي هريرة في كتابه " البيان في تفسير القرآن "
في معرض عدة للشفعاء فيقول " وروى ايضا قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (الشفعاء خمسة القرآن والرحم والامانة ونبيكم وأهل بيته) . . . الى

(١) انظر: عقيدة الشيعة ص ٣٣٦ .

(٢) سورة النبأ : آية : ٣٨ .

(٣) - (٤) البيان في تفسير القرآن ص ٥١٥ .

ان يقول " ومن هذه الروايات يستكشف ان الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأهل بيته الكرام - ع - امر ندب اليه الشرع فكيف يمد ذلك من الشرك " (١)

بل يروى الشيعة عن ائمتهم الجزم القوي بحصول الشفاعة منهم لاتباعهم من الشيعة حتى ان الناس يحسدونهم على هذا الفضل الذي امتازوا به عن غيرهم من الناس كما نتبينه في الرواية الآتية عن محمد الباقر وجعفر الصادق انهما قالا وبكل تأكيد " والله لنشفعن والله لنشفعن في المذنبين ممن شيعتنا حتى يقول اعداؤنا - اذا رأوا ذلك - فما لنا من شافعين " (٢) سورة الشعراء : ١٠٠

ويقول المطلى عن فرقة المفيضية الشيعية :

" ومنهم صنف يقال لهم المفيضية زعموا انه من ظلم نفسه من عترة علي فلا حساب عليه ولا عذاب ولا وقوف عليه ولا سؤال وان ترك الفرائض وركب العظائم وأشرك بالله " (٣) ومعلوم ان هذا غلو فاحش وجهل بحقيقة الاسلام بل وصل الحال بالشيعة الامامية الى أن مايزوا بين شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين شفاعة علي بن ابي طالب والائمة من آل محمد الذين يستمدون عصمتهم وسموهم الروحي من النبي صلى الله عليه وسلم وجعلوا للامام علي رضي الله عنه خصوصية له وهذه في شفاعته لأهل شيعته وفي هذا يذكروا

(١) البيان في تفسير القرآن ص ٥١٦ .

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٩٩ ، نقلا عن تفسير علي بن ابراهيم

(٣) التنبيه والرد ص ١٥٢ - ١٥٣ .

الشيخ المفيد ان الامامية على اتفاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفون يوم القيامة لجماعة من مرتكبي الكبائر من امته وأن أمير المؤمنين "يعنى على بن ابي طالب" يشفع في أصحاب الذنوب من شيعته وان آل محمد صلى الله عليه وسلم يشفون كذلك وينجى الله بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين " (١)

وللحسين رضى الله عنهما كذلك منزلة في الشفاعة لا تقل عن منزلة أبيه ^{عند الشيعة}
x

وقد نسجوا حوله مزايا عديدة وسبب ذلك هياج المواطف نحوه لما كان لوفاته من وقع شديد على القلوب وفاجمة عظيمة في النفوس فهو يقول فيما يزعمون "الزموا مودتنا أهل البيت فان من لقي الله وهو يودنا دخل في شفاعتنا" (٢)

وقد بلغ الغلو بالشيعة في اثبات شفاعت آل البيت الى حد انهم في زيارتهم لقبور الأولياء من آل البيت لا يذكرون ما جاء به الشرع من السلام عليهم وطلب المغفرة لهم بل يعكسون الأمر فيطلبون المغفرة منهم ويتوسلون اليهم بشتى التضرع ليكونوا في حماهم ومن حزينهم الذين يشتمون له فمن تعليماتهم ان يقول الشيعى اذا زار تلك القبور "بأبي انتم وأمي ونفسى وأهلى اجعلونى فى حماكم وصيرونى من حزينكم وادخلونى فى شفاعتكم واذكرونى عند ربكم" (٣)

(١) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٩٩ وهو ينقل عن اوائل المقالات للشيخ المفيد ص ٤٧٠

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٩٩ وهو ينقل عن المناوى فى الكواكب الدرية ٥٧/١

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٩٩ نقلا عن تحفة الزائر للمجلس

وقد ذكر الأجرى بعض الروايات في اثبات الشفاعة لآل البيت بعضها يوردها دون سند وعلى صيغة التضعيف أيضا كقوله " قال محمد بن الحسين رحمه الله : وقد روى انه " ما من أهل بيت نبي الا وله شفاعة " وعن عطية العوفى : " ان كعبا أخذ بيد العباس رضى الله عنه فقال : انى ادخر هذا للشفاعة فقال وهل شفاعة الا للانبياء " أو قال هل لى شفاعة قال نعم ليس من أهل بيت نبي الا كانت له شفاعة " .

وذكر رواية أخرى عن عطية بن سعد بمثل ما تقدم ورواية ثالثة عن عطية دون ذكر الاسم كاملا تثبت شفاعة أهل البيت الانبياء (١)

وهذه الروايات سواء صحت أم لم تصح فانها تدل فقط على ان المؤمنين الصالحين من آل البيت يشفعون ان اذن الله لهم كما يشفع من لم يكن من آل البيت من اتباع الانبياء فلا تمسك للشيعمة في اختصاص آل البيت بمثل هذه الروايات .

وآل البيت عند الله مثلهم كمثل غيرهم من الناس من كان صالحا منهم بهتت شفاعتهم بما ثبتت به شفاعة صالحى المؤمنين ومن كان غير ذلك فلا وزن له عند الله وقد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه حين دعا أهل بيته وناداهم باسمائهم وأخبرهم انه لا يغنى لهم من الله شيئا بل عليهم ان يتقوا الله اذا ارادوا الرحمة والمغفرة أى ان شأنهم شأن غيرهم من الناس فقال صلى الله عليه وسلم (يا بنى عبد المطلب لا اغنى عنكم من الله شيئا يا عباس يا عبد المطلب لا اغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمه رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت رسول الله سلمنى بما شئت لا اغنى عنك من الله شيئا " (٢)

(١) الشريعة ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٢) صحيح مسلم (١/٤٨٣) .

ذلك أن الله تعالى هو الواحد الذى له ملك السماوات والأرض وما فيهن
فالشفاعة لا يملكها أحد الا بعد اذن الله تعالى له كما هو معلوم قل لله

الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض ثم اليه ترجعون (١)

ان ليست الشفاعة عند الله كالشفاعة فى الدنيا يأتى الشافع الى من تطلب
الشفاعة منه دون اذنه ورضاه ثم يأخذ فى التوسل اليه لتلبية ما يريد فالشفاعة
عند الله ليست كهذه بل هى لا تقع الا كما اخبرنا الله تعالى (من ذا الذى
يشفع عنده الا باذنه) (٢)

(ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) (٣)

(ما من شفيع الا من بعد اذنه) (٤) ولعل هناك سببا آخر جعل الشفاعة
يعتقدون هذا الاعتقاد الخاطيء فى هذه القضية ، فبالإضافة الى غلوههم
فى حب آل البيت غلوا شديدا يعتقدون كذلك انهم معصومون عن الخطأ
الذى يقع فيه الناس . وان الله قد اغتارهم وأفاض عليهم من انواع المصارف
وظهور المعجزات الى آخر ما وصفوهم به ، فهم اذا يعتبرون عصمتهم استمرار
لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم الذى ثبت له الشفاعة وبالتالي فانها تثبت
لهم تلقائيا وهذا ما حدا بهم الى ذلك الغلو الشديد .

ونحن مع احترامنا الشديد لآل البيت نقول بأنهم لا يختلفون بأى ميزة من
المزايا التى تجعلهم أهلا للشفاعة دون غيرهم من خلق الله سواء كانوا هم

(١) سورة الزمر : آية : ٤٤ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٢٥٥ .

(٣) سورة الانبياء : آية : ٢٨ .

(٤) سورة الزمر : آية : ٤٤ .

أو من يشفعون لهم فكما انه لامزيه لآل البيت في الشفاعة كذلك لخصوصية
للشيعة في وصول الشفاعة اليهم أكثر من غيرهم من الناس وانما هم كأي امة
أخرى امام الله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) (١)
ولعل السبب في فتور الشيعة عن العبادة والجد فيها بمقارنتهم بفرقة
الخوارج هو اتكاليهم القوي على حصول الشفاعة فيهم على ما كانوا عليه من
العمل لاعتمادهم على شفاعة من يتشيعون له من آل البيت . وأما بالنسبة
لاستدلالهم بالآية - فمالنا من شافعين - على انها في مخالفي الشيعة
فهو استدلال ساقط .

بل الصحيح كما يذكر أهل العلم " ان أهل الكفر لما دخلوا النار ورأوا المذاب
الاليم واصابهم الهمان الشديد نظروا الى قوم هم من الموحدين معهم في
النار فصيروهم بذلك وقالوا : ما اغنى عنكم اسلامكم في الدنيا وانتم معنا في
النار فزاد أهل التوحيد من المسلمين حزنا وغما فاطلع الله عز وجل على
مانالهم من الهم بتعمير أهل الكفر لهم فاذن في الشفاعة فيشفع الانبياء
والملائكة ، والشهداء ، والعلماء والمؤمنون فيمن دخل النار من المسلمين
فاخرجوا منها على حسب ما اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
طبقات شتى فدخلوا الجنة فلما فقدهم أهل الكفر ودوا ان لو كانوا مسلمين
وأيقنوا ان ليس لهم شافع يشفع لهم ولا صديق حميم يخفي عنهم من عذاب
الله شيئا قال الله عز وجل في أهل الكفر لما نضجوا بالمذاب وعظموا ان
الشفاعة لغيرهم قالوا (فهل لنا من شفعا فيشفعوا لنا او نرد فتعمل غير
الذي كنا نعمل) الآية .

(١) سورة الحجرات : آية : ١٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية : ٥٣ .

وقال عز وجل (فكذبوا فيها هم والناوون وجنود ابليس اجمعون قالوا
وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين ان نسويكم برب العالمين
وما ازلنا الا المجرمون فالنا من شافعين ولا صديق حميم) (١)
وقال عز وجل في سورة المدثر (وقد اخبرنا ان الملائكة قالت لأهل الكفر
(ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض
مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفصم شفاعة
الشافعين) (٢)

وقال الأجرى في معنى قول الله تعالى ١٥ : ٢ ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين " وانما ود الكفار أن لو كانوا مسلمين عندما رأوا معهم
في النار قوما موحدين فميروهم وقالوا ما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار
فحزتوا من ذلك ، فأمر الله عز وجل الملائكة والانبياء ومن سائر المؤمنين ان
يشفئوا فيهم فشفئوا فاخرج من النار أهل التوحيد ففقدهم أهل الكفر
فسألوا عنهم فقبل شفئ فيهم الشافعون لأنهم كانوا مسلمين فعندها ودوا
لو كانوا مسلمين حتى تلحقهم الشفاعة " (٣)

(١) الشريعة ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٢) الشريعة ص ٣٣٦ .

- ويقوله (فما تنفصم شفاة الشافعين) (١) سورة المدثر: آية: ٤٨ .
ونضيف الى ماسبق من استدلال المعتزلة على نفى الشفاة عن أهل الكبائر
واخراجهم من النار ما ذكره الرازي من الآيات التي استدلوا بها اضافة الى
ما تقدم وهي قول الله تعالى (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
وما للظالمين من انصار) (٢)
ويقوله (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) (٣)
ويقوله (وان الفجار لفي جهيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين)
(٤)
(ما من شفيع الا من بعد اذنه) (٥)
(من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) (٦)
(لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) (٧)
ويقوله تعالى (الذين يحيطون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك) (٨)

-
- (١) التوسل والوسيلة ص ١٠ - ١١ .
(٢) سورة آل عمران: آية: ١٩٢ .
(٣) سورة الانبياء: آية: ٢٨ .
(٤) سورة الانفطار: آية: ١٤ ، ١٦ .
(٥) سورة يونس: آية: ٣ .
(٦) سورة البقره: آية: ٢٥٥ .
(٧) سورة عم: آية: ٣٨ .
(٨) سورة غافر: آية: ٧ .

ومن ادلتهم كذلك قوله تعالى :

(انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) (١)
(بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فآلئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (٢)

(يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) (٣)
الى غير ذلك من الآيات التي فيها دلالة في الظاهر على تخليد المصممة الفساق في النار بزعمهم بحجة ان الله قد حكم عليهم بالخلود في النار وعدم الشفاعة فيهم (٤) ونكتفى بما أوردناه من شبههم من القرآن الكريم .
وان كان لهم شبه أخرى ايضاً من القرآن الكريم قد نسبها اليهم أهل العلم قد تسكوا بها كذلك لابطال الشفاعة في أهل الكبائر وعدم خروجهم من النار (٥) تركناها لخوف الايالة واكتفاء بالمهم من ادلتهم .

-
- (١) سورة طه : آية : ٧٤ .
 - (٢) سورة البقرة : آية : ٨١ .
 - (٣) سورة المائدة آية : ٣٧ .
 - (٤) انظر : شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٩ .
 - (٥) حجج القرآن ص ٧٧
- لوامع الأنوار ص ٢١٧ ج ٢
تذكرة القرطبي ص ٣٤٤
الفصل لابن حزم ٦٥/٤
التوسل والوسيلة ص ١٠ - ١١ .
مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١/١١٦ .
شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٩ - ٦٧٨ .
رسائل العدل والتوحيد ١/٢٤٤ .
الشريعة للأجرى ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

ونمين فيما يلي وجه استدلالهم بتلك الآيات على نفى الشفاعة عن أهل الكبائر والجواب عن كل دليل استدلووا به .

— (وجه استدلالهم بالآيات السابقة والجواب عنه) —

أما وجه استدلالهم بتلك الآيات وما في معناها مما يدل بظاهره على نفى الشفاعة عن أهل الكبائر وخلودهم في النار والرد عليه فهو كما يلي :

قالوا ان قول الله تعالى : (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) (١) يدل على نفى الشفاعة وذلك أن الله أخبر أنه لا تحمل نفس عن نفس شيئا من الاثام ولا تؤثر نفس اسقاط العقاب عنها (ولو اثرت الشفاعة في اسقاط العقاب لكان قد أجزت نفس عن نفس شيئا) (٢) وهو بخلاف ما دللت عليه الآية في زعمهم قالوا وقد اخبرنا الله انه لا يقبل منها شفاعة (وهذه نكرة في سياق النفي فتصم جميع أنواع الشفاعة) (٣)

وقالوا كذلك ان الله تعالى اخبر انهم لا ينصرون لا بشفاعة ولا بغيرها

(١) سورة البقرة : آية : ٤٨ .

(٢) التفسير الكبير ٣ / ٥٦ .

(٣)

" ولو كان محمد شفيما لأحد من العصاة لكان ناصر له وذلك على خلاف الآية " (١)

والجواب عن هذا الدليل ان الممتزلة اخطأوا في فهم المراد من الآية وذلك أن نفهم الشفاعة عن العصاة وجعلها للمتقين المستحقين للثواب لزيادة المنافع على قدر ما استحقوه (٢) هذا أمر غير مسلم به إذ لا يجوز ان يكون المراد من الآية نفى الشفاعة في زيادة المنافع لأنه تعالى حذر من ذلك اليوم بأنه لا تنفع فيه شفاعة وليس يحصل التحذير اذا رجع نفى الشفاعة الى ا تحصيل زيادة النفع لأن عدم حصول زيادة النفع ليس فيه خطر ولا ضرر يبين ذلك انه تعالى لو قال : (اتقوا يوما لا يزيد فيه منافع المستحق للثواب بشفاعة احد لم يحصل بذلك زجر عن المعاصي ، ولو قال اتقوا يوما لا اسقط فيه عقاب المستحق للعقاب بشفاعة شفيح كان ذلك زجرا عن المعاصي فثبت ان المقصود من الآية نفى تأثير الشفاعة في اسقاط العقاب لانفي تأثيرها في زيادة المنافع (٣) ثم ان اخبار الله تعالى بأنه لا تجزى نفس عن نفس شيئا ظاهر في ان المراد لا تحمل نفس عن نفس من ذنوبها ولا تزيد في درجاتها ولا يخفى فيه أحد عن أحد " لكل امرئ منكم يومئذ شأن يخفيه " (٤) الا اذا اذن الله بالشفاعة وهذا لا تنفيه الآية بل تنفي الشفاعة في الكفار وانه لا ناصر لهم من الله لا قريب ولا بعيد ولا نبي ولا فيره بأى وجه من وجوه النصرة سواء اكانت تلك النصرة هي الشفاعة او غيرها فهذا منفي عن الكفار .

(١)

(٢) تفسير الرازي ٥٦/٣

(٣) التفسير الكبير ٥٦/٣

(٤) سورة عبس : ٢٧

لا عن أهل الكبائر وقد أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله " لا تجزى
نفس عن نفس شيئا " قال لا يغنى نفس مؤمنة عن نفس كافرة من المنفعة شيئا^(١)
ففي الشفاعة انما هو عن الكفار وليس عن أهل الكبائر لثبوت ما يخص هذا
العموم في الآية بما ورد في السنة المطهرة من نصوص صحيحة في ثبوت
الشفاعة في أهل الكبائر .

وقال السفاريني في رده لاستدلال المعتزلة بهذه الآية : " واجابوا
عن الآية الكريمة ان المراد بقوله تعالى (لا تجزى نفس عن نفس شيئا) الكفار
للآيات الواردة والأخبار الثابتة في الشفاعة قال القاضي البيضاوي " تسكت
المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر ، وأجيب بأنها مخصوصة
بالكفار ويؤيد هذا ان مساق الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود
تزعم أن اباؤهم تشفع لهم " (٢)

(١) فتح القدير ١/ ٨٤٠

(٢) لوامع الأنوار ص ٢١٧

ووجه استدلالهم بقوله تعالى (مالم الظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) (١)
ان الله تعالى نفى عن الظالمين وجود صديق أو شفيع ينفعهم .
وهذا الوصف وهو الظلم يتناول الكافر وغيره فأثبت الله انتفاء الشفاعة عن
الظالم وهذا يدل بزعمهم على انه لا فرق بينهما من ناحية انتفاء الشفاعة
ويجاب عن هذا

بأن الآية واردة على المشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك وغيره من
الذنوب وليست واردة على المؤمن الذي يتصف احيانا بالظلم والاتصاف بالظلم
يختلف أهله فيه اختلافا كبيرا لكن الظالم على الاطلاق هو الكافر ومعنى
هذا ان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر .

قال ابن كثير عن معنى الآية :

" أى ليس للذين ظلموا انفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم

ولا شفيع يشفع لهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير " (٢)

وقال السفاريني بعد ان ذكر استدلال المعتزلة بهذه الآية على نفى

الشفاعة " المراد بالظالمين الكفار فان الظالم على الاطلاق هو الكافر " (٣)

وزهد الرازي فى الجواب عن شبهة المعتزلة فى الآية .

الى ان الله تعالى " نفى أن يكون للظالمين شفيع يطاع ولم ينفى شفيعا

يجاب ، ونحن نقول بموجبه فانه لا يكون فى الآخرة شفيع يطاع ، لأن المطاع

يكون فوق المطيع وليس فوقه تعالى احد يطيعه الله تعالى لأننا نقول

لا يجوز حمل الآية على ما قلتم من وجهين :

(١) سورة غافر: آية: ١٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧٥/٤ .

(٣) لواع الأنوار ٢١٧/٢ .

الأول : أن العلم بأنه ليس فوقه تعالى أحد يطبعه متفق عليه بين العقلاء
أما من اثبته سبحانه فقد اعترف انه لا يطبع أحدا .

وأما من نفاه فمع القول بالنفي استحال أن يمتد فيه كونه مطبوعا لغيره
فإذا ثبت هذا كان حمل الآية على ما ذكرتم حملا لها على معنى لا يفهم
الثاني : انه تعالى نفي شفيعا يطاع والشفيح لا يكون الا دون المشفوع اليه

لأن من فوقه يكون أمرا له وحاكما عليه ومثله لا يسمى شفيعا فأفاد قوله
" شفيح " كونه دون الله تعالى فلم يمكن حمل قوله " يطاع " على من فوقه
فوجب حمله على ان المراد به انه لا يكون لهم شفيح يجاب " (١)

ومن هذه الاجوبة يتضح أنه لا دليل للمعتزلة في الآية على نفي الشفاعة
لأهل الكبائر .

ووجه استدلالهم بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقاكم
من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه الخ الآية .

ماقاله الرازي من ان " ظاهر الآية يقتضى نفي الشفاعات بأسرها " (٢)
وهم لا يقولون بذلك بل يثبتون بعض الشفاعات كما هو معلوم من مذهبهم
كاثبات الشفاعة العظمى والشفاعة في رفع الدرجات واستدلالهم بهذه الآية
على نفي اى نوع من الشفاعة لا يتفق مع اثباتهم لبعضها .

(١) التفسير الكبير ٥٦/٢

(٢) التفسير الكبير

ويجاب عن هذا بأن الآية واردة على الكفار المتصفين بالظلم على الإطلاق لا على الظالمين من أهل الايمان فانها لا تشملهم لثبوت ما يخصهم وقد تقدم انه ليس كل ظالم كافر بخلاف الكافر فانه ظالم ولا بد

وقد روى ابن ابي حاتم عن عطاء بن دينار انه قال الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون * (١)

ويقول الطبري: * وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص وانما معناه من قبل أن يأتي يوم لا يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله لأن أهل ولاية الله والايمان به يشفع بعضهم لبعض * (٢)

فهم ليسوا بمنزلة الكفار الذين يقولون فمالنا من شافعين ولا صديق حميم الشعراء ١٠٠ - ١٠١ ، أي فيشفع لنا الى ربنا للخروج من النار لانهم ليس لهم من يؤمنونه للشفاعة لا من الملائكة ولا من الاقارب وان كانوا يعلمون والله ان الصديق اذا كان صالحا نفع وان الحميم اذا كان صالحا شفع كما قال قتادة (٣) ولكن هؤلاء كفار يائسون من رحمة الله لانقطاع رجائهم أما أهل المعاصي من المؤمنين فلا يزال اطهم قويا في الخروج منها لما يرون في رحمة الله واخراجه من النار لمن كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان والا لتساوى في النار من كان معه اصل الايمان وجزء منه ومن كان بعبيدا عن الايمان وليس في قلبه مثقال ذرة منه ويأبى الله هذا الحكم وقد نفاه تعالى عن نفسه .

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٠٤/١ فتح القدير ٢٧١/١

(٢) تفسير الطبري ٣/٣

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٤٠

ووجه استدلالهم بقوله تعالى (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته السخ
الآية ان الله قد بين انه ليس للظالم في يوم القيامة اى ناصر ينصره من الله
لا من قرابة ولا من الرسل * ولو كان الرسول يشفع للفاسق من امته لوصفوا بأنهم
منصورون لأنه اذا تخلص بسبب شفاعة الرسول عن العذاب فقد بلغ الرسول
النهاية في نصرته * (١)

ويجاب عن هذا بأن الآية ليست في مجرد الدخول بل انها في حق من هو
أهل للخلود في النار على التأبيد وهم الكفار .

قال القرطبي * ولا نقول كما قال أهل حروراء فيكون قوله على هذا
فقد اخزيته على باب من الهلاك أى اهلكته وابدته ومقتنه ولهذا قال
سميد بن المسيب الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار دليله قوله
في آخر الآية (ما للظالمين من انصار * أى الكفار (٢)

ومعلوم ان هذه الآية وان كان ظاهرها العموم لكنها خصت بأدلة أخرى
ولا تفيد ان الظالم كافر لا يستحق الشفاعة فيه أبدا .

ويقول السفاريني :

* وقالت المعتزلة في قوله تعالى (انك من تدخل النار فقد اخزيته (٣)
* ولا يشفعون الا لمن ارتضى * (٤) * وكم من ملك في السماوات لا تغنى
شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى * (٥) ومن اخزاه

(١) تفسير الرازى ٥٧/٣

(٢) التذكرة ص ٣٤٤

(٣) آل عمران : ١٩٢

(٤) الانبياء : ٢٨

(٥) النجم : آية : ٢٦

الله لا يرتضيه ومن ارتضاه لا يخزيه قال تعالى (يوم لا يخزي الله النبي
والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) (١)
والجواب عن الآية الأولى قال سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه خادم
رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى " من تدخل النار " من تدخله .
وقال قتادة تدخل مقلوب تدخل ولا نقول كما قالت أهد حروراء يعنى
الخواج " فعلى هذا قوله " قد اخزيته على بابه من الهلاك أى أهلكته
وابعدته ومقتة ، ولهذا قال سعيد بن المسيب الآية جاءت خاصة فى
قوم لا يخرجون من النار دليله قوله فى آخر الآية (ومال الظالمين من انصار)
أى الكفار وان سلم ان الآية فى عصاة الموحدين فالمراد بالخزى الحياء
يقال خزى يخزى خزاية اذا استحق فهو خزبان وامرأة خزبان فخزى
المؤمنين يومئذ استحياءهم من دخول النار ودار البوار مع أهل الشرك
والكفار ثم يخرجون بشفاعه النبي صلى الله عليه وسلم ورحمة الرؤف الرحيم ،
ونفى النصرة لا يستلزم نفي الشفاعة لانها طلب مع خضوع والنصرة ربما تبني
على المدافعة والممانعة والاستعلاء على انا نقول لا يسلم لهم زعمهم أن
الفاسق غير مرضى مطلقا بل هو مرضى من جهة الايمان والعمل الصالح
وان كان مفوضا من جهة الذنوب والعصيان وارتكاب القبائح بخلاف الكافر
فانه ليس بمرضى مطلقا لعدم الاساس الذى تبني عليه الحسنات والاعتداد
بالكمالات وهو الايمان (٢)

(١) التحريم : ٠٨

(٢) انظر: لوامح الأنوار ص ٢١٧ .

ووجه استدلالهم بقوله تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) (١) على نفى الشفاعة للمصاة بأنه (اخبر تعالى عن ملائكته انهم لا يشفعون لأحد الا ان يرتضيه الله عز وجل والفاسق ليس بمرتضى عند الله تعالى واذا لم تشفع الملائكة له فكذا الانبياء عليهم السلام لأنه لا قائل بالفرق) (٢)

واذا كان الفساق عندهم ممن لم يرضى الله عنهم فانهم يكونون ممن غضب عليهم واذا كان قد غضب الله عليهم فانهم من أهل النار .

ويجاب عن هذا بأنه لا يصح القول بأن العاصي قد خرج عن رضى الله تعالى كما خرج عنه المشرك الذى مات على غير التوحيد ويتبين هذا الخطأ الذى ارتكبه بمساواتهم أهل الكبائر بالكفار والمشركين فى الخلود فى النار حينما نقارن بين موحد لله تعالى معترف بوحدانيته وبين آخر مشرك جعل مع الله آلهة اخرى ليس له أى عمل صالح يتقرب به الى الله ، هل يستوى عقلا وشرعا أن يتساوى جزاء هذا بهذا ؟ لا بد أن يكون الجواب بالنفسى فهذا معه من الايمان بالله والأعمال السالحة الأخرى ما يطمعه فى رضى الله تعالى عنه فهو تحت المشيئة ان شاء الله عذبه بذنوبه وأخرجه الى الجنة وان شاء عفا عنه ودخل الجنة مباشرة فان الله تعالى لا يفران يشرك به ويففر مادون ذلك لمن يشاء " .

(١) سورة الأنبياء : ٢٨ .

(٢) التفسير الكبير ٥٧/٣ .

ومن الواضح ان المؤمن العاصى قد جمع بين الاساءة والاحسان فهو مؤمن بايمانه فاسنى بكبيرته يحب على ما عنده من ايمان ويبغى على ما عنده من فسوق وعصيان وامره فى الآخرة الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عذبه على معصيته ثم اخرجته من النار وأدخله الجنة كما دلت النصوص الكثيرة على ذلك من الكتاب والسنة .

وأما وجه استدلالهم بقوله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) (١) فهو ان الله قد أخير عن العصاة الفساق بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين ولا تبنى عنهم شيئا (ولو اثرت الشفاعة فى اسقاط العقاب لكانت الشفاعة قد تنفعهم وذلك ضد الآية * (٢) وهواثبات لما نفته الآية بزعمهم .

ويجاب عن هذا بأن استدلالهم بها يصح فى من كانت هذه صفة لأن عدم نفع الشفاعة لا يصح الا على الكفار اما شمول النفى لغيرهم من عصاة أهل القبلة فانه غير داخل فى النفى الوارد فى الآية .

قال ابن كثير فى تفسيره للآية انها واردة على " من كان متصفا بمثل هذه الصفات — يعنى الكفر بالله — فانه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع ، لأن الشفاعة انما تنجح اذا كان المحل قابلا فاما من وافى الله كافرا يوم القيامة فانه له النار لا محالة خالدا فيها * (٣)

(١) المدثر: ٤٨ .

(٢) التفسير الكبير: ٥٢/٣ .

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٤٢/٤ .

والمؤمن العاصى قابل للشفاعة بل هو أحق ما يكون بها من غيره لأن من عداه أما كافر لا تنفعه الشفاعة وأما فائز لا يحتاج إليها الا لرفع درجاته وأما وجه استدلالهم بقوله تعالى (وان الفجار لفي جحيم) الخ (١) على نفى الشفاعة عن أهل الكبائر وذلك ان الله قد حكم على الفجار بأنهم في جحيم لا يفيييون عنه مخلدين فيه .

وان معنى الآية في زعمهم (يدل على أن كل الفجار يدخلون النار وانهم لا يفيييون عنها واذ ثبت انهم لا يفيييون عنها ثبت انهم لا يخرجون منها واذ كان كذلك لم يكن للشفاعة أثر لافي المعفوع عن العقاب ولا في الاخراج من النار بعد الأذخال فيها " (٢)

فالقول بعد ذلك بأنهم يخرجون من النار بالشفاعة أو لا يدخلونها لا يتفق مع معنى الآية حسب ما ذهبوا اليه .

وهذه الشبهة كغيرها من الشبه التي أوردوها فهي لا تدل على نفى الشفاعة مطلقا وانما تدل على أن قسما من الناس يدخلون النار ويعذبون فيها فاما ان تشملهم رحمة الله بالشفاعة - خصوصا وانه لم يذكر تأييد خلودهم - أولا ، فان كانوا من أهل الشفاعة فلا بد أن تشملهم والا فهم في النار لا يخرجون منها اذا كان المراد بالفجار هنا الكفار وعلى هذا فالاية لا تدل على نفى الشفاعة عن جميع الناس العصاة

(١) سورة الانفطار : ١٤ - ١٦ .

(٢) تفسير الرازي ٥٧/٣ .

وقد فسر الطبري الفجار هنا بأنهم الكفار (١) وحينئذ فلا خلاف في انهم لا يغيبون عنها .

وأما وجه استدلالهم بالآيات التي تدل على نفي الشفاعة لأحد الا باذن الله

مثل قوله تعالى (ما من شفيع الا من بعد اذنه) (١)

(من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) (٣)

(لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) (٤)

فقالوا : ان الله تعالى نفي الشفاعة عن من يأذن في شفاعته (وانه تعالى

لم يأذن في الشفاعة في حق اصحاب الكبائر .

ثم استدلوا على عدم وجود الاذن بالشفاعة فيهم بأن "هذا الاذن لو عرف

لعرف اما العقل أو النقل " قالوا اما العقل فلا مجال له فيه وأما النقل

فاما بالتواتر أو بالاحاد والاحاد لا مجال له فيه لأن رواية الأحاد لا تفيد

الا الظن والمسألة علمية والتمسك في المطالب العلمية بالدلائل الظنيصة

غير جائز ، وأما بالتواتر فباطل لأنه لو حصل ذلك لعرفه جمهور المسلمين

ولو كان كذلك لما انكروا هذه الشفاعة فحيث اطبق الاكثرون على الانكار

علمنا انه لم يوجد هذا الاذن " (٥) وقالوا كذلك ان الله لا يأذن بالشفاعة

في العصاة لانهم ليسوا من أهل رضوانه .

(١) تفسير الطبري ٨٩/٣٠ .

(٢) سورة يونس: آية: ٣ .

(٣) سورة البقرة : آية : ٢٥٥ .

(٤) سورة النبأ : آية : ٣٨ .

(٥) انظر: التفسير الكبير ٥٨/٣ .

ويجاب عن هذا بأن ما ذهبوا اليه في هذه الآيات فيه خطأ وصواب
أما الصواب الذي فيه فهو انه لا أحد يشفع الى الله الا بعد ان يأذن الله
تعالى له في من شاء من عباده وانه لا أحد يتجرأ على طلب الشفاعة الا اذا
اذن الله له فعند ذلك يشفع .

وأما الخطأ الذي فيه فهو القول بأن الله لا يرضى ولا يأذن ان يشفع أحد في
أهل الكبائر لأنهم خارجون عن رضى الله وقد تقدم ان أهل الكبائر ليسوا
خارجين عن رحمة الله ورضاه كخروج الكفار ثم ان القول بأن أهل الكبائر
لا يؤذن لأحد بالشفاعة فيهم ليس عليه دليل بل ان الادلة كلها تفيد اثبات
الشفاعة فيهم .

وأما وجه استدلالهم بقول الله تعالى عن دعاء حطة المرثى (رينا وسمعت
كل شيء * ورحمة) الح الآية .

فقالوا : " لو كانت الشفاعة حاصلة للفاسق لم يكن لتقييدها بالتوبة ومتابعتها
السبيل معنى " (١)

فهذا يدل بزعمهم على ان الفاسق الذي مات دون توبة لا يستحق الشواب
ولا الشفاعة فيه لأن الملائكة قيدوا دعاءهم وشفاعتهم الى ربهم بالتوبة فان
لم يكن الشخص من أهل التوبة فانه لاحق له في الشفاعة والا لما كان لتقييد
الملائكة بالتوبة معنى .

ويجاب عن هذا بأن دعاء الملائكة ليس فيه دليل على حرمان العصاة من

الشفاعة والدعاء لهم — وقد تقدم — أن كل لفظ عام ورد في القرآن الكريم يدل على

نفي الشفاعة عن الكفار أنه لا يدخل فيه أهل الذنوب من المؤمنين ويخصه

كذلك ما ثبت في السنة المطهرة من وقوع الشفاعة لأهل الذنوب غاية الأمر أن

الملائكة خصوا بدعوتهم الاعتناء والاهتمام قسما خاصا من الناس وهم من

اتصف بالتوبة والاستغفار وهذا الخصوص لا ينافي العموم السابق وهو

استغفارهم للذين آمنوا فلا شك أن مرتكب الكبيرة لا يسمى كافرا بل هو

مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته ودعاء الملائكة يشمله بما معه من الايمان .

وذكر القاضي عبد الجبار المعتزلي بعض الآيات التي يستدلون بها على

نفي الشفاعة عن أهل الكبائر ونفي خروجهم أيضا من النار بقوله

” فمن جملة ما يمكن الاستدلال به على ذلك قوله تعالى (ومن يعص الله

ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) (١)

ثم قال عن وجه استدلالهم بالآية :

” قاله تعالى اخبر ان العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها ، والعاصي

اسم يتناول الفاسق والكافر جميعا فيجب حمله عليهما لأنه تعالى لو أراد

احدهما دون الآخر لبينه فلما لم يبينه دل على ما ذكرناه (٢)

وللاجابة عن صحة استدلاله نقول ان العاصي المذكور هنا هو الشخص الذي

حاد الله ورسوله وشك في حكم الله في الميراث — لأنها واردة في حق المواريث —

(١) سورة النساء : آية : ١٤ .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٦٥٧ .

فلم يمتثل أمر الله في الميراث بل عصى الله فيه وعانده وجحد فـ فرس الميراث فبذلك يكون كافرا محادا لله ورسوله .

قال ابن جرير: " فان قال قائل أو يخلد في النار من عصى الله ورسوله في قسمة الموارث قيل نعم اذا جمع الى معصيتهما في ذلك شكاً في ان الله فرس عليه ما فرس على عباده في هاتين الآيتين أو علم ذلك فحاد الله ورسوله في امرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) الى تمام الآيتين ، ايورث من لا يركب الفرس ولا يقاتل العدو ولا يجوز الفريضة نصف المال او جميع المال استنكاراً منهم قسمة الله ما قسم لصفار ولد الميت ونسائه واناث ولده " الى آخر كلامه رحمه الله وهو لا هم المنافقون (الذين فيهم نزلت وفسق اشكالهم هذه الآية فهو من أهل الخلود في النار لأنه باستنكاره حكم الله في تلك يصير بالله كافرا ومن طة الاسلام خارجا) (١)

ومن أدلتهم كذلك قوله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم

خالداً فيها) (٢)

(١) انظر: جامع البيان ٤ / ٢٩١ .

(٢) سورة النساء : آية : ٩٣ .

قال القاضي عبد الجبار عن وجه استدلالهم بالآية

" ووجه الاستدلال هو انه تعالى بين ان من قتل مؤمنا عمدا جازاه وعاقبه

وغضب عليه ولعنه وفي ذلك ما قلنا " (١)

ويجاب عن معنى هذه الآية التي استدل بها عبد الجبار بأن الخلاف

قائم بين أهل العلم في معنى هذا الجزاء الذي ذكره الله تعالى

ومن أقوال العلماء في ذلك :

١- ان هذا الجزاء هو جزاؤه ان جازاه

٢- ان من قتل مؤمنا متعمدا مستحلا قتله فهذا هو جزاؤه .

٣- ان هذا الحكم هو في من لم يتب .

ولعل الأرجح من ذلك هو القول الأول كما رجحه ابن جرير رحمه الله بقوله

(قال أبو جعفر وأولى القول في ذلك بالصواب قول من قال معناه : ومن

يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه ان جزاه جهنم خالدا فيها ولكنه يمفو أو يتفضل

على أهل الايمان به ورسوله فلا يجازيهم بالخلود فيها ولكنه عز ذكوره

اما ان يمفو بفضله فلا يدخله النار واما ان يدخله اياها ثم يخرجها منها

بفضل رحمته لما سلك من وعده عباده المؤمنين بقوله (يا عبادي الذين

اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا " (٢)

أي ماعدا الشرك بالله الذي هو أكبر الجرائم على الاطلاق .

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٦٥٦ .

(٢) جامع البيان ٥/٢٢١ .

ومن أدلتهم قوله تعالى (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون) (١)
قال القاضي عن وجه استدلالهم بهذا النص :

" ووجه الاستدلال به هو ان المجرم اسم يتناول الكافر والفاسق جميعا
فيجب أن يكونا مرادين بالآية معنيين بالنار لأنه تعالى لو أراد احدهما
دون الآخر لبينه فلما لم يبينه دل على انه ارادهما جميعا) (٢)

وبجاب عن هذا بأن المجرمين المذكورين معنا ليس هم عصاة أهل التوحيد
وانما هم الكفار بدليل ان الله وصف عذابهم بالخلود وليس من لازم ارادة
الكفار أن يبين ان جرمهم كان الكفر بالله تعالى وقد نص علماء السلف على
أن هؤلاء المجرمين هم الكفار الذين اجتمروا في الدنيا الكفر بالله . (٣)
وقال القاضي عبد الجبار بعد ذكر الآيتين السابقتين .

" وما يمكن الاستدلال به من عمومات الوعيد في كتاب الله تعالى كثير فانه
يمكن أن يستدل بقوله تعالى : " ومن يعمل سو" يجزبه " (٤)

ويمكن أن يستدل بقوله تعالى (ان الفجار لفي جحيم)

" وفي ذلك كثرة على ما ذكرناه "

(١) سورة الزخرف : آية : ٧٤ .

(٢) شرح الاصول الخمسة س ٦٦٠ .

(٣) انظر: جامع البيان ٢٥ / ٦٨ .

(٤) سورة النساء : آية : ٤٢٣ .

”وطريقة الاستدلال بالكل والاعتراض عليها مانبها عليه فلا تطول به

الكلام (١)

ولم يذكر وجه استدلالهم بالآيتين الاخيرتين لأنه — كما يذكر — لا يختلف الحكم والمراد ، منهما عن ماسبقهما من اعتناء حكم الفاسق والمعاصي حكم الكافر وسبب ما قاله أهل الحق من التفريق بينهما وأن حكم المعاصي ليس كحكم الكافر الا عند المعتزلة والخوارج .

وأما وجه استدلالهم بالآيات التي تفيد تخليد أهل الكبائر من الفساق في النار وعدم الشفاعة فيهم فقد سبق الجواب عنه فيما مضى من الآيات . وهذا يتضح لنا ما سبق ان استدلال نفاة الشفاعة ببعض الآيات التي تقدم ذكرها .

انه استدلال خاطيء وأن تلك الآيات التي تقدمت انما تدل على نفى الشفاعة عن أهل الشرك ونفى الشفاعة التي يثبتها الكفار لشركائهم من الاصنام أو نفى الشفاعة التي تكون بغير اذن الله ورضاه كما تدل على ذلك ظواهر تلك الآيات^(٢) لانفيها عن أهل المعاصي من أهل القبلة .

وليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة ولا في أقوال علماء السنن ما يفيد ابطال الشفاعة للعصاة وان ما ورد — سواء في الكتاب أو السنة — يفيد نفيها عنهم فان له معنى غير ما تمسك به نفاة الشفاعة والا لأدى ذلك الى ضرب النصوص بعضها بعضها وليس هذا من طريقة السلف بل طريقتهم البحث والتحصيل للوصول الى ما ظننتي عنده للإدلة .

(١) شرح الاصل الخمسة ص ٢٦٣ .

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية ص ٢٨ .

وقد رأينا فيما سبق عرضه كيف ان المعتزلة والخوارج ايضا قد خلطوا بين حكم الفاسق وحكم الكافر .

ثم تسميتهم كذلك للفاسق كما فرأ فخلطوا في التسمية بين العاصي والكافر والفاسق حيث جعلوا الكل لسمى واحد ، وهذا بخلاف ما جاء في القرآن الكريم فان الله تعالى قد مايز بين الكفر والفسق والعصيان بقوله

تعالى (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان آلك هم الراشدون) (١)

فقد فصل الله تعالى بين الكفر والفسق وجعل كل واحد مستقلا بنفسه والمخطوف غير المعطوف عليه فصار الكفر نوعا والفسق نوعا آخر والعصيان كذلك فكرههما جميعا الى طوب المؤمنين وحب اليهم الايمان وفي بيان هذه الأنواع يقول محمد بن نصر المروزي " لما كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرق بينهما فجعلها ثلاثة أنواع :

منها كفر ونوع منها فسوق وليس بكفر ، ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق وأخبر انه كرهها كلها الى المؤمنين ، ولما كانت الطاعات كلها داخلية في الايمان وليس فيها شيء خارج عنه لم يفرق بينها فيقول حب اليكم الايمان والفرائض وسائر الطاعات بل اجمل ذلك فقال حب اليكم الايمان فدخل في ذلك جميع الطاعات " (٢) الخ وقد اثبت الله - كما هو معلوم - الايمان للمصاة الفسقة في أحكام كثيرة تذكر منها على سبيل المثال ماورد في آية اللعان بين الزوجين فان ما لاشك فيه ان أحد الزوجين كاذب فيما نفاه عن نفسه واذا كان كاذبا والكذب كبيرة فانه فاسق كما نص القرآن الكريم على

(١) آية ٧ من سورة الحجرات .

(٢) نقلا عن كتاب الايمان لابن تيمية ص ٣٤ .

فسقه ان كان كاذبا وقد شرع الله بينهما اللعان لأن بقاء الزوجية قبيل اللعان غير منتف مع فسق أحد الزوجين وفي هذا يقول صاحب كتاب ابانة المناهج جعفر بن أحمد " فلو كان الفسق كفرا والكافر فاسقا لكانت الزوجية مرتفعة بينهما اذا لما كحة بين مؤمن وكافر سيما اذا كان كفره ردة بعد اسلام متقدم فكان يجب أن لا يصح وقوع الملائعة بينهما ، لأن الملائعة انما شرعت بين الزوجين لابين الاجنبيين فلما علما صحة اللعان بين القاذف وزوجته علمنا انه لم يكفر واحد منهما مع ان احدهما فاسق بلا مرية وذلك يوضح بطلان مذهب الخوارج في ان كل فاسق كافر وفي ذلك غنى لكل منصف^(١) ثم انه لم ينقل عن الصحابة ولا عن التابعين انهم حكموا في الفساق بحكم الكفار في الحقوق والواجبات بل اعتبروا الفاسق مسلما وعاملوه معاملة المسلمين في جميع الحقوق .

" وما يدل على ذلك ما ظهر من اجماع الصحابة والتابعين فانه معلوم من احوالهم انهم لم يحكموا في الفاسق بأحكام الكفار فلم يحرموا ميراثه ممن المسلمين ولا حكموا بحرمة زوجته عليه لأجل فسقه ولا منموا من دفنه في مقابر المسلمين ، وهذا أظهر من أن يخفى على متأمل لولا شدة الميل عن الصواب والأحرف وقوة التعصب للأباء والأسلاف (٢)

نعم كيف يجوز ان يسوى بين حكم مؤمن بالله تعالى مصدق بوعدده ووعيدده واقترف ذنبا لطبيعته البشرية وبين كافر ملحد مكذب لوعده الله ووعيدده قد استعذب المعاصي والشهوات وأهل ما حرم الله .

(١) ابانة المناهج ص ١٦٤ .

(٢) ابانة المناهج ص ١٦٤ وانظر الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الاسلام منها ص ٣٥١ .

لا شك ان الفرق بينهما بعيد جدا " فالمؤمن - كما قال شيخنا محمد
نمر الخطيب - ولو كان عاصيا فانه لا يخلوعن مراقبة الله تبارك وتعالى
ولا يخلوعن ندامة ولا يخلوعن وخز الضمير " ، وأما الكافر فلا يرهب الا القانون
وربما احتال عليه ولا يرهب الا الناس وسرعان ما يستطيع ان يفتنى عنهم
ويتماد عن انظارهم اذا أراد المعصية والكافر بعد معصية لا يجد حاجة
الى الندم ولا يشعر بشئ من الألم بل يتمتع بأحلى الذكريات واشدها
عصيانا للرب * (١)

وقال أيضا ومعبارة أخرى اذا اشترك مؤمن وكافر بمعصية واحدة أو
تشابها في معصية واحدة فهل يكون جزاؤها سواء ؟ لا شك ان الاجابة
تكون بالنفي صحيح ان الذنب واحد والمعصية واحدة ولكنهما اختلفا ففى
المنشأ واختلفا فى المبدأ ، فالمؤمن وانه ان عمل المعصية أو اقتصر
الذنب فانه مع ذلك مسلم وأنه قد عصى ومعترف بأنه قد خالف الهه وهما
عن طريق مولاه ، أما الكافر أو المشرك فانه ليس كذلك فانه عندما اقتصر
المعصية أو قارف الذنب لم يكن مقرا بأنه قد خالف ولم يكن معترفا بصاحب
هذا العظام لذلك تباينت رتبتهما لاختلاف المنشأ والمصدر * (٢)
فكيف يصح ان يقال ان حكم المؤمن والكافر سواء فى حرمانه من الشفاعة وفى
خلوده فى النار .

(١) مقدمات وابحاث تمهيدية فى العقيدة الاسلامية ص ٧٤ .

(٢) المصدر السابق . ص ٧٤ .

وإذا كان الحكم بتخليد العصاة في النار خاطئاً فلا شك ان هذا الخطأ في الحكم عليهم بالكفر أيضاً ومعلوم أن تكفيرهم أمر عظيم ان كيف تكفر من لم يكفره الله فقد قال تعالى في المتقاتلين من المؤمنين .

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) (١)

وقال تعالى (فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه

باحسان) (٢)

ظلم يخرجهم الله عن الايمان وسمى القاتل والمقتول اخوين والنصوص فسوى كتاب الله عز وجل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم على عدم كفر العاصي اشهر من أن تذكر على ان ماورد في بعض النصوص ما يفيد تكفير العاصي وبالتالي تخليده في النار قد أجاب عنه العلماء بأجوبة كثيرة منها انها تتركها كما جاءت ^{وقيل} وكل حقيقة المراد منها الى الله عز وجل او نقل انها من أهاديث الزجر والوعيد ، أو تكفي واردة في حق المستحل لتلك المعاصي وغير ذلك من أقوال أهل العلم (٣) .

قال النووي عن معنى حديث ابي هريرة (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) الخ قال ان هذا الحديث ما اختلف العلماء في معناه فالقول الصحيح الذي قاله المحققون ان معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الايمان وهذا من الالفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال لا علم الا ما نفع ولا مال الا الابل ولا عيش الا عيش الآخرة وانما

(١) آية ٩ من سورة الحجرات .

(٢) آية ١٧٨ من سورة البقرة .

(٣) انظر: شرح النووي لسلم ١/٣١٣ .

تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي زر وغيره " من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق " وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور انهم " بايموه صلى الله عليه وسلم على ان لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يمسوا " السى آخره ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم فمن وفى منكم فأجره على الله ومن فعل شيئا من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته ومن فعل ولم يعاقب فهو الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه " فهذان الحديثان مع نتائجهما في الصحيح مع قول الله عز وجل " ان الله لا يفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (١) مع اجماع أهل الحق على ان الزانى والسارق والقاتل وغيرهم من اصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك بل هم مؤمنون باقصوا الايمان ان تابوا سقطت عقوبتهم وان ماتوا مصرين علمى الكبائر كانوا في المشيئة فان شاء الله تعالى عفا عنهم وادخلهم الجنة أولا وان شاء عذبهم ثم ادخلهم الجنة وكل هذه الأدلة تضطرنا الى تأويل هذا الحديث وشبهه ثم ان هذا التأويل ظاهر سائغ في اللفظة مستعمل فيها كثيرا واذا ورد حديثان مختلفان ظاهرا وجب الجمع بينهما وقد وردا هنا فيجب الجمع وقد جمعنا " (١)

ثم قال عن أقاويل العلماء في معنى هذا الحديث وشبهه ما يدل على كفر أهل المعاصي " وتأويل بعض العلماء هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلا له مع علمه بمرود الشرع بتحريمه " .
وذكر أقوالا أخرى كالقول بأن معناه " ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به أولياء

أولياء الله المؤمنين ويستحق اسم الذم فيقال سارق ، وزان ، وفاجر وفاسق ،
أو القول بأن ينزع منه نور الايمان أو تنزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى
ثم قال : " وذهب الزهري الى ان هذا الحديث وما اشبهه يؤس بهما
ويعر على ما جاءت ولا يخاض في معناها وأنا لانعلم معناها وقال امرؤها كما امرها
من قبلكم وقيل في معنى الحديث غير ما ذكرته مما ليس بظاهر بل بعضها
غلط فتركها وهذه الأقوال التي ذكرتها في تأويله كلها محتطة والصحيح فسي
معنى الحديث ما قدمناه أولاً " (١)

ولا يمنع ان يقال أيضا ان معنى الأحاديث المانعة للشفاعة ترد في حق اناس
دون أناس أو في حصولها في بعض الأماكن دون بعض وهكذا .

وهذا يتبين لنا بوضوح أن الحكم على العصاة من المؤمنين بحكم الكفار
والتالي تخليدهم في النار انه قول خاطئ ، ومفيد عن الصواب غاية البعد
وان السبب الذي حذا بالخوارج والمعتزلة ومن سار على طريقتهم الى القول
بتخليد أهل المعاصي في النار وعدم جواز الشفاعة فيهم هو هذا الحكم
الخاطئ ، باخراجهم من الايمان وعدم تقبل ما ورد من نصوص صحيح تخصص
أهل الكبائر من عموم التخليد في النار واخراجهم منها الى الجنة .

ونختم الكلام بما قاله الباقلاني رحمه الله :

" ولولا العناد والميل الى سبيل الضالين ووساوس المردة والشياطين لسم
يعدلون عن اثبات الشفاعة المذكورة في هذا الكتاب والمأثور وفي الأخبار التي
الترهات وطريق التأويلات وتلفيق الجهل والضلالات " (٢)

(١) ج ١ ص : ٢٤٢ .

(٢) التمهيد ص ٣٧٥ .

- (أدلة بقاء الشفاعة في أهل الكبائر من السنة) -

والجواب عنها

=====

ظهر مما سبق عرضه ان استدلال بقاء الشفاعة من المعتزلة والخوارج بتلك الآيات التي استندوا اليها في نفيتهم وقوع الشفاعة في أهل الكبائر وخروجهم من النار انه استدلال غير سديد ، واذا كانوا قد استندوا الى تلك الآيات التي ابطالنا احتجاجهم بها على نفى الشفاعة عن أهل الكبائر فانهم قد استندوا كذلك الى أحاديث جعلوها شاهدة لهم على ما يذهبون اليه من اعتقادهم ذلك .

وفيما يلي نذكر بعض ما استدلوا به من السنة ووجه احتجاجهم بها وابطلنا ذلك الاحتجاج

١- جاء عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين واذا ان شاء الله بكم لاحقى وودت انى قد رأيت اخواننا قالوا يا رسول الله السنا اخوانك قال بل انتم اصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا يا رسول الله كيف تعرف من يأتى من امتك؟ قال : أرايت ان كان لرجل خيل فرمجة في خيل نهم فهل لا يعرف خيله؟ قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم يأتون يوم القيامة فرا محجلين من الوضوء وانا فرطهم على الحوض الا قليدان رجال عن حوضى كما يذاد البصير الضال انا ديمهم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحفا فسحفا (١)

ووجه استدلالهم من هذا الحديث على نفى الشفاعة هو انهم قالوا " لو كان

شفيما لهم لم يكن يقول فسحقا فسحقا لأن الشفيح لا يقول ذلك وكيف يجوز أن يكون شفيما لهم في الخلاص من العقاب الدائم وهو ينصهم شربة ماء^(١) وهذا الحديث لا دلالة لهم فيه على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر لأن هؤلاء الذين دعا عليهم ليسوا من المسلمين وإنما هم أهل ردة وكفروا في هذا يقول القاضي عياض عن هذا الدعاء : " هذا دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة ولهذا قال فيهم سحقا سحقا ولا يقول ذلك في مذنبى الأمة بل يشفع لهم ويهم لامرهم قال : وقيل هؤلاء صنفان أحدهما : عصاة مرتدون عن الاستقامة لأعن الاسلام وهؤلاء يدلون للأعمال الصالحة بالسبيطة . والثانى : مرتدون الى الكفر حقيقة ناكسون على اعتابهم واسم التبديل يشمل

الصفين * (٢)

٢ — واستدلوا كذلك (٣) بما جاء عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة * (يا كعب بن عجرة أعيدك بالله من امارة السفهاء قال وما ذاك يا رسول الله قال امراء سيكفون من بعدى من دخل عليهم فصد قهم بحد يشهم واعانهم على ظلمهم فليموا منى ولست منهم ولم يردوا على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصد قهم بحد يشهم ولم يمتهم على ظلمهم قالك منى وانا منهم وآلك يردون على الحوض يا كعب بن عجرة ، الصلاة قربان والصوم جنة والصدقة تطفى الخليفة كما يطفى الماء النار يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت النار اولى به (الحديث^(٤) .

(١) التفسير الكبير ٥٨/٣

(٢) شرح النووى لمسلم ١٦٢/٥

(٣) التفسير الكبير ٥٨/٣

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣٩٩/٣

ووجه استدلالهم بهذا الحديث ما جاء فيه من ألفاظ تفيد نفى الشفاعة عن أهل الكبائر بزعمهم وهي :

١- قوله صلى الله عليه وسلم (فليس مني ولست منه ومعنى هذا " أنه إذا لم يكن من النبي ولا النبي منه فكيف يشفع له " (١) فتهرباً النبي صلى الله عليه وسلم منه ينفى شفاعته له .

٢- قوله صلى الله عليه وسلم لم يرد على الحوض قالوا انه " دليل على نفى الشفاعة لأنه إذا منع من الوصول الى الرسول حتى لا يرد عليه الحوض فبأن يمتنع الرسول من خلاصه من العقاب أولى " (٢)

٣- قوله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت) قالوا ان هذا " صريح في انه لا أثم للشفاعة في حق صاحب الكبيرة " (٣) لنفيه صلى الله عليه وسلم دخولهم الجنة لارتكابهم الكبائر .

وهذا الحديث لا دلالة فيه على نفى الشفاعة عن جميع أهل الكبائر ونفى جميع مواطن القيامة فان الرسول صلى الله عليه وسلم يشفع في بعض الناس ويؤخر شفاعته عن بعضهم ثم يشفع لهم كذلك لا يشفع لبعضهم في مكان من امكة يوم القيامة ثم يشفع لهم في مكان آخر كما ورد عن أهل العلم . وهؤلاء الذين يتمتعون من الشرب من الحوض قد تقدم في جواب النسوي انهم المرتدون فما العاص من اتصاف هؤلاء بأنهم مرتدون وانهم تحت

(١) التفسير الكبير ٣/ ٥٨٠ . وكلمة النبي " فليس مني ولست منه " .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

امرة سفها لا يبالن بشرع الله وكم وقع في التاريخ من امراء سفها بأمرهم
بمعاربة الله ودينه وشرعه لكل ما يملكون من وسائل .

ثم على فرض ان هؤلاء ليسوا من المرتدين فقد يجوز ان يمنعوا من الشرب
من الحوض لاتصافهم بتلك الصفة ثم لا يحرمون الشفاعة في دخول الجنة .
وأما تصريحه عليه الصلاة والسلام بعدم دخول من أكل السحت الجنة فان
هذا الوصف يطبق على شخص يستحل ذلك ولا يبالى بأكل الحرام فطعمه
كله من السحت ومعلوم ان المسلم مهما كان حاله لا يصل الى ان يأكل من
السحت مستحلا له طول حياته لا يميز بين الحلال والحرام .

٣- ومن ادلتهم كذلك ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نفيه عدم
استطاعته حصول النفع لبعض أهل الكبائر كالفال مثلا الوارد فيه الحديث
المروى عن ابي هريرة رضى الله عنه وفيه قال عليه الصلاة والسلام (لا ألقين
أهدكم يوم القيامة على رقبة شاة لها شفاء يقول يا رسول الله اغثنى فأقول
لا املك لك من الله شيئا قد بلختك) (١)

ووجه استدلالهم بهذا الحديث الذي سرهم كثيرا انهم قالوا : ان هذا
الحديث " صريح في المطلوب (نفي الشفاعة) لأنه اذا لم يملك له من الله
شيئا فليس له في الشفاعة نصيب " (٢)

وهذا الحديث لا دلالة لهم فيه كذلك وان كان قد أخبر عليه الصلاة والسلام
عن عدم استطاعته نفع من ارتكب كبيرة الفلول بالشفاعة فيه فان الحديث وارد

(١) أخرجه البخارى ، ١٨٥/٦ ، ومسلم : ٤٩٥/٤ .

(٢) التفسير الكبير ٥٨/٣ .

للأخبار بمقت من ارتكب تلك الكبيرة ثم بعد ذلك تشمله الشفاعة في عموم
الموحدين لصراحة النصوص في ذلك .

قال القاضي عياض في معنى قوله صلى الله عليه وسلم (لا املك لك من الله شيئا)
قال "معناه من الصفرة والشفاعة الا باذن الله تعالى قال ويكفى ذلك
أولا غضبا عليه لمخالفته ثم يشفع في جميع الموحدين بعد ذلك " .

قال النووي : " كما سبق في كتاب الايمان في شفاعات النبي صلى الله

عليه وسلم " (١)

وقال ابن حجر في بيان معنى الحديث ايضا :

" وكأني صلى الله عليه وسلم ابرز هذا الوعيد في مقام الزجر والتفليظ والا

فهو في القيامة صاحب الشفاعة في مذنبى الأمة " (٢)

٤- ومن ادلتهم أيضا ما جاء في بعض الأحاديث من تصريحه صلى الله عليه

وسلم بأنه خصيم لبعض أهل الكبائر كما جاء عن أبي هريرة رضى الله عنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة انا خصيمهم يوم القيامة ومن

كبت خصمه خصمته رجل اعطى بهى ثم ندر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل

استأجر اجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره (٣)

ووجه استدلالهم بالحديث هو انهم قالوا " انه عليه الصلاة والسلام لما كان

خصيما لهؤلاء استحال ان يكون شقيما لهم " (٤)

(١) شرح النووي لمسلم ٤/٤٩٥ .

(٢) فتح البارى ٦/١٨٦ .

(٣) ابن ماجه في سننه ٢/٨١٦ .

(٤) التفسير الكبير ٣/٥٨ .

ان لا يمكن أن يكون خصيما لهم وشفيعا في آن واحد لامتناع هـذا
وهذا الحديث الذي استدلوا به هو ما جاء في لفظ ابن ماجه حيث استند
خصوصتهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم بينما هو في الصحيح جاء باسناد
الخصومة الى الله تعالى حيث قال البخارى في روايته له عن ابى هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة
رجل اعطى بى ثم غدر الخ الحديث (١)

فعلى رواية البخارى لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم انه خصمهم لهؤلاء
وطى رواية ابن ماجه فان الحديث يعتبر من باب الزجر والتشديد ففى
التحذير وليس فيه معارضة لما ثبت من حصول الشفاعة لأهل الكبائر
فربما ان هؤلاء يمدبهم الله تعالى ثم يمدق عليهم ما ثبت من دخولهم
فى الشفاعة اذا كانوا من أهل التوحيد وما المانع من ان يكون خصما لهم
ثم يعفو عنهم وهو أرحم الراحمين ، ولا مانع كذلك ان تصدر هذه الكبائر
من غير أهل التوحيد فاذا كانوا على غير التوحيد وفعلوا هذه الكبائر
فلا مانع ان يقال : ان الله تعالى وهو خصمهم سيحل بهم مزيدا من
بقرته وتمذيبه لهم زيادة على تعذيبهم على الكفر .

قال الرازى بعد ان ذكر تلك الادلة للممتزلة " فهذا مجموع وجوه الممتزلة
فى هذا الباب " (٢)

(١) أخرجه البخارى ٤١٧/٤ - ٤٤٧ .

(٢) التفسير الكبير ٣/٥٩٠ .

هـ - ومن ادلتهم كذلك ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم (لاتنال شفاعتى

أهل الكبائر من أمتى) (١)

ووجه استدلالهم بهذا الحديث على بطلان الشفاعة ظاهر ويجاب عن هذا بأن الحديث لم يصح بهذا التحريف ولله الحمد وقد ورد الحديث بالاثبات فحطوه الى النفي اذا لو ارد هو قوله صلى الله عليه وسلم " شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) (٢) فأوردوه على ما أرادوا من تقوية مذاهبهم ، وقد رد علماء الحديث هذه الرواية بهذا اللفظ وحكموا عليها بالوضع . ومن ذلك ما قاله البردبى فقد قال حين أورده :

" وأما حديث لاتنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى " فموضوع مطروح عند سائر

النفلة ، وان سلمنا صحته فهو محمول على من ارتد منهم " (٣)

وقد أشار القاضى عبد الجبار الى بعض الأحاديث الدالة على اخراج أقوام ادخلوا النار بسبب ذنوبهم ثم اخرجوا منها فذكر بأنها معارضة بأحاديث أخرى .

وما يجدر ذكره ان تلك الأحاديث التى عارض بها بعضها بعضها كلها ثابتة بعضها فى الصحيح ويذكر هنا بعضها مما أورد من تلك الأحاديث والتى زعم ان المرجئة يتمسكون بها لاثبات اخراج أقوام من النار بعد أن دخلوها قال : " ثم اصحا نعارضهم بأخبار رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا

(١) أخرجه الربيع بن حبيب فى مسنده الجامع الصحيح ٣١/٤ .

(٢) قد تقدم تخريجه .

(٣) تكملة شرح الصدور ص ٢٦ .

الباب من جملتها قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مد من خمر ولا نعام ولا عاق (١) قال : " وهذا يدفع ما احتجوا به في المسألة " ثم قال : " ومن ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من تردى من جبل فهو يتردى من جبل في نار جهنم خالدا مخلدا) (٢) ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بحد يده فحد يده في يده بجسأو بطنه في نار جهنم خالدا ابدا) (٣) أو قوله ايضا (من يحتسى سما يحتسى سما في نار جهنم خالدا ابدا) (٤) الى غير ذلك من الأخبار المروية في هذا الباب (٥)

ثم استدل كذلك بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مسر بمؤذن يؤذن ويقول اشهد ان لا اله الا الله فقال على الفطرة فقال المؤذن اشهد أن محمدا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم خرج من النار " أى من عمل أهل النار ، كذلك الحال ههنا ولا يجوز غير ما ذكرناه " والواقع ان هذا الحديث وما في معناه ليس فيه متمسك للمعتزلة في نفسى الشفاعة عن أهل الكبائر .

وقد أجاب العلماء عن هذا الحديث وما جاء في معناه بأقوال : أحدهما : انه محمول على من فعل ذلك مستحلا له مع علمه بالتحريم فهذا كافر وهذه عقوبته .

(١) أخرجه ابن ماجه ١١٢٠/٢ في الاشربة ، مسند أحمد ٢٧٢/١ .
(٢) (٣) - (٤) أخرجه مسلم ٣٠٧/١ .
(٥) شرح الأصول الخمسة ص ٦٧٣ - ٦٧٤ ، والحديث أخرجه الثبراني في المعجم الصغير ٣/٢ .

والثاني : ان المراد بالخلود طول المدة والاقامة المتطاولة لاهقية الدوام
كما يقال خلد الله ملك السلطان .

والثالث : ان هذا جزاؤه ولكن تكرم سبحانه وتعالى فأخبرانه لا يخلد فسى
النار من مات مسلماً " (١) كذلك فان في الحديث الأول (لا يدخل الجنة
مدمن خمر) فيه راو مختلف فيه وهو سليمان بن عتبة . (٢)

وقد قال النووي رحمه الله عن معنى الحديث " لا يدخل الجنة نمام " (٣)
" وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام " ففيه التأويلان المتقدمان
في دغائره

أحدهما : يحمل على المستحل بغير تأويل مع العلم بالتحريم .

والثاني : لا يدخل دخول الفائزين . (٤)

وهذا هو السلك الأسلم الموافق للنصوص لا الاجترار على رد النصوص أو تأويلها
كما فعلت الممتزلة حينما ردوا بعض الأحاديث وقووا بعضها الآخر بالتحريفات
والتأويلات المخالفة للحق وللواجب نحو النصوص والتوفيق بينهما ، كما فسى
تأويل عبد الجبار الممتزلي للحديث السابق " خرج من النار " قال : " أى
من عمل أهل النار " وكذا تأويله لقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن من
دخل النار من أهل الكباثر ثم اخرج منها .

(١) شرح النووي لمسلم (١/٣١٣) .

(٢) سنن ابن ماجه ١١٢٠/٢ تعليق محمد فؤاد .

(٣) صحيح مسلم (١/٣٠٢) .

(٤) شرح النووي لمسلم (١/٣٠٣) .

(فيخرجون قد امتحشوا وعادوا همما) (١) الثابت في الصحيحين والعثبت
لاخراج العصاة من النار بعدما امتحشوا وعادوا همما .

يجيب عن هذا الحديث الصريح في اثبات ذلك بقوله :

" وجواب ان هذا الخبر لم تثبت صحته ، ولو صح فانه منقول بالطريق الآحاد
وخبر الواحد مما لا يوجب القطع وسألنا طريقها العلم فلا يمكن الاحتجاج به"
وقال أيضا : " اما نتأول هذا الخبر الذي اوردوه على وجه يوافق الأدلة
فندقول ان المراد يخرج من النار أى يخرج من أهل النار قوم " (٢)

وقد جاء عن أنس كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يدخل ناس
الجهنم حتى اذا كانوا همما اخرجوا فادخلوا الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء
الجهنميون) (٣)

فهل يلغى مدلول هذا الحديث في صراحته ووضوحه في اخراج أهل
الكفار من النار بتأويلات الممتزلة بأن معناه يخرج من أهل النار
كما أجاب القاضي عبد الجبار لاشك أن هذا ابعاد للمعنى الحق ايما
ابعاد وكيف يخرج العاصي على هذا التأويل بعدما امتحش وعاد همما مع
أن الحديث واضح بأن ذلك يحصل في الآخرة وليس في الدنيا وتأويلهم
بأنه يخرج من أهل النار لا يتصور الا في الدنيا عندما يتوب العاصي
من أهل النار ويعمل بعمل أهل الجنة ويستمر على ذلك وبين المراد
من الحديث وتفسيرات الممتزلة ما لا يخفى من البعد .

(١) صحيح البخارى ٢٠٢/٧ ومسلم ٤٤٤/١

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة ص ٦٧٢ - ٦٧٣

(٣) شرح ثلاثيات المسند ٧٦٧/١

ومثل تأويل القاضي عبد الجبار للحديث السابق ورده له رده كذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم شفاعتي لأهل الكبائر من امتي (١) بأنه " خبر لم تثبت صحته أولاً ، ولو صح فإنه منقول بطريق الأحاد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (وسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج به) (٢) ثم زعم أنه على فرض صحته فإنه يؤول معناه ليصبح هكذا " شفاعتي لأهل الكبائر من امتي إذا تابوا وهذا التأويل يريد به موافقة مذهبه في أن الشفاعة خاصة بالمؤمنين الذين تابوا عن الكبائر ولم يقتربوها ولا تنال غيرهم ومن اعتراضاتهم على هذا الحديث أيضاً أنهم قالوا عن الحديث " شفاعتي لأهل الكبائر من امتي "

- ١- أنه خبر واحد ورد على مضادة القرآن فإنا بينا أن كثيراً من الآيات يدل على نفي هذه الشفاعة وخبر الواحد إذا ورد على خلاف القرآن وجب رده "
- ٢- " أنه يدل على أن شفاعته ليست إلا لأهل الكبائر وهذا غير جائز لأنه لا أقل من التسوية " .
- ٣- أن هذه المسألة ليست من المسائل العلية فلا يجوز الاكتفاء فيها بالظن وخبر الواحد لا يفيد إلا الظن فلا يجوز التمسك في هذه المسألة بهذا الخبر " (٣) وهذه الاعتراضات كلها غير مسلمة .

(١) أخرجه أبو داود ص ٥٣٧ ج ٢ .

(٢) أنظر شرح الأصول الخمسة ص ٦٩٠ - ٦٩١ .

(٣) التفسير الكبير ٦٢/٣ - ٦٣ .

فان أخبار الأحاد غير مردودة بل هي مقبولة عند أهل الحق ومن الخطأ
رد أخبار الأحاد مطلقا ان هي حجة يحتج بها في العقائد والاحكام
فالقدح فيها غير مقبول بل هي حجة المبطلين حينما لا يجدون في الحديث
مطمنا يقطنون هو من رواية الاحاد تنفيرا للناس عنه وسنذكر هذه المسألة
بمزيد من التفصيل في مبحث الرؤية .

وأما كوفي هذا الخبر يضاد الآيات التي تنفي الشفاعة عن أهل الكبائر فان
هذا التضاد ليس له وجود الا في زعمهم لما سبق من ان القرآن لا يدل على
نفي الشفاعة عن أهل الكبائر .

وأما اعتراضهم بأن الحديث على رواية الاثبات يدل فقط على حصر
شفاعته في أهل الكبائر فهذا غير مقبول وذلك أن الحديث لم يدل على
الحصر وانما هو خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم ومشارفة منه لامته انـه
يشفع في أهل الكبائر لطفيهم من باب أولى وقد بينت أحاديث أخرى شفاعته
صلى الله عليه وسلم وهي ثابتة بطريق التواتر في أهل الكبائر وفي غيرهم
وذكر الرازي ان الأحاديث وان كان بعضها مرويا بطريق الأحصاء
الا أنه يصل الى مرتبة التواتر وان مطاع المعتزلة لردّها غير مسلمة فقال :
" كل واحد من هذه الأخبار وان كان مرويا بالآحاد الا انها كثيرة جدا
وبينها قدر مشترك واحد وهو خروج أهل العقاب من النار بسبب الشفاعة
فيصير هذا المعنى مرويا على سبيل التواتر فيكون حجة " (١)

وقد أجاب الرازي عن شبهة المعتزلة في الأحاديث السابقة مجالا للجواب

عنها جميعا بجواب واحد فقال :

" واما الأحاديث فهي دالة على ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يشفع لبعض الناس ولا يشفع في بعض مواطن القيامة ، وذلك لا يدل على انه لا يشفع لأحد البتة من اصحاب الكبائر ولا انه يتمتع من الشفاعة في جميع المواطن ، والذي نحققه انه تعالى بين أن أحدا من الشافعين لا يشفع الا باذن الله فعمل الرسول لم يكن مأذونا في بعض المواضع وبعض الأوقات فلا يشفع في ذلك المكان ولا في ذلك الزمان ثم يصير مأذونا في موضع آخر وفي وقت آخر فسي الشفاعة فيشفع هناك " (١)

وفي الختام فان استدلال المعتزلة على بطلان الشفاعة في أهل الكبائر أو فسادها من إخراجهم من النار سواء كان ذلك الاستدلال قد تلمسوه من ظاهر بعض الآيات أو بعض الأحاديث انه استدلال خاطئ ، ومعارضة للنصوص وقد رأينا من عرض ما سبق في الآيات والأحاديث قوة دلالة تلك النصوص على ثبوت هذه الشفاعة .

ورأينا كذلك كيف ان أحاديث الشفاعة جاءت على اشكال ووقائع مختلفة . ويعنى على من خفي عليه فهم نص من تلك النصوص التي تدل بظاهرها على بطلان الشفاعة ان يلتزم فيه الحق وما سار عليه سلف الأمة . في الجمع بينها من ان الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن أن يشفع في مكان دون مكان وفي وقت دون الوقت ولقوم دون آخرين وهكذا فاذا وجدنا نصا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ثبوت الشفاعة كقولهم " سحقا سحقا لا قوام غيروا وادلوا بعبده ،

فليس من الحق ان يتخذ هذا الحديث حجة على نفي الشفاعة عن أهمل
الكبار دون البحث عن حقيقة المراد منه ثم تعرض عن القصور الأخرى الصريحة
الواضحة في ثبوت شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الكبار واخراجهم من
الغار ، وإنما الواجب هو النظر والتوفيق بين القصور لاستخراج الحسق
الذي تدل عليه .

٤- شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لطائفة من المؤمنين بدخول الجنة
بغير حساب " ثبت في الأحاديث الصحيحة ان طائفة من امة محمد صلى الله
عليه وسلم يدخلون الجنة بغير حساب بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما
امتازوا به عن عداهم من صفات جعلتهم اهلا لهذا الاكرام ومصدق هذا
ما جاء عن حصين قال كنت عند سعيد بن جبير فقال " حدثني ابن عباس
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فأخذ النبي يمر
معه الأمة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة والنبي يمر معه
الخمسة والنبي يمر وحده فظنرت فاذا سواد كثير قلت يا جبريل هؤلاء امتي
قال : لا ولكن انظر الى الأفق فظنرت فاذا سواد كثير قال هؤلاء امتك وهؤلاء
سبعون ألفا قد امهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلت ولم قال كانوا لا يكتسبون
ولا يسترقون ولا يتطهرون وعلى ربهم يتوكلون فقام اليه عكاشة بن محصن
فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال : اللهم اجعله منهم ثم قام اليه رجل
آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم قال سبقك بها عكاشة . (١)

(١) أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه انظر: الفتح (١١/٤٠٥-٤٠٦)

ومسلم (١/٤٩٠-٤٩٦)

وعن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يدخل الجنة من امتي زمرة هم سبعةون ألفا تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر وقال أبو هريرة فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال اللهم اجمله منهم ثم قام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة) (١)

وعن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (ليدخلن الجنة من امتي سبعةون ألفا — أو سبعمائة ألف شك في احدهما متماسكين أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم وآخرهم الجنة ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر) (٢)

والتأمل في أحاديث السبعين الفا المتقدمة الذين يدخلون الجنة من امة محمد صلى الله عليه وسلم بغير حساب يجد انه مجرد اخبار من الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم يدخلون الجنة بغير حساب ، وليس نصا صريحا في انهم استحقوا ذلك الجزاء بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف يتم الاستدلال بتلك الأحاديث على انها شفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الناس وهذا ما جعل بعض العلماء يتوقف في القول بها كالامام ابن كثير والواقع أن محل الشاهد من هذا الاستدلال هو دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعكاشة بأن يكون منهم فان هذا الدعاء هو شفاعة منه صلى الله عليه وسلم لعكاشة .

وأما توقف ابن كثير فيها فهو يذكر انه قد استبان له بعد رجوعه الى حديث عكاشة بأنه يصلح دليلا لهذا النوع من الشفاعة .

(١) — (٢) صحيح البخارى ، انظر الفتح (١١/٤٠٥ — ٤٠٦ .

وسلم (١/٤٩٠ — ٤٩٦ .

وقد نقل عن القاضي عياض اثباته لهذا النوع من الشفاعات الثابتة لهيئاً
صلى الله عليه وسلم ثم علق على ذلك بقوله :

” وقد ذكر القاضي عياض وغيره نوعاً آخر من الشفاعة وهو خامس وهي في أقوام
ان يدخلوا الجنة بغير حساب ، ولم أر . لهذا شاهداً فيما علمت ولم يذكر
القاضي عياض فيما رأيت مستند ذلك ثم تذكرت حديث عكاشة بن محصن حين
دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعله من السبعين الفا الذين
يدخلون الجنة بغير حساب والحديث مخرج في الصحيحين كما تقدم وهو
يناسب هذا المقام ” (١)

وقال القرطبي (٢) والسفاري (٣) قول القاضي عياض في عد هذه الشفاعات
نوعاً من الأنواع الخمسة من اقسام الشفاعات الثابتة .
وقال ابن ابي العز في معرض تعدده لاقسام الشفاعة :

” النوع الخامس: الشفاعة في أقوام ان يدخلوا الجنة بغير حساب ويحسن
أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يجعله من السبعين الفا الذين يدخلون الجنة
بغير حساب ” (٤)

واضافة الى ما سبق فان ما يدل كذلك على أن هؤلاء يدخلون الجنة
بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ما أخرجه الامام احمد عن ابي هريرة

(١) النهاية ٢ / ٢٧٥ .

(٢) التذكرة ص ٣٠٦ .

(٣) لوامع الأنوار ٢ / ٢٠٨ .

(٤) شرح الطحاوية ص ٢٥٧ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (سألت ربي عز وجل فوعدني
ان يدخل من امتي سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر فاستزدت فزادني
مع كل ألف سبعين ألفا) (١)

وسند هذا الحديث جيد كما قال ابن حجر (٢) وعن ابي هريرة عمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سألت الله الشفاعة لأمتي فقال لك
سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قلت رب زدني فحنا لى
بيديه مرتين عن يمينه وعن شماله (٣) وقد ذكر في السند احاديث كثيرة
تدل على استشفاع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ربه فى الزيادة فوق
السبعين/الالف الذين ذكروا الا ان تلك الأحاديث لا تخلو من ضعف

(١) السند ٣٥٩/٢

(٢) فتح البارى ١١/٤١٠

(٣) الجامع الصغير ٤/٧٨ مع شرحه فيض القدير للمناوى وقد عزاه السيوطى

الى هناد ورمز لحسنه ، قال المناوى " ضرب العثل بالجشيات لان من
شأن المعطى اذا استزيد ان يحشى بكفيه بغير حساب وربما ناوله بلا
كيف ، وقال بعضهم هذا كناية على المبالغة فى الكثرة " ط. أولى

سنة ١٣٥٦هـ.

(٥) — (شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن سكن فسى) —

المدينة المنورة ومات بها

ثبت هذا النوع من أنواع الشفاعات التي اكرم الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وهذه الشفاعة فيها كذلك اكرام للمدينة المنورة ولمن سكن بها صابرا على لأوائها مفضلا لها على غيرها وقد شرفها الله بميزات عديدة ليس هنا موضع ذكرها ومن ذلك أن جعلها مهاجر رسوله صلى الله عليه وسلم وعاصمة الاسلام الأوطى وأنه يأرز اليها الايمان كما تأرز الحية الى جحرها (١) ثم ميزها الله تعالى عن سائر البقاع بثبوت شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم لأهلها اعتناء خاصا بهم ومزيد تشريفاتها .

ومن الأدلة على ذلك ما جاء عن عامر بن سعد عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى أحرم ما بين لابتي المدينة ان يقطع عضاهتها أو يقتل صيدها) وقال (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها الا أبدل الله فيها من هو خير منه ، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها الا كرت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة) (٢)

وعن ابي سعيد مطي الهدي انه جاء ابا سعيد الخدرى لىالى الحيرة فاستشاره فى الجلاء عن المدينة وشكا اليه اسفارها وكثرة عياله واخبره ان لا يصبر له على جهد المدينة ولأوائها فقال له وجك لا أمرك بذلك انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يصبر أحد على لأوائها فيموت الا كرت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ان كان مسلما) (٣)

(١) أخرجه البخارى ٩٣/٤

(٢) صحيح مسلم ٩٩٢/٢ ، اللابتان الحرتان الشرقية والضربية والمضاه كل شجر فيه شوك .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٠٣ : اللأواء الشدة والجوع .

وعن يحيى بن مطي الزبير اخبره انه كان جالسا عند عبدالله بن عمر في الفتنة فأتته مولاة له تسلم عليه فقالت : اني اردت الخروج يا ابا عبد الرحمن اشتد علينا الزمان فقال لها عبدالله اعدى لكاع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كذلت له شهيدا أو شفيما يوم القيامة) (١)

وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يصبر على لأوائ المدينة وشدتها احد من أمتي الا كذلت له شفيما يوم القيامة أو شهيدا) (٢) ومن تلك النصوص السابقة يتبين ثبوت شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة وانه يكون شهيدا وشفيما لهم.

وقد ورد الحديث باثبات (أو) وفي هذا اشكال هل أوهما جاءت لشك من الرواية ام انها صحيحة ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون ايرادها هكذا للتقسيم بمعنى ان الرسول صلى الله عليه وسلم يكون شهيدا لبعض أهل المدينة وشفيما لبقيةهم او يكون شفيما للعاصين وشهيدا للمطيعين أو شهيدا لمن مات في حياته وشفيما لمن مات بعده او تكون أوهما بمعنى الواو ويكون المعنى انه يكون شفيما وشهيدا لهم.

وقد أجيب عن هذا الاستشكال بجواب امتدحه القاضي عياض كما نقله عنه النووي بأنه جواب مقنع يعترف بصوابه كل من وقف عليه فقال " سألت قديما عن معنى هذا الحديث ولم خص ساكن المدينة بالشفاعة هنا مع عموم شفاعته وادخاره اياها لأئمة ؟ قال وأجيب عنه بجواب شاف مقنع في أوراق اعتراف بصوابه كل واقف عليه .

(١) صحيح مسلم ٢/٤٠٠٠٤ .

(٢) نفس المصدر السابق .

قال واذكر منه هنا لمعان تليق بهذا الموضوع قال بعض شيوخنا او هنا
للشك والأظهر عندنا انها ليست للشك ، لأن هذا الحديث رواه جابر بن
عبد الله وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسماء بنت
عميس وصفية بنت ابي عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ وسعد
اتفاقهم جميعهم او رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة بل
الأظهر ما قاله صلى الله عليه وسلم هكذا فاما ان يكون اعلم بهذه الجملة
هكذا واما ان يكون (أو) للتقسيم ويكون شهيدا لبعض أهل المدينة
وشفيعا لبقيةهم اما شفيعا للمصين وشهيدا للمطيعين واما شهيدا لمن
مات في حياته وشفيعا لمن مات بعده او غير ذلك .

قال القاضي وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين او للعالمين
في القيامة وعلى شهادته على جميع الأمة وقد قال صلى الله عليه وسلم
في شهداء أحد (انا شهيد على هؤلاء) فيكون لتخصيصهم بهذا كله
مزية او زيادة منزلة وهظوة قال وقد يكون (أو) بمعنى الواو فيكون
لأهل المدينة شفيعا وشهيدا قال وقد روي " الا كتله شهيدا اوله شفيعا)
قال : واذنا جعلنا أو للشك كما قاله المشايخ فان كانت اللفظة الصحيحة
شهيدا اندفع الاعتراض لأنها زائدة على الشفاعة المدخرة المجردة لغيره
وان كانت اللفظة الصحيحة (شفيعا) فاختصاص أهل المدينة بهذا صح
ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الأمة ان هذه شفاعة أخرى غير العامة
التي هي لاخراج امته من النار ومعافاة بعضهم منها بشفاعته صلى الله
عليه وسلم في القيامة وتكون هذه الشفاعة لأهل المدينة بزيادة الدرجات

أو تخفيف الحساب أو بما شاء الله من ذلك أو باكرامهم يوم القيامة بأنواع
من الكرامة كأيوائهم إلى ظل العرش أو كونهم في روح وعلى صابرا أو الاسراع
بهم إلى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات الواردة لبعضهم دون بعض^(١)
وذكر هذه الشفاعة لساكبي المدينة لاشك انها مزية عظيمة لهم ولكن ليس
مضى هذا ان الشفاعة تعم كل من سكن المدينة على ما كان من العمل كما
قد يركن اليه بعض أهل الاماني بل هذه المزية خاصة بمن سكن المدينة
مؤمنا بالله ورسوله عاملا بما اوجبه الله عليه صابرا على ما يصيبه فيها من آلام
ومشاق حبا فيها وتقديما لها على غيرها فهذا هو الذي يستحق مزية
الاعتناء به والاهتمام بالشفاعة فيه كما اشار اليه الحديث أما من سكن
فيها ولم يشكر تلك النعمة فأفسد فيها بما يتنافى مع حرمتها فقد توعدده
الرسول صلى الله عليه وسلم باللعن كما في قوله عليه الصلاة والسلام فسقى
حديث ابي هريرة قال المدينة هرم فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا
فعلية لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف^(٢)

(١) شرح النووي لمسلم ٣/٥١٣

(٢) أخرجه مسلم ٣/٥٢٠ بشرح النووي واختلف العلماء في معنى الصرف
والعدل على أقوال " فليل الصرف الفريضة والعدل النافلة وقال الحسن
البصري الصرف النافلة والعدل الفريضة عكس قول الجمهور .
وقال الاصمعي الصرف التوبة والعدل الفدية روى ذلك عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقال يونس الصرف الاكتساب والعدل الفدية
وقال أبو عبيدة العدل الحيلة وقيل العدل المثل وقيل الصرف الدية

(٦) - شفاعته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بدخول الجنة) -

هذا النوع من أنواع الشفاعات الثابتة التي ورد بها النص يتقدم لها نبينا صلى الله عليه وسلم حين يحبس المؤمن^{المؤمنون} على القنطرة التي سيأتى ذكرها في صحت الصراط ليعاين الله لهم بدخول الجنة وذلك بعد أن يستشفعوا بآدم ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم يقوم عليه الصلاة والسلام فيطلبها من ربه فيكرمه الله بالاجابة وقد ذكرنا فيما سبق ان بعضهم ذهب الى ان هذه الشفاعة هي المقام المسمود الذى ذكره الله تعالى وقد بينا الراجع فى ذلك ومن الادلة على حصول الشفاعة للمؤمنين بدخول الجنة

١- ما تقدم من حديث ابى هريرة رضى الله عنه فى الشفاعة وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (فيقال يا محمد ادخل من امك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) (١)

٢- ما جاء فى حديث أنس رضى الله عنه وفيه (فاحمد ربي بمحامد علمنيها ثم اشفع فيحد لى حدا فادخلهم الجنة ثم ارجع فاذا رأيت ربي وقمت

(==) والعدل الزيادة قال القاضى وقيل المعنى لا تقبل فريضته ولا نافلة

قبول رضا وان قبلت قبول جزاء الخ . انظر شرح النووى ٥١٦/٣

البخارى ٣٩٥/٨ ومسلم ٤٦٩/١

له ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع محمد وقل يسمع
وسل تعطه واشفع تشفع فاحمد ربي بمحامد علمنيها ثم اشفع فيجد لسي
هدا فادخلهم الجنة ثم ارجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء
الله ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يستمع وسل تعطه واشفع تشفع
فاحمد ربي بمحامد علمنيها ثم اشفع فيجد لي هدا فادخلهم الجنة (١)

الحديث .

٣- وعن ابي هريرة وهذيفة رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمن حتى تزلف لهم
الجنة فيأتون آدم فيقولون يا ابانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل اخرجكم
من الجنة الا خطيئة ابيكم آدم لست بصاحب ذلك ان هبوا الى ابني
ابراهيم خليل الله قال فيقول ابراهيم لست بصاحب ذلك انما كنت خليلا
من وراء وراء اعمدوا الى موسى صلى الله عليه وسلم الذي كلمه الله تكليما
فيأتون موسى فيقول لست بصاحب ذلك ان هبوا الى عيسى كلمة الله وروحه
فيقول عيسى لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن
له (٢) الخ الحديث في وصف المرور على الصراط .

(١) البخارى ٣٩٢/١٣ ومسلم ٤٥٩/١ .

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه ٤٧٤/١ ، (النووى) ومعنى تزلف اى تقرب
وقوله من وراء وراء قال النووى فون معناها ناقلا عن صاحب التحرير
هذه كلمة تذكر على سبيل التواضع اى لست بتلك الدرجة الرفيعة قال

وعن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . انا أول
الاناس يشفع في الجنة وانا اكثر الانبياء تبعا (١) وهو عليه السلام أول
من يقرع باب الجنة كما جاء عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا اكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة (٢)
وجاء عنه ايضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى باب الجنة
يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت فأقول محمد فيقول بك أمرت
لا افتح لأحد قبلك (٣)

وعن انس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اول شفيع في الجنة لم
يصدق نبي من الانبياء ما صدقت وان من الانبياء نبي ما يصدق من امته
رجل واحد (٤)

(=) وقد وقع لى معنى طريح فيه وهو ان معناه ان المكارم التي اعطيتها
كانت بواسطة سفارة جبريل صلى الله عليه وسلم ولكن ائتوا موسى
فانه حصل له سماع الكلام بخير واسطة قال : وانما كرر " وراء وراء " لكون
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حصل له السماع بخير واسطة وحصل
له الرؤية قال ابراهيم وراء موسى الذي هو وراء محمد صلى الله وسلم
عليهم أجمعين .

(١) - (٢) - (٣) - (٤)

أخرجها الامام مسلم ٤٧٦/١ بشرح النووي .

(٧) - (شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في رفع) -

درجات أهل الجنة (١)

هذه الشفاعة الثابتة هي احدى انواع الشفاعات التي اكرم الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وهي ثابتة عند السلف وعند غيرهم من الفرق كالمعتزلة لأنهم يقولون بها وهي زيادة خير لأهل الجنة كثيرها من الشفاعات الاخرى التي يقصد بها ايصال الخير للخير وقد ذكرت هذه الشفاعة هنا وان كانت خالصة عن موضوع البحث بقصد استكمال بيان انواع الشفاعات ومن أدلتها ما يأتي .

أخرج البخاري رحمه الله عن ابي بردة عن ابي موسى رضى الله عنه انه قال (لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بحث أبا عامر على عبيش الى اوطاس فلقى دريد بن الصمه فقتل دريد وهزم الله أصحابه قال أبو موسى : وبعثني مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته رماه جهشي بسهم فأثبته في ركبته فأنتهيت اليه فقلت ياعم من رماك فأشار الى ابي موسى فقال ذاك قاتلي الذي رمانى فقصدت له فلحقته فلما رآنى ولى فأتبعتة وجعلت أقول له الاتسحى الا تثبت فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لابي عامر قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم فنزعتة فنزا منه المساء قال يا ابن اخي اقمرى النبي صلى الله عليه وسلم السلام وقل له استغفر لى ،

واستخلفني ابو عامر على الناس فكث يسيرا ثم مات فرجعت فدخلت على
النبي صلى الله عليه وسلم في بيته على سرير مرمل (١) وعليه فراش قد اشر
رمال السرير بظهره وجنبه فاخبرته بخبرنا وخبر ابي عامر وقال : قل لسه
استغفر لي فدعا بما فتوحاً ثم رفع يديه فقال : اللهم اغفر لمبيد
ابي عامر ورايت بياض ابطينه ثم قال اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من
خلقك من الناس فقلت ولى فاستغفر فقال اللهم اغفر لمبيد الله بن قيس
ذنبه وادخله يوم القيامة مدخلا كريما قال أبو بردة اهداهما لابي عامر
والأخرى لابي موسى (٢)

وكذا حديث ام سلمة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل على ابي سلمة وقد شق بصره فاعمضه ثم قال ان الروح اذا قبض
تبعه البصر ، فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على انفسكم الا بخير فان
الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال اللهم اغفر لابي سلمة وارفع درجته
في المهديين واخلفه في عقبه في الفابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين
وافسح له في قبره ونور له فيه (٣)

وأخرج مسلم كذلك عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : (انا أول شفيح في الجنة لم يصدق نبي من الانبياء ما صدقت وان من
الانبياء نبيا ما يصدق من امته رجل واحد) (٤)

(١) براء مهطلة ثم ميم ثقيلة اى معمول بالرمال وهى حبال الحصر التى تضفر
بها الاسرة . فتح البارى ٤٣/٨ .
(٢) صحيح البخارى ٤١/٨ - ٤٢ . ومسلم ٣٦٨/٥ .
(٣) مسلم ٥٨٤/٢ .
(٤) مسلم ٤٢٦/١ .

وبالتأمل في هذه الاحاديث يظهر - والله أعلم - أنها ليست نصا صريحا في زيادة رفع الدرجات في الجنة وانما هي احتمال لذلك غير ان العلماء حينما يستدلون لاثبات تلك الشفاعة يستدلون بما تقدم من النصوص ولم يعترض أحد يعتمد بقوله على ثبوت هذه الشفاعة .

وقد ذكر الامام ابن القيم رحمه الله ان نوعين من الشفاعة لم يجد فيهما نصا الا ذكر الناس لهما وانه لم يقف لهما على دليل ثابت وهما الشفاعة فيمن استوجب النار ان لا يدخلها والشفاعة لقوم في زيادة ثوابهم ثم قال عن النوع الثاني .

والنوع الثاني : شفاعة صلى الله عليه وسلم لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب ورفع الدرجات وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن سلمة وقوله اللهم اغفر لابن سلمة وارفع درجته في المهديين (وقوله في حديث ابي موسى " اللهم اغفر لعبيد ابي عامر واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله (١)

ويقول النووي في اثبات هذه الشفاعة واثبات الممتزلة لها " الخاصة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وهذه لا ينكرها الممتزلة ولا ينكرون ايضا شفاعة الحشر الأول (٢)

(١) ذكره عنه صاحب عون المصبوع ١٣ / ٧٨٠

(٢) شرح النووي لمسلم ١ / ٤٤٣

ويقول ابن ابي العز عنها :

" النوع الرابع: شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم وقد وافقت الممتزلة على هذه

الشفاعة خاصة وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث (١)

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على رفع الدرجات في الجنة كما في قوله

تمالي (والذين آمنوا واتبعتمهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم

وما من علمهم من شيء) (٢)

وهذا اخبار من الله تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه واحسانه (ان

المؤمنين اذا اتبعتمهم ذرياتهم في الايمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة

وان لم يبلغوا علمهم لتقرا عين الآباء بالابناء عندهم في منازلهم فيجمع

بينهم على احسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص

ذلك من علمه ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك)

وقد ساق الحافظ الطبراني بسنده الى ابن عباس على الظن في رفعه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اذا دخل الرجل الجنة سأل عن

أبويه وزوجته وولده فقال انهم لم يبلغوا درجاتك فيقول يا رب قد عملت لى

ولهم فيؤمر بالحاقهم به وقرأ ابن عباس (والذين آمنوا واتبعتمهم ذريتهم

بايمان)

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٧ وانظر نهاية لابن كثير ٢ / ٢٧٤ والتذكرة

للقرطبي ص ٢٤٩ وكذا لوامع الانوار ص ٢١١ ج ٢ .

(٢) سورة الطور : آية : ٢١ .

وورد عن ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال (ان الله ليرفع الدرجة للصالح في الجنة فيقول يا رب انى
لى هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك ، قال ابن كثير واسناده صحيح ولم
يخرجه من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من شئت
صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له) (١)

وسبب اثبات المعتزلة لهذه الشفاعة هو رأيهم في ان الشفاعة لا تكون
الا للمتقين التائبين في زيادة ثوابهم لأن استحقاق المؤمن لها انما
هو نتيجة لاعمالهم لأن صنع الثواب عن من استحقه او اعطاؤه غير ما يستحقه
قبيح والله لا يتصف بذلك ، اذا فلا شفاعة الا في زيادة الثواب والتفضل
من الله عليهم في الجنة .

وفي هذا يقول القاضي عبد الجبار الممتزلي :

” ان الرسول اذا شفّع لصاحب الكبيرة فلا يخلو اما ان يشفع أولا ، فان
لم يشفع لم يجز لأنه يقدر باكرامه وان شفّع فيه لم يجز أيضا لأننا قد دللنا
على أن اثابة من لا يستحق الثواب قبيح وان المكلف لا يدخل الجنة تفضلا وأيضا
فقد دلت الدلالة على ان المقوية تستحق على طريق الدوام فكيف يخرج
الفاسق من النار بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والحال ما تقدم ” (٢)
وقد سبق بيان مذاهبهم في هذه القضية .

(١) تفسير ابن كثير ٢٤١/٤ - ٢٤٢ . والحديث في صحيح مسلم ١٦٧/٤

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٩ .

(٨) - (شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب) -

في تخفيف العذاب عنه

وهذه الشفاعة وان كانت غير مقصودة بالبحث ايضا الا اننا نذكرها على سبيل استكمال ذكر الشفاعات وهي تختلف عن غيرها من سائر الشفاعات فهي خاصة في ابي طالب دون غيره نظرا لمواقفه المظيمة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وساندته له في دعوته ومناصرته والذب عنه وهي أعمال فاضلة لولا انه قد كتبت عليه الشقاوة ان لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم .

وقد وردت احاديث صحيحة في تخفيف العذاب عنه بشفاعة الرسول

صلى الله عليه وسلم شفاعة تخفيف لاشفاعة اخراج من النار .

كما جاء عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه انه قال (للنبي صلى الله عليه وسلم ما اغتيت عن عمك فانه كان يحوطك ويفضلك : قال هو فـ

ضحاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الأسفل من النار) (١)

وعن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل في ضحاح

من النار يبلغ كعبه يلقى منه دماغه) (٣)

(١) البخارى ١٩٣/٧ ومسلم ٤٨٦/١

(٢) البخارى ١٩٣/٧ ، ٤١٧/١١ ومسلم ٤٨٢/١

ومع انه في ضحاح من النار يبلغ كعبه يفلئ منه دماغه لكنه في الواقع
أهون أهل النار عذابا كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : (أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو متصل
بمنملين يفلئ منهما دماغه) (١)

وما ينبغي ملاحظته ان قول الرسول صلى الله عليه وسلم في عمه " لعله تنفعه
شفاعتي) يشكل عليه قول الله تعالى في شأن الكفار (فما تنفعهم شفاعتة
الشافعين) (٢)

وأبو طالب كافر فكيف تنفع الشفاعتة فيه وهي منفية عن الكفار وقد أوجب
عن هذا باجوبة منها :-

١- ان هذه الشفاعتة خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم في ابي طالب
بخصوصه دون غيره .

٢- ان معنى المنفعة في الآية يخالف معنى المنفعة في الحديث فالمراد
بها في الآية الاخراج من النار وفي الحديث المنفعة بالتخفيف (قال القرطبي " فان قيل فقد قال الله تعالى " فما تنفعهم شفاعتة
الشافعين " قيل له لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين
الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة " .

(١) مسلم ٤٨٧/١

(٢) فتح الباري ٤٣١/١١

وقال البيهقي فيما يعزوه اليه ابن حجر " صحة الرواية في شأن ابي طالب
فلا معنى للانكار من حيث صحة الرواية ووجهه عندي ان الشفاعة في الكفار
انما امتنعت لوجود الخبر الصادق في انه لا يشفع فيهم أحد وهو عام في حق
كل كافر فيجوز ان يخبر منه من ثبت الخبر بتخصيصه : قال وحمله بعض أهل
النظر على ان جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه فيجوز ان
الله يرضع عن بعض الكفار بعض جزاء معاصيه تطيبا لقلب الشافع لاثوابه
للكافر لأن حسناته صارت بموته على الكفر هباءً " (١)

ولعل هذا هو الراجح فان الأحاديث ثابتة والآيات محكمة فيعنى المصير
الى القول بالتخصيص ، فتكون الأحاديث خاصة لأخراج ابي طالب عن
معنى الآيات من قوله تعالى (فما تنفمهم شفاعة الشافعين) (٢)
وقوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فموتوا ولا يخفف
عنهم من عذابها) (٣)

ويبقى عموم دلالتها على جميع الكفار
وما تجدر الاشارة اليه أن بعض أهل الرفض قد جمع جزاء كفر فيه من
الأحاديث الواهية الدالة على اسلام ابي طالب ولكنها لا يثبت منها شيء
كما ذكر الحافظ ابن حجر . (٤)

(١) فتح الباري ١١ / ٤٣١ .

(٢) سورة المدثر : آية : ٤٨ .

(٣) سورة فاطر : آية : ٣٦ .

(٤) فتح الباري ٧ / ١٩٥ .

وقد زعمت المفسرية من الشيعة ان أبا طالب في الجنة " (١)
والنصوص تدل على خلافهم وانه في النار ومات على شركه ^{وسمما} يؤيد عدم
اسلامه ما جاء عن ابن المسيب عن ابيه " ان ابا طالب لما حضرته الوفاة
دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعزده ابو جهل - فقال أي عم قل
لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله ، فقال ابو جهل وعبدالله
ابن ابي أمية يا ابا طالب ترفب عن طة عبد المطلب ظم يزالا يكلمانه حتى
قال آخر شيء كلمهم به : على طة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لاستغفرن لك ما لم ايه عنه فزلت (ما كان للنبي والذين آمنوا ان
يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أصحاب
الجهيم) (٢)

ونزلت (انك لا تهدي من أحببت) (٣) القصص : ٥٦ .
فدل على أنه مات كافرا وانه في النار ويخفف عنه من عذابها بشفاعة المصطفى
صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك عنه عليه الصلاة والسلام .
وقد أخرج الطبري رحمه الله في اسباب نزول الآية ١١٣ من سورة
التوبة عدة أقوال أولها القول بأنها نزلت في نهى الرسول صلى الله عليه وسلم
أن يستغفر لعمه وقد مات على شركه . (٤)

(١) التنبيه والرد للملطي ص ١٥٢ .

(٢) الآية ١١٣ من سورة التوبة .

(٣) صحيح البخارى ٢٢٢/٣ ، ٢٤١/٨ ، ٥٠٦ .

وسلم ٢١٤/١ ، ٢١٦ .

(٤) جامع البيان ٤١/١١ .

وعن الآية الأخرى ٥٦ من سورة القصص يقول ابن حجر:

"لم تختلف النزلة في أنها نزلت في أبي طالب" (١)

والحقيقة أن موته على غير التوحيد مع مواقفه الطيبة مع الرسول صلى الله

عليه وسلم "لله حكمة في ذلك" كما قاله ابن كثير (٢)

(١) فتح الباري ٥٠٦/٨

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/٣٩٤

الفصل الرابع

— (ثبوت الشفاعة في بعض الأعيان) —

- ١— طلب الوسيلة للرسول صلى الله عليه وسلم والاكثار من الصلاة عليه
- ٢— قول الشخص لا اله الا الله خالما من قلبه وموته على ذلك .
- ٣— الاكثار من السجود .

=====

وقد وردت أحاديث تثبت الشفاعة لمن يتصرف بأحد الأسباب الآتية :-
١- طلب الوسيلة للرسول صلى الله عليه وسلم والاكتثار من الصلاة عليه فمن فعل ذلك فقد " وجبت له الشفاعة " .

ومن الأدلة على ثبوت هذه الشفاعة ما أخرج الامام البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال " من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة) (١)

وكذا ما أخرجه الامام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على نبيه من صلى على نبي صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنفى الا لمبد من عباد الله وأرجوا ان أكون انسا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة) (٢)

وأدلة اثبات هذه الشفاعة احاديث كثيرة غير ان فى بعضها ضعفا وتكفى بما تقدم فى الصحيحين .

ومعنى حلت له شفاعتى قال النووي " أى وجبت وقيل نالتة " (٣)

(١) صحيح البخارى ٢ / ٩٤ .

(٢) صحيح مسلم ٢ / ١٢ .

(٣) شرح النووى لمسلم ٢ / ١٠٤ .

وقال ابن حجر: أي استحققت ووجهيت أو بيزلت عليه . (١)

" ولا يجوز أن يكون حلت من الحل لأنها لم تكن قبل ذلك محرمة " (٢)
وهناك أشكال ليمض الناس وهوان شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
عامة في جميع المذنبين فكيف جعل ثواب هذا الدعاء استحقاقاً قائله
للشفاعة .

قال ابن حجر: " واجب بأن له صلى الله عليه وسلم شفاعات أخرى كادخال
الجنة بغير حساب وكرفع الدرجات فيعطى كل أحد ما يناسبه .
ورقل عياض عن بعض شيوخه انه كان يرى اختصاص ذلك بمن قاله مخلصاً
مستحضراً لجلال النبي صلى الله عليه وسلم لامن قصد بذلك مجرد الثواب
وتحوز ذلك " .

ولكن هذا التفصيل لم يشر اليه الحديث بل ورد عاماً في كل من قال ذلك
وحيث انه لم يرد في الحديث ما يشير الى التفصيل الذي ذكره القاضي عياض
عن بعض شيوخه فقد تعقبه ابن حجر فوصفه بقوله (وهو تحكم غير مرضى
ولو كان أخرج الخافل اللاهني لكان اشبه) (٣)

يريد ابن حجر بذلك توسيع دائرة المشفوع لهم من يسألون الله الوسيلة
للرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) - (٢) فتح الباري ٢ / ٩٥ .

(٣) فتح الباري ٢ / ٩٦ .

وتجدد الاشارة الى انه قد وردت بعض الروايات تفيد تعدد عدد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعدد مخصوص، مثل ما اخرج الطبراني عن ابي الدرء رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى عليّ حين يصبح عشرين وعشرين يمى عشرا ادركته شفاعتي يوم القيامة) (١)

٢- ومن اسباب الشفاعات الثابتة كذلك قول لا اله الا الله ومات عليها موحدا فقد جاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال لقد ظننت يا ابا هريرة ان لا يسألني عن هذا الحديث احد أولئك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه (٢) وكلمة اسمد الواردة في الحديث على بابها من المفاضلة وهي تشير الى تفاوت ارتفاع أهل التوحيد بتلك الكلمة حين تحمل الشفاعة فيهم وهم في العار حيث يخرج منها أولا من كان ايمانه قويا ثم من دونه وهكذا قال ابن حجر. " والمراد بهذه الشفاعة المسئل عنها هنا بعض أنواع الشفاعة وهي التي يقول صلى الله عليه وسلم أمي أمي أمي فيقال له اخرج من النار من في قلبه وز كذا من الايمان فأسعد الناس بهذه الشفاعة من يكن ايمانه اكمل ممن دونه ، وأما الشفاعة العظيمة في الراحة من كرب الموقف فأسعد الناس بها من يسبق

(١) ذكره السفاريني في لوامع الأنيوار ٢/٢١٦ ، وعزاه الى الطبراني

وقال ان سيده " جيد " .

(٢) صحيح البخاري ١١/٤١٨ .

الى الجنة وهم الذين يدخلونها بتغير حساب ثم الذين يلونهم وهو عس
يدخلها بتغير عذاب بعد ان يحاسب وليستحق العذاب ثم من يدعيه
لفح من النار ولا يسقط ، والحاصل ان في قوله (اسعد) اشارة
الى اختلاف مراتبهم في السبق الى الدخول باختلاف مراتبهم في الاخلاق
ولذلك اكد به قوله " من قلبه " مع ان الاخلاق محلها القرب لكن اسناد الفعل
الى الجارحة ابلغ في التأكيد " (١) وهذا هو القول الذي ارتضاه في معنى
" اسعد " من انها على بابها من التفضيل ورد على من قال انها هنا بمعنى
السميد .

وأيا يشفع عليه الصلاة والسلام لمن قال لا اله الا الله وان دخل النار
بذنوبه فقد ورد من حديث أنس بن مالك في سفة الشفاعة " ثم اعود الرابعة
فاحمده بطك المحامد ثم اخرله ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقيل
يسمع وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب اذن لي فيمن قال
لا اله الا الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لا اخرجن منها من قال
لا اله الا الله (٢)

وفي حديث آخر عن انس رضي الله عنه أخبر على الله عليه وسلم عن خرون
أهل لا اله الا الله مها كانت قلة عليهم وان كان شيئا حقيرا لا قيمة له

(١) فتح الباري ١١ / ٤٤٣ .

(٢) صحيح البخاري ١٣ / ٤٧٣ ومسلم ١ / ١٨٤ .

فان الله يجعل فيه البركة فيحمل به رضى الله تعالى فلا يستهين أحد
بعمل الخير مهما كان قليلا فقد قال صلى الله عليه وسلم (يخرج من النار
من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شميرة ثم يخرج من النار
من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن حبة ثم يخرج من النار
من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) (١)

٥- وورد كذلك ان الشناعة تستحق بالاكثر من السجود كما ورد عن زياد
ابن ابي زياد مولى بنى مخزوم عن خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول للخادم الك حاجة حتى كان
ذات يوم قال يا رسول الله حاجتى ان تشفع لى يوم القيامة قال فاعنى
بكثرة السجود (٢)

(١) صحيح البخارى ٣٩٢/١٣ والترمذى ٠٧١٢/٤
(٢) أخرجه الامام أحمد ٥٠٠/٣ وقال السفارنى فى لوامع الأنوار
٢١٦/٢ ان سنده " صحيح " .

الفصل الخامس

مممم

- (الشفاعات التي لم يثبت بها نبي صحيح) -

تهييد :

مممممممم

- ١- الشفاعة لمن زار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٢- الشفاعة الأقرب فالأقرب منه صلى الله عليه وسلم .
- ٣- الشفاعة لأهل مدن بعينها غير المدينة المنورة .
- ٤- الشفاعة لأكثر ما على وجه الأرض من شجر ومدر .
- ٥- الشفاعة لمن مات في أحد الحرمين .
- ٦- الشفاعة لمن تأخيا في اللـه .
- ٧- الشفاعة لمن قضى حوائج آل البيت .
- ٨- الشفاعة لمن حفن أربعمين حد يثا .
- ٩- الشفاعة لمن قضى حوائج النـبياس .

عرفنا فيما مضى انواع الشفاعات الثابتة سواء منها ما كان خاصا

نهينا محمد على الله عليه وسلم اوله مع غيره من الشفعاء .

ونذكر في هذا الفصل ما اعتقده بعض الناس من التعلق باسباب يظلمون

بها الشفاعة الى الله تعالى .

هى فى الواقع غير ثابتة وسبب تعلقهم واغترارهم بها ورود روايات باثباتها

فتظنوا انها احاديث صحيحة ثابتة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم

بينما الواقع هو خلاف ذلك فهى اما احاديث ضعيفة واما موضوعة رويت

فى غير الصحاح والسنن .

وسنعرض فيما يلى لبعض تلك الشفاعات وهى :-

١- اعتقاد شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن زار قبره من الناس بعد

موته * ومن الآثار التى يستدل بها من يثبت تلك الشفاعة الأحاديث الآتية :

١- عن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(من زار قبرى او قال من زارنى كنت له شفيعا أو شهيدا ومن مات فى أحد

الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة .

٢- عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة) .

٣- من زارنى . متى ينتهى الى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا او قال شفيعا) .

- ٤- من زار قبره وجبت له شفاعتي
- ٥- من جئت زائرا لا يعمله حاجة الا يارتق كان حقا على ان اكون له شفيعا يوم القيامة .
- ٦- من زار قبري حلت له شفاعتي .
- ٧- من زارني متممدا كان في جوارى يوم القيامة .
- ٨- من أتى المدينة زائرا لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بمتأما) .
- وتلك الأحاديث كلها لم يثبت منها شيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم بسند صحيح وآفتها في روايتها فهم ما بين ضعيف أو كذاب أو مجهول أو وضاع لا يعتمد على روايتهم ولا يركن اليها ولم يروها كذلك الا من لم يشترط الصحة في نقل الحديث كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على القائلين بمشروعية زيارة القبر الشريف " فان أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة لا يعتمد على شيء فيها فسد الدين ولهذا لم يروها أهل السجاح والسنن شيئا منها وانما يروونها من يروى الضعاف كالدارقطني والبخاري وغيرهما " (١)
- أما الحديث الأول فان اسناده فيه جهالة وفيه اضطراب وقد أخرجه البيهقي في سننه وحكم عليه بجهالة اسناده " (٢)

(١) القاعدة الجليمة في التوسل والوسيلة ص ٧٢ .

(٢) السنن الكبرى ٥/٢٤٥ .

ويقول ابن عبد الهادي : " هذا الحديث ليس بمسحيح لانقطاعه وجهالة
اسناده واضطرابه (١)

أما الحديث الثاني (من زارني بالمدينة محتسبا) فقد أخرجه البيهقي
في شعب الایمان وأورده السيوطي (٢) في الجامع الصغير بمرز لحسنه لكن
الناوي رد عليه هذا التحسين وقال بأنه " ليس بحسن ففيه ضعف " منهم
أبوالمثنى سليمان بن يزيد الكعبي قال الذهبي ترك وقال أبو حاتم منكر
الحديث " (٣)

ويقول ابن عبد الهادي في الحكم على هذا الحديث :

(هذا الحديث ليس بمسحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الاسناد
منقطع ولو كان ثابتا لم يكن فيه دليل على محل النزاع ومداره على
ابن المثنى سليمان بن يزيد الكعبي الخزاعي المدني وهو شيخ غير محتج
بحديثه وهو بكنيته اشهر منه باسمه ولم يدرك ابن مالك فروايت عنه
منقطعة غير متصلة وانما يروى عن التابعين واتباعهم وقد ذكره ابن حبان
في كتاب الثقات في اتباع التابعين وذكره ايضا في كتاب المجروحين (٤)
ثم ذكر ما قاله ابن حبان فيه في كتاب الثقات وما قاله فيه في كتاب المجروحين
من تضعيف .

(١) السامري المنكي في الرد على السبكي ص ٨٦ .

(٢) الجامع الصغير ١٧٢ / ٢ .

(٣) فين القدير ١٤٠ / ٦ - ١٤١ .

(٤) السامري المنكي في الرد على السبكي ص ١٦٢ .

ويقول فيه ابن حجر :

" أبوالمثنى الخزاعي اسمه سليمان بن يزيد ضعيف " (١)

وأما الحديث الثالث وهو (من زارني حتى ينتهي الى قبري) — فقد ذكره السبكي في كتابه شفاء السقام .

وقال : " ذكره الحافظ ابو جعفر العقيلي في كتاب الضعفاء^(٢) في ترجمة فضالة ابن سعيد بن زميل المازني " الى ان يقول " وذكره الحافظ ابن عساكر من جهته أيضا

وفضالة بن سعيد قال العقيلي في ترجمته حديثه غير محفوظ ولا يعرف الا به هكذا رأيت في كتاب العقيلي .

وذكر الحافظ ابن عساكر عنه انه قال لا يتابع على حديثه من جهة تثبت ولا يعرف الا به (٣)

وقد بين العلامة ابن عبد الهادي ان هذا الحديث " حديث منكر جدا ليس بمسحيح ولا ثابت بل هو حديث موضوع على ابن جريج " ويذكر كذلك انه وقع تسمييف في متنه وفي اسناده ايضا " أما التسمييف في متنه فقولسه (من زارني من الزيارة وانما هو من رأني في الضام كان كمن زارني في حياتي هكذا روايته في كتاب العقيلي وفي نسخة ابن عساكر من رأني من الرؤية

(١) تقريب التهذيب ٢ / ٤٦٦ .

(٢) - شفاء السقام ص ٣٨ .

وعلى هذا يكون معناه معنى الحديث الصحيح من رأى فى المنام فقد رأى
لأن الشيطان لا يتمثل بهى

أما التصحيف فى اسناده فقله سعيد بن محمد الحضرمى والسواب شميم
ابن محمد كما فى رواية ابن عساكر والحديث ليس بثابت على كل حال سواء
كان بلفظ الزيارة أو الرؤية ، وراويه فضالة بن سميد بن زميل المازنى
شيخ مجهول لا يعرف له ذكر الا فى هذا الخبر الذى تفرد به ولم يتابع
عليه (١)

وأما الحديث الرابع : وهو (من زار قبرى وحبته له شفاعتى) فقد أورده
السيوطى (٢) ورواه البزار (٣) والدارقطنى (٤)

وقد رمز السبولى لضعف الحديث وفى اسناده كذلك ^١ رأوى ضعيفا وهو
عبد الله بن ابراهيم الغفارى قال الهيثمى " وفيه عبد الله بن ابراهيم
الغفارى وهو ضعيف (٥) ويقول ابن حجر عن هذا الراوى " عبد الله بن
ابراهيم بن ابى عمرو الغفارى أبو محمد المدنى متروك نسبه ابن هبان
الى الوضع " (٦)

-
- (١) السامى المنكى ص ١٦٧ .
(٢) الجامع الصغير ١٧٢ / ٢ ورمز لضعفه .
(٣) كشف الاستار فى زوائد البرار ٥٧ / ٢ ، ثم قال " قال البزار عبد الله بن
ابراهيم لم يتابع على هذا وانما يكتب ما يتفرد به ."
(٤) الدارقطنى ٢ / ٢٧٨ .
(٥) مجمع الزوائد ٢ / ٤ .
(٦) تقريب التهذيب ١ / ٤٠٠ .

وقال ابن عبد الهادي عن الحديث " وهو حديث منكرو ضعيف الاسناد واهى الطريق لا يصلح للاحتجاج بمثله ولم يصححه أحد من الحفاظ المشهورين ولا اعتمد عليه أحد من الائمة المحققين " (١) وفيه كذلك من جهة الاسناد ^{راويا} / ^{راويا} تكلم فيه العلما وضحفوه وهو عبد الله بن عمير العمري يقول ابن عبد الهادي " وقد تكلم في عبدالله العمري جماعة من ائمة الجرح والتعديل ونسبوه الى سوء الحفظ والمخالفة للشقات في الروايات " ثم نقل كلام العلما في تجريحه (٢) وان هذا الحديث لا يثبت به شيء ولا يعتمد عليه محقق .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذا الحديث " وأما قوله " من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي " وامثال هذا الحديث ما روى في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم فليس منها بشيء صحيح ولم يرو احد من أهل الكتب المعتمدة معها شيء لا أصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم ولا أصحاب السنن كأبي داود والنسائي ولا الائمة من أهل المسانيد كالامام أحمد وامثاله ولا اعتمد على ذلك أحد من ائمة الفقه كمالك والشافعي وأحمد واسحاق بن راهويه وابي حنيفة والثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد وأمثالهم ، بل عامة هذه الأحاديث مما يعلم انها كذب موضوعة " الى أن يقول عن سند الحديث " ومداره على عبدالله بن عبدالله بن عمير العمري وهو ضعيف " (٣) الخ .

(١) الصارم المنكر ص: ١٣٠ .
(٢) انظر: الصارم المنكر ص ١١ - ٢٨ .
(٣) كتاب الزيارة ضمن الجامع الفريد ص ٣٨٢ . وانظر: مجموع الفتاوى
٢٢ / ٢٢١ .

أما الحديث الخامس وهو (من جاءني زائراً يعلم له حاجة الا زيارتي . الخ
وفي رواية ذكرها الذهبي " لاتذعه حاجة الا زيارتي " فقد أخرج هـذا
الحديث الطبراني (١) والدارقطني (٢) وهو من الأحاديث التي أوردها
السبكي في كتابه شفاء السقام (٣) وابتصر لها .

وهذا الحديث غير ثابت بسند صحيح قال فيه ابن عبد الهادي " ليس فيه ذكر
الزيارة لقبولا ذكر الزيارة بعد الموت مع اية حديث ضعيف الاسناد
منكر المتن لا يصلح الاحتجاج به ولا يجوز الاعتماد على مثله ولم يخرج أحداً
من أصحاب الكتب الستة ولا رواه الامام أحمد في مسنده ولا أحد من الائمة
المعتمد على ما اطلقوه في رواياتهم ولا صححه امام يعتمد على تصحيحه " ثم ذكر
ابن عبد الهادي علة أخرى لضعف الحديث وهو انه ضعيف الاسناد لأنه
قد تفرد به شيخ لم يعرف ينقل العلم ولم يشتهر بحمله ولم يعرف من حاله
ما يوجب قبول خبره وهو مسلم بن سالم الجهني الذي لم يشتهر الا بروايته
هذا الحديث المنكر . (٤)

ويقول فيه ابن حجر (٥) : " مسلم بن سالم الجهني بصرى كان يكنى بمكة
ضعيف ويقال فيه مسلعة بزيادتها . .

-
- (١) انظر: مجمع الزوائد ٢/٤ . وقد عزاه للطبراني ثم قال : " وفيه
مسلمة بن سالم وهو ضعيف " .
(٢) سنن الدارقطني ٢/٢٧٨ .
(٣) شفاء السقام ص ١٦ .
(٤) الصارم التنكي ص ٣٨ .
(٥) تقريب التهذيب ٢/٢٤٥ .

وأما الحديث السادس: وهو (من زار قبري حلت له شفاعتي)
فقد أخرجه البزار في مسنده (١) وقد عزاه عبد الحق الى الدارقطني ايضاً
فيما يذكر السبكي (٢) وفيه راويان ضعيفان تكلم فيهما العلماء بالتجريح وهما
عبدالله بن ابراهيم الفقاري وعبدالرحمن بن زيد بن اسلم .
ويقول ابن عبد الهادي في رده على السبكي (واعلم ان هذا الحديث الذي
ذكره من رواية البزار حديث ضعيف منكر ساقط الاسناد لا يجوز الاحتجاج
بهـله عزد احد من ائمة الحديث وحفاظ الأثر وأما عبدالله بن
ابراهيم فهو ابن ابي عمرو الفقاري أبو محمد المدني يقال انه من ولد
ابي ذر الفقاري وهو شيخ ضعيف الحديث جدا منكر الحديث وقد نسبه
بعض الائمة الى الكذب ووضع الحديث " ثم ذكر ما قاله العلماء في تجريحه
الى ان قال " وأما عبدالرحمن بن زيد بن اسلم فضعيف غير محتج به عند أهل
الحديث " ثم ذكر كذلك ما قاله العلماء في تجريحه من اوصاف (٣) ترد روايته .
وأما الحديث السابع (من زارني متعمدا) الخ الحديث .
فقد أخرجه ابو جعفر العقيلي كما ذكر السبكي (٤) .
يقول ابن عبد الهادي ان هذا الحديث ضعيف مضطرب مجهول الاسناد
من أهوى المراسيل وأضعفها (٥)

(١) كشف الاستار ٥٧/٢

(٢) شفاء السقام ص: ١٤

(٣) الصارم المنكس ص: ٣٠

(٤) شفاء السقام ص: ٣١

(٥) الصارم المنكس ص: ٩٢

وأما الحديث الأخير وهو الثامن من اتى المدينة زائر الخ الحديث " .
فان السبكي (١) عزاه الى يحيى الحسينى فى أخبار المدينة ثم ساق الحديث
دون ان يبين السبكي درجة الحديث عنده ولا الرجل المبهم فى السند قال
ابن عبد الهادى عن هذا الحديث :

" حديث باطل لا أصل له وخبر معضل لا يعتمد على مثله وهو من أضعف
المراسيل وأوهى المنقطعات ولو فرض انه من الأحاديث الثابتة لم يكن فيه
دليل على محل النزاع (٢)

ومعرض ما تقدم : يتضح انه لم يثبت شىء عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى استحقاق الشفاعة لزائر قبره الشريف صلى الله عليه وسلم .

(١) شفاء السقام ص ٤٠ .

(٢) الصارم المنكى ص (١٧) .

ويقول عن حفص " حفص بن ابي داود القارىء صاحب عصام ويقال له

حفص . متروك الحديث مع امامته فى القراءة (١) "

وبهذا نعلم ان تلك الرواية ضعيفة وغير مقبولة وان الوارد والثابت من

أحاديث الشفاعة انه يشفع لكل مؤمن عندما يأذن له الله بالشفاعة فيه

دون نظر الى جنسه او نسبه .

٣- ومن الشفاعات غير الثابتة ايضا القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم

خص بشفاعته أهل مدن بعينها كمكة والمدينة والطائف وغيرهما من المدن

فان هذا لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه حدد الشفاعة لأهل مدن

معينة او ذكر أهل بلدان يخصصهم بالشفاعة غير ماورد عن أهل المدينة

فهم فضلها على غيرها وسكن بها صابرا على لأوائها وشدتها ومات بها

أما الحديث الذى يروى هنا فى شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل

مدن بعينها فهو عن عبد الملك بن عباد بن جعفر انه سمع رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول (أول من اشفع من امتى أهل المدينة وأهل مكة

وأهل الطائف) (٢)

وهذا الحديث فى اسناده مجاهيل كما قال الهيئى فى مجمع الزوائد .

(١) تقريب التهذيب ١/١٨٦ .

(٢) قال الهيئى فى مجمع الزوائد ١٠/٣٨١ اخرجه البزار والطبرانى

" وفيه جماعة لم أعرفهم " .

٤- ومن الشفاعات التي لم تثبت كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر من شفاعته عليه الصلاة والسلام لاكثر مما على وجه الأرض من شجر ومد ر كما جاء عن بريدة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (انى اشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الأرض من شجر ومد ر " قال السفاريني " واخرجه الطبراني فى الأوسط عن انيس الانصارى ولفظه أكثر مما على وجه الأرض من حجر ومد ر " (١)

وروى الامام أحمد عن بريدة قال : دخلت على معاوية فاذا رجل يتكلم فقال بريدة يا معاوية اتأذن لى فى الكلام فقال نعم وهو يرى انه سيتكلم بمثل ما قال الآخر فقال بريدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (انى لأرجو ان اشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة قال أفترجوها انت يا معاوية ولا يرجوها على بن ابي طالب رضى الله عنه (٢) ولكن فى سند الحديث ابي اسرائيل الملائى وهو ضعيف قال الهيثمى بعد أن اورد الحديث عن أحمد قال : "ورجاله وثقوا على ضعف كثير فى ابي اسرائيل الملائى " (٣)

(١) لوامع الأنوار ص ٢٠٥ والمدر " القرى والامصار " النهاية لابن الاثير

٠٣٠٩/٤

(٢) المسند ٠٣٤٧/٥

(٣) مجمع الزوائد ٠٣٧٩ - ٣٧٨/١٠

وأورد الهيثمي حديثاً عن بريدة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كثير الحجر والشجر ثلاث مرات قلنا نعم قال والذي نفسي بيده لشفاعتي أكثر من الحجر والشجر " قال الهيثمي : وفيه سهل بن عبد الله بن بريدة وهو ضعيف (١)

— الشفاعة لمن مات في أحد الحرمين :

وهذه الشفاعة لم أجد فيها حديثاً صحيحاً ، ويستدل من يقول بها بما روى عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمين) (٢)

وهذا الحديث لا يتم الاستدلال به كذلك على ثبوت هذه الشفاعة لأن في سنده عبد الغفور بن سعيد وهو متروك كما يذكر الهيثمي (٣) أما من مات بالمدينة فقد تقدم الكلام فيه .

٦— ومن الأسباب الأخرى في الشفاعات غير الثبوت ، ما جاء عن سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا شفيع لكل رجلين تأخيا فسي الله من شفيعي الى يوم القيامة (٤)

والحديث ضعيف لأن في سنده عمرو بن خالد الكوفي وهو أبو خالد الواسطي

(١) مجمع الزوائد ١٠ / ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٢) الطبراني ٦ / ٢٩٤ في الكبير .

(٣) مجمع الزوائد ٢ / ٣١٩ .

(٤) أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٦٨ .

وهو كذاب كما قال عنه وكيع وقال ابن حجر انه متروك (١)
والتأخى فى الله أمر مطلوب وقد حث عليه الشرع ورغب فيه والمؤمنون يشفع
بعضهم فى لبعض كما صرح بذلك النصوص النبوية لكن القول بأن التأخى
ما يوجب الشفاعة هو الذى يتوقف القول به على ثبوت صحته .

٧- ومنها كذلك ما روى عن على بن ابي طالب رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة انا شفيع لهم يوم القيامة الضارب بسيفه
امام ذريتي ، والقاضى لهم حوائجهم عندما اضطروا اليه والمحبل لهم
بقلبه ولسانه " (٢)

ومن تأمل القصد من وراء هذا الحديث يرى ان وضع الشيعة ظاهر عليه ،
والحديث غير ثابت لأن فى سنده داود بن سليمان الجرجانى وهو مجهول
قال فيه ابن ابي حاتم " داود بن سليمان الجرجانى . . سمعت ابي يقول
هو مجهول " (٣)

وقال الذهبى : " داود بن سليمان الجرجانى الفازى عن على بن موسى
الرضا وغيره كذبه يحيى بن معين ولم يعرفه ابو حاتم وكل حال فهو شيخ
كذاب له نسخة موضوعة على الرضا " (٤)

وقال الشوكانى عن الحديث انه موضوع وقد أورده بلفظ " اربعة انا شفيع لهم
يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضى لهم حوائجهم والساعى لهم فى أمورهم
ما اضطروا اليه والمحبل لهم بقلبه ولسانه " (٥)

(١) تقريب التهذيب ٢/٦٩٠

(٢) عزاه فى الشفاعة ص ٢٥٣ الى ابي طالب فى الامالى .

(٣) الجرح والتعديل ٣/٤١٣

(٤) ميزان الاعتدال ٢/٨٠

(٥) الفوائد المجموعة ص ٣٩٧

ومثل الحديث السابق ما روى الطبراني عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (انما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له) (١) وفي سنده مجاهيل .

قال الهيثمي عن سنده " وفيه جماعة لم أعرفهم " (٢)

ومثله الحديث الآخر :

" من احبني فليحب عليا ومن احب عليا فليحب فاطمة ومن احب فاطمة فليحب الحسن والحسين وان أهل الجنة ليتباشرون وسارعوا الي رؤيتهم يظنون اليهم محبتهم ايمان وفضهم نفاق ومن ابغض لأحدا من أهل بيتي فقد حرم شفاعتي فانني بنى مكرم بمثنى الله بالصدق فاحبوا أهلي واحبوا عليا (٣) وهذا الحديث موضوع واطل والذي وضعه عبد الله بن حفص (٤)

٨- ومنها كذلك ما يروى من الأحاديث التي تدل على استحقاق الشفاعة

بحفظ أربعين حديثا من السنة مثل ما يروى عن أبي بن مالك قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من مسلم يحفظ علي أمتي أربعين حديثا

يعلمهم بها أمر دينهم الا جئى به يوم القيامة فليل له اشفع لمن شئت " (٥)

وفي سند هذا الحديث يزيد بن ابان الرقاشي وهو راو متروك كما ذكر النسائي

وفيه " (٦)

(١) المعجم الصغير ٢/٢٢٠

(٢) مجمع الزوائد ٩/١٦٨

(٣) الفوائد المجموعة ص ٣٩٥

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص ٥٢

(٥) ميزان الاعتدال ٤/٤٤٨

(٦) المصدر السابق ٣/٢٤٥

وفيه كذلك عمرو بن الأزهر وكان يضع الحديث كما ذكر الامام أحمد وقال البخارى يرمى بالكذب وقال النسائي وغيره متروك * (١)

وهذا الحديث هو أحد الأحاديث التي ذكرها ابن عبد البر في اثبات الشفاعة لمن حفظ اربعين حديثا وقد ذكر ابن الجوزى عدة أحاديث فسي ثبوت الشفاعة لمن حفظ اربعين حديثا ثم عقب عليها بالتضعيف . (٢)

٩- ومنها كذلك ما يروى عن استحقات الشفاعة لمن قضى حوائج الناس مثل ما يروى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قضى لأخيه حاجة كدت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شغمت له * (٣)

وهذا الحديث لا يتم به الاستدلال على ثبوت تلك الشفاعة لأن في سنده راويا وضاعا وهو عبد الله بن ابراهيم الفغاري يقول عنه الذهبي : " نسبه ابن حبان الى انه يضع الحديث ، وقال ابن عدى عامة ما يرويه لا يتابع عليه .

وقال الدارقطني : حديثه منكرو * (٤)

ومثله كذلك ما عناه الامام ابن كثير الى ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى (ليوفيهنهم أجورهم ويزيدهم من فضله)

قال : أجورهم : يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله : الشفاعة لمن صنع

(١) ميزان الاعتدال ٣/٢٤٥ .

(٢) انظر: العليل المتباهية ١/١١١ - ١٢١ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/٣٥٣ .

(٤) ميزان الاعتدال ٢/٣٨٨ .

اليهم المعروف في الدنيا (١)

وهذا الحديث لا يتم به الاستدلال لأن في سنده اسماعيل بن عبد الله الكندي ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد انه ضعفه الذهبي من عند نفسه فقال أتى بخبر مذكر وثقة رجاله وثقوا (٢)

وقال ابن كثير: " هذا اسناد لا يثبت " (٣)

وأورده السيوطي من حديث طويل عن ابي هريرة وابي عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه : (ومن بنى على ظهر طريق يهوى اليه عابروا السبيل بعثه الله يوم القيامة على نجية من درر ووجهه يضيء لأهل الجمع حتى يقول أهل الجمع هذا ملك من الملائكة لم يرمثه حتى يزاحم ابراهيم في قبته ويدخل الجنة بشفاعته أربعون ألف رجل "

وفيه كذلك " ومن احتفر بئرا حتى ييسط ماؤه فينزلها للمسلمين كان له كأجر من توضأ منها وصلى وله بعدد شعر من شرب معها حسنات أنس أو جن أو بهيمة أو سبع أو طائر وغير ذلك وله بكل شعرة من ذلك عتق رقبة ويسرد في شفاعته يوم القيامة حوضي عدد نجوم السماء قيل يارسول الله وما هو حوض القدس قال حوضي حوضي حوضي " (٤)

قال ابن حجر: " هذا الحديث بطوله موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتهم به ميسره بن عبد ربه لا يورك فيه " (٥)

(١) ذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/٥٩١ - ٥٩٢) وعزاه السيوطي

ابن مردويه .

(٢) مجمع الزوائد ٧/١٣٠ .

(٣) ابن كثير (١/٥٩٢) من تفسيره .

(٤) اللاليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢/٣٧٠ - ٣٧١ .

(٥) المطالب العالمة ٢/٣٦٤ .

الفصل السادس

~~~~~

— ( ( الأمور التي تمنع الشفاعة ) ) —  
~~~~~

- ١- الاشراك بالله تعالى .
- ٢- كثرة تعدد اللعن .
- ٣- التكذيب بوقوع الشفاعة .

=====

١- فأول الأشياء التي تمنع من الشفاعة وأعظمها هو الاشراف بالله تعالى كما نص عليه كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالمشرك لا شفاعة فيه ولم يخالف في هذا احد من يفتى الى الاسلام .
ويكفي ان يذكر قوله تعالى (ان الله لا يفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (١)

فانما حرم الكافر من الففران فمن باب أولى أن يحرم من الشفاعات .
٢- كثرة تعدد اللعن فان اللعان لا يستحق ان يكون شافعاً لأن في الدنيا كان يدعو على الخلق بالطرد والابعاد عن رحمة الله فيجازى يوم القيامة بعدم اكرامه بالشفاعة فيهم .

كما اخرج الامام مسلم رحمه الله عن ابي الدرداء انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعا يوم القيامة) (٢)

قال النووي في معنى لا يكونون : "شفعاء أى لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في اخوانهم الذين استوجبوا النار " .
وأما قوله ولا يكونون شهداء فقال النووي ان " فيه ثلاثة أقوال أصحابها وأشهرها لا يكونون شهداء يوم القيامة على الامم بتبليغ رسلهم اليهم الرسالات .
والثاني : لا يكونون شهداء في الدنيا أى لا تقبل شهادتهم لفسقهم .
والثالث : لا يرزقون الشهادة وهى القتل في سبيل الله " (٣)

(١) سورة النساء : آية : ٤٨ .

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٠٦/٤

(٣) شرح النووي لمسلم ٤٥٦/٥

ولعل الأرجح هو القول الأول وذلك لظاهر الحديث حيث قرن عدم الشهادة وعدم الشفاعة بيوم القيامة جزاء له .

وقد ورد الحديث بصيغة التكثير أى " لعانون " ولم يقل لعنا لأن هذا الظم فى الحديث انما هو لمن كثر من اللعن لا لمرء ونحوها ، ولأنه يخرج منه ايضا اللعن المباح وهو الذى ورد الشرع به وهو لعنة الله على الظالمين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الواصلة والواشمة وشارب الخمر وأكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمصورين ومن انتمى الى

غير ابيه وتولى غير مواليه وغير مناز الأرض وغيرهم ممن هو مشهور فى الأحاديث الصحيحة (١)

٣- التكذيب بالشفاعة كما نص عليه السلف ذكر الآجرى عن أنس بن مالك

رضى الله عنه انه قال : (من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب) (٢)

قال ابن حجر : " واخرج سعيد بن منصور بسند صحيح عن أنس

قال : " من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها " (٣)

والجزاء من جنس العمل فكما انه نفى حصول الشفاعة فانه يحرم منها

(١) شرح النووى لمسلم ٤٥٦/٥

(٢) السبب فى جري ص ٢٢٧

(٣) صحاح ابن ابي عمير ص ٤٤٦

الفصل السابع

مممم

— (ذنوب لم يثبت نفي الشفاعة فيها) —

١- القول بمنع الشفاعة عن صاحب البدعة .

٢- المرجئة والقدرية .

٣- من غش العرب .

٤- من سار تحت رايات العباسيين .

=====

يتبين مما قدمنا في مبحث الكبائر ان السلف لا يختلفون في ان الشفاعة
تعم كل من اقترف ذنبا من الذنوب بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى
مهما كان ذلك الذنب الا ماورد به النص الا ذنبا واحدا فانه لا شفاعة
لصاحبه مطلقا وهو الشرك بالله تعالى فانه لا أحد من السلف يقسول
بالشفاعة في صاحبه بالاتفاق .

ومن الجدير بالذكر ان هناك احاديث ضعيفة - تعارض ما تقدم من دلالة
النصوص الصحيحة في ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر قد رويت وتقبلها بعض
الناس وهي تقضى بحرمان من اتصف بارتكاب ذنب من الذنوب التي سنذكرها
فيما يلي لأجل التنبيه عليها وبيان منزلتها وهي القول بمنع الشفاعة عن
صاحب البدعة والمرجفة والقدرية ومن غش العرب ومن سار تحت رايات
العباسيين .

١- أما القول بمنع الشفاعة عن المبتدع فيستدل من يقول بها بما يروى
عن ابن عبد السلام (واسمه صالح بن رستم الهاشمي) (١) عن بكر عن
عبد المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (حلت شفاعة لامتى الا صاحب
بدعة) (٢) والاستدلال بهذا الحديث على حرمان المبتدع من الشفاعة
لا يتم لان الحديث منكر وفي سنده ارسال لأن بكر تابعي ولم يـدركه

(١) سلسلة الاحاديث الضعيفة الموضوعة ١ / ٢٤٦ .

(٢) اخرجه ابن وضاح القرطبي في كتابه " البدع والنهي عنها " ص ٣٦ .

النبي صلى الله عليه وسلم (١) ومع ارساله فالسند اليه ضعيف لأن

أبا عبد السلام مجهول يقول الحافظ ابن حجر:

"صالح بن رستم الهاشمي مولا هم أبو عبد السلام الدمشقي مجهول" (٢)

وإضافة الى ضعف سند الحديث فإنه كذلك مخالف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لأهل الكبائر من امتي (وهو حديث صحيح (٣) لا يمارضه الحديث السابق فلا يتم الاستدلال بمضع الشفاعة عن صاحب البدعة بهذا الحديث .

٢- نفى الشفاعة عن المرجئة والقدرية :

ويستدل الجافون لها بما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صدقان من امتي لاتنالهما شفاعتي يوم القيامة المرجئة والقدرية) .

وهذا الحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٤) وعزاه الى ابي نعيم وذكره السفاريني في لوامع الأنوار . (٥) وفي سند الحديث عبد الحكم بن ميسرة وهو ضعيف ، قال الدارقطني انه يحدث بما لا يتابع عليه . (٦)

(١) سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ١٦/١ .

(٢) تقريب التهذيب ٣٥٩/١ .

(٣) انظر: سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ١٧/١ .

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٤٦/٢ وعزاه الى ابي نعيم .

(٥) لوامع الانوار ٢١٦/٢ .

(٦) سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ١١٦/٢ .

وفيه كذلك سعيد بن بشير قال ابن الجوزي عن هذا الحديث " هذا لا يصح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحيى : سعيد بن بشير ليس بشي (١)
وما روى عن واثلة بن الاسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(صنفان من هذه الامة لاتنالهما شفاعتي المرجئة والقدرية) (٢) وفي هذا
الحديث محمد بن محصن وهو متروك كما قال الهيثمي . (٣)
وقال ابن حجر في التقريب " كذبوه " (٤)
ومثل الحديث السابق ما روى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
(صنفان من امتي لاتنالهما شفاعتي المرجئة والقدرية) (٥)
وهذا الحديث فيه كذلك بحر بن كنيز السقاء وهو متروك (٦) كما يذكر الهيثمي
ويقول فيه ابن حجر : " بحر بن كنيز السقاء أبو الفضل البصرى ضعيف " (٧)
وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية يقولون الخير
والشر بايدينا ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا انا منهم ولا هم مني (

-
- (١) الملل المتناهية ١٥٦/١
 - (٢) مجمع الزوائد ٢٠٦/٧ ويمزوهما الهيثمي والسيوطي في الجامع
المنفرد ٤٦/٢ الى الطبراني في الاوسط.
 - (٣) مجمع الزوائد ٢٠٧/٧
 - (٤) تقريب التهذيب ٢٠٥/٢
 - (٥) مجمع الزوائد ٢٠٦/٧ وعزاه الى الطبراني في الاوسط .
 - (٦) مجمع الزوائد ٢٠٦/٧
 - (٧) التقريب ٩٣/١

قال ابن الجوزي : " هذا حديث لا يصح وقال ابن حبان سعيد بن مسيرة

يروى الموضوعات " (١)

وعن أنس مرفوعا (صدقان من امتي لا تنالهما شفاعتي القدرية والمرجئة قلت
يارسول الله ما المرجئة قال قوم يزعمون ان الايمان قول بلا عمل قلت فما القدرية
قال الذين يقولون المشيئة الينا) (٢)

وفي سند هذا الحديث ابو عمران سعيد بن مسيرة

قال البخاري عنده من اكبر . وقال ايضا مذكر الحديث وقال ابن حبان :

يروى الموضوعات ، وقال الحاكم روى عن أنس موضوعات وكذبه يحيى القطان .^(٣)

وقد ذكر الرازي في ترجمته ايه " مذكر الحديث ضعيف الحديث يروى عن أنس

المناكير . (٤)

٣- هرمان من غش العرب من الشفاعة ومن مودة الرسول صلى الله عليه وسلم

ويستدل القائل بهذا بما يروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم (من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله

مودتي) (٥)

والاستدلال بهذا الحديث على نفي الشفاعة عن غاش العرب لا يتم كذلك

(١) العلل المتناهية ١٥٦/١ .

(٢) سلسلة الاحاديث الضعيفة ١١٥/٢-١١٦ وعزاه الى الخطيب وقد ذكر

الذهبي الحديث بلفظ " القدرية يقطون الخير والشر بأيديها ليس لهم

في شفاعتي نصيب " (٢١) ميزان الاعتدال ١٦٠/٢ .

(٣) كتاب الجرح والتعديل ٦٣/٤ .

(٤) (٥) رواه الترمذى ٧٢٤/٥ والامام أحمد في المسيد ٧٢/١ .

(٥) سنن الترمذى ٧٢٤/٥ .

لأن في سنده حصين ابن عم الاحمسي وقد قال الترمذى عن هذا الحديث انه " حديث غريب لا يعرفه الا من حديث حصين ابن عم الاحمسي عن مخسارق وليس حصين عند أهل الحديث بذاك القوي " (١)

ويقول ابن حجر عن هذا الراوى " حصين بن عم الاحمسي الكوفي متروك" (٢) وهذا الحديث يعارض ما ثبت من النصوص الصحيحة فى استحقاق أهل الكبائر للشفاعة ومعلوم ان الفش وان كان كبيرة من الكبائر لكنه لا يخرج صاحبه عن نطاق الايمان فهو مؤمن وهو من أهل الكبائر)

على انه قد ورد فى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا) (٣) ولكن هذا العجز لا يدل على ان الغشاء كافر وطريقه طريق البصوص التى تسدل فى ظاهرها على تكفير مرتكبى بعض الذنوب من أحاديث الزجر تمر كما جاءت أوائها وارده فى شأن المستحل لذلك كما أجاب به علماء السلف . (٤)

٤- ومن الموانع التى لم تثبت كذلك القول بدهى الشفاعة عن من سار فى رايات العباسيين حين يقبلون من خراسان .

أخرج ابونعيم فى الحلية عن سعيد بن المسيب قال : " لما فتحت أذننى

(١) سنن الترمذى ٥/٧٢٤ .

(٢) تقريب التهذيب ١/١٨٣ .

(٣) أخرجه مسلم ١/٢٩٩ .

(٤) انظر: شرح النووى لمسلم ١/٢٩٨ .

خراسان بكى عمر فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف فقال : ما بيكيك يا أمير المؤمنين
وقد فتح الله مثل هذا الفتح ؟ فقال مالي لا الهكى والله لو ددت أن بيئني
صينهم بجزا من نار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا اقبلت
رايات ولد العباس من عقاب خراسان جاؤا^١ الاسلام فمن سارت تحت
لوائهم لم تنله شفاعتي يوم القيامة (١))

وهذا الحديث فى سنده عمرو بن واقد وهو متروك .

قال ابن حجر: "عمرو بن واقد الدمشقى ابو حفص مولى قريش متروك" (٢)

وقال ابن الجوزى فى الموضوعات عن هذا الحديث " هذا حديث موضوع

بلا شك وواضعه من لا يرى لدولة بنى العباس" (٣) ثم نقل تضعيف العلماء

لمعرو بن واقد فقال " قال ابو مسهر عمرو بن واقد ليس بشىء " ، وقال

الدارقطنى : متروك ، وقال ابن حبان يطب الاسانيد ويروى المناكير عن

المشاهير فاستحق الترك" (٤)

وما تقدم يتضح ان تلك الذنوب التى قيل بذفى الشفاعة فيها انها موانع لم تثبت

صحتها .

(١) الحلبة ٥ / ١٩٢

(٢) تقريب التهذيب ٢ / ٨١

(٣) الموضوعات ٢ / ٣٨

(٤) الموضوعات ٢ / ٣٨

الفصل الثامن

~~~~~

— ( أقسام الشفعا ) —

~~~~~

- ١- قسم ثبتت شفاعتهم
- ٢- قسم لم تثبت صحة شفاعتهم .

=====

١- اقسام الشفعاء الذين ثبتت صحة شفاعتهم ويشمل ذلك ما يلي :-

تصهيد :-
ممنمم

١- شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

٢- شفاعة الانبياء الاخرين غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

٣- شفاعة الملائكة .

٤- شفاعة الشهداء .

٥- شفاعة الوالدان

٦- شفاعة المؤمنين بعضهم في بعض .

٧- شفاعة القرآن الكريم .

=====

=====

==

تمهيد :

لقد تكرم الله تعالى فجعل امر الشفاعة واسعا فبالإضافة الى ثبوتها
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعداؤه فيها المقام الأعلى ثبتت كذلك لغيره
من الخلق كالانبياء الآخرين عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام وكذا
الملائكة والشهداء والصالحين والاولاد لابائهم ، وثبتت كذلك للقرآن الكريم .
قال البردبليسى : " أجمع أهل السنة على ثبوت الشفاعة له صلى الله عليه
وسلم ولسائر الرسل والملائكة والعلماء والشهداء يشفع كل واحد بقدر جاهه
عند الله تعالى (١)

وذكر البيجورى ان الله تعالى يقبل شفاعة الاخيار كالانبياء والمرسلين
والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاطمين " (٢) . . . الخ كلامه .
ويفضل فيما يلي أقسام الشفعاء المقبولة شفاعتهم : فسى

١- أما ثبوت شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد قد منا ذكر أقسام
الشفاعات الثابتة له صلى الله عليه وسلم ما يدل على منزلته العظمى باكرام الله
له بكثرة شفاعاته كما تضح ذلك فى عرضنا السابق للشفاعات الثابتة مدعمة
بأدلة اثباتها .

(١) تكملة شرح الصدور ص ٣٦ .

(٢) شرح جوهرة التوحيد ص ١٨٧ .

٢- (شفاعة الأنبياء الآخريين غير نبينا محمد) -

صلى الله عليه وسلم

=====

ومن اكرام الله تعالى لانبيائه واصفيائه قبول شفاعتهم فيمن يشفعولسه
من سبقت لهم الرحمة فيتقدمون بطلب شفاعتهم الى ربهم في اخراج أقوام
من النار دخلوها بذنوبهم ليخرجوا منها .

وقد ثبتت هذه الشفاعة بما جاء في الصحيحين من حديث طويل عن

أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه وفيه قوله صلى الله عليه وسلم فيقول الله

عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين

فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما^(١)

وليس معنى هذا ان الله يخرجهم من النار وهم كفار بل المعنى انهم

"لم يعملوا خيرا سوى الشهادتين" (٢)

ولولاهما لما خرجوا شأنهم شأن غيرهم من الكفار وعن ابي بكر رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (يحمل الناس على الصراط يوم القيامة

فتقادع بهم جنبة الصراط فتقادع الفراش في النار قال فينجى الله تبارك

وتعالى برحمته من يشاء قال ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن

يشفموا فيشفعون ويخرجون ويشفمون ويخرجون ويشفعون ويخرجون و زاد

عقان مرة فقال أيضا " ويشفعون ويخرجون من كان في قلبه ما يزين ذره من ايمان^(٣)"

(١) أى صاروا فحما والحدِيث اخْرجه البخارى ٤٢١/١٣ ، ومسلم ٤٤٠/١ .

(٢) فتح البارى ٤٢٩/١٣ ومعنى شفاعة الله سبحانه وتعالى " عفوه " انظر:

شرح جوهرة التوحيد ص ١٨٦ .

(٣) مسند الامام أحمد ٤٣/٥ .

وقد بوب الهيثمي في كتابه " موارد الظمآن " لاثبات شفاعة الانبياء والملائكة بقوله " باب في شفاعة الملائكة والنبين " ثم اورد الحديث الآتي :-
عن صالح بن ابى طريف قال : " قلت لابي سعيد الخدرى اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فى هذه الآيه " ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين " (١)

فقال نعم سمعته يقول : يخرج الله أناسا من المؤمن من النار بعد ما يأخذ زقمته منهم قال لما ادخلهم الله النار مع المشركين قال المشركين اليس كنتم تزعمون فى الدنيا انكم أولياؤه فالكفم معنا فى النار فاذا سمع الله ذلك منهم اذن فى الشفاعة فتشفع لهم الملائكة والنبين حتى يخرجوا بانن الله فلما اخرجوا قالوا ياليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج من النار فذلك قول الله " ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين " قال فيسمنون الجهنميين من أجل سواد فى وجوههم فيقولون : ربنا اذهب عنا هذا الاسم فيفتسلون فى نهر فى الجنة فيذهب ذلك منهم " (٢)

وقد أورد ه ايضا الآجرى (٣)

ويذكر الرازى أن أكثر المفسرين على هذا القول (٤)

وروى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما يزال الله يرهم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الأنبياء والملائكة ، حتى انه تمالى فى آخر الأمر يقول : من كان من المسلمين ظميدخل الجنة قال فهبنا لك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٥)

(١) انظر: موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ص ٦٤٦ .

(٢) انظر: الشريعة ص ٣٣٧ .

(٣) الآجرى هو الامام أبوبكر محمد بن الحسين الآجرى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٤) التفسير الكبير ١٩ / ١٥٤ .

(٥) نفس المصدر السابق .

وهذا المعنى هو الذى يوافق مذهب السلف لا المعتزلة ولهذا فان القاضى فيما ذكره عنه الرازى يقول ان " هذه الروايات مبنية على انه تعالى يخرج أصحاب الكبائر من النار وعلى أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مقبولة فى اسقاط العقاب وهذان الاصلان عنده مردودان " .

قال الرازى : " فعند هذا حمل هذا الخبر (١) على وجه يطابق قوله ويوافق مذهب وهوانه تعالى يوم خرد احوال طائفة من المؤمنين الجنة بحيث ينقلب على ظن الكفرة انه تعالى لا يدخلهم الجنة ثم انه تعالى يدخلهم الجنة فيزداد غم الكفرة وحسرتهم وهناك يودون لو كانوا مسلمين^(٢) وهذا تكلف من القاضى ظاهر سببه عدم الايمان بوقوع الشفاعة فى أهل النار ومن أين له الدليل على أن الله يوم يفرهم وقتا لأجل غم الكفرة ثم يسمح لهم بدخول الجنة ، وقد ذكر الامام ابن كثير وغيره من المفسرين عند شرح هذه الآية " ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين " كثيرا من النصوص التى تدل على أن الله يخرج من النار أقواما بفضل رحمته وشفاعة الشافعين لهم^(٣) من الأنبياء وغيرهم .

(١) أى القاضى عبد الجبار - فيما يظهر - .

(٢) التفسير الكبير ١٩ / ١٥٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٤٦ .

- ((شفاعة الملائكة)) -

~~~~~

ومن الشفعاء كذلك الملائكة عليهم السلام ولا خلاف في ذلك بين الفرق  
الاسلامية فقد ثبتت شفاعتهم بالأدلة الصحيحة من كتاب الله تعالى وسنة  
نبيه صلى الله عليه وسلم ثبت انهم يشفعون اذا اذن الله لهم ورضى .  
وقبل أن نذكر الأدلة على ثبوت شفاعتهم نذكر أولاً ان الملائكة جنس من  
خلق الله تبارك وتعالى خلقهم من نور وأسكنهم السماوات خلقهم لعبادته  
وللقيام بمصالح البشر وغير ذلك ما يريد الله تعالى والقول بأنهم خلقوا من  
نور هو ما بيده الحديث الذي رواه مسلم عن عائشة رضی الله عنها أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال : ( خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارح من  
نار وخلق آدم ما وصف لكم ) (١)

وهذا الحديث الصحيح يبين لنا أصل نشأة الملائكة وان مصدر ذلك هو  
النور .

وقد خلقهم الله تعالى قبل أن يخلق آدم بوقت لا يعلمه الا الله عز وجل  
لعدم ورود نص بتحديد ذلك وأما أسبقية خلقهم على آدم فهو ما ذكره الله  
تعالى في كتابه الكريم من أمر الملائكة بالسجود له بعد أن يتم خلقه ومن  
أخبارهم أولاً بأنه سيخلقهم والكلام الذي حصل منهم وجواب الله تعالى لهم  
وقد خلقهم الله تعالى على صور مختلفة كما قال تعالى ( الحمد لله فاطر  
السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى اجهزة منى وثلاث ورباع يزيد فى  
الخلق ما يشاء ) (٢)

(١) أخرجه مسلم ٥/٨٤٢ .

(٢) سورة فاطر : آية : ١ .

وأعظمهم جبريل عليه السلام وحملة العرش فبعضهم له جناحان وبعضهم له  
ثلاثة وبعضهم له أربعة وورد ان جبريل عليه السلام له ستمائة جناح .  
ولهم مقامات مختلفة فبعضهم أرفع من بعض كما قال تعالى في وصف مراتبهم  
وقولهم عن أنفسهم ( وما منا الا له مقام معلوم ) ( ١ )  
ومن رؤسائهم جبريل عليه السلام وقد ذكر الله تعالى منزلته فقال : ( اذنه  
لقول رسول كريم ذى قوة عزذ ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ) ( ٢ )  
وأفضل الملائكة على العموم من اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم بما جاء  
عن رفاعه بن رافع ان جبريل جاء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ماتعدون أهل  
بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرًا  
من الملائكة ) ( ٣ ) ولهم قوة عظيمة وعددهم لا يحصيها الا الله تعالى لكثرتهم  
ولهم أسماء بعضها اخبرنا الله ورسوله به وبعضها لا نعلمه وقد جعل الله لهم  
قوة عظيمة على طاعته وعبادته فعزهم الساجد ومنهم القائم ( يسبحون الليل  
والنهار لا يفترون ) ( ٤ )

وسياتى باذن الله مزيد بيان لهذا فى مبحث الحساب .

أما الأدلة على اثبات شفاعتهم من القرآن الكريم فهى :-

١- قوله عز وجل مبينا درجاتهم فى الشفاعة ( وكم من ملك فى السموات لا تغنى

شفاعتهم شيئًا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ) ( ٥ )

(١) سورة الصافات : آية : ١٦٤ .

(٢) سورة التكويم : آية : ١٩ ، ٢١ .

(٣) البخارى ٣١٢ / ٧ .

(٤) سورة الأنبياء : آية : ٤٠ .

(٥) سورة الحج : آية : ٢٦ .

٢- وقوله تعالى : ( ولا يشفعون الا لمن ارتضى ) ( ١ )  
وفي هذه الآيات يثبت الله سبحانه وتعالى ان الملائكة يشفعون في المذنبين  
وان شفاعتهم تقبل بعد اذنه ورضاه في يوم القيامة .  
وقد حصل خلاف في ثبوت شفاعة الملائكة لاهل الكبائر هل يشفعون لهم  
أم لا بعد اتفاق الجميع على ثبوت شفاعتهم في الجملة .  
١ = فذهب الكمبي من الممتزلة الى عدم ثبوت شفاعة الملائكة في أهمل  
الكبائر .

٢- وذهب أهل القول الحق الى انها تقع ، وخلافهم يدور حول معنى قول  
الله تعالى ، مخبرا عن دعاء الملائكة للمؤمنين بالجنة \* الذين يحملون  
العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا  
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم  
عذاب الجحيم ، ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من  
ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم ( ٢ )  
حيث أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن دعائهم واستشفاعهم للمؤمنين  
ولا ولد المؤمنين وزوجاتهم بأن يدخلهم الله جنات عدن ، وهذا الدعاء  
لهم بظهور الغيب استشفاع منهم الى الله تعالى في ان يرهم المؤمنين  
ويغفر لهم ما صدر منهم من الذنوب .

قال ابن كثير عن معنى قول الله تعالى عن وصف الملائكة ويستغفرون للذين  
آمنوا ( أي من أهل الأرض ممن آمن بالغيب فقيض الله تعالى ملائكته المقربين

(١) سورة الانبياء : آية : ٢٨ .

(٢) سورة المؤمنين : آية : ٧ - ٨ .

ان يدعو للمؤمنين بظهور الغيب ، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهور الغيب كما ثبت في صحيح مسلم من دعا لأخيه بظهور الغيب قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل " (١)

وهذا من تمام محبتهم الخير للبشر وعطفهم عليهم ورغبتهم في ثوابهم أما اعتراض الكعبي الذي استعيطه من هذه الآية بزعمه ليرد به على من يقول من أهل السنة بحصول الشفاعة في المذبذبين بحجة أن الشفاعة كما هو رأى المعتزلة - لا تكون الا في وقوع زيادة الثواب للمؤمنين لا في اسقاط العقاب عن المذبذبين " قال وذلك لأن الملائكة قالوا " فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك " قال وليس المراد فاغفر للذين تابوا من الكفر (٢) سواء كان مصرا على الفسق أو لم يكن كذلك لأن من هذا حاله لا يوصف بكونه متبعا سبيل ربه ولا يطلق ذلك فيه .

ثم ذكر اعتراضا آخر فقال " وايضا ان الملائكة يقولون : " وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم " وهذا لا يليق بالفاسقين لأن خصوصا - يمتنى القائلين بالشفاعة في المذبذبين - لا يقطعون على ان الله تعالى وعدهم الجنة وإنما

---

(١) أخرجه مسلم ٥٧٧/٥ ، وأبو داود ٣٥٢/١

(٢) أى ان التوبة انما كانت في حق المؤمن دون من سواهم وان الآية كذلك حسب ما ظهر للكعبي لم تفرق بين الفاسق المصر ولا غير المصر بل ذكرت الذين تابوا دون غيرهم من الكفار والفساق .

يجوزون ذلك ، فثبت - كما يقول - ان شفاعة الملائكة لا يتناول الا أهل الطاعة " (١) .

هذا ما يتعلق باعتراضه واحتجاجه بهذه الآية على زفي لشفاعة الملائكة للمذنبين .

وقد أجاب الرازي عن تلك الشبه فقال : ان هذه الآية تدل على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين " ثم ذكر الوجوه التي تدل على هذا بقوله :  
١- الاول : قوله " ويستغفرون للذين آمنوا والاستغفار طلب المفسرة والمفسرة لا تذكر الا في اسقاط العقاب اما طلب النفع الزائد (٢)  
فانه لا يسمى استغفارا .

الثاني : قوله تعالى ( ويستغفرون للذين آمنوا ) وهذا يدل على انهم يستغفرون لكل أهل الايمان فاذا دللنا على ان صاحب الكبيرة مؤمن وجب دخوله تحت هذه الشفاعة .

الثالث : قوله تعالى ( فاغفر للذين تابوا ) طلب المفسرة للذين تابوا ولا يجوز ان يكون المراد اسقاط عقوبة الكبيرة بعد التوبة ، لأن ذلك واجب على الله عزد الخصم (٣) وما كان فعله واجبا كان طلبه بالدعاء قبيحا ولا يجوز ايضا ان يكون المراد اسقاط عقوبة الصفائح لأن ذلك واجب فلا يحسن

---

(١) التفسير الكبير ٢٧ / ٣٤ .

(٢) كالشفاعة في رفع الدرجات .

(٣) كالكمبي .

طلبه بالدعاء ، ولا يجوز ان المراد طلب زيادة مغفرة على الثواب لأن ذلك لا يسمى مغفرة ، فثبت انه لا يمكن حمل قوله ( فاغفر للذين تابوا ) الا على اسقاط عقاب الكبيرة قبل التوبة (١) واذ ثبت هذا في حق الملائكة فكذلك في حق الأنبياء لانعتاد الاجماع على انه لا فرق .  
ثم قال الرازي متابعا رده على الكمبي " أما الذي يتمسك به الكمبي وهو انهم طلبوا المغفرة للذين تابوا .  
فوقول: يجب ان يكون المراد منه الذين تابوا عن الكفر واتبعوا سبيل الايمان وقوله ان التائب عن الكفر المصر على الفسق لا يسمى تابيا ولا متبعا سبيل الله فلما لا يسلم قوله بل يقال انه تائب عن الكفر وتابع سبيل الله في الدين والشريعة واذ ثبت انه تائب عن الكفر ثبت انه تائب الا ترى انه يكفي في صدوق وصفه بكونه ضاربا وضاحكا صدور الضرب والضحك عنه مرة واحدة ولا يتوقف ذلك على صدور كل أنواع الضرب والضحك عنه فكذا ههنا " (٢)  
واذا ثبتت شفاعة الملائكة للذين آمنوا وثبت كذلك اهتمامهم وثبت كذلك اهتمامهم بالدعاء لهم ، فيحسن ان نعرف السر في هذا الاهتمام والاستشفاع الى الله في طلب العفو والمغفرة للبشر .

وقد اجاب الرازي عن السر في هذا الاهتمام فيما يدقعه عن أهل التحقيق بقوله :  
" ان هذه الشفاعة الصادرة عن الملائكة في حق البشر تجرى مجرى اعتذار عن ذلة سبقت ، وذلك لانهم قالوا في أول تخليق البشر ( أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ) ظما سبق معهم هذا الكلام تداركوا في آخر الأمر

(١) لانها بعد التوبة تكون مسقطه .

(٢) التفسير الكبير ٢٧ / ٣٤ .

بأن قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم " وهذا كالتبعية على ان من أذى غيره فالأولى ان يجبر ذلك الايذاء بايصال نفع عليه " (١)

هذا ما يتعلق بالاستدلال من القرآن الكريم على ثبوت شفاعة الملائكة اما فيما يتعلق بمرور ذلك في السنة فقد قدما في بحث شفاعة الانبياء بعض الأحاديث التي تثبت شفاعة الأنبياء والملائكة في مساق واحد كما جاء في

حديث ابي سعيد الخدري رضى الله عنه الثابت في الصحيحين (٢)

٢- وكذا حديث ابي بكره الذي أخرجه الامام احمد في مسنده (٣)

٣- وكذا حديث صالح بن ابي طريف عن ابي سعيد الخدري (٤)

٤- وما جاء عن ام عباس كما ذكره الرازي (٥)

ما لا يود الاطالة باعادة ذكره هنا .

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/٣٤ .

(٢) البخارى ١٣/٤٢١ ، وسلم ١/٤٤٠ .

(٣) المسند ٥/٤٣ .

(٤) موارد الظمآن ص ٦٤٦ والشريعة ص ٣٣٧ .

(٥) التفسير الكبير ١٩/١٥٤ .



(٤) - ( شفاعة الشهداء ) -

ومن الشفعاۃ الذين أكرمهم الله تعالى بقبول شفاعتهم الشهداء وقبل

أن تذكر الأدلة المثبتة لذلك نحب أن نعرف أولاً :

١- معنى الشهيد في اللغة ؟

٢- معناه في الاصطلاح ؟

٣- لم سموا شهداء ؟

٤- من هم الشهداء الذين حصل لهم هذا الشرف العظيم في قبول شفاعتهم

=====

١- معنى الشهيد فى اللغة

=====

الشهيد له معان فى اللغة كثيرة منها :

١- الحق .

قال الأزهري فيما ينقله عن ابن شميل فى تفسير الشهيد الذى يستشهد

انه قال : ( الشهيد الحق ) .

قال الأزهري : " قلت اراه تأول قول الله تعالى ( ولا تحسبن الذين

قتلوا فى سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ) (١)

كأن أرواحهم احضرت دار السلام أحياء وأرواح غيرهم اخرت الى يوم البعث

وهذا قول حسن )

" والشهيد فى اسماء الله وصفاته قال ابواسحاق هو الأمين فى شهادته

قال : وقيل الشهيد الذى لا يفيب عن علمه شىء . . . . "

وشهد فلان بحق فهو شاهد وشهيد اذا مات شهيدا "

ويقال للشاهد شهيد ويجمع شهداء " ومنه قوله تعالى " واستشهدوا

شهداء من رجالكم " أى اشهدوا وشاهدوا (٢)

ويأتى بمعنى الحضور يقال شهد فلان مكان كذا وكذا اذا حضره . (٣)

---

(١) سورة آل عمران : آية : ١٦٩ .

(٢) انظر: تهذيب اللغة ٦/٧٢ - ٧٧ .

(٣) النهاية لابن الأثير ٢/٥١٣ .

٢- معنى الشهيد في الاصطلاح :  
=====

الواقع ان عبارات العلماء في تعريف الشهيد كلها تتفق حول معنى انه  
القتيل في سبيل الله تعالى في حرب الكفار .

قال ابن حجر في تعريف الشهيد : " وهو من يقتل في حرب الكفار

مقبلا غير مدبر مخلصا " (١)

وقال الجرجاني :

" وهو كل مسلم طاهر بالغ قتل ظلما ولم يجب بقطعه مال ولم يرتد ( ٢ ) .

وأما سبب تسميته شهيدا فقد ذكر العلماء عدة أسباب ولكنها تدور حول

اثبات عفة مدح ووزارة تعظيم لمن قتل في سبيل الله تعالى ومن ذلك :-

قال النووي : " قال النضر بن شميل سمي بذلك لأنه حي لأن ارواحهم

شهدت دار السلام وأرواح غيرهم لا تشهد لها الا يوم القيامة وقال ابن الانباري

لأن الله تعالى وملائكته عليهم السلام يشهدون له بالجنة فمعنى شهيد

شهود له .

وقيل سمي شهيدا لأنه يشهد عند خروج روحه ماله من الثواب والكرامة

وقيل لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيأخذون روحه وقيل لأنه شهد له بالايان

وخاتمة الخير بظواهر حاله وقيل لأن عليه شاهدا يشهد بكونه شهيدا وهو دمه

---

(١) فتح الباري ٤٤/٦

(٢) التعريفات ص ١٢٩ .

(٣) القاموس المحيط ٣١٦/١ .

فانه يبعث ويجرحه يثعبد ما " (١)

وزاد ابن حجر فذكر اسبابا اخرى منها قوله :

" وقيل لأنه يشهد له بالامان من النار وقيل لأن الانبياء تشهد له بحسن  
الاتباع .

وقيل لأن الله يشهد له بحسن نيته واخلاقه وقيل لانه يشاهد الملكوت من  
دار الدنيا ودار الآخرة " .

قال ابن حجر: " وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله وبعضها يعم

غيره وبعضها قد ينازع فيه " (٢)

وقال الراغب: " الشهيد هو المحتضر فتسميته بذلك لحضور الملائكة

اياء إشارة الى ما قال " تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ( الآية (٣)

قال : " والشهداء عند ربهم لهم أجرهم (٤) أولأنهم يشهدون في تلك

الحالة ما أعد لهم من النعيم أولأنهم تشهد أرواحهم عند الله كما قال

( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا )

وعلى هذا دل قوله ( والشهداء عند ربهم ) (٥)

---

(١) شرح النوود لمسلم ١/٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٢) فتح الباري ٦/٤٢ - ٤٣ .

(٣) سورة فمطت : آية : ٣٠ .

(٤) سورة الحديد : آية : ١٩ .

(٥) المفردات ٢٦٨ - ٢٦٩ .

وقال الفيروز آبادي : " والشهيد . . . . . القليل في سبيل الله لأن ملائكة الرحمة تشهد أولاً أن الله تعالى وملائكته شهود له بالجنة أولاً لأنه ممن يستشهد يوم القيامة على الامم الخالية ولسقوطه على الشاهد أي الأرض أولاً لأنه حين عند ربه حاضراً ولأنه يشهد ملكوت الله وملكه " (١)

وهناك أقوال للعلماء كلها بمعنى ما سبق

أما الأدلة على ثبوت شفاعة الشهداء فمنها ما جاء في حديث الوليد بن رباح الدماري عن نمران بن عتبة الدماري قال : " دخلنا على أم الدرداء ونحن ايتام فقالت ابشروا فاني سمعت ابا الدرداء يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته " (٢)

وقد بوب الامام ابوداود على هذا الحديث بقوله : " باب في الشهيد فيشفع " ثم اشار الى السنن بان السواب في اسم الوليد بن رباح انه " رباح بن الوليد " وعن المقدم بن سعد يكره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال ينفر له في أول دفعة ويرى مقده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الاكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار النياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من العور العمين ويشفع في سبعين من اقراره " (٣)

---

(١) القاموس المحيط ١/٣١٦ ، وانظر شرح الجوهرة التوحيد ص : ١٩٠ .

(٢) أخرجه ابوداود ١٥/٢ .

(٣) أخرجه الترمذي ١٨٨/٤ ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح غريب " .

وعن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم / يشفع يوم

القيامة ثلاثة : الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ( ١ )

وذكر الأجرى حديثاً عن المقدم بن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( للشهيد عند الله تسع خصال ، يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحل حلة الايمان ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين انسان من اقاربه ) (٢)

ومثله ما جاء عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣)

وفي مسند الامام أحمد من حديث ابن بكر الصديق رضي الله عنه " ثم يقال ادعوا السمد يقين فيشفعون ثم يقال ادعوا الانبياء قال فيجيب النبي ومعه العمابة (٤) والنبي ومعه الخمسة والستة والنبي ليس معه أحد ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون لمن ارادوا وقال فاذا فعلت الشهداء ذلك قال

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٤٤٣/٢ ، وذكر محمد فواء عبث الباقي ان الحديث ضعيف ثم قال : " ففي الزوائد في اسناده علامة بن ابي مسلم "

(٢) الشريعة ص ٣٤٩ .

(٣) الشريعة ص ٣٤٩ .

(٤) العمابة هم الجماعة من الناس الى الاربعة " النهاية لابن الاثير

يقول الله عز وجل انا ارحم الراحمين ادخلوا جنتي من كان لا يشرك بسى شيئا \* (١) الحديث .

وعن ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحمل الناس على السمراط يوم القيامة فتقادع بهم (٢) جنبتا السمراط تقادع الغرائس في النار قال فينجس الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء قال ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفموا فيشفموا ويخرجون ويشفموا ويخرجون ويشفموا ويشفموا ويخرجون ويزاد عفان سره فقال ايضا ويشفموا ويخرجون من كان في قلبه ما يزن ذرة من ايمان \* (٣)

واذا كنا قد قدما أن الشهيد هو من قتل في سبيل الله تعالى ، فان هذا هو الأكثر في استعمال لفظة الشهيد وهو أول ما يتبادر الى الذهن على أنه قد ورد صحة اطلاق الشهيد على من لم يكن بذلك الوصف .  
ومن أدلة ذلك :-

ما أخرج البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من قتل دون ماله فهو شهيد )<sup>(٤)</sup>

(١) مسند الامام أحمد ٥/١ .

(٢) قال ابن الاثير عن معنى العبارة " أى تسقطهم فيها بعضهم فوق بعضهم وتقادع القوم اذا مات بعضهم اثر بعض واحد القادع الكف والمنع .

(٣) المسند ٥/١ .

(٤) البخارى ٥/١٢٢ ، ومسلم ١/٣٤٨ .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الشهداء خمسة المظنون والمبطون والغرق وما حب الهدم والشهيد في سبيل الله ( ١ )

وعن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الطاعون شهادة لكل مسلم ( ٢ )

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ماتعدون الشهيد فيكم ؟ قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد قال : " ان شهيداً امتى اذا لقتيل " قالوا فمن هم يا رسول الله قال من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في المظنون فهو شهيد والغريق شهيد " ( ٣ )

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال فلا تمت له مالك قال : أرأيت ان قاطني قال : قاطه قال أرأيت ان قتلني قال : فأنت شهيد قال : أرأيت ان قتلته قال هو في النار " ( ٤ )

---

(١) - البخاري، ٤٢/٦ ومسلم ٥٨٠/٤

(٢) رواه مسلم ٥٧٩/٤

(٤) مسلم ٣٤٧/١



وعن ابى الأعرس سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أهد المشرة المشهور لهم بالجنة رضى الله عنهم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد \* (١)

وأخرج النسائي عن جابر بن عتيك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب عليه فمأج به فلم يجبه فاسترجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد غلبنا عليك أبا الربيع ، فصحن النساء وبكين فجعل ابن عتيك يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( دعهن فإذا وجب فلا تكيين باكية قالوا وما الوجوب يا رسول الله قال الموت قالت ابنته ان كنت لا رجوان تكون شهيدا قد كنت قضيت جهارك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل قد أوقع أجره عليه على قدر نيته وما تعدون الشهادة قالوا القتل في سبيل الله عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله عز وجل ، المطعون شهيد والمبطون شهيد والفریق شهيد وصاحب الهدم شهيد وصاحب ذات الجذب شهيد وصاحب الحرق شهيد والمرأة تموت بجمع شهيدة ) (٢)

ونشير هنا الى ايدماح مسألة وردت في هذا الحديث يقع فيها الناس وهى

---

(١) رواه أبوداود ، ٥٤٦/٢ ، والترمذى ٣٠/٤ وقال حديث حسن صحيح

(٢) سنن النسائي ١٤/٤

مسألة البكاء على الميت والنياحة عليه هل ذلك جائز أم لا ؟ والجواب بايجاز  
أن البكاء على الميت من غير نياحة لا بأس به ، أما النياحة وتعداد محاسن  
الميت فهذا هو المنوع وقد عدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أُمُور  
الجاهلية واخبر عن عذاب النائحة وانها تمعّت في أقبح صورة .

ومن ذلك ما رواه مسلم عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

( ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعوى الجاهلية ) (١)

وعن ابي بردة بن ابي موسى قال : وجع أبو موسى وجعا فغشى عليه

ورأسه في حجر امرأة من أهله فباحث امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها

شيئا فلما افاق قال : انا بريء مما برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من المبالقة (١) والمالقة (٢) والشاقة (٣)

وفي رواية ( اغشى على ابي موسى واقبلت امرأته ام عبد الله تسيح برنه قالا ثم

أفاق قال : ألم تعلمي وكان يحدثها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

( أنا بريء من المعلق والمعلق وخرق )

---

(١) المالقة : هي التي ترفع صوتها عند المسيية .

(٢) المالقة : هي التي تحلق شعرها عند المسيية .

(٣) الشاقة : هي التي تشق ثوبها عند المسيية .

وقيل : المعلق ضرب الوجه .

ودعوى الجاهلية قال القاضي : " هي النياحة وندبة الميت والدعاء

بالويل وشبهه " انظر : سنن النووي لمسلم ١ / ٢٠٠ .

والأحاديث مخرجة في البخاري ٣ / ١٦٣ - ١٦٥ ، ١٦٦ ، وسلم :

أما البكاء بغير نياحة ولا تعداد لمحاسن الميت فهذا ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى انس بن مالك رضي الله عنه قال :  
( دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي سيف القين - وكان لنا  
لابراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقبله  
وشمه . ثم دخلنا عليه بعد ذلك - وابراهيم يجود بنفسه فجعلت عيننا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله  
عنه وانت يا رسول الله ؟ فقال يا ابن عوف انها رحمة ثم اتعها بأخرى فقال  
صلى الله عليه وسلم ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا  
وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون " (١)

قال ابن بطال وغيره : هذا الحديث يفسر البكاء المباح والحزن الجائز  
وهو ما كان يدمع العين ورقة القلب من غير سخط لأمر الله وهو ابين شئ  
وقع في هذا المعنى " (٢)

والذي يتلخص مما قد ذكره بالنسبة للشهداء انه يلحق في التسمية بهم  
اصناف وهم اضافة الى المقتول في سبيل الله .

- ١- من قتل دون ماله .
- ٢- المطعون والمهطون والغرق وصاحب الهدم .
- ٣- الذي يموت في سبيل الله .

---

(١) أخرجه البخاري ١٧٢/٣ .

ومعنى يجود بنفسه : أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الانسان ماله  
وتذرفان : أي يجرى دمهما .

(٢) فتح الباري ١٧٤/٣ .

(٣) في الجزء ٤٣/٦ - ٤٤ .

٤- من قتل دون ماله أو دمه ، أو دينه ، أو أهله .

٥- صاحب ذات الجنب (١)

٦- المرأة التي تموت بجمع (٢)

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله روايات في اثبات الشهادة لغير من سبق ذكرهم وهم :-

١- من مات بالسل " وهو بكسر المهملة وتشديد اللام ، وهو من حديث راشد بن حبيب عن الامام أحمد .

٢- من وقصه فرسه او بعميره او لدغته هامة او مات على أى حتفشاء الله تعالى من حديث أبى مالك الاشعري مرفوعا (٣)

٣- موت الضريب من حديث ابن عمر وصححه الدارقطني .

٤- من مات مرابطا من حديث ابى هريرة عند ابن حبان .

٥- اللديخ ، والشريق ، والذي يفترسه السبع والخار عن دابته لورودها في حديث ابن عباس مرفوعا عند الطبراني .

٦- المائد (٤) في البحر الذى يصيبه القىء من حديث أم هانئ عن أبى داود

- 
- (١) مرض معروف ويقال له الشوصة ، فتح البارى ٦ / ٤٣ .
- (٢) هو بضم الجيم وسكون الميم وقد تفتح الجيم وتكسر ايضا وهى النفساء وقيل التى يموت ولدها فى بطنها ثم تموت بسبب ذلك وقيل التى تموت بمزلفة وهو خطأ ظاهر وقيل التى تموت عذراء ، والأول أشهر فتح البارى .
- (٣) انظر: " باب من ينكب فى سبيل الله ( من صحيح البخارى ) ٦ / ١٩ .
- (٤) أى " الذى يدار برأسه من ریح البحر واضطراب السفينة بالامواج " النهاية لابن الاثير ٤ / ٣٧٩ .

٧- من طلب الشهادة بنية صادقة (١) ويستدل لهذا بما أخرجه النسائي

عن سهل بن ابى امامة بن سهل بن هنيئ حدثه عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من سأل الله عز وجل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء<sup>١</sup> وان مات على فراشه ) (٢)

٨- من تردى من رؤس الجبال من حديث ابن مسعود عند الطبراني .

ثم قال : " ووردت احاديث اخرى فى أمور اخرى لم اعرج عليها لضعفها " ونقل عن ابن التين قوله :

" هذه كلها ميئات فيها شدة تفضل الله على امة محمد صلى الله عليه وسلم بأن جعلها تحميماً لذنوبهم وزيادة فى اجورهم يلفهم بها مراتب الشهداء<sup>٢</sup> وعن التفاوت بين درجات هؤلاء فى الأجر يقول ابن حجر: " والذى يظهر ان المذكورين ليسوا فى المرتبة سواء " (٣)

واما اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الشهداء<sup>١</sup> خمسة كما فى بعض الروايات وفى بعضها الآخر سبعة وفى بعضها أكثر من ذلك ، فليس فيه تناقض لأنه ليس من باب ارادة الحصر، ولأن الله تعالى له يخبره بهم جملة بل اخبره بشىء بعد شىء وفى هذا يقول ابن حجر:

" والذى يظهر انه صلى الله عليه وسلم أعلم بالأقل ثم اعلم زيادة على ذلك فذكرها فى وقت آخر ولم يقصد الحصر فى شىء من ذلك " قال : " وقد اجتمع

---

(١) انظر: باب تمنى الشهادة ( من صحيح البخارى ) ١٦/٦ .

(٢) سنن النسائي ٣٧/٦ .

(٣) فتح الباري ٤٣/٦ - ٤٤ .

لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة )

ولما كانت لفظة الشهيد انما تطلق حقيقة على المقتول في سبيل الله فقد  
تنازع الناس في تسمية من عداه ، فبعضهم يسميه شهيدا على المجاز وبعضهم  
يسميه شهيدا على الحقيقة ، وقد قسم ابن حجر الشهداء الى قسمين حسب  
ما جاء في النصوص فقال : " ويتحصل مما ذكر في هذه الأحاديث أن الشهداء  
قسمان :

١- شهيد الدنيا ، وشهيد الآخرة ، وهو من يقتل في حرب الكفار مقبلا غير  
مدبر مخلصا .

٢- وشهيد الآخرة وهو من ذكر بمعنى انهم يمطون من جنس اجر الشهداء  
ولا تجرى عليهم أحكامهم في الدنيا " ثم استدل لهذا بحديث الصرياح بن  
سارية النسائي ، وأحمد ، وأحمد من حديث عتبة بن عبد نعوه ، مرفوعا  
( يختصم الشهداء والمتوفون على الفرش في الذين يتوفون من الطاعون فيقول  
انظروا الى جراحتهم فان جراح المقتولين فانهم معهم وضهم فاذا جراحتهم  
قد اشبهت جراحتهم ) (١)

وقسمهم النووي الى ثلاثة أقسام فقال : " اعلم ان الشهيد ثلاثة أقسام :  
أحدها : المقتول في حرب بسبب من اسباب القتال فهذا له حكم الشهداء  
في ثواب الآخرة وفي أحكام الدنيا وهو انه لا يفسل ولا يصلح عليه .

والثانى : شهيد فى الثواب دون أحكام الدنيا وهو المبطون والمطمون

وصاحب الهدم ومن قتل دون ماله وغيرهم ممن جاءت الأحاديث

الصحيحة بتسميته شهيدا فهذا يغسل ويصلى عليه وله فى الآخرة

ثواب الشهيد<sup>١</sup> ولا يلزم ان يكون مثل ثواب الأول .

والثالث : من غل فى الغنمية وشبهه ممن وردت الاثار بنفى تسميته شهيدا

اذا قتل فى حرب الكفار فهذا له حكم الشهيد<sup>١</sup> فى الدنيا فلا يغسل

ولا يصلى عليه وليس له ثوابهم الكامل فى الآخرة ( ١ ) وهم عند

البيجورى ثلاثة :-

١- شهيد الدنيا والآخرة .

٢- شهيد الدنيا .

٣- شهيد الآخرة فقط .

أما الشهيد الأول فهو شهيد الحرب وهو الذى قاتل لاعلاء كلمة الله

تعالى .

وأما الشهيد الثانى : وهو شهيد الدنيا فهو الذى قاتل لأجل الغنمية

فاظه ليس له الثواب الكامل وان جرت عليه أحكام الشهيد<sup>١</sup> فى الدنيا .

وأما الشهيد الثالث : وهو شهيد الآخرة فقط فهو كالمطمون والمبطون

ونحوهما وهو كالاول فى الثواب لكنه دونه فى الحياة والرزق ولا تجرى

أحكام الشهداء<sup>١</sup> في الدنيا فانه يفصل ويصلى عليه ( ١ )

وانا كان وصف الشهيد قد اشترك فيه آلك الا صنف الذين قدمنا ذكرهم  
فهل هم يشاركون شهداء المعركة في سبيل الله في حصول تلك المزايا  
العظيمة بالنسبة للشفاة أم لا لم أجد في ذلك نصا صريحا والذي يظهر  
لي أنهم وان اشتركوا معهم في التسمية فانما هو لتشابههم في حصول الثواب  
ولا يلزم من ذلك اثبات شفاعتهم .  
وفي الختام فان مما ينبغي الاشارة اليه ما حصل عند الناس من التساهل  
والتوسع في اطلاق لفظة الشهيد على من لا يستحقها ، وربما يعود سبب  
ذلك الى ان لفظة الشهيد حيث كانت محبوبة عند جميع الناس فقد صارت  
تطلق كرمز شرف لكل من يرون انه قتل بغير حق سواء كان ذلك صحيحا في  
الواقع أو في نظرهم ولهذا تستغرب حين تسمع من بعض الناس لا يؤمنون  
بالله تعالى يطلقون على قتلاهم انهم شهداء بل توسعوا في هذا فنسبوا  
الاستشهاد الى بعض الافكار مثل شهداء الحرية وشهداء الثورة وشهداء  
الوطن وما الى ذلك من اقوال مبتدعة فمادا يقصدون من اطلاق لفظة الشهيد  
أو الاستشهاد . هل هو اثبات الشهادة لهم في سبيل الله ، الواقع غير  
ذلك لأن بعض هؤلاء غير مؤمنين ، أم يريدون من ذلك اثبات صفة مدح  
فحسب ولعل هذا هو الذي يريدونه .



( ٥ ) - ( شفاعة الولدان ) -

م م م م م

ومن الشفاعات الثابتة ما جاء في شفاعة الولدان في ابائهم وامهاتهم  
اذا احتسبوهم عند الله تعالى بنية صادقة رحمة من الله تعالى وكرما منه  
ليجبر قلوب الاباء والامهات بما لحقهم من فقد اولادهم ومن الأدلة على  
ذلك ما قاله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابو هريرة رضي الله عنه  
( لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم ) ( ١ )

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسوة من الأنصار لا يموت  
لأحدكن ثلاثة من الولد فتحتسبه الا دخلت الجنة فقالت امرأة منهن او اثنين  
يا رسول الله قال أو اثنين ) ( ٢ )

وعن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه " أن النساء قلن للنبي صلى الله  
عليه وسلم اجعل لنا يوما فوعظهن وقال ايما امرأة مات لها ثلاثة من الولد  
كانوا لها حجابا من النار قالت امرأة واثنان قال واثنان ) ( ٤ ) وفي رواية  
( لم ييلفوا الحنث )

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من الناس من  
مسلم يتوفى له ثلاث لم ييلفوا الحنث الا ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم ( ٥ )

---

( ١ ) أخرجه البخارى ١١٨/٣ ومسلم ٤٨٦/٥ .

( ٢ ) مسلم ٤٨٧/٥ .

( ٣ ) لان الخطاب هينئذ كان للنساء فخصهن بالذكر .

( ٤ ) البخارى ١١٨/٣ ومسلم ٤٨٧/٥ .

( ٥ ) صحيح البخارى ١١٨/٣ " الفتح " .

وعن ابي هريرة قال : جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها  
فقال يارسول الله انه يشتكى وانى أخاف عليه قد دفنت ثلاثة قال : لقد  
احتظرت بحظار شديد<sup>(١)</sup> من النار

وأورد مسلم ايضا رواية أخرى عن ابي هريرة بمعنى ما تقدم . (٢)

وعن ابي حسان قال : قلت لأبي هريرة انه قد مات لى ابنان فما انت محدث  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحد يث تطيب به انفسنا عن موتانا ؟ قال  
قال نعم صفارهم دعاميص الجنة يتلقى اهدهم أباه او قال ابويه فياخذ  
بثوبه او قال بيده كما آخذ انا بصنفة ثوبك هذا فلا يتاهى او قال فلا  
ينتهى حتى يدخله الله وابه الجنة (٥) .

وعن شرحبيل بن شفعة عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول  
يقال للولد ان يوم القيامة ادخلوا الجنة قال فيقولون ياربنا حتى يدخل  
أباؤنا وأمهاتنا قال فياؤن قال فيقول الله عز وجل ما لى أراهم محبطين<sup>(٦)</sup>  
ادخلوا الجنة قال فيقولون يارب أباؤنا وأمهاتنا قال فيقول ادخلوا الجنة  
أنتم وأباؤكم (٧)

- 
- (١) معنى احتظرت أى امتنعت بمانع وشين " شرح النووى ٥ / ٤٨٩ . "
- (٢) صحيح مسلم ٥ / ٤٨٦ " النووى " .
- (٣) أى صفار اهلها ، وأصل الديموص دويبة تكون فى الماء لا تفارقه أى أن هذا  
الصفير فى الجنة لا يفارقها .
- (٤) بصنفة ثوبك : أى طرفه .
- (٥) أخرجه مسلم ٥ / ٤٨٨ .
- (٦) المحبطين<sup>المتفطون</sup> المستبطين<sup>المتفطون</sup> للشئ وقيل هو الممتع امتناع طلبه لا امتناع ابيه .
- (٧) أخرجه أحمد فى المسند ٤ / ١٠٥ .

وقد أخرج هذا الحديث الامام احمد ورجاله رجال الصحيح سوى شرحبيل

وهو ثقة ( ١ )

وهذا الموقف من الابناء لوالديهم هو كرد الجميل اليهم حيث كانوا فسوس

الدنيا يولونهم العطف والشفقة .

ولهذا جاء في الحديث ان امرأة اعتقت من النار وادخلت الجنة بمجرد

حصول عطف منها على ابنتين لها حيث أطعمتهما وصبرت هي على الجوع .

كما في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : جاءني مسكينة

تحمل ابنتين لها فاطعمتها ثلاث تمرات فاعطت كل واحدة منهما ثمرة ورفعت

الى فيها ثمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريده

ان تأكلها بينهما فأعجبنى شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال ان الله قد أوجب لها بها الجنة او اعتقها بها من النار<sup>(٢)</sup>

وقد بوب الهيثمي لاثبات شفاعة الولدان هذه بقوله " باب شفاعة الولدان"<sup>(٣)</sup>

وقد جعل الله قبوله لهذه الشفاعة من الابناء لأبائهم تفضلا منه لزيادة اسباب

ثوابهم ورفع درجاتهم حيث عوضهم الله من فقد ثمرة اكبادهم صفارا بقبول

شفاعتهم فيهم .

فمن مات له ثلاثة من الأولاد او اثنان فليشر ببشارة رسول الله صلى الله

عليه وسلم له بأنه لا تمسه النار الا تحلة القسم وانهم يكونون له حجابا من النار

وان الله يدخله الجنة بفضل رحمته اياهم .

---

(١) انظر: ٨/٣ من مجمع الزوائد وانظر تقريب التهذيب ج : ص : ٣٤٩ .

وهو شرحبيل بن شفعة بضم المصحمة وسكون الفاء الشامي ابو يزيد .

(٢) صحيح مسلم ٥/٤٨٦ (٣) مجمع الزوائد ١٠/٣٨٣ .

وقوله صلى الله عليه وسلم الا تحلة القسم " هذه اشارة الى القسم المقدر  
فى قوله تعالى ( وان منكم الا واردها ) أى النار بحيث لا يدخل المسلم  
الذى مات له ثلاثة من الولد النار لا تحلة لقسم الله تعالى بأن كل شخص  
يردها . (١)

وقد ذكر الله فى كتابه الكريم أنه يجمع بين الأباء وابنائهم اذا اختلفت درجاتهم  
فى الجنة اكراما للاباء لتقرأعينهم بذلك .

قال تعالى ( والذين آمنوا واتبعتمهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم  
وما التناهم من عملهم من شيء ) (٢)

وهذه البشارة للمؤمنين تشير الى سعة فضل الله وكرمه وامتنانه ولطفه  
وكمال احسانه اليهم .

قال ابن كثير: فاذا اتبعتمهم ذرياتهم فى الايمان يلحقهم بابائهم فى  
المنزلة وان لم ييلفوا عملهم لتقرأعين الأباء بالابناء عندهم فى منازلهم  
فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص  
ذلك من عمله ومنزلته للتساوى بينه وبين ذلك (٣)

وينبغى مراعاة ان هذا الجزاء العظيم الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فى الأحاديث السابقة لمن فقد أولاده انما هو لمن صبر واحتسب بالأجر

---

(١) سيأتى تفصيل القول فى الورود فى بابه الخاص " مبحث الورود " .

(٢) سورة الطور : آية : ٢١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٤١ / ٤ ، وهناك معان أخرى ذكرها الطبرى

عند الله ولم يتسخط بل قال ما يرضى ربه عز وجل كما قال تعالى ( وبشر

الصابرين ) (١)

لأن الثواب انما يقع على النية فلا يحصل ذلك الفضل لمن قدم من صلبه ثلاثة

أو اثنين أو واحدا كما في بعض الروايات - لا يحصل ذلك الفضل الا اذا كان

هناك احتساب وطلب للثواب من الله على تلك المصيبة فهؤلاء هم الذين

أمر الله نبيه ان يبشرهم بقوله تعالى ( وبشر الصابرين ) ومن هم الصابرون ؟

هم الذين قال الله فيهم ( الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا ان لله وانا اليه

راجعون ) (٢)

فلا قلق ولا جزع ، بل يسلمون له الأمر ويرضون بقضائه ايمانا منهم بأن الله

تعالى سيثيبهم ويجهزهم خيرا مما اصابهم به من المصائب والتي منها فقد الولد .

واشترط الاحتساب هو ما تضمنته بعض الروايات المرفوعة على أن في بعضها

الآخر اطلاق ثبوت الأجر من دون تقييد الاحتساب ويجمع بينها بحمائل

الأحاديث المطلقة على المقيد ،

يقول ابن حجر المسقلاني - رحمه الله تعالى - في هذا :

\* وقد عرف من القواعد الشرعية ان الثواب لا يترتب الا على النية فلا بد من قيد

الاحتساب ، والأحاديث المطلقة محمولة على المقيدة ) (٣)

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٥٥ .

(٢) سورة البقرة : آية : ١٥٦ .

(٣) فتح الباري ١١٩/٣ .

وإذا كانت النصوص تثبت ذلك الثواب العظيم وحصول الشفاعة بفقد ثلاثة من الأولاد أو اثنين فهل مفهوم العدد مقصود للرسول صلى الله عليه وسلم أم لا .

والجواب ان هذه المسألة محل نظريين العلماء .

قال ابن التين تبعا لمياض: هذا يدل على ان مفهوم العدد ليس بحجة لأن الصحابة من أهل اللسان ولم تمتبره ان لو اعتبرته لانغى الحكم عندها عما عدا الثلاثة لكنها جوزت ذلك فسألته "

قال ابن حجر: " كذا قال والظاهر انها اعتبرت مفهوم العدد ان لو <sup>لم</sup>تعتبره

لم تسأل والتحقيق ان دلالة مفهوم العدد ليست يقينية وانما هي محتلمه ومن ثم وقع السؤال ( عن ذلك ) ( ١ )

وعلى كل حال فسواء كان مفهوم العدد معتبرا ام غير معتبر فانه قد ثبت ان

من فقهاء ائمة اثنى عشر من اولاد فانه يلحق في الأجر بمن فقد ثلاثة لورود روايات تدل على ذلك منها ما تقدم في حديث ابن هريرة ومنها ما جاء عن ام سليم الانصارية والسيدة أنس بن مالك حيث قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وانما عنده ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة لم ييلفوا الحلم ، الا ان خلفهما الجنة بفضل رحمته اياهم فقلت واثنان قال واثنان ( ٢ )

( ١ ) أخرجه الطبراني باسناد جيد كما في الفتح ١٢١/٣ .

( ٢ ) فتح الباري ١٢١/٣ وعزاه الى الطبراني عن جابر .

وكذلك ورود بعض الروايات تفيد ان جماعة من الصحابة ايضا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك منهم ام ايمن وعائشة وام هاني \* .

وفى بعض الروايات ايضا ان جابر بن عبد الله سأل عن ذلك وكذلك عمر رضى الله عنه لما اخرج الحاكم عن بريدة ان عمر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ( ما من امرئ ولا امرأة يموت له ثلاثة أولاد الا ادخله الله الجنة فقال عمر يا رسول الله واثنان ؟ قال

واثنان ) وهذا الحديث صحيح الاسناد كما قاله الحاكم (١)

ولا ينبغي ان يظن بأن ورود تلك الروايات فى حكم مسألة واحدة فيها تعارض فهى وان كانت عن مسألة واحدة لكن ليس بينها تعارض ان يحتل - كما ذكر ابن حجر - ان كل واحد من هؤلاء سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا (٢) فثبت ان الأجر يحصل بفقد ولد من كما يحصل بفقد الثلاثة . وكذلك وردت روايات تفيد ان الواحد ايضا يحصل به ذلك الثواب العظيم لوالديه كما فى حديث جابر بن سمرة مرفوعا " من دفن ثلاثة فصبر عليهم واحتسب وجبت له الجنة فقالت ام ايمن او اثنين ؟ فقال أو اثنين فقالت وواحد فسكت ثم قال وواحد (٣)

وكذلك حديث ابن مسعود مرفوعا ( من قدم ثلاثة من الولد لم ييلفوا الحنث

---

(١) المستدرک ١ / ٣٨٤ .

(٢) فتح البارى ٣ / ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) ( فتح البارى ٣ / ١١٩ ) وغزاه الى الطبرانى ..

كانوا له حصنا حصينا من النار قال أبو نر قدمت اثنين قال واثنين فقال  
أبي بن كعب سيد القراء قدمت واحدا قال وواحد ولكن انما ذاك عند  
الصدمة الأولى ( ١ )

وعن ابن عباس مرفوعا ( من كان له فرطان من امتي ادخله الله الجنة فقالت  
عائشة فمن كان له فرط من امتك قال ومن كان له فرط ياموفقة قالت فمن لم يكن  
له فرط من امتك قال فأنا فرط امتي لن يصابوا بمثلئ ) ( ٢ ) وهذه الروايات  
صريحة في حصول الثواب بفقد ولد واحدا أيضا .

ولكن ابن حجر بعد ان نقل هذه الأحاديث عقب عليها بأنه " ليس في  
" ليس في شيء من هذه الطرق ما يصلح للاحتجاج " .

والسبب في هذا عنده ان تلك الروايات معارضة بروايات أصح منها أي تفيد  
عدم ذكر الواحد فقال :

١- " بل وقع في رواية شريك التي علق المصنف اسنادها كما سيأتى " ولم

يسأله عن الواحد " . ( ٣ )

٢- وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( من احتسب ثلاثة من

صلبه دخل الجنة فقامت امرأة فقالت أو اثنان قال أو اثنان قالت المرأة

يا ليتنى قلت واحدا ( ٤ )

---

( ١ ) أخرجه الترمذى ٣ / ٣٧٥ وقال انه غريب وذكر ان ابا عبيدة بن عبد الله

ابن مسعود لم يسمع من أبيه .

( ٢ ) أخرجه الترمذى ٣ / ٣٧٦ وقال حسن غريب .

( ٣ ) فتح البارى ٣ / ١٢٢ .

( ٤ ) سنن النسائى ٤ / ٢٤ .



٣- وعن جابر مرفوعا ( من مات له ثلاث من الولد فاحتسبهم دخل الجنة

قلنا يارسول الله واثنان قال محمود قلت لجابر اراكم لو قلدتم وواحد

لقال وواحد قال وانا أظن ذلك ) ( ١ )

وقد عقب ابن حجر على هذه الأحاديث الثلاثة الاخيرة التي ليس فيها

الجزم بالحدان الواحد بالثلاثة بأنها أصح من الثلاثة الأحاديث

السابقة التي تجزم بحصول الثواب بالواحد كالثلاثة وذكر ( ٢ )

ان أصح ماورد في اثبات ثواب الواحد بالثلاثة هو ما رواه البخاري

عن ابي هريرة مرفوعا ( يقول الله عز وجل ما لعبدي المؤمن عندي جزاء

اذا قبضت صغيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة ) ( ٣ )

قال ابن حجر : " وهذا يدخل فيه الواحد فما فوقه )

وأما ماورد من ان السائلة لم تسأله عن من فقد واحد فهذا لا يمنع

من حصول الفضل لمن مات له واحد فسلمه صلى الله عليه وسلم سئل

بعد ذلك عن الواحد فأخبر بذلك أو انه اعلم بأن حكم الواحد حكم

ما زاد عليه فأخبر به ) ( ٤ )

وظهر ان فقد الاولاد من واحد فصاعدا مما ثبت به الأجر لوالديه

---

( ١ ) أخرجه أحمد ج ص : ( فتح الباري ٣ / ١١٩ ) .

( ٢ ) فتح الباري ٣ / ١١٩ .

( ٣ ) البخاري كتاب الرقان ١١ / ٢٤٢ .

( ٤ ) فتح الباري ١١ / ٢٤٣ .

فمن قصر الحكم على الثلاثة أو الاثنين فقط فان قوله بعد مما لا دليل لسه عليه وقد وقع في هذا الامام القرطبي رحمه الله فانه يرى ان هذا الحكم يختص بموت الثلاثة واما ما عداهم من الأربعة والخمسة فصاعدا فلا يشمل حصول ذلك الثواب والشفاعة فيه وهذا في قوله : " وانما خصت الثلاثة بالذكر لانها أول مراتب الكثرة فبمظم المصيبة يكثر الأجر فأما اذا زاد عليها فقد يخف أمر المصيبة لانها تصير كالعادة كما قيل " روعت بالبين حتى ما اراع لسه ) وقد علق ابن حجر على هذا الرأي للقرطبي بأنه " جمود شديد فان من مات له اربعة فقد مات له ثلاثة ضرورة لأنهم ان ماتوا دفعة واحدة فقد مات له ثلاثة وزيادة ولا خفاء بأن المصيبة بذلك اشد وان ماتوا واحدا بعد واحد فان الأجر يحصل له عند موت الثالث بمقتضى وعد الصادق فيلزم على قول القرطبي انه ان مات له الرابع ان يرتفع عنه ذلك الأجر مع تجدد المصيبة وكفى بهذا فسادا " (١)

واضافة الى ما تقدم نذكر بعض المسائل التي اشتلت عليها النصوص السابقة وهي :-

١- هل تقييد حصول ذلك الثواب بموت الأولاد بما اذا ماتوا قبل أن يبلغوا الحنث ( ٤ ) بحيث ان من بلغ الحنث ثم مات لا يحصل ذلك الثواب لو اذنيه

(١) فتح الباري ٣/ ١٢٢ .

(٢) قال ابن حجر لم يبلغوا الحنث " كذا للجميع بكسر المهملة وسكون النون بمدّها مثلثة ، وحكى ابن قرقول عن الداودي انه ضبطه بفتح المصحفة والموحدة وفسره بأن المراد لم يبلغوا ان يمطوا المعاصي قال ولم يذكروه

بسبب موته في هذا السن ام ان ذلك غير مراد .

٢- وهل ذلك الجزاء خاص بفقد اولاد المراد من صلبه ام يدخل في الاولاد  
أولاد الاولاد .

٣- وهل لفظ الحديث " لا يموت لمسلم . . . خاص بمن مات له اولاد في حال  
اسلامه أم يشمل هذا الثواب ايضا من مات له اولاد في حال كفره  
ثم أسلم ؟

الواقع ان هذه المسائل كلها محل بحث ونظر بين العلماء .

أما حصول ذلك الثواب بفقد الولد الكبير الذي بلغ الحنث ثم مات  
فقد اختلفت وجهات العلماء فيه :

١- فبعضهم - وهم كثير من العلماء - (١) ذهبوا الى عدم ثبوت ذلك الثواب  
بفقد الولد الكبير وعللوا لهذا بأن الشفقة على الصغير أعظم والحب له  
أشد والرحمة له أوفر وكذلك فان الصغير لا يتصور منه صدور العقو~~ب~~  
المقتضى لعدم الرحمة .

---

(=) كذلك غيره والمحفوظ الاول والمعنى لم ييلفوا الحلم فتكتب عليهم الاثام  
قال الخليل : بلغ الغلام الحنث اذا جرى عليه القلم والحنث الذنب  
قال الله تعالى ( وكانوا على الحنث العظيم ) وقيل المراد بلغ  
الى زمان يؤخذ بيمينه اذا حنث وقال الراغب عبر بالحنث عن البلوغ  
لما كان الانسان يؤخذ بما يرتكبه فيه بخلاف ما قبله وخص الاثم بالذكر  
لانه الذي يحصل بالبلوغ .

٢- وذهب الزين ابن المنير الى أن فقد الولد الكبير يحصل به ذلك  
الثواب من طريق الفحوى " لانه اذا ثبت ذلك فى الطفل الذى هو  
كل على ابويه فكيف لا يثيب فى الكبير الذى بلغ معه السعى ووصل له منه  
النفع وتوجه اليه الخطاب بالحقوق " (١)

ويرجع ابن حجر فيما يظهر القول بأنه لا يلحق حكم الصفار بالكبار  
فهو يقول: " ويقوى الأول قوله فى بقية الحديث بفضل رحمته اياهم " لأن  
الرحمة للصفار أكثر لعدم حصول الاثم منهم " (٢)

وهذا التعليق يصدق فيما اذا كان التعليق لوصول الثواب يحصل  
بالنظر الى محبة الولد أو عدم محبته ، لكن الرسول صلى الله عليه  
وسلم لم يبين وصول الثواب على المحبة وعدمها بل ذكر وصول الثواب  
استنادا الى الأغلب فى طبائع الناس من محبة الاولاد الصفار والتعلق  
بهم .

قال ابن حجر: " ولم يقع التقييد فى طرق الحديث بشدة الحب ولا عدمه  
وكان القياس يقتضى ذلك لما يوجد من كراهة بعض الناس لولده وتبرصه  
منه ولا سيما من كان ضيق الحال لكن لما كان الولد مظنة المحبة والشفقة  
ينظ به الحكم وان تخلف فى بعض الأفراد " (٣)

(١) فتح البارى ٣/١٢٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

وأما الضمير في قوله " بفضل رحمته اياهم " فهو يعود (١) الى الله تعالى  
أى بفضل رحمة الله للاولاد .

٢- وقال ابن التين : " قيل ان الضمير في رحمته للاب لكونه كان يرهمهم  
في الدنيا فيجازى بالرحمة في الآخرة .

ولكن ابن حجر ، يرجح ان الضمير عائد الى الأول أى بفضل رحمة الله  
للاولاد ، واستدل على هذا بما ورد من روايات تفيد عود الضمير الى  
رحمة الله للاولاد ومنها :-

١- ما أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : ( ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الا ادخلهم  
الله الجنة بفضل رحمة الله اياهم " (٢)

٢- وما أخرج النسائي عن ابي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
( ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة اولاد لم يبلغوا الحنث الا غفر الله لهما  
بفضل رحمته اياهم ) (٣)

٣- وللطبراني وابن حبان من حديث الحارث بن أقيش مرفوعا ( ٤ )  
( ما من مسلمين يموت لهما اربعة اولاد الا ادخلهما الله الجنة بفضل  
رحمته ) .

(١) فتح الباري ٣/١٢٠ .

(٢) سنن ابن ماجه ١/٥١٢ .

(٣) سنن النسائي ٤/٢٤ .

(٤) انظر: فتح الباري ٣/١٢٠ - ١٢١ . والحارث هو ابن أقيش: بقاف معجمة  
مصفر .

٤- حديث عمرو بن عبسة عند الطبراني " الا أدخله الله برحمته هو واياهم

الجنة ( ١ )

وأما الضمير في اياهم فهو يعود الى الاولاد لا الآباء (٢)

وأما ما جاء في التقييد بحصول الثواب لمن مات له الاولاد وهو في حال

اسلامه فهو ما افاده ظاهر حديث أنس المتقدم ذكره ، وهل يشمله ثواب

أولاده الذين ماتوا قبل ان <sup>يسلم</sup> x فان هذه المسألة فيها احتمال (٣) وقد

وردت روايات تفيد عدم ذلك كما عند الامام احمد من حديث ابي شعيبسة

الاشجعي قال : " قلت مات لي يارسول الله ولدان في الاسلام فقال من

مات له ولدان في الاسلام أدخله الله عز وجل الجنة بفضل رحمته اياهما "

الحديث . (٤)

وأخرج الامام أحمد كذلك من حديث عمرو بن عبسة انه قال لمن سأله ان

يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ليس فيه وهم ولا انتقاص

(٢) - (٣) انظر: فتح الباري ٣ / ١٢٠ - ١٢١ .

(٤) مسند أحمد ٦ / ٣٩٦ .

قال : " سمعته يقول من ولد له ثلاثة أولاد في الاسلام فماتوا قبل أن يبلغوا

الحنث ادخله الله الجنة برحمته اياهم " (١)

وأخرج كذلك حديثا عن امرأة يقال لها رجاء قالت كنت عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذ جاءت امرأة بابن لها فقالت يا رسول الله ادع لى

فيه بالبركة فانه قد توفى لى ثلاثة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمنذ اسلمت قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( الجنة حصينة

فقال لى رجل اسمعى يا رجاء ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأورد

حديثا آخر عن امرأة يقال لها ماوية بمعنى ما تقدم " (٢)

وهل ثبت ذلك الثواب بما اذا كان المتوفون من الاولاد من الصلب كما تفيد

ظواهر النصوص أم لا .

قال ابن حجر: " الظاهر ان المراد من ولد الرجل حقيقة " (٣)

ويستدل لهذا بما اخرج النسائي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : من احتسب من صلبه ثلاثة دخل الجنة " (٤) . . . . الحديث .

وبما اخرج الامام أحمد من حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال : ( من ائكل ثلاثة من صلبه فاحتسبهم على الله وجبت له الجنة ) ( ٥ )

(١) المسند ٣٨٦/٤

(٢) المصدر السابق ٨٣/٥

(٣) فتح البارى ١٢٠/٣

(٤) سنن النسائي ٢٤/٤ وقد تقدم تخريجه .

(٥) المسند ١٤٤/٤

وأما دخول أولاد الأولاد - عدا أولاد البنات - في ثواب الأولاد فقد ذكر ابن حجر أن هذا محل بحث ونظر ثم قال :

" والذي يظهر أن أولاد الصلب يدخلون ولا سيما عند فقد الوسائط منهم وبين الاب ، وفي التقييد بكونهم من صلبه ما يدل على إخراج أولاد البنات (١) ولعل هذا فيما يتعلق بالثواب .

أما من ناحية إطلاق التسمية فإن الصحيح هو صحة إطلاق البنت على بنت بنت وإن كان بعض العرب قد خالف هذا كما في قول الشاعر :

بنونا بنو ابناؤنا وبناتنا . . . بنوهن أبناء الرجال الأبعد

ولكن يرد هذا ما جاء في مناسبات كثيرة من إطلاق قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأولاد ابنته فاطمة الحسن والحسين أنهم أبناءه فقد قال صلى الله عليه وسلم حينما كان الحسن إلى جانبه إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به

بين ففتين عظيمتين من المسلمين . (٢)

وقد قال ابن حجر في شرح هذا الحديث :

" وفيه إطلاق الابن على ابن البنت . (٣)

(١) فتح الباري ٣/١٢١ .

(٢) أخرجه البخاري ٥/٣٠٧ .

(٣) فتح الباري ١٣/٦٧ .



- ( شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض ) -

وثبت كذلك ان الصالحين من المؤمنين يشفعون في اخوانهم الذين في النار وهم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فدخلوا النار تطهيرا لهم .  
ومن الأدلة على ذلك :-

ما جاء عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال ( قلنا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس والقمر اذا كانتا صحوحا ؟ قلنا : لا ، قال : فانكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ الا كما تضارون في رؤيتهما ، ثم قال : ينادى مناد ليذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الاوثان مع اوثانهم وأصحاب كل آلهة مع الهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من براو فاجر وفيرات من أشبل الكتاب ثم يوتى بجهنم تعرض كأنها سراب ، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون قالوا : كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبه ولا ولد فما تريدون قالوا نريد ان تسقيننا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبه ولا ولد فما تريدون فيقولون نريد ان تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من براو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم

(١) قال النووى " واما خبر: فيضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة

ومعناه بقايا جمع فابر " شرح النووى ١/٤٣٥ .

وقد ذهب الناس فيقولون فارقناهم ونحن احوج منا اليه اليوم وانما  
سمعنا مناديا ينادى ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وانما انتظرننا  
ربنا ، قال فيأتهم الجبار في صورته غير صورته التي رآوه فيها أول مرة  
فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فلا يكلمه الا الأنبياء فيقول هل بينكم  
وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون الساق فيكشف عن ساق فيسجد له كل مؤمن  
وببقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيمما يسجد فيعود  
ظهره طبقا واحدا ثم يوتى بالجسر فيجعل بين ظهرى جهنم قلنا  
يا رسول الله وما الجسر ؟ قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليسب  
وحسكه مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان المؤمن  
عليها كالطرف والبرق والريح وكأجاويد الخيل والراكب فناج مسلم  
وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً فما انتم  
بأشد لى مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجهنم  
واذا رأوا انهم قد نجوا فى اخوانهم يقولون ربنا اخواننا الذين كانوا يصلون  
معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الله تعالى اذ هبوا فمن وجدتم  
فى قلبه مثقال دينار من ايمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار  
فيأتونهم وبعضهم قد غاب فى النار الى قدمه والى انصاف ساقه فيخرجون  
من عرفوا ثم يعودون فيقول اذ هبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار  
فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول اذ هبوا فمن وجدتم فى قلبه

مثقال ذرة من ايمان فاخرجوه فيخرجون من عرفوا قال أبو سعيد فان لم تصدقوني فاقروا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار بقيت شفاعتي (١) فيقبض قبضة من النار فيخرج اقواما قد امتعشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال لسه ماء الحياة فينبتون في حافته كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها الى جانب الصخرة والى جانب الشجرة فما كان الى الشمس منها كان اخضر وما كان منها الى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هو لا عتقاء الرحمن ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا غير قد موه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه (٢)

وقد اشتمل هذا الحديث على مسائل منها اثبات رؤية الله تعالى واثبات الصراط وصفته وكيفية مرور الناس عليه وكذلك اثبات شفاعت الملائكة والانبياء وبعض تلك المسائل قد سبق ذكرها وبعضها سيأتي ، والقصد من ايراد هذا الحديث هنا هو اثبات شفاعت الصالحين من المؤمنين والعاجم فسي طلب الشفاعة الى الله تعالى لاخراج اخوانهم من أهل الكباثر من النار

---

(١) بمعنى انه سبحانه يتفضل باخراجهم من النار بلا واسطة احد ،

انظر: تكملة شرح الصدور ص: ٣٦ .

(٢) صحيح البخارى ١٣ / ٤٢٠ - ٤٢٢ ، ومسلم ١ / ٤٣٤ - ٤٤٢ .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى رواية البخارى للحديث " فما انتم بأشد لــــه  
مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار " ( )  
وقعت هذه الجملة فى صحيح مسلم من رواية أبى سعيد هكذا " حتى اذا  
خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما منكم من احد بأشد مناقشة لله  
فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار"  
وقد اختلف العلماء فى ضبط كلمة " استقصاء " ذكر النووى ان بعضهم يروونها  
" استيضاً ، وبعضهم استضاء ، وبعضهم استيفاً ، وبعضهم استقصاء  
والمعنى ما انتم بأشد مناقشة فى استقصاء الحق فى الدنيا من المؤمنين لله  
يوم القيامة لاخوانهم وهذا جواب القاضى عياض فيما ينقله عنه النووى وخطأ  
القاضى عياض الروايات الاخرى وقال بأن معنى تلك الرواية " استقصاء " بها  
يتم الكلام ويتوجه ورد عليه النووى بأنه " ليس الامر على مقاله بل جميع الروايات  
التي ذكرناها صحيحة لكل منها معنى حسن " ثم قال : وقد جاء فى رواية  
يحيى بن بكير عن الليث " فما انتم بأشد مناقشة فى الحق ( قد تبين لكم ) من  
المؤمنين يومئذ للجبار تعالى وتقدس اذا رأوا انهم قد نجوا ( فى اخوانهم )  
وهذه الرواية التي ذكرها الليث توضح المعنى  
فمعنى الرواية الاولى ، والثانية : انكم اذا عرض لكم فى الدنيا امرهم والتبسوس  
الحال فيه وسألتم الله تعالى بيانه وناشدتموه فى استيضائه وبالغتم فيها  
لا تكون مناقشة احدكم مناقشة بأشد من مناقشة المؤمنين لله تعالى نفسى  
الشفاعة لاخوانهم " .

وأما الرواية الثالثة والرابعة فمعناها أيضا : ما منكم من احد يناشد الله تعالى في الدنيا في استيفاء حقه أو استقصائه وتحصيله من خصمه والمتعدى عليه بأشد من مناقدة المؤمنين الله تعالى في الشفاعة لاخوانهم يوم القيامة<sup>(١)</sup> وقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من ايمان فأخرجوه "

هذا الخطاب للمؤمنين الذين طلبوا الشفاعة الى الله تعالى .

وفي رواية ابي هريرة عند البخارى أن الخطاب للملائكة لقوله ( أمر الملائكة ان يخرجوهم ) (٢)

وفي حديث انس عنده ان الذى يخرجهم هو الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله " ثم اشفع فيحد لى حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة " (٣)

ولا منافاة بين تلك الروايات بل يجمع بينها بأن الله حينما شفيع المؤمنين والرسول يأمر تعالى الملائكة بمباشرة اخراج ألك من النار ممن امرتهم الرسل باخراجه منها (٤)

ومن الصناحي عن عبادة بن الصامت انه قال دخلت عليه وهو فى الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكى ؟ فوالله لئن شهدت لاشهدن لك ولئن شفعت لاشفعن لك ولئن استطعت لانفسنك ثم قال والله ما من حديث سمعته من

(١) شرح النووى لمسلم ٤٣٨/١ - ٤٣٩ .

(٢) صحيح البخارى ٤٤٥/١١ " الفتح "

(٣) صحيح البخارى ٤١٧/١١ " الفتح "

(٤) انظر: فتح البارى ٤٥٦/١١ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خيرا لا أحد شكوه الا حديثا واحسدا  
وسوف أحد شكوه اليوم وقد احيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : ( من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه

النار ) (١)

وأخرج الامام احمد من مسند ابى بكر الصديق فى اثبات شفاعة الصالحين

من المؤمنين قوله صلى الله عليه وسلم ( ثم يقال ادعوا الانبياء فيشفعون ثم

يقال ادعوا الصديقين فيشفعون ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون ) (٢)

وكذا حديث ابى بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ( يحصل

الناس على الصراط فينجى الله من شاء برحمته ثم يؤذن فى الشفاعة للملائكة

والنبيين والشهداء والصديقين فيشفعون ) (٣) الحديث .

كما ثبت ايضا حصول شفاعة المؤمنين لاخوانهم قبل يوم القيامة وذلك فى

الدنيا وهى استشفاعهم الى الله تعالى فى الصلاة على من مات منهم بالرحمة

والخفران والتجاوز فقد أخرج الامام مسلم رحمه الله عن عائشة عن النبى

صلى الله عليه وسلم ( ما من ميت تصلى عليه امة من المسلمين يبلغون مائة

كلهم يشفعون له الا شفصوا فيه ) (٤)

وأخرج كذلك عن عبد الله بن عباس انه مات ابن له بقديد او بعسفان فقال

(١) صحيح مسلم ١/١٩٢ .

(٢) مسند احمد ١/٥٥ .

(٣) مسند احمد ٥/٤٣ .

(٤) صحيح مسلم ٢/٦١٣ .

فقال : يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا  
له فأخبرته فقال تقول هم اربعون قال نعم قال فاخرجوه فاني سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( ما من رجل مسلم يموت فيقوم على  
جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعم فيه ) (١)  
وتمام الحديث عند ابن ماجه ( ما من اربعين من مؤمن يشفعون لمؤمن  
الا شفعم الله فيه ) (٢)

وأخبر ابن ماجه عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له (٣) وقد وردت الاحاديث  
بروايات مختلفة في تحديد العدد المطلوب لصحة وقوع الشفاعة في الميت  
ففي بعضها تحديد العدد بمائة مصل وفي بعضها اربعين وفي بعضها  
بثلاثة صفوف قلت أو أكثر وفي بعضها " امة " دون ذكر العدد .  
وهذا الخلاف ليس هو من باب التعارض والاضطراب فلا تنافي بينها لتيسر  
الجمع فيجمع بينها بما نقله النووي عن القاضي قوله :  
قيل " هذه الاحاديث خرجت اجوبة للسائلين سألوا عن ذلك فأجاب كل واحد  
منهم عن سؤاله ثم قال النووي : " ويحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه  
وسلم اشهر بقبول شفاعته مائة فأخبر به ثم بقبول شفاعته اربعين ثم ثلاثة صفوف

(١) مسلم ٦١٣/٢ .

(٢) سنن ابن ماجه ٤٧٧/١ .

وان قل عدد هم فأخبر به ويحتمل أيضا ان يقال هذا مفهوم عدد لا يحتج به جماهير الاصوليين فلا يلزم من الاخبار عن قبول شفاعاة مائة منع قبول ما دون ذلك ، وكذا في الاربعين مع ثلاثة صفوف وحينئذ كل الأحاديث معمول بها ويحصل الشفاعاة بأقل الامرين من ثلاثة صفوف واربعين ( ١ )

وكذا الرواية التي فيها ذكر الامة فانها لا تنافى رواية الأربعين ولا المائسة لدخول ذلك العدد في لفظ الامة .

وانما ذكرنا هذه الشفاعاة - أي شفاعاة المؤمنين بعضهم لبعض في الدنيا كالدليل على شفاعاة بعضهم لبعض في الآخرة لانه اذا ثبت أن المؤمنين يشفعون لبعضهم في الدنيا بطلب المغفرة فانه يدل على ان شفاعاتهم لبعضهم البعض مقبولة في الآخرة اذ لا فرق بين ما هنا في الدنيا وهناك في هذا الموضوع كيف وقد جاءت السنة مبينة كذلك وموضحة له .

وقد سبق في بحث أقسام الشفاعات الثابته ان سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب ويذكر البغدادى هنا ان كل واحد من آلك السبعين يشفع أيضا في سبعين الفا وذلك في قوله عن رأى السلف

" وقالوا بما ورد به الخبر بأن سبعين الفا من امة الاسلام يدخلون الجنة بلا حساب منهم عكاشة بن محصن وان كل واحد منهم يشفع في سبعين الفا" (٢)

(١) شرح النووى ٦١٣/٢ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٣٥٩ .



وإذا ثبتت شفاعة المؤمنين لاخوانهم من أهل الكبائر فإن مما ينبغي معرفته  
ان شفاعتهم تختلف في القلة والكثرة بحسب مراتبهم .

فمنهم من يشفع للعدد الكثير من الناس ومنهم من يشفع لعدد القليل حتى  
ان بعضهم يشفع في الرجل الواحد .

فقد روى الامام احمد عن ابي برزة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول ان من امتي لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضروان من امتي لمن يعظم  
للنار حتى يكون ركنا من اركانها ( ١ )

وفي حديث أنس : " ان الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة " ( ٢ )

وورد عن ابي سعيد ما يفيد ان من الناس من يشفع للقبيلة باكملها ومنهم من  
يشفع لجماعة من الناس ومنهم من يشفع لاقبل من ذلك ومنهم من يشفع للرجل  
لما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( ان من امتي من يشفع  
للفئام (٣) ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع  
للرجل حتى يدخل الجنة ) ( ٤ )

ولابن ماجه عن عبد الله بن قيس قال : كنت عند ابي برزة ذات ليلة فدخسل  
علينا الحارث بن اقيش فحدثنا الحارث ليلتئذ أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال : ( ان من امتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضروان من امتي

---

(١) رواه أحمد ٢١٢/٤ بوقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٨١/١٠ رواه أحمد  
ورجاله ثقات .

(٢) رواه البزارج : ص : ورجاله رجال الصحيح كما قال المنذرى ٤٤٥/٤

(٣) الفئام الجماعة من الناس

(٤) أخرجه الترمذى ٦٢٧/٤ ثم قال : " قال ابو عيسى هذا حديث حسن "

من يعظم للنار حتى يكون احد زواياها ( ١ )

وعن ابي امامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : ( ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين أو مثل أحمد

الحيين ربيعة ومضر ) ( ٢ )

وأخرج ابن ماجه عن عبد الله بن شقيق قال : جلست الى قوم انا رابعهم فقال

احد هم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليدخلن الجنة بشفاعة

رجل من امتى أكثر من بنى تميم قلنا سواك يا رسول الله ؟ قال : سواى

قلت انت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فلما قام

قلت من هذا قالوا ابن الجدعاء أو ابن ابي الجدعاء " ( ٣ )

وقد جاء التصريح باسم هذا الرجل فى رواية الترمذى عن الحسن البصرى

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( يشفع عثمان بن عفان يوم القيامة

فى مثل ربيعة ومضر ) ( ٤ )

---

( ١ ) سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٤٦ .

( ٢ ) المسند ٥ / ٢٥٧ .

( ٣ ) أخرجه ابن ماجه ٢ / ١٤٤٤ الا أنه قال عن شقيق عن عبد الله بسنن

ابى الجدعاء ورواه الترمذى ٤ / ٦٢٦ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب

وأخرجه احمد ٤ / ٤٦٩ .

( ٤ ) الترمذى ٤ / ٦٢٧ .

وهذا الحديث من رواية الحسن البصرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وفيه راو ضعيف وهو جسر ويكنى ابا جعفر كما ذكر الآجرى (١)  
واذا كان هذا الرجل المبهم هو عثمان بن عفان رضى الله عنه فقد أورد  
صاحب منتخب كنز العمال روايات كثيرة فى فضائل عثمان رضى الله عنه ومزيته  
فى الشفاعة وفى بعضها - كما فى رواية ابن عساكر عن ابن عباس وابى شريفة  
ان عثمان يشفع فى سبعين الفا كلهم تد استوجبوا النار ونصه :  
( ليدخلن الجنة بشفاعة عثمان سبعون الفا كلهم استوجبوا النار الجنة بخير  
حساب ) (٢)

وفى رواية أخرى ( ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من امتى عدد ربيعة ومضر  
قيل من هو يارسول الله قال عثمان بن عفان ) (٣)  
ويرويه ابن عساكر عن الحسن مرسلًا وهذه الروايات ذكرها صاحب كنز العمال  
وعزاها الى ابن عساكر ولم أجد من ذكرها بالصحة .  
ولاشك ان شفاعة عثمان رضى الله عنه داخلة فى شفاعة المؤمنين ، وعثمان  
من أوائل الصالحين من المؤمنين فشفاعته تقع فى مجموع آلك غير ان تحديس  
من يشفع لهم فى عدد معين مثل سبعون الفا أو غير ذلك يحتاج الى اثبات .

---

(١) الشريعة ص ٣٥١ .

(٢) منتخب كنز العمال مع المسند ٥ / ٣ .

(٣) المصدر السابق ٥ / ٧ .

ومما ينبئى الالتفات اليه ان الأجدد بالمسلم ان يستكثر من الأصدقاء الصالحين لما روى البهوى باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه " فسى شفاة الأصدقاء من المؤمنين لاصدقائهم الذين فى النار انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( ان الرجل ليقول فى الجنة ما فصل بصديقى فلان ؟ وصديقه فى الجحيم فيقول الله تعالى اخرجوا له صديقه الذى الجنة فيقول من بقى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ) (١)

قال الحسن رحمه الله تعالى استكثروا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاة يوم القيامة ( ٢ )

فينبئى الحرص على مادة المؤمنين والتقرب الى الله تعالى بمحبتهم رجاء نفعهم من شفاة او دعاء ، وان لا يوجه الشخص همه الى مادة أهل الجاه أو يحرص على ذلك فرب أشعث اغبر مد فوع بالا بواب لو اقسم على الله لأبسرره يكون يوم القيامة انفع من ملء الارض من أهل الجاه والكلمة فى الدنيا البعيد بين عن الله تعالى ولقد احسن البصرى فى قوله السابق " استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فان لهم شفاة يوم القيامة . "

وعن يحيى بن سعيد المسمى قال : " كان قتادة اذا قرأ " فمالنا من شافعين

ولا صديق حميم ) ( قال يعلمون والله ان الصديق اذا كان صالحا نفع وان الحميم اذا كان صالحا شفع ) (٣) وهناك احاديث فى هذا المعنى غير انهما

(١) سورة الشعراء : آية : ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) معارج القبول ٢ / ٢٥١ .

(٣) جامع البيان ١٩ / ٨٩ .

لم تخل من ضعف مثل حديث: " أكثروا من الاصدقاء فانكم شفعا بعضكم

في بعض )

الا أنه في اسناده محمد بن النضر وليس بثقه (١)

وكذا حديث أكثروا من المعارف من المؤمنين فان لكل مؤمن شفاعة عند الله

يوم القيامة في اسناده أصرم وهو كذاب . (٢)

• • • \* \* \* \* \* • • •

---

(١) الفوائد المجموعة ص ٥١١ .

(٢) المصدر السابق .

- ( شفاعة القرآن الكريم ) -

مممممممممم

وكذلك فان من مظاهر رحمة الله تعالى وكرمه على عباده ان جعل القرآن الكريم ايضا من الشفعاء المقبول شفاعتهم ، وليس ذلك فقط بل أيضا يطلب المزيد من الاكرام لصاحبه .

وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله تعالى وتقدس وهو حبله المتين وصراطه المستقيم انزله على افضل خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجعل تلاوته ثوابا في الدنيا لكل حرف حسنة وشفاعة في يوم القيامة ، ولما كان القرآن الكريم كذلك فلا بد لنا من ايضاح بعض النقاط الآتية :-

١- بيان الفضل العظيم الذي ورد في القرآن عموما

٢- وبيان ما جاء في افضلية بعض سور القرآن وكلها فاضلة

٣- وبيان ما ورد من نصوص كذلك تحت على قراءة القرآن والمواظبة على ذلك .

الرؤى

فقد قال صلى الله عليه وسلم محرضا على قراءة القرآن ( مثل الذى يقرأ القرآن

كالاترجة طعمها طيب وريحها طيب والذى لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب

ولا ريح فيها ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها

مرّ ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ) (١)

وقال صلى الله عليه وسلم ( لا حسد الا على اثنتين رجل آتاه الله الكتاب وقام به

آناه الليل ورجل اعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناه الليل وآناه النهار ) ( ٢ )

(١) صحيح البخارى ٦٦/٩

(٢) المصدر السابق ص ٧٣ .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة عن فضل بعض الآيات والسور مثل سورة البقرة والكهف والفتح وقل هو الله أحد والمعوذتين ، وآية الكرسي وغير ذلك مما لا تطيل بالاستدلال عليه .

فينبغي على كل مسلم ان يكثر من قراءة القرآن بتدبر وعناية وان يحتسب ذلك عند الله تعالى ليأخذ جزاءه في يوم القيامة وان يحذر ان يتصف بأنه مسن الذين اتخذوه مهجورا .

وفيما يلي نعرض بعض النصوص التي يتعلق بها فرض البحث

فمما ورد في شفاعة القرآن عموما ما جاء عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اعملوا بالقرآن احلوا حلاله وحرموا

حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه الى الله والى

أولى الأمر من بعدى كيما يخبروكم وآمنوا بالتوراة ، والانجيل ، والزبور وما اوتى

النبيون من ربهم وليسحكم القرآن فانه شافع مشفع وما حل مصدق الا ولكل آية

نور يوم القيامة وانى اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه وطواسين

وحواميم من ألواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش ) (٢)

ومن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( القرآن

---

(١) انظر: صحيح البخارى ٥٥/٩ - ٦٦ .

(٢) أخرجه الحاكم ٥٦٨/١ وقال : " هذا حديث صحيح الاسناد ولم يشرفاه "

ومعنى كلمة ما حل مصدق " بفتح الدال أى " خصم مجادل مصدق وقيل

ساع مصدق من قولهم محل بفلان اذا سعى به الى السلطان يعنى ان من

====

شافع مشفع وماحل مسدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه

ساقه الى النار ( ١ )

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( الصيام والقرآن  
يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام اى رب منعتك الطعام والشهوات بالنهار  
فشفعنى فيه . ويقول القرآن : منعتك النوم بالليل فشفعنى فيه قال فيشفعان )<sup>(٢)</sup>

وعن ابن هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم الشافع القرآن لصاحبه  
يوم القيامة يقول يارب اكرمه فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده ارضى عنه  
فليس بعد رضى الله شىء )<sup>(٣)</sup>

وعن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( يجيب القرآن يوم  
القيامة فيقول يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة  
ثم يقول يارب ارضه . عنه فيرضى عنه فيقال له اقرأ وارق وتزاد بكل آية حسنة )<sup>(٤)</sup>

وهذا نفع من القرآن الكريم لاهله اضافة الى الشفاعة .

---

( = ) اتبعه وعمل بما فيه فانه شافع له مقبول الشفاعة ومصدق عليه فيما يرفسح

من مساويه اذا ترك العمل به" انظر: النهاية لابن الاثير ٤ / ٣٠٣ .

(١) المسند ٢ / ١٧٤ وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ، المستدرک ١ / ٥٥٤

(٢) الحليه ٧ / ٢٠٦ .

(٣) أخرجه الترمذى ٥ / ١٧٨ وقال : " هذا حديث حسن صحيح " .



وأخرج الامام أحمد من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( وان القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفنى فيقول ما اعرفك فيقول له هل تعرفنى فيقول ما اعرفك فيقول انا صاحبك القرآن الذى أطمأنتك فى الهواجر واسهرت ليلك وان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة فيمطى الطك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بم كسبنا هذه فيقال بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال له اقرأ أو صعد فى درجة الجنة وغرفها فهو فى صعود مادام يقرأ هذا كان أو ترتيلا ) (١)

ومما ورد فى شفاة بعض سور القرآن الكريم خصوصا مثل سورة البقرة وآل عمران ما اخرج مسلم وغيره عن جبير بن نفير قال : سمعت النواس بن سمعان الكلابى يقول : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال مانسيتهن بعد ، قال كأنهما غماتان (٢)

---

(١) المسند ٥/٣٤٨ .

(٢) وفى رواية ستأتى غيايتان " قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شىء اظل الانسان فوق رأسه من سحابه وغبرة وغيرها . قال العلماء : المراد ان ثوابهما يأتى كغماتين " شرح النووى لمسلم ٢/٥٥٧ .

أو ظلتان سوداوان بينهما شرق<sup>(١)</sup> أو كأنهما هزقان<sup>(٢)</sup> من طير صواف<sup>(٣)</sup> تحاجان  
عن صاحبهما<sup>(٤)</sup> .

قال الترمذى : " ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم انه يجيب<sup>(٥)</sup> ثواب  
قراءته كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث  
انه يجيب<sup>(٥)</sup> ثواب قراءة القرآن وفي حديث النواس بن سميان عن النبي صلى الله  
عليه وسلم ما يدل على ما فسروا ان قال النبي صلى الله عليه وسلم ( واهله  
الذين يعملون به فى الدنيا ففى هذا دلالة أنه يجيب<sup>(٥)</sup> ثواب العمل ) (٥)  
وعن ابى امامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول ( اقرؤوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيما لاصحابه اقرؤوا الزهراوين<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) أى ضياء ونور .  
(٢) هزقان وفى رواية فرقان " معناهما واحد وهما قطيمان وجماعتان يقال  
فى الواحد فرق وخرق وحزيقه أى جماعة .  
(٣) ومعنى صواف ؟ أى باسطات اجنحتها فى الطيران ، والصواف جمع صافه  
النهاية لابن الاثير ٣ / ٣٨ .  
(٤) أخرجه مسلم ٢ / ٤٥٧ والترمذى ٤ / ٢٣٥ .  
(٥) سنن الترمذى ٤ / ٢٣٥ .  
(٦) سميت بالزهراوين " لنورهما وهدايتهما وعظيم أمرهما " شرح النووى لمسلم  
٢ / ٤٥٧ .

البقرة وسورة آل عمران فانهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأ سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ( ١ )

وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ( ان سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك ) ( ٢ )  
وبهذا تكون شفاعة القرآن ثابتة لاهله اكراما من الله تعالى لكلامه وللمشفوع له كذلك كما ثبت من أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم .

٢- الشفعاء الذين وردت بهم روايات لم تبلغ درجة الصحة فلم تثبت صحة شفاعتهم "

ما سبق عرضه اتضح ان هناك شفعاء في يوم القيامة قد ثبتت شفاعتهم بالنصوص الصحيحة وهم من قدمنا ذكرهم .

وبعد هذا نود التنبيه بايجاز الى بعض ما قيل من ثبوت الشفاعة لشفعاء لم يرد بذكرهم نص صحيح وهم :

١- ما قيل من شفاعة بعض الجمادات كالحجر الاسود .

٢- أو بعض الاعمال كقراءة قل هو الله أحد الف مرة .

٣- أو بعض الاشخاص كالمؤمنين والحجاج

---

(١) البطلة : قال معاوية بلغني ان البطلة السحرة " المصدر السابق .

( شرح النووي لمسلم ) والحدِيث أخرجه مسلم ٤٥٧ / ٢ .

(٢) أخرجه الترمذى ٢٣٨ / ٤ .

وقد ذهب بعض الذين وقفوا على الروايات المثبتة للشفاة في آلك الى القول بشفاة من ذكرناهم ظانين ان الروايات التي وردت فيهم صحيحة ، ولكن بعد البحث عنها - فيما تيسر لي الاطلاع عليه - تبين انها لم تبلغ درجة الصحة فبعضها ضعيف وبعضها موضوع كما يتبين ذلك فيما يلي :

١- اما ما يقال عن شفاة الحجر الأسود فقد ذكر الهيثم في ما يعزوه الى الطبراني وعائشة رضى الله عنها انها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اشهدوا هذا الحجر خيرا فانه يوم القيامة شافع مشفع له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه ) (١)

وهذا الحديث ضعيف لأن في اسناده راويا مجهولا وهو الوليد بن عباد ولأنه كذلك لم يوجد حديث صحيح يثبت شفاة الحجر الأسود لمن استلمه بل لم يرد لمن يستلمه مزية غير اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كسائر القربات كما يفيد قول عمر رضى الله عنه الثابت في الصحيحين " والله انى لا قبلك وانى أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك " (٢)

فعمد رضى الله عنه يقول للحجر - ويقصد بالخطاب اسماع الحاضرين - والله انى لا قبلك وانى أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع أى فلا مضرة ولا نفع فيك بل الضرر والنفع انما هو من الله عز وجل .

---

(١) مجمع الزوائد ٢٤٢/٣ وقال " رواه الطبراني في الاوسط وفيه الوليد بن

عباد وهو مجهول وبقية رجاله ثقات " .

(٢) البخارى ١٦٢/٢ ومسلم ٤٠٦/٣ .

وقد قال عمر رضى الله عنه هذا القول لأن الناس يؤمذ كانوا كما يقول الطبرى  
” حد يثى عهد بعبادة الأصنام فخشى عمر أن يظن الجبال ان استلام الحجر  
هو مثل ماكانت العرب تفعله فأراد عمر أن يعلم ان استلامه لا يقصد به الاتعظيم  
الله عز وجل والوقوف عند أمر نبيه صلى الله عليه وسلم وان ذلك من شمائر  
الحج التى أمر الله بتعظيمها وان استلامه مخالف لفعل الجاهلية فى عبادتهم  
الأصنام لانهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم الى الله عز وجل زلفى فنبه عمر على  
مخالفة هذا الاعتقاد وأنه لا ينبغى ان يعبد الا من يملك الضرر والنفع وهو  
الله جل وعلا ” (١) فاذا لم يكن له مزية غير ما تقدم فان القول بشفاعته يحتاج  
الى نص يثبتة ،

---

(١) القرى لقاصد ام القرى ص ٢٨١ .

- ( شفاعة من قرأ قل هو الله أحد الف مرة ) -

وفى هذا يروى عن يزيد الرقاشى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئنى جبريل فى أحسن صورته ضاحكاً مستبشراً فقال يا محمد العلى الأعلى يقرؤك السلام ويقول ان لكل شىء نسبا ونسبى قل هو الله أحد فمن اتانى من امتك قارئاً بقل هو الله أحد ألف مرة من دهره لزمه دارى واقامة عرشى وشفعتى فى سبعين ممن وجبت عقوبته ولولا انى آليت على نفسى كل نفس ذائقة الموت لما قبضت روحه " (١)

ولكن هذا الحديث ذكر السيوطى ان فى اسناده مجاشع بن عمرو وهو أحد الكذابين وقد سبق بحث شفاعة القرآن .

---

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦/٤١٢ ، وعزاه الى ابن النجار فى تاريخ بغداد .

شفاة بعض الأشخاص مثل : ١- المؤذنين  
٢- الحجاج

=====

شفاة المؤذنين : هذه الشفاة غير الثابتة يستدل القائل بها بما يروى عن

عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( أول من

يشفع يوم القيامة الانبياء ثم الشهداء ثم المؤذنون ) (١)

قال الهيثمى : " قلت رواه ابن ماجه باختصار المؤذنين وهذا الحديث فيه

عنبسة بن عبد الرحمن الاموى قال عنه ابن حجر : انه متروك ومتهم بالوضع

فقد ترجم له بقوله : " عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة . . . . وهذا متروك رساه

أبوحاتم بالوضع " وبهذا لا يتم الاستدلال بهذا الحديث على ثبوت شفاة

المؤذنين والنفى هنا انما هو تخصيصهم بالشفاة والا فهم داخلون فى عموم

شفاة المؤذنين .

أما الشهداء والانبياء الذين ذكروا فى هذا الحديث فان شفاعتهم ثابتة

كما سبق .

ومن أدلتهم كذلك ما جاء عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

( من اذن سنة لا يطلب عليه أجرا دعى يوم القيامة ووقف على باب الجنة فقيل له

اشفع لمن شئت ) (٣)

(١) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٨١/١٠ مسندا له الى البزار .

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٤٤٣/٢ .

(٣) الجامع الصغير ١٦١/٢ ورمز لضعفه .

هذا الحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه الى ابن عساكر وهو حديث غير صحيح لأن فيه موسى الطويل ، ومحمد بن مسلمة والأول كذاب والثاني : غاية في الضعف .

قال ابن الجوزي عن هذا الحديث : " هذا حديث لا يصح ، موسى الطويل كذاب ، قال ابن عريان زعم انه رأى انسا وروى عنه أشياء موضوعة ، ومحمد ابن مسلمة " غاية في الضعف " (١)

وقد ذكر الشوكاني الحديث ثم قال " في اسناده وضاع " (٢)

وقد أورد السيوطي حديثاً طويلاً عن ابي هريرة وابن عباس جاء فيه ( ومن تولى اذان مسجد من مساجد الله يريد بذلك وجه الله اعطاه الله ثواب أربعين الف الف نبي وأربعين الف الف صديق وأربعين الف الف شهيد ويدخل في شفاعته أربعين الف الف أمة كل أمة أربعون الف الف رجل وله في كل جنة من الجنان أربعون الف الف مدينة في كل مدينة أربعون الف الف قصر ) (٣)

الخ الحديث

وهو حديث طويل . قال ابن حجر: " هذا موضوع اختلقه ميسرة بن عبد ربه فقبحه الله فيما افترى " (٤)

---

(١) الحلل المتناهية في الأحاديث الرواهية ١ / ٣٩٧ ،

(٢) الزوائد المجموعة ص ٢١ .

(٣) اللالكسي " المصنوعة ٢ / ٣٧٠ .

(٤) المطالب العالمة ١ / ٦٩ .



(٢) - ( شفاعه الحاج لأهاليهم ) -

هذه الشفاعة يستدل من يثبتها بما اخرج البزار عن ابي موسى رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( الحاج يشفع في اربعمائة أهل بيت أو قال من أهل بيته ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ) (١)

وهذا لحديث ذكره الهيثمي وعزاه الى البزار وقال بعد أن ذكره " رواه البزار وفيه من لم يسم " (٢)

فالحديث فيه رواية مجهولون ويستدلون كذلك بما يروى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اذا كان عشية يوم عرفه اشرف الرب عز وجل من عرشه الى عباده فيقول : ياملائكتي انظروا الى عبادي شعفا فبئسرا قد اقبلوا يضربون اليّ من كل فج عميق اشهدكم اني قد شفعت محسنهم فسي مسيئتهم واني قد غفرت لهم جميع ذنوبهم الا التبعات التي بينهم وبين خلقتي قال : فاذا أتوا المزدلفة وشهدوا جمعا ثم اتوا منى فرموا الجمار وذبحوا وحلقوا ثم زاروا البيت ياملائكتي اشهدكم اني قد شفعت محسنهم في مسيئتهم واني قد غفرت لهم جميع ذنوبهم واني قد غفرتهم في عيالاتهم واني قد استجبت لهم جميع ما دعوا به واني قد غفرت لهم التبعات التي بينهم وبين خلقتي وعلستهم رضا عبادي ) (٣)

(١) كشف الاستار عن زوائد البزار ٢ / ٤٠ .

(٢) مجمع الزوائد ٣ / ٢١١ .

(٣) اخبار اصفهان لابي نعيم ١ / ١٤٨ ، ٢ / ٣٤١ .

وهذا الحديث <sup>في</sup> سنده اسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب قال فيه ابو زرعة :  
كان يكذب ، يحدث عن مالك وابي معشر باحاديث موضوعة رأيتها بالكوفة قال  
وسئل ابي عنه فقال : كان يكذب كان يقعد في طريق قبيصة فاذا مررنا به قال  
من أين جئتم قلنا من عند قبيصة قال ان شئتم حدثكم بما كتب عنى أحمد بن حنبل  
ولم يكتب عنه شيئا " (١)

وأورد السيوطي من حديث طويل عن ابي هريرة وابن عباس مرفوعا ( ومن غسج  
حاجا او معتبرا فله بكل خطوة حتى يرجع الف الف حسنة ومحو الف الف سيئة  
ورفع له الف الف درجة وله عند ربه بكل درهم ينقته الف الف درهم وبكل دينار  
الف الف دينار وبكل حسنة يعملها الف الف حسنة حتى يرجع وهو في ضمان الله  
فان توفاه ادخله الجنة وان رجعه رجعه مغفورا له مستجابا له فاغتنموا دعوته  
اذا قدم قبل أن يصيب الذنوب فانه يشفع في مائة الف رجل يوم القيامة ) (٢)  
والحديث طويل قال الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث انه " للحارث" وهو  
" موضوع " (٣)

وهناك احاديث ايضا من اثبات هذه الشفاعة لانرى التطويل بذكرها لعدم  
صحتها وبالتالي عدم صحة ماورد في اثبات شفاعة الحاج في أهل بيته او في

(١) الجرح والتعديل للرازي ٢/٢١٤ .

(٢) اللآلئ المصنوعة ٢/٣٧٢ .

(٣) المطالب العالمة ١/٣١٤ .

سبعين من أهل بيته أو في مائة الف رجل أو في من شفع فيهم .  
ومعلوم ان الحاج اذا كان صالحا فان شفاعته تثبت بعموم ماورد في الصحيح  
من شفاعة المؤمنين بعضهم في بعض دون تخصيصه بمزية الشفاعة .

المملكة العربية السعودية  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
قسم الدراسات العليا



الرقم  
٤٤٤

# الحياة الأخيرة

ما بين البعث إلى رفول الجنة أو النار

رسالة مقدمة لنيل الشهادة العالمية الدكتوراه

إعداد

مخالب بن علي العويجي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات  
ب ٥٠٧ العام  
التاريخ / / ١٤٤ هـ

بإشراف فضيلة الأستاذ  
محمد عمر الخطيب

أستاذ بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

.. الباب الثالث ..  
ممنمم

\*\*\* مجيبه الله تبارك وتعالى لفصل القضاة \*\*\*  
=====

ويشتمل على ما يأتي :-  
=====

الفصل الاول : الادلة على نزول الله تعالى لفصل القضاة

=====

١- من القرآن الكريم

٢- من السنة النبوية

الفصل الثاني : معنى مجيبه الله لفصل القضاة .

=====

١- مذهب السلف .

٢- مذهب المؤولين .

=====

\*\*\*\*\* مجيباً الله تبارك وتعالى لفصل القضاء \*\*\*\*\*

=====

تمهيد :-

من أسماء يوم القيامة وهي كثيرة كما تقدم يوم الفصل - وقد ذكره

الله تعالى في كتابه الكريم وبين ما يحدث فيه للخلق من الأحوال العظيمة

والأمور الجسام بعد ان يستقر بهم المقام في الموقف حين يحشرهم الله

من قبورهم اليه يقفون فيه شاخصة ابصارهم قد شغل كل مخلوق منهم

بنفسه ينتظرون المصير النهائي اما جنة عالية قنوطها دانية واما نار حامية

تتظلي وقودها الناس والحجارة .

وقد ذكر الله تعالى هذا اليوم وما يقع فيه للمكذبين في آيات كثيرة منها

قوله سبحانه ( انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت

واذا الجبال نسفت واذا الرسل أقتت لأى يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك

ما يوم الفصل وهل يومئذ للمكذبين ) ( ١ )

وقال سبحانه وتعالى : ( هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ) ( ٢ )

يقفون على حالهم هذه حتى يأذن الله بمجيئه سبحانه للفصل بين الخلق .

ويقع فصل القضاء حينما يأذن الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله

عليه وسلم بالشفاعة الغامه وهي المقام المحمود على ما تبين في مباحث

---

(١) سورة المرسلات : آية : ٧ - ١٥ .

(٢) سورة المرسلات : آية : ٣٨ .

الشفاعة بعد قبولها منه صلى الله عليه وسلم يأتي الرب تبارك وتعالى  
للفصل بين الخلق وهم في الموقف على الحال التي وصفا فيما مضى اتيانا  
يليق بجلاله سبحانه وتعالى كما سنبين ذلك بأدلة .

قال ابن جرير الطبري في معنى قول الله تعالى ( كلا اذا دكت الأرض

دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا ) (١)

قال : " يقول تعالى ذكره واذا جاء ربك يا محمد والملائكة صفوفا صفا بعد  
صفا " (٢)

وقال ابن كثير رحمه الله في شرحها :

" وجاء ربك يعني لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون اليه  
بسيد ولد آدم على الاطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعدما يسألون  
أولى العزم من الرسل واحدا بعد واحد فكلهم يقول لست بصاحب ذاكم  
حتى تنتهي النبوة الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها  
فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله  
تعالى في ذلك وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود (٣)

وما تجدر الاشارة اليه هنا ان كثيرا من العلماء حينما يذكرون هذه الشفاعة  
لا يذكرون انها تكون لفصل القضاء لراحة الناس من كرب الموقف بل يذكرونها  
على أنها تقع لخراج أقوام من النار بعد أن دخلوها كما تبين في باب  
الشفاعة .

(١) سورة الفجر : آية : ٢١ ، ٢٢

(٢) تفسير ابن جرير : ٣٠ / ١٨٥

(٣) تفسير ابن كثير : ٤ / ٥٦٠

وما ينبغي أن يذكر هنا أيضا أن الصفات التي يمكن أن يتصف الله بها  
من النزول والمجىء وضوحها هي :  
الأول : ما جاء في السنة النبوية من اثبات نزول الله تبارك وتعالى الى سماء  
الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير .  
وقد ألف فيه شيخ الاسلام كتابه المفيد " شرح حديث النزول " .  
والثاني : نزول الله تبارك وتعالى في عشية عرفة بياهي بأهل عرفة الملائكة  
والثالث : نزوله لفصل القضاء في الموقف في يوم القيامة وهذا هو موضوع هذا  
البحث .

=====

=====

=====



.. الفصل الأول ..

~~~~~

*** الأدلة على نزول الله تعالى لفصل القضاء ***

الأدلة على نزول الله تعالى لفصل القضاء من القرآن الكريم .

ومما جاء في القرآن الكريم لاثبات نزول الله تعالى للفصل بين خلقه

في يوم القيامة الآيات الآتية :

قال الله تعالى : (كلا اذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا

وجسى يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى) (١)

وقال تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة

وقضى الأمر والى الله ترجع الأمور) (٢)

وقال تعالى : (واشرقت الأرض بنور ربها^(٣) ووضع الكتاب وجسى بالنبیین

والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو

أعلم بما يفعلون) (٤)

(١) سورة الفجر: آية: ٢٦ .

(٢) سورة البقرة: آية: ٢٦٠ .

(٣) انظر: لاثبات النور لله جل وعلا مختصر المواعق حيث اورد العلامة

ابن القيم الأدلة المستفيضة على اثبات هذه الصفة لله عز وجل ٢/ ١٩٢ -

٠١٩٦

(٤) سورة الزمر: آية: ٦٩ ، ٧٠ .

— (الأدلة من السنة النبوية على نزول الله عز وجل) —

لفصل القضاء

=====

وما جاء في السنة النبوية لاثبات نزول الله تبارك وتعالى لفصل القضاء

ما افادته أحاديث الشفاعة العامة الثابتة في الصحيحين وغيرهما من وقوف

الخلق في الموقف الى أن يأذن الله بالشفاعة فيهم لراحتهم من كرب

الموقف .

وماسياتي كذلك في مبحث رؤية الله تعالى في الموقف ومحاسناته

الناس .

وقد أخرج الترمذى في " جامع الصحيح " حديثا طويلا في كتاب الزهد

عن أبي هريرة رضى الله عنه جاء فيه :

" حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا كان

يوم القيامة ينزل الى العباد ليقضى بينهم وكل امة جاثية) (١) الحديث .

وأخرج ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى بسنده الى ابي هريرة رضى الله

عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (توقفون موقفا واحدا

يوم القيامة مقدار سبعين عاما لا ينظر اليكم ولا يقضى بينكم قد حصر عليكم

فتبكون حتى ينقطع الدمع ثم تدمعون دما وتبكون حتى يبلغ ذلك منكم الا زمان

أو يلجمكم فتصيحون ثم تقولون من يشفع لنا الى ربنا فيقضى بيننا فيقولون من

(١) سنن الترمذى ، ٤ / ٥٩٢ ، وقال حديث حسن غريب .

بذلك ^(١) من ايكم آدم ؟ جبل الله تربته وخلقه بيده وفتح فيه من روحه وكلمه
أحق من ايوتى آدم فيطلب ذلك اليه فيأبى ثم يستقرئون الأنبياء نبيا نبيا كلما
جاءوا نبيا أبى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حتى يأتوني فاذا
جأني خرجت حتى أتى الفحص قال أبو هريرة يا رسول الله وما الفحص؟ قال :
قدام العرش فاخر ساجدا فلا ازال ساجدا حتى ييمت الله اليّ ملكا فيأخذ
بعضدي فيرفعني ثم يقول الله لي يا محمد فأقول : نعم وهو أعلم فيقول
ما شأنك فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فأقضى بينهم فيقول
قد شفعتك انا آتيكم فأقضى بينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف
حتى اقف مع الناس فينا نحن وقوف سمعنا حسا من السماء شديدا فهالنا
فضل أهل السماء الدنيا بطلى من في الأرض من الجن والانس حتى اذا
دنوا من الأرض اشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم فقلنا لهم افيكم ربنا ؟
قالوا لا وهو آت ثم نزل أهل السماء الثانية بطلى من نزل من الملائكة
وطلى من فيها من الجن والانس حتى اذا دنوا من الأرض اشرقت الأرض
بنورهم وأخذوا مصافهم فقلنا ^{لهم} افيكم ربنا قالوا لا وهو آت ثم نزل أهل السماء

(١) جبل الله تربته : من معانى كلمة " جبل " انها تأتي كنا قال اللينث
بمعنى تأسيس الخلقه التي جبل عليها وقال : " الجبل : الخلق جبلهم
الله فهم محبوبون .

الثالثة بشلى من نزل من الملائكة وحشلى من فى الأرض من الجن والانس
حتى اذا دنوا من الأرض اشرقت الأرض بنورهم واخذوا مصافهم فقلنا لهم
افيكم ربنا ؟ قالوا : لا وهوات ثم نزل أهل السماوات على عدد ذلك من
التضعيف حتى نزل الجبار فى ظلل من الضمام والملائكة ولهم زجل من
تسبيحهم يقولون : سبحان ذى الطك والملكوت سبحان رب العرش ذى
الجبروت سبحان الحى الذى لا يموت سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت
سبوح قدوس رب الملائكة والروح قدوس قدوس سبحان ربنا الأعلى سبحان
ذى السلطان والعظمة سبحانه أبدا أبدا فينزل تبارك وتعالى يحمل
عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم اربعة اقدامهم على تخوم الأرض السفلى والسماوات
فناكهنهم الى حيزهم والعرش على مناكبهم فوضع الله عز وجل عرشه
حيث شاء من الأرض ثم ينادى ناد نداء يسمع الخلائق فيقول يا معشر
الجن والانس انى قد انصت منذ يوم خلقتكم الى يومكم هذا اسمع كلامكم
وابصر اعمالكم فأنصتوا الى فانما هى صحفكم وأعمالكم تقرأ عليكم فمن وجد
خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه فيقضى الله عز وجل
بين خلقه الجن والانس والبهائم فانه ليقتصر يومئذ للجماء من ذات القرون^(١)
والخبر ظاهر فى اثبات وجه الدلالة منه وهو نزول المولى تبارك وتعالى
لفصل القضاء .



(١) أخرجه ابن جرير ٢ / ٣٣٠ - ٣٣١ .

نظر المولى

وقد يقول بعضهم أنه : " قد ثبت ان الأرض بالقياس الى السماء كحلقة ملقاة
في فلاة من الأرض فكيف بالقياس الى العرش والكرسي فملائكة هذه المواضع
بأسرها أى شىء يسمها ؟ "

ومن الجواب عن ذلك ان يقال - والله أعلم - ان ذلك غير مستحيل على الله
تعالى بأن يجعل الأرض الصلبة من السعة بحيث تكون كافية لهؤلاء جميعا .
ان النصوص ظاهرة في نزولهم واحاطتهم بجميع المخلوقات دائرة وان كان
البرديسى قد نقل جوابا عن الشاذلى منسوبا الى الفخر الرازى ونصه :
" الجواب ان الملائكة تتلون فى الفمام وهو ستر بين السماء والأرض قاله
الفخر الرازى نقله الشاذلى " (١)

ولكن هذه الاجابة - فيما يظهر - لا تتفق مع النصوص الواردة فى صفة نزول
الملائكة وما جاء فى وصفهم بأنهم يحيطون بالمخلوقات دائرة وكذا ما جاء
من أن البشر يسألونهم حين ينزلون قائلين لهم افيكم ربنا ويجيبونهم سبحان
الله ليس فينا وهوآت كل هذا يجعل الاجابة السابقة المنسوبة للرازى فيها
نظر علما بأن البرديسى نفسه نقل كثيرا من الروايات فى نزول الملائكة
واحاطتهم بجميع من فى الموقف دائرة . (٢)

مثل قوله : (فاذا جمع الله الخلائق اجمعين فى صعيد واحد سكوتا لا يتكلمون
عراة غرلا مؤمنهم وكافرهم حرهم وعبدهم صغيرهم وكبيرهم انسهم وجنهم

(١) تكملة شرح الصدور ص ١٤٠

(٢) انظر: ص ١٦ ، ص ١٨ من المخطوطة تكملة شرح الصدور .

وملكهم ووحشهم وطيرهم حتى الذر والنمل .

قال الله تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) أى نترك منهم أحدا
وتتناثر النجوم من فوقهم وطمس ضوء الشمس والقمر فتشتد الظلمة ويحزنهم
الأمر ثم تنشق السماء على غلظها وصلابتها فتسمع الخلائق لانشقاقها
صوتا عظيما منكرا فظيما تدهش لهوله الالجاب وتخضع لهيبته الرقاب ثم
ينظرون الملائكة هابطين الارض فينزل ملائكة السماء الدنيا فتحيط بالخلق
ثم ملائكة السماء الثانية خلفهم دائرة ثانية ، كذلك حتى يكون سبع
دوائر فى كل دائرة ملائكة سما (١) الخ ما ذكره .

وأخرج ابن جرير الطبرى بسنده الى ابن عباس رضى الله عنه انه قال :
" اذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الاديم وزيد فى سعتها كذا أو كذا
وجمع الخلائق بصعيد واحد جنهم وانسهم فاذا كان ذلك اليوم قبضت
هذه السماء (٢) الدنيا عن أهلها على وجه الارض ولأهل السماء وحدهم
أكثر من أهل الارض جنهم وانسهم بضعف فاذا نثروا على وجه الأرض
فزعوا منهم فيقولون : أفيكم ربنا فيفزعون من قولهم ويقولون : سبحان ربنا
ليس فينا وهوأت ثم تقاض السماء الثانية ولأهل السماء الثانية وحدهم
أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع أهل الأرض بضعف جنهم وانسهم

(١) تكلمة شرح الصدور ص : ١٩٠ .

(٢) أى نقضت أو انشقت .

فاذا نثروا على وجه الأرض فزع أهل اليهم أهل الأرض فيقولون افيكم ربنا
فيفزعون من قولهم ويقولون سبحان ربنا ليس فيها وهو آت ثم تقاض السموات
سما سما كلما قيضت سما عن أهلها كانت أكثر من أهل السماوات التي
تحتها ومن جميع أهل الأرض بضعف فاذا نثروا على وجه الأرض فزع اليهم
أهل الأرض فيقولون لهم مثل ذلك ويرجعون اليهم مثل ذلك حتى تقاض
السما السابعة فلأهل السما السابعة أكثر من أهل ست سماوات ومن
جميع أهل الأرض بضعف فيجيبه الله فيهم والام جثي صفوف وينادي
مناد ستمعلون اليوم من اصحاب الكرم ليقيم الحمادون لله على كل حال قال
فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادي الثانية ستمعلون اليوم من اصحاب
الكرم اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا
وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فيسرحون الى الجنة ثم ينادي الثالثة ستمعلون
اليوم من اصحاب الكرم اين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
واقام الصلاة وابتأ الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون
فيسرحون الى الجنة فاذا اخذ من هو له ثلاثة خرج عنق من النار فأشرف
على الخلائق له عينان تبصران ولسان فصيح فيقول اني وكلت منكم بثلاثة
بكل جبار عنيد فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فيحبس بهم
في جهنم ثم يخرج ثانية فيقول اني وكلت منكم بمن اذى الله ورسوله فيلقطهم
لقط الطير حب السمسم فيحبس بهم في جهنم ثم يخرج ثالثة قال عوف:
قال أبو المنهال حسبت انه يقول: وكلت باصحاب التصاوير فيلقطهم من

من الصفوف لقدام الطير حب السمسم فيحبس بهم في جهنم فاذا أغسذ
من هو^١ لا^٢ ثلاثة ومن هو^٣ لا^٤ ثلاثة نشرت الصحف ووضعت الموازين ودعى
الخلائق للحساب " (١)

ومن الضحاك بن مزاحم قال: " اذا كان يوم القيامة امر الله السماء
الدنيا بأهلها ونزل من فيها من الملائكة واحطوا بالارض ومن عليهم
ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة
فصفوا صفا دون صف ثم ينزل الملك الاعلى على مجنبيه اليسرى جهنم
فاذا رآها أهل الأرض نذوا فلا يأتون قطرا من اقطار الارض الا وجسدوا
سبعة صفوف من الملائكة فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه فذلك قول
(٢)
الله (انى اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم)
وذلك قوله: " وجاء ربك والملك صفا صفا وجيئ يومئذ بجهنم (٣)
وقوله: (يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) (٤)

وذلك قوله تعالى (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها)^(٥)

(١) تفسير ابن جرير ٣٠ / ١٨٥ ، وفى سند هذا الحديث البخاري وقال
الذهبي عن الحديث: انه موقوف وسنده حسن . المطالب العلية
٠٣٧٥ / ٤

(٢) سورة نافر: آية : ٣٢ .

(٣) سورة الفجر: آية : ٢١ - ٢٣ .

(٤) سورة الرحمن: آية : ٣٣ .

(٥) سورة الحاقة : آية : ١٦ ، ١٧ .

وروايته السابقة عن ابن عباس وروايته الاخرى كذلك عن الضحاك بسن
مزاخم لم يصرح فيها بالرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
مثل هذه الأمور الغيبية لا يستطيع ان يجزم فيها بحكم الا اذا ايسده
النص فهى ليست من المسائل التى تقبل ان يقال فيها بالرأى دون دليل
والله أعلم .

وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث
طويل وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجمع الله الاولين والآخريين
لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم ينتظرون فصل القضاء
قال : وينزل الله عز وجل فى ظلل من الفمام من العرش الى الكرسي ثم
ينادى مناد ايها الناس الم ترضوا من ربكم الذى خلقكم ورزقكم وأمركم أن
تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولى كل انسان منكم ما كانوا يعبدون فى
الدنيا اليس ذلك عدلا من ربكم قالوا : بلى فينطلق كل قوم الى ما كانوا
يعبدون ويتولون فى الدنيا (١) الخ الحديث .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد ليقتضى بينهم
وكل امة جاثية (الخ الحديث فى وصف الحساب . (٢)

(١) ذكره المنذرى فى الترفيب والتهريب ٤ / ٣٩٢ ، وعزاه الى ابن ابى الدنيا
والطبرانى من طرق اهداها صحيح واللفظ له والحاكم وقال صحيح الاسناد
وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ / ٥٨٠ وعزاه الى ابن مردويه وابن كثير
فى التفسير ١ / ٥٩٢ وقال ان فيه غرابة .

(٢) الترمذى ٤ / ٥٩٢ .

وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله
يجمع الأمم يوم القيامة ثم ينزل من عرشه الى كرسیه وكرسيه وسع السموات
والأرض) (١)

وقد اكتفيت بما تقدم ذكره والاشارة اليه - مما وجدته - من أحاديث
نزول الله تبارك وتعالى لفصل القضاء .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه حديث النزول ان
الأحاديث في نزول الله تعالى لفصل القضاء كثيرة متواترة حيث قال :
(والأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في اثبات ^{نزول} الرب
يوم القيامة كثيرة) الا أن الأحاديث التي ذكرها في هذا الكتاب
تتعلق بنزول الله تعالى يوم عرفة ونزوله في الثلث الأخير من كل ليلة .
على أنه مهما كانت منزلة الأحاديث السابقة فان مصداقها في كتاب الله
تعالى واضح تمام الوضوح .

وقال ابن القيم :

" وهذا النزول الى الارض يوم القيامة قد تواترت به الأحاديث والآثار
ودل عليه القرآن صريحا في قوله (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة
أو يأتي ربك "

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٤٣ الا أن الحديث ضعيف
لأن فيه عبد الأعلى بن ابي الساور وهو متروك كما ذكر الهيثمي .

(٢) انظر: شرح حديث النزول ص ٣٩ .

ثم نقل عن عبد الله بن المبارك بسنده الى شفي بن ماتع الأصبحي قال
قدمت المدينة فدخلت المسجد فاذا الناس قد اجتمعوا على ابي هريرة
فلما تفرقوا دنوت فقلت حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا كان يوم
القيامة نزل الله الى العباد ليقضى بينهم وكل امة جاثية ، فأول من يدعى
رجل جمع القرآن وذكر الحديث بطوله واصله في صحيح مسلم وفي صحيح
البخارى من حديث أنس بن مالك وفيها ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى
فكان قاب قوسين أو أدنى " (١)

(١) انظر: مختصر الصواعق ص : ٢٤٨ .

الفصل الثاني

- (معنى مجيب " الله تبارك وتعالى) -

وإذا كانت تلك النصوص التي قدمنا إيرادها تثبت المجيب " للرب سبحانه
وتعالى لفصل القضاء " فما معنى هذا المجيب " ؟
هل هو مجيب " ذاته جل وعلا ؟ أم هو مجيب " أمره ؟ أو حسابه أو عذابه
أو ملائكته إلى آخر ما أورد أهل العلم من متكلمين ومفسرين ومحدثين وغيرهم
فهيها فيما يلي ونبين القول الحق منها الذي يؤيده الدليل من كتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .
وأقوال السلف وعلماء الاسلام في ذلك مع رد الأقوال الأخرى الباطلة
والتأويلات البعيدة في معنى اتقان الله عز وجل .

- (مذهب السلف) -
مهمم

ذهب أهل الحق من علماء السلف الى القول بأن المراد من معني
اتيان الله المذكور في الآيات الكريمة السابقة والأحاديث النبوية هو اتيان
الله جل وعلا حقيقة بذاته على صفة تليق بجلاله اتيانا من غير تشبيه
ولا تكيف وانه تبارك وتعالى يضع كرسيه لفصل القضاء أين شاء اثباتا على
ضوء قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فهو الواحد الأحد
الفرد الصمد يجيء وينزل لا كزول خلقه ومجيئهم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية فيما ينقله عن ابن عمر الطلنكي : " اجمعوا
- يعني أهل السنة والجماعة - على ان الله يأتي يوم القيامة والملائكة
صفا صفا لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء " (١)

ثم استدل بالآيات من قوله تعالى (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
في ظلل من الغمام) الآية (٢)

وكذا قوله تعالى : (وجاء ربك والملك صفا صفا) (٣) على ثبوت المجيء
حقيقة .

وقال الحافظ أبو نعيم : " وأجمعوا ان الله فوق سمواته عال على عرشه
ستوعليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية انه بكل مكان خلافا لما نزل في
كتابه (أأنتم من في السماء) (٤)

(١) شرح حديث النزول ص ١٨٨ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٢١٠ .

(٣) سورة الضحى : آية : ٢٢ .

(٤) سورة الطك : آية : ١٧ .

(١) إليه يصعد الكلم الطيب (١)

(٢) الرحمن على العرش استوى (٢)

له العرش الستوى عليه والكرسى الذى وسع السموات والأرض وهو قوله

(وسع كرسیه السموات والأرض) (٣)

وكرسیه جسم والارضون السبع والسموات السبع عند الكرسى كحلقة فى أرض

فلاة وليس كرسیه علمه كما قالت الجهمية بل يوضع كرسیه يوم القيامة لفصل

القضاء بين خلقه كما قاله النبى صلى الله عليه وسلم وانه تعالى وتقدس

يجس " يوم القيامة لفصل القضاء " بين عباده والملائكة صفا صفا كما قال تعالى :

(وجاء ربك والملك صفا صفا) (٤)

وزاد النبى صلى الله عليه وسلم : (وانه تعالى وتقدس يجس " يوم القيامة

لفصل القضاء بين عباده فيففر لمن يشاء " من مذنبى الموحدين ويمذب

من يشاء " كما قال تعالى (فيففر لمن يشاء ويمذب من يشاء) (٥)

البقرة : ٢٨٤ .

وقال ابن كثير فى التفسير فى معنى قول الله تعالى (هل ينظرون الا أن

يأتىهم الله فى ظلل من الغمام) الخ الآية الكريمة أن ذلك " يعنى

(١) سورة فاطر : آية : ١٠

(٢) سورة طه : آية : ٥٥

(٣) سورة البقرة : آية : ٢٥٥

(٤) سورة الفجر : آية : ٢٢

(٥) شرح حديث النزول : ص : ١٩٥

يوم القيامة لفصل القضاء بين الاولين والآخرين فيجزى كل عامل بعمله

ان خيرا فخير وان شرا فشر (١)

وقال في تفسير سورة الزمر عند قوله تعالى : (واشرقت الأرض بنور ربها)

الخ الآية الكريمة .

" أى اضاءت يوم القيامة اذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء^(٢)"

ويقول ابن جرير فى معنى الآية كذلك : " يقول تعالى ذكره اضاءت الأرض

بنور ربها يقال اشرقت الشمس اذا صفت واضاءت واشرقت اذا طلعت وذلك

حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه " ثم استدل على هذا بما اخرجه

بسنده الى قتادة انه قال فى تفسير الآية (واشرقت الأرض بنور ربها)

قال فما يتضارون فى نوره الا كما يتضارون فى الشمس فى اليوم الصحو الذى

لا دخن فيه " .

وما اخرج عن السدى كذلك من تفسيره للآية بأن الارض تضئ بنور الله

تعالى " (٣)

وساق ابن ابي حاتم بسنده الى عبدالله بن عمرو فى قوله تعالى :

(هل ينظرون الا أن يأتيهم^{الله} فى ظلل من الغمام) الآية .

قال يهبط حين يهبط وينه وين خلقه سيمون الف حجاب منها النور والظلمة

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٤٨ .

(٢) المصدر السابق ٤/ ٦٤ .

(٣) جامع البيان ٢٤/ ٣٢ وانظر: الدر المنثور ٧/ ٢٦٢ .

والماء فيصوت الماء في تلك الالمة صوتا تتخلع له الطوب (١)
وأخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم
الله في ظلل من الغمام) قال : هو غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل
في تيمهم حين تاهوا وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة * (٢)
وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان من الغمام
طاقات يأتي الله فيها محفوقا وذلك قوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله
في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر) (٣)
وهو رأى عكرمة أيضا . (٤)
وقد رجح ابن جرير في معنى الآية انها تدل على اتيان الله تعالى
في ظلل من الغمام وان الملائكة تأتي كذلك . (٥)

(١) تفسير ابن كثير ٢٤٨/١ .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٨٠/١ وعزاه الى ابن جرير

وابن المنذر وابن ابي حاتم وأبو الشيخ .

(٢) ذكره ابن جرير ٣٢٨/٢ والسيوطي في الدر المنثور ٥٨٠/١ معزوا

الى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن مجاهد

(٣) - (٤) - (٥)

المصدر السابق ص ٣٢٩ وقد ذكره السيوطي ٥٨٠/١ في الدر

المنثور معزوا الى ابن جرير والديلمي عن ابن عباس .

وقال أبو سعيد الدارمي رحمه الله : " فما يعتبر به من كتاب الله عز وجل
في النزول ويحتج به على من انكره قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم
الله في ظلل من الغمام والملائكة) (١)

وقوله تعالى : (وجاء ريك والملك صفا صفا) (٢)

وهذا يوم القيامة اذا نزل الله ليحكم بين العباد وهو قوله :

(يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق

للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) (٣) الفرقان : ٢٠ .

وفي باب نزول الرب تبارك وتعالى يوم القيامة للحساب ساق الامام الدارمي

بسنده الى أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال وتلا هذه الآية (يوم

تبدل الأرض غير الأرض) (٤) قال : بيدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة

لم يعمل عليها الخطايا ينزل عليها الجبار تبارك وتعالى . (٥)

وساق أبو سعيد الدارمي بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما في هذه

الآية (يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) (٦)

(١) سورة البقرة : آية : ٢١٠ .

(٢) سورة الفجر : آية : ٢٢ .

(٣) كتاب الرد على الجهمية ص : ٣٨ .

(٤) سورة ابراهيم : ٤٨ .

(٥) الرد على الجهمية ص : ٤٢ .

(٦) سورة الفرقان : آية : ٢٥ .

قال : ينزل أهل سماء الدنيا وهم أكثر من أهل الأرض ومن الجن والأنس
فيقول أهل الأرض افيكم ربنا فيقولون لا وسيأتي ثم تشق السماء الثانية
وساق ابوسلمة الحديث الى السماء السابعة قال فيقولون افيكم ربنا ؟ فيقولون
لا وسيأتي ثم يأتي الرب تبارك وتعالى في الكرويين ^(١) وهم أكثر من أهل
السموات والأرض (٢)

وروى بسنده كذلك الى الضحاك بن مزاحم قال : ان الله يأمر السماء يوم
القيامة وتنشق بمن فيها فيحيطون بالأرض ومن فيها ويأمر السماء الثانية
حتى ذكر سبع سموات فيكون سبع صفوف قد احاطوا بالناس قال ثم
ينزل الله في بهائه وجماله ومعه ما شاء من الملائكة مجنبيته اليسرى جهنم
فاذا رآها الناس تلظى وسمعوا زفيرها وشهيقها ندد الناس في الأرض
فلا يأتون قطرا من اقطارها الا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة وذلك قوله
عز وجل (يوم التناد) (٣) يقول بنده الناس فيقول الله عز وجل :
(ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تتخذون الا
بسلطان) (٤)

(١) قال ابن الاثير في النهاية : " وفي حديث ابى العالية (الكرويين)
سادة الملائكة) هم المقربون . النهاية في غريب الحديث ٤ / ١٦٦ .
(٢) الرد على الجهمية ص : ٤٣ .
(٣) سورة غافر : آية : ٣٢ .
(٤) سورة الرحمن : آية : ٣٣ .

وذلك قوله عز وجل (اذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا

وجىء يومئذ بجهنم) (١)

(ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) (٢) وانشقت السماء

فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها) (٣) قال : قلت له ما أرجاؤها

قال حافظها (٤) .

وقال الحسن : " اذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيسراه

الخلق ويحجب الكفار فلا يرويه) (٥) وسيأتى بيان رؤية الكفار لربهم

أوعدمها فى مبحث الروية .

وقال الامام ابن خزيمة رحمه الله تعالى فى نصوص النزول : " نشهد شهادة

مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما فى هذه الاخبار من ذكر نزول الرب

من غير ان نصف الكيفية لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا

الى سماء الدنيا واعلنا انه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام

بيان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم فحن قائلون مصدقون بما فى

هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية ان

النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول " (٦)

(١) سورة الفجر : آية : ٢٣ .

(٢) سورة الفرقان : آية : ٢٥ .

(٣) سورة الحاقة : آية : ١٧ .

(٤) الرد على الجهمية للدارى ص ٤٣ . وذكر الألبانى ان الحديث مقطوع
واسناده ضعيف .

(٥) مختصر لواع انوار ص : ٤٤٤ .

(٦) كتاب التوحيد ص ١٢٥ - ١٢٦ .

وقد أكثر العلامة ابن القيم في اثبات هذه الصفة لله عز وجل في أكثر من موضع كما في مختصر الصواعق ومن ذلك قوله في تفسير الآية (واشسرت الأرض بنور ربها) قال :

" فاخبر ان الأرض يوم القيامة تشرق بنوره وهونوره الذي هونوره فانه سبحانه يأتي لفصل القضاء بين عباده وينصب كرسيه بالأرض فاذا جاء الله تعالى اشسرت الأرض وحق لها أن تشرق بنوره وعند المعطلة لا يأتي ولا يجسى ولا له نور تشرق به الأرض (١)

وذكر العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي في معنى الآية - هل ينظرون الا أن يأتيهم الله (الخ

ما نصه : " وهذا فيه من الوعيد الشديد والتهديد ما تخلع له القلوب . يقول تعالى : (هل ينتظر الساعون في الفساد في الأرض المتبعون لخطوات الشيطان النابذون لأمر الله الا يوم الجزاء بالاعمال الذي قد حشى من الأهوال والشدائد والفظائع ما يقلقل قلوب الظالمين ويحق الجزاء السيء على المفسدين ، وذلك ان الله تعالى يطوى السموات والأرض وتنتشر الكواكب وتكور الشمس والقمر وتنزل الملائكة الكرام فتحيط بالخلائق وينزل الباري تبارك وتعالى (في ظلل من القمام ليفصل بين عباده بالقضاء العدل فتوضع الموازين وتشر الدواوين وتبيض وجوه أهل السعادة وتسود وجوه أهل الشقاوة ويتميز أهل الخير من أهل الشر وكل يجازى بمعمله "

الى أن يقول : " وهذه الآية وما اشبهها دليل لمذهب أهل السنة
والجماعة الثبتين للصفات الاختيارية كالاستواء والنزول والمجيء " وحمسو
ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله
صلى الله عليه وسلم فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظامته من غير
تشبيه ولا تحريف خلافا للمعطلة على اختلاف أنواعهم من الجهمية والمعتزلة
والأشعرية وحموهم ممن ينفي هذه الصفات ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات
ما انزل الله بها من سلطان (١)

• • • ❦ • • •

(٢) - (مذهب المؤمن) -

وأما القسم الآخر من العلماء وهم الذين ذهبوا الى تأويل معنى مجسى^١ الله تعالى حيث قالوا: " بأن معنى مجسى^١ الله تعالى الوارد في النصوص هو بمعنى مجسى^١ أمره أو مجسى^١ الساعة أو العذاب أو انه من المشابه الذي لا يعلم وليس معناه مجسى^١ الله بذاته جل وعلا لفصل القضاء - على حد زعمهم - فهو ما ذكره ابن جرير الطبري عنهم بقوله: " وقال آخرون معنى قوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله)

١- يعنى به هل ينظرون الا ان يأتيهم أمر الله^(١) كما يقال: قد خشينا ان يأتينا بنو أمية يراد به حكمهم .

٢- وقال آخرون: بل معنى ذلك: هل ينظرون الا أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعذابه كما قال هو عز وجل (بل مكر الليل والنهار) وكما يقال قطع الوالى اللص أو ضربه وانما قطعه اعوانه " (٢)

٣- وذكر كذلك رأى فريق آخر من الناس فى صفة المجسى^١ الذى ذكره الله ويظهر انهم يريدون التوقف عن اثبات تلك الصفة لله تعالى فلا يثبتون منها الا الاسم فقط وذلك فى قوله: (ثم اختلف فى صفة اتيان الرب تبارك وتعالى الذى ذكره فى قوله (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله) فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذى وصف به نفسه عز وجل من المجسى^١ والاتيان والنزول وغير جائز تكلف القول فى

(١) وقد رد العلامة ابن القيم هذا التأويل ردا مستفيضا من عشرة أوجه

(٢) انظر: مختصر الصواعق ١٠٦/٢ - ١٠٩ - (١) تفسير الطبري ٣٢٩/٢

فى ذلك لأهد الا بخبر من الله جل جلاله أو من رسول مرسل ، فأما القول
فى صفات الله واسمائه فغير جائز لأهد من جهة الاستخراج الا بما ذكرنا^١
وفى المقابل هناك طائفة ذكرها ابن جرير ذهب فى اثبات صفة النزول الى
ما يبدو انه قول بالتشبيه فقال عنهم : " وقال آخرون اتيانه عز وجل نظير
ما يعرف من مجيئ الجائى من موضع الى موضع وانتقاله من مكان الى مكان^(١)"
وقد حصر شيخ الاسلام ابن تيمية خلاف الناس وافتراقهم فى ستة أقوال وهى
اجمالا .

- ١- طائفة يقولون : تجرى على ظاهرها ويجعلون اتيانه من جنس اتيان
المخلوق ونزوله من جنس نزولهم وهو^٢ المشبهة الممثلة .
- ٢- وطائفة يقولون بل النصوص على ظاهرها اللائق به ويقولون نزل
نزولا يلىق بجلاله وكذلك يأتى اتيانا يلىق بجلاله وهو عندهم ينزل ويأتى
ولم يزل عاليا وهو فوق العرش كما قال حماد بن زيد : هو فوق العرش
يقرب من خلقه كيف شاء ، وقال اسحاق بن راهويه ينزل ولا يخلو منه
العرش ونقل ذلك عن أحمد بن حنبل فى رسالة الى مسدد وتفسير النزول
بفعل يقوم بذاته هو قول علماء أهل الحديث وهو الذى حكاه أبو عمرو
ابن عبد البر عنهم وهو قول عامة القدماء من اصحاب أحمد وقد صرح به
ابن حامد وغيره .

(١) جامع البيان ٢/٣٢٩ .

٤-٣ وطائفتان يقولان : بل لا ينزل ولا يأتي كما تقدم ثم منهم من يتأول ذلك

ومنهم من يفوض معناه .

٥-٦ وطائفتان واقفتان منهم من يقول : ما ندري ما اراد الله بهذا ومنهم

من لا يزيد على تلاوة القرآن . (١)

وهو ما ذكره كذلك الرازي في بيانه لا اختلاف أهل الكلام في معنى الآية

(هل ينظرون الا ان يأتيهم الله الخ الآية الكريمة ، حيث ذكر لهم

وجوها كثيرة في معنى الآية ولكنها في الواقع تأويلات وخروج عن معنى الآية

الصحيح كما نتبين ذلك من عرض تلك الأقوال وهي بتصرف .

الآية

١- ان المجيب^٥ والذهاب محال على الله تعالى وليس المراد من هذه اثبات

ذلك وانما تثبت الآية شيئاً آخر لانعلمه والا ولى السكوت عن تأويلها .

٢- وهو مذاهب جمهور المتكلمين الذين ذهبوا الى تأويل الآية على سبيل

التفصيل وهو^٥ لا قد ذهبوا في ذلك التأويل الى ما حاصله :-

١- معنى اتيان الله : اي اتيان آيات الله فجعل مجيب^٥ الآيات مجيئاً له

على التفخيم لشأن الآيات كما يقال جاء الطك اذا جاء جيش عظيم

من جهته .

٢- معنى اتيان الله : أي اتيان أمره في ظلل من الغمام .

٣- معنى الاتيان : أي اتيان الله لهم بما وعد من العذاب والحساب فحذف

ما يأتي به تهويلاً عليهم وهو ما ذكره ايضاً في تفسير سورة الفجر أي : (وجاء

أمر ربك بالمحاسبة والمجازاة) (٢)

(١) الفتاوى ١٦ / ٣٩٩ .

(٢) التفسير الكبير ٣١ / ١٧٣ .

٤- أن يكون معنى " فو " معنى الباء وتقديره " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة .

٥- ان المقصود من الآية تصوير عظمة يوم القيامة وهولها وشدتها فيكون الغرض من ذكر اتيان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع " وشرح هذا في سورة الفجر عند قوله تعالى (وجاء ريك والملك صفا صفا) فقال في معرض بيانه لاقوال أهل العلم " وخاسمها ان هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبين اثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه فانه يظهر بمجرد حضوره من اثار الهيبة والسياسة مالا يظهر بحضور عساكره كلها " (١)

٦- ان الآية نزلت في حق اليهود وذلك ان قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) انما نزلت في حق اليهود ، وعلى هذا التقدير فقوله (فان زلتم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم) يكون خطابا مع اليهود وحينئذ يكون قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) حكاية عن اليهود قال الرازي : " والمعنى انهم لا يقبلون دينك الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ألا ترى انهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) واذ كان

هذا حكاية عن حال اليهود ولم يضع اجراء الآية على ظاهرها وذلك لأن اليهود كانوا على مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله المجسى، والذهاب ومع بعد هذا التأويل لمعنى الآية فان الرازي غفر الله له - يقول عن هذا الوجه: "وهو اوضح عندي من كل ما سلف"

ثم ذكر الرازي وجهها آخر قاله القفال في تفسيره عن ابي العالية: "وهو ان الاتيان في الظلل مضاف الى الملائكة فاما المضاف الى الله جل جلاله فهو الاتيان فقط فكان حمل الكلام على التقديم والتأخير ويستشهد فسى صحته بقراءة من قرأ (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل

من الغمام قال القفال رحمه الله هذا التأويل مستنكر . (١)
واضاف الرازي في سورة الفجر عند قوله تعالى (وجاء ريك والملك صفا صفا)
من معانى المجسى قوله

(وثانيها وجاء قهر ريك كما يقال جاءتنا بنو أمية أي قهرهم .

ورابعها : وجاء ظهرو ريك وذلك لأن معرفة الله تصير في ذلك اليوم
ضرورية .

فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقيل وجاء ريك اي زالت الشبهة وارتفعت
الشكوك .

ثم ذكر قولاً خامساً يعد من أشنع انواع التأويل وهو قوله

"سادسها : ان الرب هو المرئى ولعل ملكا هو اعظم الملائكة هو مرئى للنبي
صلى الله عليه وسلم جاء فكان هو المراد من قوله (وجاء ريك) (٢)

(١) التفسير الكبير ٥/٢١٣ - ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق ٣١/١٧٤ .

ومع أن الأقوال التي ذكرها كلها خروج عن المعنى الحق وباطلة لكن أردوها هذا التأويل في القول السادس فما فائدة مجيء ملك واحد كان مربيا للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم هذا هو التكلف الظاهر الذي لاستفاد له .

وذكر عند تفسير قوله تعالى : (واشرقت الأرض بنور ربها) أقوالا مردودة تأويلها النفاة على غير معناها الصحيح ومنها :

١- ان النور المذكور هنا معناه مجيء عدل الله تعالى كما يقال للملك اشرقت الافاق بعد ذلك .

٢- انه يحصل هناك نور مضاف الى الله تعالى نسبة تشریف كبيت الله ضاقة الله .

٣- " انه قد يقال فلان رب هذه الأرض ورب هذه الدار ورب هذه الجارية ولا يبعد أن يكون رب هذه الأرض ملكا من الملوك وعلى هذا التقدير فلا يمتنع كونه نورا (١)

وهذه الأوجه يذكرها الرازي وفقا للقول بأن ذلك الاشراق يحصل عندما يتجلى الله لفصل القضاء .

ويقول الشوكاني في بيانه لمعنى الآية واشراق الأرض بنور ربها : " والمعنى ان الأرض اضاءت وانارت بما اقامه الله من العدل بين اهلها وما قضى به من الحق فيهم فالعدل نور والظلم ظلمات .

وقيل ان الله يخلق نورا يوم القيامة يلبسه وجه الارض فتشرق به غير نور الشمس والقمر " ولكنه قال بعد هذه التأويلات الباطلة ،
" ولا مانع من الحمل على المعنى الحقيقي فان الله سبحانه هو نور السماوات والأرض (١)

ثم عرض الشوكاني هنا كذلك بعض معاني الاتيان المذكور في الآية على حسب اراء النحاة وهي الآراء التي سار عليها أهل الكلام للايمان بمعنى الآية عن اثبات اتيان الله حقيقة لفصل القضاء ومن ذلك قولهم :
١- ان معنى الآية على رأى الزجاج : هل ينتظرون الا أن يأتيهم الله بما وعدهم من الحساب والعذاب في ظلل من الغمام والملائكة .
٢- وقال الأخفش: وقد يهتمل ان يكون معنى الاتيان راجعا الى الجزاء فسمى الجزاء اتيانا كما سمي التخويف والتعذيب في قصة ثمود اتيانا فقال : " فأتى الله بنيانهم من القواعد " وقال في قصة النضير :
- فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا - وانما احتمل الاتيان هذا لأن اصله عند أهل اللغة القصد الى الشيء فمعنى الآية : هل ينتظرون الا أن يظهر الله فعلا من الأفعال مع خلق من خلقه يقصد محاربتهم .

وقيل ان المعنى يأتيهم امر الله وحكمه

وقيل ان المعنى يأتيهم ببأسه في ظلل (٤)

(١) فتح القدير ٤/٤٧٦ .

(٢) تفسير الجلالين ص ٢٩ .

(٣) تفسير النسفي ١/١٠٥ .

(٤) فتح القدير ١/٢١١ .

ويذكر محمد رشيد رضا بعضا من تلك التأويلات في معنى اتيان الله تعالى

ومنها أن من المفسرين من قال ان معنى الآية "أى هل ينظرون الا أن

يأتيهم الله بما وعدهم به من الساعة والعذاب" ثم قال: "وعده آخرون

من المتشابهات فقالوا ان الله تعالى يأتي بذاته ولكن لا كاتيان البشر بل

أتيانه من صفاته التي لا نبحت عن كيفية اتباعا للسلف"

وقال كذلك: "وأما تأويل الاتيان بما نقله البيهقي عن الأشعري فلا نذكره

لأنه ما يزيد المعنى بعدا عن الفهم" (١)

ورأى الأشعري الذي اشار اليه محمد رشيد رضا وان البيهقي يقول به

يريد به ما بينه شيخ الاسلام ابن تيمية من انه يرى ان الله تعالى لا يقوم

بذاته فعل اختياري وان معنى النزول والاستواء وغير ذلك افعال يفعلها

الرب في المخلوقات ثم قال: "وهذا هو النصوص عن ابي الحسن الأشعري

وغيره قالوا الاستواء فعل فعله في العرش كان به مستويا وهذا قول ابي الحسن

الزاغضى وهو لاء يدعون انهم وافقوا السلف وليس الأمر كذلك . (٢)

والاستاذ / محمد رشيد رضا وهو يشرح معنى الآية ~~بذهب الى تأويل الاتيان~~

~~في الآية باتيان امر الله او ما وعد به تبعاً للاستاذ محمد عبده وطائفة من~~

~~المفسرين فهو بعد أن ذكر قول من ذهب من المفسرين الى أن معنى الآية~~

~~هو المتشابه (٣) لم يرتض هذا القول ثم رد عليه بأنه ليس من مقتضى مذهب~~

(١) تفسير المنار ٢/ ٢٦٣ .

(٢) شرح حديث النزول ص : ٥٨ .

(٣) تفسير المنار ٢/ ٢٦٣ .

السلف ان يجعل كل ما يسند الى الله تعالى من المتشابه الذي لا يفهم
فقال : وقد يقال أنه ليس من مقتضى مذهب السلف ان يجعل كل ما يسند الى
الله تعالى من المتشابهات التي لا تفهم بحال ولا تفسر ولو باجمال فحسبنا
ان نقول على رأى من فسراتيان الله هنا باتيان امره وما وعد به من العذاب
أو اتيانه بما وعد به اننا نفوض اليه تعالى كيفية ذلك وبذا نكون على طريقة
السلف فى التفويض " (١)

~~وظاهر كلامه يفيد انه لم يثبت حقيقة النزول الثابت لله تعالى بل فخر ائمتنا~~
~~الله بتأويلات أهل الكلام الباطل . ثم اى السلف ما كانوا يشبهون تلك التأويلات~~
ثم بعد ذلك يفوضون معناها الى الله تعالى وانما كانوا يشبهون حقيقة الصفة
ثم يفوضون كيفيتها الى الله تعالى كما هو المشهور من مذهبهم " الاستواء
معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعه) .

وكذلك القول فى النزول فيقال : " النزول غير مجهول والكيف غير معقول

والسؤال بدعة) (٢)

فلو ^{المراد} جرى على ما سار عليه السلف من القول بمجىء الله تعالى بذاته ثم
تفويض الأمر بعد ذلك الى الله تعالى فى الكيفية لكان هو الرأى الصحيح ~~والصحيح~~
~~تبعه للإمام محمد بن عبد الله = يعيل الى هذا التفسير لأن الاستاذ / محمد بن عبد~~
يقول كما ينقله عنه محمد رشيد رضا فى تعليقه لمعنى اتيان الله فى ظلل من
الضمام ما نصه :

(١) تفسير الضار ٢ / ٢٦٣ .

(٢) منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات للشنقيطى ص ٣٤ .

” وقال الاستاذ الامام ان الحكمة فى نزول العذاب فى الضمام انزاله
فجأة من غير تمهيد يذريه ولا توطئة توطان النفوس على احتماله وذلك ابلغ
من هوله (ما من دهي بالأمر كالمعتد) وهو ذلك الضمام الذى يحدث عن
تخريب العالم فجأة فيأتيهم العذاب قبل أن يتبدد الضمام الناشء عن
الخراب ” (١)

ولكنه بعد أن قال ماتقدم ، ذكر ايضا ان الاستاذ الامام ذهب فى تفسير
الآية الى وجه آخر يتفق مع مذهب السلف ثم بينه محمد رشيد بقوله :

” وذكر الاستاذ الامام فى تفسير الآية وجهها آخر يعد بياناً للقول بأن
الاتيان مسند الى الله تعالى على أنه هو الذى يأتي على ظاهر مذهب
السلف لا عذابه ولا يومه الموعود ” ثم نقل عنه كلاما حاصله أن الناس
بالنسبة للإيمان بالله تعالى واليقين به يختلفون الى أهل يقين خالص
بمعنى ان الله يكون حاضرا عندهم وانه معهم اينما كانوا ” وهم الذين قال
قائلهم لو كشف الحجاب ما ازدت يقينا ” ” ومنهم من ليس له تلك المعرفة
وهذا اليقين ” بل هم اصحاب شكوك وظنون ” فاتخذوا بينهم وبين الله
حجابا ووسطاء وشبهوه بخلقه فى كثير من الشئون فهم غائبون عن الله تعالى
ومحجوبون عن ربهم بحيث لا تطوف معرفته الحقيقية بعقولهم ولا تلبس عظمته
وكماله قلوبهم ، فاذا كان يوم القيامة وكشف الحجاب عرفوا الله ربهم الحق
وتبين لهم ما كانوا عليه من الباطل فذلك اتيان الله لهم ، أى يأتيهم من

معرفة ما كانوا غائبين عنه ومحرومين منه في الدنيا " (١) وهذه العبارات
— كما يبدو عليها — لا تدل على القول بأنه يرى اتیان الله بذاته جل وعلا
بل هو نوع آخر من التأويلات التي لا تثبت اتیان الله بذاته وهذا ظاهر من
قوله : " يأتيهم من معرفته ما كانوا غائبين عنه ومحرومين منه في الدنيا وهذا
الرأى هو ما سار عليه العلامة الغزالي وغيره من علماء الصوفية حسب ما نقله
عنه محمد رشيد رضا بقوله :

" وقال الغزالي : وغيره من ائمة الصوفية : ان الحجب أى الموانع التي تمنع
العبد من معرفة الحق كثيرة اكثفها نفسه وهذه الحجب تزال يوم القيامة
عن المؤمنين الا حجابا واحدا فيعرفون الحق معرفة كاملة تستغرق السروح
وذلك ما عبر عنه بالروية ومجىء الله واتيانه " . (٢)

وقد سار على هذا التأويل ايضا من علماء التفسير الجلالين المحلى والسيوطى
حيث فسرا كل آية فيها ذكر مجىء الله ، بمجىء أمره . (٣)

وكذا النسفى فى تفسيره (٤) وغيرهم ممن ينفى القول بمجىء الله حقيقة
وقد أضاف القرطبى الى تلك التأويلات الباطلة فى معنى الآية تأويلات اخرى
فقال : " فمعنى الآية : هل ينظرون الا أن يظهر الله تعالى فعلا من
الأفعال مع خلق من خلقه يقصد الى مجازاتهم ويقضى فى امرهم ما هو قسار .

(١) تفسير المنار ٢ / ٢٦٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٧ .

(٣) تفسير الجلالين فى عدة صفحات منها ص ٢٩ .

(٤) تفسير النسفى منها ص ١٠٥ ج ١ .

وكما انه سبحانه احدث فعلا سماه نزولا واستواء كذلك يحدث فعلا يساميه

اتيانا وافعاله بلا آلة ولا علة سبحانه . (١)

وهذا التأويل خروج بمعنى الآية الى غير ما دلت عليه واسناده جزاء العباد الى فعل من أفعال الله مع خلق من خلقه يجازيهم ويقضى بينهم غير مسلم فان مذهب السلف ان المتولى لحساب العباد هو الله وحده ، ويتضح مما سبق عرضه أن تلك التأويلات التي جاء بها من ينفي تلك الصفة في شرعهم لآيات اثبات نزول الله لفصل القضاء انها كلها اقوال متكلفة وغير مسلمة ومن امثلة ذلك تأويل المجيب الى معنى العدل ، ذلك ان عدل الله حاصل في كل وقت ولا يختص بوقت بعينه وكذا نسبة النور الى الله فهو على حقيقته ولا لزوم للتأويل لانها صفة كمال بخلاف نسبة الناقة والبيت الى الله تعالى ثم ما هي النتيجة من مجيب نور مضاف الى الله ينزل الى الموقف وكذا تأويل معنى الآية بأن ملكا تشرق الأرض بنوره وهو رب هذه الأرض فهذا مما لا يخفى بعده عن الحق وهو قول لم يدل عليه أى دليل من القرآن ولا من السنة ولا من اقوال السلف الى آخر تلك المعانى التي ذكرها المؤمنون لصفة المجيب فالأولى بالمؤمن الذي يتحرى الحقيقة أن يكون في غنى عن مثل تلك التأويلات فثبت ما أثبتته الله لنفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يترك بحث الكيفيات ويكل علمها الى الله تعالى وهذا هو الأسلم ، وهذا هو الذى ينبغى ، وينبغى عن تلك التكلفات .

لأن الحامل لهؤلاء على هذه التأويلات هو الهرب من اثبات الكيفية التي يلزم منها المحال على الله وهذا طيب لولا أنهم تجاوزوا في النفي الى الحد المذموم ان لم يقتصروا على نفي الكيفية بل تعدوه الى نفي الصفة ذاتها فنفوا ما اثبته الله لنفسه ، وكون الذي حملهم على تلك الأقوال هو الفرار من اثبات صفة المجيب ، لله تعالى تنزيها لله تعالى أن يشبهه بخلقه الذين يتصفون بصفة المجيب ، والاتيان حجة غير مقبولة ذلك أن الاتفاق في التسمية لا يلزم منه القول بالتشبيه كما قرره علماء السلف ، فقد سمي الله نفسه باسماء في كتابه الكريم وسمى بها كذلك بعض خلقه في آيات كثيرة ولم يكن هذا من باب التشبيه وان كان الاتفاق في التسمية حاصل فلا يمنع أن يتصف المخلوق بالاتيان ويتصف الله بذلك ولله المثل الأعلى فاتيان المخلوق اتيانا يليق به واتيان الله اتيانا يليق به ، اتيان المخلوق يلزم منه التحول من مكان الى مكان ويلزم منه ملامكان وتفريخ مكان آخر ويصح كذلك وصفه تبعا لما أتى اليه فيقال كان عاليا فأتى الى اسفل وكان فوق البيت فأتى الى اسفله وهكذا .

الله
يخلاف اتيان جل وعلا فانه ينتفى في حقه كل وصف يتصف به المخلوق على
سبيل المماثلة لأنه بخلاف ما يخطر بالبال بل من الخيال البين اشغال
العقل بمثل هذه التصورات البعيدة عن الحق والواقع .

فعلينا ما سبق ذكره آنفا أن الله تعالى يتصف بصفة النزول مثل اتصافه بالصفات الأخرى الثابتة له كما دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية - وليس هناك أي محذور من الجلاق هذا الوصف على الباري سبحانه وتعالى حقيقة كما جاءت به النصوص .

ولا ينبغي الإنكار على من أطلق على الله صفة النزول لأن من ينكر ذلك سيفضى به حتما إلى رد النصوص الصحيحة الصريحة في إثبات هذه الصفة التي اتضحت أدلتها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما رأينا .

وإذا قلنا بأنه ليس هناك أى مصدر من إطلاق هذه الصفة على الله تعالى فإن ذلك لا يشمل من أطلق هذه الصفة على كيفية مخصوصة كما هو معلوم لأن ذلك هو من القول على الله بغير علم فإذا بلغ الاعتقاد بالشخص إلى ذكر الكيفية وتفصيلها فلا شك أنه قد جاوز الحق وصار مشبها مذموما ، وذلك لعدم ورود نص يبين الكيفية التي يتم بها نزول الله تعالى ، فالواجب هو الاقتصار على إثبات ما أثبتته الله ورسوله من الصفات التي تطلق على الله تعالى من غير افراط ولا تفريط .

وهذا هو القول الحق والطريق السوى الذى جاء بيانه فى كتاب الله

تعالى وفى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم .

وقال ابو سعيد الدارمى فى رده على من أول اتيان الله بمعنى من المعنى

الباطلة "فقال قائل منهم معنى اتيانه فى ظلل من الغمام ومجيئه والملك

صفا صفا كمعنى كذا وكذا قلت : هذا التأكيد بالآية صراحة تلك معناه

بين الأمة لا اختلاف بيننا وبينكم وبين المسلمين فى معناها المفهوم المتعارف

عند جميع المسلمين فاما مجيئه يوم القيامة واتيانه فى ظلل من الغمام

والملائكة فلا اختلاف بين الامة انه انما يأتيهم يومئذ كذالك لمحاسبتهم
وليصدق بين خلقه ويقررهم بأعمالهم ويجزيهم بها ولينصف المظلوم منهم
من الظالم لا يتولى ذلك احد غيره تبارك اسمه وتعالى جده ، فمن لم
يوء من بذلك لم يوء من بيوم الحساب ولكن ان كنتم محقين فى تأويلكم هذا
وما ادعيتم من باطلكم ولستم كذالك فاتوا بحديث يقوى مذنبكم فيه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم او بتفسير تأثرونه صحيحا عن أحد من
الصحابة او التابعين كما اتيناكم به عنهم نحن لمذنبنا " (١)

الخ رده على الجهمية .

ولقد استفاض شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى الرد على المؤء وليس
لصفة نزول الله يوم النسل بمجيبه أمره ونحو ذلك من التأويلات البعيدة
المجانبة للحق وذكر أئوال علماء السلف فى ابطالها فهو بعد أن ذكر
الآيات التى تدل على نزول الله تبارك وتعالى لفصل القضاء بين مذنب
باعتقدين كلاهما على خطأ وعلى طرفى نقيض .

فقال : " والنفاة المعطلة ينفون المجيبه والأتیان بالكلية ويقولون : ما
ثم الا ما يحدث فى المخلوقات ثم بين ان هؤلاء فى جانب والحلولية فى
جانب آخر فقال : " والحلولية يقولون : انه يأتى ويجيبه بحيث يخلو منه
مكان ويشغل آخر فيخلو منه ما فوق العرش ويصير بعض المخلوقات فوقه
فاذا أتى وجاء لم يصر على قولهم العلى الاعلى " (٢) وكلاهما قول باطل

(١) الرد على الجهمية ص : ٤٧ .

(٢) الفتاوى ١٦ / ١٠٨ .

والقول الحق هو الوسط اذ ان الغلو في النفي يؤدي الى التعطيل
والغلو في الاثبات يؤدي الى القول بالحلول ، والسلف على خلاف هذا
كله .

فانه لم ينقل عن أحد من السلف انه قال بتأويل آيات الله لفصل
القضاء الى معنى مجبىء أمره .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان طبرويه ابو الفرج ابن الجوزى عن التاضى
ابى يعلى عن أحمد " انه قال المراد به - يعنى آيات الله فى ظلال من
الغمام - قدرته وأمره .

وكذا ما نقل عن الامام طالك من تأويله لنزول الله الى معنى مجبىء أمره
أن هذا كله لا يصح فقد رد شيخ الاسلام ما نقل عن الامام أحمد هنا
وابطله من وجوه كما فى قوله : " قلت هذا الذى ذكره التاضى وغيره ان
حنبلًا نقله عن أحمد فى كتاب " المحنة " انه قال ذلك فى الصائفة لهم
يوم المحنة لما احتجوا عليه بقوله : " تجبىء البقرة وآل عمران " قالوا :
والمجبىء لا يكون الا لمخلوق ، فعارضهم احمد بقوله - وجاء ربك - أو
" يأتى ربك وقال المراد بقوله " تجبىء البقرة وآل عمران " ثوابهم
كما فى قوله وجاء ربك امره وقدرته "

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وقد اختلف اصحاب أحمد
فيما نقله حنبل فانه لا ريب انه خلاف النصوص المتواترة عن أحمد فى منعه
من تأويل هذا وتأويل النزول والاستواء ونحو ذلك من الأنفال .

ولهم ثلاثة اقوال قيل ان هذا غلط من حنبل انفرد به دون الذين ذكروا

عنه المناظرة مثل صالح وعبدالله والمرزى وغيرهم فانهم لم يذكروا
هذا وحنبل ينفرد بروايات يخلطها فيها طائفة كالخلال وصاحبه ، قال
ابواسحاق بن شاذان هذا غلط من حنبل لا شك فيه .

والقول الثاني : قال الطائفة من اصحاب احمد هذا قاله الزايط على مذهبه

لانهم في يوم المحنة لما احتجوا بقوله : " يأتى البقرة وآل عمران ،
أجابهم بأن معناه يأتى ثواب البقرة وآل عمران كقوله " ان يأتيمهم الله"
أى أمره وقدرته على تأويلهم لا انه يقول بذلك فان مذهبه ترك التأويل .
والقول الثالث : انهم جعلوا هذا رواية عن أحمد (١) وقد يختلف كلام

الائمة في مسائل مثل هذه ، لكن الصحيح المشهور عند رد التأويل "
وينقل كذلك الشيخ على بن عبيد الله الزاغوني انه قد اختلفت الرواية
عن أحمد في مجيىء الله على روايتين احدهما القول بمجىء الله بذاته
من غير تأويل لذلك المجيىء اتيانا يليق بجلاله لا يتصف بصفات الخلق
من الزوال والانتقال وفراغ مكان وشغل آخر فقال :

" وقد اختلف كلام اطمننا احمد في هذا المجيىء شمل يحمل تأويله وشمل

(١) وقد تمسك بهذه الرواية من يذهب الى التأويل من اصحاب الخمسة
" كان عقيل وابن الجوزى وغيرهما يجلسون هذه عندتهم تستمعني
يذكرونا ابوالفرج بن الجوزى في تفسيره ولا يذكر من كلام أحمد والسلف
طائفة منهم . شرح حديث النزول ص ٥٧ .

يدخل التأويل ؟ على روايتين .

احدهما : انه يحمل على ظاهره من مجيء ذاته ، فعلى هذا يتسول
لا يدخل التأويل الا انه لا يجب أن يحمل مجيئه بذاته الا على ما يليق
به ، وقد ثبت انه لا يعمل اثبات مجيء هو زوال وانتقال بموجب فراغ
مكان وشغل آخر من جهة أن هذا يعبر بالجنس في حق المحدث
الذي يقتصر عن استيعاب المواضع والمواضع لانها اكبر منه وأعظم فيقتصر
مجيئه اليها الى الانتقال عما قرب اليه ما بعد ذلك ممتنع في حق
الباري تعالى لأنه لا شيء اعظم منه .

وفي قول الزاغوني بمنع الالاق لفظة " الزوال " والانتقال اعتبارا
لابن تيمية بأنه من الالاق المجتمعة التي تحتاج الى ايضاح وذلك في قوله :
" قلت : اما كون اتيانه ومجيئه ونزوله ليس مثل اتيان المخلوق ومجيئه
ونزوله فهذا امر ضروري متفق عليه بين علماء السنة ومن له عقل ، فسان
الصفات والافعال تتبع الذات المتصفة الفاعلة فاذا كانت ذاته مباينة
لسائر الذات ليست مثلها لزم ضرورة ان تكون صفاته مباينة لسائر الصفات
ليست مثلها ، ونسبة صفاته الى ذاته كنسبة صفة كل موصوف الى ذاته"
الى أن يقول في الالاق لفظة الزوال وكذا المجيء على الله " واما لفظ
الزوال والانتقال فهذا اللفظ مجمل ، ولهذا كان أهل الحديث
والسنة فيه على أقوال :-

فعثمان بن سعيد الدارمي وغيره أنكروا على الجهمية قولهم : انه لا يتحرك
وذكروا اثرا انه لا يزول وفسروا الزوال بالحركة فبين عثمان بن سعيد أن
ذلك الأثران كان صحيحا لم يكن حجة لهم لأنه في تفسير قوله الحسن

القيوم ذكروا عن ثابت دائم باقى لا يزول عما يستحقه كما قال ابن اسحاق
لا يزول عن مكانته ، قلت : والكلى بنفسه الذى روى هذا الحديث هو
يقول " استوى على العرش استقر ويقول (ثم استوى الى السماء) صعد
الى السماء .

" وأما وانتقال " فابن حامد وملائفة يتولون : ينزل بحركة وانتقال وآخرون
من أهل السنة كالتميمي من أصحاب احمد انكروا هذا وقالوا بل ينزل
بلا حركة وانتقال ، وملائفة ثلاثة كابن بطة وغيره يتفنون فى هذا .
قال ابن تيمية : " والاحسن فى هذا الباب مراعاة القائل النصوص فيثبت
ما اثبت الله ورسوله باللفظ الذى اثبتته ، وينفى ما نفاه الله ورسوله
كما نفاه وعوان يثبت النزول والاتيان والمجيب وينفى المثل والسسمى
والكفر والند " (١)

أما ما يروى عن مالك من التأويل المشار اليه آنفا فهو ما ذكره شمسدين
الاسلام ابن تيمية بقوله :

" وكذلك نقل عن مالك رواية انه تأول " ينزل الى السماء الدنيا انفسه

ينزل أمره " ثم بين ان هذا باطل لانه من رواية كذاب فتال

" لكن هذا من رواية حبيب كاتبه وهو كذاب باتفاقهم ، وقد رويت من وجه

آخر لكن الاسناد مجهول " .

والخلاصة :

لقد ذكرنا فيما مضى ما ورد في القرآن والسنة من اثبات النزول لله

تبارك وتعالى لفصل القضاء .

وهذا النزول امر متفق عليه بين السلف والخلف ولكنهم اختلفوا في تفسيره

الى قسمين :-

١ اختلط السلف رضي الله عنهم يثبتون النزول بمعنى أن الله تعالى

ينزل بذاته ولكن من غير أن يكون نزوله مشابها لما يتصف به المخلوق

لقوله تعالى : " ليس كمثله شيء " وهو السميع البصير " (١)

فيقولون بالنزول من غير ان يضيفوا اليه شيئا آخر مما يوجب التشبيه

أو التمثيل .

٢ اما علماء الخلف فانهم قد ذهبوا الى التأويل وربط يكون ذلك

بسبب ظهور الفتن في زمانهم من اختلاف الديانات والمذاهب ومن

نقل كتب الأقدمين من الفلاسفة وغيرهم فابعدا للفتنة اختاروا تأويل

النزول لأن الظاهر من كلمة النزول ان معناها يوصى بالانتقال من

جهة الى جهة وخلوا المنتقل من مكانه الأول وانشغال المكان الثاني

به ، وهذا كله محال على الله تعالى فنحو النزول نفيا عما سببه

ولما كان الأمر كذلك ذهبوا الى تأويل معنى النزول تنزيها

لله تبارك وتعالى من مشابهته للحوادث فقالوا ان النزول بمعنى

نزول عدله أو نوره أو ملائكته إلى آخر ما ذكره في هذا المعنى
وقد قالوا ان مذهب السلف أحكم ومذهب الخلف أعلم .

ولكننا نقول ان مذهب السلف أحكم وأعلم لانهم يقفون عند كلام الله تعالى
وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتجاوزونه .
وإذا كان النزول معناه كما ذكرنا الحركة والفراغ والامتلاء فهذا نزول
للمخلوقات .

أما النزول الذي أثبتته الله لنفسه وأثبتته الرسل له فله معنى آخر وان كان
لفظ النزول يشتمل على الا ان معناه يختلف باختلاف من يتصف به ، ومثل
ذلك بنية الصفات كالحياة مثلا فانها بالنسبة إلى الله لا تتوقف على
الاسباب بخلافها اذا نسبت إلى المخلوقات فانها تتوقف على الأسباب .
وان كان لفظ الحياة يعلق على الحادث والقديم . ومن هنا نعلم ان
مذهب السلف رضوان الله عليهم اعلم واحكم بخلاف مذهب الخلف فانهم
في تأويلهم اسندوا لله تعالى أمرا زائدا عما وصف الله به نفسه ووصفه
به رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ما ينبغي ان يدين به المسلم
خوفا من ان يقع في المخذور .

ونشير هنا إلى أن ما تقدم ذكره عن من وصف بالتأويل كالأشعري ومن
قال بقوله أن هؤلاء قد حثوا على مذهب السلف والقرول به وتراء تأويلات
أهل الكلام المذموم .

فالأشعري في كتابه الابانة عن اصول الديانة يقرر قوله باعتقاد مذهب
السلف وانه يدين الله به سائرا على طريقة اطم السنة احمد بن حنبل نسي

جميع مسائل العقيدة فهو يقول في ابانة قول أهل الحق والسنة
" فان قال لنا قائل قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية
والرافضة والمرجئة فحرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدبون
قيل له : " قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب
ربنا عز وجل وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين
وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به ابو عبد الله
احمد بن محمد بن حنبل نضرا لله وجهه ورفع درجته واجزل ثوبته
قائلون ولعن خالف قوله مجانبون لانه الاطام الفاضل والرئيس الكامل الذي
أبان الله به الحق عند شهور الضلال " الخ كلامه . (١)

الباب الرابع مممم

- (رؤية الله تعالى في عرصات القيامة) -

ويشتمل على الفصول الآتية :

تمهيد :

الفصل الأول : الادلة على امكان وقوع رؤية الله تعالى

١- من القرآن الكريم مع بيان وجه الاستدلال وذكر شبه المخالفين

والرد عليهم .

٢- من السنة النبوية وذكر شبه المخالفين والرد عليهم .

٣- دلالة العقل على امكانها .

الفصل الثاني : اراء الفرق في امكان وقوع رؤية الله تعالى .

الفصل الثالث : الخلاف في رؤية غير المؤمنين لربهم .

وبيان الخلاف بين المثبتين للرؤية والنافين لها .

الفصل الرابع: هل تستلزم رؤية الله تعالى الجهة أم لا .

البحث فى رؤية الله تبارك وتعالى من أجل وأعظم المسائل وقد وصف ذلك الامام ابن القيم فى كتابه حادى الأرواح فقال :

" هذا الباب اشرف أبواب الكتاب وأجلها قدرا وأعلاهما خطرا وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة واشدها على أهل البدعة والضلالة وهى الغاية التى شمر اليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وتسابق اليها المتسابقون ولمثلها فليعمل العاملون " (١) الخ ما ذكر رحمه الله تعالى من أوصاف .

وقال ابن أبى العزنها بأنها " من أشرف مسائل اصول الدين وأجلها وهى الغاية التى شمر اليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وخرمتها الذين هم عن ربهم محجوبون وعن بابه مردودون " (٢)

ولعظيم شأنها وخطورتها صارت من المسائل الكبيرة التى كثر الجدل والخلاف فى وقوعها بين أهل السنة والجماعة من جانب وبين غيرهم من الفرق التى تنتسب الى الاسلام من جانب آخر .

ومجمل الخلاف فى ذلك يتمثل فيما يلى :

١- هل يمكن رؤية الله تعالى مطلقا أى سواء كان ذلك فى الدنيا ام فى

(١) حادى الأرواح ص: ١٩٦ .

(٢) شرح الطحاوية ص : ٢٠٤ .

الآخرة ام ان ذلك غير ممكن لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ومنه رؤية
المؤمنين ربهم فى الجنة .

٢- هل يمكن ان يرى الله فى الآخرة فى موقف فصل القضاء بالنسبة

لجميع الخلق ام ان الرؤية هناك خاصة بالمؤمنين ويحرم منها
الكفار .

وما ينبغى الاشارة اليه اننا سنتناول مبحث الرؤية من وجهين :

الوجه الأول : اثبات امكان وقوع رؤية الله تعالى وان ذلك ليس بمستحيل
ولا ممنوع .

والثانى : ان رؤيته تعالى فى الموقف واقعة كما تأيده الأدلة الثابتة
من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الاعتقاد
الذى سار عليه السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يخالف
فى وقوع ذلك غير أهل البدع كما سنذكر ذلك عنهم ونذكر أدلتهم
ونبطلها .

وفىما يلى نعرض بعض الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية على ثبوت
وقوع رؤية الله تعالى وامكانها .

الفصل الأول مممم

- (الأدلة على امكان وقوع روية الله تعالى) -

لقد ثبت امكان وقوع روية الله تعالى بنص الكتاب والسنة والاجماع والعقل وسنذكر فيما يلي ادلة اثبات ذلك .

من القرآن الكريم والسنة النبوية واجماع السلف ثم نذكر دلالة العقل على امكان وقوعها .

أ - الأدلة من القرآن الكريم مع بيان وجه الاستدلال وذكر شبه المخالفين والرد عليهم .

يستدل أهل السنة والجماعة على جواز وقوع وامكان روية الله تعالى بأدلة من كتاب الله عز وجل ظاهرة الدلالة على ثبوت الروية لله ، واذا ثبتت رويته تعالى سواء كان ذلك في الجنة أو في الموقف كان ذلك ابطالا لمن خرج عن الحق فنفي امكان وقوعها .

ومن الأدلة التي يستدل بها أهل الحق لاثباتها الآيات الآتية قول الله عز وجل لموسى : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا^(١)) ومنها آيات وردت في اثبات رويته تعالى مثل قوله تعالى : (وجوه

بومئذ ناظرة الى ربها ناظرة) (٢)

(١) سورة الأعراف : آية : ١٤٣ .

(٢) سورة القيامة : آية : ٢٣ .

(للذين احسنوا الحسنى وزيادة) (١)

وكذا قوله تعالى (لهم ما يشاؤون فيها ولدنا مزيد) (٢)

وقد فسرت هذه الزيادة بوقوع النظر الى الله عز وجل .

وقال تعالى : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير)^(٣)

وقال تعالى : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (٤) واذا كان

الكفار محجوبون عن رؤية ربهم فان المؤمنين بعكس ذلك ولا بد .

ج) وكذا ماورد فى القرآن الكريم مما يدل على ذكر لقاء الله تعالى

كما فى الآيات الآتية .

١- قال الله سبحانه وتعالى : (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم

اليه راجعون) (٥)

٢- واتقوا الله واعلموا انهم ملاقوه وبشر المؤمنين) (٦)

٣- قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

باذن الله) (٧)

(١) سورة يونس : آية : ٢٦

(٢) سورة قى : آية : ٣٥ .

(٣) سورة الأنعام : آية : ١٠٣

(٤) سورة المطففين : آية : ١٥ .

(٥) سورة البقرة : آية : ٤٦ .

(٦) سورة البقرة : آية : ٢٢٣

(٧) سورة البقرة : آية : ٢٤٩ .

٤- آتلك الذفن كفروا بآفات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم

يوم القفامة وزنا (١)

٥- فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه (٢)

لأن المنافقين والكفار يرون ربهم فى عرصات القفامة على الخلاف

فى ذلك كما سياتى ذكره . (٣)

٦- تحببهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم اجرا كريما (٤)

٧- قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين (٥)

والآيات فى لقاء الله تعالى كثيرة فى القرآن الكريم نكتفى بما تقدم ذكره .

وبعد عرض ما تقدم من الأدلة من كتاب الله عز وجل على وقوع وامكان

روية الله تعالى وانها جائزة وغير مستحيلة نبين القول الحق نفسى

وجه الاستدلال بالآيات السابقة على ثبوت وقوع الروية بايجاز :

أما الآية الأولى الواردة فى شأن موسى عليه الصلاة والسلام من طلبه

من ربه النظر اليه فان البحث فيها يكون من الجوانب الآتية :

(١) سورة الكهف : آية : ١٠٥

(٢) سورة التوبة : آية : ٧٧ .

(٣) حادى الأرواح ص : ١٩٨ .

(٤) سورة الأحزاب : آية : ٤٤

(٥) سورة يونس : آية : ٤٥ .

- ١- دلالتها على امكان وقوع رؤية الله تعالى .
 - ٢- موقف المعتزلة من دلالتها على رؤية الله تعالى وشبههم في ذلك .
 - ٣- الرد عليهم وابطال شبههم .
- (١) أما وجه دلالتها على رؤية الله تعالى فان أهل القول الحق يستدلون بها على امكان وقوع رؤيته تعالى من عدة وجوه :

وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله سبعة وجوه فيها وهي- بتصرف -

- ١- انه لا يظن بموسى عليه الصلاة والسلام وشو العارف بربه أن يسأله ما لا يجوز عليه سبحانه وتعالى

قال الرازي : " ولا شك ان موسى يكون عارفا بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة على الله لما سألها وحيث سألها علمنا ان الرؤية جائزة على الله تعالى " (١)

- ٢- ان الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سوءه ، ولو كان محالا لانكره عليه كما انكر على نوح سوءه نجاة ابنه وقال (انى اعطك ان تكون

من الجاهلين) (٢)

- ٣- الوجه الثالث ان الله اجابه بقوله لن ترانى " ولم يقل " انى لا أرى " ولا انى لست بمرئى اولا تجوز رؤيتى وانما فيه الأخبار من الله سبحانه وتعالى عن عدم استطاعة موسى ان ينظر الى الله فى هذه الحياة فلا فى غيرها .

(١) التفسير الكبير ١٤ / ٢٣١ .

(٢) سورة هود : آية : ٤٦ .

قال الرازي ممثلاً لهذا " الا ترى انه لو كان في يد رجل حجر فقال له انسان ناولني هذا لآكله فانه يقول له هذا لا يوهكل ولا يقول له لا تأكل ولو كان في يده بدل الحجر تفاحة لقال له لا تأكلها أي هذا مما يوهكل ولكنك لا تأكله فلما قال تعالى (لن تراني) ولم يقل لا أرى علمنا ان هذا يدل على انه تعالى في ذاته جائز المرئية^(١)"
٤- ان الله تعالى بين لموسى السبب في عدم رؤيته له " وهو قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فاعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبحر الضعيف الذي خلق من ضعف " .

٥- ان الله تعالى علق رؤيته على امكان استقرار الجبل وهذا ممكن في مقدوره " وقد علق به الرؤية ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته "

٦- اذا جاز ان يتجلى الله للجبل وهو جماد فكيف يمتنع ان يتجلى لأبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريههم نفسه .

٧- ان ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه اليه ومخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وان يسمع مخاطبة كلامه منه بغير واسطة فرؤيته

أولى بالجواز " (٢)

(١) التفسير الكبير ١٤ / ٢٣١ .

(٢) حادي الأرواح : ص : ١٩٧ - ١٩٨ .

وقد اتفق ابن القيم والرازي في ذكر أغلب هذه المطالب وزاد ابن القيم

وانفرد الرازي بقوله في ايضاح تجلي الله تعالى للجبل :-

" الحجة الرابعة من الوجوه المستنبطة من هذه الآية في اثبات جواز

الرؤية قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا (وهذا التجلي

هو الرؤية ويدل عليه وجهان :

الأول : ان العلم بالشيء يجلي لذلك الشيء وابصار الشيء ايضا

يجلي لذلك الشيء الا ان الأَبصار في كونه مجليا اكمل من العلم به

وحمل اللفظ على المفهوم الأكمل أولى .

الثاني : ان المقصود من ذكر هذه الآية تقرير ان الانسان لا يطيق

رؤية الله تعالى بدليل ان الجبل مع عظمته لما رأى الله تعالى انداء

وتفرقت اجزائه ولولا ان المراد من التجلي ما ذكرناه والا لم يحصل

هذا المقصود فثبت ان قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا

هو ان الجبل لما رأى الله تعالى اندكت اجزائه " ومتى كان الأمر

كذلك ثبت ان الله تعالى جائز الرؤية " .

ثم قال عن احتمال أن يقول قائل ان الجبل جماد والجماد يمتنع أن

يرى شيئا قال : " لا يمتنع أن يقال انه تعالى خلق في ذات الجبل

الحياة والنقل والفهم ثم خلق فيه رؤية متعلقة بذات الله تعالى

قال (يا جبال أولى معه والطير) وكونه مخاطبا بهذا الخطاب

مشروط بحصول الحياة والعقل فيه فكذا ههنا (

وقد ذكر الرازي اربع حجج على أن الآية تدل على جواز وقوع رؤية الله

تعالى ثم قال : " فثبت بهذه الوجوه الأربعة دلالة هذه الآية على أنه

تعالى (جائز الرؤية) (١)

٢- موقف المعتزلة من دلالة الآية على جواز وقوع رؤية الله تعالى وشبههم في ذلك .

ينفي المعتزلة نفياً تاماً أن يرى الله تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا فإنهم وقفوا من مدلول هذه الآية موقفاً خاطئاً فقد ردوا دلالتها على وقوع رؤية الله تعالى متمسكين تأويلات وشبهها بعيدة ادفعها وقد أجمل الرازي شبههم في الآية في أربعة أقوال ونفى في قوله :
" قال القاضي الذي قاله المحصلون من العلماء في ذلك أربعة أقوال :

أحدها : ما قاله الحسن وغيره أن موسى عليه السلام ما عرف أن الرؤية

غير جائزة على الله تعالى قال ومع الجهل بهذا المعنى قد يكسبون المرء عارفاً بربه ويعدله وتوحيده فلم يبعد أن يكون العلم بامتناع الرؤية وجوازها موقوفاً على السمع .

وثانيها : أن موسى عليه السلام سأل الرؤية على لسان قومه فقد كانوا

جاهلين بذلك يكررون المسألة عليه يقولون (لن نؤمن لك حتى نرى الله جبهة) فسأل موسى الرؤية لا لنفسه فلما ورد المنع منها ظهر أن

ذلك لا سبيل إليه وهذه طريقة أبي علي وأبي هاشم .
وثالثها : أن موسى عليه السلام سأل ربه من عنده معرفة باهرة باضطراب

وأهل هذا التأويل مختلفون فمنهم من يقول سأل ربه المعرفسة
الضرورية ومنهم من يقول بل سأله اظهار الآيات الباهرة التي عندها
تزول الخواطر والوساوس عن معرفته وان كانت من فعله كما نقوله في معرفة
أهل الآخرة وهو الذي اختاره أبو القاسم الكعبي .

ورابعها : المقصود من هذا السؤال ان يذكر تعالى من الدلائل
السمعية ما يدل على امتناع رؤيته حتى يتأكد الدليل العقلي بالدليل
السمعي ، وتعاضد الدلائل أمر مطلوب للعقلاء وهو الذي ذكره
أبو بكر الأصبم "

ثم قال الرازي : " فهذا مجموع اقوال المعتزلة في تأويل هذه الآية^(١)
وبالرجوع الى كتب المعتزلة فاننا نجد القاضي عبد الجبار يؤكد نفس
رؤية الله بالتأويلات الباطلة فهو يقول :

١- وقد أجاب شيخنا ابو الهذيل عن هذا بأن الروية شهنا بمعنى
العلم " .

ولما كان بطلان هذا التأويل ظاهرا فقد أدرك القاضي ضعف جواب
شيخه ابو الهذيل وذكر انه لا اعتماد على جوابه هذا وانما الاعتماد
على ما ذكره غيره من مشائخهم وهو كما يقول :

٢- " ان السؤال لم يكن سؤال موسى وانما كان سؤاله عن قومسه "

ثم استدل على هذا الزعم بقول الله تعالى لنبية محمد صلى الله عليه

وسلم (يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا
موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة " (٢)

(١) التفسير الكبير ١٤ / ٢٢٩ ، (٢) سورة النساء : آية : ١٥٣

ويقوله عز وجل (واذ قلتم يا موسى لن نوؤمن لك حتى نرى الله جهرة)^(١)

قال : " فصح الله تعالى بأن القوم هم الذين حملوه على هذا السؤال^(٢)

وقال : " ويدل عليه أيضا قوله حاكيا عن موسى عليه السلام :

(أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) قال (فبين أن السؤال عن قومه وان

الذنب ذنبهم "

ثم أورد القاضى السؤال الآتى :

" فان قيل لولا أن الروية غير مستحيلة على الله تعالى والا لما جاز أن

يسأله ذلك لا عن نفسه ولا عن قومه كما لا يجوز ان يسأل الله عن صاحبة

والولد لما كانت مستحيلة عليه "

وهذا سؤال مهم ويحتاج الى اجابة مقنعة كافية ، ولكن القاضى يجيب

عن ذلك بما لا مفتح فيه ويفصل القول بما لا دليل عليه وهذه اجابته :

" قلنا فرق بينهما لأن مسألة الروية يمكن معرفتها بالسمع فجاز ان يثلسب

فيها دلالة سمعية بخلاف مسألة صاحبة والولد .

وقيل انه علم ان الروية مستحيلة على الله ولكن سأله عن ذلك لأن الأمسة

لم يكن يقنعهم جوابه فسأل الله سبحانه ليرو من جهته جوابا يقنعهم " (٣)

وبعد هذا يذكر القاضى عبد الجبار أيضا ان هذه الآية حجة لهم فى نفسى

الرؤية عن الله تعالى من وجهين :

(١) سورة البقرة : آية : ٥٥ .

(٢) شرح الأصول الخمسة ص : ٢٦٢ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ص : ٢٦٤ - ٢٦٥ .

أحدهما : هو أنه تعالى قال مجيبا لسؤاله (رب ارني انظر اليك فقال
لن تراني ولن موضوعة للتأبيد فقد نفى ان يكون مرثيا البته وهذا يدل
على استحالة الرؤية عليه .

والوجه الثاني : من الاستدلال بهذه الآية هو أنه تعالى قال :

(لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) علق
الرؤية باستقرار الجبل فلا يخلو اما ان يكون علقها باستقراره بعد تحركه
وتدركه أو علقها به حال تحركه ، لا يجوز ان تكون الرؤية علقها باستقرار
الجبل لأن الجبل قد استقر ولم ير موسى ربه ، فيجب ان يكون قد علق
ذلك باستقرار الجبل بحال تحركه دالا بذلك على ان الرؤية مستحيلة عليه
كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه ويكون هذا بمنزلة قوله تعالى :
(ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ") (١) (٢)

ونجيب فيما يلي عن تلك الشبه للمعتزلة

" الجواب عن شبه المعتزلة في دعواهم عدم دلالة الآية على وقوع الرؤية"
هو ان يقال ان دعوى المعتزلة عدم دلالة الآية على جواز وقوع الرؤية
مما لم يسلمه لهم أهل القول الحق ونذكر فيما يلي ابطال ما تأول المعتزلة
مسألة مسألة

١- اما قولهم ان موسى عليه السلام ما كان يعرف ان الرؤية غير جائزة على
الله تعالى فسأله فانه قول في غاية الضعف وذلك ان موسى عليه السلام

(١) سورة الاعراف : ٤٠ .

(٢) شرح الاصول الخمسة ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

ما كان يجهل ما يليق بالله تعالى وما لا يليق به وكيف يصرف ارادته المعتزلة - كما سماهم الرازي - ما يمكن في حق الله وما لا يمكن أكثر من موسى صلى الله عليه وسلم وضعف قولهم ذلك يتبين فيما ذكر الرازي من وجوه فقال :

الأول : اجماع العقلاء على ان موسى عليه السلام ما كان في العلم بالله أقل منزلة ومرتبة من ارادته المعتزلة فلما كان كلهم عالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى وفرضنا ان موسى عليه السلام لم يعرف ذلك كانت معرفته بالله أقل درجة من معرفة كل واحد من ارادته المعتزلة وذلك باطل باجماع المسلمين .

الثاني : ان المعتزلة يدعون العلم الضروري بأن كل ما كان مرثيا فانسه يجب أن يكون مقابلا أو في حكم المقابل فأما ان يقال ان موسى عليه السلام حصل له هذا العلم أو لم يحصل له هذا العلم فان كان الأول كسسان تجويزه لكونه تعالى مرثيا يوجب تجويزه لكونه تعالى حاصلا في العيسر والجهة ، وتجويز هذا المعنى على الله تعالى يوجب الكفر عند المعتزلة فيلزمهم كون موسى عليه السلام كافرا وذلك لا يقوله عاقل وان كان الثاني فنقول لما كان العلم بأن كل مؤثر يجب أن يكون مقابلا أو في حكم المقابل علما بديهيا ضروريا ثم فرضنا ان هذا العلم ما كان حاصلا لموسى عليه السلام لزم ان يقال ان موسى عليه السلام لم يحصل فيه جميع العلوم الضرورية ومن كان كذلك فهو مجنون فيلزمهم الحكم بأنه عليه السلام ما كان كامل العقول بل كان مجنونا وذلك كفر باجماع الأمة فثبت ان القول بأن موسى عليه السلام

ما كان عالما بامتناع الرومية مع فرض انه تعالى ممتنع الرومية بوجوب احد هذين

التسمين الباطلين فكان القول به باطلا " (١)

وفى هذا يذكر البغدادي ان حال موسى حين طلب الرومية لا يخرج عن أحد أمرين قال : " فان اعتقد استحالتها وسألها فهو كمن سأله ان يتخذها ولدا أو شريكا مع علمه باستحالة ذلك عليه ، وان كان اعتقد جواز الرومية عليه فتعد صح جوازها عليه لأن الانبياء معصومون عن اعتقاد ما لا يليق بالله عز وجل في صفاته " (٢)

وقال الايجي وهو يذكر اجابته عن سؤال موسى للرومية وان ذلك يدل على إمكان وقوعها من وجهين :-

" الاول : أن موسى سأل الرومية ولو امتنع لما سأل لأنه حينئذ اما ان تعلم

امتناعه او جهله فان علمه فالعاقل لا يطلب المحال فانه عيب وان جهله

فالجاهل بما لا يجوز على الله ويمتنع لا يكون نبيا كليما •

الثاني : انه علق الرومية على استقرار الجبل واستقرار الجبل امر ممكن في نفسه

وما علق على الممكن فهو ممكن " (٣)

(١) التفسير الكبير ١٤ / ٢٣٠ •

(٢) اصول الدين ص: ٦٦

(٣) المواصف ص: ٣٠٠ •

٢- اما قولهم ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل الرومية لقومه لا لنفسه لأجل
تكرارهم والحاحهم في طلب ذلك فان هذا قول مردود وذلك انه لو كان طلب
النظر الى الله تعالى لقومه لقال " رب اربنا ننظر اليك " لكن افراده بطلب
النظر الى الله وقول الله له (لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني) بتوجيه الخطاب اليه وحده وقوله بعد ذلك " تبث اليك " كل
هذا يدل على أن طلب الرومية كانت من موسى وبرغبته في ذلك غير مدفوع من قومه .
وقد رد العلماء زعم المعتزلة هذا وابطلوه .

قال البخدادي في رده عليهم : " فان قالوا انما سئل الرومية لقومه لأن قومه
قالوا " لن نؤمن لك حتى نرى الله جبهة "

قيل لو كان كذلك لقال ان قومي يسألونك أن ينظروا اليك ولقال الله في جوابه
لهم انهم لن يروني على ان قومه لما سألوا المحال بتكرارهم ايجل لنا الههسا
كما لهم آلهة أجابهم فقال انكم قوم تجهلون ولم يرجع الى الله في جوابهم
فلو كانت الرومية مستحيلة عليه لأجاب قومه ولم يرجع فيها الى سؤال ربه لأجلهم (١)
فظهر أن قول المعتزلة بعد ذلك أن موسى كان يعلم انها مستحيلة على الله
ولكنه سألها لأجل جواب قومه قول لا دليل عليه ويخالفه ظاهر الآية بل الدليل

يدل على ان موسى صلى الله عليه وسلم كان يعلم ان الرومية غير مستحيلة على
بدليل تلك المخاطبة بينه وبين ربه ثم هل يليق بموسى أن يسأل الله تعالى
الله تعالى الأمور المستحيلة وهو يعلم انه لا حن له في سؤالها ؟ وهل يشهد

طلب قومه مع علمه بأنه مستحيل ؟

(١) اصول الدين ض : ١٩ .

الجواب: انه لا يمكن أن يحصل هذا حتى من البشر مع بعضهم ، اذ لو فرضنا ان عقلا مسلما يل له اذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأسأله أن يشرك في النبوة أو أن يدعو الله تعالى ان تكون نبيا بعده لا تمتنع من الذهاب اجالا للرسول صلى الله عليه وسلم واحتراما لنفسه وعقله من طلب المستحبات . وقد ذكر الرازي رحمه الله اربعة اوجه لابطال زعم المعتزلة أن موسى انصبا سأل الرومية ، لأجل قومه فقال :

الأول : انه لو كان الأمر كذلك لقال موسى ارمم ينظروا اليك لقال الله تعالى لن يروني فلما لم يكن كذلك بطل هذا التأويل .

الثاني : انه لو كان هذا السؤال طلبا للمحال لمنعهم عنه كما انهم لما قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة " منعهم عنه بقوله (انكم قوم تجهلون)

والثالث : انه كان يجب على موسى اقامة الدلائل القاطعة على أنه تعالى لا تجوز روعيته وان يمدح قومه بتلك الدلائل عن هذا السؤال فأما ان لا يذكر شيئا من تلك الدلائل البته مع ان ذكرها كان فرضا مضيئا كان هذا نسبة لتسرك الواجب الى موسى عليه السلام وانه لا يجوز .

والرابع : ان آلك الأقوم الذين طلبوا الرومية اما ان يكونوا قد آمنوا بنبوة موسى عليه السلام أو ما آمنوا بها فان كان الأول كفاهم في الامتناع عن ذلك السؤال الباطل مجرد قول موسى عليه السلام فلا حاجة الى هذا السؤال الذي ذكره موسى عليه السلام .

وان كان الثاني لم ينتفعوا بهذا الجواب لانهم يتولون له لا نسلم ان الله مفسح من الرومية بل هذا قول افتريته على الله تعالى فثبت ان على كلاً التقديرين

لا فائدة للقوم في قول موسى عليه السلام (ارنى انظر اليك) (١)

٣- وأما قولهم ان موسى عليه السلام سأل ربه معرفة باهرة اضطراريه ضروريه
أو اظهار آيات باهرات تزيل الوسواس والخواطر .
فان هذا التأويل بعيد جدا وذلك ان موسى عليه السلام انما طلب من ربه
النظر اليه لا الى أمر من الأمور الأخرى كالمعرفة أو اظهار آية تزيل الشك
والوسواس وما أبعد هذا الكلام عن مراد موسى عليه السلام فكيف يلين بموسى
أن يسأل ربه آية تدل على وجوده تعالى بما يقطع الوسواس فموسى ما كان جاهلا
بوجود ربه وما كان جاهلا كذلك بآيات ربه فكم اعطى من معجزات باهرات كالعمود
واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدج وجعل الجبل فوقهم كأنه ظلمة
وفلق البحر وغير ذلك من الآيات الكثيرة ثم كيف يلين بموسى عليه السلام ان يسأل
ربه آية تدل على وجوده وهو يخاطبه ويناجيه وعلى فرض انه كان يطلب آية
فان الله تعالى ما كان يمنعه من اظهارها وقد اعطاه تلك الآيات الباهرات .
٤- وكذلك قولهم ان موسى صلى الله عليه وسلم اراد بهذا السؤال ادلة
سمعية تؤكد ما يحرف من الادلة العقلية في عدم جواز رومية الله تعالى .
فان هذا قول بعيد " لانه لو كان المراد ذلك لكان الواجب ان يقول اريد
يا الهى ان يقوى امتناع روعيتك بوجوه زائدة على ما ظهر فى العقل وحيث لم يتل
ذلك بل طلب الرومية علمنا ان هذه التأويلات بأسرها فاسدة " (٢)

(١) التفسير الكبير ١٤ / ٢٣٠ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ١٤ / ٢٣٠ .

(٣) المرجع السابق نفسه ١٤ / ٢٣١ .

٥- وأما دعوى المعتزلة ان الله اخبر عن عدم جواز روعيته بقوله عز وجل
لموسى (لن ترانى) وان لن موضوعة لتأبيد النفس فهذا قول غير مسلم وذلك أن لن
لا تفيد التأبيد المطلق فى نفى الرومية فى الآخرة وانما تفيد التأبيد المطلق فى
نفسها فى الدنيا .

والقول بأنها تفيد تأبيد النفس فى الدنيا والآخرة قول لا تدل عليه اتوال السلف
ولا علماء العربية .

قال ابن ابى الصز:

" فانها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفس فى الآخرة فكيف اذا اطلقت
قال تعالى (ولن يتنوه أبدا) (١) مح قوله (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك)
(الزخرف: ٧٧) ولانها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفصل بحددها
وقد جاء ذلك قال تعالى : (فلن ابرج الارض حتى يأذن لي أبى) (٢) - (٣)
وهذا دلالة على أن لن لا تقتضى النفس المومئد وعلى هذا القول علماء العربية
قال ابن مالك رحمه الله

" ومن رأى النفس بلن مومئدا فقوله اردد وسواه فاعضدا .

ويذكر العلامة البخادى ان لن فى الآية تقتضى النفس المومئد فى الدنيا لا فى

الآخرة (٣٤) .

(١) سورة البقرة : آية : ٩٥ .

(٢) سورة يوسف : آية : ٨٠ .

(٣) شرح الطحاوية ص : ٢٠٧ .

(٤) اصول الدين ص : ١٠٠ .

وقال الواحدى : فيما ينقله عنه الرازى ان ما نقل عن أهل اللغة من ان كلمة لن للتأبيد انها دعوى باطلة على أهل اللغة وليس يشهد بصحته كتاب مستهز ولا نقل صحيح " (١)

٦- وأما قول القاضى عبد الجبار بأن الله تعالى قد علق الرومية باستقرار الجبل حال تحركه ليدل بذلك على أن الرومية مستحيلة عليه كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه .

فان السلف قد استدلوا بهذه الآية على النقيض من استدلال المعتزلة وانها تدل على امكان وقوع رومية الله تعالى وذلك لأن الله تعالى قد علق الرومية على امر ممكن وهو تجلى الله للجبل محققاً استقراره وهذا فى مقدور الله تعالى جوائز الوجود لأن ذلك الشرط الذى ذكره الله ممكن فى نفسه .

قال الرازى :

" اذا ثبت هذا وجب ان تكون روميته جائزة الوجود فى نفسها لأنه لما كان ذلك الشرط أمر جوائز الوجود لم يلزم من فرض وقوعه محال فبتقدير حصول ذلك الشرط أما ان يترتب عليه الجزاء الذى هو حصول الرومية أو لا يترتب فان ترتب عليه حصول الرومية لزم القطع بكون الرومية جائزة الحصول وان لم يترتب عليه حصول الرومية قدح هذا فى صحة قوله انه متى حصل ذلك الشرط حصلت الرومية وذلك باطل .

أما ما قرره القاضي عبد الجبار من أن الرومية علقها الله تعالى على محسوس
وهو استقرار الجبل حال تحركه فقد أجاب الرازي عن ذلك بقوله :

" والجواب هو ان اعتبار حال الجبل من حيث هو من غير اعتبار حاله من حيث
انه متحرك أو ساكن وكونه ممتنع الخلو عن الحركة والسكون لا يمنح اعتبار حاله من
حيث انه متحرك أو ساكن الا ترى ان الشيء لو أخذته بشرط كونه موجودا كان
واجب الوجود ولو أخذته بشرط كونه معدوما كان واجب العدم فلو أخذت
من حيث هو هو مح قطع النظر عن كونه موجودا أو كونه معدوما كان ممكن الوجود
فكذا ههنا الذي يجعل شرطا في اللفظ هو استقرار الجبل وهذا القدر ممكن
الوجود فثبت ان القدر الذي جعل شرطا امر ممكن الوجود جائز الحصول وهذا
القدر يكفي لبناء المطلوب عليه " (١)

وأما وجه الاستدلال بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فهي
ظاهرة الدلالة على ثبوت الرومية .

فقد أطبق علماء السنة على ان معنى الآية هو اثبات النظر الى وجه الله تعالى
حقيقة ، قال ابن مردويه فيما ينقله عنه ابن جرير في تفسيره حدثنا ابراهيم
وسان بسنده الى عبد الله بن عمرو قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) قال
من البهاء والحسن الى ربها ناظرة قال في وجه الله عز وجل .
" وقال ابو صالح عن ابن عباس الى ربها ناظرة قال : تنظر الى وجه ربها عز وجل

وقال عكرمة : وجوه يومئذ ناظرة قال من النعيم الى ربها ناظرة قال : تنظر الى

ربها نظرا " (١)

وعن الحسن في قوله وجوه يومئذ ناظرة قال حسنة الى ربها ناظرة قال تنظر

الى الخالق وحق لها ان تنظر وهي تنظر الى الخالق . (٢)

وقد ذكر العلماء ان للنظر عدة احتمالات بحسب ما يتصل به فهو :

١- اما ان يتعدى بنفسه ويكون معناه التوقف والانتظار كقوله تعالى (انظرونا

نفتيس من نوركم) (٣)

٢- واما ان يعدى بغيره ويكون معناه التفكير والاعتبار كقوله تعالى (أو لم ينظروا

في ملكوت السماوات والارض) (٤)

٣- واما ان يعدى بالى ويكون معناه المعاينة بالابصار كقوله تعالى (انظروا الى

ثمره اذا اثمر) (٥) (٦)

وتعمدية النظر بالى ثم اضافة ذلك الى الوجه من أدل الدلائل على ان اطلاق

(١) حادى الارواح ج : ص : ٢٠٤ .

(٢) تفسير ابن جرير ٢١ / ١٩٢ .

(٣) سورة الحديد : آية : ١٢ .

(٤) سورة الاعراف : آية : ١٨٤ .

(٥) سورة الانعام : آية : ٦٩ .

(٦) حادى الارواح ص ٢٠٤ وانظر الرد على الزنادقة ص : ١٥ وشرح الطحاوية

ص : ٢٠٥ .

النظر الى الله في هذه الآية معناه المحاينة بالابصار • قال العلامة ابن القيم

" فكيف اذا اذيف الى الوجه الذي هو محل البصر " •

=====
=====
==

— (موقف المعتزلة من دلالة الآية على وقوع النظر الى الله تعالى) —

لقد حرف المعتزلة وغيرهم من الجهمية والزنادقة مدلول هذه الآية الكريمة
وخرجوا به عن المقصود منه فحملوا الآية ما لم تهمته من التأويلات الفاسدة
بل وصل بهم الحال الى أن ادعوا للتناقض بين آيات الله تعالى كما يذكر الامام
أحمد في رده عليهم حيث قال :

" فقالوا كيف يكون هذا يخبر انهم ينتظرون الى رسهم وقال في آية أخرى لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار " قال " فشكوا في القرآن زعموا انه ينقض بعضها
بعضاً " (١)

ويطالان هذا الزعم ظاهر اذ ان كتاب الله ليس فيه تناقض وانما التناقض في عقولهم
التي لم تقدر الله حتى قدره والتي جعلت التأويل المذموم هو الحسق •
ويتجلى تأويل المعتزلة وتحريفهم لمعنى الآية الكريمة في الامور الاتية التي قررهما
القاضي عبد الجبار :—

١— نفياً أن النظر بمعنى الرومية وقد ذكر القاضي عبد الجبار عدة أوجه يستدل
بها على ذلك وهي :—

١— ان الله تعالى يتول (وتراهم ينتظرون اليك وهم لا يبصرون) (٢)

أثبت النظر ونفى الرومية فلو كان احدهما بمعنى الآخر لتناقض الكلام وينزل منزلة
قول القائل يرونك ولا يرونك وهذا خلف من الكلام " • (٣)

(١) الرد على الزنادقة والجهمية ص : ١٥ •

(٢) سورة الأعراف : آية : ١٦٨ •

(٣) شرح الاصول الخمسة ص : ٢٤٣ ... ٢٤٤ •

٢- تأويلهم للنظر المذكور في الآية الى معنى الانتظار ويكون معنى الآية
وجوه يومئذ ناظرة لثواب ربها منتظرة واستدل القاضي عبد الجبار على هذا بقوله
تعالى (ففطرة الى ميسرة) أى فانتظار .

واستدل بقول الشاعر :

وجوه يوم بدر ناظرات . . . الى الرحمن يأتى بالخليل (١)

٣- تأويلهم معنى الآية الى ربها ناظرة الى أنها بمعنى الآلاء التى هى النعم

فكأنه قال تعالى : وجوه يومئذ ناظرة آلاء ربها منتظرة ونعمة مترتبة " (٢)

..... ****

((الرد عليهم وابطال حججهم))

لو تركنا التأويل المذموم جانباً وأخذ القول الحق لوجدنا ان الآية
ظاهرة الدلالة على رومية الله تعالى وعدم استحالتها عليه سبحانه لكن هذا
يقضى كما هو معلوم ترك التأويل والانتقاد للحق ، اذ لولا شوم التأويل المذموم
لما اقدم احد على انكار ان النظر في هذه الآية معناه المشاهدة بالبصر ، فان
تأويلهم للنظر في هذه الآية بالثواب أو غيره وكذا تأويلهم لكثير مما ورد من
اخيار يوم القيامة الى معان لم تدل عليه النصوص ليمس بالامر الصحيح على كل مهمل
أراد ان يتأول النصوص لتفوية مذهبه فما قويت حدة المذاهب وتفرقت الكلممة
الا يمثل هذا المسلك البخيس ، ولتد قاس أهل الاسلام من الثور والتشيتت
وضرب بعضهم بعضاً من جراء التأويلات الفاسدة ما لا يحلم مدى فداحته الا الله
قال ابن ابي العز عن شوم التأويل ومنه تأويل هذه الآية الى غيره معناه
قال : " وهذا الذي أسد الدنيا والدين ، وهكذا فعلت اليهود والنصارى
في نصوص التوراه والانجيل وحذرنا الله أن نفعل مثلهم وابتلى المهملون الا سنوك
سبيلهم وكمنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جنابة ، فهل تتل عثمان
ابن عفان رضى الله عنه الا بالتأويل الفاسد وكذا ما جرى في يوم الجمل وسيفين
ومقتل الحسين ، والحره ، وهمل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ورفضت
الروافضى وافترقت الامة على ثلاث وسبعين فرقة الا بالتأويل الفاسد ؟ (١)

وللرد على تلك المزاعم للمحتزلة يقال :-

١- زعمهم ان النظر ليس عبارة عن الروية غير مسلم لأن الله تعالى حينما قال له موسى ارني انظر اليك قال له (لن تراني) مما يدل على انه لا فرق بين النظر والروية .

ثم قال له (ولكن انظر الى الجبل " فلما نظر اليه حصل له ما حصل ، فشبههم من هذا ان النظر في اللغات هذه يراد به نظر المشاهدة وهو الروية .
وأما استدلالهم بالآية (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) (١)

فهو استدلالهم في غير موضع النزاع وذلك أن الآية هذه نزلت في بيان أن المشركين يدعون اصناما مسورة على صورة بنى آدم حينما يقابلهم الشخص يظن انهم يبصرون وهم لا يبصرون فهم ينظرون ولكنهم لا يبصرون أى يقابلونك ويحاذونك وهم لا يبصرونك لانه لا ابصار لهم والعرب تقول للشئ اذا قابل شيئا أو حاذاه نظر اليه وهذا هو المعنى الذى قرره أهل التفسير كابن جرير الطبرى وابن كثير وغيرهما ورجحوه على انه قد ورد عن مجاهد انه اعاد الضمير الى المشركين أنفسهم ويكون معنى الآية (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ماتدعوهم الى الهدى) قال ابن جرير : " وكان مجاهدا وجه معنى الكلام الى ان معناه :
وترى المشركين ينظرون اليك وهم لا يبصرون فهو وجه ولكن الكلام فى سياق الخبر عن الآلهة فهو بوصفها اشبه " (٢)

(١) سورة الاعراف : آية : ١٦٨ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير ١/١٥٢ - ١٥٣ وتفسير ابن كثير ٢/٢٧٧ .

لأن أصحابه كانوا ينظرون اليه ويتوقعون منه التخلص من الاعداء " .

هذا على القول الصحيح من ان حرف الى المعدى الى الوجوه لا يستعمل الا لأجل نظر الروية لكن " هب ان النظر المعدى بحرف الى المقرون بالوجه جاء في اللفظة بمعنى الانتظار لكن لا يمكن حمل هذه الآية عليه لأن لذة الانتظار مع يقين الوقوع كانت حاصلة في الدنيا فلا بد وأن يحصل في الآخرة شيء أزيد منه حتى يحسن ذكره في معرض الترغيب في الآخرة ولا يجوز ان يكون ذلك هو قرب الحصول لأن ذلك معلوم بالعقل فبطل ما ذكره من التأويل " (١)

وأما تأويلهم لمعنى الآية الى معنى انتظار النعم التي هي الآلاء المعبر عنها بقوله تعالى (الى ربها ناظرة) .

فلا شك انه تأويل بعيد لمعنى الآية وخروج بها عن المقصود من سياقها فان نعم الله تعالى حاصلة في كل وقت (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)^(٢) فكيف خصت بيوم القيامة الذي ينسى فيه الانسان كل ما تقدم من عمل ويخاف فيه كل مخلوق من الناس الوقوف امام ربه .

ثم ان انتظار الثواب لا يمنع من ان انتظار الروية معه فيكونون منتظرين للثواب ومنتظرين كذلك لروية الله تعالى وأما ما يروى عن بعض السلف من تأويلهم للآية فهو قول مهجور وليس بمرضى عند عامة السلف وهذا مثل ما روى عن مجاهد من تأويله لناظرة الى معنى منتظرة للثواب وفي رواية عنه

(١) التفسير الكبير ٣٠ / ٢٢٩ .

(٢) سورة النحل : آية : ١٨ .

قال تنتظر رزقه وفضله وفي رواية قال تنتظر من ربها ما امر لها وكذا ما جاء
عن ابي صالح من تأويله لناظرة الى معنى انها تنتظر الثواب ويعد أن
ذكر ابن جرير عنهما هذا التأويل قال : وأولى القولين في ذلك عندنا
بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة من ان معنى ذلك تنظر
الى خالقها وبذلك جاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادنى
أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه الفى سنة قال وان أفضلهم منزلة
لمن ينظر في وجه الله كل يوم مرتين قال ثم تلا (وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة قال بالباخ والصفاء قال الى ربها ناظرة قال تنظر كل يوم
فى وجه الله عز وجل " (١)

وقد ذكر ابن كثير أن من تأول لناظرة الى انتظار الثواب كابى صالح ومجاهد
انه " قد ابعث النجعة وابطل فيما ذهب اليه وان هو من قوله تعالى :
(كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال الشافعى رحمه الله تعالى
ما حجب الفجار الا وقد علم ان الأبرار يرونه عز وجل " (٢)

أما وجه الاستدلال بقوله تعالى (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) فقد
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الزيادة بوقوع رؤية المؤمنين لربهم
تعالى فى الجنة وهذا هو تفسيرها الصحيح الذى جرى عليه السلف
الصالح من الصحابة فمن بعدهم .

(١) تفسير ابن جرير ٢٩ / ١٩٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٥٠ .

وإذا كانت هذه الرؤية خاصة بالمؤمنين في الجنة فان القصد من ذكرها هنا هو الاستدلال على امكان وقوع رؤية الله تعالى ولكثرة ما ورد فى تفسير هذه الزيادة بالنظر الى الله عز وجل من اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة وعلماء السلف .

فاننا سنكتفى بذكر ما أورده مسلم فى صحيحه عن صهيب انه قال : " قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) قال : اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا ويريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويحزحنا عن النار فيكشف الحجاب فينظرون الله فما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليه وهى الزيادة " (١)

وقد أخرج أهل التفسير كابن جرير وابن كثير وغيرهما روايات كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر فيها الزيادة بالنظر الى وجه الله تعالى .

وذكر ابن جرير روايات عن السلف فى تفسير هذه الزيادة بالنظر الى وجهه الله تعالى عن ابي بكر الصديق ، وهذيفة بن اليمان وأبو موسى الأشعري وصهيب وكذا عامر بن سعد وأبو اسحاق ، وعبدالرحمن بن ابي ليلى والحسن وعبدالرحمن بن مهدي وعبدالرحمن بن سابط .

وزاد ابن كثير فذكر من السلف والخلف ،

عبدالله بن عباس / وسعيد بن المسيب / ومجاهد / وعكرمة / وعطاء / والضحاك

(١) صحيح مسلم ٤٢٦/١ ، والترمذى فى جامعه ٢٨٦/٥ .

وقتادة / والسدى / ومحمد بن اسحاق قال : " وغيرهم من السلف والخلف " ثم ذكر الأحاديث الواردة في ذلك .

وقد أورد ابن جرير ، وابن كثير وابن القيم روايات عن من تقدم ذكرهم مما يطول استقصاؤها لو ذكرناها . (١)

وقال الفخر الرازي : ان حاصل ما قيل في تفسير هذه الزيادة يرجع الى قولين :-

١- القول الأول : ان المراد منها رؤية الله سبحانه وتعالى قالوا والدليل

عليه النقل والعقل ، أما النقل فالحديث الصحيح الوارد فيه وهو ان

الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى الله سبحانه وتعالى .

وأما العقل : فهو ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف

فانصرف الى المعهود السابق وهو دار السلام والمعروف من المسلمين

والمتقرر بين أهل الاسلام من هذه اللفظة هي الجنة وما فيها من المنافع

والتعظيم .

وانما ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة امرا مغايرا لكل ما فى

الجنة من المنافع والتعظيم والالزم التكرار ، وكل من قال بذلك قال : انما

هى رؤية الله تعالى فدل ذلك على ان المراد من هذه الزيادة الرؤية

ومما يؤكده هذا وجهان :-

الأول : انه تعالى قال (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فأثبت

لأهل الجنة امرين احدهما نضرة الوجوه ، والثانى : النظر الى الله تعالى

(١) تفسير ابن جرير ١١/١٠٧ ، تفسير ابن كثير : ٢/٤١٤ ، هادى الأرواح :

وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى ههنا على نضرة الوجوه وحمل الزيادة على روية الله تعالى .

الثانى : انه تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وسلم (وانا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) اثبت له النعيم وروية الملك الكبير فوجب ههنا حمل الحسنى والزيادة على هذين الأمرين " (١)

على أن هناك أقوالا أخرى فى تفسير الزيادة وهى فى الواقع لاتخرج عن دلالة معنى الزيادة مثل ما فسرهما على بن ابي طالب من انها غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة أبواب ، أو ما فسرهما به ابن عباس من انها التضعيف الى تمام العشر وكذا ما فسرهما به الحسن من انها الحسنه بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف وكذا ما فسرهما به مجاهد من انها زيادة مغفرة ورضوان .

وكذا ما فسرهما به ابن زيد من انها ما اعداهم فى الدنيا لايحاسبهم به يوم القيامة .

وهذه الأقوال لا تنافى فى تفسير الزيادة بأنها النظر الى وجه الله تعالى ولهذا يقول الطبرى :

" وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : ان الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على احسانهم الحسنى ان يجزيهم على طاعتهم اياه

(١) التفسير الكبير ١٧ / ٧٧ .

الجنة وان تبيض وجوههم ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ومن الزيادة
على ادخالهم الجنة ان يكرمهم بالنظر اليه وان يعطاهم غرانا من لآلىء
وان يزيدهم غفرانا ورضوانا كل ذلك من زيادات عطاء الله اياهم عن الحسنى
التي جعلها الله لأهل جناته وعم ربنا جل ثناؤه بقوله (و زيادة) الزيادات
على الحسنى فلم يخصص منها شيئا دون شىء وغير مستنكر من فضل الله
أن يجمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم ان شاء الله فأولى الأقوال فسى
ذلك بالصواب ان يعم كما عمه عز ذكره " (١)

وانا كان واضحا مما قدمنا ان الزيادة المذكورة فى الآيه هى النظر الى الله
تعالى كما فسرهما النبى صلى الله عليه وسلم وفسرها الصحابة ومن بعدهم
من السلف والخلف فما موقف المعتزلة منها

والجواب : ظاهر وهو ان المعتزلة كما هو شأنهم فى رد النصوص المثبتة
لمثل هذا فى حق الله تعالى أو تأويلها والخروج بها عن معانيها لا بد
وان يقفوا من هذا التفسير الثابت لدى السلف موقف المؤول وقد ذكر الرازى
موقفهم من معنى هذه الزيادة الواردة فى الآيه والوجوه التى حملتهم على
تأويلها فقال : " القول الثانى انه لا يجوز حمل هذه الزيادة على الروئية
قالت المعتزلة ويدل على ذلك وجوه :

الأول : ان الدلائل العقلية دلت على أن روية الله تعالى ممنعه .

والثانى : ان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه وروية الله تعالى

ليست من جنس نعيم الجنة .

والثالث: أن الخبر الذي تمسكتم به في هذا الباب هو ما روى ان الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهذا الخبر يوجب التشبيه لأن النظر عبارة عن تقليب الحدقة الى جهة المرء وذلك يقتضى كون المرء فى الجهة لأن الوجه اسم للمضو المخصوص. وذلك ايضا يوجب التشبيه فثبت ان « ذا اللفظ لا يمكن حمله على الروئية فوجب حمله على شىء آخر » (١)

ثم ذكروا ما جاء فى القرآن من مثل قوله تعالى (ليوفيهن اجرهم ويزيدهن من فضلهم) من ان هذه الزيادة هي زيادة تفضل الله تعالى عليهم فى الثواب ثم ذكروا كذلك ما جاء عن بعض السلف من تفسير الزيادة بأنها غرفة من لؤلؤة واحدة أو تضعيف الحسنات او انها مغفرة الله ورضوانه الى غير ذلك مما تقدم ذكره عند الطبرى من أقوال هي فى الحقيقة غير متعارضه ولا متناقضة كما رأينا فى جمع الطبرى رحمه الله بينها .

والجواب عن تلك المزاعم والمفاليطات التى ساقها المعتزلة لنفى وقوع رؤية الله تعالى ان يقال لهم

١- ان ما ادعيتم من ان الدلائل العقلية دلت على امتناع رؤية الله تعالى فهو كذب على العقل ورد للنصوص فان العقل لا يمنع رؤية الله تعالى خصوصا بعد أن أيده النقل الصحيح ولهذا وصف الرازى دعواهم هذه بأنها " فى غاية الضعف ونهاية السخافة " . (٢)

٢- اما زعمهم بأن الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه والرؤية

(١) التفسير الكبير ١٧ / ٧٨٠ .

(٢) نفس المصدر السابق .

بخلاف ذلك .

فقال الرازي : " المزيد عليه اذا كان مقدرا بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة عليه مخالفة له . مثال الأول قول الرجل لغيره اعطيتك عشرة امداد من الحنطة وزيادة فهنا يجب أن تكون الزيادة من الحنطة .

ومثال الثاني : قوله اعطيتك الحنطة وزيادة فهنا يجب أن تكون تلك الزيادة غير الحنطة والمذكور في هذه الآية لفظ الحسنى وهي الجنة وهي مطلقة غير مقدره بقدر معين فوجب أن تكون تلك الزيادة عليها شيئا مغاير الكل ما في الجنة " (١)

٣- وأما ما زعموه من ان الاخبار التي جاءت باثبات النظر الى الله تعالى توجب التشبيه فلاشك ان هذا قول خطير لأنه رد للنصوص الصحيحة الثابتة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم .

أما وجه الاستدلال بقوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار)^(٢) فان الكلام في ذلك يشتمل على ما يأتي :

١- رأى أهل القول الحق في دلالة هذه الآية على وقوع رواية الله تعالى وتفسيرهم لمعنى قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) .
وذكر من خالف في معنى الآية وقال انها لا تدل على جواز وقوع رؤية الله تعالى .

ثم ذكر شبههم وابطالها .

١ انظر علم الوجود - (١)

(١) التفسير الكبير ١٧ / ٧٨ .

(٢) سورة الانعام : آية : ١٠٣ .

١- أما رأى أهل القول الحق فى دلالة هذه الآية على جواز وقوع الرؤية فى مسألة معلومة فى مذهب السلف حيث ذهبوا الى انها تدل دلالة قاطعة على ان الله تعالى يرى بالابصار فى الآخرة من غير ادراك ولا احاطة ، وعلى هذا القول سار الائمة فى تفسير هذه الآية وهو قول ابن عباس / وقتادة / عياض / والامام أحمد / وابن تيمية / وابن القيم وهو كذلك ما قرره علماء التفسير كابن جرير الطبرى ، وابن كثير والشوكانى والفخر الرازى وغير هؤلاء من ائمة التفسير .

٢- اما معنى قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) فقد اختلفت اقوال الناس فى معناها / فذهب بعضهم وهو ارجح الأقوال الى أن معنى الآية ان الله تعالى يرى ولكن لا أحد يحيط به ومثال هذا والله المثل الأعلى الشمس والقمر فانهما يشاهدان ولكن لا أحد يهيئ بأجزائهما ويدركها كاملة ومن نصوصهم فى هذا :

١- قال ابن عباس: لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار .

٢- وقال قتادة هو أعظم من ان تدركه الأبصار .

٣- وقال عياض الموفى : ينظرون الى الله ولا تحيط ابصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم . (١)

وكذلك ما قاله شيخ الاسلام رحمه الله من ان الله تعالى " انما نفى الادراك الذى هو الاحاطة كما قاله أكثر العلماء ولم ينف مجرد الرؤية لأن المعدوم لا يرى وليس فى كونه لا يرى مدها ان لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحا ،

وانما المدح في كونه لا يحاط به وان رعى كما انه لا يحاط به وان علم فكما
انه اذا علم لا يحاط به علما فكذلك اذا رعى لا يحاط به رومية فكان في نفسى
الادراك من اثبات عظمته مايكون مدحا وصفة كمال وكان ذلك دليلا على اثبات
الرومية لا على نفيها لكنه دليل على اثبات الرومية مع عدم الاحاطة وهذا هو
الحق الذى اتفق عليه سلف الامة وأئمتها • (١)

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في الاستدلال بهذه الآية على ثبوت الرومية
" والاستدلال بهذا أعجب فانه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال
به أحسن تقرير والطفه وقال لى انا التزم انه لا يحتج مبطل بأية أو حديث
صحيح على باطله الا وفي ذلك الدليل مايدل على نفي قوله فمنها هذه الآية
وهى على جواز الرومية أدل منها على امتناعها فان الله سبحانه انما ذكرها
في سياق التمدح ومعلوم ان المدح انما يكون بالاصناف الثبوتية وأما الصدم
المحض فليس بكمال ولا يمدح به وانما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم اذا
تضمن أمرا وجوديا كتمدحه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال القيومية " الذى
آخر ما ذكر من الامثلة وخلص الى أن معنى الآية هو القول " ان الله يرب ولا يدرك
ولا يحاط به ••• وانه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فان الادراك هو الاحاطة
بالشئ وهو قدر زائد على الرومية "

ثم قال : " وهذا هو الذى فهمه الصحابة والائمة من الآية (٢)

(١) الرسالة التدمرية ص : ٢٥ •

(٢) حادى الأرواح ص: ٢٠٢ •

٢- وذهب بعضهم الى ان معنى الآية ... لا تدركه الابصار ... أى " لا يراه شئ " وهو يرى الخلائق "

وهذا هو رأى المعتزلة وهو ان معنى الآية ان الله تعالى لا يرى بتاتا لا شئى الدنيا ولا فى الآخرة (١)

٣- وذهب آخرون الى أن معنى الآية ان الله تعالى " لا تدركه ابصار الخلائق فى الدنيا واما فى الآخرة فانها تدركه وهذا هو ايضا ما قرره الامام أحمد فسوى كتابه الرد على الزنادقة والجهمية (٢)

قال الطبرى " وقال أهل هذه المقالة الادراك فى هذا الموضع الرومية " ثم قال أهل هذه المقالة بعد اتفاقهم على انها قائمة على الخصوص الا انه يجوز ان يكون معناها

١- لا تدركه ابصار العالمين فى الدنيا والآخرة وتدركه ابصار المرءمين وأولياء الله .

٢- قالوا وجائز ان يكون معناها لا تدركه الابصار بالنهاية والاحاطة واما بالرومية فبلى .

٣- قالوا وجائز ان يكون معناها لا تدركه الابصار فى الدنيا وتدركه فى الآخرة

٤- وجائز ان يكون معناها لا تدركه ابصار من يراه بالمعنى الذى يدرك به التذم ابصار خلقه فىكون الذى عن خلقه من ادراك ابصارهم اياه هو الذى اثبت نفسه اذ كانت ابصارهم ضعيفة لا تنفذ الا فيما قواها جل ثناؤه على النفوذ فيه

(١) تفسير ابن كثير ١٦١ / ٢ .

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية ص : ١٦ .

وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شيء قالوا ولا شك في خصوص قوله (لا تدركه الابصار) وان أولياء الله سيرونه يوم القيامة بابصارهم غير اننا لا ندري أى معانى الخصوص الأربعة اريد بالآية "

٤- وذهب بعضهم ومنهم ضرار بن عمرو الكوفى - فيما يذكر الرازى (١) الى أن معنى الآية على العموم ولن يدرك الله بصر أحد فى الدنيا والآخرة ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بهـ وذلك لعدم صلاحية الحواس الموجودة الآن لتلك الرومية وتلك الأقوال الأربعة فى معنى الآية ذكرها ابن جرير رحمه الله . (٢)

وقد زاد ابن كثير فذكر

٥- ان بعضهم ذهب الى ان معنى الآية (لا تدركه الابصار) أى العقول وينسب هذا القول الى ابي الحميين يحيى بن الحميين قارى أهل مكة وقد علق عليه بقوله " وهذا غريب جدا وخلاف ظاهر الآية "

٦- وان بعضهم ذهب الى القول بما رواه الترمذى فى جامعه ان الحكم بن ابان قال سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول رأى محمد ربه تبارك وتعالى فقلت اليس الله يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الآية فقال لى : ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذى هو نوره " (٣)

(١) التفسير الكبير ١٢ / ١٢٦ .

(٢) جامع البيان ٧ / ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٣) سنن الترمذى ٥ / ٣١٥ .

وقد نسب الى الامام احمد القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه
بفؤاده ولم يجزم بالقول انه رآه ببصره قال القاضي :

" وقال ابو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول بروعيته في الدنيا
بالابصار " (١)

وقال ابن الخليل " وقد انكر صاحب المهدى على من زعم ان احمد قال رأى ربه
بعيني رأسه قال وانما قال مرة رأى محمد ربه وقال مرة بفؤاده وحكى عن بعض

المتأخرين رأى بعيني رأسه وهذا من تصرف الحاكى فان تصويبه موجودة " (٢)
والواقع ان النقل عن الامام احمد لم يكن دقيقاً فقد تصرف بعض الرواة في كلامه

حسب ما فهمه من عبارات الامام أحمد والتي هي أينا قابلة للاهتمام ولهذا فان
شيخ الاسلام ابن تيمية يذكر ان النقل عن الامام أحمد جاء على طريقتين :

" تارة يطلق الرومية ، وتارة يقول رآه بفؤاده "

قال ابن تيمية " ولم يقل احد انه سمع أحمد يقول رآه بعينه لكن طائفة من
أصحابه سمعوا بعين كانه المائلين ففهموا منه رومية العين " (٣)

(د) وبعض السلف قد توقف في هذه المسألة ومن هؤلاء :

سعيد بن جبير فقد قال : " لا تقول رآه ولا لم يره " .

(١) الشفاء ص: ١٢١ .

(٢) المواهب اللدنية ٢ / ٣٨٠ .

(٣) مجموع الفتاوى ٦ / ٥٠٩ .

وقد أورد ابن كثير بعض الآثار كشواهد لهذا القول من ان الله تعالى يسرى دون ان يكون عليه نوره واما اذا كان عليه نوره فهذا هو المنفى الذي لا يمكن روميته عليه والاحاطة به وهذا بخلاف تجليه يوم القيامة كما يشاء فان هذا لا بد وان يحصل لآخباره جمل وعلا بذلك (١)

والواقع ان تلك الاقوال أكثرها لا دليل عليها بل ان التكلف ظاهر فيها ولم يؤيد النص منها جميعا الا ما جاء من أن الآية تثبت الرومية دون الاحاطة وهو القول الذي ايدته كثير من العلماء كما تقدم ولهذا فان ابن جرير يحد ان ذكر الاقوال التي أوردها عقب عليها بقوله

" والصواب من القول في ذلك عندنا ما تنظرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : " انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب فالمؤمنون يرونه والكافرون عنه يومئذ محجوبون كما قال جل ثناؤه (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (٢) (٣)

وقال الشوكاني في معنى قول الله تعالى (لاتدركه الابصار) الابصار . جـ
بصر وهو الحاسة وادراك الشيء عبارة عن الاحاطة به .

قال الزجاج لا تبلغ كنه حقيقته فالمنفى هو هذا الادراك لا مجرد الرومية فقد ثبتت بالاحاديث المتواترة تواتر لاشك فيه ولا شبهة ولا يجهله الا من يجهل

السنة المطهرة جهلا عظيما " (٤)

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٦١ ، ١٦٢ .

(٢) سورة المطففين : آية : ١٥ .

(٣) تفسير الطبري ٧/٣٠٢ .

(٤) فتح القدير ٢/١٤٨ .

" رأى المعتزلة فى الاستدلال بهذه الآية على عدم جواز وقوع روعية الله تعالى . . .

ينفى المعتزلة على ما عرف من مذاهبهم أن يرى الله تعالى ومن شبههم التليسة هذه الآية الكريمة وقد استدلوا بها على نفى الروعية من وجهين :-

الاول : انهم قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الروعية " أى ولا فرق بينهما بدليل ان قائلًا لو قال ادركته ببصرى وما رأيته ، أو قال رأيته وما ادركته ببصرى فانه يكون كلامه متناقضا فثبت ان الادراك بالبصر عبارة عن الروعية "

الثانى : انهم قالوا : ان ما قبل هذه الآية الى هذا الموضع مشتمل على المدح والثناء (١) وقوله بعد ذلك (وهو يدرك الابصار) ايضا مدح وثناء فوجب أن يكون قوله لا تدركه الابصار مدحا وثناء والا لزم ان يقال : ان ما ليس بمدح وثناء وقع فى خلال ما هو مدح وثناء وذلك يوجب الركاقة وهى غير لا ثقة بكلام الله " (٢)

(١) يشير الى قوله تعالى (بديح السماوات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ذلك الله ربكم لا اله الا هو الخالق كل شىء فأعجده وهو على كل شىء قدير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) (الانعام ١٠١ - ١٠٢)

(٢) التفسير الكبير ١٣ / ١٢٧ .

وقال القاضي عهد الجبار في بيان وجه الاستدلال بالآية على نفي الرومية كما زعم " وجه الدلالة في الآية هو ما قد ثبت من ان الادراك اذا قرن بالبصر لا يمتثل الا الرومية وثبت انه تعالى نفي عن نفسه ادراك البصر ونجد في ذلك تمدحا راجعا الى ذاته وما كان من نفيه تمدحا راجعا الى ذاته كان اثباته نقصا والنقائص فيرجائزة على الله تعالى في حال من الاحوال " .

ثم مثل لهذا بأنه : لقرن بين قولهم ادركت ببصري هذا الشخص وبين قولهم رأيت ببصري هذا الشخص . (١)

وللجواب عن تلك الشبهة ان يقال : "

١- اما قولهم ان الادراك بالبصر عبارة عن الرومية فهذا قول غير مسلم لهمم والليل عليه : ان لفظ الادراك في أصل اللغة عبارة عن اللحن والوصول .

قال تعالى (قال أصحاب موسى انا لمدركون) (٢) أي لمحققون وقال (حتى اذا

ادركه الشفق) (٣) أي لحقه ويقال ادرك فلانا فلانا وأدرك الظلام أي بلسخ (٤)

الحلم وأدركت الثمرة أي نضجت فثبت ان الادراك هو الوصول الى الشيء " .

ومما يذكر الرازي اضافة الى ما تقدم .

" ان المرئي اذا كان له حد ونهاية وادركه البصر بجميع حدوده وجوانبه ونهاياته

صار كأن ذلك الابصار احاط به فتسمى هذه الرومية ادراكا اما اذا لم يحيط البصر

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٢٣٦ .

(٢) سورة الشعراء : آية : ٦١ .

(٣) سورة يونس : آية : ٦٠ .

(٤) التفسير الكبير ١٣ / ١٢٨ ، ١٢٦ .

بجوانب المرئى لم تسم تلك الرومية ادراكا " والمنفى فى الآية انما هو النوع
الأول وهو الرومية مع الاحاطة (١) فالادراك فى الواقع امر زائد على مجرد الرومية •
فالادراك فى الواقع امر زائد على مجرد الرومية ولهذا فان الناس يقولون رأيت
فلانا ولكن ما تمكنت من رأيتهم أو قولهم رأيتهم عرضا وهذا يحتمل ان القائل رأى
الشخص ولكن لم يحاط به تماما بحيث يميزه او لم يستطع ان يقرر ويحدد النظر
اليه اما لحياء أو لخير ذلك كما ورد عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه قال
لمن حشره عند مرضه " ولو اردت ان اصف الرسول صلى الله عليه وسلم لمصنا
استطعت " أى أنه كان لا يستطيع ان يحدث فى شخص الرسول صلى الله عليه
عليه وسلم اجلالا له وحياء منه وعلى هذا فان قول القاضى عبد الجبار انه لا يرى
بين قول القائل رأيت ببصرى هذا الشخص أو ادركت ببصرى هذا الشخص فيه
مسلم فلو كان هذا صحيحا لكان قول القائل رأيت الشمس أو ادركت الشمس على
حقيقتها صحيحا •

والواقع انه غير صحيح الا على مذهب المعتزلة الذين فسروا " الادراك " نفس

الآية بمجرد حصول النظر والرومية •

قال البيهقورى فى جوابه عن معنى الآية " وحاصل الجواب اننا لانسلم ان الادراك
بالبصر هو مطلق الرومية بل هو رومية مخصوصة وهى التى تكون على وجه الاجمالية
بعينها يكون المرئى منحصرًا بحدود ونهايات فالادراك المنفى فى الآية الكريمة

(١) التفسير الكبير ١٢٨/١٣ ، ١٢٦ •

أخص من الرومية ولا يلزم من نفي الأختى نفي الأعم " (١)

ومن الاجوبة الاخرى عن الآية ان يقال فيها ايضا كما مر انها انما نفت ان تدركه
الابصار المحسوده في الدنيا وهي على حالتها دون ان يزيد لها الله قسوة
ويوهلها لكي تراه سبحانه وتعالى وللعلماء اجوبة عن هذا كثيرة كما سبق أن
ذكرنا عن القرطبي وابن كثير والرازي ومنها القول بأن الله يروى بحاسة سادسة
غير هذه الحاسة كما قاله ضرار بن عمرو ان الله تعالى لا يدرك بهذه الحاسة
مطلقا كما أفادته الآية .

أوبتال كذلك ان فيه بين الآيات الدالة على رومية الله تعالى والآيات النافية
عموما وخصوصا ورد من نفي الرومية يكون عاما وماورد في اثباتها يكون خاصا
والخاص مقدم على العام كما أشار الى ذلك الرازي وهي اجوبة تنال في رد الخصم
غير ان الجواب الذي ارتضاه السلف هو الذي ينهش التحويل عليه والاكتفاء به .
آرأما ما زعموه من ان الله تعالى تمدح بعدم امكان روميته فهذا في الحقيقة
قلب لصحة تأويل الآية وقد سبق بيان استدلال السلف بهذا النفي في الأبيات
وانه على سبيل المدح مع اثبات الرومية .

وذلك انه لو كان سبحانه وتعالى لا يمكن روميته بحال لما كان في ذلك تمدح
بعدم ادراك الابصار له لانه حينئذ يمدح نفسه بأمر عدمي وهذا لا يلين، وليس فيه
ثناء بل كل نفي نفاه الله عن نفسه فانه يراد اثبات الكمال فيه من طريق أخرى

فحينما نفى ان تدركه الأبصار أراد بيان عظمته وحين نفى عن نفسه السسنة والنوم اراد بيان كمال حياته وقيوميته وحين نفى عن نفسه التلثم أراد بيان كمال عدله وهكذا كما أشار الى ذلك كثير من العلماء .

ولقائل ان يقول للمعتزلى حينما تنفى روية الله تعالى مستدلا بهذه الآية هل تقرر بقول الرسول صلى الله عليه وسلم الثابت فى الصحيحين وغيرهما (انكم سترون ربكم) فاما ان يقربه أو يججده .

فان أقربيه الزم نفسه القول بالرومية والزم نفسه ايرادا آخر عليه وهو ان يقر بال له هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال هذا القول بصرفه مسمى الآية لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار ام لا ذلك أن مقتضى القول بنفى الرومية فى الآية ان الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال هذا القول لم ينزه الله عما ينهى ان ينزه عنه بل نزهه الجهمية والمعتزلة أكثر منه وهذا أمر فاسد منتهى الخطأ .

وان جحد الحديث وهو ما سار عليه المعتزلة لأن فيه القول بالتشبيه على حد زعمهم فيبين له حينئذ صحة الحديث واتصال سنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يحكم عليه بعد ذلك بحسب احترامه وقبوله للحديث أو عدم قبوله .

وأما وجه الاستدلال بقوله تعالى فى حق الكفار (كلا انهم من ربهم يومئذ لمحجوبون)

فهو: " انه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبون

عن رويته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضا
محبوبين عنه (١)

وإذا كان الكافر يحجب عن الله والمؤمن يحجب عن الله فما فضل المؤمن على
الكافر (٢) وما فائدة هذا التخصيص أيضا •

وقد نقل أكثر من واحد عن الامام الشافعي وغيره أنهم استدلوا بهذه الآية
على ان المؤمنين يرون ربهم فقال المزني " سمعت الشافعي يقول في قوله
عز وجل " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " فيها دليل على ان أولياء الله
يرون ربهم يوم القيامة " (٣)

وقال ابن كثير: " وهذا الذي قاله الامام الشافعي رحمه الله في فاية الحسن
وهو استدلال بمفهوم هذه الآية كما دل عليه منطوق قوله تعالى (وجـ...
يومئذ ناضرة الى ربها ناضرة) وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة
في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالابصار في عرشات القيامة
وفي روضات الجنات الفاخرات " (٤)

وقال الحاكم حدثنا الأعمش ابنا الربيع بن سليمان قال : حضرت محمد بن ادريس
الشافعي وقد جاءته رقعة من الصميد فيها : ما تقول في قول الله عز وجل
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فقال الشافعي لما ان حجب هؤلاء فسمى
السخط كان في هذا دليل على أن أولياؤه يرونه في الرضى قال الربيع فقلت

(١) حادى الأرواح ص : ٢٠١ •

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية ص : ٤٦ •

(٣) حادى الأرواح ص : ٢٠١ •

(٤) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٨٦ •

يا أبا عبد الله وبه تقول ؟ قال : نعم وبه أدين الله " (١)

وعن الحسن في قول الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال
يكشف الحجاب فينظر اليه المؤمنون كل يوم قدوة ومشية أو كلاً ما هذا معناه (١)
وقال مقاتل : معنى الآية انهم بعد الصرض والحساب لا يرون ربهم والمؤمنون
يرون ربهم *

وقال الكلبي : يقول انهم عن النظر الى رومية ربهم لمحجوبون والمؤمن لا يحجب
عن رومية ربه وسئل مالك بن أنس عن هذه الآية فقال : لما حجب اعداءه فلم
يروه لابد وان يتجلى لاوليائه حتى يبروه " (٢)

وكشأن المعتزلة في تأويل معاني آيات الرومية الى الثواب وغيره فان هذه الآية
لم تنجو من تحريفهم حيث أولوا معنى حجب الكفار عن ربهم الى معنى عن ثواب
ربهم لدلالة العقل عليه كما يذكر القاضي عبد الجبار * (٣)

وقد نقل الرازي عن الجبائي - وهو من رؤس المعتزلة - انه قال في تفسير
الآية ان المراد من معناها هو حجب الكفار عن رحمة ربهم *

ونقل كذلك عن ابي مسلم ان معنى الآية أى غير مقربين ولا مقبولين عند الله
وعن القاضي ان معناها أى صار ممنوعاً عن وجدان رحمته تعالى *

(١) حادى الأرواح ص : ٢٠١ *

(٢) تفسير ابن جرير ٣٠ / ١٠٠ *

(٣) التفسير الكبير ٣١ / ٩٦ *

(٤) شرح الاصول الخمسة ص : ٢٦٧ *

وعن صاحب الكشاف انه قال : " كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم
واهانهم لأنه لا يوازن على الملوك الا للمكرمين لديهم ولا يحجب عنهم
الا المهانون عندهم " .

وتلك الأقوال كلها تأويلات لا دليل عليها . وخروج عن التأخر من معنى الآية
الى معانى لم تكن مرادة من الآية وقد تقدم النقل عن علماء التفسير انهم فسروا
هذه الآية بحجب الكفار عن رؤية الله تعالى لا بحجبهم عن الرحمة أو الشواب
كما قالت المعتزلة . (١)

ذلك ان حجب الكفار عن رحمة الله تعالى وثوابه أمر معلوم فيكون تفسير الآية به
وقصرها عليه من باب تحصيل العاصل .

ومن العلماء من ذهب في تفسير الآية الى أن معناها أن الله يحجب الكفار عن
كرامته — ولا شك أن النظر اليه جهل وعلا من أعظم الكرامات .

قال ابن جرير بعد أن ذكر قول من فسز الآية بحجب الكفار عن رؤية الله
تعالى ، وقول من فسرها بحجبهم عن كرامته رجح ان الآية مستملة لذلك كله
فقال : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ان يقال ان الله تعالى ذكره
اخبر عن هؤلاء القوم انهم عن رؤيته محجوبون ويحتمل ان يكون مرادا به
الحجاب عن كرامته وان يكون مرادا به الحجاب عن ذلك كله ولا دلالة في الآية
تدل على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى ولا يخبر به عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت حجته ، فالصواب ان يقال هم محجوبون عن

(١) انظر : التفسير الكبير ٣١ / ٩٦ .

روئيته وعن كرامته ان كان الفبر عاماً لا دلالة على خصوصه " (١) وهذا يدل على ان الآية تشمل ذلك كله ولا محذور في ذلك الا اذا اقتصر في معناها على واحد من المعاني التي قيلت دون ملاحظة اثباتها روية الله تعالى فان القائل بذلك يخرج حينئذ بدلالاتها الى رأى الممتزلة .
أما وجه الاستدلال بالآيات الأخرى التي فيها ذكر لقاء الله تعالى .
فقد فسر علماء التفسير هذا اللقاء المذكور في الآيات بملاقاة الله تعالى عند الرجوع اليه في يوم القيامة (٢) ويستلزم ذلك روية الله تعالى .

قال الرازى : " استدلال بعض الأصحاب بقوله (ملاقوا ربهم) على جواز روية الله تعالى " (٣)

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى (آلك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه) الآية . (٤)

قال : " لقاء الله عبارة عن رويته بدليل انه يقال لقيت فلانا أى رأيته فان قيل اللقاء عبارة عن الوصول قال تعالى (فالتقى الماء على أمر قد قدر) وذلك في حق الله تعالى محال فوجب حمله على لقاء ثواب الله ، والجواب ان لفظ اللقاء وان كان في الأصل عبارة عن الوصول والملاقاة الا ان استعماله في الروية

(١) تفسير ابن جرير ٣٠ / ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) انوار: تفسير الطبري ١ / ٢٦٤ و ٢ / ٣٩٩ ، وانوار: تفسير ابن كثير ٢ / ٨٨ .

(٣) التفسير الكبير ٣ / ٥٥٠ .

(٤) سورة الكهف : آية : ١٠٥ .

مجاز ظاهر مشهور والذي يقولونه من ان المراد منه لقاء ثواب الله فهو لا يتم
الا بالاضمار ، ومن المعلوم ان حمل اللفظ على المجاز المتعارف المشهور
أولى من حمله على ما يحتاج معه الى الاضمار (١)

وذكر الخطابي فيما ينقله عنه ابن حجر ان " المراد باللقاء روية الله " .

واللقاء الذي أشار اليه الخطابي هو ما جاء في حديث جبريل حين سأل
الرسول صلى الله عليه وسلم ما الايمان فأجاب عليه السلام بقوله (الايمان
ان تؤمن بالله وملائكته ^{وكتبه} وولقائه ورسله وتؤمن بالبعث) الحديث (٢)

وقد ذكر النووي رحمه الله اعتراضا على من فسر لقاء الله بروءيته حيث قال :
" ليس المراد باللقاء روية الله تعالى فان أحدا لا يقطع لنفسه بروءية الله
تعالى لأن الروءية مختصة بالمؤمنين ولا يدري الانسان بماذا يختم له ^(٣) "
ولكن قد تعقبه ابن حجر وأجاب عن كلام النووي : " بأن المراد بالايمان بأن
ذلك حق في نفس الأمر " قال وهذا من الأدلة القوية لأهل السنة في اثبات
روءية الله تعالى في الآخرة ان جعلت من قواعد الايمان " (٤)

ومن المعلوم أن اللقاء والاجتماع يستلزم النظر والمشاهدة باجماع أهل اللفظة
ان لم يكن هناك مانع .

(١) التفسير الكبير ٢١ / ١٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري ١ / ١٢٤ ومسلم ١ / ١٣٧ .

(٣) شرح النووي لمسلم ١ / ١٣٧ .

(٤) فتح الباري ١ / ١١٨ .

قال ابن القيم : " واجمع أهل اللسان على ان اللقاء متى نسب الى الحسى

السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والروئية " (١)

ويذكر شيخ الإسلام ان طائفة من أهل السنة منهم ابو عبد الله بن بطّة فسروا

اللقاء المذكور فى كتاب الله بالروئية والمعاينة فقال :

" ومن أهل السنة من قال " اللقاء اذا قرن بالتحية فهو من الروئية وقال

ابن بطّة : سمعت ابا العباس احمد بن يحيى يقول فى قوله (وكان بالمؤمنين

رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام) (٢)

أجمع أهل اللغة ان اللقاء ههنا لا يكون الا معاينة ونظرة بالابصار " (٣)

... * * * * *

(١) حادى الأرواح ص : ١٩٨ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية : ٤٤ .

(٣) الفتاوى ٤٨٩/٦ .

— (موقف الممتزلة من دلالة تلك الآيات) —

انكرت الممتزلة ان تكون الآيات التي فيها ذكر لقاء الله تعالى تفيد الروئية

وقالوا : " لفظ اللقاء لا يفيد الروئية والدليل عليه الآية والشبر والعرف

١— أما الآية فقوله تعالى : (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه)

والمنافق لا يرى ربه . (١)

ويذكر القاضي عبد الجبار هنا ان مما يبطل تعلق المثبتين للروئية بالآية

السابقة انها لو كانت دالة على أن المؤمنین يرون الله تعالى لوجب في قوله

تعالى (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه) ان يدل على أن المنافقين

ايضا يرونه وهم لا يقولون بذلك (٢)

ثم استدلوا كذلك بقوله تعالى في معرض تهديده (واتقوا الله واعلموا انكم

ملاقوه) (٣)

قالوا : فهذا يتناول الكافر والمؤمن والروئية لا تثبت للكافر فعلما ان اللقاء

ليس عبارة عن الروئية .

٢— وأما الشبر فقوله عليه السلام " من حلف على يمين ليقتلع بها مال امرئ مسلم

لقى الله وهو عليه غضبان) . (٤)

٤) فخرج الزبير بن العوام ٥٥٨

(١) التفسير الكبير ٣/٥١٠

(٢) شرح الأصول الخمسة ص: ٢٦٦

(٣) سورة البقرة : آية: ٢٢٣

وليس المراد رأى الله تعالى لأن ذلك وصف أهل النار .

٣- واما العرف فهو قول المسلمين فيمن مات لقي الله ولا يعنون انه رأى الله

عز وجل " (١)

وقد خالف القاضي عبد الجبار ما اجمع عليه أهل اللغة من ان اللقاء المذكور في قوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام " لقاء معاينة بالابصار خالف في هذا وجاء بتأويل بعيد لمعنى الآية يدل عليه العقل كما زعم بحيث يكون معنى الآية يوم يلقونه (أى يوم يلقون ملائكته)

لأن اللقاء هنا كما يذكر ليس هو بمعنى الروية وذلك لاستعمال احد هما حيث لا يستعمل الآخر لأن الأعمى يقول : لقيت فلانا وجلست بين يديه وقرأت عليه ولا يقول رأيت .

وللجواب عن ذلك

١- اما قولهم ان لفظ اللقاء لا يفيد الروية فهذا غير مسلم على عمومته وذلك لأن من لوازم الملاقة المشاهدة الا أن يحصل مانع منها وقد قدمنا ادلة ذلك وأما اخبار الله تعالى عن المنافقين انه اعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافقين لا يرون الله تعالى فهذا كذلك غير مسلم لأن هذه المسألة ليست من المسائل المنفق عليها فقد حصل الخلاف في روية المنافق لربه .

وقد ذهب قسم من السلف الى القول بروية المنافقين لربهم وسنذكره
المسألة بمزيد من التفصيل وبهذا فان اسناد القاضي عدم القول بروية

برؤية المنافقين لربهم الى جميع الممّثين غير دقيق وليس له كذلك متمسك فى الاستدلال بهذه الآية على ان اللقاء لا يكون بمعنى النظر ، وهذا ما جعل الرازى يذهب الى ان معنى الآية "أى الى يوم يلقون حسابه وحكمه وان هذا الاضرار وان جاء على خلاف الدليل ولكننا لما اضطررنا اليه اعتبرناه . (١)

وهذا الاضرار الذى جعل الرازى يفسر الآية بالتفسير المذكور انما لجأ اليه بنا على ان المنافق تمتنع رويته لربه .

وأما الجواب عن الخبر الذى استندوا عليه فى نفي ان اللقاء يراد به الروئية فانه يمكن ان يقال فى الجواب ان اللقاء وان كان يستلزم الروئية الا أنه يمكن أن يفهم منه الروئية او عدمها بحسب القرينة .

والقرينة فى مثل قوله " لقي الله وهو عليه غضبان " تفيد بيان عاقبة من اتصف بذلك على انه لا يمنع أن تكون الملاقاة هنا المراد بها الروئية مع حصول الغضب من الله على من هذه صفته خصوصا عند القائلين بروئية الكفار ربهم .

قال الراغب فى بيان اللقاء :

" اللقاء مقابلة الشئ ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما يقال لقيه بلاقاه لقاء ولقيا ولقية ويقال ذلك فى الادراك بالحس والبصر والبصيرة " (٢)

أى أن القرائن هى التى تبين المقصود من اللقاء .

(١) التفسير الكبير ٣ / ٥١٠

(٢) المفردات ص : ٤٥٣

وأما قولهم في الذي يموت لقي الله فهذا ظاهر في انهم يعنون بذلك انه قد افضى الى ربه وانقطعت علاقته مع الناس ثم بعد ذلك هل يراه أو لا يراه المبارة ليس فيها الجزم بأى وجه ولعل هذا مثل قولهم للمرسل اذهب الى فلان وقل له كذا وكذا لم يكن في حسابهم النظر أو عدمه ولكنهم يعلمون انه متى حصل اللقاء فان الروئية ستحصل من باب أولى اذا لم يكن هناك مانع منها . قال الامام ابن حجر رحمه الله : " وملاقة الله يعبر بها عن الموت وعن يسوم القيامة " (١)

وعلى هذا فان قول القائل فلان لقي ربه يقصدون به أنه مات .
وأما ما ذهب اليه القاضى عبد الجبار من تأويل الآية الى معنى لقاء ملائكة فهو بالاضافة الى مخالفته لما اجمع عليه أهل اللغة ذهب في تحريف الآية عن مدلولها الى مدلول آخر لا صلة لها به ذلك ان الله سبحانه وتعالى اسند اللقاء في كل الآيات اليه جل وعلا ولم يسنده الى الملائكة .
وأما المثال الذى أورده - بعد تحريفه لمعنى الآية - فهو انما ينطبق على الحالة التى ذكرها وهى قول الأعشى لقيت فلانا فالقرينة ظاهرة فى ان ذلك كان مجرد لقاء وهو يستلزم الروئية لولا حصول المانع منها وهو العمى ان لو كان مبصرا وقال لقيت فلانا لاستلزم ذلك اللقاء النظر من باب أولى ولهذا فإنه لم يثبت على أن لقاء الله هو لقاء الملائكة بل فسر قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) (٢)

(١) فتح البارى ١٣ / ٤٣٠ .

(٢) سورة الكهف: آية: ١١٠ .

فسر اللقاء هنا بمعنى الثواب أى فمن كان يرجو لقاءً ثواب ربه .

والخلاصة ان الأدلة الدالة على ثبوت رؤية الله تعالى هي :-

١- طلب موسى عليه السلام الرؤية من الله تعالى وما سبق تقريره فى هذه

المسألة .

٢- قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) .

٣- قوله تعالى (للذين احسنوا الحسنى وزيادة)

٤- قوله تعالى (وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة)

٥- ما جاء من قول الله تعالى فى اثبات لقاءه (فمن كان يرجو لقاء ربه)

٦- قوله تعالى عن الكفار (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) مما يدل

على أن المؤمنين ليسوا كذلك .

٧- قوله تعالى (واذا ^{الملك}الملك ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا)

" فان احدى القراءات فى هذه الآية ملكا بفتح الميم وكسر اللام وأجمع

المسلمون على أن ذلك الملك ليس الا الله تعالى "

قال الرازى : " وعندى التمسك بهذه الآية أقوى من التمسك بغيرها (١)

وبعد الانتهاء من ذكر الأدلة من القرآن الكريم نتبع ذلك بالأدلة من

السنة على وقوع رؤية البارى عز وجل .

٢ - ((الأدلة من السنة على اثبات وقوع رؤية الله تعالى)) -

وذكر شبه المخالفين والرد عليهم

وكما ثبت الرواية في كتاب الله عز وجل ثبتت كذلك في السنة النبوية بالأحاديث الصحيحة المشهورة المتواترة كما ذكر شيخ الاسلام (١) ولو أردنا أن نستقصى كل ما جاء في اثبات وقوعها في السنة لطال ذلك غير أننا سنقتصر على بعض ما جاء فيها وذلك لكثرة من رواها من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر العلماء عددا كثيرا ممن رووا أحاديث الرواية وذكروا المصنفات في ذلك .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية = رحمه الله -

" أن الأحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة قد دون العلماء فيها كتباً مثل كتاب الرواية للدارقطني ولا ينعيم وللأجري وذكرها المصنفون في السنة كابن بطة واللالكائي وابن شاهين وقبلهم عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وحنبل ابن اسحاق والخلال ، والطبراني وغيرهم وخرجها اصحاب الصحيح والمسند والسنن وغيرهم " (٢) وقد ذكر ابن القيم عددا من الصحابة الذين رووا أحاديث الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(٣)
" رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجرير بن عبد الله

(١) الازهار المتناثرة ص : ١٤٧ .

(٢) الفتاوى ٤٨٦/٦ .

(٣) أي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الجبلى ، وصهيب بن سنان الرومى ، وعبدالله بن مسعود الهذلى ، وعلى
ابن ابى طالب ، وأبو موسى الأشعري ، وعدى بن حاتم الطائى ، وأنس
ابن مالك الانصارى ، وبريدة بن الحصيب الاسلمى وأبورزين العقيلى ، وجابر
ابن عبدالله الانصارى ، وأبو امامة الباهلى ، وزيد بن ثابت ، وعمار بن ياسر
وعائشة ام المؤمنين وعبدالله بن عمر وعمار بن ربيعة وسلمان الفارسى ، وحذيفة
ابن اليمان ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وحديثه
موقوف - وابى بن كعب ، وكعب بن عجرة ، وفضالة بن عبيد وحديثه
- موقوف - ورجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم غير مسمى " (١)

ثم استطرد الامام ابن القيم فى ذكر الروايات الثابتة عن الصحابة رضوان الله
عليهم الدالة على اثبات رؤية الله عز وجل .

وقال ابن ابى العز بعد ان ذكر بعض الأدلة من السنة على اثباتها
" وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيا ، ومن احاط بها معرفة
يقطع بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها ، ولولا انى التزمت الاختصار
لسقت ما فى الباب من الأحاديث . (٢)

وبعد ايراد ما سبق عن العلماء فى اخبارهم عن تواتر الأحاديث فى اثبات الرؤية
نورد هنا بعض الأدلة كمثل على ثبوتها : فما جاء فى الصحيحين عن
أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال اناس يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة

(١) حادى الأرواح ص : ٢٠٥ - ٢٣٤ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢١٠ .

فقال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا : لا يارسول الله
قال : هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا : لا يارسول الله
قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئا
فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع من كان
يعبد الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها (١) فيأتهم الله في غير
الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعمون بالله منك هذا مكاننا حتى
يأتينا ربنا فاذا اتانا ربنا عرفناه فيأتهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول
انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه " (٢) الحديث .

وهذه احدى روايات البخارى وفي بعض الروايات " هل تضارون " (٣)
وفي بعض الروايات للبخارى " فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان
يعبد الشمس ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت وتبقى

(١) قال النووي : " قال الملماء انما بقوا في زمرة المؤمنين لانهم كانوا فسق
الدنيا متسترين بهم فيتسترون بهم أيضا في الآخرة وسلوكوا مسلكهم و دخلوا
في جملتهم وتبعوهم ومشوا في نورهم حتى ضرب بينهم بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وباهره من قبله العذاب وذهب عنهم نور المؤمنين "

شرح النووي لمسلم ٤٢٨/١ .

(٢) البخارى ٤٤٥/١١ .

(٣) المصدر السابق ٢٩٢/٢ .

هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها — شك ابراهيم — فيأتيهم الله فيقول

أنا ربكم . . . الخ الحديث * (١)

وأخرجه مسلم بلفظ " هل تضارون " (٢)

وعن ابي سعيد الخدرى قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟
قال : (هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر اذا كانتا صحو قلنا لا قال : فانكم
لا تضارون فى رؤية ربكم يومئذ الا كما تضارون فى رؤيتهما ثم قال ينادى مناد
ليذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم
وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان
يعبد الله من بر أو فاجر وغيرات (٣) من أهل الكتاب ثم يوتى بجهنم تعرف
كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله
فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون قالوا نريد ان تسقينا فيقال
اشربوا فيتساقطون فى جهنم ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون فيقولون
كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون
فيقولون نريد ان تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله
من بر أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون فارقناهم ونحز
أحوج منا اليه اليوم وانا سمعنا مناديا ينادى ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون
وانما ننتظر ربنا قال فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رآه فيها أول مرة

(١) البخارى معالفتح ٤١٩/١٣ .

(٢) صحيح مسلم ٤٢٧/١ - ٤٢٨ " النووى " .

(٣) وفى صحيح مسلم ٤٣٥/١ " وغير " .

فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فلا يكلمه الا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كما يسجد فيمود ظهره طيقا واحدا^(١) وقد أخرج الامام ابو داود عدة روايات في اثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة عن جرير بن عبد الله وعن ابي هريرة وابي رزين . (٢)

فما أورده عن ابي رزين قال موسى العقيلي قال : قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه قال ابن معاذ مخليا به يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه ؟ قال ابا رزين ليس كلكم يرى القمر قال ابن معاذ ليلة البدر مخليا به ثم اتفقا قلت بلى قال قاله أعظم قال ابن معاذ قال فانما هو خلق من خلق الله قاله اجل وأعظم^(٣) وأخرج كذلك الترمذي في سننه (٤) وابن كثير عدة احاديث في ذلك (٥)

وفيما تقدم من الأحاديث بعض العبارات التي تحتاج الى ايضاح وبيان ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم هل تخارون او تضامون أو تمارون كما فسى بعض الألفاظ الواردة في نص الحديث

(١) أخرجه البخارى ٤٢١/١٣ ، ومسلم ٤٣٤/١ - ٤٣٥ .

(٢) سنن أبو داود ٥٣٥/٢ .

(٣) سنن أبو داود ٥٣٥/٢ .

(٤) سنن الترمذي ٦٩١/٤ .

(٥) انظر: النهاية ٧٣/٢ .

① انظر رواية ابن رزين
انظر احاديث الجبود ج ١ ص ٤٥٤

و عنياً فقد مرهلهاديت بعض الصبغات الرتحتار ١١٩ ارساه و بيان
وسه دس مع قوله صل وسلم اسم هل تصاردها و تاردها و تصامون
لما خلاصه الصفا و ديت الوارده في هـ هـ

والجواب :

أما معنى تضارون : فقال النووي هو بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة
فيها

١- ومعنى المشدد هل تضارون غيركم في حالة الروئية بزحمة أو مخالفة في
الروئية او غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر .

٢- ومعنى المخفف : هل يلحقكم في روءيته ضمير ؟ وهو الضرر .

وأما تضامون : فهو " بتشديد الميم وتخفيفها فمن شدد ها فتح التاء وضم
خففها ضم التاء .

١- ومعنى المشدد : هل تتضامون وتتلطفون في التوصل الى روءيته .

٢- ومعنى المخفف : هل يلحقكم ضمير - وهو المشقه والتعب " (١)

قال النووي : " قال القاضي عياض رحمه الله وقال فيه بعض أهل اللغة

تضارون أو تضامون بفتح التاء وتشديد الراء والمين ، وأشار القاضي بهذا الى

أن غير هذا القائل بقولهما بضم التاء سواء شدد أو خفف وكل هذا صحيح

ظاهر المعنى (٢)

وأما ما جاء في رواية البخاري " لا تضامون او لا تضارون على الشك "

فقال النووي : " معناه لا يشتبه عليكم وترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضاً في روءيته " (٣)

وقال البيهقي - فيما ينقله عن ابن حجر - سمعت الشيخ أبا الطيب الصملوكي

(١) شرح النووي لمسلم ١/٤٢٧ .

(٢) شرح النووي لمسلم ١/٤٢٨ .

(٣) المصدر السابق . ونفس الصفحة .

يقول لا تضامون بضم أوله وتشديد الميم يريد لا تجتمعون لروءيته في جهته
ولا ينضم بعضكم الى بعض فانه لا يرى في جهة ومعناه بفتح أوله لا تتضامون
في روءيته بالاجتماع في جهة وهو بغير تشديد من الضيم معناه لا تظلمون فيه
بزوءية بعضكم دون بعض فانكم ترونه في جهاتكم كلها وهو متعال عن الجهة^(١)
وأما معنى : " هل تمارون " التي أوردها البخاري في باب فضل السجود فهو
كما قال ابن حجر " بضم أوله وتخفيف الراء أي تجادلون في ذلك أو يدخلكم
فيه شك من المرية وهو الشك " (٢)

٢- معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون
فيقول انا ربكم الخ الحديث .

قال النووي في شرح هذه الجملة من الحديث :

" أعلم ان لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين :

أحدهما : وهو مذهب معظم السلف أو كلهم انه لا يتكلم في معناها بسـ

يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى

وعظمته مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثل شئ ، وانه منزه عن التجسيم

والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق^①

وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من معتقبيهم وهو

أسلم .

① نقله الورع

(١) فتح الباري ١١/٤٤٦ .

(٢) المصدر السابق ١١/٤٤٧ .

الصفة التي يعلمونها ويعرفونها بها وانما عرفوه بصفته وان لم تكن تقدمت لهم رؤيته له سبحانه وتعالى لأنهم يرونه لا يشبهه شئ من مخلوقاته وقد علموا انه لا يشبهه شئ من مخلوقاته فيعلمون أنه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر بالصورة عن الصفة لمشابهتها اياها ولمحاسنة الكلام "

ويذكر ابن حجر ان تعريف الله لهم نفسه " أى يلقى فى قلوبهم علما قاطعيا يعرفون به انه ربهم سبحانه وتعالى " ثم نقل عن الكلاباذى قوله " عرفوه بأن أحدث فيهم لطائف عرفهم بها نفسه "

قال ابن حجر: " ووقع فى رواية هشام بن سعد ثم زفع رؤسنا وقد عاد لنا فى صورته التى رأيناها فيها أول مرة فيقول انا ربكم فنقول نعم انت ربنا وهذا فيه اشعار بأنهم رأوه فى أول ما أحشروا والعلم عند الله " (١)

٤- وأما قولهم " نعوذ بالله منك " فقال الخطابي يحتمل أن تكون هذه الاستعانة من المنافقين خاصة وانكر القاضى عياض هذا وقال لا يصح أن تكون من قول المنافقين ولا يستقيم الكلام به وهذا الذى قاله القاضى هو الصواب ولفظ الحديث مصرح به أو ظاهر فيه وانما استعانوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا سمات المخلوق .

وقال ابن حجر:

" قال ابن العري : انما استعانوا منه أولا لأنهم اعتقدوا ان ذلك الكلام استدراج لأن الله لا يأمر بالفحشاء ومن الفحشاء اتباع الباطل وأهله ولهذا وقع فى الصحيح " فيأتيهم الله فى صورة - أى - بصورة - لا يعرفونها وعنى الأمر

باتباع أهل الباطل فلذلك يقولون : " اذا جاء ربنا عرفناه " أى اذا جاءنا
بما عهدناه منه من قول الحق "

قال : " وقال ابن الجوزى : معنى الخبر يأتيهم الله بأهوال يوم القيامة
ومن صور الملائكة بما لم يجهدوا مثله فى الدنيا فيستعيذون من تلك الحال
ويقولون : اذا جاء ربنا عرفناه أى اذا اتانا بما نصره من لطفه وهى الصورة
التي عبر عنها بقوله " يكشف عن ساق - أى عن شدة .

وقال القرطبي : " هو مقام هائل يمتحن الله به عباده ليميز الخبيث من النايب
وذرك انه لما بقى المنافقون مختلطين بالمؤمنين زاعمين انهم منهم فانيس
ان ذلك يجوز فى ذلك الوقت كما جاز فى الدنيا امتحنهم الله بأن أتاهم
بصورة هائلة قالت للجميع انا ربكم فأجابوه المؤمنون بانكار ذلك لما سبق لهم
من معرفته سبحانه وانه منزه عن صفات هذه الصورة فهذا قالوا نعوذ بالله
منك لانشرك بالله شيئاً " (١)

٥- وأما قوله صلى الله عليه وسلم فيتبعونه : فمعناه يتبعون امره اياهم .
بذهابهم الى الجنة أو يتبعون ملائكته الذين يذهبون بهم الى الجنة والله
أعلم " (٢)

٦- وأما ما جاء فى الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم " وغبرات من أهل الكتاب"
فقد قال النووي فى معناها :

" وأما غير فبضم الفين المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة : ومعناه

(١) فتح البارى ١١ / ٤٥١ .

(٢) شرح النووي لمسلم ١ / ٤٢٩ .

بقاياهم جمع غابر " (١) وقد تقدم بيان معناها في مبحث الشفاعة .

٧- وقوله في الحديث: فارقناهم ونحن احوح منا اليه اليوم .

وفي رواية مسلم: " قالوا ربنا قارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولسم فصاحبهم .

قال النووي: " معنى قولهم التضرع الى الله تعالى في كشف هذه الشدة

عنهم وانهم لزموا طاعته سبحانه وتعالى وفارقوا في الدنيا الناس الذين

زاغوا عن طاعته - سبحانه - من قراباتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون - فسى

معايشهم ومصالح دنياهم الى معاشرتهم للارتفاق بهم وهذا كما جرى

للصحابة المهاجرين وغيرهم ومن أشبههم من المؤمنين في جميع الأزمان

فانهم يقاطعون من حاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع حاجتهم فسى

معايشهم الا الارتفاق بهم والاعتضاد بمخالطتهم فأثروا رضى الله تعالى على

ذلك وهذا معنى ظاهر في الحديث لاشك في حسنه .

قال النووي: " وقد انكر القاضى عياض رحمه الله هذا الكلام الواقع في صحيح

مسلم وأدعى انه مغير ، وليس كما قال الصواب ما ذكرناه " (٢)

٨- وأما معنى ما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم فيقول هسل

بينكم وبينه أيه تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه . . الحديث .

فقال النووي ضبط. " يكشف " بفتح الياء وضمها وهما صحيحان ، وفسر ابن عباس

(١) شرح النووي لمسلم ١ / ٤٣٥ .

(٢) شرح النووي لمسلم ١ / ٤٣٦ .

وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة أى يكشف عن شدة
وأمر مهول وهذا مثل تضربه الصرب لشدة الأمر ولهذا يقولون قامت الحرب
على ساق وأصله ان الانسان اذا وقع فى أمر شديد شمر ساعده وكشف عن
ساقه للاهتمام به .

قال القاضى عياض رحمه الله : وقيل المراد بالساق هنا نور عظيم وورد ذلك
فى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن فورك ومعنى ذلك ما يتجدد
للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضى عياض :
وقيل قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من جمهور جماعة من الملائكة
على خلقه عظيمة لانه يقال ساق من الناس كما يقال رجل من جراد وقيل قد يكون
ساق مخلوقا جعل الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة .
وقيل معناه كشف الخوف وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على قلوبهم من الأشغال

①

فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم فيخرون سجدا .
قال الخطابى رحمه الله وهذه الرؤية التى فى هذا المقام يوم القيامة غير
الرؤية التى فى الجنة لكرامة أولياء الله تعالى وانما هذه للامتحان " (١)

وقال الهراس فى تعليقه على حديث ابى سعيد حينما اورد ابن عزيمة :

" والحديث صريح فى اثبات الساق وان الله عز وجل جعلها علامة بينه وبين
المؤمنين فاذا كشف عنها عرفوه فغروا سجدا كما صرح به فى بعض الروايات " (٢)

(١) شرح النووي لمسلم ٤٣٦/١ .

(٢) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص : ١٧٢ .

① انظر في الورد

وقد ذكر علماء التفسير في معنى الآية يوم يكشف عن ساق ويدعون السجود
السجود فلا يستأيعون " (١)

أقوالا كثيرة في معنى الساق وهي كما ذكرها الطبري :

- ١- قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل بيدوعن أمر شديد .
- ٢- عن ابن عباس قال هو يوم حرب وشدة .
- ٣- وذكر الطبري رواية أخرى عنه قال : " يوم يكشف عن ساق " قال عن أمر
عظيم .

٤- وفي أخرى عنه " يوم يكشف عن ساق قال " حين يكشف الأمر وتبدد الأعمال
وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه .

٥- وعنه أيضا يوم يكشف عن ساق " هو الأمر الشديد المقطع من الهول يوم
القيامة / هي أشد ساعة يوم القيامة / هي أول ساعة تكون في يوم
القيامة .

٦- وعن مجاهد : " يوم يكشف عن ساق " قال شدة الأمر وجدده .

٧- وعن سعيد بن جبير قال " عن شدة الأمر " .

٨- وعن قتادة قال / عن امر فأنيع جليل وعن شدة الأمر .

وأضافة إلى تلك الأقوال في معنى كشف الساق فقد ذكر الطبري بعض
الروايات مفادها ان الله تعالى يتجلى في أي صورة شاء للمؤمنين فيقعون
ساجدين ماعدا المنافقين فان ظهورهم تبقى ساقه واحدة لا يستأيعون
الإنعاء للسجود (١)

ويستخلص من كل ما تقدم ان هذه الصفة - كشف الساق - ثابتة بنسب

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٢٩ / ٣٨ - ٤٣ .

كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فنشبتها كما جاءت بهما
النصوص على ما يليق بجلال الله تعالى وعنايته .
ورغم ما ذكرناه من الآيات والأعاديت وجماع الصحابة فان المعتزلة قد
انكروا روية الله تعالى - كما هو مذهبهم - فالقاضي عبد الجبار ينفى
اجماع الصحابة على جواز وقوع روية الله تعالى مدعيان ذلك لا يمكن (١)
وهذا انكار غريب ليس له ما يؤيده ثم نسب الى بعض الصحابة ايضا نفى القول
بروية الله تعالى وهذا غاية في التلبيس والمغالطات ، وقد ذهب يستدل
على هذا الزعم بما روى عن عائشة انها قالت لما سمعت قائلا يقول ان محمدا
صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقالت لقد قف شعري ما قلت ثلاثا من زعم أن
محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله تعالى ثم قلت قوله تعالى :
ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى
بإذنه ما يشاء (٢) الشورى : آية : ٥١ .

وهذا الاستدلال من القاضي على نفى الروية عن الله تعالى مطلقا غير
مسلم له بل هو خطأ ظاهر وذلك لأن الحديث ليس واردا في محل النزاع
وهو ثبت روية الله تعالى أو عدمها مطلقا بل هو وارد على نفى حالة واحدة
وهي نفى روية الله تعالى في الدنيا وان كان في هذه خلاف بين العلماء
وان الصحيح من ذلك هو عدم وقوع روية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه
تعالى في الدنيا كما سيأتى واستناد القاضي الى هذا الحديث لدعواه بأنه

(١) شرح الأصول الخمسة عن : ٢٦٢ .

(٢) أخرجه الترمذى ٥ / ٣٨٥ .

لا يمكن اجماع الصحابة على القول بروؤية الله تعالى دعوى تحتاج الى اثبات
لأن عائشة لم يكن من رؤيتها القول بنفى الرؤية مطلقا حتى يتم للقاضي
الاستدلال بحدِيثها وانما هي تريد نفي الرؤية في الدنيا لا في الآخرة
كما قرره العلماء وكما هو ظاهر الحديث .

وأما ما نسب القاضى الى بعض الصحابة فهو كسبة القول الى الخليفة الراشد
على بن ابى طالب وكبار الصحابة " انهم كانوا ينفون الرؤية عن الله تعالى
وقوله " وانت اذا نظرت فى خطاب أمير المؤمنين وجدتها مشحونة بنفى الرؤية
عن الله تعالى " (١)

فهذه دعوى تحتاج الى اثبات ان لم ينقل عن أحد من الصحابة رضوان الله
عليهم نقلا صحيحا - فيما رأيت - انكار رؤية الله تعالى بل ولا تأويل ما جاء
فى الرواية الى المعانى التى ذكرها المعتزلة لنفى رؤية الله تعالى فى
يوم القيامة او فى الجنة وانما الذى نفاها هم أهل البدع وحاشا أن يتصف
الصحابة بمثل هذا القول المبتدع .

ولكن لأن المعتزلة ينفرون عن سماع احاديث الرؤية لانها عليهم كالمصواعين
لم يتورعوا عن رد النصوص الشبهة لها ولهذا نجد القاضى عبد الجبار لم يتورع
عن الطعن فى احاديث ثابتة فى الصحيحين ويصفها بأنها كذب على
الرسول صلى الله عليه وسلم وانها تتضمن الخبر والتشبيه فيجب نفيها بزعمه

(١) شرح الأصول الخمسة ص : ٢٦٨ .

فهو يقول في رده على المشبتين لها :

" وما يتعلقون به ، أخبار مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها يتضمن الخبر والتشبيه فيجب القطع على انه صلى الله عليه وسلم لم يقله ، وان قال فانه قاله حكاية عن قوم والراوى حذف الحكاية ونقل الخبر " .

قال : " ومن جملتها وهو اشرف ما يتعلقون به ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر " .

وسنرى الى أى مدى وصل الحال بالقاضى في رده لهذا الحديث الصحيح الثابت وما جاء في معناه ما يثبت الروئية فهو يقول : " ولنا في الجواب عن هذا طرق :

أحدهما : هو أن هذا الخبر يتضمن الخبر والتشبيه لانا لا نرى القمر الا مدورا عاليا منورا ومعلوم انه لا يجوز ان يرى القديم تعالى على هذا الحد فيجب أن نقطع على انه كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وانه لم يقله وان قاله فانه قاله حكاية عن قوم " .

ولقد قطع القاضى بوجوب تكذيبه لهذا الحديث ثم نفذ ما اوجبه على نفسه فكذب به والواقع انه اخطأ خطأ فاهشا للأمر الآتية :

انه ظن ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقصد تشبيه المرثى بالمرثى وهذا خطأ فان الرسول صلى الله عليه وسلم يريد تشبيه الروئية بالروئية في تمام الوجود والظهور لا تشبيه المرثى بالمرثى .

٢- ان قوله عن الحديث انه كذب على الرسول صلى الله عليه وسلم كذب منه
فان الحديث صحيح وقد رواه الشيخان في صحيحيهما كما قدمنا .
٣- قوله انه على فرض صحة الحديث فان الرسول صلى الله عليه وسلم قاله على
سبيل الحكاية عن قوم غير صحيح لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ابتداءً
وبشارة لأصحابه ولم يقل انه حكاية ثم ان الحال الذي اخبر الرسول صلى الله
عليه وسلم بهذا الحديث فيه ليس فيه ما يدل على الحكاية ولا ما يقتضيهما .
هذا بالنسبة لما يتعلق بالطريق الأول الذي سلكه القاضى في رد الحديث
أما " الطريقة الثانية هو ان هذا الخبر يروى عن قيس بن ابي هازم عن جرير
ابن عبد الله البجلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " وقيس هذا مطعون
فيه من وجهين .

أحدهما : انه كان يرى رأى الخوارج يروى انه قال منذ سمعت علياً على منبر
الكوفة يقول - انظروا الى بقية الاحزاب - يبنى أهل النهروان دخل بفضه
قلبي ، ومن دخل بفض أمير المؤمنين قلبه فأقل احواله ان لا يعتمد على قوله
ولا يحتج بخبره .

والثاني : قيل انه خولط في عقله آخر عمره والكتبه يكتبون عنه على عادتهم فسو

حال عدم التمييز ، ولا ندري ان هذا الخبر رواه وهو صحيح المحقل أو مختلط
المقل .

قال " ويحكى عنه انه قال لبعض اصحابه اعطني درهما اشترى به عصا اضرب بها
الكلاب وهذا من افعال المجانين ويقال ايضا انه كان مهوسا في بيت فگسان

يضرب على الباب فكلما اصطفق الباب ضحك فلا يمكن الاحتجاج بقوله لأن هذا
دلالة الجنون عليه "

هذه مطاعنه لرد الحديث .

والواقع أن هذه الطريق لا تقل سوءً وخطأً عن سابقتها وذلك لأن هذه الرواية
التي ذكرها القاضي عبد الجبار هي ما ذكرها البخاري في عدة مواضع من صحيحه
- كما أسلفنا - والقاضي يشير إلى الرواية التي أخرجها الامام ابو داود في سننه
عن قيس بن ابي حازم عن جرير بن عبد الله ولفظها " قال كما مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم جلوساً فنظر إلى القمر ليلة البدر ليلة اربع عشرة فقال : " انكم
سترون ربكم كما ترون هذا لاتضامون في رؤيته " (١) الحديث .

وهذا القدر الذي ذكره القاضي في قيس بن ابي حازم لا يتم له وذلك لأن تلقى
العلماء لحد يث قيس هذا وروايتهم عنه يوجب القطع بأنهم اخذوا عنه هـذا
الحديث وهم لا يشكون في عقله وورعه ان لو كان مجنوناً كما ذكر القاضي لما اقدم
احد من الائمة على الرواية عنه فكيف يروى عند البخاري في عدة مواضع من
صحيحه (٢) وغيره من ائمة العلم وهو بهذا الوصف الذي ذكره القاضي فالقدر
بحد هذا في روايته هذه قدر في جميع الائمة الذين اخذوها عنه كالبخاري
وأبو داود وغيرها .

ثم ان روايته هذه لها ما يشهد لها ويقويه من الروايات المتعددة الواردة في
معناها ، مما يجعل لها من القوة ووجوب التصديق بها ما لا يبلغه نقد القاضي

(١) سدن أبو داود ٥٣٥/٢ .

(٢) انظر: ٣٣/٢ ، ص ٥٢ ، ٥٩٧/٨ ، ٤١٩/١٣ .

عبد الجبار : وأول ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهـذا اللفظ الذي ذكره ابو داود عن قيس بن أبي حازم تماما كما قدمنا ذكر ذلك في رواية الشيخين لحديث ابي هريرة واهي سعيد الخدري .
"وأما الطريقة الثالثة " هو ان يقال : ان صح هذا الخبر وسلم فأكبر ما فيه ان يكون خبرا من اخبار الآحاد ، وخبر الواحد مما لا يقتضى العلم وسألتنا طريقها القطع والثبات ، واذ اصححت هذه الجملة بطل ما يتعلقون به ثم ان هذا الخبر معارض باخبار رويت منها

١- ما روى ابو قلابة عن ابي ذر انه قال : قلت للنبي هل رأيت ربك فقال نور هو انى اراه " (١) أى أنور هو ؟ كيف اراه ؟ فحذف همزة الاستفهام جريا على عادتهم فى الاختصار .

٢- وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال " لن يرى الله أهد فى الدنيا ولا فى الآخرة " .

٣- وقد قيل لعلى عليه السلام (٢) هل رأيت ربك ؟ فقال ما كنت لأعبد شيئا لم أره فقيل كيف رأيت فقال لم تره الابصار بمشاهدة الميمان ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان موصوف بالدلالات معروف بالآيات هو الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم "

وهذه الطريقة الثالثة لا تقل سوءا عن سابقتيها أيضا فقد رد فيها الحدِيث لانه

١- من اخبار الآحاد .

٢- لانه معارض باخبار رويت تدل على منع الرواية .

(١) أخرجه مسلم ١/٤٢٢ .

(٢) الاولى ان يقال رضى الله عنه .

أما نفيه للحديث بحجة انه من أخبار الأحاد فهو جار على الطريقة الممتزلة
في رد هم لا أخبار الأحاد .

وأخبار الأحاد كما قرره العلماء حجة يجب العمل بها وأن ردها بالكلية خطأ
ظاهر ورد لمآت النصوص .

والمقصود من قبول أخبار الأحاد كما هو معلوم ما نقل نقلا صحيحا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وغلب على الظن صدق مخبره بأن كان ثقة ثم اختلفت به
قرائن اخرى تدل على صدقه فهذا لا ينبى لأحد ان يتوقف عن قبوله والعمل
به ومن رد أحاديث الأحاد مطلقا فلا شك انه قد ارتكب امرا عظيما لأن هذه
قضية خطيرة والقول بها مرفوض تمام الرفض لانه قول مبتدع لم يقل به أحد من
سلف هذه الأمة ولم يخطر لاحد هم على بال ، ويلزم من هذا القول الخاطيء
رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجرد
انها لم تتواتر والتواتر ليس شرطا لصحة الاستدلال بالحديث بل المهم
صحة ثبوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح وجب علينا العمل به
اعتقادا أو تشريعا * . (١)

قال ابن القيم رحمه الله :

" وأما المقام الثامن : وهو اعتقاد الاجماع المعلوم المتيقن على قبول هذه
الأحاديث - الاحاديث عموما - وأثبت صفات الرب تعالى بها ، فهذا
لا يشك فيه من له أقل خبرة بالمنقول فان الصحابة هم الذين رووا هذه
الأحاديث وتلقاها بعضهم عن بعض بالقبول ولم ينكرها احد منهم على من
رواها ثم تلقاها عنهم جميع التابعين من أولهم الى آخرهم ومن سمعها منهم
تلقاها بالقبول والتصديق لهم ومن لم يسمعها منهم تلقاها عن التابعين
كذلك ، وكذلك تابع التابعين مع التابعين " (٢)

(١) انظر: البيهقي وموقفه من الالهيات ص: ٢٦٩ د / الغامدي .

(٢) مختصر الصواعق ص: ٥٢٤ .

وقال في بيانه لاقسام الطوائف بالنسبة لتلقيهم خبر الاحاد " وطائفة ثالثة
قالت: نقبل من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترها ونرد أحاديثها
سواء كان مما يقتضى علما أو عملا وقد نأثر الشافعى بعض أهل زمانه في ذلك
فأبطل الشافعى قوله واقام عليه الحجة معقد في الرسالة بابا اطال فيه الكلام
في تثبيت خبر الواحد ولزوم الحجة به وخروج من رده عن طاعة الله ورسوله
ولم يفرق هو ولا أحد من أهل الحديث البتة بين أحاديث الاحكام وأحاديث
الصفات ولا يعرف هذا الفرق عن أحد من الصحابة ولا عن أحد من التابعين
ولا من تابعيهم ولا عن أحد من ائمة الاسلام وانما يعرف عن رؤس أهل البدع
ومن تبعهم " (١)

ثم قال: " وطائفة اخرى ردت احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت
في باب الصفات وقبيلتها اذا كانت في باب الاحكام والزهد والرقائق ونحوها
وهو لا طوائف من أهل الكلام المبتدع المذموم وجعلوا قوله تعالى (ليس
كشئ شئ) مستندا لهم في رد الأحاديث الصحيحة تلميها على من هو
أعمى قلبا منهم وتحريفا لمعنى الآية عن موضعه ففهموا به من أخبار الصفات
مالم يرده الله ولا رسوله ولا فهمه أحد من أهل الاسلام انها تقتضى اثباتها
على وجه التمثيل بما للمخلوقين " (٢)

(١) مختصر الصواعق ص: ٥٢٥

(٢) المصدر السابق ص: ٥٣١

وقد وقع خلاف طويل بين علماء الأصول في خبر الواحد هل يفيد الظن أو يفيد اليقين وسنذكر فيما يلي مذاهب أهل الأصول في أخبار الآحاد وهل هي تفيد اليقين أو الظن وما مدى قبولها في باب الاعتقاد ونذكر أدلة القائلين بلزوم التبعه بخبر الواحد شرعا وأدلة المانعين من ذلك مختصرا ذلك من مذكرة اصول الفقه على روضة الناظر بتحقيق الشيخ محمد الامين الشنقيطي رحمه الله تعالى .

أما المسألة الأولى : وهي مذاهب أهل الأصول في أخبار الآحاد فان حاصل الكلام فيها من ثلاثة أوجه .

الأول : وهو مذهب جماهير الأصوليين ان أخبار الآحاد انما تفيد الظن فقط ولا تفيد اليقين " (١)

الثاني : انه يفيد اليقين ان كان الرواة عدولا ضابطين .

الثالث : هو التفصيل بأنه ان احتفت به قرائن دالة على صدقه افاد اليقين والا افاد الظن " .

أما المذهب الأول : وهو نفي افادة أخبار الآحاد اليقين فانهم يحتجـون

بقولهم "لو سئلت عن عدل رواة خبر الآحاد أيجوز في حقه الكذب والغلط لا ضطررت ان تقول نعم فيقال قطعك ان بصدقه مع تجويزك عليه الكذب والغلط لا معنى له " .

(١) أي العلم : والعلم بمعنى اليقين في الاصطلاح .

أما المذهب الثاني : فانهم يقولون : " بأن العمل بنجر الأعداء واجب والظن ليس من العلم حتى يجب العمل به لأن الله تعالى يقول " ان الظن لا يغنى من الحق شيئا " .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : (اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث)

وأما أهل المذهب الثالث : وهم القائلون بالتفصيل فهم يقولون ما احتفت به

قرائن. افاد اليقين ويمثلون له بما اذا اخبر رجل بموت ولده المشرف على الموت مع قرينة البكاء ، واحضار الكفن والنشر .

ويمثلون له كذلك بأحاديث الشيعيين البخاري ومسلم فان القرائن قد دلت على صدقهما ولهذا فقد تلقى العلماء كتابيهما بالقبول .

أما العمل بالأحاد في العقائد فقد قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى " اعلم ان التحقيق الذي لا يجوز الجدول عنه ان أخبار الأحاد الصحيحة كما تقبل في افروع تقبل في الأصول فما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم باسانيده صحيحة من صفات الله يجب اثباته واعتقاده على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله على نحو ليس كمثل شئ ، وهو السميع البصير . " .

قال : " وبهذا تعلم ان ما اطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم من ان أخبار الأحاد لا تقبل في العقائد ولا يثبت بها شئ من صفات الله زاعمين ان أخبار الأحاد لا تفيد اليقين ، وان العقائد لا بد فيها من اليقين باطل لا يعول عليه ويكفى من شهر بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمجرد تحكيم العقل " .

وقال ايضا : " وعلى كل حال فاثبات صفات الله بأخبار الأحاد الصحيحة واعتقاد تلك الصفات كالعمل بما دلت عليه من أوامر الله ونواهيه كما انها

ثبت بها أو امره ونواهيته فكذلك تشبث بها صفاته "

وأما الخلاف في أن العقل هل يوجب التعبد بخبر الواحد أو لا يوجبه فقد قال عنه " والتحقيق ان العقل بالنظر اليه وحده لا يمنع التعبد بخبر الواحد ولا يوجبه فكلا القولين المتقدمين باطل بلا شك اعنى قول من قال يمنعه العقل كالأصم والجبائر وقول من قال يوجبه وهو أبو الفطاب فالعقل يجيز التعبد به ولا يمنعه ولا يوجبه وهذا هو الحق ان شاء الله تعالى "

وقد ذهب الجمهور الى القول بالتعبد بخبر الواحد شرعا مستدلين بدليلين

١- الأول : اجماع الصحابة رضى الله عنهم في وقائع لا تنحصر على قبوله كرجوع

أبي بكر لقول المغيرة بن شعبه ، ومحمد بن مسلمة في ميراث الجدة لما

أخبراه انه صلى الله عليه وسلم اعطاهما السدس ومنها رجوع عمر رضى الله عنه

الى قول المذكورين في دية الجنين انه صلى الله عليه وسلم قضى فيها بغرة

عبد أو وليدة ومنها رجوع عمر الى قول الضحاک بن سفيان ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم كتب اليه ان يورث امرأة أشيم الضيبي من دية زوجها

وكرجوعه الى قول عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ

الجزية من مجوس هجر ومنها رجوع عثمان رضى الله عنه الى قول فريصة بنت

مالك اخت ابي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم امرها بالسكنى

في دار زوجها لما قتل حتى تنقضى عدتها الى غير ذلك من الوقائع التي

لا تنحصر "

هذه بعض أدلة من يقول بقبول خبر الأهاد اما الذين يردونه فمن ادلتهم

١- عدم قبول صلى الله عليه وسلم لخبر ذي اليمين لما قال له اقصرت الصلاة

أم نسيت واخبره انه سلم من اثنتين " .

٢- ان أبا بكر لم يقبل خبر المغيرة بن شعبه في ميراث الجدة حتى شهد

٣- ولم يقبل عمر خبر ابي موسى في الاستئذان ثلاثا حتى شهد معه
أبو سعيد الخدرى .

٤- ولم تقبل عائشة خبر ابن عمر في حديثه ان الميت يذب ببكاء أهله .
وقد أجاب الشيخ محمد الامين عن ذلك من وجهين :

الأول : ان هذا اعتراف من المخالف بقبول خبر الأحاد وانما فهو اقرار منه

بجعل النزاع لأن شهادة محمد بن مسلمة مع المغيرة و ابي سعيد مع ابي موسى
لا تنقل الخبر من كونه أحادا لأن خبر الاثنين خبر أحاد كما ترى .

الثاني : ان تلك الوقائع ليس فيها ما يدل على عدم قبول خبر الأحاد لأن
عدم تصديق النبي صلى الله عليه وسلم لذى اليمين لانه كان يظن خلاف
ما اخبر به ولذا قال له كل ذلك لم يكن أى لم انس ولم تقصر الصلاة أى فسى
ظنى ولا يكلف الانسان بقبول خبر هو يظن عدم صدقه ولما اخبره الصحابة
بصدق ذى اليمين اتم عملاته وسجد للسهم وهذا هو الصواب فى الجواب
عن هذا .

وأما أبو بكر رضى الله عنه فلم يرد قول المغيرة وانما طالب الاستظهار بشهادة
آخر معه ولو لم يجد غيره لقبه منفردا كقول ابراهيم بلى ولكن ليظن تلبيس
وأما عمر رضى الله عنه فانه قال لابي موسى سدا للزريعة لئلا يكون للناس كلما
توجه الى أحد منهم لوم وضع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم يرفع به عنه
ذلك اللوم وقد ثبت عن عمر رضى الله عنه انه غير مكذب ولا متهم لابي موسى
ولكنه خشى ان يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما عائشة فلم تكذب ابن عمر بل قالت انكم لتحدثون عن غير كان بين ولا مكذبين
ولكن السمع يخطىء كما ثبت عنها رضى الله عنها فى الصحيح .

وفى رواية عنها فى الصحيح ايضا انها قالت رحم الله ابا عبد الرحمن تمنى
ابن عمر سمع شيئا فلم يحفظه . الخ ولكنها ظنت انه غلط لا اعتقاد بها ان

ما أخبر به مخالف لقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) لأن بكاء أهل الميت ليس من فعله فلو عذب به لكان من موأخذته بحمل غيره وليس الأمر كما ظننت عائشة رضي الله عنها .

الدليل الثاني : ما تواتر من انفاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأه

ورسله وقضاته وسعاته الى الاطراف لتبليغ الأحكام والقضاء وتبليغ الرسالة ومن المعلوم انه كان يجب عليهم تلقي ذلك بالقبول ليكون مفيداً والنبي صلى الله عليه وسلم مأثور بتبليغهم الرسالة ولم يكن ليبلغها بمن لا يكتفى به وهذا دليل قاطع على قبول اخبار الأحاد .

وهناك دليل ثالث ايضاً وهو ان الاجماع انعقد على قبول قول المفتي فيما

يخبر به عن ظنه فما يخبر به عن السماع الذي لا يشك فيه أولى " (١)

ونعود للرد على القاضي عبد الجبار فنقول ان معارضة الحديث بتلك الاخبار

التي أوردها فهو باطل كما يأتي

١- ان الرواية التي ذكرت في حديث ابي ذر لم تدل على ان ذلك النفسى

الذى قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يشمل الرواية فى الآخرة وانما نفسى

أن يكون رآه وهو فى هذه الدار .

وأما تحريفه لمعنى الحديث الى انه وارد على سبيل الاستفهام فهو خلاف

ما قاله العلماء .

قال النووي عن لفظه الحديث :

" أما قوله صلى الله عليه وسلم (نورانى اراه) فهو بتنوين نور ويفتح الهمزة

فى " أنى " وتشديد النون وفتحها ، وأراه بفتح الهمزة هكذا رواه جميع

(١) مذكرة اصول الفقه على روضة الناظر ص: ١٠٣ الى ص: ١١١ .

راه جميع الرواة في جميع الأصول والروايات ومعناه : «حجابه نور فكيف أراه ؟
قال الامام ابيه عبد الله المازري، رحمه الله الضمير في (أراه) عائد على الله
سبحانه وتعالى ومعناه ان النور منعتني من الرؤية كما حجرت المادة باغشاء
الأنوار الابصار ومنعتها من ادراك ما حالت بين الرائي وبينه) (١)

وقال الشيخ شمس الدين ابن القيم " سمعت شيخ الاسلام احمد بن تيمية يقول
في قوله صلى الله عليه وسلم (نوراني اراه) معناه كان ثم نور وحال دون
رؤيته نور فاني اراه قال ويدل عليه ان في بعض الفاظ الصحيح " هل رأيت
ربك فقال " رأيت نورا " (٢)

فثبت ان مقاله القاضي في معناه غير صواب ولا يدل على ما ذهب اليه من
نفي الرؤية .

وهذه المسألة - أي رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا ما وقع
فيها الخلاف بين العلماء وحاصل الكلام فيها كما افاده القاضي عياض في
كتابه الشفا ان السلف قد اختلفوا فيها الى الأقوال الآتية :
أ- ذهب فريق من السلف الى نفيها .

ومن هؤلاء ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما روى ذلك مسروق عنها حين
قال لها : يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت
ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم
قرأت (لا تدركه الابصار) الآية .

(١) شرح النووي ٤٢٢/١ .

(٢) الفتاوى ٥٠٧/٦ .

٢- وقد قال بقول عائشة جماعة من الصحابة ايضا منهم ابن مسعود وأبو هريرة وغير هؤلاء من السلف والخلف .

قال القاضي عياض : " وقال بإنكار هذا وامتناع رويته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين "

ب) وذهب فريق آخر من السلف الى القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه ، وينسب هذا القول الى ابن عباس رضى الله عنهما حيث قال ان الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس رضى الله عنهما يسأله هل رأى محمد ربه فقال : نعم وحجته قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى) .

ولكن النقل عن ابن عباس لم يكن على رأى واحد فقد روى عطاء عنه انه قال رآه بقلبه وعن أبى المالية عنه رآه بفؤاده مرتين .

وينسب الى كعب ايضا القول بروؤية الرسول صلى الله عليه وسلم ربه وقال الماوردي " قيل ان الله تعالى قسم كلامه وروايته بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فرآه محمد مرتين ، وكلمه موسى مرتين " وقد روى هذا الكلام لكعب وتحديد مكالمة الله تعالى لموسى بمرتين ورواية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه بمرتين كذلك مما يحتاج الى دليل .

وينسب كذلك الى ابى ذر انه قال برواية محمد صلى الله عليه وسلم لربه فقد روى شريك عن ابى ذر رضى الله عنه في تفسير الالية من قوله تعالى (ولقد رآه نزلة اخرى) قال رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه

ولكن هذه الرواية تخالف ما تقدم في الصحيح من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم له بأنه لم ير ربه .

وهذه الرواية لا تقاوم تلك وينسب هذا الرأي كذلك الى الحسن وعكرمة ، وابن مسعود ، وأبو هريرة ومعاذ ، ومن علماء السلف الامام أحمد بن حنبل في رواية النقاش عنه وابن عطاء والاشعري فيما ذكر القاضي عياض بتوليه :
” وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة ، وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال : نعم ”
” وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملائة . . الحديث .

وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه ” يعنى نفس أحمد .

وقال ابن الخطيب : ” وروى الفلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لاهمهم انهم يقولون ان عائشة قالت ” من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأى معنى يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي فقول النبي أكبر من قولها ” (١)

ومن الذين قالوا بثبوت الرواية ايضا ابن عطاء قال القاضي ” وعن ابن عطاء في قوله تعالى (الم تشرح لك صدرك)

قال شرح صدره للرواية وشرح صدر موسى للكلام ” .

(١) المواهب اللدنية ٢ / ٣٨ .

ووقال أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه انه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه وقال كل آية أوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد أوتى مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الروئية .

ج) وذهب فريق آخر من السلف الى القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده وقد تقدم النقل عن ابن عباس قوله بهذا ومن ينسب اليه هذا القول كذلك محمد بن كعب القرظي وربيح بن أنس .
ورواية عن أحمد

فقد " حكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيح بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيتته بفؤادي ولم اره بميمنى " قال ابن الخطيب العسقلاني في بيان قول من قال ان الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه " ثم ان المراد بروئية الفؤاد روية القلب لا مجرد حصول العلم لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من اثبت له أنه رآه بقلبه أن الروئية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الروئية بالعين لغيره والروئية لا يشترط لها شيء مخصص عقلا ولو جبرت العادة بخلقها في العين " (١)

وقد أعاد الاستاذ عبدالصير المهدوي سبب ورود هذا الاختلاف بالنسبة للروئية وغيره مما جاء في أخبار الاسراء والمصراع الى ان ذلك يعود الى اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الناس بتلك الوقائع حسب مراتبهم .

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٣٩ / ٢ دار الكتب العلمية .

قال ابن الخطيب فيما ينقله عنه

"ومما يعزى للإستاذ عبدالعزیز المهدوی انه صلی اللہ علیہ وسلم لما رجع من سفر الاسراء أخبر العوالم من حیث فلکهم ومراتبهم وسقی کل واحد من کأسه وعلى قدر عقله فخطب الکفار وهم آخر العوالم بما رأى فی الطریق وما کان فی المسجد الاقصى علی العیان وبما یعرفون لانهم فی فلک الاجسام حتی صدقوا بالاسراء ثم ارتش حتی حدث عن فلک السماء وكذلك فی کل سماء وأخبر عما شاهد ورأى فی کل فلک وما یلیق ان یحدث به أعنی الصحابة کلا علی قدر مرتبته بالأرضین ولا مزاحم الی السماء السابعة ولما وصل مقام جبریل تحدث عن الافی المبین وعما فور السی الدنو والتدلی الی موضع الایحاء عند حفرة اسقاط المور والذلی فاجبر بذلک من اصحابه فمنهم من قال رأى جبریل بالافق المبین وبالافق الاعلی وصدق ومنهم من قال برومية الفواد والبصرة وصدق وهی عائشة ومن معها ومنهم من قال سأل بعینی رأسه رأى وصدق فکل اخبر ما حدثه صلی اللہ علیہ وسلم من مقامه وسقاه من کأسه وما یلین به فاذا صبح هذا العوالم عرفت الاسراء ومقامات الرومیة والقائلین بذلک واختلافهم وقولهم الجمیع الحق" (١)

وینبغی أن یفهم ان قصة الاسراء والمعراج قد دخلها کثیر من الاخبار التي لم تثبت بل كانت مرتما خصبها کثیر من أمل القصص الذین یالون انبال الناس الیه من الاخبار التي ترقق القلوب •

وقد نسب الى الامام أحمد القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم

رأى ربه بفؤاده ولم يجزم بالقول انه رآه ببصره ، قال القاضي :

" وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجين عن القول برؤيته
فى الدنيا بالابصار " (١) .

وقال ابن الخطيب : " وقد أنكر صاحب الهمدنى على من زعم

أن أحمد قال رأى ربه بعينى رأسه ، قال : وانما قال مرة رأى محمد

ربه وقال مرة بفؤاده ، وحكى عن بعض المتأخرين رأى بعينى رأسه

وهذا من تصرف الحاكى فان نصوصه موجودة " (٢) .

والواقع ان النقل عن الامام أحمد لم يكن دقيقا فقد تصرف بعض

الرواة فى كلامه حسب ما فهمه من عبارات الامام أحمد والتي هى أيضا

قابلة للاحتمال ولهذا فان شيخ الاسلام ابن تيمية يذكر أن النقل عن

الامام أحمد جاء على طريقين : " تارة يطلق الرؤية ، وتارة يتسول

رآه بفؤاده " ، قال ابن تيمية : " ولم يقل أحد أنه سمع أحمد

يقول رآه بعينه لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا

منه رؤية العين " (٣) .

د - وبعض السلف قد توقف فى هذه المسألة ومن هؤلاء : سفيان

ابن جبير فقد قال : " لا أقول رآه ولا لم يره " .

(١) الشفاء ص ١٢١ .

(٢) المواهب اللدنية ص ٣٨ ج ٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ج ٦ ص ٥٠٩ .

وذكر القاضى عياض ان بعض مشائخه قد توقفوا فى هذه المسألة فلم يجزموا فيها
بحكم لعدم وضوح الدليل عليها وقد توقفوا ايضا فيما يبدو من كلامه وذكر
بأنها وان كانت جائزة الحصول لكنها تحتاج الى دليل تطمئن اليه النفس ومن
كلامه رحمه الله قوله :

" ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون "
وبعد ان ذكر بعض خصوم الائمة فى جواز وقوع روية الله تعالى فى الدنيا
وان ذلك ليس بمستحيل الوقوع .

قال " وقد وقع لبعض المفسرين فى الجبل انه رآه بروية الجبل له استدلال من قال
بروية محمد نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مربة فى الجواز اذ ليس
فى الآيات نص فى المنع ، وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بأدبه
رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذا لمحول فيه على آيتى النجس
والتنازع فيهما مآثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك ثم أخذ فى نقض أدلة من يقول بوقوع روية الرسول صلى الله
عليه وسلم له فى الدنيا فقال :

" وحديث ابن عباس خير عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم
فيجب العمل باعتقاده مضمته .

ومثله حديث أبى ذر فى تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب
الاسناد والمنه وحديث ابى ذر الاخر مختلف معتدل مشكل فهو نورانى أراه
وحكى بعض شيوخنا انه روى " نورانى " أراه ، وفى حديثه الآخر سألته فقال
رأيت نورا ، وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الروية فان كان الصحيح

رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منحه وحجبه عمن
رومية الله تعالى والى هذا يرجح قوله نور أنى أراه أى كيف اراه من حجاب النور
المغشى للبصر وهذا مثل ما فى الحديث الآخر حجاب النور وفى الحديث الآخر
لم أره بعينى ولكن رأيتته بقلبي مرتين وثلاثا ثم دنا فتدلى والله تعالى قادر على
خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب أو كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث
نص بين فى الباب اعتقد ووجب التصير اليه " (١)

ولكن شيخ الاسلام قد جزم بالقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ير ربه
بعينى رأسه فقال : " وليس فى الادلة ما يقتضى انه رآه بعينه ولا ثبت ذلك
عن أحد من الصحابة ولا فى الكتاب أو السنة ما يدل على ذلك بل النصوص الصحيحة
على نفيه أدل " (٢)

وخلاصة هذه المسألة ان الراجح هو عدم رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم
لربه لا فى ليلة الاسراء ولا فى غيرها وان احدا لم يره قبل يوم القيامة وهذا
هو القول الذى ايدته النصوص .

٢- أما الرواية المنسوبة الى جابر التي ذكرها القاضي عبد الجبار فلم أجد هـ
فيما تبسرتلى الاطلاع عليه بسند صحيح الى جابر رضى الله عنه وعدم صحته
ظاهر عليها ، اذ لا يتصور ان ينفى الصحابي الجليل الرومية المتواترة المعلومـة

(١) انظر : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ص ١١٩ - ١٢٤ ط ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م

مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

(٢) الفتاوى ٥١٠ / ٦ .

لدى جميعهم رضى الله عنهم وهم يقرأون الآيات ويتداولون الأحاديث الستة
تثبت ذلك •

وتلك الرواية غير مذكورة فى الصحيح غير انه قد ورد فى صحيح مسلم عن ^{عمر بن} ثابت
الانصارى انه اخبره بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يوم حذر الناس الدجال (تعلموا انه لن يروى أحد
مكم ربه عز وجل حتى يموت) (١)

وهذه الرواية ليس فيها نفي رومية الله تعالى مطلقا وانما فيها نفي الرومية فى
الحياة كما افاده الحديث •

أما الكلام المنسوب الى الامام على رضى الله عنه فانه يحتاج الى اثبات نسبه
اليه ثم انه على فرض صحته نسبه اليه ... ولا أعتقد ان ذلك يقع ... فليس فيه
دليل على نفي رومية الله تعالى فى الآخرة وانما فيه اخبار ان قولها صفت فحرفت
الله تعالى واستثقت به دون أن تراه كما جاء فى حديث جبريل المشهور حين
سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال لم صلى الله عليه وسلم
ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (٢)

وكيف يتأتى من صحابى جليل مثل على بن ابي طالب أن يفكر رومية الله تعالى وهو
يتلو القرآن ويروى السنة ويسمع بما بشره به نبيه صلى الله عليه وسلم من الكرام
الله لاولياته بالنظر اليه جل وعلا فى الجنة على ان هذا الكلام المنسوب لخصام

(١) صحيح مسلم ٢٢٤٥/٤ •

(٢) أخرجه البخارى ١١٤/١ ، ومسلم ١٣٦/١ •

على بن ابي طالب رضي الله عنه من المستبعد ان ينسب اليه نقلنا لركاكته
وظهور الصنعة عليه وهو أشبه بكلام الصوفية .

٢- واذا كنا قد قدمنا اثبات وقوع رومية الله وانها جائزة عليه سبحانه كما اتضح
دليل ذلك من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن أقوال
سلف الامة وعلمائها الاجلاء كما سنذكر ذلك عنهم فان مما يذكر هنا أن العقول
لا ينافى وقوع رومية الله تعالى بل يبيحها ويدل على امكان وقوعها في الدنيا
وفي دار الآخرة غير انه قد ثبت عدم جواز وقوعها في الدنيا شرعا لأحد من البشر
اللهم الا ماورد به الخلاف في وقوعها لدينا محمد صلى الله عليه وسلم
كما ذكر أهل العلم فيما سلفنا .

أما اثبات وقوعها في دار الآخرة فهو ما جاءت به النصوص ودليل جواز وقوعها
عقلا هو ان الله سبحانه وتعالى ~~مصفى بمصنعة الوجود وهي صفة العاقل على القول~~
بها كل منتسب الى الدين ، ومن المعلوم ان كل موجود يصبح أن يرى والله
سبحانه وتعالى له ~~صفة الوجود~~ ^{كل الوجود} فكيف نفس روميته تعالى (١)

ورغم وضوح هذا الدليل لكن القاضي عبد الجبار يرد هذا ويذهب انه من المعلوم
ان " كثيرا من الموجودات لا تروى كالارادات والكراهات وغير ذلك " (٢)

ويجاب عن هذا بان هذه الامور التي ذكرها ليس بابها النظر والمشاهدة ومهما قيل
من أدلة ، ومهما قيل من احتجاج فان نفاة الرومية ينشرون عن سماعها اشد المنصور

(١) انظر: شرح جوهرية التوحيد : ص : ١١٤ .

(٢) شرح الاصول الخمسة : ص : ٢٧٤ .

صهما كانت قوة ادلتها وقد وصلوا في الطعن على المثبتين لصفات الله جل وعلا الى حد السباب كما في القول الذي يرويه الزمخشري لبعض الصديقية -- كما زعم -- ومستشهدا به على صحة وصف السلف " الذين سماهم أهل البلغة باستحقاق السباب لا ثباتهم صفات الله تعالى بلا كيف فقال :

" لجماعة سموا مواهم سنة . . . لجماعة حمس لعمرى موكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا . . . شذح للررى فتستروا بالبلغة
وقد شذح العلماء على الزمخشري هذه الفرية الباطلة وردوا عليه بمختلف الردود

كما في قول القاضى أبو بكر بن أحمد بن خليل

" شبيحت جمها صدر امه أحمد . . . وذوى المصائر بالحمير الموكفة
وزعمت ان قد شبهوا معبودهم . . . وتخوفوا فتستروا بالبلغة
وجب الخسار عليك فانظر منصفاً . . . فى آية الاعراف فهم المصفاة
اترى الكليم اتى بجهل ما اتى . . . وأتى شهوةك ما أتوا عن معرفة (١)
وقول السيد البلدى :

هل نحن من أهل الهوى أو انتم . . . ومن الذى منا حمير موكفة
اعكس تصب فالوصف فيكم ظاهر . . . كالشمس فارجح عن مقال الزخرففة
يكفيك فى ردى عليك بأندنا . . . نحتج بالآيات لا بالسفسفة
ويبقى رؤيته فانت حرمتها . . . ان لم تنقل بكلام أهل المصرفة
فدراه فى الاخرى بلا كيفية . . . وكذاك من غير ارتسام للمصرفة (٢)
وغيرهما من اقوال العلماء فى الرد على هذه الفرية .

(١) جلاء العينين ص : ١٣٠ - ١٣١

(٢) شرح جوهرة التوحيد ص ١١٥ للهاجورى

الفصل الثاني
مممم

((آراء الفرق في اماكن وقوع رومية الله تعالى))

وعلى ضوء ما قدمنا ذكره من الادلة من كتاب الله تعالى ومن أقوال نبيهم
صلى الله عليه وسلم يظهر ان المخالف في الرومية هم :
المعتزلة (١) : وقد بينا رأيهم في كل آية أو حديث مما سبق ذكره من الادلة
على وقوع رومية الله تعالى وان موقفهم كان الرد الصحيح لمذلول الخصوم والخروج
بها الى معان أخرى بعيدة بتأويلاتهم الفاسدة وآرائهم القاصرة واكثر من تقرير
نفي الرومية في كتبه من المعتزلة هو القاضي عبد الجبار الذي يحاول دائما اقناع
من يقرأ كتبه بأن الرومية مستحيلة ويجب اليأس من ذلك مكررا هذا في كل مناسبة
سواء كان ذلك في كتابه شرح الاصول الخمسة أو في كتابه المكنى في أبواب
التوحيد والعدل حيث ركب كل صاحب ذلول في سبيل دفع القول برومية الله
وجوازها عليه سبحانه .

وقد رأينا جوانب كثيرة من شبههم التي تمسكوا بها لابطال القول برومية الله

(١) المعتزلة على القول الصحيح فيهم هم الذين اعتزلوا الحسن البصري بزعمهم
واصل بن مالك وذلك حينما سئل سائل الحسن البصري عن حكم مرتكب الكبير مرة
والتي صارت تسمى فيما بعد بالمنزلة بين المنزلتين وهي من المسائل المشهورة
في مذهب المعتزلة .

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٤٦/١ .

وانظر: تاريخ المذاهب الاسلامية ١٣٨/١ - ١٣٩ .

وهي في الواقع شبهات باطلة وحجج داحضة وأقوال منكشفة قد بنوها على التأويلات البعيدة مستنديين فيها على الرأي دون دليل صريح وقد اشبعنا الكاذم في الرد عليهم واثبتنا الحق الذي ينهش للمسلم ان يعتقده ويدين الله به ونضيف الى ما تقدم من انكار المعتزلة للرومية اوافف قد سلكوا هذا المسلك أيضا فنفرو الرومية وقالوا باستحالتها وهو لا هم

٢- الجهمية (١) : وقد نفت روية الله تعالى مدلتا كنفهم لكثير من المنفسات وهذا ما يقرره عنهم شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض أمثلته لخطأ من يرد المحكم بالمتشابه حيث قال :

" المثال السادس: رد الجهمية النصوص المحكمة التي قد بلغت في صراحتها ما وصحتها الى أعلى الدرجات في روية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في عرس القيامة وفي الجنة بالمتشابه من قوله (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) وقوله لموسى (لن تراني) وقوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) ونحوها ثم احوالوا المحكم متشابها وردوا الجميع " (٢)

(١) الجهمية : نسبة الى الجهم بن صفوان الترمذي وكانت له آراء ضالة ظهر عنها بدعته بترمز بمرو قتله سلم بن احوز النازني في آخر ملك بني أمية وهو من الجبرية الخالصة .

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٨٦ .

وانظر: المقالات ١ / ٣٣٨ .

(٢) أعلام الموقمين ٢ / ٢٩٥ .

وبما أن حججهم لا تخرج عن حجج المعتزلة فقد كان الرد السابق على المعتزلة
يصلح للرد عليهم .

٣... الرافضة (١)

وهذه الفرقة الضالة تنكر وقوع رومية الله تعالى كما تنكرها المعتزلة وفيهم من
أهل البدع .

وفيهم وفي من سار على طريقتهم يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رده
عليهم :

" وأما قوله وأنه تعالى غير مرئي ولا مدرك بشئ من الحواس لقوله تعالى
(لا تدركه الابصار) لأنه ليس في جهة فيقال أولا النزاع في هذه المسألة بين
طوائف الامامية كالنزع فيها بين غير الامامية فالجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة
من غير الامامية تنكرها والامامية لهم فيها قولان ، فجمهورهم يثبتون الرومية
وجمهور متأخريهم ينفونها (٢) ويقول الامام ابن القيم :

" وانكرها أهل البدع المارقون والجهمية المتبهكون والفرعونية المحطلون والباطنية
الذين هم من جميع الاديان منسلخون والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان
متمسكون (٣)

(١) الرافضة هم : هم من فرقة الشيعة (وانما سموا رافضة لرفضهم امامة ابي بكر)

ورفضهم من قبلهم لرفضهم امامة علي بن ابي طالب

وعمر أو يسمون الامامية " لقولهم بالذي في امامة علي رضي الله عنه " يسعون ويرفضون الامام

سؤال من
وسم

انظر : المقالات للاشعري ٨٩ / ١ ، والطل والدخل للشهرستاني ١٦٢ / ١

(٢) منهاج السنة ١ / ٢٨٨

(٣) حادي الأرواح من : ١٩٦

ويقول ابن ابي الصز : " المخالف في الرومية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج

والامامية " (١)

ولما كانت حجج هؤلاء لم تخرج من حجج المعتزلة كان الرد عليهم جميعا واحدا .

٤- الخوارج (٢) :

والخوارج تنكر الرومية وتقول باستحالتها على الله وقد قدمنا من النصوص ما يثبت

انكارهم لها .

٢- واذا كان من قدمنا ذكرهم ينفون الرومية عن الله تعالى مطلقا فانه لا يفوت

التنبيه الى أن هناك في مقابلتهم من يثبت الرومية ثبوتا يصل بها الى الحد

المذموم والتشبيه الصريح .

وقد اشار العلامة ابن القيم الى فريق أهل البدع هؤلاء فقسّمهم الى قسمين :

احدهما : من يزعم انه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر .

والثاني : من يزعم انه لا يرى في الاخرة البتة ولا يكلم هاده " (٣)

(١) شرح الطحاوية ص: ٢٠٤ .

(٢) الخوارج على الصحيح من الاقوال هم الذين خرجوا على الامام علي بن ابي طالب

رضي الله عنه بقيادة زعيمهم عبد الله بن وهب الراسبي وحاربه في النهديين

انظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الاسلام منهم ص: ٦ - ٨ .

(٣) حادي الأرواح ص: ٢٤١ .

قال ابن القيم: " وما اشهر الله به رسوله واجمع عليه الصحابة والائمة يكذب
الفريقين " (١)

ومن الذين اشرفنا اليهم انهم قد فلقوا في اثبات الرومية الى الحد المذموم فرقتهم
تسمى السالمية تنسب الى فيما يذكر الجبال الى رجل يسمى ابن سالم شذت هذه
الفرقة فقالت: " ان الله سبحانه يرى يوم القيامة في صورة آدمى محمدى وانسبه
عز وجل يتجلى لسائر الخلق يوم القيامة من الحي والانس والملائكة والحيوان اجسادهم
لكل واحد في معناه " (٢) تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

ولا شك في انهم بقولهم هذا قد استوجبوا نعمة جميع الفرق عليهم فلا هم نفوسهم
كغيرهم من الفرق المبتدعة ، ولا هم اثبتوها على الوجه الصحيح كاثبات أهل
الحق لها بل ذهبوا في اثباتها الى ما لم يثبتوا اليه من الكذب على الله
ورسوله والقول بخير علم .

٣- اما المذهب الحق من تلك المذاهب وهو القول بوقوع رومية الله تعالى في
عصاة القيامة وفي الجنة الذي اعتمد على الكتاب والسنة والحقل الصحيح فهو ما
عنه أهل في أقوالهم الآتية :

(١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

" وقد دخل ايضا فيما ذكرناه من الايمان به وكتبه ورسله : الايمان بأن المؤمنين

(١) حادى الارواح : ص : ٢٤١ .

(٢) الضية ١ / ٩٤ .

يرونه يوم القيامة عيانا بأبصارهم كما يرون الشمس صحو ليس دونها سحب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يظلمون في رؤيته سبحانه سبحانه يرونه سبحانه وهم في عرشات القيامة ثم يرونه بعد دخولهم الجنة كما يشاء سبحانه وتعالى " (١)

وذكر رحمه الله ... نقولا كثيرة من مذهب السلف في اثبات رومية الله تعالى في اجزاء متفرقة من مجموع الفتاوى (٢)

ويقول ابن القيم عن اثبات السلف للرومية :

" واما التابعون ونزل الاسلام وعصاية الايمان من ائمة الحديث والفقهاء والتفسيه ... وير واائمة التصوف فأقوالهم اكثر من ان يحيط بها الا الله عز وجل "

ثم نقل بعضا من اقوالهم عن سعيد بن المسيب والحسن البصري وعبد الرحمن ابن ابي ليلى وعامر بن سعد البجلي وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقاتبة والسدي والضحاك وكعب ، وكذا عمر بن عبد العزيز والاعشى وسعيد بن جبيرة وكعب الاحبار وهشام بن حسان وطاووس ، رابي اسحاق السبيعي وعبد الله بن ابن المبارك وشريك بن عبد الله (٣) وغيرهم من العلماء ونقل كذلك عن الاثمة الاربعة وبنائهم وشيوخهم واتباعهم ما يدل على اثباتهم للرومية كمالك بن أنس وعبد العزيز بن ابي سلمة الماجشون ، والاوزاعي والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، وجابر بن عبد الحميد ووكيع بن الجراح وقتيبة بن سعيد وابو عبيد القاسم ابن سلام وأسود بن سالم شيخ الامام أحمد .

(١) الفتاوى ٣ / ٤٤٤ .

(٢) انظر: ٦ / ٥٠٠ - ٥٠٢ .

(٣) انظر: حادي الارواح من: ٢٢٤ .

والامام محمد بن ادريس الشافعي وامام السنة احمد بن حنبل (١) وسرد أقوال هؤلاء العلماء وهي تصور كثيرة يدلون استقصاء ذكرها .

وقال " اتفق عليها الانبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وائمة الاسلام على تتابع القرون " ثم نقل عن امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة " ان المؤمنين لم يختلفوا ان المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ومن انكر ذلك فيؤمن بمؤمن عند المؤمنين " (٢) وذكر انه قد اجمع جميع أهل اللغة على ان اللقاء المذكور في قوله تعالى (تحييتهم يوم يلقونه سلام) لا يكون الا معاينة ونظيره را بالابصار . . . واللقاء ثابت بن القرآن وبالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل أحاديث اللقاء صحيحة (٣)

ويقول ابن ابي العزيمد أن ذكر خلاف الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والامامية (وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة وقد قال بثبوت الرجمية الصحابة والتابعون وائمة الاسلام المصنفون بالامامة في الدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون الى السنة والجماعة) (٤)

ويقول الأشعري في نقله لمذهب اصحاب الحديث وأهل السنة " ويقولون ان الله سبحانه يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه

(١) (٢) حادي الارواح ص ٢٣٥ / ٢٤٠ .

(٣) المصدر السابق ص : ١٩٦ .

(٤) شرح الطحاوية ص : ٢٠٤ .

ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون قال الله عز وجل (كلا انهم عاكفون
رهبهم يومئذ لمحجوبون) (١) المحققين : ١٥٠

ومعلوم ان قوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر
ليس دونه مانع .

بل كفر هؤلاء وهم علماء السلف كل من اعتقد نفى رومية الله تعالى في الآخرة
فقال شيخ الاسلام في الحكم عليهم :

" والذي عليه جمهور السلف ان من جحد رومية الله في الدار الآخرة فهو كافر
فان كان ممن لم يبطله العلم في ذلك عرف ذلك كما يحرف من لم تبطله شرايح
الاسلام فان اصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر) (٢)

وفي مقابل قول أهل السنة بتكفير من ينفي الرومية نجد أن القاضي عبد الجبار
... كما هو مذهب المعتزلة ... يكفر من يثبت الرومية بدعوى انه اثبات لكيفية تستلزم
التجسيم الا انه لم يكفر من ذهب الى اثباتها بلا كيف كما في قوله الأشعري :
" اعلم ان من خالفنا في هذه المسألة لا يخلو حاله من أحد أمرين :

اما ان يحقق الرومية فيقول ان الله تعالى يرى مقابلا لنا او حالا في المقابل أو في
حكم المقابل ، أو لا يحقق فيقول انه تعالى يرى بلا كيف فمن ذهب الى المذهب
الاول فانه يكون كافرا لانه جاهل بالله تعالى والجهل بالله كفر والدليل على
ذلك اجماع الامة ، واجماع الامة حجة .

(١) المقالات ١ / ٣٤٦

(٢) الفتاوى ٦ / ٤٨٦

ومن قال انه تعالى يرى بلا كيف فلا يكفر لان التكفير انما يعرف شرعا ولا دلالة
من جهة الشرع يدل على ذلك " (١)

وهذا التفصيل فيه مخالطات كثيرة ذلك أن من اثبت الرومية من السلف لا يقتول
بأن الله تعالى جسم يرى في جهة تحويه وتحيط به وانما يثبت أهل السنة
الرومية بلا تكيف ، وهم يعلمون أنه لا تعقل رومية بلا مقابلة ، لكن حقيقة ذلك
علمه عند الله تعالى •

والقول بأن الله يرى في جهة مقابلا للرأى على صفة من الصفات التي تستلزم

التشبيه برومية المخلوقات ليس قوله صوابا وانما السلف يشبهون بوضوح الرومية
اليه تعالى بوضوح الرومية الى الشمس والقمر ليس دونها مانع •

وأما قوله عند اعتقاد أهل القول الحق في ان رومية الله من أعظم الثواب فلا شك

في هذا وقد اطبق علماء السلف على تفسير قول الله تعالى (للذين احسنوا

الحسنى وزيادة) على ان تلك الزيادة هي النظر الى ^{عالمه} ~~جلاله~~ العظيم كما تقدم

وليس في هذا ما يدل على ان الله يجوز ان يكون مشتبه معشوقا كما يذكر

القاضي - وليس من لوازم لذة النظر الى جلاله تعالى ان يكون يشبههم اليه نظر

شهوة وعشق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فليس كل نظر يستلزم الشهوة والعشق

ومثال هذا معروف بين البشر فان الرجل حين ينظر الى والده أو امه بحبه وشوق

لا يفهم منه انه ينظر اليهما بنظر شهوة وعشق ، والله المثل الأعلى •

ولا يخفى لذي فهم وذوق ان هذا الكلام الذي صدر عن القاضي بلغ من ضحالة

الفكر بحيث يغيبنا عن الرد عليه •

الفصل الثالث

متمم

((الخلاف في رومية غير المومنين لربهم))

هذه المسألة مما اشتهد فيه الخلاف بين العلماء من أهل السنة بل وصل ذلك إلى الخلاف إلى قريب المقاتلة كما نتبين ذلك من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته إلى أهل البحرين حيث قال لهم في تلك الرسالة •

" والذي اوجب هذا ان وفدكم حدثونا بأشياء من الفرقة والاختلاف بينكم حتى ذكروا ان الامر آل إلى قريب المقاتلة وذكروا ان سبب ذلك الاختلاف في رومية الكفار ربهم (١)

والواقع ان دفعهم الامر إلى هذا الحد مما لا ينبغي وذلك أن هذه المسألة لا تستحق ان تصل إلى تلك الدرجة ولا إلى درجة التهاجر والتفافس لأن الخلاف فيها مما لا خطورة وراهه اذ هي من المسائل المسكوت عنها التي لا يصل اثباتها أو انكارها إلى حد التكفير ولهذا قال لهم شيخ الاسلام في اجابته :

" وما كنا نظن ان الأمر يبلغ بهذه المسألة إلى هذا الحد فالامر في ذلك حقيقياً (٢) لان هذه المسألة كانت من المسائل المسكوت عنها بين السلف الاوائل ، وانما حصل الخلاف فيها بعدهم بزمان طويل وقد حدده شيخ الاسلام بما يتأري ثلاثمائة سنة بعد الهجرة فقال :

" فأما مسألة رومية الكفار ربهم فأول ما انتشر الكلام فيها وتنازع الناس فيها فيما بلغنا بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة وامسك عن الكلام في هذا قوم من العلماء وتكلم فيها آخرون • " (٣)

(١) - (٢) الفتاوى ٤٨٥ / ٦ •

(٣) (٣) الفتاوى ٤٨٦ / ٦ •

وحاصل الخلاف في ذلك يرجع الى ثلاثة أقوال وهي كما ذكرها شيخ الاسلام

" احدهما : ان الكفار لا يرون رسهم بحال لا المظاهر للكفر ولا السر له

وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدل عموم كلام المتقدمين وعليه جمهور

اصحاب الامام أحمد وغيرهم "

الثاني : انه يراه من أشهر التوحيد من مومني هذه الامة ومناقبها وفيه مرات

من أهل الكتاب وذلك في عرصة القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بحسب

ذلك •

وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة وقد ذكر القاضي ابو يعلى

نحوه في حديث اتبانه سبحانه وتعالى لهم في الموقف الحديث المشهور •

الثالث : ان الكفار يرونه رؤية تحريف وتعذيب كاللص اذا رأى السلطان فلهذا

يحتجب عنهم ليحفظ عذابهم ويشند عقابهم • وهذا قول ابي الحسن بن مسلم

وأصحابه وقول غيرهم • وهم في الاصول منتسبون الى الامام أحمد بن حنبل

وابن سهل بن عبد الله التستري " (١)

وقد ذكر العلامة ابن القيم تلك الاقوال الثلاثة ثم رجح التول بأن الكفار

والمنافقين يرون رسهم في عرصات القيامة بقوله : " فقد دلت الأحاديث الصحيحة

الصريحة على ان المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة بل والكفار أيضا كما في

الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة " (٢) وقد تقدم ذكره في الاستدلال من

السطحة •

(١) الفتاوى ٤٨٨ / ٦ •

(٢) حادي الأرواح ص : ١٦٨ •

وأما النووي رحمه الله فإنه ذهب إلى أن المنافقين لا يرون ربهم وقد قال عند شرحه لحديث أبي سعيد في قوله تعالى الله عليه وسلم ولا يبقى من كان يستبد لله تعالى من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يستبد بتلقاؤه ورباء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة "

قال: " أعلم أن هذا الحديث قد يتوهم منه أن المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين وقد ذهب إلى ذلك طائفة حكاه ابن فورك لقوله تعالى الله عليه وسلم (وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتهم الله تعالى) وهذا الذي قالوه باطل بل لا يراه المنافقون بإجماع من يعتمد به من علماء المسلمين وليس من في هذا الحديث تصريح برويتهم لله تعالى وإنما فيه أن الجمع الذي فيهم المرءون والمنافقون يرون الصورة ثم بعد ذلك يرون الله تعالى وهذا لا يقتضي أن يراه جميعهم وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على أن المناشئ لا يراه سبحانه وتعالى " (١)

وقد تقدم رأي من يقول من علماء المسلمين بروية المنافقين لربهم *

أما بالنسبة للدلالة على الأقوال المتقدمة فهي :

(١) أما بالنسبة للقول الأول وهو روية جميع البشر له سبحانه فقد استدل الخائفون به بما تنيده ظواهر الأحاديث حيث أنها جاءت عامة فلم تفرق بين نحر المؤمن ولا الكافر بل ورد الكلام على عمومهم كما تقدم في أحاديث الصحيحين (أنكم تسمعون ربكم) *

وكتوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابو رزين العنقلى . وهو حديث طويل (١) وفيه فتخرجون من الاموى (٢) ومن مزارعكم فتندثرون اليه وينظر اليكم قال : قلت يا رسول الله كيف وهو شخص واحد ونحن مثل الارض ننظرون اليه وينظر الينا قال أبتك بمثل ذلك في الاء الله الشمس والقمر آية من آياته مخيرة ترونها في ساعة واحدة ويريانكم ولا تمانون في رؤيتهما ولعمر البك ليهو على ان يراكم وترونه اقدر منهما على ان يرياكم وترونها (٣) الحديث .
(٤) فقله " تندثرون اليه وينظر اليكم " عموم لجميع الخلق كما دل عليه سياقه " ومن ادلتهم كذلك مارواه ابن مسعود رضى الله عنهم انه قال : (والله ما منكم من أحد الا سيخلو الله به كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر أو قال ليلة ليلة) يقول : ابن آدم ما فرك بي ، ابن آدم ما عملت فيما علمت ؟ ابن آدم ماذا أجهت المرسلين) (٥) هذه بعض حجج من يعمم القول بالرؤية لجميع البشر لعصوم النبي .

(١) قال ابن تيمية فى الفتاوى ٤٦٧/٦ " وقد رواه جماعة من العلماء وثقة . رواه أكثر المحدثين بالقبول .

(٢) الاموا : هى القبور واسماها من الموى الاعلام فشبه القبور بها .

(٣) أخرجه أبو داود ٥٢٥/٢ وأخرج ابن خزيمة طريقا منه من : ١٧٨ - ١٧٦ . فى كتابه " التوحيد " .

(٤) الفتاوى ٤٦٨/٦ .

(٥) رواه ابن خزيمة من : ١٧١ قال الهراس " هذا حديث موقوف على ابن مسعود وهو فى حكم المرفوع لأن مثله لا يقال بالرأى " .

آءاما الذين قصروا حصول الرومية على أهل التوحيد من المؤمنين ومن اتصفوا
بذلك فى الظاهر من المنافقين فقد استدلوا كما ذكر شيخ الاسلام فى الفتاوى
(١) بما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وحديث أبى سعيد الدابى أن
حصول الرومية لهم فى الموقف وقال شيخ الاسلام بعد أن ذكر استدلال أهل
هذا القول بهذين الحدِيثين أن " هو إلا الذين يثبتون رومته لكافر ومنافق
أما يثبتونها مرة واحدة أو مرتين للمنافق " رومية تصريف ثم يحتجب عنهم بعد ذلك
ذلك فى العروة " (٢)

ولعل الرومية الثانية هى حينما يتجلى الله للمؤمنين فى سجود ربهى المنافقون
لا يستأيعون السجود كما أفاده لفظ الحديث المروى عن أبى سعيد الخدرى
الثابت فى الصحيحين وفيه " فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون
نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أن الله
له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد بقاء رياء إلا جعل الله ظهره طيبة
وأحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه " الحديث .

آءاما الذين نفوا الرومية مطلقا فانهم استندوا الى قول الله تعالى (كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

واستدلوا بمفهوم الآية من حجب الله الكفار على وقوعها للمؤمنين خاصة إذ الله

(١) مجموع الفتاوى ٤٦٨ / ٦ .

(٢) الفتاوى ٤٦٨ / ٦ .

لو لم يروى المؤمنون ربهم بل احتجب عنهم لما كان لهم على الكفار منية بالنسبة
للنظر الى الله تعالى ، أو ولو كان الكفار يرون ربهم لما كانت للمؤمنين منية
عليهم بالنسبة للنظر اليه سبحانه وتعالى .

وقد نقل شيخ الاسلام كثيرا من أقوال الذين ذهبوا الى هذا القول ومن ذلك قوله :
" روى ابن بطلة باسناده عن أشهب قال : قال رجل لمالك يا ابا عبد الله هل
يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة فقال مالك لو لم يروى المؤمنون ربهم يوم القيامة
لم يعير الله الكفار بالحجاب) (١)

وقد تقدم قول الشافعي في هذه الآية الكريمة .

وعن حنبل بن اسحاق قال : سمعت ابا عبد الله - يعني احمد بن حنبل - يقول :
" ادركت الناس وما ينكرون من هذه الاحاديث شيئا - احاديث الرزية - وكانوا
يحدثون بها على الجملة يمرودها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين

قال ابو عبد الله : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يكون حجاب الالرومية
فاخير الله ان من شاء الله ومن اراد فانه يراه والكفار لا يرونه وتقال : قال الله
(وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة) (٢)

" وقال الشافعي ابو يعلى وغيره : كانت الامة في رومية الله بالابصار على قولهم من
منهم المعيل للرومية عليه وهم المعتزلة والخيارية وغيرهم من الموافقين لهم على ذلك

(١) نقله عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤٦٦ / ٦

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ٤٦٦ / ٦

والفريق الآخر أهل الحن والسلف من هذه الأمة متفقون على أن المؤمنين يسمون
الله في المعاد وأن الكافرين لا يرونه .

فثبت بهذا إجماع الأمة ممن يقول بجواز الرومية ومن ينكرها ... على منح رومية
الكافرين لله وكل قول حاد يشهد الإجماع فهو باطل مردود (١)

"وقال وهو غيره أيضا الأخبار الواردة في رومية المؤمنين لله إنما هي على طريق
البشارة غلو مشاركتهم الكفار في ذلك بطلت البشارة ولا خلاف بين القائلين بالرومية
في أن روميتهم من أعظم كرامات أهل الجنة " (٢)

ويرى شيخ الإسلام بالنسبة لتأنيده اطلاق القول بأن الكفار يرون ربهم أم لا ؟ إلى
أنه لا ينبغي لأحد أن يطلق القول بأن الكفار يرون ربهم من غير تثبيد لوجه يدين :
أحدهما : أن الرومية المألوفة قد صار يشتم منها الكرامة والثواب ، فبني ادلائق
ذلك ايهاً وايهاش وليس لأحد أن يطلق لفظاً يرومهم بخلاف الحق إلا أن يكون
مأثوراً عن السلف وهذا اللفظ ليس مأثوراً .

الثاني : أن الحكم إذا كان عاماً في تخصيص بعضهم باللفظ خروج عن القبول
الجميل فإنه يمنع من التخصيص فإن الله خالق كل شيء^٥ ومريد لكل حادث ومنع
هذا يمنع الإنسان أن يخص ما يستنذر من المخلوقات وما يستتبعه الشرع مسجون
الحوادث بأن يقول على الأنثى يا خالني الكلاب، وبامرئ الزنا ونحو ذلك بخلاف
ما لو قال يا خالني كل شيء^٥ ربه من كل شيء^٥ يجرى بمشيئته فكذلك هي هنا لارتجال

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٥٠١ / ٦ .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

ما من أحد الا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان ، أو قسما
ان الناس كلهم يحشرون الى الله فينظر اليهم وينظرون اليه كان هذا اللفظ
مخالفا في الايهام للفظ الاول " (١)

• • • ***** • • •

((بيان الخلاف بين المثبتين للرومية والنافين لها وهل هو خلاف))

حقيقى أم هو خلاف لفظى

فى عرض ما تقدم من أقوال المثبتين لرومية الله تعالى والمانعين منها يتضح ان كلا الفريقين كان يهدف الى المعتقد السليم فى حق الله تعالى حسب اجتهاده وشهده للنصوص فالنفاة انما طلبوا تنزيه الله تعالى حين ردوا القول باثبات الرومية لثلا يكون مماثلا للمخلوقات لأن مقتضى الرومية كما فهموا يستلزم المثابرة وكونه فى حيز من الرأى أو تستلزم كذلك اتصال شعاع العين بالمرئى أو انطباع صورة المرئى فى حدقة الرأى وما الى ذلك من ادلتهم الخالية وانضافة الى ذلك ما فهموه كذلك من الادلة السميكية قوله تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير)

٢- وقوله تعالى لموسى (لن ترانى)

٣- وقوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) .

الى غير ذلك من احتجاجهم على نفي رومية الله تعالى ومن حيث الحكم عليهم فان مثل هؤلاء المؤولين لا يحكم عليهم بالكفر والخروج عن الاسلام ويحمل ماورد من تكفير السلف لمن قال بكفرهم على من بين له الحق من تلسنك النصوص ثم ردها استكبارا واستهتارا بالحق كما ذهب اليه بعضهم كما بيده فيما يأتي .

واذا نظرنا الى الجانب المناهض وهم القائلون باثبات الرومية : فانهم لم يريدوا من

اثباتهم لرومية الله تعالى ما ذكره الفك من النقائق التي تلحق القائل
بإثباتها من مشابهة رومية الحوادث وما يستلزم ذلك مما ينتزه الله عنه
ويحتمل من ذلك كله ان الخلاف بين الفريقين لم يكن في أمر واحد
فان الرومية التي نفاها المانعون هي الرومية التي تلزمها المقابلة وانطباع
الصورة في الحدقة والاحاطة بجوانب المرئى

وأما التي اثبتها المجوزون للرومية فهي التي لا تستلزم شيئاً مما ذكر
هذا ما قرره الاستاذ / أبو دقيقة رحمه الله وقد خلد من ذلك الى التسؤل
ان الخلاف بين الفريقين يعد خلافاً لفظياً فقد قال بعد ما ذكره سابقاً (وحيث
يكون الخلاف لفظياً) (١)

ثم نقل عن الاستاذ / محمد عبده بعد ان اشار الى الخلاف بين الفريقين قوله
" فلما من ذلك ان ليس النزاع بينهم حقيقياً ، فان المثبت نفس جميع لوازم
الرومية ما عدا الانكشاف والنافى للرومية انما ينشئ لوازم هذه الرومية المألوفة"
قال : " وكذلك حقق شيخنا الاستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت في كتابه التسؤل
المفيد في علم التوحيد ان الخلاف بين المانعين والمجوزين للرومية لفظي وان
لا خلاف بين الفريقين الا في تسمية ما يخلقه الله تعالى في الجنة للمؤمنين من
الانكشاف التام فالمانعون يسمونه علماً ضرورياً والمجوزون يسمونه ايماراً أو رومية"
(٢)

(١) كتاب التوحيد ص: ١٦٤

(٢) - (٢) المصدر السابق ص: ١٦٥

هو محمود البردوني ولنا في التوحيد مطبوع
كلية فنية ١٤٥٦ وهو مطبوع
المطبعة طابعت

وقد خالف الشيخ عبد الحكيم ما تقدم وقال ان الخلاف بين الفريقين محسوس
فقال ما معناه ان نقطة النزاع هي انه هل يحصل الانكشاف التام البصرى
بدون الشروط المذكورة (١) فالماضون للرومية قالوا لا يحصل *
قالوا يحصل فالنزاع اذا معنوى (٢) " . **

قال أبو دقينة : " وعلى تسليم ما قاله عبد الحكيم فالحن مع مشتى الرومية
لان اللوازم من المقابلة والانطباع والاحاطة بالمرئى لم تلزم الرومية لذاتها بسبب
لكون المرئى جسما ومع ذلك فقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم من كان خلفه
فى الصلاة وروى السماء من غير احاطة بجوانبها والله يرانا بدون مقابله فيعلم
من هذا ان الشروط واللوازم المبروفة عادية فيجوز تخلفها " (٣)

(١) وقد ذكرهما الاستاذ أبو دقينة وهى ثمانية شروط. ص: ١٨٨ .

(*) أى الا بتلك الشروط .

(**) أى من دون تلك الشروط .

(٢) المصدر السابق ص: ١٦٥ .

(٣) كتاب التوحيد ص: ١٦٦ .

الفصل الرابع
مممم

((هل تستلزم رومية الله تعالى الجهة أم لا))

بعد أن أوردنا النصوص التي تدل على أن الله تعالى يرى في الآخرة فانفسنا
سنتهم الكلام في محبة الرومية بمسألة هامة وهي هل تلك الرومية التي اثبتتها
السلف كما جاء بها القرآن والسنة تستلزم كون الله تعالى يرى في جهة أم
ليس ذلك من مستلزماتها •

والواقع ان هذه المسألة هي محل الخصومة والجدال بين المثبتين للرومية على
اختلافهم •

ويمكن أن يرجح حاصل الخلاف في ذلك الى الأقوال الآتية :

١- ان الله تعالى يرى في جهة من الرائي •

٢- ان الله تعالى يرى ولكن لا يبيح اطلاق الجهة عليه •

٣- ان الله تعالى لا يرى لا في جهة ولا في غيرهما نفيًا مطلقًا وقد سبق بيان هذا
الرأي وابطاله فيبقى مجال الخلاف منحصرًا في الأمرين الأولين لأهل اثبتات
الرومية وهو جواز القول باطلاق الجهة على الله أو عدم جواز ذلك وتبين فيما يلي
هذين المذهبين من بيان القول الحق من ذلك •

١- أما المذهب الأول : وهو جواز اطلاق القول بأن الله تعالى في جهة

هي الصلو ، فهو ما صرح به القرآن الكريم والسنة النبوية وثبت كذلك بالفطرة
المستقيمة والعقل السليم •

أما ثبوته في كتاب الله تعالى فقد ورد في آيات كثيرة ومن ذلك :

قوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (١)

وقوله تعالى (تخرج الملائكة والروح اليه) (٢)

(أنتم من في السماء) (٣)

(يخافون ربهم من فوقهم) (٤)

الى غير ذلك من الايات الكثيرة التي تدل على ان الله تعالى في جهة من

العلو وانه محيط بكل شيء ولا يحويه شيء تبارك وتعالى .

وأما في السنة النبوية فقد ورد التبريح ايضا بذلك في أحاديث كثيرة ومن ذلك

ما أخرجه الامام مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي جاء النبي

الرسول صلى الله عليه وسلم مبديا أسفه على ما صنع بجاريتته التي كانت ترمي

غنمه حيث لطمها لأن الذئب قد ذهب بشاة من الغنم فتأسف لذلك فقال :

" فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليّ قلت يا رسول الله

اغلا أعتقها ؟ قال : (ائتنى بها) فأنتهت بها فقال لها (ابن الله) قالت :

في السماء قال من أنا قالت انت رسول الله قال (اعتقها فانها مومنة) (٥)

فهذا الحديث دليل قوي في غاية الوضوح لمن قال ان الله تعالى في جهة

العلو وفي جواز الاشارة اليه سبحانه وتعالى (بآين) وقد ثبت في قصة الاسراء

والمصراع ان الرسول صلى الله عليه وسلم حينما فرض الله عليه الصلاة خمسين

(١) سورة فاطر : آية : ١٠

(٢) سورة الماعج : آية : ٤

(٣) سورة الملك : آية : ١٦

(٤) سورة النحل : آية : ٥٠

(٥) صحيح مسلم ٣٨٢/١ " كتاب المساجد "

كان يتردد عليه الصلاة والسلام بين موسى عليه السلام وبين ربه لأجل
تخفيف الصلاة •

وإذا كان ذلك ثابتاً بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكفى
بذلك فإن قبول اعتقاده هو أيضاً ما توحى به الفطرة المستقيمة كما ذكرنا سابقاً
فما من إنسان يدعو ربه إلا ويجد ضرورة التوجه إلى جهة العلو لا ينكسر رأسه
في دعائه ولا يلتفت يمينا ولا يسارا وفي هذا يقول ابن أبي العز رحمة الله عليه
" وأما ثبوته بالفطرة فإن الخلق جميعاً بطابعهم وتلوينهم السليمة يرفسون
أيديهم عند الدعاء ويقعدون جهة العلو بتلوينهم عند التصريح إلى الله تعالى
وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ
أبي المصالي الجويني المعروف بإمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو
ويقول كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا
يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في تلويحنا ؟ فإنه ما قال عارفاً قسماً
يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف تدفن
بهذه الضرورة عن أنفسنا ؟ قال فدلتهم أبو المصالي على رأسه ونزل وأظلمت
قال وبكى وقال حيرني الهمداني حيرني أراد الشيخ أن هذا أمر فطر الله
عليه عباده من غير أن يتلقوه من المرسلين يجدون في تلويحهم طلباً ضرورياً
يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو " (١)

وأما ثبوته بالعقل فإضافة الى ما تقدم من ذكر الادلة فان العقل يثبت ذلك أيضا من وجوه :-

أحدها : العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين اما ان يكون احدهما ساريا في الآخر قائما به كالصفات واما ان يكون قائما بنفسه باثنا من الآخر.

الثاني : انه لما خلق العالم فأما ان يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته والاول باطل ، اما اولا بالاتفاق ، واما ثانيا فلأنه يلزم ان يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

والثاني : يقتضى كون العلم واقعا خارج ذاته فيكون منفصلا فتعبدت المباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير محقول .

الثالث : ان كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه : يقتضى نفى وجوده بالكلية لانه غير محقول فيكون موجودا اما داخله واما خارجه والأول باطل فتعين الثاني فلزمت المباينة " (١)

وإذا لم يكن بد من اثبات جهة الفوقية لله تعالى فلا شك ان اثبات الرومية يقتضى ان يكون المرئى فى جهة من الرئى بخش النظر عن احاطة الرئى أو عدم احاطته ... ومن المعلوم ان الله لا يحيط به شىء

إذا ان من اثبت الرومية لا بد وان يثبت الجهة والا لحصل التناقض فى رأيه

اذ كيف يثبت شيئا وينفى لازمه .

(١) شرح الطحاوية ص: ٣٢٥ .

ولهذا كان نفاة الرومية والجهة منطقيين مع أنفسهم فقد حذروا ان يقتضوا
في التناقض الذي وقع فيه من يثبت الرومية وينفى الجهة رغم تواتر الاخبار بذلك
ذلك " ان كون الرومية مستلزمة لأن يكون الله بجهة من الرائي امر ثبت بالضرورة
المتواترة " (١) كما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية .

ودليل ذلك حديث ابي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين ، وكذا حديث
ابي سعيد رضي الله عنه (هل تضارون في رؤية الشمس والقمر اذا كانتا محجوبا
قلنا لا قال : فانكم لا تضارون في رؤية ركن يومئذ الا كما تضارون في رؤيتهما) (٢)
فان هذين الحديثين يدلان دلالة صريحة على اثبات رؤية الله تعالى في جهة
من الرائي وهو ما تقتضيه لغة العرب وبيان ذلك في الوجوه الآتية : -

(١- احدهما : أن الرومية في لغتهم لا تعرف الا لرؤية ما يكون بجهة منهم فأما
رؤية ما ليس في الجهة فهذا لم يكونوا يتصورونه " .

الوجه الثاني : انه قال : " فانكم ترون ركن كما ترون الشمس محجوبا وكما ترون

القمر محجوبا) فشيء لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر وليس ذلك تشبيها للمرئى
بالمرئى ، ومن المعلوم انه اذا كانت رؤيته مثل رؤية الشمس والقمر وجب سبب أن
يرى في جهة من الرائي كما أن رؤية الشمس والقمر كذلك فانه لو لم يكن كذلك
لأخبرهم برؤية مطلقة نتأولها على ما يتأول من يتول بالرومية في غير جهته .

(١) بيان تلبس الجهة ٤٠٦/٢ .

(٢) تقدم تخريجيهما .

الوجه الثالث: انه قال " هل تشارون في الشمس ليس دونها سحاب وهمسمل

تشارون في القمر ليس دونه سحاب " (١)

ففيه رومية اظهر المرئيات اذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئى ومن يقول انه يرى في غير جهة يمتنع عنده ان يكون بينه وبين الجهاد حجاب منفصل عنهم . . . الخ .

الوجه الرابع: انه اخبر انهم لا يشارون في روميته وفي حديث آخر " لا يشارون

وفي الضير والخيم لا يكون اما يكون لا مكان لعوقه للرائي ومعلوم انما يسمونه رومية وهو رومية ما ليس بجهة من الرائي لافوقه ولا شىء من جهاته لا يتصور فيها ضير ولا ضيم حتى ينفى ذلك بخلاف رومية ما يواجه الرائي ويكون فوقه فانه قد يلحقه منه ضيم وضير اما بالازدحام عليه أو كلال البصر لخفائه كالليلال واما لجلائه كالشمس والقمر " .

الوجه الخامس: ان يكون الله يرى بجهة من الرائي ثبت باجماع السلف والائمة

وقد ذكر ابن تيمية نصوصا كثيرة في ذلك عن السلف مثل علي بن ابي طالب وعبدالله بن مسعود وابى موسى الاشعري ، ومعاذ بن جبل .

ومن الائمة مالك بن انس ، والاوزاعي والشافعي وعبدالله بن المبارك ، واحمد (٢)

ابن حنبل وذكر ائمة كثيرين غير هؤلاء كلهم على اثبات الرومية وبجهة من الرائي .

وقد كان أعلم الخلق بربه يشير بيده في حجة الوداع قائلا " اللهم اشهد "

(١) وهو نص حديث ابي هريرة كما تقدم تخريجه .

(٢) انظر: تلبيس الجهمية ٢ / ٤١٥ .

فكيف يكون نفاة الجهة عن الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا ما يتعلق بالنسبة للمذهب الاول وهم القائلون باثبات الرومية والجهة لله
تعالى .

✓ أما أهل المذهب الثاني وهم القائلون باثبات الرومية ونفى الجهة عن الله
تعالى فهم الاشاعرة وقد ذهب هؤلاء الى عدم جواز القول بأن الله تعالى
يرى في جهة وان من واجب التنزيه لله تعالى عدم اطلاق هذا اللفظ في حق
الله سبحانه وتعالى ، لأن هذا يشعر بالمكان والتعريف وهو شأن الاجسام
والله منزه عن ذلك .

وقد أكثر البيهقي رحمه الله في كتابه الاعتقاد في نفي ان ينتمى الله تعالى
بالجهة وهو ما قرره الامام فخر الدين الرازي في أكثر من مناسبة في كتبه
وكثير من علماء الاشاعرة وروسائهم يقررون ذلك غير ان ابن تيمية يذكر ان نفي
الفوقية مع اثبات الرومية انما يعرف عن شذمة من الاشعرية لا عن أئمتهم
فهو يقول ما نصه :

" ولا يعرف القول باثبات الرومية مع نفي كون الله تعالى فوق العالم الا عن هذه

الشذمة وهم بعض اتباع الاشعري ومن وافقهم وليس ذلك قول ائمتهم " (١)

فالبيهقي يقرر في شرح حديث (لا تنيامون في رومته ان الله تعالى لا يمشي

في جهة كما يرى المخلوق في جهة " (٢)

وانه " ينتمى عن جهة " (٣)

(١) بيان تلبس الجهمية ٢/٢٦٦ .

(٢) - (٢) الاعتقاد ص: ٨٠ .

وأما الامام الرازي فقد بين السبب في نفي ان يكون الله في السماء بأن اثبات ذلك يقتضي ان الله متحيز في السماء وانها تحيط به فيكون على هذا التماس اصغر من السماء والسماء اصغر من العرش والنتيجة ان الله تعالى يكون شيئاً خفياً بالنسبة الى العرش وهذا في نفي كلامه عند شرحه لقوله تعالى (أأمنتم من في السماء) قال :

" وأعلم ان المشبهة احتجوا على اثبات المكان لله تعالى بقوله (أأمنتم من في السماء) والجواب عنه ان هذه الآية الكريمة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها بل بتأويلها باتفاق المسلمين ، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب فيكون اصغر من السماء والسماء اصغر من العرش بكثير فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً خفياً بالنسبة الى العرش " (١)

والواقع أن تقرير الرازي لمعنى الآية واستنتاجه من ذلك ان الآية لو اجريت على ظاهرها للزم أن تكون السماء محيطة بالله عز وجل ظرفاً له من جميع الجوانب وأنه يلزم آخر الأمر أن يكون الله شيئاً خفياً واقعاً ان الامر ليس كذلك ولم يقل أحد ممن يحتد بقوله ورأيه ان اثبات كون الله في السماء من جهة الماوية يقتضي ان يكون اصغر من السماء تعالى وتقدم من ذلك فان كان هو الـ المشبهة الذين ذكروهم هم القائلون بأن الله في حيز شيئاً من السماء وهو متحيز تحيط به من كل الجوانب فلا شك ان الله منزّه عن ذلك .

(١) انظر: التفسير الكبير ٦٠ / ٧٠ - ٧١ .

وان أراد بالمشبهة الذين يثبتون لله جهة العلوفاته يكون قد خالف الحقيقة
اذ لم يقل احد من أهل السنة ان السماء تحيط بالله تعالى من كل الجوانب
وأنة يكون امض من السماء .

" ولو سئل سائر الصليين : هل يفهمون من قول الله ورسوله ان الله في
السماء ان السماء تحويه لبادر كل واحد منهم الى ان يقول هذا شيء لعله لم
يخطر ببالنا واذ كان الأمر هكذا فمن التكلف ان يجعل ظاهر اللفظ شيئاً معالاً
لا يفهمه الناس منه ثم يريد ان يتأوله بل عند المسلمين ان الله في السماء وهو
على العرش واحداً في السماء انما يراد به العلو فالمعنى ان الله في العلو
لا في السفلى وقد علم المسلمون ان كرسية سبحانه وتعالى وسبح السموات والارض
وان الكرسى في العرش كحلقة طقاة بارس فلاة وان العرش خلى من مخلوقات
الله لا نسبة له الى قدرة الله وعظمته فكيف يتوهم بحد هذا ان خلقاً يحصره
ويحويه " (١)

ـ ((ورود النفس والاثبات في جهة الحلو)) ـ

واذا كانت الجهة ثابتة لله تعالى فان ما يذهب ملاحظته ان لفظ الجهة
يطلق ويراد به امرا مقبولا وامرا مردودا اى تثبت الجهة لله تعالى من وجهه
ونفسها عنه من وجه آخر .

١ـ فان اريد بنفى الجهة ان الله تعالى ليس موجودا في داخل هذا العالم
ولا حالا فيه فهذا هو الامر المقبول والذي يجب تنزيه الله عنه .

٢ـ واما اذا كان المقصود بنفى الجهة نفي مطلق الجهة فهذا هو المردود
لما ثبت من ان الله تعالى في جهة العلو فوق عرشه بائن من خلقه لا يشبهه
شىء تعالى وتقدس وهذا النفي ليس مذهب السلف .

قال شيخ الاسلام في بيان لفظة الجهة وما في معناها كالحيز وبيان انها الفاظ
مجملة تشتمل على حق وباطل .

قال : " فان التأمل ليس في جهة ولا حيزية من نفيه أنه ليس داخل العالم
ولا في أجواف الحيوانات ولا الحشوش القذرة وهذا كله حق ويتضمن انه ليس
على العرش ولا فوق العالم وهذا باطل وكان في نفيه نفي العرش والباطل " (١)
بل بالغ الذين نفوا القول بأن الله في حيز فأوهمو الناس انهم نفوا عن الله
تعالى ما يتصف به بعض خلقه من احاطة بعض المخلوقات به وتحيزه فيهم
" وربما صغروا الحيز حتى يقولوا ان الله في هذه البقعة أو هذا الموضع أو نحو

ذلك من الاكاذيب المفتراة " (٢)

(١) بيان تلبيس الجهية من : ١٣ .

فاتضح ان هذه الالفاظ المجملة تحتاج الى تفصيل " فيقال لمن نفى ان يريد بالجهة شئ * موجود مخلوق ؟ فالله ليس بذاخلاقى المخلوقات أم تريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب ان الله فوق العالم مباين للمخلوقات وكذلك يقال لمن قال الله فى جهة أنريد بذلك ان الله فوق العالم أو تريد به ان الله داخل فى شئ * من المخلوقات ؟ فان اردت الأول : فهو حش وان اردت الثانى فهو بائس " وكذلك لفظ التحيز ان اراد به ان الله تحوزه المخلوقات فالله اعظم وأكبر بل قد وسع كرسية السموات والارض وقد قال تعالى (وما تدركها عين قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) . ٣٦ : ٥٦٧ .

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (يقبض الله الارض ويظور السموات بيمينه ثم يقول انا الملك ائب ملوك الارض) وفى حديث آخر (وانه ليدحوما كما يدحوم الصبيان بالكرة) وفى حديث ابن عباس :

(ما السملوات السبع والارضون السبع وما فهمن فى يد الرحمن الا كخردل حبة فى يد احدكم) (٢)

وان اراد انه محاز عن المخلوقات أى مباين لها منفصل عنها ليس حالاً فيها فهو سبحانه كما قال ائمة السنة فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه (١)

وقال ابن ابى العز فى رده على من بيثت الرومية دون الجهة :

" هل تحقل رومية بلا مقابلة ، ومن قال يروى لا فى جهة فليراجع عقله فأما

ان يكون مكابرا لعقله أو فى عقله شئ * والا فاذا قال يروى لا امام الرأى ولا خلقه

ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته رد عليه كل من سمعه بفطرتسه

السليمة (١)

وفى الختام فإن مما يجدر بالذكر ان المشننين للجهة والنايين لها كل منهم يحالب ما يرى انه الحق وقد خفى على كل فريق ما يهدف اليه الفريق الآخر ودخلت مع ذلك البغضاء والعداوة وخرجوا الى السباب وافتحال التهم الى القتال أحيانا وظلم كل فريق الفريق الآخر والسبب فى ذلك هو ما تقدم ذكره مما حصل فى بعض الاسماء من اشتراك واجمال ثنيا أو اثباتا فاختلفت كلمتهم حول المعنى المراد من ذلك وخرجوا عن حد الواجب ، وقد نعى عليهم الامام شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الموقف بسبب ذلك فقال :

" تجد طوائف من المسلمين يتباغضون ويتعادون أو يختصمون أو يتنتلون على منى اثبات لفظ أو نفيه ، والمثبتة يصفون النفاة بما لم يريدوه والنفاة يصفون المثبتة بما لم يريدوه ، لأن اللفظ فيه اجمال واشتراك يحتمل معنى حقا ومعنى باطلا فالمثبت يفسره بالمعنى الحق والنافى يفسره بالمعنى الباطل ثم المثبت ينكسر على النافى بأنه جحد من الحق والنافى ينكر على المثبت انه قال على اللسان الباطل وقد يكون أحدهما أو كلاهما مغلفين فى حق الآخر ، وسبب ذلك مسجع اشتراك اللفظ نوع جهل ونوع ظلم ولا حول ولا قوة الا بالله " (٢)

(١) شرح الطحاوية ص : ٢١١ .

(٢) بيان تلبيس الجهمية ١٤ / ٢ .

**** الباب الخامس ****
ممم

((كلام الله تعالى في يوم القيامة))

***** كلامه في الموقف *****

ويشمل الفصول الآتية :-

تمهيد :-

الفصل الأول : اثبات صفة الكلام لله تعالى :-

- ١- من القرآن الكريم °
- ٢- من السنة النبوية °
- ٣- الاجماع °

الفصل الثاني : اثبات صفة كلام الله تعالى للمخلوق في يوم القيامة

في موقف فصل القضاء °

- ١- من كتاب الله تعالى °
- ٢- من السنة النبوية °

الفصل الثالث : اثبات ان الله تعالى لا يكلم بعض خلقه في يوم القيامة °

- ١- ادلة ذلك من القرآن الكريم °
- ٢- ادلة ذلك من السنة النبوية °

٣- الجمع بين ما ورد من اثبات عدم كلام الله لبعض خلقه وبين ما ورد من

ثبوت ذلك °

*** الفصل الرابع ***

مممم

... ((بيان اقوال أهم المذاهب في كلام الله تعالى))...

١- مذهب أهل السنة والجماعة

٢- مذهب الأشاعرة

٣- مذهب الجهمية والمعتزلية

مسألة :

بأى لفة يخاطب الله عز وجل الخلق في يوم القيامة

=====

••• ((بسم الله الرحمن الرحيم)) •••

١- " كلام الله تعالى في يوم القيامة " •

٢- كلامه في الموقف " •

تمهيد :

وبعد عرض ما تقدم بحثه في باب الرومية وبيان ما يتصلق منها برومية الله

تعالى في موقف فصل القضاء وانبات ذلك والرد على المخالفين •

فان مسألة كلام الله تعالى في الموقف يوم القيامة والرد على من خالف في

ذلك هي أيضا من الاهمية بمكان •

وحيث انها من المسائل المطولة والتي كانت مسرحا لا قلام العلماء من السلف

وغيرهم ، وحيث ان الغرض لم يتعلق ببحث كلما جاء فيها فاننا سنقتصر

على ما ذكرنا تاركين تفصيل بعض المسائل مثل القول بخلق القرآن وما تقدر

عن ذلك من مسائل فرعية بين الفرق الاسلامية الا ما يتعلق منها باثبات

صفة الكلام لله تعالى لاثبات كلامه عز وجل في يوم القيامة ثم نتعم الكلام

بالشارة الى آراء أهم الفرق الاسلامية حول هذه الصفة ، ولحظم هذه

المسألة فقد اعتنى بذكرها العلماء أيما عناية •

ولشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله الباع الطويل في بحثها وبيان تفاصيلها

وقد بلغ كلامه فيها مجلدا ضخما (١) ضمن مجموع فتاواه بعنوان " القرآن كلام

الله " • بين فيه مسائل عديدة وآراء كثيرة مما لا يتصلق بخرطنا وأبرز الرؤى

الحق الواجب اعتقاده نحو اثبات هذه الصفة لله تعالى •

*** الفصل الأول ***
ممممم

((اثبات صفة الكمال لله تعالى))

ثبت بفتح كتاب الله عز وجل وستة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي اجمة

عامة أهل الملل ان الله سبحانه وتعالى متمصف بصفة الكلام يكلم من شاء

من عباده متى شاء وكيف شاء .

وسوف نعرض فيما يلي أدلة اثبات ذلك .

=====
=====
====

(١) ((اثبات صفة الكلام من القرآن الكريم))

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم كثيرا من الايات البيّنات للدلالة

على اتصافه عز وجل بصفة الكلام .

ومن امثلة ذلك الآيات الآتية :---

١- قال الله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) (١)

٢- وقال تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) (٢)

٣- وقال تعالى في خطابه لموسى (يا موسى انى اصطفتك على الناس

برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) (٣)

٤- وقال تعالى (واذا نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين) (٤)

٥- تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) (٥)

٦- وما كان ^{لرسول} ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل

رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) (٦)

٧- (فاجره حتى يسمع كلام الله) (٧)

(١) سورة النساء : آية : ١٦٤ .

(٢) سورة الاعراف : آية : ١٤٣ .

(٣) سورة الاعراف : آية : ١٤٤ .

(٤) سورة الشعراء : آية : ١٠ .

(٥) سورة البقرة : آية : ٢٥٣ .

(٦) سورة الشورى : آية : ٥١ .

(٧) سورة التوبة : آية : ٦ .

٨-ومن أصدق من الله قيلا (١)

٦- (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) (٢)

وقد أخبر سبحانه وتعالى ان كلامه لا ينفد ولو كان شجر الأرض

اقلاما والبحار مدادا ~~لها واحد منها يمد بسبعة أبحر~~ كما قال عز وجل

٩٠- (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات

ربي ولو جئنا بمثله مددا) (٣)

١١- (ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة

أبحر ما نفدت كلمات الله) (٤)

..... ❦ ❦

(١) سورة النساء : آية : ١٢٢ •

(٢) سورة البقرة : آية : ٧٥ •

(٣) سورة الكهف : آية : ١٠٦ •

(٤) سورة لقمان : آية : ٢٧ •

لثبات صفة الكلام من السنة النبوية))

وكما وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى لاثبات هذه الصفة فانها
قد وردت كذلك أحاديث كثيرة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم يخبر فيها
عن ربه ويصفه فيها بالكلام والقول ويتوسل اليه بكلامه في مناسبات عديدة
ومن تلك الأحاديث نأخذ ما يلي :-

عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا قفى
الله الامر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة
على صفوان .

قال على ، وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فاذا فرغ من قلوبهم قالوا

ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (١)

الى آخر الحديث .

وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ان الله تبارك وتعالى اذا أحب عبدا نادى جبريل ان الله قد أحبب
فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى السماء ان الله قد أحبب
فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول فى أهل الأرض) (٢)

وعن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يتعاقبون فيكم ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يرجع الذين

(١) أخرجه البخارى ٣٨٠/٨

(٢) صحيح البخارى مع فتح البارى ٤٦١/١٢

باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون تركناهم وهم يعملون وأتيناهم وهم يصلون (١)

وجاء من حديث قدسي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى بوءذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار (٢)

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقول الله عز وجل الصوم لى وأنا اجري به يدع شهوته واكله وشربه من اجلى والصوم جنة وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) (٣)

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ينتزل ربنا تبارك وتعالى كسل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفري فأغفر له (٤)

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (٥)

(١) صحيح البخارى ١٣ / ٤٦١ .

(٢) - (٥) هذه الاحاديث مأخوذة من صحيح البخارى ١٣ / ٤٦٤ - ٤٦٦ .
" مع الفتح "

وعن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله اذا أراد عدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلى فاكتبوها له حسنة واذا أراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها السمسى سبحانه) (١)

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال له قالت هذا مقام العائذ بك مسن القطيعة فقال الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت : بلى يا رب قال : فذلك لك) (٢)

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله اذا احبب عدى لقائى أحببت لقاءه واذا كره لقائى كرهت لقاءه) (٣)

وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت فى شأن الافك " ولكن والله ما كنت أظن ان الله ينزل براءتى وحييا يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر مسن أن يتكلم الله فىّ بأمر يتلى ولكنى كنت ارجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبصر الله بها فأنزل الله تعالى (ان الذين جاسوا بالافك والعشر الآيات) (٤)

والغرض من اثبات هذه الأحاديث هو الاستدلال بها على صحة وصف الله تعالى بصفة الكلام والقول وان الله تعالى متكلم اذا شاء وفى أى وقت شاء

(١) - (٢) هذه الأحاديث مأخوذة عن صحيح البخارى ٤٦٤/١٣ - ٤٦٦ • مع الفتح •

(٤) صحيح البخارى ٤٦٥/١٣ •

وبالإضافة الى ذلك فقد عنون البخارى لهذا الموضوع بعناوين مختلفة مشتمل

قوله :

" باب كلام الرب مع جبرهـل ونداء الله الملائكة " (١)

وقوله " باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الانبياء وغيرهم " (٢)

وقوله : " باب كلام الرب مع أهل الجنة " (٣)

وقوله " باب ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه " (٤)

• وغير ذلك من الأبواب

• وهذا هو ما سار عليه كثير من العلماء

(١) صحيح البخارى ١٢ / ٤٦٠

(٢) المصدر السابق ص: ٤٧٢

(٣) فتح البسارى ١٣ / ٤٨٧

(٤) المصدر السابق ٨ / ٣٠٢

((أجماع المسلمين على ان الله تعالى متكلم))

وبعد عرض الأدلة السابقة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم نذكر أن عامة أهل الملل قد اجمعوا على وصف الله تعالى بصفة الكلام وان هذا الوصف من اوصاف الكمال وضده من اوصاف النقص وما حصل من أقوال لبعض الفرق المنسوبة الى الاسلام ونزاعهم حول مسائل في كلام الله تعالى فانها نزعة من نزعات الشيطان .

" ولو ترك الناس على فطرهم السليمة ومقولهم المستقيمة لم يكن بينهم نزاع ولكنلقى الشيطان الى بحض الناس اغلوطه من أغاليطه فرق بها بينهم" (١)
ومسألة صفة الكلام لله تعالى تكاد ان تكون معلومة لكل من له ادنى المسام بمعرفة التوحيد وما جاء على السنة رسل الله عليهم الصلاة والسلام .
قال الاستاذ أبو دقيقه رحمه الله فى تقرير ادلة اثبات صفة الكلام لله تعالى :-

" اما الدليل فهو اجماع الانبياء عليهم الصلاة والسلام على انه تعالى متكلم فقد نقل عنهم تواترا انهم كانوا يقولون لقومهم امر الله بكذا ونهى عن كذا واخبر بكذا والامر والنهى والاخبار من اقسام الكلام ، فثبوت أى واحد منهما يستلزم ثبوت الكلام " .
وقال أيضا : " كذلك نقل اجماع الملبين وعلماء الكلام على انه تعالى متكلم" (٢)

(١) شرح الطحاوية ص: ١٨٦ .

(٢) القول السديد فى علم التوحيد ص: ١٢١ ، ١٢٢ .

قال الامام ابوسعيد عثمان بن سعيد الدارمي في " باب الايمان بكلام الله
تبارك وتعالى "

" فالله المتكلم أولا واخرا لم يزل له الكلام اذ لا متكلم غيره ولا يزال له
الكلام اذ لا يبقى متكلم غيره فيقول (لمن الملك اليوم) (١)

انا الملك اين ملوك الأرض ، وكيف يحجز عن الكلام من علم العباد الكلام
وانطق الانام ؟ قال الله في كتابه (وكلم الله موسى تكليما) (٢)

فهذا لا يحتمل تأويلا غير نفس الكلام " الى أن يقول : " وقال لقوم موسى
حين اتخذوا العجل فقال (افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم
ضرا ولا نفعا) (٣) وقال (عجلا جسدا له خوارا لم يروا انه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) (٤)

قال أبو سعيد : " ففي كل ما ذكرنا تحقيق كلام الله وتثبيته نصا بلا تأويل ،
ففيما عاب الله به العجل في عجزه عن القول والكلام بيان بين ان الله عز وجل
غير عاجز عنه وانه متكلم وقائل لانه لم يكن يعيب العجل بشيء هو موجود فيه " (٥)

(١) سورة غافر : آية : ١٦ •

(٢) سورة النساء : آية : ١٦٤ •

(٣) سورة طه : آية : ٨٦ •

(٤) سورة الاعراف : آية : ١٨٤ •

(٥) انظر : الرد على الجهمية ص ٨٣ - ٨٤ للدارمي •

(١) ((الأدلة من القرآن الكريم لاثبات كلام الله تعالى لخلقه))

يسوم القيامة

ومن تلك الأدلة ما جاء في كتاب الله تعالى في مسأله لخلقه في عرصات

القيامة والمسألة كما هو معلوم لا تكون الا بالكلام .

قال الله تعالى :

١- (فلنسلن الذين ارسل اليهم ولنسلن المرسلين فلنقم عليهم بعلمهم

وما كنا غائبين) (١)

٢- وقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك

انت علام الغيوب) (٢)

٣- وقوله تعالى (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) (٣)

قال الطبري عن معنى الآية الأولى وكيفية مسألة الله تعالى للرسل والمرسل

اليهم " يقول تعالى ذكره : لنسألن الامم الذين ارسلت اليهم رسل ما ذا

عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندى من امرى ونهيى هل عملوا بما امرتهم به

وانتهوا عما نهيتهم عنه واطاعوا امرى ام عصوا فخالفوا ذلك ؟ ولنسألن

المرسلين : يقول ولنسألن الرسل الذين ارسلتهم الى الامم هل بلغتهم

رسالاتى وأدت اليهم ما امرتهم بأدائه اليهم ام قصروا فى ذلك ففطوا ولم

يلغوهم " قال " وكذلك كان أهل التأويل يتأولونه " .

وعلى هذا التفسير ابن عباس والسدى ومجاهد . (٤)

(١) سورة الاعراف : ٦ ... ٧

(٢) سورة المائدة : ١٠٩ .

(٣) سورة الحجر : آية : ٩٢ .

(٤) تفسير الطبري ٨ / ١٢٠ وانظر : تفسير الرازي ١٤ / ٢٢ ... ٢٣ .

وأما قوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل) الخ الآية الكريمة •
فقد اخبر سبحانه وتعالى انه يكلم الرسل قائلاً لهم ماذا اجبتكم وهذا
المسألة كما هو معلوم تكون بالكلام معهم ودلالاتها على الكلام مثل دلالة
الآية السابقة •

قال ابن كثير عن معنى الآية :-

" هذا اخبار عما يخاطب الله به المرسلين يوم القيامة عما اجيبوا به من
امهمم الذين ارسلهم اليهم كما قال تعالى (فلنسالن الذين ارسل اليهم
ولنسالن المرسلين)

وقال تعالى (فوريك لسؤالهم اجمعين عما كانوا يعملون) (١)

وأما قوله تعالى (فوريك لسؤالهم اجمعين) الآية •
فان دلالتها على كلام الله ظاهر فهي تنفق مع ما افادته الآيات السابقة
من كلام الله مع الخلق ومسألته لهم بصرف النظر عن من هم تلك المسألة
اذ لم يتعلق به ههنا غرض بل ان موضح بيان هذا هو محض الحساب كما
سيأتي •

واذا كانت تلك المسألة قد وجهت الى الامم فانها ستوجه كذلك الى الملائكة
تهكيتاً وتقريباً لمن كان يعبدهم من البشر ممن اشركوهم مع الله عز وجل
لنتبرأ الملائكة منهم على مسمع ومرأى

فقال تعالى : (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهولاً ء اياكم كانسوا
يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم
بهم موهمون) (١)

وقال تعالى : (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول انتم اضللتم
عبادى هو لا ء أم هم ذلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء ولكن متعتهم واولياءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بسورا)
(٢) وبهذا فانهم يبرأون ساحتهم عن ظلم الظالمين وجهل الجاهلين وان كان
الله تعالى قد علم عدم رضاهم عن فعل آلك المشركين لكن تلك المسألة
كانها موجهة الى المشركين فوراً

ومذه المسألة والتبرؤ هو ما سيقع مع عيسى عليه السلام على مرأى ومسمع ممن
اتخذها لها من الناس لزيادة تكبيتهم ولتعويضهم أمام الله تعالى وامسأماً
عيسى كما حكى الله ذلك بقوله : - -

(واذا قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من
دون الله ^{قال} سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلتة فتد
علمته تحلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم
الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيد ان تعذبهم - -

(١) سورة سبأ : آية : ٤٠ - ٤١ .

(٢) سورة الفرقان : آية : ١٧ ، ١٨ .

فانهم عبادك وان تخفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم
يشفح الصادقين لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدون فيها أرض للسلام
صدقتهم
X
عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١)

*** ❦ ***

... ((الأدلة من السنة لإثبات كلام الله تعالى لخلقه)) ...

يسوم القيامة

وأما الأدلة من السنة النبوية في إثبات كلام الله تعالى في يوم القيامة فهى كثيرة وقد وردت على أنواع مختلفة فمهما :-

- ١- كلامه تعالى عند حشر الصباد .
 - ٢- كلامه تعالى مع سائر الخلق في عرصات القيامة .
 - ٣- كلامه تعالى مع بعض الخلق بخصوصهم تشريفا لهم .
- ويشمل هذا :-

- ١- كلامه مع آدم عليه السلام .
- ٢- كلامه مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٣- كلامه مع نوح عليه السلام .
- ٤- كلامه تعالى مع المؤمنين .
- ٥- كلامه تعالى مع أهل الجنة .
- ٦- كلامه تعالى لجحيم .
- ٧- كلامه تعالى مع الجنة والنار .

١- فمما ورد في كلامه سبحانه وتعالى عند حشره الصباد ما أخرج البخارى

عن عبد الله بن أنيس أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (يقول) يحشر الله الصباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من

قرب أنا الملك أنا الديان) (١)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : جاء حبر من اليهود فقال :
انه اذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على اصبع والارضين على اصبع
والماء والثرى على اصبع والخالق على اصبع ثم يهزهن ثم يقول انا الملك
انا الملك فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذ
تصجبا وتهديقا لقوله ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حتى
قدره الى قوله يشركون (١)

وأما ما ورد من كلامه سبحانه وتعالى مع سائر الخلق فهو ما أخرج البخارى
عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من
أحد الأسىكله ربه ليس بيده وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم
من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى
الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة)

قال الأعمش وحدثني عمرو بن مرة عن خيثمة مثله وزاد فيه " ولو بكلمة طيبة " (٢)
وأخرجه كذلك الترمذى ثم قال " قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح
حدثنا ابو السائب حدثنا وكيع يوما بهذا الحديث عن الأعمش فلما فرغ وكيع
من هذا الحديث قال من كان هاهنا من أهل خراسان فليحتسب فى اظهار
هذا الحديث بخراسان لأن الجهمية ينكرون هذا " (٣)

(١) صحيح البخارى ص : ٤٧٤ الجزء (١٣) .

ومسلم ٦٥٥ / ٥ من صحيحه .

(٢) البخارى ٢٠٢ / ٨ ، ١٩٨ / ٧ ، ٤٧٤ / ١٣ ، ٢٨١ / ٣ .

(٣) سنن الترمذى ٦١١ / ٤ .

وقد أورد ابن خزيمة هذا الحديث مترجما له بقوله " باب الله جل وعلا ^{أن}
يكلم عباده يوم القيامة من غير ترجمان يكون بين الله عز وجل وبين عباده
بذكر لفظ عام مراده خاص " (١)

وعن ابن ذر من حديث قدسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الله
تعالى يقول للعباد ~~في يوم القيامة~~ " يا عبادي : انما هي اعمالكم احصيتها
لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن
الا نفسه " (٢)

وعن صفوان بن محرز ان رجلا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول في الدجوى ؟ قال يدنو احدكم من ربه حتى يضح كنفه عليه
فيقول اعلمت كذا وكذا فيقول نعم ويقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره
ثم يقول اني سترت عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم " (٣)

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم " يدنو احدكم من ربه " قال ابن التيسين
يعنى يقرب من رحمته ^١ وهو سائغ في اللغة يقال فلان ^{قريب من فلان} وبرد الرتبة ومثله
x

" ان رحمة الله قريب من المحسلين "

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم " حتى يضح كنفه عليه " كنفه " بفتح

الكاف والنون بعدها فاء المراد بالكنف السترة ، وقد جاء مفسرا بذلك في

رواية عبد الله بن المبارك عن محمد بن سواء عن قتادة فقال في آخر الحديث :

(١) توحيد ابن خزيمة ص : ١٤٩ .
(٢) أخرجه مسلم ١٩٩٥ / ٤ .
(٣) صحيح البخارى ٤٧٥ / ١٢ .
هذا المعنى هو ما رواه اهل السلام الذين يقولون لصفاء
بن عمر التميمي واياه ذهب الكوفي وهو اجاب
عرب الاله لتلك من عباده كيفما يشاء
جل وعلا

قال عبد الله بن المبارك كنفه ستره . . . " والمعنى انه تحيط به
عنايته التامة " (١)

والحديث دليل على الفرق بين كلام الله جل وعلا للمؤمن الذي يريد أن
يستتر عليه ذنوبه في الدنيا وأراد مخفرتها له في الآخرة ، وبين كلام الله
للكافر الذي كان في الدنيا غير مؤمن بالله العظيم ولا مصدق بالآخرة
وفي حديث الصور الطويل : " ان الله ينادى العباد يوم القيامة فيقول :
الى قد أنصت لكم منذ خلقكم الى يومكم هذا أرى أعمالكم واسمع أقوالكم
فأنصتوا الى فانما هي أعمالكم ومصحفكم تقرأ عليكم فمن وجد خيرا فليحمد
الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه " (٢)

وروى الامام احمد عن جابر بن عبد الله انه اشترى راحلة فسار الى عبد الله
ابن أبيس شهرا ليسمع منه حديثا بلغه عنه قال : سمعت رسول الله
ﷺ عليه وسلم يقول : (يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد
عراة غولا بهما ، قلنا وما بهما ؟ قال : ليس معهم شئ ثم يناديهم بصوت
يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينهض لأحد
من أهل النار ان يدخل النار له عند أحد من أهل الجنة حتى الا قهقهته
له منه حتى اللطمة قال قلنا وكيف واننا انما نأتى الله بهما ؟ قال : بالحسنات
والسيئات) (٣)

(١) فتح الباري ٤٧٧/١٣

(٢) النهاية ٣٧٧/١

(٣) المسند ٤١٥/٣

وأما ما جاء في كلام الله تعالى مع بعض خلقه بخصوصهم تشريفا لهم واظهارا لمكانتهم فهم : الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأولهم آدم عليه السلام وما ورد في كلام الله تعالى له عليه السلام ما رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال : " قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بحثا الى النار " (١)

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بحث جهنم " (٢)

وقد عقد الامام البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، بابا خاصا فسمى اثبات كلام الله تعالى يوم القيامة مع الانبياء وغيرهم قال فيه : " باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الانبياء وغيرهم "

أورد فيه بعض الاحاديث الدالة على كلام الله مع الانبياء ومع غيرهم وقد ورد الاحاديث التي تدل على كلام الله تعالى مع غير الانبياء اكثر من الاحاديث التي تدل على كلامه مع الانبياء وقد قال ابن حجر عن فائدة هذا الصحيح من البخاري " ليس في أحاديث الباب كلام الرب مع الانبياء الا فسي حديث انس وسائر أحاديث الباب في كلام الرب مع غير الانبياء واذا ثبت كلامه

(١) البخاري ٤٥٣/١٣ . والمراد من اخراجه آدم بحث النار أي يميزهم عن غيرهم . انظر شرح النووي لصلم ج ١ ص ٤٩٨ .
(٢) صحيح البخاري ٤٥٣/١٣ .

مع غير الانبياء فوقه للانبياء بطريق الأولى " (١)

وحديث أس الذي اشار اليه ابن حجر هو ما اورده البخارى فى الباب المذكور جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم فيقال - وفى رواية فيقول يا محمد ارفع رأسك وقل يسمعك وسل تعطى واشفع تشفع فأقول يا رب امته امته فيقال اطلق فخرج منها من كان فى قلبه مثقال شعيرة من ايمان فاطلق فافعل (٢) الى آخر الحديث ، وهو حديث طويل تقدم فى محث الشفاعة .

وأخرج الامام احمد رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أول من يدعى يوم القيامة آدم فيقال هذا أبوكم آدم فيقول رب لبيك وسعديك فيقول له ربنا اخرج نصيب جهنم من ذريتك فيقول يا رب وكم فيقول من كل مائة تسعة وتسعين ، فقلنا يا رسول الله رأيت اذا أخذ من كل مائة تسعة وتسعين فماذا يبقى منا ؟ قال ان امته

فى الامم كالشعيرة البيضاء فى الثور الأسود) (٣)

٢- اما كلام الله تعالى مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فان النصوص فيه كثيرة وقد تقدم بعض الاحاديث فى ذلك وقد تقدم ايضا فى باب الشفاعة ذكر احاديث تشتمل على اثبات ذلك " (٤) مما لا يطول باعادته .

(١) صحيح البخارى ٤٧٧/١٣ .

(٢) صحيح البخارى ٤٧٣/١٣ .

(٣) المسند ٣٧٨ / ٢ .

(٤) انظر: صحيح البخارى ٤٧٣/١٣ - ٤٧٤ مع الفتح .

٣... وأما كلامه تعالى مع نوح عليه السلام فقد جاء عن أبي سعيد قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يبدأ بنوح يوم القيامة فيقال له

هل بلغت فيقول : نعم يا رب فتسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من

نذير فيقول من شهودك فيقول محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون ثم تسأرا

رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ... قال عدولا ...

لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) (٢)

وقال ابن كثير : والوسط العدل " (٣)

وقد قدمنا الاستدلال على كلام الله تعالى مع عيسى عليه السلام ومسمع

الملائكة عليهم السلام .

(١) سورة البقرة : آية : ٤١٣ .

(٢) البخارى ٣١٦/١٣ من صحيحه وأحمد ٢/٣٢٢ .

(٣) النهاية ١٠/٢ .

((كلامه تعالى مع المزمعين))

فقد قال أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الله بن المبارك وساق بسنده السني
معاذ بن جبل انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان شئتم
ابائكم بأول ما يتول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة وبأول ما تقولون له ؟
قالوا نعم يا رسول الله قال : فان الله تعالى يقول للمؤمنين هل أحببتهم
لقائى فيقولون نعم ياربنا فيقول وما حملكم على ذلك فيقولون عفوك ورحمتك
ورضوانك فيقول " فالى قد اوجبت لكم رحمتى " (١)

وعن عبد الله (ابن مسعود) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
أخسر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج
حبوا فيقول له رب ادخل الجنة فيقول رب الجنة مأوى فيقول له ذلك
ثلاث مرات فكل ذلك يعيد عليه الجنة مأوى فيقول ان لك مثل الدنيا
عشر مرات " (٢)

(١) ذكره ابن كثير فى النهاية ١٥ / ٢ وعزاه الى ابن داود الطيالسي .

(٢) صحيح البخارى . ٤٧٤ / ١٣ .

((أما سلام الله تعالى لأهل الجنة))

فهو ما جاء عن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم نحط أحدا من خلقك فيقول الا اعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول أحل عليكم رضوانى فلا يسخط عليكم بعده أبدا " (١)

وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال أو لست فيما شئت قال بلى ولكنى أحب ان ازرع فأسرع وبذر فتبادر الطرف بهاتين واستواوه واستحساوه وتكويره امثال الجبال فيقول الله تعالى دورك يا ابن آدم فانه لا يشيطك شىء فقال الاعرابى يا رسول الله لا تجد هذا الا قرشيا او انصاريا فانهم اصحاب زرع فاما نحن فلنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله " (٢)

وفى حديث ابي هريرة الاول يرد اشكال وهو فى قوله " احل عليكم رضوانى فلا يسخط عليكم بعده أبدا " لانه يوهم ان له ان يسخط على أهل الجنة وهو خلاف ظواهر القرآن كقوله تعالى (خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه) (٣)

(١) - (٢) صحيح البخارى ١٣ / ٤٨٧ •

(٢) سورة البقرة : ٨ •

وقوله (أَلَيْسَ لِهَذَا أَمْرٌ مَهْتَدُونَ) (١)

وقد اختلفت اجابات العلماء حول معنى هذا الاشكال .

١- فقال ابن بطال في جوابه عن ذلك " بأن اخراج العبادة من العسدم الى الوجود من تفضله واحسانه وكذلك تنجيز ما وعدهم به من الجنة والنعيم من تفضله واحسانه واما دوام ذلك فزيادة من فضله على المجازاة لو كانت لازمة ومحاذ الله ان يجب عليه شيء فلما كانت المجازاة لا تزيد في العادة على المدة ، ومدة الدنيا متناهية جاز أن تنتهى مدة المجازاة فتفضل عليهم بالدوام فارتفع الاشكال جملة " .

٢- وقال غيره ظاهر الحديث ان الرضا افضل من اللقاء وهو مشكل .

وأجيب بأنه ليس في الخبر ان الرضا أفضل من كل شيء وإنما فيه ان الرضا أفضل من العطاء ، وعلى تقدير التسليم فاللقاء مستلزم للرضا ، فهو من اطلاق اللزوم واردة الملزوم كذا نقل الكرمانى "

قال ابن حجر: -

٣- " ويحتمل ان يقال المراد حصول انواع الرضوان ومن جعلتها للقاء

فلا اشكال " (١)

والذى يظهر ان هذا القول هو الأرجح ذلك ان المتبادر من ظاهر الحديث هو اخبار الله لأهل الجنة انهم مع ما هم فيه من انواع النعيم والرضا الكامل من الله تعالى عندهم فانه أراد ان يطمئنهم الى ان ما هم فيه لا نهاية لــــه

(١) سورة الانعام : ٨٢
(٢) فتح البارى ١٢ / ٤٨٨ .

وان ذلك بسبب رضاه عنهم ثم اخبرهم ان رضاه ايضا دائم فلا سخط يفسح
عليهم وبالتالي فان اللقاء وجميع ما هم فيه من النعيم يكون من ضمن رضاه
عنهم .

وهذا زيادة في لطف الله بهم وكرامتهم فان العفيف - ولله المثل الأعلى -
يلبثى له أن يفرج ضيقه ويسره بما عنده من الكلام والفعال .
وفي قوله عز وجل لا بن آدم وهو في الجنة " لا يشبعك شيء اشكال أينما
وذلك لان الله تعالى اخبر عن صفة الجنة بأنه لا جوع فيها ولا عرى " ان
لك الا تجوع فيها ولا تعرى " (طه : آية : ١١٨) .
وفيها كذلك :

ما تشتهيهِ النفس وتلذ الاعين فلا احد يخاف من فوات بعض نعيمها - اذ اذا
كان ذلك ثابتا فما معنى قوله " ولا يشبعك شيء " .
وللجواب عن هذا هو ان يقال :-

" بأن نفى الشبع لا يوجب الجوع لأن بيدهما واسطة وهي الكفاية وأكل أهـمـل
الجنة للنعيم والاستلذاذ لا عن الجوع " (١) ثم ان " المراد بقوله "
" لا يشبعك شيء " جنس الأدمى وما طبع عليه فهو في طلب الازيد الا من
شاء الله تعالى " (٢)

وهل يشبع أهل الجنة ؟ فيه خلاف " والصواب ان لا يشبع فيها اذ لو كان،
لمدح دوام أكل المستلذ " (٣)

— ((أما كلام الله تعالى لجهنم)) —

فقد قال سبحانه وتعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد)
(ق: ٣٠)
وهذا الكلام مع جهنم يقوله تعالى لتظهر جهنم جوابها بطلب الزيادة
أو عدمها وأكثر العلماء على أن هذا الخطاب يقوله تعالى قبل أن يخرج
الجنار قدمه فيها كما افادته النصوص الصحيحة •

قال ابن كثير عن معنى الآية :—

" يخبر تعالى انه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت ؟ وذلك لأنه تبارك
وتعالى وعدها ان سيملؤها من الجنة والناس اجمعين فهو سبحانه وتعالى
يأمر بمن يأمر به اليها ويلقى وهي تقول هل من مزيد أى هل بقى شيء

تزيدونى هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث " (١)

واستدل لهذا بما أخرجه البخارى عند تفسير هذه الآية من سورة ق عن

أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يلقي

فى النار وتقول هل من مزيد حتى يضح قدمه فيها فتقول قط قط) (٢)

وأخرج كذلك عن ابى هريرة مرفوعا — قال ابن كثير " وأكثر ما كان يوقف

أبوسفيان — يعنى أحد الرواة " يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من

مزيد فيضح الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط) (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٢٢٦ •

(٢) صحيح البخارى ٨ / ٥٦٤ •

(٣) المصدر السابق ٨ / ٥٦٥ •

— (كلام الله تعالى مع الجنة والنار) —

فهو ما ورد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اختصمت الجنة والنار الى ربهما فقالت الجنة يارب مالها لا يدخلها الا ضيفاۃ الناس وسقطهم وقالت النار يحنى او ثرت بالمتكبرين فقال الله تعالى للجنة انت رحمتي ، وقال للنار أنت عذابي اصيب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملوۃها قال فأما الجنة فان الله لا يظلم من خلقه أحدا وانه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثا حتى يضح فيها قدمه فتمتلي* ويرد بعضها الى بعض وتقول قط قط قط) (١)

وهذا الاختصاص بين الجنة والنار وهل هو حقيقة أم لا ؟
وقول النار هل من مزيد ، وقولها قط هل هو بلسان الحال أو بلسان المقال ؟
يقول ابن بطال عن المهلب " يجوز ان يكون هذا الخصام حقيقة بأن يخلق الله فيهما حياة وفيهما وكلاما والله قادر على كل شئ* ويجوز ان يكون هذا مجازا كقولهم امتلأ الحوض وقال قطنى ، والحوض لا يتكلم واما ذلك عبارة عن امتلائه وأنه لو كان ممن ينطق لقال ذلك وكذا فى قول النار هل من مزيد قال وحاصل اختصاصهما افتخار أحدهما على الاخرى بمن يسكنها فتظن النار انها بمن البقى فيها من عظماء الدنيا ابر عند الله من الجنة وتظن الجنة انها بمن اسكنها من أولياء الله تعالى ابر عند الله فأجيبنا بأنه لا فضل لاحدهما على الاخرى من طريق من يسكنهما وفى كلاهما شائبة شكاية الى ربهما اذ لم

(١) صحيح البخارى ٤٣٤/١٣ ، ومعنى قط : أى يكفينى .

تذكر كل واحدة منهما إلا ما اختلفت به وقد رد الله الامر في ذلك الى
مشيئته " (١)

ثم نقل ابن حجر عن صاحب المفهم (٢) قوله :

" يجوز ان يخلق الله ذلك القول فيما شاء من اجزاء الجنة والنار لأنه
لا يشترط عقلا في الاصوات ان يكون محلها حيا على الراجح ولو سلمنا الشرط
لجاز ان يخلق الله في بعض اجزائها الجمادية حياة لاسيما وقد قال
بعض المفسرين في قوله تعالى (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) (٣)
ان كل ما في الجنة حي ويحتمل ان يكون ذلك بلسان الحال والاول أولى (٤)
وقد وقع اشكال في قوله في الحديث " فاما الجنة فان الله لا يظلم من خلقه
احدا وانه ينشىء للنار من يشاء فيلقون فيها • كيف يلقي الله بهوهلاء
الخلق في النار ولم يتقدم لهم ذنب في مقابل ذلك •
وقد اجاب ابو الحسن القاسمي عن ذلك بقوله :

" المعروف في هذا الموضع ان الله ينشىء للجنة خلقا واما النار فيضج
فيها قدمه • قال ولا أعلم في شيء من الأحاديث انه ينشىء للنار خلقا
الا هذا " (٥)

-
- (١) فتح الباري ٤٣٦/١٣
 - (٢) يعني به القرطبي
 - (٣) سورة العنكبوت : آية : ٦٤
 - (٤) فتح الباري ٤٣٦/١٣
 - (٥) المصدر السابق ٤٣٦/١٣

وفي حديث اس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

لا يزال يلقي فيها وتقول هل من مزيد حتى يضح فيها رب العالمين قدمه

فيلزوى بعضها الى بعض ثم تقول قد قد بعزتك وكرمك ولا تزال الجنة

تفضل حتى ينشىء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة " (١)

فهذه الرواية صريحة في ان الانشاء اما يقح للجنة لا للنار وقد كانت رواية

ان الله ينشىء للنار اقواما مثار جدل بين العلماء قال ابن حجر :

" وقد قال جماعة من الائمة ان هذا الموضع مقلوب وجزم ابن القيم بألوه

غلط واحتج بأن الله تعالى اخبر بأن جهنم تمتلئ من ابليس واتباعه

وكذا انكر الرواية شيخنا البلقيني واحتج بقوله ولا يظلم ربك أحدا " (٢)

وقال محب الدين الخطيب في ابراج هذا الاشكال " جزم ابن القيم بأن

هذا غلط من الراوى صوابه " ينشىء للجنة " كما تقدم برقم ٤٨٥٠ من

طريق عبد الرزاق عن همام عن ابي هريرة وكما في رقم ٧٣٨٤ من طريق

قتادة عن اس فتبين منهما ان الراوى هنا سبق لفته من الجنة الى النار

ويسمونه في مصطلح الحديث " المقلوب " (٣)

ثم ذكر ابن حجر من اقوال العلماء واستنباطاتهم عدة احتمالات لتصحيح هذا

المعنى وكلها تفتقر الى نص يثبتها " (٤)

(١) صحيح البخارى ٣٦٩/١٣ " الفتح " واخرج البخارى كذلك حديثا بمعنى

هذا في كتاب التفسير من صحيحه ٥١٥ / ٨ .

(٢) فتح البارى ٤٣٧/١٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٣٤ ذكره محب الدين في تعليقه على هامش هذه

الصفحة .

(٤) المصدر السابق ص : ٤٣٧ .

وأما معنى القدم الوارد في النصوص فقد كثر الجدل والخلاف في معناه بين العلماء وقد ذكر ابن حجر ما يقارب خمسة عشر قولاً في معنى القدم عند شرحه لهذه الآية يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد — من سورة نى : ٣٠)

ورجح من بين تلك الأقوال القول بأن هذا اللفظ وغيره طريقة السلف في ذلك كما ذهب إليه هو " ان تمر كما جاءت ولا يتمرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله " (١)

والأولى — وهو القول الحق — أن يقال ان السلف يشبتون هذه الصفة لله تعالى — صفة القدم — كما ثبت به اللفظ دون تشبيهه فلا يلزم من اثبات القدم اثبات التشبيه لله تعالى •

وهذا هو الذى يشنى من تكلف تلك الأقوال الكثيرة التى ذكرها ابن حجر نقلاً عن بعض العلماء فى معنى القدم والتكلف ظاهر فيها مثل قول من يقول ان القدم الواردة فى الحديث هى قدم ابليس لأن ابليس أول من تكلم فاستحق ان يسمى متجبراً وجباراً " (٢)

وهذا كله فرار عن اثبات هذه الصفة لله تعالى •

(١) انظر: فتح البارى ٨ / ٥٦٦

(٢) انظر: فتح البارى ٨ / ٥٦٦ •

وقد أورد الامام الحافظ السلفي ابن منده في كتابه " الرد على الجهمية " (١)
عدة أحاديث ثابتة يستدل بها على اثبات هذه الصفة لله تعالى وان الكرسي
موضع القدمين ذكر ذلك مترجما له بقوله " باب في قوله عز وجل (يوم نقول
لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وذكر قول النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل يوسع رجله في النار فتقول قط قط (٢)
وأما امام الائمة ابن خزيمة رحمه الله فقد قال في اثبات صفة الرجل والقدم
لله تعالى " باب ذكرا ثبات الرجل لله عز وجل "

وان رفعت اوتوا المحطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا عز وجل السمتي
اثبتها الله لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله
عليه وسلم " (٣)

ثم استطرده في ذكر عدة نصوص ثابتة يستدل بها على اثبات هذه الصفة
لله عز وجل وان الله تعالى له الرجل والتقدم كما له سائر الصفات واثباتهما
على نحو ما ثبتت به الصفات *

واخرج مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (تحاجت النار والجنة فقالت النار اوشرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت
الجنة فمالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم فقال الله للجنة

(١) تحقيق الدكتور / علي محمد ناصر فقيهي *

(٢) الرد على الجهمية ص: ٤١ - ٤٦ *

(٣) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص: ٩٠ - ١٠٠ *

أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي اعذب بسبك
من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكم ملوؤها فاما النار فلا تمتلي * فيضح قدمه
عليها فتقول قط قط فهناك تمتلي * ويزور بعضها الى بعض (١)

وأخرج الامام أحمد عن ابى سعيد ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال : (افتخرت الجنة والنار فقالت النار يا رب يد خلني الجبابرة والمتكبرون
والملوك والاشراف وقالت الجنة اى رب يد خلني الضعفاء والفقراء والمساكين
فيقول الله تبارك وتعالى للنار انت عذابي أصيب بك من أشاء وقال للجنة
انت رحمتي وسعت كل شيء * ولكل واحدة منكما ملوؤها فيلقى في النار اهلهما
فتقول هل من مزيد قال ويلقى فيها وتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول
هل من مزيد حتى يأتئها عز وجل فيضح قدمه عليها فتزور وتقول قد نسى
قدسى واما الجنة فيبقى فيها ما شاء الله تعالى ان يبقى فيبقى * اللسنة
سيحانه وتعالى لها خلقا ما يشاء) (٢)

وهذه الاحاديث تدل على ان جهنم تطلب المزيد حتى يضح الجبار قدمه
فيها فينزور بعضها الى بعض وتمتلا فلا تطلب الزيادة بعد ذلك .
وهناك من ذهب من العلماء الى عكس هذا القول . حيث قالوا ان سؤال الله
تعالى لها انما هو بعد أن يضح قدمه فيها فعينئذ يسألها هل تريد زيادة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : ٧٠٢ / ٥ .

(٢) المسند ١٣ / ٣ .

فتقول " هل من مزيد " اى يكفينى لا اتحمل زيادة بعد هذا .
قال العوفى عن ابن عباس رض الله عنهما وذلك حين لا يبقى فيها موضع
يسع ابرة " (١)

ومن ذهب الى هذا القول ابن عباس ، وعكرمة ومجاهد وعبد الرحمن بن
زيد بن اسلم كما ذكر عنهم ابن كثير " (٢)

لكن يرد هذا القول حديث ابى هريرة " فيلقون فيها فتقول هل من مزيد
ثلاثا حتى يضح فيها قدمه فتعلى " ويرد بعضها الى بعض وتقول قط قسط
قط " (٣)

قال ابن حجر عن معنى هذا الحديث :

" وفيه رد على من حمل قول النار " هل من مزيد على انه استفهام انكار
والها لا تحتاج الى زيادة " (٤)

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٨ / ٤

(٢) فى تفسيره ٢٢٨ / ٤ .

(٣) صحيح البخارى ٤٣٤ / ١٣ .

(٤) فتح البارى ٤٣٧ / ١٣ .

**** الفصل الثالث ****
مممم

١
بطلان الفرض والرد

- (اثبات أن الله تعالى لا يكلم بعض خلقه في يوم القيامة) -

١- أدلة ذلك من القرآن الكريم ÷
=====

وإذا كان ما قدمنا من النصوص فيها اثبات كلام الله تعالى مع من شاء من خلقه فقد وردت نصوص أخرى تفيد أن الله تعالى يمتنع عن كلام بعض خلقه / فضا وسخطا عليهم بسبب ما قدموا من أعمال اوجبت عقوبتهم بذلك .

وهذا هو الذي يميز أولياء الله تعالى عن أعدائه فلا يجعلهم بمثابة أعدائه في عدم تكليمهم ، وهذا هو ثمرة تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم كما ذكر الله تعالى ذلك في آيات كثيرة من كتابه الكريم مثل قوله عز وجل :
في شأن اليهود (ان الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب ويشترتون به ثمنا قليلا آلك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم) (١)

فهذا اخبار من الله تعالى انه لا يكلم هؤلاء الذين كتموا ما انزل الله وأخذوا عليه رشوة في مقابل انكار محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته هؤلاء لا يكلمهم الله يوم القيامة بما يحبون ويشتهون بل يكلمهم بما يسوءهم ويكرهون قائلًا لهم اخسوا فيها ولا تكلمون + (٢)

١ انظر ص ٧٨٥

(١) سورة البقرة : آية : ١٧٤ .

(٢) جامع البيان ٩٠ / ٢ .

وقد ذكر الرازي رحمه الله ثلاثة اوجه للاجابة عن معنى الاية فقال:

" قوله تعالى ولا يكلمهم الله " ظاهره انه لا يكلمهم اصلا لكنه لما اورده مورد الوعيد فهم منه ما يجرى مجرى العقوبة لهم وذكروا فيه ثلاثة اوجه:

الأول: انه قد دلت الدلائل على انه سبحانه وتعالى يكلمهم وذلك

قوله (فوريك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) وقوله (فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين) فعرفنا انه يسأل كل واحد من المكلفين والسؤال لا يكون الا بكلام فقالوا: وجب أن يكون المراد من الاية انه تعالى لا يكلمهم بتحية وسلام وانما يكلمهم بما يعظم عندهم من الغم والحسرة من المناقشة والمساءلة بقوله (اخسؤا فيها ولا تكلمون)

الثاني: انه تعالى لا يكلمهم ، واما قوله تعالى (فوريك لنسألنهم اجمعين) فالسؤال انما يكون من الملائكة بأمره تعالى وانما كان عدم تكليمهم يوم القيامة مذكورا في معرض التهديد لأن يوم القيامة هو اليوم الذي يكلم الله تعالى فيه كل الخلائق بلا واسطة فيظهر عند كلامه السرور في أوليائه وخطره في اعدائه ويتميز أهل الجنة بذلك من أهل النار فلا جرم كان ذلك من اعظم الوعيد .

الثالث: ان قوله (ولا يكلمهم) استعارة عن الغضب لان عادة الملوك

انهم عند الغضب يعرضون عن المضروب عليه ولا يكلمونه كما انهم عند

الرضا يقبلون عليه بالوجه والحديث (١)

وقال ابن كثير عن معنى امتناع الله تعالى عن كلام هؤلاء " والمراد من هذا انه لا يكلمهم ولا ينظر اليهم كلاما ونظرا يرحمهم به كما انهم عن ربهم يومئذ محجوبون بقوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (١)
المطففين : آية : ١٥

وقال تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا آثمون لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يذكهم ولهم عذاب اليم) (٢)

وفي هذه الآية اخبار من الله تعالى في ذم من اتصف بأنه يشتري بعهد الله وايمانه ثمنا قليلا سواء كان من اليهود كما قيل في سبب النزول أو في غيرهم كما وقع في قصة الاشعث بن قيس وخصمه (٣)

فقد اخبر سبحانه وتعالى ان هؤلاء الذين ينطبق عليهم هذا الوصف يكون جزاؤهم ما ذكره الله من عدم تكليمه لهم بما يسرهم ويشرح صدورهم في يوم القيامة من الكلام اللطيف والنظر بعين الرحمة (٤) وهذا جواب لبعض أهل التفسير .

(١) النهاية : ١٦/٢ .

(٢) سورة آل عمران : آية : ٧٧ .

(٣) انظر : تفسير ابن جرير ٣ / ٣٢٠ / تفسير ابن كثير ١ / ٣٧٥ .

(٤) المصدر السابق .

" ومنهم من قال لا يبعد ان يكون اسمع الله جل جلاله اولياؤه كلامه

بغير سفير تشريفا عاليا يختص به اولياؤه ولا يكلم هو^(١) لاء الكفرة والفساق "

٢- ادلة ذلك من السنة النبوية

=====

ومما جاء في السنة النبوية في ذلك ما ورد عن ابي هريرة رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر

اليهم رجل حلف على سلعة لقد اعطى بها اكثر مما اعطى وهو كاذب

ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرىء مسلم

ورجل منع فضل ما^٢ فيقول الله يوم القيامة اليوم امنعك فضلى كما منعت

فضل ما لم تعمل يداك " (٢)

وأخرج مسلم وشيخه من اهل السنن عن ابي ذر عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم

ولا يزكهم ولهم عذاب اليم قال فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلاث مرات ، قال أبو ذر خابو وخسروا من هم يارسول الله قال : المسبل

والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب " (٣)

(١) التفسير الكبير ٨ / ١٠٥ .

(٢) صحيح البخارى ١٣ / ٤٢٣ .

(٣) رواه مسلم ١ / ٣٠٣ وابن ماجه ٢ / ٧٤٥ . والترمذى : ٣ / ٥٠٧ .

والنسائى ٥ / ٨١ ، ٧ / ٢٤٥ .

وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم
الله يوم القيامة ولا يذكىهم قال ابو معاوية ولا ينظر اليهم ولهم عذاب
اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر " (١)

وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يكلمهم
الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يذكىهم ولهم عذاب اليم رجل علسى
فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا بسلمة
بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك
ورجل بايع اماما لا يبايعه الا لدنيا فان أعطاه منها وفى وان لم يعطه
منها لم يف " (٢)

(١) مسلم ٣٠٤/١ ، وبنحوه عند النسائي ٥/٨٦٠ .

(٢) أخرجه مسلم ٣٠٤/١ وابن ماجه ٢/٧٤٤ ، والنسائي ٧/٢٤٧ .

الجمع بين ماورد من اثبات عدم كلام الله تعالى لبعض خلقه وبين ماورد من ثبوت ذلك على انه قد جاءت آيات أخرى تفيد ان الله تعالى يكلم سائر الخلق بما فيهم ايضا بعض اعدائه فقال تعالى (ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤنم من الانس ربنا استمتع ببعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم ^(١)) وقال تعالى (مخبرا عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة يناديهم

^(٢) فيقول) ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون قال

الذين حق عليهم القول ربنا هو^٥ لا^٤ الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ، وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وروا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانبا^٥ يومئذ فهم لا يتساءلون^(٣))

وقال تعالى (ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله

وضل عنهم ما كانوا يفترون) (٤)

(١) سورة الانعام : آية : ١٢٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٩٧ .

(٣) سورة القصص : آية : ٦٢ - ٦٦ .

(٤) سورة القصص : آية : ٧٤ .

وفى هذا يقول ابن خزيمة : " ان الله جل وعلا يكلم الكافر والمنافق يوم القيامة تقريرا وتوبيخا ، وذكر اقرار الكافر فى ذلك الوقت بكفره فى الدنيا وهو اقراره انه لم يكن ينتظر فى الدنيا انه ملاق ربه يوم القيامة فمن كان غير مؤمن فى الدنيا غير مصدق بأنه ملاق ربه يوم القيامة فكافر غير مؤمن وذكر دعوى المنافق فى ذلك الوقت انه كان مؤمنا بربه عز وجل ونبيه وبكتابه صائما ومصليا مؤكدا فى الدنيا ، وانطاق الله عز وجل فخذ المنافق ولحمه وعظامه بما كان يعمل فى الدنيا تكذيبا لدعواه بلسانه " (١)

ثم اورد حديث ابى هريرة حين سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رؤية ربهم فاجابهم بقوله (هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر) الحديث وحديث ابى سعيد الخدرى والأحاديث الأخرى الواردة فى اثبات رؤية الله تعالى وكلامه لعباده ، .
وبهذا يتضح الجواب عما ظاهره التعارض فيما ورد من الآيات والأحاديث، والخلاصة ان يقال ان كلام الله تعالى محمول على من ارتضى مسن عباده وعدم كلامه محمول على من غضب عليه من عباده .
أو ان كلام الله تعالى يوم القيامة يكون فى مكان دون مكان وعدم كلامه يكون فى مكان دون مكان ايضا .

أو يحمل كلام الله تعالى للكافرين على أنه للتوبيخ والتفريع وعدم
الرضى وعدم كلامه لهم يحمل على سبيل الرضى والرحمة .

*** الفصل الرابع ***

مممم

- (بيان اقوال ائمة المذاهب في كلام الله تعالى) -

ذكرنا فيما مضى ان الله تبارك وتعالى متكلم وموصوف بالكلام وأثبتنا ذلك بما اورده من الآيات والأحاديث التي تدل على ان الله تعالى متصف بهذه الصفة .

وغرضنا الآن ان نذكر اراء ائمة الفرق الاسلامية في هذا الموضوع وهم :

١- المذهب الأول : وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهم اصحاب
=====

القول الحق الذين قالوا ان الله تعالى يتكلم متى شاء وان الكلام صفة من صفاته وهي صفة مدح له جل وعلا تمدح بها كثيرا في كتابه الكريم وعلى السنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما سبق .

ومن كلامه القرآن الكريم منه بدأ (١) واليه يعود (٢) تكلم به سبحانه غير منفصل عنه ولا مخلوق في شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى ولا يشبهه

كلام المخلوقين ، تكلم به بكلام لا يعرف كيفيته الا هو جل وعلا .

" وانه تعالى لم يزل متكلمًا اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء ، وهو يتكلم

به بصوت يسمع وان نوع الكلام قديم وان لم يكن الصوت المعين قديماً^(٣)

~~وهو معنى قول السلف - بعد ظهور كلام أهل البدع - قديم النوع أي~~

(١) أي هو الذي تكلم به .

(٢) أي في يوم القيامة .

(٣) شرح الطحاوية ص: ١٨٠ .

ان اتصاف الله به قديم حادث الأحاد أى متجدده فى القضايا التى ينزل فيها ، وهذا القول هو الذى توينده النصوص من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم واقوال علماء الاسلام وتوينده العقول السليمة والفطر المستقيمة التى لم تصبها شكوك المشككين ولا شبه المبطلين .

وفىما يلى نذكر بعض نصوص السلف وآراء علماء الاسلام فى اثبات ما تقدم لابرار ما سار عليه السلف الصالح بالنسبة لاعتقاد هذا الأمر .
قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - فى معرض بيانه لآراء الناس فى صفة كلام الله تعالى :

" القول السادس: قول الجمهور وأهل الحديث وائمهم ان الله تعالى

لم يزل متكلماً اذا شاء وانه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار والقسرآن وغيره من الكتب الالهية كلام الله تكلم الله بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقاً ، ولا يقولون انه صار متكلماً بعد ان لم يكن متكلماً ، ولا ان كلام الله تعالى من حيث هو هو حادث بل مازال متكلماً اذا شاء (١)

وان كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته فكلامه لا ينفد كما قال تعالى :

(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد

كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) (٢)

(١) أى لم يسبق على الله عدم الكلام ثم ما حدث له الكلام بعد ذلك :

فتكلم بل الله متصف بالكلام على الدوام .

(٢) سورة الكهف : آية : ١٠٩ .

ويقولون : ما جاءت به النصوص النبوية الصحيحة ودلت عليه العقول الزكية الصريحة فلا ينفون عن الله تعالى صفات الكمال سبحانه وتعالى فيجعلونه كالجمادات التي لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر فلا تكلم عابديها ولا تهديهم سبيلا ولا ترجع اليهم قولا ولا تملك لهم ضرا ولا نفعا . " (١)

وقال ايضا في بيان مذهب السلف :

" واما السلف والائمة فقالوا ان الله يتكلم بمشيئته وقدرته وان كان مع ذلك قديم النوع - بمعنى انه لم يزل متكلما اذا شاء فان الكلام صفة كمال ومن يتكلم اكمل ممن لا يتكلم ومن يتكلم بمشيئته وقدرته اكمل ممن لا يكون متكلمًا بمشيئته وقدرته ومن لا يزال متكلمًا بمشيئته وقدرته اكمل ممن يكون الكلام ممكنا له بعد أن يكون ممتنعا منه " (٢)

وقال العلامة الطحاوي في اثبات كلام الله تعالى ومنه القرآن الكريم :

" القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا وانزله على رسوله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا وابقنوا انه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم انه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه واوعده بسقر لمن قال (٣) (ان هذا الا قول البشر) (٤) علمنا وابقنا انه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر "

(١) مجموع الفتاوى ١٢ / ١٧٣ .

(٢) المصدر السابق ١٢ / ٣٧٢ .

(٣) يشير الى قصة الوليد بن المغيرة المخزومي احد رؤساء قريش . انظر :

تفسير ابن كثير ج : ص : ٤٤٢ / ٤٤٣ وغيره من كتب التفسير عند شرح هذه الآية الكريمة .

(٤) سورة المدثر : آية : ٢٥ .

وقال ابن أبي الصز رحمه الله في تعليقه على قول الطحاوي السابق :
" هذه قاعدة شريفة وأصل كبير من اصول الدين ضل فيه طوائف كثيرة من
الناس وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه
الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما وشهدت به الفطرة السليمة التي لم
تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة " (١)

وقال الهراس عن صفة كلام الله تعالى وحدوثه حينما يريد الله ذلك :
" وقال سلف هذه الأمة ان كلامه تعالى صفة فعل يتكلم بها متى شاء
وكيف شاء وان كلامه حروف واصوات يسمعها من يشاء من خلقه وان صوته
سبحانه بالكلام ليس كصوت المخلوقين وان كلامه بالفعل حادث لانه متعلق
بمشيئته واختياره " (٢)

ويقول السلطان في بيان الايمان بصفة الكلام لله :

يقول " هو الاعتقاد الجازم بأن الله متكلم بكلام (قد يم النوع حادث الاحاد)

وانه لم يزل يتكلم بحرف وصوت بكلام يسمعه من شاء من خلقه ، سمعه موسى
عليه السلام من غير واسطة ومن اذن له من ملائكته ورسله وانه سبحانه يكلم
المؤمنين في الآخرة ويكلمونه " (٣)

(١) شرح الطحاوية ص: ١٧٩ .

(٢) توحيد ابن خزيمة ص: ١٣٨ .

(٣) مختصر الاسئلة والاجوبة على العقيدة الواسطية ص: ٩٣ .

وقال العتصمى :

" العقول الفطرية قاضية بأن لله تعالى الكمال المطلق والقدرة التامة وأنه متى شاء أن يتكلم الكلام الحقيقي المعروف بعبارة وحرف وصوت تكلم كيف شاء ثم جاءت كتب الله تعالى ورسله باثبات انه سبحانه تكلم ويتكلم وكلم ويتكلم وقال ويقول ونادى وينادى وان القرآن هذا المعروف كلام الله على الحقيقة الحقة " (١)

وقال الايجى: " المقصد السابع فى انه تعالى متكلم ، والدليل عليه اجماع الانبياء عليهم السلام تواتر انهم كانوا يشبثون له الكلام " (٢)

ويقول الالوسى فى اثبات كلام الله تعالى - ومنه كلامه عز وجل لموسى عليه

السلام: " الذى انتهى اليه كلام ائمة الدين كالماتريدى والاشعرى وغيرهما

من المحققين ان موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بحرف وصوت كما

تدل عليه النصوص التى بلغت فى الكثرة مبلغا لا ينبغى معه تأويل ولا يناسب

فى مقابلته قال وقيل (٣) "

ثم قال عن معنى ما ورد فى القرآن من ان الله ينادى بصوت يسمع قال :

" واللائق بمقتضى اللغة والأحاديث ان يفسر النداء بالصوت بل قد ورد

اثبات الصوت لله تعالى شأنه فى أحاديث لا تحصى واخبار لا تستقصى (٤)

(١) القائد الى تصحيح العقائد ص: ١٨٩ .

(٢) المواقف ص: ٢٩٣ .

(٣) روح المعانى ١/ ١٥٠ .

(٤) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة

٢) أما مذهب الاشاعرة وهو في الاصل مذهب عبد الله بن كلاب ثم سار عليه الأشعري ومن اتبعه فانهم يثبتون صفة الكلام لله تعالى لكنهم يقولون ان كلامه تعالى معنى نفسه قديم لا بصوت ولا حرف قائم بذاته سبحانه (١) وتعالى لازم له لزوم الحياة ولا يوصف بالكثرة وهو معسني واحد لا يتقسم ولا يتعض ولا يتعدد ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرية كان تورا وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وانه لا يتعلق بمشيئته وقدرته (٢) وانما يتقسم بحسب التعلق فان تعلق بالفعل على جهة الطلب كان امرا وان تعلق به على جهة طلب الترك كان نهيا وهكذا .

وقالوا ان ما جاء في القرآن الكريم من الالفاظ والحروف التي في المصحف فهي مخلوقة (٣) وهي عبارة أو دلالة على كلام الله النفسى القديم قال الایجی: " تنبيه: كلامه واحد عندنا لما مرفى القدرة وانقسامه الى الأمر والنهى والاستفهام والخبر والنداء بحسب التعلق " (٤)

وقال الاستاذ ابودقيقة في تقريره وبيان مذهب الاشاعرة " مذهب الاشاعرة هو ان لله كلاما نفسيا ليس بحرف ولا صوت قائما بذاته تعالى "

وقال أيضا: " وقالت الاشاعرة كلام الله تعالى صفة ازلية قائمة بذاته تعالى

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٢ / ١٧٨ .

(٢) انظر: مختصر الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية ص: ٩٩ .

(٣) المصدر السابق ص: ٩٩ .

(٤) المواقف ص: ٢٩٥ .

ليست بحرف ولا صوت منزهة عن التقدم والتأخر ولوازم الكلام اللفظي
ومنزهة عن السكوت النفسى وعن الآفة الباطنية والسكوت النفسى عسى
ارادة الكلام مع القدرة عليه والآفة الباطنية حالة تمنعه عن الكلام وتصلب
منه القدرة عليه كالخرس وكلام الله بهذا المعنى يسمى كلاما نفسيا ويدل
عليه الكلام اللفظى دلالة التزامية عرفا فان من اضيف له كلام لفظ يدل عرفا
على ان له كلاما نفسيا وقد أضيف لله تعالى كلام لفظى كالقرآن فيدل التزاما
عرفا على كلام نفسى لله تعالى .

أما المدلول الوضعى للقرآن المقروء المفوظ به فبعضه حادث كطلب اقامة

الصلاة وبعضه قديم كوحداية الله تعالى " (١)

وفى بيان الفرق بين القرآن بمعنى الكلام النفسى وبين القرآن بمعنى
اللفظ المقروء يقول البيجورى :

" ومذهب أهل السنة (٢) ان القرآن بمعنى الكلام النفسى ليس بمخلوق

واما القرآن بمعنى اللفظ الذى نقروه فهو مخلوق " قال :

" لكن يمتنع أن يقال القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذى نقروه الا نرى

مقام التعليم لانه ربما اوهم ان القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق " (٣)

وقال : " ولما كان الاكثر اطلاق القرآن على اللفظ المقروء دفع توهم ذلك
بتفسيره بكلامه تعالى فالقرآن يطلق على كل من النفسى واللفظى والاكثر

(١) القول السديد فى علم التوحيد ص: ١٢٨ .

(٢) معنى الاشاعة .

(٣) شرح جوهرة التوحيد ص: ٩٤ .

والأكثر اطلاقه على اللفظي واما كلام الله فيطلق ايضا على كل من النفسى واللفظي

والأكثر اطلاقه على النفسى " (١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى تقريره لمذهب ابن كلاب ، والأشعري ومن

تبصهم انهم يقولون ؛ " ان كلام الله معنى قائم بذاته الله ، هو الأمر بكل

مأمور امر الله به والخبر عن كل مخبر اخبر الله عنه ان عبر عنه بالعربية كان

قرآنا وان عبر عنه بالعبرية كان تورا وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا .

والأمر والنهى والخبر ليست انواعا له ينقسم الكلام اليها وانما كلها صفات

له اضافة كما يوصف الشخص الواحد بأنه ابن لزيد وعم لعمر وخال لبكر" .

وقد اختلف اصحاب هذا القول الى فرق :

١- منهم من يقول انه معنى واحد فى الأزل وانه فى الأزل امر ونهى

وخبر كما يقوله الأشعري .

٢- ومنهم من قال : بل يصير امر ونهى عند وجود المأمور والمنهى .

٣- ومنهم من يقول هو عدة معان الأمر والنهى والخبر والاستخبار " (٢)

وقال الهراس عن مذهب الأشعرية :

وقالت الكلابية والاشعرية ان كلامه معان تديمة قائمة بذاته ليست بحسب صرف

ولا صوت وابتدعوا الكلام النفسى " (٣)

(١) شرح جوهرة التوحيد : ص: ٩٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٢ / ١٦٥ .

(٣) توحيد ابن خزيمة ص: ١٣٨ .

أما أدلة الاشاعة لمذهبهم بأن كلام الله معنى نفسى فهى بايجاز:

١- ان المتكلم اما ان يكون معناه من قام به الكلام ، واما ان يكون معناه
=====

من اوجد الكلام ولايحتتمل لفظ متكلم معنى ثالثا " .

وفهر جائزان يراد بالمتكلم المعنى الثانى اذ لو جاز ذلك لوصف الله تعالى

بأنه مصوت لأنه موجد الاصوات ولجاز كذلك أن يوصف حركة الاجسام الجامدة

عند تحركها بأنها متحركة .

وحيث انه قد اتفقت كلمة المعتزلة والاشاعة على أن الكلام اللفظى حادث

وعلى ان الحادث لايقوم بذاته تعالى فيتعين أن يكون الكلام القائم بذات

البارى المدلول للمتكلم ليس حادثا فيكون قديما وليس لنا الا كلام لفظى

وكلام نفسى فاذا انتفى قيام الأول وهو اللفظى بذات البارى لحدوثه

تصين قيام الثانى بذاته تعالى وهو النفسى "

٢- الدليل الثانى : المتكلم بصيغة امر مثل قوله تعلم العلم او نهى مشى

=====

قوله لا تكسل او ندا " مثل قوله يا محمد أو اخبار مثل قوله اجتهد محمدا

فنجح بجهد فى نفسه قبل النطق معانى ثم يعبر عنها بالالفاظ التى نسميها

كلاما لفظيا أو حسيا " .

الدليل الثالث : انه شاع وذاع بين أهل اللسان اطلاق اسم الكلام والقول على

=====

المعنى القائم بالنفس فيقولون فى نفسى كلام وقال سيدنا عمر كنت زورت فى

نفسى مقالة" وقال الأخطل :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما . . . جعل اللسان على الفؤاد دليلا

الدليل الرابع :
=====

قول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كلام الله غير مخلوق (ووجه الاستدلال به انه اخبر عن القرآن بأنه كلام الله ووصفه بانه غير مخلوق ولا يكون الكلام غير مخلوق الا اذا كان كلاماً نفسياً " (١)

والواقع ان السلف لم يوافقوا الا شاعرة على ان كلام الله تعالى هو " الكلام النفسى " أى هو كونه محان قائمة بنفسه عز وجل ليست بحرف ولا صوت. ولا نريد التطويل فى مسألة حقيقة الكلام بل هو المعانى القائمة بالنفس وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً ان حقيقة الكلام هو ما يسمع من المتكلم اما مباشرة او من وراء حجاب .

وقد اعتبر السلف ان عدم اطلاق الكلام الحقيقى على الله تعالى والقول بأن كلام الله هو معنى نفسى من العيب الذى يتنزه الله عنه كما ذكر الامام الدارمى (٢) لأن هذه الحال تشبه حال الأعرس الذى يريد أن يحبر عن ما فى نفسه فلا يستطيع التكلم فاذا كانت هذه الحال نقصاً نفسى المخلوق فكيف الحال بالخالق الذى له الكمال المطلق فى كل شئ بل ذهب بعض العلماء فى رده على القائلين بحمل كلام الله على أنه كلام نفسى ليس بعباراة ولا حرف ولا صوت نوع من التلبيس على الناس (٣) ذلك انه

(١) انظر: القول السديد ص: ١٣٠ - ١٣٤ .

(٢) تقدم فى أول الباب .

(٣) انظر: القائد الى تصحيح العقائد ص: ١٨٩ .

لا يقال لمن قام به الكلام النفسانى ولم يتكلم به ان هذا كلام حقيقة
والا للزم ان يكون الاخرس متكلماً ولزم أن لا يكون الذى فى المصحف عند
الاطلاق هو القرآن ولا كلام الله ولكن عبارة عنه ليست هى كلام الله
كما لو اشار أخرس الى شخص باشارة فهم بها مقصوده فكتب ذلك الشخص
عبارة عن المعنى الذى اوجاه اليه ذلك الأخرس ، فالمكتوب هو عبارة
ذلك الشخص عن ذلك المعنى ، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة
لما يقولونه وان كان الله تعالى لا يسميه احد أخرس ، لكن عندهم ان
الملك فهم منه معنى قائما بنفسه لم يسمع منه حرفا ولا صوتا بل فهم معنى
مجردا ثم عبر عنه ، فهو الذى احدث نظم القرآن وتأليفه العربى وان الله
خلق فى بعض الاجسام كالمهوى الذى هو دون الملك هذه العبارة " (١)
كذلك فان مما يبطل القول بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس ماورد فى
السنة النبوية من عدم اعتبار حديث النفس كلاما فأخبر صلى الله عليه وسلم
فى نصوص كثيرة انه لا يتعلق بحديث النفس حكم شرعى الا بعد التكلم .
ومن تلك النصوص ما جاء :

١- عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (ان الله تجاوز

لأمتى عما وسوست أو حدثت به مالم تعمل به او تتكلم) (٢)

٢- وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من

كلام الناس) الحديث (٣)

(١) شرح الطحاوية ص: ١٩٧ .

(٢) أخرجه البخارى ٥٤٩/١١ ، ومسلم ١١٦/١ .

(٣) أخرجه مسلم ١٧١/٢ .

٣- وقوله صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل يحدث من امره ما يشاء

وانه قد أحدث من امره ان لا يتكلم فى الصلاة) (١)

كلاما

فهذه النصوص ظاهرة الدلالة انه لا يسمى الكلام الا اذا نطق به الانسان

وأما اذا لم ينطق به فانه لا يسمى كلاما فلم يترتب عليه شيء .

ويقال لمن قال انه معنى واحد :

١- " هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى او بعضه ؟ فان قسما

سمعه كله فقد زعم انه سمع جميع كلام الله وفساد هذا ظاهر (٢) ، وان قال

بعضه فقد قال يتبعض ، وكذلك كل من كلمه الله أو انزل اليه شيئا من

كلامه .

٢- ولما قال تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة (٣) ولما قال لهم :

(اسجدوا لآدم) وأمثال ذلك ، هل هذا جميع كلامه او بعضه ؟ فان قال

انه جميعه فهذا مكابرة ، وان قال بعضه فقد اعترف بتعددده " (٤)

ثم أن القول بأن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى وان المتلسمو

المحفوظ المكتوب المسموع من القارىء حكاية كلام الله تعالى وهو مخلوق قول

بخلق القرآن ومن قال ذلك فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر .

فان الله يقول (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا

القرآن لا يأتون بمثله) (٥)

(١) أخرجه النسائى ٩/٣ عن ابن مسعود .

(٢) قال الله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان

تنفد كلمات ربي) (٣) سورة البقرة : آية : ٣٠ .

(٤) شرح الطحاوية ص : ١٩٧ . (٥) سورة الانشراء : آية : ٨٨ .

أفتراه سبحانه وتعالى يشير الى ما فى نفسه او الى المتلو المسموع ؟
ولاشك ان الاشارة انما هى الى هذا المتلو المسموع اذ ما فى ذات الله
غير مشار اليه ولا منزل ولا متلو ولا مسموع وقوله (لا يأتون بمثله) أفتراه
سبحانه يقول ؛ لا يأتون بمثل ما فى نفسى مما لم يسمعه ولم يعرفوه وما فى
نفس الله عز وجل لا حيلة الى الوصول اليه ولا الى الوقوف عليه " (١)

هذا ما يتعلق بمذهب الأشاعرة .

... * * * * *

فهو: القول بأن الله تعالى غير متكلم حقيقة وان كلامه مخلوق منفصل عنه وما ورد من وصفه تعالى بأنه متكلم فهو بمعنى خالق الكلام ولهذا فهم يقولون ان المتكلم هو من اوجد الكلام في غيره لا من قام به الكلام وفساد هذا لا يخفى ، ومن آرائهم أن ما جاء من كلام الله تعالى : فانه عروف وأصوات يخلقها في غيره جل وعلا اما في جبريل واما في الشجرة كما حصل لموسى او الهوا أو أى شىء آخر .

وان القرآن الكريم ليس كلامه ولا منه بدأ بل خلقه الله في غيره واضيف اليه سبحانه وتعالى اضافة تشريف كما تضاف اليه الاعيان مثل بيت اللسنة وناقته الله فساووا بين اضافة الاعيان الى الله كبيت الله وناقته الله وبيوت اضافة المعانى التى اتصف الله بها كعلم الله وقدرة الله وعزته وجلاله وكلامه وحياته وعلوه وما الى ذلك من صفات المعانى التى لا يمكن أن يستقيم القول فيها بأنها مخلوقة لله جل وعلا .

قال شيخ الاسلام فى معرض بيانه لأقوال أهل القبلة فى مسألة كلام الله تعالى :

" والقول الثانى : قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون كلام الله مخلوق يخلقه فى بعض الاجسام فمن ذلك الجسم ابتداء لا من الله ولا يقوم عندهم بالله كلام ولا ارادة وأول هو " لا الجعد بن درهم الذى ضحى به خالد بن عبد الله القسرى لما خطب الناس يوم عيد النحر وقال ضحوا تقبل الله ضحاياكم فانى مضى بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم

خليلًا ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل
فذبحمه " (١)

وهذا هو ما صرح به القاضي عهد الجبار حين قال : " واما مذهبنا فمضى
ذلك فهو ان القرآن كلام الله تعالى ووحيه وهو مخلوق محدث " (٢)
وقد اتفقت الفرق على ان الله تعالى متصرف بصفة الكلام ثم اختلفوا بعد ذلك
اختلفا كثيراً وهذا ما عناه الهراير رحمه الله بقوله :

" اتفق القوم على انه تعالى متكلم ولكنهم اختلفوا فقالت المعتزلة معنى

كونه متكلماً انه خالئ للكلام في غيره فخالقوا اللغة والمقل " (٣)

ثم ذكر رأى الكلابية والأشعرية وسلف هذه الامة والذي يعيننا هنا ببيان
رأى المعتزلة وقد اوضح هذه المسألة ايضاً الاستاذ ابو دقيقة في بيانه
لفهوم الكلام عند الفرق في قوله : " فقالت المعتزلة انه حادث وقائم
بخير ذاته تعالى ومعنى كونه متكلماً انه موجود لذلك الكلام المؤلف من
الكلمات المرتبة في اجسام مخصوصة مثل اللوح المحفوظ " (٤)

(١) مجموع الفتاوى ١٦٣ / ١٢٠

(٢) شرح الاصول الخمسة ص : ٥٢٨

(٣) توحيد ابن خزيمة ص : ١٣٨

(٤) القول السديد في علم التوحيد ص : ١٢٢

((شبه الممتزلة في تفهيم لكلام الله تعالى))

ذهب الممتزلة في تفهيم لفظة الكلام الى شبه اختلقوها من وحى عقولهم
وجعلوها في مقابل النصوص الصحيحة الصريحة الدالة على اثبات ان الله
يتكلم ويقول متى شاء ، ولما كان الفرض هو اثبات ان الله تعالى يتكلم ويقول
كان البحث في حقيقة القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق — وهى المسألة
العظيمة التى شغلت اذهان الناس ردحا من الزمن — مما لا يتطلب المتام
بسط الكلام فيه ولكننا سنأخذ بعض الامثلة التى استند اليها الممتزلة
لنفى الكلام عن الله وبالتالى القول بخلق القرآن فمن ذلك وهـ

(١) غاية شبهتهم انهم يقولون : يلزم منه التشبيه والتجسيم " (١)

٢— تمسكوا بأدلة سمعية مثل قوله تعالى (الله خالق كل شىء) (٢)

والقرآن شىء فيكون داخل فى عموم " كل " فيكون مخلوقا .

٣— قوله تعالى فى شأن وحيمه الى نبيه موسى عليه السلام " فلما اتاها

نودى من شاطىء الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة " (٣)

باعتبار ان الله خلق الكلام فى الشجرة فكلمت موسى وليس الله هو المتكلم .

وقال القاضى عبد الجبار فى تقرير مذهبهم فى نفى الكلام عن الله تعالى .

واثبات ان القرآن محدث مخلوق قال : " وقد دل الله على ذلك — يصنى

ان القرآن محدث — فى محكم كتابه فقال " لوما يأتيهم من ذكر من ربهم

محدث " الانبياء : ٢٠ .

(١) شرح الطحاوية ص : ١٨١ .

(٢) سورة الرعد : آية : ١٨ . (٣) سورة القصص : آية : ٣٠ .

والذكر هو القرآن بدليل قوله : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (١)
الى غير ذلك من الآيات التي يستدل بها المعتزلة على هذه المسألة التي
ابتلى بها المسلمون وفرقتهم ردها من الزمن .

..... *.....

﴿الرد على المعتزلة في تفهيم الكلام عن الله تعالى﴾

لقد عرف كل انسان سايم الحقل أن التكلم صفة محمودة فاذا انضاف اليه

الفصاحة وقوة البيان كان اكمل واعظم .

وان من اتصف بعدم القدرة على الكلام اما لخرس ونحوه كان اقل ممن لسم

يتصف بذلك واذا تأملنا كذلك الديموس التي جاءت في كتاب الله وسنة نبيه

صلى الله عليه وسلم وجدنا انها تؤيد مذهب السلف تمام التأييد وذلك

ان صفة التكلم من صفات الكمال .

وقد عاب الله تعالى قوم موسى بعبادتهم عجلا جسدا له خوار لا يستطيع

أن يكلمهم ولا يهديهم سبيلا فقال تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده من

حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) (١)

فأخبر تعالى ان عدم التكلم نقص يستدل به على عدم الوعوية للعجل .

قال ابن ابي العز :

" فكان عباد العجل مع كفرهم اعرف بالله من المعتزلة فانهم لسم

يقولوا لموسى وربك لا يتكلم أيضا " (٢)

وللجواب عن شبهتهم يقال :

١- ان ما ذهبوا اليه من ان اثبات الكلام لله تعالى يلزم منه التشبيه

والتجسيم حجة باطلة لانها أولا في مقابلة الديموس .

(١) سورة الأعراف : آية : ١٤٧ .

(٢) شرح الطحاوية ص : ١٨١ .

وثانياً : لا بها حجة مفترضة ذلك انه لا يلزم من اثبات الكلام لله تعالى

على صفة تليق بجلاله ان يكون كلامه مشابهاً لكلام خلقه .

وثالثاً : انه لا يلزم من صدور الكلام ان يكون بفم ولسان وشفنتين وصدان هذا

في قوله تعالى (اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم)

وقوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي

انطق كل شيء) (٢)

فاخبر تعالى ان هذه الاعضاء تتكلم ونحن نؤمن بذلك لكن كيفية تكلمها

هو الذي لا نعلمه .

ونؤمن كذلك بما جاء من تسبيح الحصا والطعام وسلام الحجر على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما جاء من كلام بعض الجمادات دون ان يتوقف

ذلك على الفم واللسان والشفنتين ومخارج الحروف وما الى ذلك من الأسباب

الحادية .

قال الشيخ / عبدالرحمن بن يحيى المعلمي الحنفي : -

" وقد اخبر الله تعالى ان الجمادات قد تتكلم كلاماً حقيقياً وان اعضاء الانسان

تتلفظ يوم القيامة فتشهد عليه واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يسمع

تسليم الحجر والشجر عليه واسمع اصحابه تسبيح الحصا فكان من المعلوم

عند الناس ان التكلم بالعبارة والحرف والصوت ليس موقوفاً على الآلات التي يتكلم

(١) سورة يس : آية : ٦٥ .

(٢) سورة السجده : آية : ٢١ .

بها الانسان بل قد يتكلم المخلوق بخيرها فكيف الخالق عزوجل فلم يلزم
من تكلم الله عزوجل أن يكون له جوف أو غير ذلك مما هو منزه عنه " (١)
٢- اما استدلالهم بقوله تعالى (الله خالق كل شيء) على أن القرآن
مخلوق وليس بكلام الله فلا شك انها حجة باطلة وقد تناقضوا فيها مسيح
انفسهم وخلطوا بين صدور الخلق والامر من الله وذلك ان من ذهب
المحتزلة " ان افعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى وانما
يخلقها العباد جميعها لا يخلقها الله ، فاخرجوها من عموم كل ، وادخلوا
كلام الله في عمومها مع انه صفة من صفاته به تكون الأشياء اذ بأمره تكون
المخلوقات قال تعالى : (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق
والأمر) (٢)

ففرق بين الخلق والأمر فلو كان الامر مخلوقا للزم ان يكون مخلوقا بأمر آخر
والآخر بأخر الى ما لا نهاية له فيلزم التسلسل وهو باطل .
وطرد باطلهم ان تكون جميع صفاته تعالى مخلوقه كالعلم والقدرة وغيرهما
وذلك صريح الكفر فان علمه شيء وقدرته شيء وحياته شيء فيدخل ذلك في
عموم كل فيكون مخلوقا بحد أن لم يكن تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا " (٣)
أما دعواهم ان " كل " لفظة تفيد عموم جميع الموجودات لقوله تعالى (الله خالق كل شيء) والقرآن شيء فيدخل في عموم المخلوقات فيكون

(١) القائد الى تصحيح العقائد ص : ١٨٩ .

(٢) سورة الاعراف : آية : ٥٢ .

(٣) شرح الطحاوية ص : ١٨٢ .

مخلوقا وليس كلاما لله تعالى فان بطلان هذه الدعوى واضح وذلك
ان الله تعالى قد اخبرنا بأمر فيها هذه الاداة وعلم منها انها لا تفيد
عموم جميع الأشياء التي ذكرت فيها •
ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى:

١- (تدمر كل شيء * بأمر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكينهم) (١)

٢- (وأوتيت من كل شيء *) (٢)

وليس من عاقل يدعى ان الريح دمرت كل شيء * بالنسبة لهم • وانما هي
دمرت كل شيء * يستحق التدمير بأمر ربها او كل شيء * مما يقبل ان تدمره الريح •
وكذلك قوله تعالى عن بلقيس (وأوتيت من كل شيء *) فليس المراد من هذا
انها اوتيت من كل شيء * على وجه الأرض اذ امتناع ذلك أمر معلوم وانما المراد
انها اوتيت من كل شيء * يصلح للملك ويليق بها ففهم من هذا ان عموم
كل في كل موضع بحسبه ويعرف ذلك بالقرائن
فقوله تعالى (خالق كل شيء *) أي كل شيء * من المخلوقات والموجودات غيره
سبحانه وتعالى وغير صفاته ومنها كلامه تعالى •

(١) سورة الاحقاف : آية : ٢٥ •

(٢) سورة النمل : آية : ٢٣ •

وأما قول المعتزلة بأن الله خلق الكلام في غيره ثم نسب اليه باعتباره خلقه له فقد شذع السلف على المعتزلة في هذا المسلك المموج والذي لم يستند لا الى النص ولا الى العقل ايضاً وذلك أن الله تعالى ينطق ما يشاء بمن مخلوقاته بأصوات تسمع في الجمادات وفي الحيوانات كما عرف ذلك فهـل ذلك النطق هو نطق الله تعالى ؟

وقد اخبر الله بن الجلود انهم قالوا انطقنا الله فلو كان انطق ونطق في معنى واحد لقالوا نطق الله ولما كان ^{فيه} يفرق بين نطق وأنطق وبطلان هذا لا يخفى ولو صح ان يقال ان كل كلام في الوجود هو كلام الله لصح أن يوصف الكلام الكاذب والنور والفحش والبذاءة بأنها كلام الله لأنه هو الذي خلقها تعالى الله عن ذلك .

٣- واما استدلالهم بقوله تعالى (فلما اتاها نودى من شاطىء الوادى الايمن في البقعة المباركة من الشجرة)

بأن القرآن مخلوق وليس كلام الله لأن النداء اما سمعه موسى من الشجرة كما هو ظاهر الآية لا من الله .

فان هذا الاستدلال لما زعموه من نفي الكلام عن الله تعالى باطل وذلك :

١- أن الناس يعرفون من تخاطبهم فيما بينهم ان قول القائل مثلا سمعت الأذان من المسجد أو سمعت كلام زيد من الجبل ونحو ذلك ليس المقصود منه ان المسجد هو الذى رفع الاذان ولا أن الجبل هو المتكلم بل معنى ذلك انى سمعت الاذان من عند المسجد وسمعت كلام زيد من عند الجبل او فى جهة الجبل ومن فهم غير ذلك فهو اما غير مميز لصغره أو فى عقله شىء .

٢- ان الله تعالى حين خاطب موسى قال له (يا موسى انى انا الله
رب العالمين) (١)

فهل يستحل مخلوق لنفسه كائنا ما كان ان يتكلم بمثل هذا الكلام وهسهل
يصل أحد من المخلوقات الى أن يقول انى انا ربك / انى انا الله
رب العالمين / ويكون صادقا فى هذا لا يمكن ذلك أبدا ، ولو امكن ذلك
باعتبار ان الكلام مخلوق لله وقد خلقه فى الشجرة لا يمكن ان يكون قول فرعون
(انا ربكم الأعلى) (٢) صادقا لأن ذلك الكلام من الشجرة ومن فرعون ليس
الا كلام الله خلقه الله فى نيره فكما ان ذاك مخلوق فى الشجرة فهكذا
مخلوق فى فرعون والفرقة بينهما بأن كلام الشجرة خلقه الله وكلام فرعون هو
الذى خلقه من تلقاء نفسه تعريف وتبديل وتفريق لا مستند له ، اضافة
الى ما فيه من اثبات الخلق غير الله تعالى (٣)

وأما قوله تعالى (بها يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) على ان القرآن مخلوق
محدث فهو استدلال غير صحيح .

ذلك أن معنى " محدث " أى منزل من الله تكلم به سبحانه وتعالى شيئا
بعد شىء بحيث ان الله تعالى يحدث فى كل قضية كلاما منه جل وعلا
ليبينها فيكون متجددا فى كل مناسبة ، وهذا هو رأى السلف وما ذكره
أهل التفسير .

(١) سورة القصص : آية : ٣٠ .

(٢) سورة النازعات : آية : ٢٤ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٨٦ - ١٨٧ .

قال الطهرى فى تفسير معنى الآية أى " ما يحدث الله من تنزيل شىء من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظهم الا استمعوه وهم يلعبون " (١)
وقال ابن كثير أى %: " جديد انزاله " (٢)

قال ابن تيمية :-

" فمن قال انه منزل من بحر المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفتر على الله
مكذب لكتاب الله متبع لغير سبيل المؤمنين " (٣) فهو ان ينفى ان يكون
القرآن الكريم كان خطابا من اللوح أو الهواء وما الى ذلك .
وقال ابن تيمية فى رده احتجاج الجهمية والمعتزلة بهذه الآية وما جساها
فى معناها مما استدلوا به على خلو القرآن ونفى كلام الله تعالى فقال :
" وان احتج بقوله (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) قيل له هذه الآية
حجة عليك فانه لما قال (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث علم ان الذكر
منه محدث ومنه ما ليس بمحدث لأن النكرة اذا وصفت ميز بها بين الموصوف
وغيره كما لو قال ما يأتينى من رجل مسلم الا اكرمه وما أكل الا طاماما حلالا
ونحو ذلك ويعلم ان المحدث فى الآية ليس هو المخلوق الذى يتقوله الجهمي
ولكنه الذى أنزل جديدا فان الله كان ينزل القرآن شيئا بعد شىء فالمسئل
أولا هو قديم بالنسبة الى المنزل الآخر وكل ما تقدم على غيره فهو قديم فسي
لغة العرب كما قال " كالمرجون القديم " (٤)

(١) جامع البيان ١٧/٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٧٣/٣ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٢ / ٥٢٠ .

(٤) سورة يمس : آية : ٢٦ .

وقال: (تالله انك لفي ضلالك القديم) (١)

وقال (واذ لم يبهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) (٢)

وقال (افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون) (٣) سورة الشعراء: ٧٦

وقال أيضا مبطلا استدلال الجهمية والمعتزلة بالآية الاخرى (انا جعلناه

قرآنا عربيا) قال :

" وكذلك قوله (جعلناه قرآنا عربيا) لم يقل جعلناه فقط حتى يظن انه

بمعنى خلقتناه ولكن قال (جعلناه قرآنا عربيا) أى صيرناه عربيا لأن اسمه

قد كان قادرا على ان ينزله عجميا) قال " وهذه المسألة من اصول أهل

الايمان والسنة التي فارقوا بها الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ودعوههم^(٤)"

والواقع ان أدلة المعتزلة والاشاعرة على ما ذهبوا اليه فى صفة الكلام غير

مجدية ولهذا فاننا نجد الاستاذ ابو دقيقة حينما استعرض ادلة الفريقين

ادلة الاشاعرة وأدلة المعتزلة على ما قالوه فى صفة كلام الله عقب عليهم

بما يدل على انه لم يطمئن الى قول أى فريق منهما وذلك لامتناع تلك

الادلة عن الفوادح ثم خلع الى القول - تحيا للبيضاوى - بأن التعمق فى

بحث هذه المسألة لا طائل ورائه لعدم تثبتنا من حقيقة ذلك ويكفى فى ذلك

أن نعتقد ان الله تعالى يتكلم فحسب وهذا ما قرره فى قوله الآتى :

(١) سورة يوسف : آية : ١٥ .

(٢) سورة الاحقاف : آية : ١١ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٢ / ٥٢١ .

(٤) المصدر السابق ص : ٥٢١ .

" وانت اذا تأملت في الادلة المذكورة من الجانبين (١) ما عدا الدليل القائل بأن العرف واللغة يساعدان على مدعى كل منهما ترى ان الأدلة من الجانبين لم تسلم من القدرح ولا تصلح لاثبات المدعى على القطع ودعوى ان العسرف واللغة يشهدان للاشعري كما يدعى او للمعتزلي على ما يدعى لا يفيد فان المسألة ليست من المسائل التي يعتمد في اثباتها على ان اللغة كسبذا دون كذا انما المسألة دائرة وراء البرهان والادلة القطعية فمن ساعده البرهان على دعواه فالحق معه " ثم نقل عن القاضي البيضاوي قوله :

" ان الاطناب في مسألة الكلام قليل الجدوى فان كنه ذاته وصفاته محجوب عن العقل "

قال أبو دقيقة : " وحينئذ فيكفي المكلف في الخروج عن العهده ان يعتقد

ان الله تعالى متكلم " (٢)

وخلصة القول فيما سبق ان النصوص صحيحة صريحة في ان الله تبارك وتعالى

متكلم ، وانه يكلم عباده يوم القيامة ويناديهم ويناجيهم وأنه يصح وصفه

بالقول والكلام كلاما حقيقيا بصوت يليق به تعالى وان تأويل ذلك الى معانى

لم تدل عليه النصوص يكون خروجا عن الواجب نحو تقبل النصوص والتسليم بما

جاءت به عن الشارع وليس من طريقتة السلف تلك التأويلات التي يقتحمها

بعض الناس فرارا من اثبات صفة الكلام لله تعالى لئلا يشبهه بخلقه حسب

(١) يعنى المعتزلة والاشاعرة .

(٢) القول السديد ص ١٣٥ - ١٣٦ .

حسب زعمهم فان هذا من الجهل بحقيقة تنزيه الله تعالى .
ذلك ان السلف حينما يقولون ان الله تعالى يتكلم وبصوت يليق به لا يشبهه
اصوات خلقه كما ان ذاته لا تشبه ذوات خلقه لا يلزم من قولهم ذلك نسبة
النفس الى الله تعالى او تشبيهه بخلقه بل ان هذا الاثبات هو ما دللت
عليه النصوص المتكاثرة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مقررا رأى السلف في قضية كلام الله
تعالى .

" ان الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح وليس ذلك
كأصوات العباد لا صوت القارىء ولا غيره وان الله ليس كمثله شيء لا نفسى
ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق
وقدرته وحياته فكذلك لا يشبه كلامه كالمخلوق ولا معانيه تشبه معانيه
ولا حروفه تشبه حروفه ولا صوت الرب يشبه صوت العبد فمن شبه الله بخلقه
فقد العبد فى اسمائه وآياته " (١)

وهذا هو ما قرره البخارى رحمه الله من قبل حيث قال فى كتابه خلق افعال
العباد :

" وان الله عز وجل ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قريب فليس
هذا لغير الله جل ذكره قال ابو عبد الله وفى هذا دليل ان صوت الله
لا يشبه اصوات الخلق لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قريب

وان الملائكة يصعقون من صوته فاذا تنادى الملائكة لم يصعقوا .

وقال عز وجل: ﴿ فلا تحملوا لله اتِّعاباً ﴾ (١)

فليس لصفة الله ند ولا مثل ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين (٢)

فهذا هو رأي السلف وهو القول الحق الذي ينبغى للمسلم ان يعتقد انه وان

يدين الله به دون ان يتوقف في اثبات هذه الصفة لله أو يتأولها ويستسند

المسلك هو الذي يبعد صاحبه عن تناقضات الفرق واختلاف آرائهم .

والله وعده هو الموفق والهادى الى سوا السبيل .

... ***** ...

(١) سورة البقرة: آية: ٢٢ .

(٢) خلق أفعال العباد ص: ٥٩ .

*** مسألة ***
مهمم

بأى لغة يخاطب الله عز وجل الخلق يوم القيامة
=====

هذه المسألة من المسائل التي لا ينبغي تكلف القول فيها وذلك انها مسألة مسكوت عنها فلم يرد فيها نص بوضوح ذلك ولا كانت من المسائل الخلافية بين الصحابة ولهذا فانه يسعنا السكوت عنها فقد يكون الكلام في الموقف بين الله وبين خلقه بلغة واحدة على اختلاف سنتهم حيث يعطيهم الله القدرة على التخاطب بها ويحتمل بعد ذلك ان تكون العربية أو ان تكون السريانية كما قيل أو الفارسية كما أنه يحتمل ان يخاطب الله كل امة بما كانت تتكلم به في الدنيا وكل ذلك مجرد احتمال والله وحده هو الذى يعلم ذلك وقد استراح السلف من الخوض فيها وتولى الخوض فيها الخلف وقد سأل سائل شيخ الاسلام عن ذلك قائلا له :

" بماذا يخاطب الله الناس يوم البحث ؟ وهل يخاطبهم الله تعالى بلسان العربية وهل صح ان لسان أهل النار الفارسية وان لسان أهل الجنة العربية ؟ "

قال : " فأجيبته بعد حمد الله رب العالمين لا يعلم بأى لغة يتكلم الناس يومئذ ولا بأى لغة يسمعون خطاب الرب جل وعلا لأن الله تعالى لم يخبرنا بشئ من ذلك ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يصح ان الفارسية لغة الجهنميين ولا ان العربية لغة أهل النعيم الابدى ولا نعلم نزاعا فى ذلك بين الصحابة رضى الله عنهم بل كلهم يكفون عن ذلك لأن الكلام فى مثل هذا من فضول القول ولكن حدث فى ذلك خلاف بين المتأخرين ، فقال نساء :

يتخاطبون بالعربية ، وقال آخرون الا اهل النار فانهم يجيبون بالفارسية
وهي لغتهم في النار ، وقال آخرون يتخاطبون بالسريانية لانها لغة آدم ومنها
تفرعت اللغات .

وقال آخرون : الا اهل الجنة فانهم يتكلمون بالعربية وكل هذه الأقوال
لا حجة لأربابها لا من طريق عقل ولا نقل بل هي دعاوى عارية عن الأدلة^(١)

..... * * * * *

الباب السادس

((العرض على الله جل وعلا في موقف))

فصل القضاء

ويشتمل على الفصول الآتية :

تمهيد :

الفصل الاول : معنى العرش لثمة ومصطلحا

الفصل الثاني : الادلة على حصول العرض على الله تعالى

١- من القرآن الكريم

٢- من السنة النبوية

الفصل الثالث : بياح دلالة تلك النصوص على كيفية للعرض على الله

١- رأى المثبتين للعرض

٢- رأى المؤولين والرد عليهم

— ((العرض على الله جل وعلا في موقف فصل القضاء)) —

تمهيد: —

ثبت مما سبقت دراسته ان الله تبارك وتعالى ينزل لفصل القضاء بيسن
عماده نزولا يليق بجلاله وعظمته ثم بعد نزوله جل وعلا كما أخبر بذلك
تعرض الخلائق على ربها كيفما يشاء سبحانه وتعالى لأجل حسابهم)
فما احرى بالمؤمن ان يستعد لمثل هذا اليوم ويحذره فيستعد له بالعمل
الصالح ويحاسب نفسه ليزيدها في ذلك العرض الاكبر كما قال عمر رضي الله
عنه " حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا فان
اخف عليكم في الحساب فدا ان تحاسبوا انفسكم اليوم وتزيدوا للعرض الاكبر"^(١)
وقد ثبتت هذه المسألة بضم كتاب الله عز وجل فثبتها كما اثبتها الله تعالى
ونكل كيفيتها اليه عز وجل .

*** الفصل الأول ***
معناه

معاني العرض لغة واصطلاحاً :-

١- معنى العرض في اللغة °

من معاني العرض : الابرار والظهور ، ويقال عرض الجند جعلهم يمررون عليه واحدا واحدا وعرض له من حقه شيئا أعطاه اياه مكان حقه ، وعرض القوم على النار احرقهم بها " (١)

٢- اما معناه في الاصطلاح :

فان المراد بالعرض على الله عند الاطلاق هو بروز الخلاق وعرضهم على ربهم سبحانه وتعالى - في الموقف ، عندما يتجلى تبارك وتعالى لهم لحسابهم وفصل القضاء بينهم ، وهو كذلك عرض اعمال العباد عليهم ، وعرض بعض الاشخاص عليه عرضا خاصا بعد خروجهم من النار ، وهذا المعنى الخاص للعرض الاصطلاحى هو اخص من العرض اللغوى العام كما افادته النصوص الشريفة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وقد قسم الشيخ حافظ الحكيم رحمه الله معاني العرض الى معنيين فقال : العرض له معنيان : معنى عام ، وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم عز وجل بادية له صفحتهم لا تخفى عليه منهم خافية ، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب .

(١) انظر: كتب اللغة مادة عرض المفردات للراغب ص : ٣٣٠ ، اساس البلاغة

ص : ٢٩٨ ومعجم الالفاظ والاعلام القرآنية ص : ٣٢٧ .

والمعنى الثانى : عرض معاصى المؤمنين عليهم وتقريرهم بها وسترها عليهم

ومخفرتها لهم " (١) والمقشود هنا هو

• ذكر عرض الخلائق جميعهم على ربهم

أما العرض الثانى وهو عرض الحساب والمناقشة فانه سيذكر بالتفصيل فى

• مبحث الحساب كما سيأتى

*** • ***

**** الفصل الثاني ****
مهمممم

ـ ((الادلة على حصول العرض على الله)) ـ

١ـ الادلة من القرآن الكريم :

والعرض على الله تعالى هو ما عبرت عنه الايات الكريمة التي تبين حالة

عرض الخلائق على ربهم للحساب والجزاء وهى :-

١ـ قوله تعالى (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) (١)

٢ـ وقوله تعالى (وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة)
(٢)

٣ـ وقوله تعالى (ألك يعرضون على ربهم) (٣)

٤ـ وقوله تعالى (وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا

لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا

الله لهديناكم سواء علينا اجز عنا ام صبرنا مالنا من محيص) (٤)

٥ـ وقوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد

القهار) (٥)

وقوله تعالى (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك

اليوم لله الواحد القهار) (٦)

(١) سورة الحاقة : ١٨ .

(٢) سورة الكهف : ٤٨ .

(٣) سورة هود : ١٨ .

(٤) سورة ابراهيم : ٢١ .

(٥) سورة ابراهيم : ٤٨ .

(٦) سورة غافر : ١٦ .

وقوله تعالى (وترى الأرض بارزة وحشريا هم فلم تضاد منهم أحدا) (١)
ولا شك أن هذا المرض إنما يكون لأجل الحساب والجـزاء.

.....*****.....

(١) سورة فاطر : آية : ٦ ; ٥

— (الأدلة من السنة على وقوع العرض على الله) —

وبعد عرض الأدلة من القرآن الكريم بين الأدلة من السنة النبوية المطهرة على ثبوت عرض الخلائق على ربهم ومن تلك الأدلة ما أخرج الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أما أنكم ستعرضون على ربكم فترويه كما ترون هذا القمر) (١)

وأخرج الترمذى فى جامعہ فى باب ما جاء فى العرض ، وابن ماجه والامام أحمد عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فاما عرضتان فجدال ومماذيب ، وأما العرضة الثالثة : فمعد ذلك تطير الصحف فى الايدي فأخذ بيمنه

وأخذ بشماله " (٢)

(١) صحيح مسلم ٢/٢٧٩٠

(٢) سنن الترمذى ٤/٦١٧ ثم قال الترمذى : قال أبو عيسى ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من ابى هريرة وقد رواه بعضهم عن على الرفاعى عن الحسن عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو عيسى : ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من ابى موسى " سنن ابن ماجه ٢/١٤٢٠ ثم قال محمد فؤاد فى الزوائد رجال الاسناد ثقاة ألا انه منقطع والحسن لم يسمع من ابى موسى قاله على بن المدينى وأبو حاتم وأبو زرعة ، وأخرج الحديث أحمد فى المسند ٤/٤١٤٠

وقد اخرج ابن جرير هذا الحديث عن مجاهد بن موسى قال : ثنا يزيد

قال ثنا سليمان بن حيان عن مروان الاصغر عن ابي وائل عن عبد الله

" قال يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات •

والعرضة الثالثة تطير الصحف في الايدي " (١)

واخرجه كذلك عن قتادة بلفظ " حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال سعيده

قتادة قوله : " يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية " ذكر لنا ان نبي الله

صلى الله عليه وسلم كان يقول يعرض الناس ثلاث عرضات يوم القيامة فاما

عرضتان ففيهما خصومات ومعاذير وجدال واما العرضة الثالثة فتطير الصحف

في الايدي (٢)

قال ابن كثير ان الحديث مرسل • (٣)

وأخرج الامام أحمد عن حكيم بن معاوية عن ابيه قال أتيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقلت ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعي هذه أن

لا أتيتك أرانا عفان وطبق كفيه ، فبالذي بعثك بالحق ما الذي بعثك به

قال الاسلام قال وما الاسلام قال أن يسلم قلبك لله تعالى وان توجه

وجهك الى الله تعالى وتعالى وتصلى الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة

(١) أخرجه ابن جرير ٥٩/٢٩ ، وذكر ابن كثير انه أخرجه البيهقي بسند

حسن عن عبد الله بن مسعود .

(٢) تفسير ابن جرير ٦٠/٢٩

(٣) تفسير ابن كثير ٤١٤/٤

اخوان نضيران لا يقبل الله عزوجل من أحد توبة اشرك بعد اسلامه

قلت: ما حق زوجة احدنا عليه قال تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا
اكتسبت ، ولا تنزب الوجه ولا تنقيح ولا تهجر الا في البيت قال تحشرون
ههنا وأوماً بيده الى نحو الشام مشاة وركبانا وعلى وجوهكم تعرضون على
الله تعالى وعلى أفواهكم الفدام (١)

وأول ما يحرب عن احدكم فخذة وقال ما من مولى يأتى مولى له فيسأله من
فذل عنده فيمنعه الا جعل الله تعالى عليه شجاعا يدهشه قبل القضاء^(٢)
وهذه الاحاديث تدل على حصول عرض العباد على ربهم وقد جاء نسي
عرض اعمال العباد ان المؤمن تعرض أعماله بكل يسر وسهولة دون مناقشة
واستقصاء كما جاء في حديث عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: (من نوقش الحساب عذب قالت قلت اليس يقول الله
تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال ذلك الحرف " (٣)

(١) الفدام هو: ما يشد على فم الابريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي
فيه أى انهم يملعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم فشيء ذلك
بالفدام .

النهاية لابن الاثير ٤٢١ / ٣

(٢) المسند ٣ / ٥

(٣) البخارى ٤٠٠ / ١١ ، وقال الترمذى " هذا حديث حسن رواه ايسوب

أيضا عن ابن ابي مليكة سنن الترمذى ٦١٧ / ٤

وجاء عن صفوان بن محرز قال : كنت آخذ ابني عبد الله بن عمر إذ عرض له رجل قال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة قال : سمعته يقول (ان الله عز وجل يدني المؤمن فيوضح عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له اتعرف ذنبك اذا اتعرف ذنبك كذا ، اتعرف ذنبك كذا حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وانا افقرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين " (١) الآية : هود : ١٨ .

وهذا دليل كذلك على ثبوت عرض الخلائق على ربهم للحساب (٢) وما جاء في العرض الخاص ان اناسا يخرجون من النار فيعرضون على ربهم كما اخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يخرج من النار اربعة فيعرضون على الله فيلتفت أحدهم فيقول أي رب اذا خرجتني منها فلا تعدني فيها فينجيه الله منها (٣)

(١) البخارى ١٦/٥ أحمد ٧٤/٢

(٢) تفسير ابن كثير ٤٤١/٢ فتح القدير ٤٦٠/٢

(٣) صحيح مسلم ٤٥٨/١

**** الفصل الثالث ****
متمم

-- (بيان دلالة تلك النصوص على كيفية العرض على الله) --

أخبر الله عز وجل في كتابه الكريم ان الخلق يعرضون عليه تبارك وتعالى
كيفما يشاء^١ ولم تبيّن النصوص كيفية ذلك الصريح وهل يعرضون صفا واحدا أم صفا
متعددة الذي يهمنا من ذلك هو اثبات العرض على الله كما جاءت بسببه
النصوص .

وهناك من خالف في هذا وأول معنى العرض المذكور الى ما سنذكره :

(١) اما الذين ذهبوا الى القول بالعرض على الله تعالى كما افادته طواهير

النصوص فمن أقوالهم في معنى الآية الاولى (وعرضوا على ربك صفا)

ما قاله ابن جرير في معناها

أى " وعرض الخلق على ربك يا محمد صفا " (١) وقد عبر سبحانه وتعالى عن

هذا الصريح بلفظ الماضي لتحقق وقوعه لا محالة .

وقال ابن كثير :

" يحتتمل أن يكون المراد ان جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفا واحدا

كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن

وقال صوابا) (٢)

ويحتتمل انهم يقومون صفا كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) (٣) الفجر: ٢٢

(١) جامع البيان ٢٥٧/١٥ .

(٢) سورة عم : آية : ٢٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٨٧/٣ .

وفى المنتخب فى تفسير القرآن الكريم أن معنى الآية (ويعرض الناس فى هذا اليوم على الله فى جموع مصفوفة للحساب ويقول الله تعالى : لقد بعثناكم بحد الموت كما أحييناكم أول مرة وجئتمونا فرادى بلا مال ولا بنين وكنتم فى الدنيا تكذبون بالبعث والحساب " (١)

وفى معنى قول الله تعالى (وترى الارض بارزة وحشرناهم " يقول السعدي رحمه الله - " ويحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض فلا يخادرونهم أحدا بل يجمع الأولين والآخرين من بطون الفلوات وفقور البحار ويجمعهم بحد ما تفرقوا ويعيدهم بعدما تمزقوا خلقا جديدا فيعرضون عليه صفا ليستعرضهم وينظر فى أعمالهم ويحكم فيهم بحكمه العدل الذى لا جور فيه ولا ظلم " (٢) وقال محمد محمود حجازى فى تفسيره المسمى " التفسير الواضح " : °

" وعرضوا على ربك صفا واحدا بلا تفون واختلاف وقد شبهوا بالجند حيين ثم يخرضهم للتائد وهم وقوف منتظرون الأمر " (٣)

وزاد الشيخ محمد الامين الشنقيطى فذكر عن بعض العلماء قولهم ان المراد بـ " صفا " أى جميعا " (٤)

(١) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ص : ٤٢٤ تأليف " لجنة القرآن والسنة " مجموعة من العلماء °

(٢) تفسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٢٤ / ٥ المطبعة السلفية °

(٣) التفسير الواضح ٦١ / ١٥ °

(٤) أضواء البيان ١١٣ / ٤ °

وقال الفخر الرازي : " في تفسير الصف وجوه :

أحدها : انه تعرف الخلق كلهم على الله صفا واحدا ظاهريين بحيث لا يحجب

بعضهم بعضا .

وثانيها : لا يبعد ان يكون الخلق صفوفا يقف بعضهم وراء بعض مثل الصنفوف

الحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض ، وعلى هذا التقدير فالمراد

من قوله صفا ، صفوفا كقوله " يخرجكم طفلا " أي أطفالا .

وثالثها : صفا أي قياما ، كما قال تعالى (فاذكروا اسم الله عليها صفوفا ،

غالوا قياما " (١)

وقال الشوكاني في معنى قوله تعالى (يومئذ تعرضون) الآية " أي تعرضون

الحجاب على الله لحسابهم ... ومثله ... وعرضوا على ربك صفا ... وليس ذلك

العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن عالما به وانما هو من الاختيار والتوزيع

بالاعمال " (٢)

ويقول محمد رشيد رضا في معنى الآية ... ألتك يعرضون على ربهم ... يقول : ...

" أي يوم القيامة لحسابتهم وتعرض عليه أعمالهم وأقوالهم) (٣)

ويتضح مما تقدم عرضه من أقوال العلماء أن وقوع العرض على الله أمر واقع على

ضوء ما صرح به المصنف .

(١) التفسير الكبير ١٣٢/٤١ وانظر : فتح التدير ٢٦٢/٣ .

(٢) فتح القدير ٢٨٢/٥ .

(٣) تفسير الطبري : ٥٤/١٢ .

ثم بعد اثبات ذلك وقع الخلاف في صفة العرش وحالة الخلق في عرضهم وهل يعرضون صفا أو غير فوفا والظاهر أن النصوص قابلة لكلا القولين وإن كان بعضهم العلماء قد رجح القول بأنهم يعرضون صفوا مستنديين إلى ما أخرج الحافظ ابن مندة عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (١)

يا ملائكتي اقيموا عبادي صفوا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب" (١)
قال القرطبي في تعليقه على هذا الحديث " قلت هذا الحديث فاية في البيان في تفسير الآية ، ولم يذكره كثير من المفسرين وقد كتبه في كتاب التذكرة ومعه نقلناه والحمد لله " (٢)

وإذا كان المراد بالعرش هو عرش الخلائق على ربه تعالى فإن ما ينهض عن التنبيه إليه أن الخلق يتفاوتون تفاوتاً عظيماً في عرضهم قرباً وبعداً إكراماً واحساناً .

ذلك إن عرض المؤمن على ربه يكون في أحسن حال والطفه بقره الله تعالى بذنوبه ويبسر عليه حساباً ويبستره سبحانه .

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٠٠ / ٥ وعزاه إلى ابن مندة وذكره القرطبي

أيضاً عند تفسيره للآية وعرضوا على ربك صفا . الكهف : ٤٨ .

(٢) تفسير القرطبي ٤١٧ / ١٠ .

أما عرض الكافر على ربه فهذا يكون في اتعس حالة واشقىها يناقشه في الحساب
ويعدد عليه جرائمه على رؤس الاشهاد وتلعنهم الملائكة في حالة عرضهم على
ربهم قائلين لهم " هو هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين (١)

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله :

" فاذا علمت ان الله جل وعلا ذكر في هذه الآية الكريمة - يعرضون - وعرضوا على ربهم
ربك صفا - حالا من احوال عرض الخلائق عليه يوم القيامة - فأعلم أنه بين
في مواضع آخر أشياء أخر من أحوال عرضهم عليه كقوله (يومئذ تعرضون لا تخفى
منكم خافية) وبين في مواضع آخر ما يلاقيه الكفار وما يقال لهم عند ذلك العرض
على ربهم كقوله (ومن أظالم ممن افترى على الله كذبا ألئك يعرضون على ربهم
ويتولوا الشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين

الذين يصدون عن سبيل الله ويبخونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون) (٢)

(سورة هود : آية : ١٨ ، ١٦) •

٢- وأما الذين ذهبوا الى نفي العرض على الله تعالى حقيقة وأولوا ما ورد من

ظواهر النصوص الدالة على صفة العرض الى تأويلات أخرى •

فالامام الرازي يقول في معرض بيانه لمعنى الآية " ألئك يعرضون على ربهم " (٣)

" ثم انه تعالى بين وعيد هؤلاء - يعرضون الكفار - بقوله " ألئك يعرضون على ربهم

ربهم " وما وصفهم بذلك لأنهم مختصون بذلك العرض لأن العرض عام فليس

(١) سورة هود : آية : ١٨ •

(٢) انظر : انشواء البيان ٤ / ١٢٤ •

(٣) سورة هود : آية : ١٨ •

كل العباد كما قال (وعرضوا على ربك صفا) وانما اراد به انهم يعرضون
فيفتضحون بأن يقول الاشهاد عند عرضهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم)
فحصل لهم من الخزي والنكال ما لا مزيد عليه "

وبعد ان ذكر هذا المعنى أورد استشكالا على من يقول باثبات الصلوات
على الله تعالى وهو :-

اذا لم يجز أن يكون الله تعالى في مكان فكيف قال " يعرضون على ربهم "
ثم قال في جوابه عنه " والجواب : انهم يعرضون على الاماكن المعدة
للعساب والسؤال ويجوز أيضا ان يكون ذلك عرضا على من شاء الله مسن
الخلق بأمر الله من الملائكة والانبياء والمؤمنين " (١)

وهذا المعنى لا تفيداه الآية كما هو الظاهر من سياقها وسياق الآيات الأخرى
وكذا أقوال أهل التفسير لأن الله تعالى يقول وعرضوا على ربك *
ومعنى هذا انهم لم يعرضوا على الاماكن أو على من شاء الله من الخلق
وهذا التأويل السابق للآية هو أحد التأويلات المذكورة في معنى العرض على
الله تعالى *

(٢)
ذلك أن الرازي قد ذكر في معنى الآية (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية)
أن " العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبيه ذلك بعرض السلطان المسكر
لتصرف أحواله "

(١) التفسير الكبير ٢٠٤ / ١٧ *

(٢) سورة الحاقة : آية : ١٨ *

ثم قال " وروى ان فى القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ ، (أما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ السعيد كتابه بيديه...
والهالك كتابه بشماله " (١)

فاذا كانت العرضتان الاوليان اعتذار واحتجاج وتوبيخ فقد يقول السائل امام من يقع هذا الاعتذار والاحتجاج والتوبيخ اذا لم يكن العرض على الله حقيقة اذا فمن الواضح أن ذلك الاعتذار والاحتجاج والتوبيخ لا يكون الا امام الله سبحانه وتعالى حالة عرضهم عليه لمحاسبتهم .

(١)

وذكر الرازى كذلك فى معنى قول الله تعالى (وعرضوا على ربك صفا)

عن المشبهة قوله

" قالت المشبهة قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) يدل على انه تعالى يحضر فى ذلك المكان وتعرض عليهم أهل القيامة صفا ، وكذلك قوله تعالى (لقد جئتمونا) يدل على انه تعالى يحضر فى ذلك المكان وأجيب عنه بأنه تعالى جعل وقوفهم فى الموضع الذى يسألهم فيه عرض أعمالهم ومحاسبتهم عليها عرضا عليه لا على انه تعالى يحضر فى مكان وعرضوا عليه ليراهم بعد ان لم يكن يراهم " (٢) وهذا المعتقد الذى ذكره عن المشبهة لاشك فى خطئه وفحشه ، فمن قال ان الله تعالى يحضر فى مكان يحويه يتحيز فيه ويراهم بعد ان لم يكن يراهم من قبل فهو على

(١) التفسير الكبير ٣٠ / ١١٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢١ / ١٢٣ .

غير الصواب ، وأهل السنة لا يقولون انه تعالى يحضر في مكان ~~يحييهم~~
ويرى أهل الموقف بعد أن لم يكن يراهم فان هذا هو مذهب أهل التشبيه
كما ذكر الرازي

أما أهل السنة فالهم يثبتون العرض والمجيب^١ وغيرها من الصفات الواردة
في يوم القيامة على انها صفات تليق بجلال الله تعالى وعظمته على كيفية
لا يحرفها الا هو .

وهذا العرض على الله تبارك وتعالى يتقدمه بروز الخلائق كلهم من قبورهم

على الأرض كما في قول الله تعالى (وبرزوا لله جميعا) (١)

قال ابن جرير في معنى الآية : " وظهر هو^٢ لا^٣ الذين كفروا به يوم القيامة

من قبورهم فساروا بالبراز من الارض جميعا يعني كلهم) (٢)

وقال ابن كثير في معناها " أي برزت الخلائق كلها برها وفاجرها لله الواحد

القهار أي اجتمعوا له في براز من الارض وهو المكان الذي ليس فيه شمس^٤

يستتر أحدا) (٣)

ومعنى هذا البروز هو ظهور جميع الخلق لربهم تعالى (وانما قال وبرزوا لله

مع كونه سبحانه عالما بهم لا تخفى عليه خافية من احوالهم برزوا اولم يبرزوا

لأنهم كانوا يستترون عن الحيون عند فعلهم للمعاصي ويظنون ان ذلك يخفى

(١) سورة ابراهيم : آية : ٢١ .

(٢) تفسير الطبري ١٣ / ١٩٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٥٢٨ .

على الله تعالى ، فالكلام خارج على ما يعتقدونه " (١)

ويقول الرازي في بيان معنى البروز لله تعالى " قد ذكرنا ان البروز فـسـسـ

اللغة عبارة عن الظهور بعد الاستتار

وهذا في حق الله تعالى محال فلا بد فيه من التأويل وهو من وجوه :-

الأول : انهم كانوا يستترون من الحيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك

خاف على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم

وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية .

الثاني : انهم خرجوا من قبورهم فيرزوا لحساب الله وحكمه .

الثالث : وهو تأويل الحكماء ان النفس اذا فارقت الجسد فكأنه زال الخطاء

والوطاء وبقيت متجردة بذاتها عارية عن كل ما سواها وذلك هو البروز للمـهـ (٢)

والمعنى الثاني هو ما دلت عليه الدروس .

أما المعنى الثالث : وهو تأويل الحكماء فلا شك انه بعيد جدا عن المقصود

من الآية وليس عليه دليل وكذا القول بأن البروز انكشاف للخلق عند

انفسهم بحيث انهم يعلمون احاطة الله بهم .

ويتبين مما سبق ان المراد بالعرض على الله تعالى هو العرض الحقيقي ولكن

صفة ذلك العرض وكيفية لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى ويتبين كذلك ان

ما ذهب اليه السلف هو المذهب الحق اذ انهم يثبتون العرض على الله عز وجل

(١) فتح القدير ٣ / ١٠٣ .

(٢) التفسير الكبير ١١٦ / ١٠٧ .

متهمين ماورد من النص في ذلك من قرآن وحديث ^{مفهومين} الله تبارك وتعالى
عن المكان وعن التشبيه والتجسيم وهذا أولى مما ذهب اليه الرازي وغيره
من تأويل العرض على الله بأنه عرض على الأماكن المعدة لحسابهم هرويسا
مما يلزم من اثبات العرض الذي قال به المجسمة ومذهب السلف وسقط
بين الافراط والتفريط فهو اتباع النص والابتعاد عما لا يليق به عز وجل .
والذي يظهر كذلك من هذه النصوص وغيرها ان المراد من العرض ليس
فقط كما ذكر بعضهم الحساب والسؤال وانما بالاضافة الى ذلك المراد منه
اظهار علم الله تعالى بخلقه واثبات قدرته على اعادتهم كما ان فيسه
اظهار عظمة شأنه وكبريائه وعظيم ملكه وسلطانه وقهره كل هذا يتجلى
في عرض الخلق على الله عز وجل ، وهل تعرض الامم جميعهم مسلمهم وكافرهم
جنهم وأنسهم وحتى السبعين ألف الذين ورد الدين بدخولهم الجنة
بخير حساب ولا نقاب او عتاة الكفار كفرعون وأبولهب وأبو جهل ، ام ان
العرض لا يختص الا بمن يحاسب .

الواقع ان هذه المسألة كما قال الفاكهي حين اشار الى هذا الاستشكال
" لم أر في ذلك نصا " (١)

وحيث لم يوجد نص فتكون المسألة قابلة للاحتتمالات فيمكن القول ان هـ ولاء
لا يعرضون بمعنى لا يعرضون عرض من يراد به الحساب لموازنة أعماله .

ويمكن أن يقال ان بعض الخلق لا يعرض كمن يلتقطهم عنق من النار أو من

يدخل الجنة بخير حساب وبعضهم يعرض للحساب وموازنة أعماله .

وان كانت ظواهر النصوص من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة تشير إلى

ان كل المخلوقات المكلفه تعرض على ربها . والله أعلم .

♦ ♦ ♦ ***** ♦ ♦ ♦

" الباب السابع : الصحف

" أو كتاب الأعمال "

ويشمل الفصول الآتية :

تمهيد :

الفصل الاول : الادلة على كتابة الملائكة لكل ما يصدر عن المبيات

١ - من القرآن الكريم .

٢ - من السنة النبوية .

الفصل الثاني : المنكرون كتابة الملائكة اعمال المبيات .

الفصل الثالث : اثبات ان كل انسان يقرأ كتابه في يوم القيامة

والادلة على ذلك :

١ - من القرآن الكريم .

٢ - من السنة النبوية .

الفصل الرابع : كيفية أخذ الكتاب .

الفصل الخامس : وجوب الايمان بالصحف وابطال قول من أنكرها وفيه

ملاحظات .

الفصل السادس : ما قيل من الحكمة في اتياء الصحف .

الفصل السابع : ما معنى تهديل السيئات بالحسنات الواردة في

الصحف .

تمهيد :

ثبت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع علماء الاسلام على أن الله تعالى سيؤتي كل انسان في يوم القيامة ، كتابا يلقاه منشورا يقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فيقرأ في هذا الكتاب كل ما عمله في الدنيا من الخير والشر قد سجلته الملائكة لم يخادروا منه صغيرة ولا كبيرة الا احصوها ويكون الشخص هو حسيب نفسه كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم " كفى بنفسك

اليوم عليك حسيبا " الاسراء : ١٤

وقد وكل الله بالهدى كراما كاتبين ، ملكان احدهما عن يمينه والاخر عن يساره الذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن يساره يكتب السيئات ، يراقبانه في كل دقيقة وجليلة ، ومن رحمة الله بعباده انه لا تكتب السيئة الا بعد اصرار المبدع عليها وعدم رجوعه بالاستغفار والتوبة فيكتبها حينئذ الملك الموكل بكتابة السيئات ليجدها الهدى امامه

في يوم القيامة في سجل كامل لاعماله لا يخادروا منه صغيرة ولا كبيرة الا احصاها .

وللحسن البصرى في هذه المسألة قول عظيم وصفه ابن كثير بأنه " من أحسن كلام الحسن رحمه الله " .

" قال معمر بن ابي العاصم البصرى (عن اليمين وعن الشمال قعيد) يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والاخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك وأعمس من ما شئت أقلل أو أكرحتى اذا مات طويت صحيفة فجمعت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا اقرأ كتابك . الآية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك " (١)

وسنحرض فيما يلي أدلة اثبات كتابة الكرام الكاتبين لكل ما يصدر عن المبدع من كتاب

الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

الفصل الأول

الأدلة على كتابة الملائكة لكل ما يصدر عن العباد

تصهيد :

اثبت الله تعالى في كتابة الكريم انه ما من انسان الا وله سجل خاص به .
فيه جميع ما عمله في الدنيا - كما اشرنا اليه .
ولشدة أهمية هذا الكتاب أو السجل ذكره الله عزوجل في القرآن الكريم في أكثر
من آية لتسببها الناس الى أهميته والاستعداد له وللتحرز أن يكتب فيه فيسر
مالا يرضى الخالق سبحانه وتعالى وقد أعذر الله الى الناس بعدما أخبرهم
بكل تفاصيل اليوم الآخر بما فيه احصاؤه تعالى لاهمالهم في الدنيا دقتهم
وجليلها ثم قرائتها في اليوم الآخر في موقف فصل القضاء .

١ - الأدلة من القرآن الكريم

اما بثوت احصاء الكرام الكاتبين لكل ما يصدر عن المبد فهو ما تحدث عنه القرآن الكريم في آيات كبيرة .

وقد نوع الله تعالى في كتابه الكريم الاخبار عن كتابة الملائكة لاعمال البشر الى أنواع كبيرة .

فتارة يسند الكتابة الى الكرام الكاتبين ، وتارة يخبر عن شدة مراقبة الملائكة للمبد وتسجيل ما يلقظه من أقوال ، وتارة يسند الكتابة اليه جل وعلا تحميطا لذلك واهتماما بذكره وتارة يخبر تعالى عن كتابة اعمال المهاد باسنادها للمجهول تهويلا لذكره أو تحميطا له وكل ذلك هو ما تحدثت عنه الآيات الآتية :-

قال تعالى : " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون "

(الانفطار : ١١ - ١٢)

وقال تعالى : " اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلقظ من

قول الا لديه رقيب عتيد " ق : ١٧ - ١٨

وقال تعالى : " واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكرمى

آياتنا قل الله اسرع مكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون " يونس : ٢١

وقال تعالى : ام يحسبون اننا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون

الزخرف : ٨٠

وقال تعالى : في اسناد كتابة بعض الامور اليه جل وعلا ومعلوم ان الذى يتولى

كتابتها هم الملائكة ولكنه اسند عز وجل ذلك اليه مهالفة في الاحتكام بذلك .

فقال تعالى : " لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء

سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بخير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق " .

آل عمران : ١٨١ وفى هذا التعمير من التهديد والوعيد ما لا يخفى (١)

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٣٤

وسبب نزول هذه الآية كان في شأن اليهود حينما قال قائلهم وهو فنحاص لابن بكر
والله يا أبا بكر " ما بنا الى الله من حاجة • من فقر واننا لفقيير " تعالى
عن قوله ذلك (١)

قال الشوكاني عن معنى التمجير بقوله تعالى " سنكتب ما قالوا " أي " سنكتبه
في صحف الملائكة أو سنحفظه والمراد الوعيد لهم وان ذلك لا يفوت على الله بل هو معصم
لهم ايوم الجزاء (٢)

وقال تعالى : " أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين طالا وولدا اطلع الضيب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا "
مريم : ٧٧ - ٧٩

وقال تعالى عن المنافقين :

" ويقولون طاعة فاذا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب
ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وتكف بالله وكيا "
النساء : ٨١

وقال تعالى : انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وأثارهم وكل شيء احصيناه
في ايام مبين "
يس : ١٢

وقال تعالى : وكل شيء احصيناه كتابا " النبأ : ٢٩

وقال تعالى مندا لكاتبه الى المجهول تهويلا لشأن المكتوب •
" وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناسا ^{سهر والفتح} سنكتب شهادتهم ويسئلون "
الزخرف : ١٩

(١) انظر جامع البيان ج ٤ ص ١٩٥

(٢) فتح القدير ج ١ ص ٤٠٦

وقال تعالى ترغيبا وتحظيما لشأن المكتوب

" ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون مطأ يخفيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون " التوبة : ١٢٠ - ١٢١

وهذه الآيات دلالتها واضحة على أن كل ما يقوله أو يفعله الشخص يكون مسجلاً ومكتوباً. لا يضيع منه شيء .

وبعد أن عرضنا تلك الآيات التي ثبت تسجيل الملائكة لأعمال العباد في الدنيا وأنهم موكلون بذلك أمناء على ما يكتبون لا يخيب عنهم من أعمال العباد شيء . واننا نؤمن بذلك ايحانا كاملاً لا ارتياب فيه ، بعد عرض ذلك كله نذكر ما جاء في السنة النبوية من أحاديث ثبت كتابة وتسجيل الملائكة على الانسان ما يعمله في الدنيا من خير أو شر .

٢ - الأدلة من السنة على كتابة الملائكة لأعمال المباد

أخرج الشيخان وغيرهما في فضل الجمعة عن ابن هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول - مثل المهجر كمثل الذي يهدى بدنة ثم كالذى يهدى بقره ثم كبشا ثم

دجاجة ثم بيضة فإذا خرج الإمام طهوا صفوفهم ويستلمون الذكور (١)

وعن رفاعه بن رافع الزرقى قال : " كنا يوما نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم " فلما رفع رأسه من الركعة قال : " سمع الله لمن حمده " قال رجعنا وراءه رينا ولك الحمد حمد كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما انصرف قال من المتكلمين قال أنا قال : رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتعدونها ايهم يكتبها أولا " (٢)

وأخبر رسول الله "ص" عن فضل الله وكرمه ان العبد اذا هم بحسنة فحطمتها كتبت له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة وان هم بها ولم يحطها كتبت الله عنده حسنة كاملة وبالعكس السيئة فان العبد اذا هم بها فحطها كتبت الله عنده سيئة واحدة وان هم بها ولم يحطها كتبت له حسنة كاملة .

ومصدق هذا ما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحايبريه عن ربه عز وجل قال : قال الله " ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يحطها كتبت الله له عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فحطها كتبت الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يحطها كتبت الله له عنده حسنة كاملة فان هو هم بها فحطها كتبت الله سيئة واحدة . (٣)

(١) البخارى ج ٢ ص ٤٠٧ ومسلم ج ١ ص ٢٤٥ والنسائى وابن ماجه وأبو داود وأحمد .

(٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٨٤

(٣) صحيح البخارى ج ١١ ص ٣٢٣ ومسلم ج ١ ص ٣٣٧

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل :
إذا تحدث عهدي بأن يحصل حسنة فأنا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فكذا إذا
عملها وأنا اكتبها بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يحصل سيئة فأنا أقترها له
ما لم يعملها فإذا عملها فأنا اكتبها له بعثتها . (١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عهدي يريد أن يحصل سيئة
وهو ابصره - فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بعثتها وان تركها فاكتبوها
له حسنة انما تركها من جرائي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحسن احدكم اسأل الله
فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يحطها
تكتب له بعثتها حتى يلقي الله عز وجل " (٢)

وقد أرفد صلى الله عليه وسلم لانه الى أمور ان فعلها العبد كتب الله له بسببها الاجر
العظيم كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من
قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة
وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت احد بأفضل مما جاء به
الا أحد عمل اكثر من ذلك ومن قال سبحان الله ومحمده في يوم مائة مرة حطت
خطاياها ولو كانت مثل زبد البحر . (٣)

وعن مصعب بن سعد قال حدثني ابي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال
أي جزأحدكم ان يكسب كل يوم ألف حسنة ؟ فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدكم
ألف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف
خطيئة . (٤)

(١) أخرجه مسلم ج ١ ص ١١٧

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٣٣٤

(٣) (٤) صحيح البخارى ج ٦ ص ٣٣٨ ومسلم ج ١ ص ٥٤٦ و ٥٤٩

وفى الصحيحين وغيرهما من السنن والسنن والمسانيد أحاديث كثيرة كلها تدل على كتابة الملائكة الحسنة بحشر أمثالها الى ما يشاء الله من التضعيف والسيئة بمثلها . وهذا ما قرره القرآن الكريم .

قال تعالى : " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون " الانعام : ١٦٠

وغيرها من الآيات : كآيات التي ذكرها الله في مضاعفة ثواب الصالحات وهي كثيرة في القرآن الكريم :

بل تكرم الله بها هو فوق هذا كله حيث أنه يأمر باستمرار الكتابة في صحيفة حسنات العبد المؤمن الذي يشغله عن عبادته التي كان يعتادها سقراً أو مرض أو أي شغل آخر .

كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا اشتكى العبد المسلم قيل للكاتب الذي يكتب عمله اكتب له مثل عمله اذ كان طليقا حتى أقبضة أو أطلقه (١) وفي هذه الاحاديث التي عرضناها دلالة صريحة على كتابة كل ما يصدر عن العبد وتسجيله في سجله الخاص خيرا كان أم شرا فاذا جاء يوم القيامة ورأى مالم يسره في كتابه اخذ يجادل ويجهد وينكر ما كتبه الحفظة رادا :

شهادتهم عليه كما جاء عن أنس بن مالك قال : كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال : هل تدرون مم اضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد به يقول يسأرب الم تجرئسى من الظلم قال يقول : بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نفسى الا شاعدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقى قال فتنطق باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فمكن كنت انا ضل . (٢)

(١) المسند ج ٢ ص ٢٠٥

(٢) مسلم ج ٥ ص ٨٢٥

ولما كان الغرض هو اثبات كتابة الملائكة لأعمال البشر في صحفهم التي سيجدونها
أمامهم في يوم القيامة فإننا نكتفي بما قدمنا من النصوص في الاستدلال على ثبوت
هذا فهل نفي أحد من ينتمي إلى الإسلام من أهل القبلة ذلك هذا
ما نبخسه فيما يلي :-

الفصل الثاني : المنكرون كتابة الملائكة أعمال العباد

كتابة الملائكة لأعمال العباد - كما قدمنا - مسألة لها من الوضوح والثبوت ما لا يتصور معه أن يقدم أحد من أهل القبلة ممن ينتمى إلى الإسلام على إنكارها وقد سبق أن رأينا مصداق ذلك من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم مع ذلك فقد وجد من ينفي كتابة الملائكة لأعمال البشر في الدنيا وهذا هو ما ذهب إليه الجهم بن صفوان التريفي فقد نفى وجود الملائكة الكاتبين الذين مدحهم الله تعالى بقوله : " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين " الانقطار : ١٠ - ١١

ذكر ذلك عنه أبو الحسين المطفي حيث قال (١) " وأنكر جهم " وان عليكم لحافظين " (١)

وإذا كان جهم ينكر كتابة الملائكة لأعمال البشر فما الذي حمله على قوله ذلك . وهنا نجد الشيخ خالد الحلبي في كتابه جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي " يتلمس الحجج التي حملت جهما على إنكاره ذلك فيقول :

وقد يكون نفى جهم للرسول الكاتبين متأثرا عن اعتقاده بأن الله يعلم ما تخفى النفوس ، لذا فلا حاجة له أن يرسل لكل شخص عددا من الملائكة ليكتبوا ما يعمل أو ليحفظوا جوارحه من الشر كما أن الإنسان مسير ومقدر عليه من الله أن يقوم بأعماله كافة وذلك لأن جهما من الجبرية فهو يعتقد أن الإنسان غير قادر على أعماله وأعماله أي أنه مسير وليس مخيرا ولما كان مسيرا من قبل الله فلا حاجة له لإيلاء الكتب لأن يدونوا ما يقوم به من أعمال ، لأن هذه الأفعال وضعت عليه

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ١١١

مسبقا من قبل الله الذي يعلم كل شيء .”
ومحد هذه الاعتذارات . رد الشيخ خالد على الملطى أيضا بالتشكيك فيما نسبته الى
جهم بأن ذلك القول لعله ” من جملة التشهير بجهم ” (١)
والواقع انه لا يستبعد من جهم بن صفوان وهو الجريء على انكار كثير من أمور الدين
ان ينكر مثل هذا الأمر وقد حدثتنا كتب المقالات والعقائد عن اراء جهم وفرقتة بمصلا
يتسع المجال لذكره هنا ، أما بالنسبة لما أورده خالد عن الجهم فان الرد عليه
يمكن أن نوجزه فيما يلي :-

(١) لقد شكك خالد العلى في نسبة هذا القول الى الجهمية وزعم انه ربما كان
ذلك تحاملا من الملطى على جهم ولكن كان ينبغي ان يكون هذا التشكيك مبنيا
على نقل صحيح من أن الجهم لم يقل ذلك .

وحيث انه لم يأت بنص على نفي هذه التهمة عن الجهمية فان ما نسبته الملطى
يبقى صحيحا الى أن يثبت العكس وقد يصح القول بالحافظ حجة على من لم يحفظ .

(٢) قد يكون ما اعتذر به خالد عن الجهمية بأنهم قالوا ما قالوه استنادا الى علم
الله تعالى وما دام الأمر كذلك فلا حاجة الى كتابة الملائكة وهذا أمر صحيح لو لم ترد
آيات وأحاديث تؤكد كتابة الملائكة ومن الحكمة في ذلك حتى لا يبقى للمهد خذريوم
القيامة وبدليل ان الانسان يوم القيامة سوف يطعن في شهادة الملائكة وكتابتهم
فيقيم الله تعالى عليه شاهدا من نفسه فتشهد اعضاءه بما فعلت وقد ورد في كل ذلك
نصوص صحيحة صريحة تبطل دليل الجهم وما ادعاه خالد في الاعتذار عن الجهم
في نفي كتابة الملائكة .

وعلى كل حال فسواء صح هذا القول عن جهم أو لم يصح فانه قول مردود وهو خطأ كبير
يؤدى بصاحبه الى الكفر لانه ينكر ما ثبت في الشرع وأجمع عليه جميع أهل القبلة ومفكر ذلك كافر .

(١) جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامى ص ١٢٧

الفصل الثالث : اثبات أن كل انسان يقرأ كتابه في يوم القيامة والأدلة على ذلك :

وبعد عرض ما تقدم من اثبات تسجيل الملائكة لكل ما يصدر عن الشخص من أقوال وأفعال ، نورد هنا اثبات قراءة كتاب الاعمال في يوم القيامة كما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية .

(١) الأدلة من القرآن الكريم على ذلك . قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم

" وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " الاسراء : ١٣ - ١٤

يخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة انه ما من انسان الا وسيجده كتاب أعماله ملازما له ينشر عليه في يوم القيامة ويتال له اقرأ كتابك وأنت حسيب نفسك بمقد أن تقف على كل أعمالك التي عملتها في الدنيا وهذا هو العدل التام والارصاف الكامل .

" عن أنس رضي الله عنه في قوله طائره في عنقه " قال " كتابه " .

" وعن السدي رضي الله عنه في الآية : قال الكافري يخرج له يوم القيامة كتاب فيقول رب انك قد قضيت أنك لست بظلام للمبيد فاجلني بما سب نفسي فيقال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

" وفي قراءة أبي ابن كعب رضي الله عنه (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ، يتروى يوم القيامة " كتابا يلقاه منشورا " .

وعن مجاهد رضي الله عنه أنه قرأ " ويخرج له يوم القيامة كتابا " يفتح الياء بمعنى يخرج الطائر كتابا .

وعن قتادة رضي الله عنه في قوله " اقرأ كتابك " قال سيقترأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا " (١)

وقد عبر الله عن كتاب الاعمال بالطائر " اي عمله الذي طار عنه من خير وشر (٢)

(١) انظر الدر المنثور ج ٥ ص ٢٤٩ - ٢٥٠

(٢) المفردات ص ٣١٠

(٢) وقال تعالى :

" فأما من أتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابه انى ظننت انى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية تطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية وأما من أتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أت كتابية ولم أدر ما حسابية ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانية "

الحاقة : ١٩ - ٢٩

وهذا وصف من الله جل وعلا ، وتقسم كذلك لحال الناس بالنسبة لايتائمهم كتبهم .

قسم يأخذه بيمينه ثم يعبر عن سروره وغبطته وما يهيم اليه حاله من النعيم العظيم والفوز الكبير .

وقسم آخر يأخذه بشماله ثم يعبر عن حسرتة وندائته وتذنيه انه لم يكلف بقراءة كتاب ولم يوقف لحساب .

أو تذنيه كذلك لأن تكون موته التى ماتها هى القاضية فلا يبحث ولا يحاسب ثم يتذكر بعض الأسباب التى كانت تحول بينه وبين السعادة فى الآخرة والسوى منها اغتراره بالمال والسلطان وهما آفة الكثير ممن يقع عليهم شدة الحساب ووقوع العذاب .

قال ابن جرير رحمه الله فى معنى الآية :

" يقول تعالى ذكره : فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه فيقول تعالى اقرأوا كتابه " واخرج عن ابن زيد فى قول الله (هاؤم اقرأوا كتابية " قال تعالى واخرج عن قتادة انه قال : " كان بعض أهل العلم يقول : وجدت أكيس الناس من قال هاؤم اقرأوا كتابية " .

ومعنى قوله " انى ظننت انى ملاق حسابية يقول انى علمت انى ملاق حسابية اذا وردت يوم القيامة على رسى " .

قال ابن عباس عن معنى الظن المذكور في الآية أي أيقنت " وقال قتادة
ظن ظنا يقينا فنفسه الله بظنه " وقال ابن زيد ان الظن من المؤمن يقين "
" وعن مجاهد قال : كل ظن في القرآن (اني ظننت) يقول اي علمت " (١)
وأما الكافر الذي أعطى كتابه بشطاله فقال ياليتني لم أرت كتابية واسم
أدر ما حسابية . يقول " ولم أدر أي شيء حسابية " .

" ياليتها كانت القاضية " يقول " ياليت الموتة التي ضها في الدنيا
كانت هي الفراع من كل ما بعدها ولم يكن بعدها حياة ولا بحث " .
قال قتادة " تمنى الموت ولم يكن في الدنيا شيء أكره عنده من الموت " (٢)

(٣) وقال تعالى : ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا
مال هذا الكتاب لا يخادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها " ووجدوا ما عملوا
حاضرا ولا يظلم ربك أحدا " . الكهف : ٤٩

وهذا تصور بديع لحالة وقوف الناس على كتبهم خائفين وجلين وكأنهم قد
اطلموا على ما فيها من تسجيل كامل لجرائمهم التي كانوا يتفنونون في ارتكابها
ومع هذا الخوف الشديد والرهبنة الكاملة فهم لا يخفون انزعاجهم من دقة هذا
الكتاب الذي لا يخادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووضحها تمام الوضوح ولكن
هذا صنع من يربد العدل - سبحانه وتعالى - بمجاده فليس هناك
خوف من الظلم فليطمئن كل مخلوق الى أنه سوف لا يقع عليه الا ما قدم لنفسه
قال ابن كثير عن معنى الآية :

" ووضع الكتاب " أي كتاب الاعمال الذي فيه الجليل والحقير والنزيل والقطير

(١) انظر جامع البيان ج ٢٩ ص ٦٠

(٢) المصدر السابق ج ٢٩ ص ٦٢

والصغير والكبير فترى المجرمين مشفقين مما فيه اى من اعمالهم السيئة واقصا لهم القبيحة
لأن هذا الكتاب لم يفاد ر صغيرتولا كبيرة الا احسانها .

قال سعد بن جنادة رضى الله عنه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين نزلنا
تقرا من الارض ليس فيه شىء فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعوا من وجد عودا فليأت
به ومن وجد حطبيا او شيئا فليأت به قال فما كان الا ساعة حتى جعلناه ركاصا
فقال النبي "ص" "أترون هذا" ، فذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم
كما جمعتم هذا فليتنق الله رجل ، ولا يذهب صغيرة ولا كبيرة فانها محصاه عليه (١)
وكان الفضيل به عياض اذا قرأ هذه الآية يقول : " يا ويلتنا ضحوا الى الله
من الصفاء ر قبل الكبائر " (٢)

(٤) وقال تعالى :

" يوم ندعو كل أناس بما همهم فمن أتى كتابه بيمينه فألك يقرأون كتابهم
ولا يظلمون شيئا " الاسراء : ٧١
يخبر سبحانه وتعالى أنه فى يوم القيامة فى موقف فصل القضاء يدعو كل أمة
بما همهم ثم يحطون كتب أعمالهم على ما سبق وصفه أما باليمين أو بالشمس
وأخبر سبحانه أنه لا يقع على أى مخلوق ظلم أو نقص من عمل حتى وان كان شيئا
تافها لا يسترى الانتباه كالقتيل وشقال الذرة وما الى ذلك .
وفى قوله تعالى : " يوم ندعو كل أناس بما همهم " خلاف بين العلماء فى المراد
بالامام المذكور هل هو :

(١) كتاب الاعمال .

(٢) أو هو النبى فى كل أمة .

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٨٧ - ٨٨

(٢) التذكرة ص ٢٥٩

(٣) أو هو الكتاب الذي أنزل على كل أمة تشريعا لهم .

(٤) أو المراد به من كان اماما لكل قوم .

(٥) أو المراد به الامهات اى ندعو كل انسان باه فيقال يافلان ابن فلانة

أقوال لاهل العلم ، أما القول الاول فهو لابن عباس واختره ابن كثير

وأما الاقوال الاخرى فان اضعفها القول بأن الامام المذكور الامهات

وقد قال الشنقيطى عنه بأنه "باطل بلا شك" (١)

(٥) وقال تعالى :

" فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الي أهله

مسرورا ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعسيرا "

الانشقاق : ٧ - ١٢

وفى هذه الآيات اضافة الى تقسيم من يؤتون كتبهم وما يحصل لكل واحد

ضهم من نتيجة خيرا كانت أم شرافيه أخبار ، كذلك عن حالة أخرى من

حالات الكفار حينما يأخذون كتبهم وهى أخذهم لها من وراء الظهر فيسوف

يتم ذلك ، هذا ما سنذكره بعد استكمال عرض الأدلة .

ونكتفى بما تقدم عرضه من الآيات البينات فى اثبات كتاب الأعمال

وقرأته فى يوم القيامة .

لسورد أيضا بعض ما جاء فى السنة النبوية من أحاديث اثبات ذلك .

٢ - الأدلة من السنة النبوية

أما ما جاء في السنة النبوية في اثبات ذلك فقد تقدم حديث ابن عمر الثابت في الصحيحين حينما سئل عن النجوى وتقرير الله لمبده بذنوبه وفيه :

" فيقول ستوتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته كما في لفظ البخاري وفي لفظ مسلم - فيمطى صحيفة حسناته " (١) ،

الحديث وكذلك الحديث المروي عن ابي هريرة و ابي موسى الأشعري وقادة ، وابن مسعود في باب المرض وفيه :

" وأما الموضة الثالثة فممن ذلك تطهير المحف في الايدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله " (٢)

وكذلك ما سنذكره في مبحث الميزان من أحاديث ومنها حديث البطاقة وفيه

" فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر " الحديث (٣)

وغيره من الأحاديث ، وعن ابي داود عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قلت ذكرت النار فبكت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد ^{عند الميزان} حتى يعلم ايخف ميزانه أو يثقل وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرءوا كتابه حتى يعلم اين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم (٤)

(١) البخاري ج ٨ ص ٣٥٣ مسلم ج ٥ ص ٦١٤

(٢) سنن الترمذي ج ٤ ص ٦١٧ وقد تقدم ذكر درجة الحديث .

(٣) سيأتي تخريجه في مبحث الميزان .

(٤) أخرجه ابو داود ج ٢ ص ٥٤١ وقد وصف سند هذا الحديث في الفتح الرباني

بأنه " سند صحيح " ج ٢٤ ص ١٤٥ وأخرجه الاصفهاني في الحجة في بيان

الحجة ص ٤٨٠ تحقيق د . محمد ربيع .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة فيوضع ما أحصى عليه فتمايل به الميزان قال فيمثم به الى النار قال فاذا ادبر به اذا صاح يصيح من عند الرحمن يقول لا تعجلوا لا تعجلوا فانه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها لا اله الا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان " (١) وهذه رواية الامام أحمد .

وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الناس يوم القيامة عراه حفاة فقالت ام سلمة : فقلت يا رسول الله واسوأته ينظر بعضهم الى بعض فقال شغل الناس قلت ما شغلهم ؟ قال نشر الحوائف فيها شاقيل الذر وشاقيل الخردل " (٢)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي "ص" قال يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله عز وجل لا أضمر نعمة احسبه قال في ديوان النعم خذني ثنك من عملك الصالح فتستوعب عمله الصالح ثم تنحى وتقول وعزتك

(١) رواه أحمد ج ٢ ص ٢٢١ قال السنائي الفتح الرباني .

ج ٢٤ ص ١٤٥

"وفيه ابن الهيثمة وحديثه حسن وبقيته رجاله رجال الصحيح " .

(٢) قال المنذري ج ٤ ص ٣٨٥ رواه الطبري في الاوسط باسناد صحيح " وقال

الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٣٣ " رواه الطبراني في الاوسط

والكبير ورجالهم رجال الصحيح غير محمد بن موسى وهو ثقة " .

ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح فاذا أراد الله
أن يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك أحسبه قال
ووهبت لك نعمي " (١)

وروى الامام احمد والحاكم عن عائشة قالت قال رسول الله " ص " الدواوين عند
الله عز وجل ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا ،
واديوان لا يخفره الله فاما الديوان الذي لا يخفره الله فالشرك بالله .
قال الله عز وجل :

" ^{الله}ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة "

وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم
يوم تركه أو صلاة تركها فان الله عز وجل

يخفر ذلك ويتجاوز ان شاء ، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا

فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة " (٢)

وعن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى " يوم ندعو كل
اناس بما همهم " قال يدعى أحدهم فيحطس كتابه بيمينه ومد له في جسمه
ستون ذراعا وبيضا وجهه ويجعل على رأسه تاج من لوء لوء يتلأ لؤ وينطلق
الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم آتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم
فيقول ابشروا لكل رجل منكم مثل هذا قال واما الكافر فيسود وجهه ومد له
في جسمه ستون ذراعا على صورة آدم فيلبس تاجا فسيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله
من شر هذا اللهم لا تأتينا بهذا قال فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدكم
الله فان لكل رجل منكم مثل هذا " (٣)

(١) ذكره الطبري في الترفيب والترهيب ج ٤ ص ٣٩٧ وعزاه الى البزار

(٢) رواه احمد ج ٦ ص ٢٤٠

(٣) الترمذي ج ٥ ص ٣٠٢ وقال حديث حسن غريب .

وأخرج الإمام ابن ماجه بسندة السلي محمد الله بن بسر انه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا " (١)

(١٠) عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بمصحف مختصة فتنصب بين يدي الله تبارك وتعالى فيقول تبارك وتعالى القوا هذه واقبلوا هذه فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول الله عز وجل ان هذا كان لغير وجهي وانى لا اقبل اليوم الا ما ابتغى به وجهي ، وفي رواية فتقول الملائكة وعزتك ما كتبنا الا ما عمل قال صدقتم ان عمله كان لغير وجهي (٢) وثبت في صحيح مسلم بمعنى هذا الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه مضى غيرى تركته وشركه " . (٣)

وأخرج العقيلي عن أنس رضي الله عنه عن النبي " ص " انه قال : الكسب كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة يبعث الله ريحا فتطيرها بالايمن والشيطان أول خطب فيها (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) (٤)

-
- (١) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٥٤ قال محمد فؤاد في الزوائد اسناده صحيح ، رجاله ثقات .
- (٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٥٠ وعزاه الى الطبراني باسنادين رجال احدهما رجال الصحيح وعزاه كذلك الى السبزار .
- (٣) صحيح مسلم ص ٨٣٥ " النورى "
- (٤) ذكره السفاريني في لواع الانوار ج ٢ ص ١٨٠ وعزاه الى العقيلي .

٣ - وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال يا عائشة اما عند ثلاث فلا اما عند الميزان حتى يشقل او يخف فلا واما عند تطاير القتب فاما ان يمطس بينه او يمطس بشماله فلا وعين يخرج عنق من النار فينطوى عليهم ويتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة ، وكلت بحن ادى مع الله الها آخر ووكلت بحن لا يؤمن بيوم الحساب ووكلت بكل جبار عبيد قال فينطوى عليهم ويرى بهم فى غمرات جهنم ، ولجنهم جسر أدق من الشمرة واحد من السيف عليه كلال لسيب وحسك يأخذون من شاء الله والناس عايه كالطراف ٠٠ " الخ الحديث (١)

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا يحيى عن اسماعيل ثنا عامر وحدثنا محمد بن عبيد ثنا اسماعيل بن ابى خالد عن رجل عن الشعبي قال " مر عيسى بطاحنة (فذكر معناه) قال مر عمر بطاحنة فرأه مهتما قال لملك ساءك امارة ابن عمك قال يحيى ابا بكر رضى الله عنه فقال لا ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لا علم كامة لا يتولها الرجل عند موته الا كانت نمورا فى صحيفته او وجد لها روحا عند الموت قال عمر أنا اخبرك بها هى الكلمة التى أراد بها عمه شهادة أن لا آله الا الله قال فكاننا كشف عنى غطاء قال صدقت لو علم كله هى أفضل منها لأمره بها " (٢)

(١) رواه أحمد ج ٦ ص ١١٠ قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٥٩

" وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق ونية رجاله رجال الصحيح "

(٢) المسند ج ١ ص ٢٧

وذكر ابن كثير وعزاه الى ابن ابي الدنيا عن ابي عميرة رضى الله عنه قال
يدلى الله العبيد يوم القيامة فيضع كفه لبيسته من الخلائق كلها ويدفع اليه كتابه
في ذلك السر فيقول اقرأ يا ابن آدم كتابك فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويسر
بها قلبه قال فيقول الله تعالى أتعرف يا عهدي فيقول (يارب أعرف) فيقول انى قد
تقبلتها منك فيخبر ساجدا فيقول أرفع رأسك وخذ فى كتابك فيمر بالسيئة فيسود
لها وجهه ويوجل منها قلبه وترعد منها فرائصه يأخذه من الحياء من ربه صالا
يحمسه غيره فيقول الله أتعرف يا عهدي فيقول نعم يارب اعرف فيقول فانى قد غفرت لها لك
فلا يزال بين حسنة تقبل وسيئة تغفر فيسجد لا يرى الخلائق منه الا ذاك -
السجود حتى ينادى الخلائق بعضها بعضا طوبى لهذا العبد الذى لم
يصدق الله قط ولا يدرون ما لقى فيما بينه وبين الله تعالى مما قد وقفه عليه (١)
ونكتفى بايراد ما تقدم من ذكر الأدلة من السنة النبوية على ثبوت الصحف
وايتاء كل عبد صحيفة عمله التى قدمها لنفسه بما صدر عنه من أعمال
وأفعال سجلها عليه الكرام الكاتبون ليجازى بما فيها يوم القيامة ان خيرا
فخيرا وان شرا فشر ومصداق هذه الأحاديث ما تقدم من الآيات حيث ان
هذه الأحاديث تعتبر شرحا لما ورد منها .
ومن تلك النصوص يتضح بثبوت ايتاء الله كل عبد صحيفة أعماله يقرؤها بيمينه
أو بشماله أعاننا الله من كل سوء .

(١) ذكره ابن كثير فى النهاية ج ٢ ص ١٣٥ وعزاه الى ابن ابي الدنيا .

الفصل الرابع : " كيفية أخذ الكتاب " .

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم الكيفيات التي تؤخذ بها الكتب كما رأينا من عرض النص ومن السابقة وأنهم يأخذونها على هيئات مختلفة

(١) فمنهم من يعطى كتابه بيمينه وهو ما عبرت عنه الآية :

" وأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابه " .

(٢) ومنهم من يعطى كتابه بشماله وهو ما عبرت عنه الآية :

" وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابه " .

(٣) ومنهم من يعطى كتابه وراء ظهره وهو ما عبرت عنه الآية :

" وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا " .

وليس في القرآن الكريم حالة غير تلك التي تقدمت

وتلك الحالات التي تقدمت وان كانت تبدو في الظاهر أنها ثلاث لكنها في الواقع حالتان فقط لا ثلاث لهما أما أن يأخذه بيمينه أو يأخذه بشماله . أما حالة أتياه كتابه وراء ظهره فهذه حالة لم تعهد مثلها في الدنيا ولهذا فقد اختلفت أقوال العلماء في كفيتهما وان كانت النتيجة واحدة وهي أخذ الكافر كتابه بشماله ولكن من وراء ظهره .

ومن أقوال العلماء في ذلك ما يأتي :-

" قال سعيد بن المسيب : الذي يأخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره

ثم يعطى كتابه . وقيل تنزع من صدره الى خلف ظهره .

وقال مجاهد في قوله تعالى : " وأما من أوتى كتابه وراء ظهره " قال تجعل

شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه " . (١)

وفي التذكرة ان الذي يأخذ كتابه وراء ظهره : " تخلع كتفه اليسرى فتجعل

يده خلفه فيأخذ بها كتابه " وقال مجاهد تحول وجهه في موضع تقاه فيقرأ كتابه

لذلك " . (٢)

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٢

(٢) التذكرة ص ٢٥٨ .

وقال الشنقيطي في الجمع بين تلك الحالات التي تبدو أنها ثلاث ، قال : -
" ولا مفاضة بين أخذه بشماله " .

وايتائه وراء ظهره لأن الكافر تنقل يناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره
فيأخذ بها كتابه " . (١)

وقال البرديسي وهو يشرح ما جاء من أخذ الكافر كتابه بشماله وما جاء من أخذه
له من وراء ظهره قال في التوفيق بين ذلك .

" والجمع بينهما ان الكافر يدخل يده اليسرى من صدره ويخرجها من وراء ظهره
ثم يحطس كتابه بشماله " (٢)

وتلك الكتب التي تحطى في ساحة فصل القضا تحطى لأصحابها يقرأ كل صاحب
كتاب كتابه سواء أكان قارئاً أم لم يكن قارئاً .

قال قتادة : " سيقراً من لم يكن قارئاً في الدنيا " (٣)

وقال الحسن : " يقرأ الانسان كتابه امياً كان أو غير أمي " . (٤)

وبقراءتها يتبين للانسان نتيجة أعماله ظاهره أمه حسنة أم قبيحة وان كان

بعض العلماء يذكر أن الله تعالى يخلق لكل انسان حينما يحطس كتابه - عادة

ضرورياً يفتحه علمها كما ذكر ذلك البرديسي في تكملة شرح الصدور (٥)

ونزيد هذا وضوحاً في مبحث الميزان .

(١) دفع ايها الماضطراب ص ٣١٢ ضمن اضاءة البيان ج ٩

(٢) تكملة شرح الصدور ص ١٥

(٣) الكواشف ص ٣٤٢

(٤) التذكرة ص ٢٥٥

(٥) ص ١٦

أما بالنسبة للمؤمن العاصي : فهل يأخذ كتابه بشماله أو بيمينه ، وسبب
هذا الخلاف فيه هو أنه لم يتبين أمره للعلماء .
هل هو من أصحاب السننيم مباشرة أو من أصحاب الجحيم
مؤقتا ، والواقع أن أمره محتمل لكلا الحالين وليس هناك
نص ثابت يقطع هذا الاحتمال غير ما ذكر الله من تقسيم
الناس الى فريقين مؤمن يأخذ كتابه بيمينه أو كافر يأخذه
بيساره .

وقد ذكر السفاريني في بيان ذلك أنه :
" يحطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بأن تخلع يده أو يدخلها من صدره
أو تلوى ، ويحطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من امامه ويحطى المؤمن
الطائع كتابه بيمينه من امامه ، وقد جزم الماوردي بأن المشهور أن الفاسق
الذي مات على فسقه دون توبه يأخذ كتابه بيمينه ثم حتى قولاً بالوقوف " .
وذكر السفاريني أيضاً عن يوسف بن عمر من الطالبيّة أنه قال :

" اختلف في عصاة الموحدين ف قيل يأخذون كتبهم بأيانهم ، وقيل بشمالهم
وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيانهم قيل يأخذونها قبل الدخول في النار فيكون
ذلك علامة على عدم خاودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها " (١)
وقال البرديسي : فمن أرتى كتابه بيمينه وهو المؤمن الطائع ، والعاصي على المشهور
يأخذه قبل دخوله النار فيكون علامة على عدم خلوده " (٢)

والواقع أن هذه المسائل الغيبية ما لا يحلها الا الله وتحتاج في اثباتها
لاعتقادها والقول بها الى نص صحيح عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الله في القرآن
الكريم حالتين من الحالات التي تؤخذ بها الكتب فيجب اعتقاد ذلك والجزم به
وعدم الجزم بما وراء ذلك من الهيئات التي يذكرها العلماء الا بثبوت الدليل

(١) الواصع الانوار ج ٢ ص ١٨٣

(٢) تكملة شرح المصدر ص ١٥

الفصل الخامس : " وجوب الايمان بالصحف وابطال قول من أنكرها " فيما تقدم ذكره من الأدله على ثبوت الصحف وقراءتها في يوم القيامة وقبل ذلك تسجيل أعمال بني آدم عليهم وثبوت ذلك في كتاب الله عز وجل وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وفي أقوال علماء الاسلام . ما فيه الكفاية لمن أراد الله هدايته الى الحق .

وكيف ينكر صحف الاعمال شخص ينتسب الى الاسلام وهو يقرأ تلك الآيات والاحاديث في اثباتها وفي الأمر بالاستعداد لها بالعمل الصالح ، ولم يندأ فانه لم ينقل عن أحد من السلف أهل السنة والجماعة ومن سار على طريقتهم خلاف حول ثبوت الصحف وأخذها باليمين أو بالشمال .

وقراءتها في يوم القيامة في موقف فصل القضاء فقد تلقوا خبر ذلك بالقبول والتسليم وكفروا كل من انكر شيئاً من ذلك . (١)

وقال السفاريني :

" والحاصل ان نشر الصحف وأخذها باليمين أو الشمال ما يجنب الايمان به وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والاجماع " (٢)

(١) انظر كتاب تبسيط العقائد ص ٢٢٥

(٢) لواع الانوار ج ٢ ص ١٨٠ ، وانظر الكواشف الجليسة ص ٣٤٢

وقال البزدوى :-

" قال أهل السنة والجماعة ان قراءة الكتب حق وان الملائكة يكتبون الحسنات للمباد وسيئاتهم على الكتب فتقرأ عليهم يوم القيامة ٠٠٠٠ وفى هذا الباب احاديث كثيرة جاءت عن النبى "ص" وعن الصحابة رضوان الله عليهم فيها ما يدل على صحة مذهب أهل السنة والجماعة وكذا فى كتاب الله ما يدل عليه " (١)

اذا ثبت ذلك فان ما ينبغى الاشارة اليه ما نسب الى بعض أهل القبلة من انكار قراءة الكتاب وتسجيل الملائكة لاعمال المباد وان كان ابن حزم رحمه الله قد نفى أن يكون أحد من ينتمى الى الاسلام قد خالف فى هذا كصافى قوله : " قال أبو محمد وكل هذا مالا خلاف فيه بين أحد من ينتمى الى الاسلام الا انه لا يعلم أحد من الناس كيفيه ذلك الكتاب . (٢)

ومن نسب اليهم ذلك :

فرقة المعتزلة والروافضى وعامة المبتدعة كما عبر عن ذلك البزدوى بقوله " وعند المعتزلة والروافضى وعامة المبتدعة لا كتاب ولا قراءة " (٣)

ومن ذكر أيضا نكران المعتزلة للكتاب الشيخ عبد الكريم محمد المدرسى فى قوله عنهم :

" وأنكرت المعتزلة الكتاب والحساب وأولوها باظهاره تعالى ما علم من أعمالهم عليهم ليجزئهم عليهما زعمهم ان ذلك عبث وهو تعالى بريسى عن فعله (٤)

(١) كتاب أصول الدين ص ١٦١

(٢) الفصل ج ٤ ص ٦٦

(٣) اصول الدين ص ١٦١

(٤) الوسيلة فى شرح الفضيلة ص ٨٠١

والذى يبدو أن نسبة أنكار كتاب الاعمال ونشر الصحف في يوم القيامة الذى فرقة المعتزلة فيه نظر وذلك ان المعتزلة لا تنكر نشر الصحف كما يفهم ذلك من كلام القاضى عهد الجبار المعتزلى فانه حينما ذكر بحديث الصحف قال :-

” واما نشر الصحف فقد نطق به القرآن قال الله تعالى :
” واذا الصحف نشرت ” (١)

ومعلوم أنه لا أحد من أهل القلعة يستحيل رد ما نطق به القرآن فربما يكون انكار الصحف قد صدر من بعضهم كالفلاة منهم لا جميعهم حتى يستتم التوفيق بين ما ذكره ابن حزم ومن قال بتسوله وبين ما ذكره القاضى / عهد الجبار .

ويذكر الشيخ / عطية محمد سالم = دون عزو الى أحمد أن بعض الناس يذهب فى معنى ايتاء الكتاب الى تأويل بعيد جدا عن الحقيقة والواقع وان غطاءه قائله بحيلة التأويل فهو يتول عند ذكره لقوله تعالى : ” اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ” . يقول ” فهو كتاب مكتوب ينشر يوم القيامة يقرؤه كل انسان بنفسه مما يسرد قول من يجمل أخذ الكتاب باليمين أو الشمال كناية عن اليمين والشئوم ، وهذا فى الواقع انما هو من شؤم التأويل الفاسد وبدون دليل عليه والسمى عند الاصوليين باللجب ” . (٢)

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٢٣٦

(٢) أضواء البيان ص ٤٤٤ ج ٨ وهو الأول من نعمة الكتاب المشار اليه .

ملاحظات

=====

مما يجدر بالملاحظة والتنبيه اليه ما يذكره بعض العلماء في هذا الباب من مسائل غيبية لا مجال لاحد في الكلام فيها بدون دليل ولا يجزمون برفصها الى رسول الله " ص " وهذا ما يجعل الشخص يتوقف في القول بها كثيرا وذلك لانها نصوص غيبية لاتقال الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنها ليست مرفوعة .

والظن بمن قال ذلك ان يكون قد اطلع على رفعها ولكنه لم يذكرها مرفوعة ، ولكن يبقى السؤال لماذا لم يصرح برفعها وهو يعرف ذلك واعلمها والله أعلم مسائل غير ثابتة أو لعلمها استنباطات لبعض العلماء على ضوء نصوص لم يتيسر لى الاطلاع عليها الآن .

ومن هذه المسائل ما يلي :-

(١) ما ينقله ابن كثير عن ابن ابي الدنيا بسنده الى عثمان بن ابي المواتكسه أو غيره قال : " من أوتى كتابه بيمينه اتى بكتاب في باطنه سيئاته وظاهره حسناته فيقال له اقرأ كتابك فيقرأ باطنه فيسأ بما فيه من سيئاته حتى اذا أتى على آخرها قرأ فيه هذه سيئاتك وقد سترتها عليك في الدنيا وقررتها لك اليوم وخبطه بها الاشهاد أو قال أهل الجمع بما يقرأون في ظاهر كتابه من حسناته ويقولون سعد هذا ثم يوء صر بتحويله وقراءة ما في ظاهره فيحولها له ويبدل الله ما كان في باطنه من سيئاته فيجعلها الله حسنات حتى يأتي على آخرها ثم يقول هذه حسناتك قد قبلتها منك فمعد ذلك يقول لأهل الجمع هاؤم اقرأوا كتابيه اني ظننت أنى ملاق حسابيه . قال وأما من أوتى كتابه وراء ظهره يأخذه بشماله ثم يقال له اقرأ كتابك فيقرأ كتابه في باطنه حسناته وفي ظاهره سيئاته فيقرأها أهل الجمع ويقولون ذلك هذا فاذا أتى على آخر حسناته قيل هذه حسناتك ، وقد رددتها عليك مؤم بتحويله وقرأ سيئاته حتى يأتي على آخرها فمعد ذلك يقول لأهل الجمع (يا ليتنى لم أوت

كتابه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه
هلك عنى سلطانية " (١) .

فهذه التفاصيل الدقيقة لسمي عزها ابن كثير الى أحد غير ابن
أبي الدنيا ، ولم أجد نصاً ثابتاً بتلك التفاصيل والذي دلت عليه النصوص
ان كتب الاعمال سجلات كل سجل منها مثل صد البصر كما فى حديث
البطاقة يقرأ الانسان فيه حسناته وسيئاته .

(٢) التنصيص على ذكر اسم أول من يعطى كتابه بيئنه أو بشماله
كما ذكر ذلك السفاريني فى لوامع الأنوار حيث قال :
" ورد أن أول من يأخذ كتابه بيئنه أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبد الله
وهو أول من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد نبينا " ص " وهو أول من هاجر
من مكة الى المدينة . "

قال : وقال بعض علماء المالكية أول من يعطى كتابه بيئنه وله شعاع
كشعاع الشمس عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعده أبو سلمة . .
وروى أن أول من يأخذ كتابه بشماله أخو أبي سلمة بن عبد الأسد الاسود .
وروى انه يمد يده لياخذه بيئنه فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء
ظهره وذلك لأنه كان خلع يد سلمة لما أراد أن يهاجر فضع بنو المظيرة ام سلمة
أن تسير الى ابي سلمة ونزعا خطام البعير من يده فأخذوها منه ففضب رهط أبي
سلمة وهم بنو عبد الأسد فاجتذبوا ابنه سلمة المذكور من انه حيث أخذها رهطها

ولسم يدعوها تسير مع ابي سلمة فخلعوا يد الفلام - القصة (١) فجوزي
الاسود بخلع يده فالجزاء من جنس العسل " (٢) .

وقال القرطبي : فيما يتزوه الى أحمد بن ثابت الخياط عن زيد بن ثابت رضى
الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يعطى كتابه بيمنة من هذه الأمة
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شمع كشمع الشمس فليل له اين يكون
أبو بكر يا رسول الله قال هيهاك زفته الملائكة الى الجنان " (٣) .
وهذا الحديث فيه روا منهم وهو عمر بن ابراهيم بن خالد الكردى كما ذكر
السيوطى فى الألسى المصنوعة (٤) والشوكانى فى الفوائد المجموعة (٥) .
ويذكر البرديسى ان الاصفهسى نقله عن ابن عباس موقفا عليه (٦)

-
- (١) والقصة التى يشير اليها انظرها فى السيرة النبوية لابن هشام
ج ١ ص ٤٦٩ .
(٢) الواصع الأنوار ج ٢ ص ١٨٣
(٣) التذكرة ص ٢٥٤
(٤) الألسى المصنوعة ج ١ ص ٣٠٢
(٥) الفوائد المجموعة ص ٣٣٦
(٦) تكملة شرح الصدور ص ١٥

ويذكر القرطبي كذلك تفاصيل أخرى من ذكر اسم الشخص الذي يخطب
كتابه واسم أبيه ووصف كتاب الاعمال ووصف خطه كذلك والنتيجة بعد اتمام قراءة
الكتاب الى آخر ما يورده في كلامه الآتى :

" فأما من أوتى كتابه بيمينه فعلم انه من أهل الجنة فيقول هاؤم اقرءوا
كتابه وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه فاذا كان الرجل رأسا في الخير يدعو اسمه
ويأمر به ويكسر تبعه لدى باسمه واسم أبيه فيتقدم حتى اذا دنا أخرج له كتاب
أبيض (بخط أبيض) في باطنه السيئات وفي ظاهره الحسنات فيبدأ بالسيئات
فيقرأها فيشفق ويهفر وجهه وتغير لونه فاذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه
سيئاتك وقد عقرت لك فيفرح عند ذلك فرحا شديدا ثم يقلب كتابه فيقرأ -
حسانته فلا يزداد الا فرحا حتى اذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه
حسانتك قد وضعت لك فيبيض وجهه ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويكسى
حلتين ويحلى كل مفصل فيه مطول ستين ذراعا وهي قامة آدم ويقال له
انطلق الى أصحابك فبشرهم وأخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فاذا أدبر
قال هاؤم اقرءوا كتابية انى ظننت انى ملاق حسابية • قال الله تعالى :
" فهو في عيشة راضية " ، أى مرضية قدر ضيها في جنة عالية في السماء
قطونها ثمارها عناقيد ها دانية ادنيت منهم فيقول لاصحابه هل تعرفونسى
فيقولون قد غمرتك كرامة الله من أنت فيقول أنا فلان بن فلان لبيشش
كل رجل منكم مثل هذا كلوا واشربوا سنيئا بما اسلفتم في الأيام الخالصة
أى قدمتم في أيام الدنيا واذا كان الرجل رأسا في الشر يدعو اليه ويأمر به فيكسر
تبعه عليه نودى باسمه واسم أبيه فيتقدم الى كتابه فيخرج له كتاب أسود بخط
أسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات فيبدأ بالحسنات فيقرأها
ويظن انه سينجو فاذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك وقد ردت
عليك فيسود وجهه ويمسوه الحزن ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته
فلا يزداد الا حزنا ولا يزداد وجهه الا سوادا فاذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه

سيئاتك وقد ضوعفت عليك أى يضاعف عليه العذاب ليس المعنى انه يزداد عليه ما لم
يحمل قال فيلقى الى النار وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سراويل القطران
ويقال له انطلق الى أصحابك فاخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فينطاق
وهو يقول يا ليتنى لم أوت كتابه ولم أدر ما حسابية ياليتها كانت القاضية يعنى الموت
هلك عنى سلطانية "الى أن يقول القسطنطيني :

" فينادى اصحابه فيقول هل تعرفوننى فيقولون لا ولكن قد نرى ما بك من الحزن
فيقول أنا فلان بن فلان لكل انسان منكم مثل هذا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره
تخلع كتفه اليسرى فيجعل يده خلفه فيأخذ بها كتابه ، وقال مجاهد تحول
وجهه فى موضع قفاه ويقرأ كتابه لذلك " . (١)

وهذه التفاصيل الدقيقة تحتاج كذلك الى نصوص ثابتة عن المصطفى صلى الله
عليه وسلم .

الفصل السادس : ما قيل من الحكمة في ايتاء الصحف

الانسان كما وصفه ربه : " أكثر شئ جدلا " . الكهف : ٥٤ . ويوم القيامة وهو يرى ما أمامه من الاهیوال والاهطار وما يتوقفه من انكشاف أعماله التي عملها في الدنيا وما يشاهده من زفير جهنم وشهيقها كل هذه الأمور تعيد إلى ذاكرة الانسان ما تموده في الدنيا من الجدال وقلب الحقائق لولا أنه نسي هذه الدار لا ينفعه ذلك شيئا لأنه أمام عالم الغيب والشهادة وقد أخبر الله تعالى عن حالة الخلق في يوم القيامة وما يسمع لهم من جدل ومخومة بقوله تعالى :

" يوم تأت كل نفس تجادل عن نفسها " (النحل : ١١١)
فلا قرابة ولا عصبية ولا محاماة انقطعت هذه العلاقات في هذا اليوم فكل فرد حسب نفسه وأمام ربه الذي يحلم السر وأخفى أمام الحكم العدل الذي لا يظلم شيئا ذرة .

وقد شاء سبحانه وتعالى لكمال عدله ان يظهر لكل شخص عمله بما يتطوع بحجته ويقر بأعماله مقتنما بما وجه إليه وذلك بواسطة تلك السجلات التي سجلت عليه أيام حياته ثم احضار الشهود حتى ينقطع جدل الانسان ودفاعه عن نفسه بالكذب ، ومعلوم أنه لو شاء الله أن ينبئه بأعماله دون ايتاء ذلك الكتب لكان ذلك في منتهى الدقة والصدق فهو علام الغيوب لا يحزب عنه شيئا ذرة في السموات ولا في الأرض، ولكن الله لم يشأ ذلك بل شاء أن تكون هناك سجلات لأعمال العباد ولتتم الحجة عليهم بشهادتهم إضافة إلى شهادة الملائكة الكرام إضافة إلى شهادة جوارح الانسان نفسه وعلم الله المحيط بذلك كله .

قال الثعلبي : " وإنما يؤتى بالصحف الزاما للعباد ورفعاً للجدل والعتاد . (١)
وقد جاء في السنة النبوية أن الانسان يحاول الإنكار ويستهم الملائكة بأنهم ظالموه حتى ينطق الله جوارحه فتقطع حجته حينئذ وستأتى أدلة ذلك في مهج الحسباب .

وكشال على ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم
قال من مخاطبة المبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى
قال فيقول فاني لا أجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك
اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لا ركانه انطقني
قال فتنتطق باعماله قال ثم يخلي بينه وبين الكلام تسال فيقول بعدا لكن وسحقا
فيمكن كنت اناضل » (١)

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ٨٢٥

الفصل السابع : ما معنى تبديل السيئات بالحسنات الواردة في الصحف

عرفنا فيما مضى أن الملائكة الموكلين بكتابة أعمال العباد انهم يكتبون كل شيء صدر منه سواء كانت حسنات أم سيئات يكتبونها بناية العناية والدقة وقد ورد أيضا أن الله عزوجل يبذل لبعض عباده سيئاتهم حسنات والسؤال هو ما معنى هذا التبديل في الصحف ؟ فلاجل ذلك ذكرنا اختلاف العلماء وأقوالهم تنحصر في هذا البحث .

ومدار ذلك هو قوله تعالى :-

" والذين لا يدعون مع الله آلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا حسنا فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما " .

الفرقان : ٦٨ - ٧٠

وليس في الآية نص عن زمن تبديل السيئات ، لهذا كانت محتملة لأن يقع التبديل في الدنيا ومحتملة لأن يقع التبديل في الآخرة أيضا ولكل من هذين الاحتمالين ذهب جماعة من العلماء :-

(١) فمنهم من يذهب الى أن معناه " أن الله يبذل بقبائح أعمالهم في الشرك حيا سن الاعمال في الاسلام ، فيبدله بالشرك ايماننا وبقبل أهل الشرك بالله قيل أهل الايمان به وبالزنا غفة واحسانا " (١)

(١) تفسير الطبري ج ١٦ ص ٤٧

لأنهم قد بدلوا مكان عمل السيئات بحمل الحسنات .

وينسب هذا الرأي الى ابن عباس رضى الله عنهما .

وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس فى الآية قال هم المؤمنون كانوا من قبل

ايمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم الى الحسنات فأبدلهم

مكان السيئات الحسنات " (١)

وقال سعيد بن جبير أبدلهم الله بعباده الاوثان عبادة الرحمن وأبدلهم

بقتال المسلمين قتال المشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات " (٢)

وقال الحسن البصرى :

أبدلهم الله بالعمل السيء العمل الصالح وأبدلهم بالشرك اخلاصا وأبدلهم

بالفجور احسانا والكفر اسلاما ، وهذا قول أبى العالصة وقيادة وجماعة

آخرين " (٣)

ويذكر عطاء بن أبى رباح ان هذا التبديل يكون فى الدنيا " يكون

الرجل على صفة قبيحة ثم يبدله الله بها خيرا " (٤)

(١) تفسير الطبرى ج ١٩ ص ٤٧

(٢) - (٤) تفسير الطبرى ج ١٩ ص ٤٨ وتفسير القرآن المظهر

لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٧

أما القول الثانى : فهو ان الله يبدل سيئاتهم فى الدنيا حسنات لهم يوم القيامة بحيث ان تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستخفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة وان وجدته مكتوبا عليه فانه لا يضره وينقلب حسنة فى صحيفته .

ومن الأدلة لهذا القول ما جاء عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله " ص " " انى لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا الجنة ، يؤتى برجل فيقول سلوا عن صفار ذنوبه واخبروا كبارها فيقال له عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا عملت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا قال فيقال له فسان لك مكان كل سيئة حسنة قال فيقول يارب لقد عملت أشياء ما آراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسجك حتى بدت نسوا جذه " (١)

فهذا الحديث يفيد أن التبديل انما يقع فى يوم القيامة عند الحساب ومثل ما رواه ابن ابى حاتم - فيما يحزوه اليه ابن كثير :-

عن سلمان أنه قال يعطى الرجل يوم القيامة صحيفة فيقرأ أعلامها فاذا سيئاته فاذا كاد يسوء ظنه نظر فى أسفلها فاذا حسناته ثم ينظر فى أعلاها فاذا حسنات قد بدلت حسنات " .

وما رواه كذلك عن أبى هريرة انه قال : " لياتين الله عزوجل بأناس يسوم القيامة رأوا أنهم قد استكفروا من السيئات قيل من هم يا أبا هريرة قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات " .

وما رواه عن أبى الصيف قال ابن كثير : وهو من أصحاب معاذ بن جبل - قال يدخل أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم أصحاب اليمين قلت لهم سموا أصحاب اليمين قال لأنهم قد علوا بالسيئات والحسنات فأعلموا كتبهم بايمانهم ففسروا سيئاتهم حرفا حرفا وقالوا يا ربنا هذه سيئاتنا فأبى من حسناتنا فنمذ ذلك ما الله السيئات وجعلها حسنات فنمذ ذلك

(١) أخرجه الترمذى ج ٤ ص ٧١٣ وقال حديث حسن صحيح وأخرجه الطبرى ج ١٩ ص ٤٧

قالوا هاؤم اقرؤا كتابيه فهم أكثر أهل الجنة . (١)

وقال علي بن الحسين زين العابدين (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قال نسوي الأخره وقد ذكر ابن كثير غير ما تقدم من الروايات عزاهما الى ابن أبي حاتم عن مكحول والى الطبرانى .

من حديث أبي المفيرة عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي فروة وصارواه كذلك عن سلمة بن نفيل وعن أبي هريرة (١) وهى بمعنى ما تقدم من أن ذلك التبديل يحصل فى الأخره .

وأخرج ابن جرير فيما يمزوه الى سعيد بن المسيب انه قال تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة . (٢)

وتبعا لهذه النصوص اختلفت آراء العلماء فى معنى هذا التبديل ، فالطبرى يرجح القول بأن الله ينقلهم من الأعمال .

التي تسخطه الى الأعمال التي ترضيه وذلك فى قوله :-

" وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من تأوله فألئك يبدل الله سيئاتهم أعمالهم فى الشرك حسنات فى الاسلام ينقلهم عما يسخطاه الله من الأعمال الى ما يرضى " .

قال : " وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الاعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القبح وغير جائز تحويل عين قد ضمت بصفة الى خلاف ما كانت عليه الا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها فى حال أخرى فيجب ان فصل ذلك كذلك ان يصير شرك الكافر الذى كان شركا فى الكفر بمينه ايمانا يوم القيامة بالاسلام ومعاصيه كلها بأيمانها طاعة وذلك ما لا يقوله ذو حجة " (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٣٢٨

(٢) تفسير الطبرى ج ١٩ ص ٤٧

(٣) تفسير الطبرى ج ١٩ ص ٤٧

والقرطبي يذهب الى ترجيح القول بأن ذلك التبديل يحصل في الآخرة
وذلك فيما يعزوه الى هلال بن سعد أنه قال :

" ان الله يفسر الذنوب ولكن لا يحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها
يسوم القيامة وان تاب منها " .

قال القرطبي " ولا يحارض هذا ما في التنزيل والحديث من ان السيئات تبدل بالتوبة
حسنات فلعل ذلك يكون بعد ما يوقفه الله عليها " (١)

وفهم من هذا الخلاف ان السألة قابلة للاحتمالات . والنصوص
محتلمة للخلاف .

والله أعلم

(١) التذكرة ص ٢٦٣ .

" الباب الثامن "

الحساب

ويشمل الفصول الآتية :

الفصل الاول : تعريف الحساب ١ - في اللغزة

٢ - في الشرع

الفصل الثاني : أدلة اثبات الحساب : ١ - من القرآن الكريم .

٢ - من السنة النبوية

الفصل الثالث : متى يكون الحساب ه وأين يكون المحاسبون .

الفصل الرابع : من يتولى حساب الخلق .

الفصل الخامس : كيفية الحساب .

الفصل السادس : من هم الذين يشملهم الحساب .

الفصل السابع : أول من يحاسب من الناس .

الفصل الثامن : أول ما يسأل عنه العبد .

الفصل التاسع : تقرير الله لعباده في الحساب .

الفصل العاشر : الشهود في الحساب .

الفصل الحادي عشر : عدل الله تعالى في المقاص بين الخلق .

الفصل الثاني عشر : الجزاء في يوم القيامة يكون من جنس العمل .

الفصل الثالث عشر : رحمة الله بعباده في الحساب .

الفصل الرابع عشر : المنكرون للحساب والرد عليهم .

الفصل الخامس عشر : دور العمل في دخول الجنة .

الحساب =====

قبل البدء بذكر تفصيل ما قيل عن حساب الله تعالى لخلقته وابرار أهمية أمر الحساب وعظيم ما ينتج عنه من السعادة والشقاوة نشير قبل ذلك كله الى تعريف الحساب في اللغة وفي الشرع فيما يلي :-

الفصل الأول =====

تعريف الحساب في اللغة وفي الشرع

١ - تعريفه في اللغة

جاءت في كتب اللغة عدة اطلاقات للفظ الحساب ، ومن بين تلك الاطلاقات ان الحساب يطلق ويراد به العدد والمعدود والاحصاء بالدقة التامة دون زيادة ولا نقصان ، وقد ذكر أهل اللغة في مادة "حسب" كثيرا من المعاني التي جاءت لهذه التلمة .

وفي هذا يقول الازهرى :

" وانما سمي الحساب في المعاملات حسابا لأنه يحلم به ما فيه كفاية ليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان "

" وقال الليث " الحساب والحسابه عدك الشيء " تقول حسبت الشيء احسب حسابا وحسابه وحسبته .

ويأتى الحساب كذلك بمعنى الكثرة " قال أبو عبيد عن أبي يزيد : -
" احسبت الرجل أى أعطيته ما يرضى ، وقال غيره معناه أعطيته حتى قال حسبى قال الله عز وجل " عطاء حسابا " (النبأ : ٣٦)

أى كثيرا ، ويقال اتانى حساب من الناس أى جماعة كثيرة وعلى لفظة هذيل (١)

(١) انظر كتب اللغة مادة " حساب " تهذيب اللغة ج ٤ ص ٣٣١ و ص ٣٣٢ ، وانظر تاج العروس ج ١ ص ٢١٠ - ٢١٢ ، وانظر كذلك القاموس المحيط ج ١ ص ٥٦٠ والصحاح الجوهري ج ١ ص ١١٠

وتأتى لفظة حسابان مرادفة لكلمة الحساب والكل بمعنى واحد نقل الأزهرى
عن ابى الميالى أنه قال :

" حسابانا مصدر كما تقول حسبتة احسبه حسابانا وحسابا ، وقال الأخفش أن
حسابانا جمع حساب ، وقال أبو الهيثم :

الحسبان جمع حساب وكذلك احسبه مثل شهاب وأشهبه وشهبان " (١)
وقال أيضا :

" واخبرنى المنذرى عن ثعلب انه قال :

قال الأخفش فى قوله " عز وجل "

والشمس والقمر حسابانا ، فمناه بحساب فحذفوا لباء " . (٢)

ويقول الفيروز ابادى

" حسبه حسابا وحسبانا بالضم وحسبانا وحسابا وحسبنة وحسابه بكسر هـ
عده والممدود محسوب " . (٣)

ويقول الهورينى : " حسبه احسبه بالضم حسابا وحسبانا وحسابه اذا
عدوته والممدود محسوب " (٤)

وذكر أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا ان حسب لها معان فقال : الاول

الممد تقول حسبت الشئ احسبه وحسبانا . قال الله تعالى :

" والشمس والقمر بحسبان " (٥)

(١) (٢) تهذيب اللفظة ج ٤ ص ٢٦١ - ٢٦٢

(٣) القاموس المحيط ص ٥٦ ج ١

(٤) فوائد فى اللفظة والسحاح ص ٤٢

(٥) معجم مقاييس اللفظة ج ٢ ص ٥٨ ط ٢ ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م مطبعة

وقال الراغب :

" الحساب استعمال الممدد يقال حسبت أحسب حسابا وحسبانا .

قال تعالى : " اتعلموا عدد السنين والحساب " (يونس : ٥)

وقال تعالى : " وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسابا " (الانعام :

٩٦) (١)

والحسبان " ما يحاسب غيره فيجازى بحسبه " (٢)

وكذا لفظه الحسيب والحاسب فانها تطلق مراداً بهما الحساب قال الراغب :

" والحسيب والحاسب من يحاسبك ثم يعبر عن المكافئ بالحساب " (٣)

وقد ورد في القرآن الكريم كذلك اطلاق لفظه الحساب مراداً بهما الجزاء

كما قال تعالى :-

١- " ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح

الكافرون) المؤمنون : ١١٧

قال الطبري : " فانما حسابه عمله السيء عند ربه وهو موافقه جزاءه اذا

قدم عليه " (٤)

٢- وقال تعالى : قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا

يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون " الشعراء : ١١١-١١٢ " .

قال ابن جريج : اي هو أعلم بما في أنفسهم . (٥)

(١) - (٢) المفردات ص ١١٦-١١٧

(٤) جامع البيان ج ١٨ ص ٦٤ وانظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٩

(٥) الدر المنثور ج ١٩ ص ٣١١

٣- وقال تعالى : " ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم " (الفاشية :

(٦٥ - ٦٦)

قال ابن كثير : أى نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيتهم بها ان خيرا فخير
وان شرا فشر " (١)

* ويطلق ايضا على محاسبة النفس .

قال تعالى : " كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " (الاسراء : ١٤)

أى كفى بك لنفسك محاسبا " (٢)

ويطلق على التوسعة فى الرزق كما قال تعالى :

" يرزق من يشاء بغير حساب " (آل عمران : ٣٧)

" أى بغير تقييد وتضييق كقولك فلان ينفق بغير حساب أى يوسع النفقة ولا

يحسبها " (٣)

والحاصل أن أقوال أهل اللغة فى المراد بالحساب تشير الى أنه

يبرد بمعنى الكثرة فى الشيء ، والزيادة فيه والمدد والاحسان والدقة

فى العدد دون زيادة ولا نقصان .

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٠٤

(٢) (٣) تهذيب اللغة ج ٤ ص ٣٣٦

آ - الحساب شرعا

أما المراد بالحساب في الشرع فإنه يراد به " توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرا كانت أو شرا تفصيلا لا بالوزن الا من استثنى منهم " (١) وقوله " لا بالوزن " يحتل أنه يريد ان الله يحاسبهم ثم يزن أعمالهم لا أنه يكتفى بالحاسبة عن الوزن " الامن استثنى منهم فإنه لا يحاسبهم ولا يزن أعمالهم " .

ويحتل أيضا أن يكون المعنى أن الله يوتقهم على أعمالهم تفصيلا ولا يكتفى بالمصرفة الاجمالية التي تتأتى من طريق الوزن .

ونقل السفاريني عن الثعلبي تعريفه للحساب قائلا :

" الحساب تعريف الله عز وجل الخلاق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره اياهم بما قد نسوه من ذلك يدل على هذا قوله تعالى :

" يسوم يمحشهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه " (٢)

المجادلة : ٦

والظاهر : أن تعريف الثعلبي أشمل من تعريف السفاريني لأنه يتضمن تعريف الله عباده بأعمالهم تفصيلا على مقدار ما يستحقونه من الجزاء خيرا أو شرا ، وتعريف السفاريني يفرد بأن هذه الحاسبة لا يفتنى عنهما الميزان ولا تفتنى عن الميزان .

وقال القرطبي رحمه الله في تعريف الحساب :

" ومعناه أن الباري سبحانه يحدد على الخلق أعمالهم من احسان واساءة يحدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض " (٣) ومصححني

(١) لوامع الانوار ج ٢ ص ١٦٥ وانظر الكواشف الجلية ص ٢٤٣

(٢) لوامع الانوار ج ٢ ص ١٦٥

(٣) التذكرة ص ٢٧

ومعنى هذه العبارة :

أن نتيجة مقابلة بعضهم ببعض أى السيئات بالحسنات
لاظهار أيهما أرجح وعليه يحكم على الشخص ان كان من أهل
الخير أو أهل الشر .

وهذا التعريف أليق من التعاريف السابقة لأنه ادخل
المعنى اللغوى وقيدته بالمراد منه فى الشرح .

الفصل الثاني

" أدلة اثبات الحساب "

تمهيد :

لقد حظى ذكر الحساب بنصوص كثيرة في كتاب الله عز وجل وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه جميع أهل الإسلام .
إنه من المسائل الأخروية المعلومه من الدين بالضرورة .
وقد أكثر الله من ذكره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بعبارات متنوعة ودلالات مختلفة مضمورا في هؤل ذلك أو مخبرا عنه ومبشرا به كل ذلك لزيادة العناية وللفت أنظار الناس اليه ليكونوا على بينة من أمرهم فيستعدوا له بالعمل الصالح أو أنه من أهم الأمور التي تحدث في يوم القيامة بل هو المراد ببحث الناس وقيامهم من تهورهم وفي الموقف به يتميز الناس فيسعد من يسعد ، ويشقى من يشقى حينما يفصل الله بين خلقه في أكمل صور العدل وأجلها ونمضى فيما يلي أدلة اثباته من كتاب الله عز وجل :

٢ - ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

١ - أدلة اثبات الحساب من كتاب الله عز وجل

الأدلة في القرآن الكريم على وقوع الحساب كثيرة لا يتسع المقام لذكرها كلها غير أننا سنقتصر على إبراز أهم الجوانب التي جاءت في أمر الحساب . فمن ذلك :

(١) ما جاء في انذاره عز وجل عن سرعة وقوع الحساب .

فقال تعالى : " واتقوا الله ان الله سريع الحساب " .

المائدة : ٤

وقال تعالى : في بيان ان سرعة ذلك الحساب يكون مع تمام العدل : -
" ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب " ابراهيم :

٥١

" اليوم تجزي كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب " غافر : ١٧

" ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين "

الأنبياء : ٤٧

٢ - والحساب تارة يكون يسيراً على أهل الايمان والذاعات وتارة يكون عسيراً على أهل الكفر والمعاصي .

" فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب الراس رأساً على عقب " (الانشقاق : ٧ - ٩) .

فأما من أوتى كتابه بشماله فيقول هؤلاء اقروا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابية " (الحاقة : ١٩ - ٢٠)

وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابية ولم أدر مسا حسابية " (الحاقة : ٢٤ - ٢٦)

للذين استجابوا لربهم الحسن والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم
صافي الأرض جميعاً وشله معه لافتقدوا به أولئك لهم سوء الحساب
وأولئك جهنم وبئس المهاد " (الرعد : ١٨)

" ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا
يوم الحساب " ص : ٢٦

والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا
جاءه لم يجد شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع
الحساب " (النور : ٣٩)

٣ - وقال تعالى في بيان احاطة علمه بكل ما يصدد عن الحساب
وأنته سبحانه عليهم عليه :

" لله ما فى السموات وما فى الأرض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه
يحاسبكم به الله فيفسر لمن يشاء ويمذّب من يشاء والله على كل
شىء قدير " (البتيرة : ٢٤٤)

٤ - وقال تعالى فى مدح المؤمنين وخوفهم من هول الحساب
" والذين يعملون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء
الحساب " (الرعد : ٦١)

وقال تعالى : فى مدح الصابرين وبيان أجرهم :

" قل يا عمادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا
حسنه وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب "

الزمر : ١٠

٦ - وقال تعالى فى ذم المكذبين بالحساب :

" انهم كانوا لا يرجون حسابا " (النبا : ٢٧)

" وقال موسى انى عدت برىي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب " (غافر : ٢٧)

وأما ما ورد من قولهم : " ربنا عجل لنا قننا قبل يوم الحساب " ص : ١٦

فانما هو قول على سبيل الاستهزاء^(١) أو التحدي للرسول صلى الله عليه وسلم أن يرهبهم صكا كهم^(٢) بحفوضهم من الخير أو الشر الذى وعد الله عباده أن يؤتيهموها فى الآخرة قبل يوم القيامة فى الدنيا استهزاء . بوعيد الله .^(٣)

ونكتفى بما تقدم ذكره من الآيات التى تدل على وقوع الحساب فى يوم القيامة وهما يتبين مدى عناية القرآن الكريم بذكره وعظيم شأنه .

ونضيف الى ما تقدم من الأدلة الواردة فى القرآن الكريم أدلة أخرى من السنة النبوية فيما يأتى :

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٩

(٢) أى كتب أعمالهم .

(٣) انظر جامع البيان ج ٢٢ ص ١٢٥

٢ - الأدلة من السنة النبوية على إثبات وقوع الحساب

وكما حظى ذكر الحساب في القرآن الكريم بكثرة العناية بذكره ،
وإيمانه في أكثر من موضع كما رأينا فيما سبق عرضناه .
فقد حظى كذلك بالذكر والعناية والاهتمام على لسان المصطفى
صلى الله عليه وسلم فقد وردت أحاديث كثيرة بشأنه وسنذكر
منها ما يتبين به صدق ما قدمناه وذلك فيما يلي : - قال صلى الله
عليه وسلم في الحديث ^{الحديث} على الاستعداد بالعمل الصالح وحاسبة النفس
وعدم تركها ترتع كيفما شئت وهو ما ورد عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع
نفسه هواه وتحنى على الله " .
قال الترمذي : ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم من دان نفسه يتقوله حاسب
نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة " . (١)
فإذا لم يستعد العبد بالعمل الصالح ولم يسلك فيما أمره الله به
ولم ينته عما نهاه عنه بل كفر بربه ولقائه فانه سيندم يوم القيامة
ويتمنى ان لو كان له من عمل الأرض ذهباً وفتدى به لو نفعه حين
يحاسب بين يدي الله تبارك وتعالى كما جاء في حديث أنس رضي الله
عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم : كان يقول يجاء بالإنافر يوم القيامة فيقال له
أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً اكننت فتدي به فيقول نعم : فيقال
له قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك " (٢)

(١) أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٦٣٨ وقال حديث حسن .

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٦٨ .

وقد جاء عن النبي " ص " في سهولة الحساب ويسره وتجاوز

الله تعالى : -

عن عائشة رضی الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك فقلت يا رسول الله اليس قد قال الله تعالى

" فأما من أتى كتابه بيحينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " .

فقال رسول الله " ص " انما ذلك العرض وليس أحد يناقض الحساب يوم القيامة الا عذب " (١)

وفي بعض روايات هذا الحديث " من حوسب عذب " الخ الحديث

وقال صلى الله عليه وسلم في تجاوز الله تعالى عن يتجاوز عن الناس فسح

الحساب ويسر عليهم وتخفيف الله عن عباده .

عن أبي سعيد البديري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

" حوسب رجل فمن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء الا أنه كان يخالط

الناس وكان موسرا فكان يأمر فلانته ان يتجاوزوا عن المحكم قال : قال

الله عز وجل " نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه . " (٢)

(١) البخاري ج ٧ ص ١٩٨

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ٧١ وأخرجه الترمذي في البيوع والامام أحمد

في المسند والخطاب في قوله " تجاوزوا عنه للملائكة " .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلواته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا نبي الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز عنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك وكل ما يصيب المؤمن يكفر الله عز وجل به عنه حتى الشوكة تشوكة " (١)

وعن محمود بن لبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اثنتان يكرههما ابن آدم الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وثلاثة المصالح أقل للحساب " (٢)

وعن السدي قال حدثني من سمع عليا يقول : لما نزلت هذه الآية " وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويمدب من يشاء " (البقرة : ٢٨٤)

أحزنتنا قال : قلنا يحدث أحدنا نفسه فيحاسب به لا ندري ما يغفر منه وما لا يغفر فنزلت هذه الآية بعدها ففسختها

" لا يكلف الله نفسا الا وسعها لهما ما كسبت وعليهما ما اكتسبت " (الآية ٢٨٦ البقرة) (٣)

(١) المسند ج ٦ ص ٤٨

(٢) سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٢٠

وعن العدل في القصاص يوم القيامة وتبادل الحسنات والسيئات
يقول صلى الله عليه وسلم : من كانت عنده مظلمة لأخيه فليستحللها
فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فان لم
يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه " (١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخلص المؤمنون من النار فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصد
لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا تذبذبا وتقاوا ان لهم
في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده لأعدهم أهدي بمنزله في الجنة
منه بمنزله كان في الدنيا . (٢).

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن ناسا لا يحاسبون وهم سيمون ألفسا
اكراما لهم كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي
صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه
الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد ان رفع لي سواد عظيم فنظمت أنهم
أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد
عظيم فقيل لي انظر الى الافق الآخر فنظرت فاذا سواد عظيم فتدبر
لي هذه أمتك ومنهم سيمون ألفسا يدخلون الجنة بخير حساب ولا عذاب
ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بخير
حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء فخرج
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذي ترضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون

(١) البخاري ج ١١ ص ٣٩٥

(٢) البخاري ج ٧ ص ١٩٧ .

ولا يستترقون ولا يقطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محم بن فقل ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة . (١)

وفى بيان أول ما يحاسب عليه المهد يوم القيامة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يتقى بين الناس بالدماء " (٢)

وعن حريث بن قبيصة قال قدنا المدينة فتمت اللهم يسر لي جليسا صالحا قال فجلست الى أبي هريره فقلت اني سألت الله أن يرزقني جليسا صالحا فحدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله أن ينمني به فقال " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان أول ما يحاسب به المهد يوم القيامة من عمله ماله فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر فان انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل انظروا هل لمهدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك " . (٣)

(١) أخرجه البخارى ج ١٠ ص ١٥٤ وأخرجه فى ج ١١ ص ٣٠٥ مختصرا ثم ذكر فى ص ٤٠٦ من هذا الجزء عدة روايات نى هؤلاء السبعة الالف . وأخرجه مسلم ج ١ ص ٤٩٥ واللفظ له " ليس فى روايات البخارى " الرهيط " ومعنى الرهيط " الجماعة دون المشورة "

وهو بضم الراء .
 وأخرجه ابن ماجه وأحمد وأبو داود .
 (٢) صحيح البخارى ج ٧ ص ١٩٧
 (٣) سنن الترمذى ج ٢ ص ٢٧٠ والنسائى ج ١ ص ٢٣٢ وابن ماجه ج ١ ص ٤٥٨
 الكذب وتسمه ما جازف فيه كذا
 ابن سينا اه ههنا لفظ اصدره من علم وهم من الاراك وهم ههنا
 وليس في لفظ البخارى صلاه لارثون . وقد حقه شيخ الاسلام
 ابن سينا اه ههنا لفظ لارثون غير شاذ واه المعتمد في ههنا
 الكذب وتسمه ما جازف فيه كذا

وعن أول الخلق حسابا .

يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
" نحن آخر الامم وأول من يحاسب يقال أبين الامة الآية ونبيهم ~~.....~~ ؟
فنحن الاخرون الاولون " (١)

*

*

*

(١) أخرجه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٤ قال محمد فؤاد
" في الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات وأبو سلمة
هو موسى بن اسماعيل البصرى التيمونكى " وأخرجه
الأمام أحمد ج ١ ص ٢٨٢ / ٢٩٦ .

الفصل الثالث =====

" متى يكون الحساب وأين يكون المحاسبون "

حينما يبعث الله الصناديق من قهورهم ، يخرجون وهم لا يذكرون شيئاً من أعمالهم التي قدموها في حياتهم الدنياه ، كما ذكر الله ذلك عنهم في كتابه العزيز في قوله عز وجل :

" يوم يحشهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسبه "

المجادلة : ٦

وما أسرع نسيان الانسان لاعماله التي يحملها وهو غافل لا يدري ان هناك من يراقبه مراقبه دقيقة يسجل عاينه كل ما يصدر عنه مسن قول أو فعل .

قال الطبري عن معنى الآية : يقول تعالى ذكره أحصى الله ما عملوا فعده عليهم وأثبته وحفظه ونسبه عاملوه والله على كل شيء شهيد (١)

فاذا جمعهم الله في الموقف واذن بفصل القضاء فيهم اعلمهم الله تلك الكتب ليقفوا على ما فيها ثم بعد ذلك تبدأ المحاسبة " فأما من أرتى كتابه بيديه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ، وأما من أرتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو شهوراً "

(١) جامع البيان ج ٢٨ ص ١٦

وفى تقديم الله تعالى ذكر الكتاب أو صحف الأعمال على ذكر الحساب دلالة على تقديم أخذ الصحف على الحساب وفى هذا يقول القرطبي " فاذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التى يؤتونها بعد البحث حوسبوا بها " (١)

وقبل حسابهم يمتاز كل فريق عن الآخر ، المؤمنون فى مكان وغيرهم من الكفار كل فرقة فى مكان قال الحافظ ابن كثير :

" فاذا نصب كرسي فصل القضاء انما الكافرون عن المؤمنين فى الموقف الى ناحية الشمال وتقى المؤمنون عن يمين الصراط ، ومنهم من يكون بين يديه قال تعالى :

" واتخاذوا اليوم أيها المجرمون " (٢) (يس : ٥٩)
قال الطبري فى معناها " أى تميزوا " (٣)

وقال ابن كثير :-

فى معناها : " يقول تعالى نخبزوا عما يؤول اليه حال الكفار يوم القيامة من امره لهم أن يمتازوا بمعنى يميزون عن المؤمنين فى موقفهم كقوله تعالى :

" وموم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاءكم فزينا بينهم "

وقال عز وجل : " وموم تقوم الساعة يومئذ يفترون " يومئذ يصدعون " أى يصيرون صدعين فرقين " (٤)

(١) التذكرة ص ٢٥٥

(٢) النهاية ج ٢ ص ١١٠

(٣) جامع البيان ج ٢٣ ص ٢٢

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٧٦ .

ويقول مقاتل : " منناه اعتزلوا اليوم يعنى فى الآخرة من الصالحين
وقال السدى كانوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين
وقال الضحاك يتجاز المجرمون بعضهم من بعض فيمتاز اليهود فرقة
والنصارى فرقة والمجوس فرقة والنائبون فرقة وعنده الاوثان فرقة
وقال داود بن الجراح يتجاز المسلمون من المجرمين إلا أصحاب الالهواء
فانهم يكونون مع المجرمين " (١)

وقد أخرج الطبري بمنده السى أبى نيرة رضى الله عنه أن رسول الله
" ص " قال :

" اذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها خلق ساطع مظالم
ثم يقول :

" ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ... " الآية
اللى قوله " هذه جهنم التى كنتم توعدون ... " وامتازوا اليوم
أيها المجرمون " فيتميز الناس ويحشون وهى قوله تعالى " وشرى
كل أمة جائية . (٢)

فالكاتب هنا هو تميز كل فريق عن الفريق الآخر دون تحديد الجهات
التي ذكرها الحافظ ابن كثير رحمه الله كما فى الآية السابقة
وكذا فى قوله تعالى : " وسوم يحشرونهم جميعا ثم يقول الذين أشركوا
مكانكم أنتم وشركاءكم فزينا بينهم وقال شركاءهم ما كنتم آيانا
تعبدون " (يونس : ٢٨)

قال ابن كثير فى معنى الآية " ثم نقول للذين أشركوا مآانكم أنتم وشركاءكم

(١) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٢٢٧ هكذا فى الكتاب " فانهم يكونون مع
المجرمين " .

(٢) جامع البيان ج ٢٣ ص ٢٤

فزيلنا بينهم " الزموا انتم وهم مكاناً معيناً امتازوا نيه عن مقام المؤمنين " (١)

وقال تعالى : " يوم تقوم الساعة يؤمذ يتفرقون " (الروم : ١٤)

وفسر الرازي هذا التفرق بأنه " يجعل فريق في الجنة وفريق في السعير " (٢)

وقال تعالى : " فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يؤمذ يصدعون " (الروم : ٤٣) أي يصيرون فرقتين

ويمثل ما فسر الرازي هذا التفرق فسرته كذلك الشوكاني حيث قال :
" والمراد بتفريقهم هاهنا أن أهل الجنة يصيرون إلى الجنة وأهل النار يصيرون إلى النار " (٣)

وقال تعالى : " احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم " (الصافات : ٢٢)

وهذه الآية فسرها بعضهم بأن كل منصف يتصير مع شريكه • فتسد جسداه
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قول الله : " احشروا الذين ظلموا وأزواجهم " قال أمثالهم الذين هم مثلهم يجرى أصحاب الرضا
مع أصحاب الرضا وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر أزواج في الجنة وأزواج في النار " (٤)

وفي رواية عن ابن عباس : " قال أشباههم وفي لفظ نظاراهم " (٥)

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤١٥

(٢) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ١٠٦

(٣) فتح القدير ج ٤ ص ٢٢٩

(٤) (٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٧ ص ٨٣ وعزاه إلى عبد الرزاق
والفريابي وابن أبي شيبة وابن مبيح في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر
وابن أبي عاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي •

وفي رواية عن عكرمة مثله . (١)

وعن مجاهد : " قال اشألمهم القتله مع القتامة والزناه مع الزناه
وأكله الرما مع أكله الرماء " (٢)

وخلاصة ما قيل عن تمييز المؤمنين عن غيرهم وتميز كل فرقة بفردها
أن الله تعالى أمر بأن يتميز أهل محبته ورضوانه عن أهل عداوته
وعيانه الى حيث يشاء سبحانه وتعالى كما أمر أن ينفرد أهل
عبيانه عن أهل طاعته ليكون لكل فرقة من الفرق موضع يابسق
بها وليصرف كل فريق حاله ثم بعد ذلك يحصل أن يكون هذا الفرق
يحصل في الموقف ويحصل أنه يحصل عند تفرقتهم الى الجنة أو النار
والآيات ظاهرة في أن الله تعالى يأمر كل فريق أن يتميز عن الآخر
كيفما يشاء الله سبحانه ولم يسم تسمية تلك الآيات الجهات التي ينحاز
اليها كل فريق وإنما بينت ان هناك تميزا يحصل بينهم يظهر ما سنبين
ما يأتي :-

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٧ ص ٨٢ وعزاه الى عهد الرزاق
والغريابى وابن ابى شيبة وابن خبيق في مسنده وعهد بن حميد
وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن
مردويه والبيهقي .

(٢) انظر الدر المنثور ج ٧ ص ٨٤

- (١) ان زمن الحساب يكون بعد خروج الناس من القبور •
- (٢) وان المحاسبين يكونون في الموقف كل فريق في جهته
فالمؤمنون في جهة ويحتاج فيهم في جهة أخرى
وقد عين ابن كثير ان المؤمنين يكونون يمين العرش وأن غيرهم
يكونون على يساره غير أن هذا القول يحتاج الى نص •

الفصل الرابع

ممن يتولى حساب الخلق

الذي يتبين من ظواهر السنن من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ان الذي يحاسب الخلق كلهم هو الله جل وعلا وهو ما اتادتسه عموم الآيات التي يذكر فيها محاسبة الله تعالى لعباده وعموم الأحاديث التي يذكر فيها وقوف البشر عند ربهم للمرضي والحساب كما يتبين ذلك من عرض الأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه " ص " فيما يلي :

(١) ~~فأما ما ورد في القرآن الكريم فهو مثل قوله تعالى :~~

~~" وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله "~~

~~(البقرة : ٢٨٤)~~

(٢) وقوله تعالى : " ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم "

((الفاشية ٢٤ / ٢٦))

(٣) وقوله تعالى : " فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب " (الرعد : ٤٠)

(٤) وقوله : " ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما

حسابه عند ربه " .

(المؤمنون : ١١٧) .

وأما ما ورد في السنة النبوية فهي أحاديث كثيرة مثل قوله " ص " انكم سترون ربكم " (١)

" ليس منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان " (٢) وذلك ما جاء في بعض الاحاديث القدسية مثل قول الله تعالى :-

" يا عبادي انما هي اعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيتكم ايها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه " (٣) وفي تفسير ذلك من النصوص التي تدل على أن الله تعالى هو الذي يتولى حساب خلقه غير أن بعض العلماء يذهب الى أن الله تعالى لا يتحاسب بعض الخلق بل تحاسبهم الملائكة امانة لهم وتمييزاً للأعمال الكريمة ويستدل هؤلاء بما أخرجه الشيخان عن ابن هزيمة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل ورجل باع اماما ما يباحه الا للدنيا فان اعطاه ما يريد ، وفي له والا لم يفت له ورجل يبايع رجلا بعد المصير فحلف بالله لقد أعطى كذا وكذا - فمدقه ولم يمت بها " (٤)

ومن ذهب الى هذا الرأي القسري فيما يذكر السفاريني وذكر كذلك أم أن غيره قد ذهب الى هذا القول أيضا (٥) وهي مسألة فيها خلاف كما تقدم وأشرنا الى أن مثل هذه النصوص تدل على أن الله لا يكلمهم في مكان ويكلمهم في مكان آخر .

(١ - ٣) قد سبق تخريج هذه الأحاديث .

(٤) أخرجه البخاري ج ١٣ ص ٢٠١ و ص ٤٢٢ ومسلم ج ١ ص ٣٠٤

(٥) لوامع الانوار ج ٢ ص ١٧٧

أولا يكلمهم كلام راض عنهم أو بكلام يفهمهم ويسرهم .

قال الحافظ السنوي رحمه الله عن معنى الحديث

" قيل معنى لا يكلمهم أي لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات وبإظهار الرضى

بل بكلام أهل السخط والفضب ، وقيل المراد الاعراض عنهم ، وقال

جمهور المفسرين لا يكلمهم كالمسا يفهمهم ويسرهم ، وقيل لا يرسل اليهم

الملائكة بالتحية ومعنى لا ينظر اليهم أي يعرض عنهم " (١) . الخ .

(١) شرح النووي لمسلم ج ١ ص ٣٠٥

الفصل الخامس

كيفية الحساب

اختلفت آراء العلماء حول الكيفية التي يتم بها حساب الخلق التي
أقوال :

" أحدها أنه يحلمهم ما لهم وعما بهم ... قال بعض العلماء بمأن
يخلق الله في قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب
والعقاب "

وهذا القول قد حكاه السفاريني والبرديسي دون بيان تأمله وقد رأيت
المقاضي عهد الجبار المحتزلي في كتابه شرح الأصول الخمسة في قوله :
" فان ذلك - يريد الحساب - يكون بخلق العلم الضروري في قلبه
انه يستحق من الثواب كذا ومن العقوبة كذا فيسقط الاقل باكثر " (١)

الثاني : " ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يوقف الاله تعالى
عباده بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم . فيقول
هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد غافرتكم " .

الثالث : ان يكلم الله عباده في شأن أعمالهم وكيفية ما لها من
الثواب وما عليهما من العقاب " (٢)

والذي يظهر - لي - ان كيفية الحساب هو ان يوقف الاله الصمد
بين يديه ثم يحاسبه على أعماله حسابا يسيرا أو حسابا عسيرا كما ذهب اليه أهل القول
الثالث وهو الرأي المعتبر والنظام من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٧٣

(٢) انظر لوائح الانوار ج ٢ ص ١٦٥ وانظر تكمله شرح المصدر ص ٢٠

ومن كيفيات الحساب كذلك ان :-

- (١) منه اليسير قال تعالى " فسوف يحاسب حسابا يسيرا " (الانشاق: ٧)
 - (٢) ومنه المسير قال تعالى عن القار " أولئك لهم سوء الحساب وما والله بهم
جهنم " (المرعد : ١٨)
 - (٣) ومنه السر " وقد تقدم ذكر دأبيه كحديث النجوى وما ورد من فضيحة
بعض الناس على رؤس الأشمسة .
 - (٤) ومنه الجهر = كما تقدم في الجمع " من اتيان الفادر يحل قدرته على
ظهوره .
 - (٥) ومنه التويخ " يوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون "
 - (٦) ومنه العدل قال تعالى : " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا
تظالم نفس شيئا وان كان شقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا
حاسبين " الأنبياء : ٤٧
 - (٧) ومنه الفضل قال تعالى : وان تبدوا ما من أنفسكم أو تخفوه
يحاسبكم به الله فيخفر لمن يشاء ويمذب من يشاء "
- (البقرة : ٢٨٢)

قال البرديسي :

- " ويكون للمؤمن والكافر والائن والجن الامن ورد الحديث باستثنائهم " (١)
- ومسألة حساب الجن وشوابهم وعقابهم وهل يدخلون الجنة أم لاكمل
هذه المسائل وغيرها سنخبرها بالذكر في بحث الميزان .

(١) تكملة شرح المدور ص ٢٠

الفصل السادس

=====

من هم الذين يشظهم الحساب

=====

الناس في يوم القيامة يردون فصل القضاء طوائف متفرقة وأصنافا شتى منهم من يستحق غاية الاكرام ، ومنهم من يستحق غاية التعذيب ومنهم من هو بين ذلك .

فهناك الأنبياء وهناك المؤمنون السابقون منهم والمقتصدون وهناك من خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهناك كفار هم أعداء الله ومحل سخائه وبغضه ، انهم يردون أصنافا شتى لا يعلمهم الا الله تعالى فمن من هؤلاء يحاسب ومن من هؤلاء لا يحاسب بل يكرمهم الله فلا يحاسبهم .

وقد أجمل القرطبي رحمه الله الجواب عن هذه الاصناف بالنسبة للحساب فقسمهم الى ثلاث فرق فقال :

" فرقة لا يحاسبون أصلا ، وفرقة تحاسب حسابا يسيرا وهما : مسيئين المؤمنين ، وفرقة تحاسب حسابا شديدا يكون منها مسلم وكافر ، واذا كان من المؤمنين من يكون أدنى الى رحمة الله فلا يبعد ان يكون من الكفار من هو أدنى الى غضب الله فيدخله النار بشير حساب " (١)
والواقع ان الاجابة تحتاج الى تفصيل أكثر لطوائف الناس وسنذكر فيما يلي تفصيل ما قيل عن كل طائفة :-

(١) التذكرة ص ٣٤٣

١ - أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ففى محاسبة الله تعالى لهم خلاف بين العلماء .

وسبب الخلاف فيهم هو ما جاء فى قوله تعالى : " فلننزلن الذين

أرسل اليهم ولنسألن المرسلين " (الأعراف : ٦)

فان هذه الآية تدل على أن الله يحاسب جميع البشر الرسل والمرسلين

اليهم وهذا هو ما يذهب اليه بعض العلماء .

قال الرازى فى اثبات أن السؤال يقع على الأنبياء والامم أيضا

" المسألة الثانية : الذين أرسل اليهم هم الامم والمرسلون هم

الرسل فبين تعالى انه يسأل هذين الفريقين قال " وتفسير هذه

الآية قوله " فوريك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعطون " (١)

(الحجر : ٩٢)

وقال أيضا فى معرض، هذه المسائل التى اشتملت عليها الآية

" المسألة الرابعة "

الآية تدل على انه تعالى يحاسب كل عباده لانهم لا يخرجون عن ان يكونوا

رسلا أو مرسل اليهم ، وبطل قول من يزعم انه لا حساب على

الانبياء والكفار " (٢)

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ٢٢

(٢) التفسير الكبير ج ١٤ ص ٢٤

ويذكر ابن كثير أن الله تعالى يسأل الأنبياء عن تبليغ أقوامهم رسالة الله تعالى فقال : " فيسأل الله الامم يوم القيامة عما أجابوا رسوله فيما أرسلهم به وسأل الرسل أيضا عن ابلاغ رسالاتهم " ثم نقل عن ابن عباس في تفسير الآية : " أن الله يسأل الرسل عما بلغوا " (١)

ويذكر الشوكاني في معنى الآية " ولنسألن المرسلين " . ان السؤال للأنبياء الذين بعثهم الله " اي نسألهم عما اجاب به اممهم عليهم ومن اطاع منهم ومن عصى " وقيل المعنى فلنسألن الذين أرسل اليهم يعني الأنبياء ولنسألن المرسلين يعني الملائكة " (٢)

وقال السفاريني عن مسألة حسابهم " والجواب انه لا حساب على الأنبياء عليهم السلام على سبيل الحساب المناقشة والتفريع " (٣)

ويقول النسفي فيما ينقله عنه السفاريني " الأنبياء لا حساب عليهم وكذلك أطفال المؤمنين وكذلك المشرة المشتملة بالجنة هذا في حساب المناقشة وعموم الآيات الكريمة مخصوص بأعدائهم من يدخل الجنة بخير حساب ولهذا قال علماؤنا في تأييدهم : وحساب المسلمين المكلفون الا من شاء الا ان يدخل الجنة بخير حساب وكما قيل مكلف مستئول وسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة ومن شاء ممن الكفار عن تكذيب الرسل " (٤)

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٠٠

(٢) فتح القدير ج ٢ ص ١٨٦

(٣) مختصر لواضع الأنوار ص ٤٠٠

(٤) المصدر السابق ص ٤٠٠

وعلى القول بأنهم يسألون ومعلوم أنه لا ذنوب لهم ليحاسبوا عليهم
فما المقصود من وقوع الحساب عليهم •

أجاب الرازي عن ذلك بقوله :

" فان قيل فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصد
عهم تقصير البتة ؟ قلنا لأنهم اذا أثبتوا أنه لم يصد عنهم تقصير
البتة التحق التقصير بكليته بالآلة ، فيتضاعف اكرام الله في حق
الرسل لظهور برائتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف اسباب
الغزى والاهانة في حق الكفار لما ثبت أن كل التقصير كان
ضهم (١) "

فالذي يظهر ان اطلاق القول بأن الأنبياء يحاسبون أن المقصود
به محاسبتهم عن تبليغهم الدعوة الى أقوامهم وهو مجرد مسألة لزيادة
اقامة الحججة على المسماة وليس حساب • مناقشة وتبريح كما ظهر مما
سبق •

واما اطلاق القول بأنهم لا يحاسبون فالمراد به ما تقدم من أنهم لا يحاسبون
حساب مناقشة واستظهار •
وان كان قد ثبت ان طائفة من اتباع الأنبياء يدخلون الجنة بغير

(١) التفسير الكبير ج ١٤ ص ٢٣

حساب فكيف بالأنبياء الذين لهم المزية الأولى في كل تكريم .
قال الشيخ محمد الأمين رحمه الله عن مسألة الأنبياء وسؤال الله للرسول
ماذا أجبتهم لتوبيخ الذين كذبوهم كسؤال المؤودة بأي ذنب قتلت
لتوبيخ قاتلها . (١)

٢ - وأما بقية المؤمنين بصورة عامة :

فلا ريب أن الله تعالى يحاسبهم محاسبة من توزن حسناته وسيئاته
والمحساب يمتاز بعضهم على بعض بالدرجات نتيجة لثقل موازينهم
وخفتها " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره "
(الزلزلة : ٧ - ٨)

وقد قدما ذكر كثير من النصوص التي تدل على محاسبة الله تعالى
عباده المؤمنين . وأما أئمة السبعون الألف الذين ورد السنن
بأنهم لا يحاسبون فهو إكرام من الله تعالى لنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وأئمة .

قال النووي في تعليقه على هذا الحديث ان " فيه عظيم ما أكرم
الله سبحانه وتعالى به النبي صلى الله عليه وسلم وأئمة زادها الله
فضلا وشرفا " . (٢)

وقال السفاريني : " ثبت في عدة اخبار عن النبي المختار صلى الله
عليه وسلم ما كر الليل على النهار ان طائفة من هذه الأمة بسلا
ارتياح يدخلون الجنة بخير حساب فيدخلون جنات النعيم قبل وضع
الموازين وأخذ الصحف بالشمال واليمين . (٣)
ومصدق هذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم في السواد الذي رفع له كما مر . (٤)

(١) دفع ايها الماضطرب ص ١٣١ (٢) شرح النووي لمسلم ج ١ ص ٤٩٠
(٣) لواع الانوار ج ٢ ص ١٧٧ (٤) أخرجه البخاري ومسلم ، البخاري ج ١٠ ص ١٤٤
مسلم ج ١ ص ٤٩٥

وعن أبي أمامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفا بخير حساب فقال يزيد الاغثنى والله ألتك في امتك الا كالأبواب الا صهيب في الذبان فقال رسول الله فان ربي عز وجل قد وعدنى سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا وزادني ثلاث حشيات . قال فما سمعة حوضك قال ما بين عدن الى عمان وأوسع وأوسع يشير بيده قال فيه مثنعبان من ذهب وفضة قال فما حوضك يا نبي الله قال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه أبدا " . (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سألت الله تعالى الشفاعة لأمي فقال لك سبعون ألفا يدخلون الجنة بخير حساب ولا عذاب قلت ربي زدني فحدثنا النبي بيديه مرتين وعن يمينه وعن شماله " . (٢)

-
- (١) قال الهيثمي ج ١٠ ص ٢٦٦ " قلت عند الترمذي وابن ماجه بمضه - رواه احمد والطبراني ورجال أحمد وبعض أسانيد الأبراني رجال الصحيح الا انه قال في الطبراني فما شرابه : قال شرابه أبيض من اللبن وأحلى مسدائه من العسل . أخرجه الترمذي ج ٤ ص ٦٦٦ وقال هذا حديث حسن غريب .
- (٢) ذكره في الاتحافات السنينة ص ١٩٧ وعزاه الى غنا .

فائدة

وللمناسبة وعلى سبيل الاستطراد نذكر طائفة من أقوال العلماء
في بيان ما اشتهر على بعض الناس من حديث السبعين الالف وما
ورد فيه من ممانى تحتاج الى ايضاح وشرح تبيها للفائدة .
فقد اختلف العلماء في معنى الحديث هل يراى به تحريم التداوى
والمنع منه ام أن التداوى جائز . لكن الأولى تركه ، أكثر العلماء
على أن التداوى أمر مشروع وليس فيه أى مخذور وان الحديث لا يدل
على تحريمه .

وقد ذكر النووي اختلاف العلماء في المعنى المراد من الحديث وذكر
أقوال العلماء كالمازرى والقاضى عياض والخطابى والداودى وغيرهم .
ثم رجع القول بجواز التداوى لفعله صلى الله عليه وسلم وفي هذا يقول :
" اختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال الامام أبو عبد الله
المازرى احتج بعض الناس بهذا الحديث على أن التداوى مكروه
ومعظم العلماء على خلاف ذلك واحتجوا بما وقع في أحاديث كثيرة من ذكر
صلى الله عليه وسلم لفايح الادوية والأطعمة كالحبة السوداء والقسط
والصبر وغير ذلك وما أنه صلى الله عليه وسلم تداوى وأخبار عائشة
رضي الله عنها بكثرة تداويه وما علم من الاستشفاء بريقاه ، والحديث
الذى فيه ان بعض الصحابة أخذوا على الرقية أجرا ، فاذا ثبت هذا عمل
ما فى الحديث على قوم يحتقدون أن الأدوية نافعة بطبيعتها ولا يفوضون الأمر
الى الله تعالى .

قال القاضى عياض قد ذهب الى هذا التأويل غير واحد ممن تكلم على الحديث ولا
يستقيم هذا التأويل وانما أخبر صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء لهم منزلة وفضيلة
يدخلون الجنة بغير حساب وأن وجوههم تضيء انضاء القمر ليلة البدر ، ولو كان
كما تأولوه هؤلاء اما اختلفت

بهذه الفضيلة لأن تلك هي عقيدة جميع المؤمنين ومن اعتقد خلاف ذلك كهر وقد تكلم الحامد وأصحاب الممانى على هذا فذهب أبو سليمان الخطابي وغيره إلى أن المراد من تركها توكلًا على الله تعالى ورضاءً بقضائه وبلائه . قال الخطابي : وهذه من أرفع

من ارفع درجات المحققين بالايمن قال : والى هذا ذهب جماعة سسماهم
قال القاضى وهذا ظاهر الحديث ومقتضاه أنه لا فرق بين ما ذكر من الكى
والرقى وسائر أنواع الطب .

وقال الداودى : المزداد بالحديث الذى يفعلونه فى الصحة فانه يكره لمن
ليست به علة أن يتخذ التمام ويستعمل الرقى واما من يستعمل ذلك ممن به
مرض فهو جائز ، وذهب بعضهم الى تخصيص الرقى والكى من بين أنواع
الطب لمضى وان الطب غير قاذح فى التوكل اذ تطيب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والفضلاء من السلف وكل سبب مقطوع به كالاكل والشرب للشهداء
والرى لا يقدح عند المتكلمين فى هذا الباب ولهذا لم يدف عنهم التطيب
الى أن يقول : " والكلام فى الفرق بين الطب والكى يطول وقد اباهما
النبي صلى الله عليه وسلم واثى عليهما لكنى اذكر منه نكتة تكفى وهو انه
صلى الله عليه وسلم تطيب فى نفسه وطيب غيره ولم يكتو وكوى غيره ولم يمس
فى الصحيح أمته عن الكى وقال ما احب ان اكنوى " .

قال النووى : " هذا آخر كلام القاضى " .

ثم رجع رأى الخطابى ومن وافقه بقوله :

" والظاهر من معنى الحديث ما اختاره الخطابى ومن وافقه كما تشهد

وحاصله أن هؤلاء كمل تفويضهم الى الله عز وجل فلم يتسبوا فى دفع ما
اوقعه بهم ولا شك فى فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها واما تطيب النبي

صلى الله عليه وسلم ففعله ليبين لنا الجواز " (١)

والامام البخارى يذهب حسب ترجمته لهذا الحديث الى ان التداوى بالكى
جائز للحاجة وان الاولى تركه اذا لم يكن متحميا لانه قال فى ترجمته
لهذا الحديث "باب من اکتوى أو كوى غيره وفضل من لم يکتو"

قال ابن حجر: وعموم الجواز مأخوذ من نسبة الشفاء اليه فى أول حديثى
الباب " ويعنى به قوله صلى الله عليه وسلم ان كان فى شىء من ادويتكم
شفاء ففى شرطة محجم او لذعة بنار وما أحب ان اکتوى " (١)

وفى صحيح مسلم عن جابر ما يدل صراحة على جواز التداوى وان اللبس
صلى الله عليه وسلم فعله وأمر به ، فمن جاهر بمرض الله عنه انه قال :
رمى سعد بن معاذ فى اكله قال فحسمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده بمشقم ثم ورمته فحسمه الثانية " (٢)

وفى رواية عن جابر ايضا ان اللبس صلى الله عليه وسلم بعث الى أبى بن
كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه عليه " (٣) وقد بوب الترمذى على
جواز الكى بقوله " باب ما جاء فى الرخصة فى ذلك ثم اخرج الحديث الآتى :
(٤)
عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارى من الشوكسية
وهل اکتوى النبى صلى الله عليه وسلم أم لا فيه خلاف بين العلماء .

(١) صحيح البخارى ١٠ / ١٥٥ .

(٢) صحيح مسلم ٤ / ١٧٣١ .

(٣) اخرجه مسلم ٤ / ١٧٣٠ .

(٤) سنن الترمذى ٤ / ٣٦٥ قال : " وفى الباب عن ابى وجابر قال وهذا
حديث حسن غريب " .

قال ابن حجر: " ولم ارفى أثر صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اکتوى
وذكر ابن القيم على هذا الرأي " ومن ذهب الى ان الرسول صلى الله
عليه وسلم اکتوى القرطبي والطبري والحلي وأبن التين (١) كما نقل عنهم
الحافظ ابن حجر .

ويقول القرطبي :

" لا تظن ان من استرقى واكتوى لا يدخل الجنة بغير حساب فان النبي
صلى الله عليه وسلم رقى نفسه وامر بالرقى وكذلك كوى اصحابه ونفسه فيما ذكر
الطبري وغيره فمحمل النهي عن رقى مخصوصة بدليل قول الرسول
صلى الله عليه وسلم لآل عمرو بن حزم اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى ما لم
يكن فيه شرك .

وكذلك الكسى الذي لا يوجد عنه غنى فمن فعله في محله وعلى شرطه لم يكمن
ذلك مكروها في حقه ولا منقضا له من فضله ويجوز أن يكون من السبعين الفا
وقد كوى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فيما ذكر الطبري في كتاب آداب

النفوس له ذكره الحلي في كتاب المنهاج في الدين له "

قال : " واختلفت الرواية في الكى فروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اکتوى
من الكلم الذي اصابه في وجهه يوم أحد وكوى سعد بن زرارة من الشوك
وكوى سعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن وابى بن كعب المخصوص
بانه اقرأ الامة للقرآن وقد اکتوى عمران بن حصين وقطع رجله عروة بن الزبير

فمن اعتقد أن هو "لا" لا يصلحون أن يكونوا من السبعين الفا ففساد كلامه

لا يخفى " (١)

وأما الروايات التي تمنع من ذلك فمنها ما في صحيح البخاري من قوله صلى الله

عليه وسلم " وما أحب أن اكتوى " (٢)

ومنها ما في صحيح مسلم من عمران بن حصين

" كان يسلم على حتى اكتويت فتركه ثم تركت الكى فعاد " (٣)

وله عنه من وجه آخر: " ان الذي كان انقطع عني رجعت اليّ " يعني تسليم

الملائكة وفي لفظ انه كان يسلم على فلما اكتويت أمسك عني فلما تركته عاد

اليّ .

وأخرج الامام احمد وأبو داود والترمذي عن عمران " نهى رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن الكى فاكتوبنا فما افلحنا ولا انجحنا " وفي لفظ

" فلم يفلحن ولم ينجحن " (٤)

وهذه الالفاظ لا تدل على التحريم وانما تدل كما قال الامام ابن حجر على

الكراهة وخصوصا لمن لا ينفعه الكى فانه الاولى به ان يتركه كما حصل لعمران

ابن حصين ونص كلام ابن حجر قوله:

" والنهي فيه محمول على الكراهة أو على خلاف الأولى لما يقتضيه مجموع

(١) التذكرة ص: ٤٥١ .

(٢) صحيح البخاري ١٠ / ١٥٥ .

(٣) صحيح مسلم ٢ / ٨٩٩ .

(٤) المسند ٤ / ١٥٦ .

الاحاديث وقيل انه غاص بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه غطسرا

فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح " (١)

ولا بن قتيبة فيما ينقله عنه ابن حجر تفصيل في جواز الكي وعدمه حيث قال :

" الكي نوعان : كي الصحيح لثلا يعتل فهذا الذي قيل فيه : " لم يتوكل من

اكتوى " لأنه يريد ان يدفع القدر والقدر لا يدافع .

والثاني : كي الجرح اذا نغل أى فسد والعضو اذا قطع فهو الذي يشرع

التداوى به فان كان الكي لامر محتمل فهو خلاف الأولى لما فيه من تسجيل

التعذيب بالنار لامر غير محقق وحاصل الجمع ان الفعل يدل على الجسواز

وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على ان تركه ارجح من فعله وكذا

الثناء على تاركه واما النهي عنه فاما على سبيل الاختيار والتنزيه واما عما

لا يتصين طريقا الى الشفاء " (٢)

وأما لماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قام يسأله ان يدعو

الله له بأن يجعله من السبعين الالفه ولا الذين يدخلون الجنة بغير

حساب فالجواب انه قال له صلى الله عليه وسلم هذا القول لعلة لسد الباب

اذ لو دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل لتمام كل من سمع يطلب ان

يكون مثل عكاشة وقد اختلف العلماء في هذا المنع من الرسول صلى الله عليه وسلم

فقال القاضي عياض قيل ان الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة

(١) فتح الباري ١٠ / ١٥٧ .

(٢) المصدر السابق ١٠ / ١٥٥ .

ولا كان بصفة اهلها بخلاف عكاشة ، وقيل بل كان منافقا فأجابه النبى
صلى الله عليه وسلم بكلام محتمل ولم ير صلى الله عليه وسلم التصريح لـه
بأنك لست منهم لما كان صلى الله عليه وسلم من حسن العشرة ، وقيل :

قد يكون سبق عكاشه بوحى أنه يجاب فيه ولم يحصل ذلك للآخر " (١)

ويذكر النووى كذلك أن هذا الرجل الذى ابهم ذكر اسمه انه سعد بن
عبادة رضى الله عنه كما يذكر الخطيب البغدادي فى كتابه الاسماء المبهمة
فان صح هذا بطل قول من زعم انه منافق " (٢) ورجح النووى القول الأخير
من تلك الأقوال .

واما عن حقيقة هذا التوكل الذى اثنى عليهم به فالواقع ان العلماء قد
اختلفوا فى حقيقة التوكل

" فحكى الامام ابو جعفر الطبرى وغيره عن طائفة من السلف انهم قالوا لا يستحق
اسم التوكل الا من لم يخالط قلبه خوف غير الله تعالى من سبع او عدو حتى
يترك السعى فى طلب الرزق ثقة بضمان الله تعالى له رزقه واحتجوا بما جاء
فى ذلك من الآثار .

وقالت طائفة حده الثقة بالله تعالى والايقان بأن تضاهه نافذ واتباع سنة نبيه
صلى الله عليه وسلم فى السعى فيما لا بد منه من المطعم والمشرب والتحسرس

(١) شرح النووى لمسلم ١/٩١٤ وعكاشة بن محسن بكسر الميم وفتح الصاد .

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

من العدد وكما فعله الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين .
قال القاضي عياض: وهذا المذهب هو اختيار الطبري وعامة الفقهاء ، والأول
مذهب بعض المتصوفة واصحاب علم القلوب والاشارات ، ومذهب المخلفون
منهم الي نحو مذهب الجمهور ولكن لا يصح عندهم اسم التوكل مع الالتفات
والطمأنينة الي الاسباب بل فصل الاسباب سنة الله وحكمته والثقة بأنه لا يجلب
نفعاً ولا يدفع ضرراً والكل من الله تعالى وحده هذا كلام القاضي عياض .
قال الامام الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى : اعلم ان التوكل
محل القلب واما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق
العبد ان الثقة من قبل الله تعالى فان تعسر شيء فبتقديره وان تيسر
فبتيسيره ، وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه : التوكل الاسترسال
مع الله تعالى على ما يريد .

وقال ابو عثمان الجبري : التوكل الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه
وقيل : التوكل ان يستوى الاكثار والتقليل " (١)

٣- وأما الكفسار :
=====

فان العلماء قد اختلفت اقوالهم وتنازعوا في حسابهم .

هل يحاسبون أم لا ؟ .

فمنهم من ذهب الي انهم يحاسبون قال شيخ الاسلام " وهو رأى أبو حفص
البرمكي من اصحاب احمد وابو سليمان الدمشقي وابو طالب المكي " ^{وأي} ^{وأي}

ومنهم من ذهب الى انهم لا يحاسبون وهو رأى ابو بكر عبد العزيز ^{ص.أ}
وأبو الحسن التميمي ، والقاضي أبو يعلى وغيرهم " (١)
وقد ناقش هذا الكلام ابن تيمية حيث قال :

" وفصل الخطاب ان الحساب يراد به عرض اعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها
ويراد به الحساب موازنة الحسنات بالسيئات ، فان أريد بالحساب المعنى
الأول فلا ريب انهم يحاسبون بهذا الاعتبار ، وان اريد المعنى الثانى
فان قصد بذلك ان الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ
ظاهر .

وان اريد انهم يتفاوتون فى العقاب ، فعقاب من كثرة سيئاته اعظم من عقاب
من قلت سيئاته ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب كما ان ابا طالب
اخف عذابه من ابي لهب .

وقال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب)^(٢)

وقال تعالى (انما النسيء^٥ زيادة فى الكفر) (٣) والنار دركات فاذا كان
بعض الكفار عذابه اشد عذابه من بعض لكثرة سيئاته وقلة حسناته كان الحساب
ليبان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة " (٤)

(١) مجموع الفتاوى ٤ / ٣٠٥ .

(٢) سورة النحل : آية : ٨٨

(٣) سورة التوبة : آية : ٣٧ .

(٤) مجموع الفتاوى ٤ / ٣٠٥ .

ومعنى هذا ان شيخ الاسلام لا يرى أن الكفار يحاسبون كحساب المؤمنين أى
ليتقرر مصيرهم على ضوء أعمالهم فان الكفار اعمالهم كلها لا تنفعهم
والما يحاسبون محاسبة عرض وتوبيخ .

وقد صرح بهذا فى قوله : " ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبيده المؤمن من
فيقره بذنوبه كما وصف ذلك فى الكتاب والسنة .

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فانه لا حسنة
لهم ولكن تعد اعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجنون بها (١)

وممن ذهب كذلك الى القول بأن الكفار يحاسبون القرطبي فى التذكرة
حيث قال : " فان قيل : فهل يلقى الكافر ربه ويسأله ؟ قلنا نعم " (٢)

وكذلك الفخر الرازى كما تقدم النقل عنه (٣) وغيرهما من العلماء .

وسبب هذا الخلاف انه قد جاء فى القرآن الكريم ما يدل على حساب جميع
البشر وجاءت آيات اخرى تدل على خلاف ذلك .

ومن أدلة الرأى الأول قول الله تعالى :

(فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين) (٤)

(ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحن قالوا بلى وربنا تسال

فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (٥)

(١) مجموع الفتاوى ١٤٦/٣ .

(٢) التذكرة ص : ٣٤٣ .

(٣) التفسير الكبير ٢٤/١٤ .

(٤) سورة الاعراف : آية : ٦ .

(٥) سورة الانعام : آية : ٣٠ .

وهذا خطاب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يخبره فيه عن وقوف
المجرمين يوم القيامة وعبسهم لحكم الله وقتبائهم ومساءلته جل وعسلا
لهم توبيخا وتقريرا أليس هذا بالحق " فيجيئون بتولهم بلى وربنا أو ان
البعث حتى ثم يجيبهم الله بقوله (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (١)
وقال تعالى (فوريك لسألتهم اجمعين عما كانوا يعملون) (٢)
(وعرضوا على ربك صفا) (٣)
(وقفوههم انهم مسؤلون) (٤)
(انا الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) (٥)
(ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتكم المرسلين) (٦)
(ستكتب شهادتهم ويسألون) (٧)

-
- (١) انظر: جامع البيان ١٢٧/٧
 - (٢) سورة الحجر : آية : ٩٢
 - (٣) سورة الكهف : آية : ٤٨
 - (٤) سورة الصافات : آية : ٢٤
 - (٥) سورة الغاشية : آية : ٢٥ - ٢٦
 - (٦) سورة القصص : آية : ٦٥
 - (٧) سورة الزخسرف : آية : ٦٩

ومن أدلة القول الآخر قول الله تعالى :

(فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جان) (١)

(ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) (٢)

(يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام) (٣) (*)

(ولا يكلمهم الله يوم القيامة) (٤)

(كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (٥)

ولما كان ظاهر هذه الآيات متعارضة اذ ان بعضها يثبت الحساب لعنفسهم

الكفار والآيات الأخرى تثبت نفي الحساب عن الكفار فقد اجاب العلماء :

في دفع هذا التعارض بأجوبة منها :

ما أجاب به القرطبي رحمه الله من ان " القيامة مواطن ، فموطن يكون فيه

سؤال وكلام وموطن لا يكون ذلك فلا يتناقض الآى والاخبار " (٦)

ثم نقل عن عكرمة انه قال : " القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل فسي

بعضها " .

وعن ابن عباس قوله : " لا يسألون سؤال شفاء وراحة وانما يسألون سؤال تقييد

وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا " (٧)

(١) سورة الرحمن : آية : ٣٩ .

(٢) سورة القصص : آية : ٧٨ .

(٣) سورة الرحمن : آية : ٤١ .

(*) انظر: دفع ايها الاضطراب ص ١٣١ والتذكرة ص: ٣٤٣ - ٣٤٤ .

ولوامع الانوار ٢ / ٣٩٩ ، ص: ٣٩٩ .

(٤) سورة البقرة : آية : ١٧٤ . (٥) سورة المطففين : آية : ١٥ .

(٦) - (٧) التذكرة ص: ٣٤٤ .

وقد قيل ان معنى قوله تعالى (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون)
ولا يسأل عن ذنوبه انسى ولا جان " سؤال التصرف لتمييز المؤمنين من
الكافرين اى ان الملائكة لا تحتاج ان تسأل احدا يوم القيامة ان يقال
ما كان دينك وما كنت تصنع فى الدنيا حتى يتبين لهم باخباره عن نفسه
انه كان مؤمنا او كان كافرا لكن المؤمنين يكونون ناخري الوجوه منشمرعي
الصدور ويكون المشركون سود الوجوه زرقا مكروبيين فهم اذا كلفوا سوق المجرمين
الى النار وتميزهم فى الموقف كفتهم مناظرهم عن تصرف ادبائهم " (١)
ويقول السفاريني عن مسألة الكفار: " بأنهم لا يسألون سؤال تقرير فيسأل
لهم فعلتم كذا " (٢)

وأكثر علماء التفسير على ان الاجابة فى هذا هو القول بأن المسألة وعدمها
تحمل على تعدد مواقف القيامة واورقاتها حيث يبرون بأوقات يسألون فيها
وأوقات لا يسألون فيها .

وهذا ما اجاب به كثير من العلماء منهم: ابن بطه فى الابانة (٣) والرازي فى
التفسير الكبير (٤) والشوكاني فى فتح القدير (٥) وغيرهم .

وقد ذكر الرازي اضافة الى ما تقدم ان من اوجه الاجابة :

١- " أن القوم لا يسألون عن الاعمال لأن الكتب مشتملة عليها ولكنهم

(١) انظر: التذكرة ص: ٣٤٥ .

(٢) لوامع الأنوار ٢ / ١٧٤ .

(٣) الابانة ص: ٩٩ .

(٤) التفسير الكبير ١٤ / ٢٣ .

(٥) فتح القدير ٢ / ١٨٩ .

يسألون عن الدواعى التى دعيتهم الى الاعمال وعن الصوارف التى صرفتسم عنها .

وثانيها : ان السؤال قد يكون لأجل الاسترشاد والاستفادة وقد يكون لأجل التوبيخ والاهانة كقول القائل الم اعطك / اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى لايسأل احدا لأجل الاستفادة والاسترشاد ويسألهم لأجل توبيخ الكفار واهانتهم " (١)

وذكر العلامة الشنقيطى رحمه الله بأن السؤال وعدمه يرجع الى نفس طريقتة الاسئلة لأن الاسئلة تختلف فيها تقريع وتوبيخ وفيها استخبار واستعلام أو يكون ذلك بأن يسئل السبد عن اشياء ولا يسأل عن اشياء اخرى او ان ما جاء فى اثبات السؤال انما هو عن التوحيد وتصديق الرسل وما جاء فى النفى انما هو عن ما عدا ذلك من شرائع الدين فقال فى اجابته عن ذلك :

" والجواب عن هذا من ثلاثة أجوبة :

الأول : وهو اوجهها لدلالة القرآن عليه وهو ان السؤال تسمان :

سؤال توبيخ وتقريع وادائه غالبا " لم " .

وسؤال استخبار واستعلام وادائه غالبا " هل " .

فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع .

ووجه دلالة القرآن على هذا ان سوءاله لهم المنصوص فى كلمة توبيخ وتقريع

كقوله (وقفوهم انهم مسئولون مالكم لاتناصرون) .

وكقوله (افسح هذا ام انتم لا تبصرون) وكقوله (ألم يأتيكم رسل منكم)
وكقوله : (ألم يأتيكم نذير) الى غير ذلك من الآيات وسؤال الله للرسول
ماذا اجبتم لتوبيخ الذين كذبوهم كسؤال الموءودة بأى ذنب قتلت لتوبيخ
قاتلها .

والوجه الثانى : ان فى القيامة مواقف متعددة ففى بعضها يسألون وفسى
=====

بعضها لا يسألون .

والوجه الثالث : هو ما ذكره الحلیمی من ان اثبات السؤال ، على السوءال
=====

من التوحيد وتصديق الرسل وعدم السؤال محمول على ما يستلزمه

من الاقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه ويدل لهذا قوله

تعالى : (فيقول ماذا اجبتم المرسلين) (١)

وخلاصة هذا القول ان الله تبارك وتعالى أعد للجنة أهلا بفضله

وأعد للنار أهلا بعدله .

ثم ان أهل الجنة قسمان :

القسم الأول : هم قمة أهل الطاعة وخلاصة أهل الايمان وهم الانبياء
=====

والرسل صلواتهم الصلاة والسلام ومن جاء بحقهم نعم مخصوصة وهؤلاء يدخلون

الجنة بغير حساب ولا سؤال فضلا من الله وكرما .

القسم الثانى : أهل الايمان عامة وهؤلاء يدخلون الجنة اما بعد الحساب
=====

واما بعد تطهيرهم من سيئاتهم وذلك بفضل الله وكرمه أيضا وكذلك أهل النار

(١) دفع ايها الاضطراب ٩/١٣١ - ١٣٢ ضمن اخواه البيان .

يقتسمون الى قسمين :-

القسم الأول : قمة أهل الكفر والمناد وخلاصة أهل المعاصي والفساد

وهؤلاء يدخلون النار من غير حساب ولا سؤال وعلى رأسهم جميعا ابليس

وفرعون وهامان والنمرود ومن ادعى الألوهية أو النبوة ومات على ذلك

وامثالهم من أهل الجبروت والطغيان .

والقسم الثاني :-

أهل الكفر بصورة عامة وهؤلاء يدخلون النار بعد الحساب والسؤال وكل

واحد يبوء النار بحسب عمله وكفره والله تعالى أعلم .

*** الفصل السابع ***
مممم

(أول من يحاسب من الناس) -

يحاسب الله سبحانه وتعالى البشر كلهم في أسرع وقت كما ذكر سبحانه
لا يشغله شأن عن شأن " .

وقد اختلفت أقوال العلماء في ذكر أول من يحاسب في يوم القيامة من
الجماعات أو الافراد ، هل هم الملائكة أم هو اللوح المحفوظ أم هم الانبياء
والرسل أم المغازون أم أرباب الأموال والسعة ، أم انهم أول من تبارزوا
في يوم بدر ، على بن ابي طالب وحمزة وعبيدة واقرانهم من المشركين
أم أن أول المحاسبين جاران من امة محمد صلى الله عليه وسلم أم الزوج
وزوجته ؟

كل ذلك قد قيل ، وتوضح فيما يلي أدلة تلك الاقوال والجمع بينهما
أما ما جاء من انهم الملائكة فهو ما روى ابن ابي عمير عن ابي جبريل
فيما يحزوه البرديسي قال أول من يدعى يوم القيامة اسرافيل فيقول الله
جل ثناؤه هل بلغت عهدي فيقول نعم يارب فيخلى عن اسرافيل ويقتول
لجبريل ما صنعت بعهدي فيقول بلغت الرسل فتدعى الرسل فيقول ما فعلت
بلخكم جبريل عهدي فيقولون نعم فيخلى عن جبريل ويقال للرسل هل
بلختم عهدي فيقولون نعم قد بلخناه الامم فتدعى الامم فيقال هل بلخكم
الرسل عهدي فمكذب ومصدق فتقول الرسل لنا عليكم شهداء فيقول الله
تبارك وتعالى وهو أعلم من ؟ فيقولون امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال
لهم اتشهدون ان الرسل قد بلغت الامم فتقول الامم يارب كيف يشهد علينا

من لم يدركنا فيقول الله عز وجل تشهدوا عليهم ولم تدركوهم فيقولون
يا ربنا ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا كتابا فقصصت علينا فيه ان قد بلغوا
قولك " (١)

وأما ما جاء من أن أول المحاسبين اللوح المحفوظ فهو ما جاء عن سنان
انه قال : " اللوح المحفوظ معلق بالعرش فاذا اراد الله ان يوحى
بشيء كتب في اللوح المحفوظ فيجس اللوح حتى يقرع جبهته اسرافيل
فينثر فيه فان كان لأهل السماء دفعه الى ميكائيل وان كان لأهل
الأرض دفعه الى جبريل فأول ما يحاسب يوم القيامة اللوح يدعى به ترعد
فرائضه فيقال هل بلغت فيقول نعم فيقال من يشهد لك فيقول اسرافيل
فيجاء باسرافيل ترعد فرائضه فيقال هل بلغك اللوح فاذا قال نعم قال
اللوح الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب ثم كذلك وفي حديث
وهب بن الورد ان اسرافيل عليه السلام يقول بلغت جبريل فيدعى جبريل
عليه السلام ترعد فرائضه فيقال ما صدعت فيما بلغت اسرافيل فيقول بلغت
الرسول فيومنى بالرسول فيقال ما صدعت فيما أدى اليكم جبريل فيقولون بلغنا
الناس فهو قوله تعالى (فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين)
وأما ما جاء من أن أول المحاسبين الانبياء والرسول فقد قال البرديسي :

(١) تكملة شرح الصدور ص : ١٣٠

(٢) ذكره البرديسي في تكملة شرح الصدور ص : ١٣٠ نقلا عن كتاب الأعمام
الذي نقله بدوره عن ابي الشيخ عن سنان .

" فيبدأ بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيقول ماذا أجبتم قيل في تفسيرها

كانوا قد علموا ولكن ذهبت عقولهم وغربت افهامهم ونسوا من شدة الهوس

وعظيم الخطب وصعوبة الأمر فقالوا لا علم لنا انك انت علام الخيوب ثم يقوهم

الله عز وجل فيدعى بنوح عليه الصلاة والسلام " (١)

ثم استدل بما اخرج البخارى من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى بنوح عليه السلام يوم

القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته

هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمه

فيشهدون انه قد بلغ ويكون الرسول عليهم شهيدا وذلك قوله تعالى

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول ^{عليكم} شهيدا
x

عليكم) والوسط العدل أى عدولا خيارا وخيرا لأمور الوسط " (٢)

وأما ما جاء من انهم العلماء او المفازون أو أرباب المال والسعة فهو ما ذكره

السفارينى الا انه لم يسنده الى أحد . (٣)

أما ما جاء من انهم الذين تبارزوا فى يوم بدر فهو ما اخرج البخارى بسنده

الى على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال : " انا أول من يجثو بين يدي

الرحمن للخصومة يوم القيامة " وروى كذلك عن فيس بن عماد وعن ابى ذر

عن على بن ابى طالب ان الآية من قوله تعالى (" هذان خصمان اختصموا فى

ربهم) الحج : ١٦٠ انها نزلت فى شأن الذين تبارزوا يوم بدر

(١) تكملة شرح الصدور ص : ١٣٠

(٢) البخارى ٣١٦/١٣ ، فى الاعتصام بالكتاب والسنة والترمذى فى كتاب التفسير

(٣) لوايح الأنوار ١٧٤/٢

وعبته

وهم حمزة وعلى وعبيدة وأبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وكنيسة بن

ربيعة والوليد بن عتبة . (١)

وأما ما جاء من أنهم جاران فهو ما روى الامام أحمد عن عتبة بن عامر

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أول خصمين يوم القيامة جاران)^(٢)

ويجمع بين تلك الأقوال :

ان ما صح من تلك الروايات فانه يحمل على اولية مقيدة في بابها على أن

هذه الروايات التي تقدمت تحتاج الى نصوص تؤيدها وعلى رغم انشغالنا

بالبحث والتفتيش للعثور على نصوص ثابتة لهذه الأقوال غير ما وجدته

في الصحيح الا اني لم اظفر بشيء تطمئن اليه النفس وانما رويتها للفائدة

وتبعتها على اصحابها الذين رووها .

وأما بالنسبة للأئم ، فقد جاء في السنة ان أول الأمم يقضى الله بينهم هم

امة محمد صلى الله عليه وسلم وهذه مزية ومفخرة لهم ليكونوا شهداء على

الناس وما ورد في هذا ما أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس ان النبي صلى

صلى الله عليه وسلم قال نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال اين الأمم

ونبيها فلنحس الاخرون الاولون " (٣)

(١) صحيح البخارى ٢١٦/٧ - ٢١٧ . قال ابن حجر : " والمراد بهذه

الأولية تقيده بالمجاهدين من هذه الامة لان المبارزة المذكورة أول

مبارزة وقعت في الاسلام "

(٢) رواه أحمد ١٥١/٤ " بسند صحيح " كما قال البيهقي ٣٤٥/١٠ .

(٣) سنن ابن ماجه ١٤٣٤/٢ " في الزوائد اسناده صحيح رجاله ثقات "

وعن ابي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(يجيبى النبی ومعه الرجلان ويجيبى النبی ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك
وأقل فيقال له هل بلخت قومك فيقول نعم فيدعى قومه فيقال هل بلغكم
فيقولون لا فيقال من شهدك فيقول محمد وامته فتدعى امة معمد فيقال
هل بلغ هذا فيقولون : نعم فيقول وما علمكم بذلك فيقولون اخبرنا بيدينا
بذلك ان الرسل قد بلغوا فصدقناه قال فذلكم قوله تعالى (وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)^(١)

وورد عن رفاة الجهنى " قال صدرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : والذى نفس محمد بيده ما من عبد يوم من ثم يسدد الا سلك به
فى الجنة وارجو ألا يدخلوها حتى تبوءوا أنتم ومن صلح من ذراريكم
مساكن فى الجنة ولقد وعدنى ربي عزوجل ان يدخل الجنة من اممى
سبعين الفا بنير حساب " (٢)

وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول (انكم وفيتم سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله) (٣)
فثبت بهذه النصوص ان امة محمد صلى الله عليه وسلم هم أول الأمم تحاسب
وأول الأمم تدخل الجنة وفى هذا يقول الحافظ ابن كثير :

-
- (١) سنن ابن ماجه ١٤٣٢/٢ .
(٢) سنن ابن ماجه : ١٤٣٣/٢ وفى اسناده محمد بن مصعب قال فيه صالح
ابن محمد البخداوى ضعيف فى الاوزاعى وعامة احاديثه عن الأوزاعى منقولة
لكن لم ينفرد به وقد رواه النسائى فى عمل اليوم والليلة عن يحيى بن حمزة
عن الأوزاعى .
(٣) المصدر السابق .

" ويكون أول الأمم يقضى بينهم هذه الأمة لشرف نبيها صلى الله عليه وسلم

كما انهم أول من يدخل على الصراط وأول من يدخل الجنة " (١)

♦ ♦ ♦ ***** ♦ ♦ ♦

*** الفصل الثامن ***
مممم

.. (أول ما يسأل عنه العبد) ..

تختلف الروايات في تحديد أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة .
فبعضها يذكر أنه الصلاة ، وبعضها يذكر أنه الدماء ، وبعضها يذكر أنه
الخصومات ، وبعضها يذكر أنهم الجيران والجوار وبعضها يذكر أنه الإسلام
وبعضها يذكر أنه الصحة والنجاة .

وسنعرض فيما يلي أدلة ذلك وترجيح القول الراجح منها :
فأما ما جاء في إثبات أن أول ما يحاسب به العبد هو قناتيا الدم
فهو ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه قال : قال النبي

ﷺ (أول ما يقضى بين الناس في الدماء) (١)

وفي رواية النسائي قال : قال رسول الله ﷺ (أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء) (٢)
وأما ما جاء في إثبات أن أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة فهو ما أخرجه
أصحاب السنن عن ابن عمر بن حكيم الضبي قال : قال لي أبو هريرة إذا أتيت
أهل مكة فأخبرهم أني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(١) صحيح البخاري ٣٦٥ / ١١ وابن ماجه ٨٧٣ / ٢

(٢) سنن النسائي ٨٣ / ٧

(ان أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة الصلاة المكتوبة فان اتهمها
والاقيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكلت الفريضة من تطوعه
ثم يفعل بسائر الاعمال المفروضة مثل ذلك) (١)

وعن يحيى بن سعيد أنه قال بلغني ان أول ما ينظر فيه من عمل العبد
الصلاة فان قبلت منه نظر فيما بقى من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر فليس
شيء من عمله) (٢)

وفى رواية حريث بن قبيصة أن أول ما يسأل عنه العبد الصلاة فان صلح عت
فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر وقد تقدم من هذا الحديث
في مبحث الأدلة من السنة على اثبات وقوع الحساب .

وأما ما جاء من ان الله تعالى أول ما يسأل عن الاسلام ويحاسب عليه
فهو ما ورد عن الحسن قال : حدثنا ابو هريرة اذ ذاك ونحن بالمدينة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تجبىء الاعمال يوم القيامة فتجيبىء
الصلاة فتقول يا رب انا الصلاة فيقول انك على خير وتجبىء الصدقة فتقول
يا رب انا الصدقة فيقول انك على خير ثم تجبىء الصيام فيقول يا رب انا
الصيام فيقول انك على خير ثم تجبىء الاعمال على ذلك فيقول الله تهتمسارك
وتعالى انك على خير ثم تجبىء الاسلام فيقول يا رب انت السلام وانا الاسلام

(١) سنن ابن ماجه ٤٥٨ / ١ ، وسنن النسائي ٤ / ٢٢٣ .

(٢) الموطأ ص : ١٤٥ .

ويشهد لمعنى هذه الرواية معنى الحديث الذى قبله (أو حديث أنس
ابن حكيم الضمى عن ابى هريرة اذا أتيت اهل مصر فاخبرهم . . . الخ
الحديث .

فيقول الله عز وجل انك على خبرك اليوم آخذ وبك أعطى قال الله عز وجل
في كتابه (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين) (١) (آل عمران : ٨٥) .

قال البيهقي : " وفيه عماد بن راشد وثقه ابو حاتم وغيره وضمه جماعة
وبقية رجال احمد رجال الصحيح) (٢)

وأما ما جاء في ان أول ما يسأل عنه العبد الصحة والدميم فهو ما أخرجه
الترمذي (ان أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من الدميم أن يقال السلام
صح لك جسمك ونرويك من الماء البارد) (٣)

فهذه روايات مختلفة في الدلالة الا انه يمكن الجمع بين تلك الروايات
بأن يقال ان تلك الاوليات مقيدة في موضوعها أو في اشخاصها فمثلاً أول
ما يسأل الله عن خصومات البشر فيما بينهم عن الماء وأول ما يسألهم عن
عبادتهم عن الصلاة .

وأول ما يسألهم عن نعمه في الصحة .

وهكذا يقال في كل ما جاء مقروناً بالاولية في الحساب وهذا هو ما اشار اليه
ابن حجر رحمه الله حين ذكر حديث ابن مسعود السابق فقال :

" والمعنى أول القضايا القضاء في الماء ، ويحتمل ان يكون التقدير أول ما
يقضى فيه الامر الكائن في الماء ولا يحارض هذا حديث ابى هريرة

(١) - (٢) مجمع الزوائد ١٠ / ٣٤٥ وعزاه الى ابى يعلى والطبراني ورواه أحمد
في المسند ٢ / ٣٦٢ .

(٣) أخرجه الترمذي ٥ / ٤٤٨ وقال : حديث غريب .

رفعه (ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته) الحديث •
•••• لأن الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق والثاني فيما
يتعلق بعبادة الخالق وقد جمع النسائي (١) في روايته في حديث
ابن مسعود بين الخيرين " (٢)
وأما المقصود بالقول (اوفى اشخاصها) فان المراد بذلك ان بعض الاشخاص
أول ما يحاسب عن الصلاة وان بعضهم الآخر يحاسب بالدماء كل بحسب ما
بالنسبة للاهمية التي يراها الله تعالى فيه •
كما قال شيخنا وان كان بعض العلماء مثل الحافظ ابن كثير يرجح فيما يظهر
القول بأن أول ما يقضى بين الناس في الدماء مستندا الى ما جاء في حديث
الصور وفيه : " ثم يقضى الله بين العباد فيكون أول ما يقضى فيه الدماء)
قال : " وهذا هو الواقع يوم القيامة وهو انه بعد أن يفرغ الله من الفصل
بين البهائم يشرع في القضاء بين العباد كما قال تعالى (ولكل امة رسول
فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) (٣) (يونس: ٤٧) •

١ انظر في الوافية

- (١) تقدم تخرج هذا الحديث •
(٢) انظر: فتح الباري ١١ / ٢١٦ •
(٣) النهاية ١١٧ / ٢ •

*** الفصل التاسع ***
مممم

(تقرير الله لعباده في الحساب)

ثبت في النصوص التي قدمنا ذكرها ان الله تعالى يحاسب عباده في يوم

القيامة بأعمالهم التي قدموها في الدنيا خيرا كانت أم شرا .

وقد ثبت كذلك انه سبحانه وتعالى يثّر الخلق الذين يحاسبهم بذنوبهم

فيقول للعبد عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، ألم اعطك كذا وكذا

ألم أفضل لك كذا وكذا فيقرره بذنوبه كلها وعلى ضوء ذلك يتبين مصير

هولاء الذين يحاسبهم .

أما المؤمن فقد ورد انه يعترف بجميع ما قدم ثم يعفو الله عنه .

وأما الكافر فانه يجحد ويجادل فيحاسبه الله حساب مناقشة واسئلة تقصية

وتقرير .

وفيما يلي نعرض بعض الأدلة التي تثبت هذا :

١- عن صفوان بن محرز المازني قال بينما انا أمشي مع ابن عمر رضي الله

عنهما أخذ بيده اذ عرض رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم في النجوى فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(ان الله يدني المؤمن فيضج عليه كفه ويستره فيقول اتعرف ذنبك كذا

اتعرف ذنبك كذا فيقول نعم أي رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه

انه هلك قال سترتها عليك في الدنيا وانا افقرها لك اليوم فيحطى كتساب

حسنته .

وأما الكافر والمناقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة

الله على الظالمين (١)

ومن سليمان بن يسار رضى الله عنه قال : تفرغ الناس عن ابن مسيرة فقال له

ئاتل (٢) أهل الشام ايها الشيخ حدثني حديثا سمعته من رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول (ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به ففرقه

(١) اخرجه البخارى ١٦٧٥ ومسلم من : ٦١٣ .

قال الجزرى : فى جامع الاصول ٤٥٦/١ الدجوى فى الاصل السوسر

والمراد به هنا مناجاة الله تعالى للعبد يوم القيامة وسيان الحديس

يدل عليه .

كفنه : كنف الانسان ظله وجانيه والمراد به قرب الله تعالى ودنو رحمته

وشمله من العبد تقول انا فى كنف فلان أو فى ظله وجانيه .

قال ابن حجر والكنف الستر ٤٧٧/١٢ الفتح) والمراد بالدنو هنا

دنو كرامة واحسان لا دنو مسافة والله تعالى منزه عن المسافة وقربها

شرح النووى ٦١٣/٥ .

وانظر : التذكرة من : ٣١٧ وهذا لا يشمل ما كان بين العباد وبعضهم

لبعض من مظالم فان هذا لا بد فيه من القصاص كما علم من دلالات النصوص

(٢) وفى رواية نائل الشامى وهو نائل بن قيس الحزامى الشامى من أهل

فلسطين وهو تابعى وكان أبوه صحابيا وكان نائل كبير قومه .

النووى فى شرحه لمسلم ٥٦٨/٤ .

وهو " احد الامراء لعمورية وولده قتل سنة ست وستين وفى بعض الروايات

ناقل الشام " وفى رواية " اخو أهل الشام "

انظر : مختصر صحيح مسلم للألبانى من : ٢٨٦ .

١) وهو
٢) والواقعة المذكورة في نسخة
طريفة

١٣٥
موروث
بمفقور
طفاشرا

نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال :

كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جري* فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه

حتى القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتت به فعرفه

نعمه فعرفها قال : فما فعلت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك

القرآن قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال

هو قارى* فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار، ورجل

وسع الله عليه وأعطاه من اصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال :

فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت

فيها لك قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد* فقد قيل ثم امر به فسحب

على وجهه ثم القي في النار (١)

قال النووي : " قوله صلى الله عليه وسلم في الغازي والعالم والجواد وعقابهم

على فعلهم ذلك لخير الله وادخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء

وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الاخلاص في الاعمال كما قال الله تعالى

(وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (٢)

وفيه ان العموميات الواردة في فضل الجهاد انما هي لمن اراد الله تعالى

بذلك مخلصا ، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات

كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصا (٣)

(١) صحيح مسلم ٥٦٨/٤ والنسائي ٥٢٣/٦

(٢) سورة البينة : آية : ٥٠

(٣) انظر: شرح النووي لمسلم ٥٦٩/٤

وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى فقال :
يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال : اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم
تعدّه ؟ اما علمت انك لوعدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم
تطعمنى قال : يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال : أما علمت انسه
استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي
يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين

قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما انك لو سقيته وجدت ذلك عندي (١)
قال النووي : " قال العلماء انما اضاف المرض اليه سبحانه وتعالى والمراد
العبد تشريفا للعبد وتقريبا له قالوا ومعنى وجدتني عنده أى وجدت ثوابي
وكرامتي ويبدل عليه قوله تعالى فى تمام الحديث (لو اطعمته لوجدت ذلك
عندي ، لو اسقيته لوجدت ذلك عندي اى ثوابه) (٢)

وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم
القيامة قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا :
لا قال : فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة قالوا : لا قال :
فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدكما
قال : فيلقى العبد فيقول أى فل (٣) الم اكرمك واسودك (٤) وازوجك

(١) صحيح مسلم ٥/٤٣٣ .

(٢) شرح النووي لمسلم ٥/٤٣٣ .

(٣) أى : يا فلان .

(٤) اجعلك سيدا على غيرك .

واسخر لك الخيل والأبل وأذرك ترأس (١) وتربح (٢) فيقول بلى قال : فيقول
افظنت انك ملاهى فيقول لا فيقول فانى انساك كما نسينتى (٣) ثم يلقى .
الثانى فيقول أى لى الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل
وأذرك ترأس وتربح فيقول بلى أى رب فيقول افظنت أنك ملاقى فيقول : لا
فيقول فانى انساك كما نسينتى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول
يارب آمنت بك وكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثنى بخير
ما استطاع فيقول ههنا اذا (٤) قال ثم يقال له الآن نبحث شاهدا عليك
ويتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفشذ
ولحمه وعظامه انطق فتتطق فخذة ولحمه وعظامه بحمله وذلك لهذر
من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه (٥)

-
- (١) تكون رئيس القوم وكبيرهم .
 - (٢) تربع قيل معناه تأخذ المربع الذى كانت ملوك الجاهلية تأخذ
من الشئمة وهو ربحها وقيل معناه تركتك مستريحا لا تحتاج الى مشقة
وتحب وقيل تأكل وقيل تلهو وقيل تعيش فى سعة .
 - (٣) أى املك الرحمة كما امتنعت عن طاعتي .
 - (٤) أى قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك اذ قد صرت منكبرا .
 - (٥) شرح صحيح مسلم ٨٢٣ / ٥ - ٨٢٤ .

وعن ابي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(انى لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا يومئسى
برجل فيقول سلوا عن مشار ذنوبه واخبوا كبارها فيقال له عملت كذا وكذا
يوم كذا وكذا عملت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا قال : فيقال له فان لك مكان
كل سيئة حسنة قال لقد عملت اشياء ما اراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه (١)

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (يجاء
بأبن آدم يوم القيامة كأنه بذج (٢) فيوقف بين يدي الله فيقول الله لسه
أعطيتهك وخولتتك (٣) وأنعمت عليك فماذا صدقت فيقول يارب جمعته وثمرته
فتركته أكثر ما كان فأرجعنى أتتهك به فيقول له أرنى ما قدمت فيقول
يارب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فأرجعنى أتتهك به فاذا عهد لسم
يقدم خيرا فيمضى به الى النار (٤)

وعن ابي هريرة وأبى سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(يومئسى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له ألم أجعل لك سمما ومالا وولسدا
وسخرت لك الانعام والحراث وتركته ترأس وترى فكنت تظن انك ملاقى يومئسى

(١) البذج : ولد الضأن .

(٢) خولتتك : أى ملكتتك .

(٣) أخرجه الترمذى ٦١٨/٤ ثم قال الترمذى وقد روى هذا الحديث غير

واحد عن الحسن قوله ولم يسندوه واسماعيل ابن مسلم " أحد رواة

الحديث " يضمنه فى الحديث من قبل حفظه وفى الباب عن ابي هريرة

وابى سعيد الخدرى . قال القرطابى فى التذكرة ص ٣١٩ .

أخرجه ابن الصرى فى سراج المريدين وقال فيه حديث صحيح من مراسيل
الحسن .

هذا فيقول : لا فيقول له اليوم اساك كما نسبتى (١) وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه وماله من اين اكتسبه وفيما انفق به وماذا عمل فيما علم (٢) ويشهد لهذا الحديث ما جاء عن ابى بصير الاسلمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما فعل وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفق وعن جسمه فيما ابلاه) (٣)

(١) اخرجه الترمذى ٦١٩/٤ ثم قال الترمذى هذا حديث صحيح قريب ومعنى قوله اليوم اساك يقول اليوم اتركك فى العذاب هكذا فسروه قال ابو عيسى وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية فاليسبوم انساهم قالوا انما معناه اليوم تتركهم فى العذاب .

(٢) اخرجه الترمذى ٦١٢/٤ ثم قال : " قال أبو عيسى هذا حديث قريب لا يعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من حديث الحسين بن قيس وحسين بن قيس يضعف فى الحديث من قبل حفظه وفى الباب عن ابى برزة وابى سعيد " .

(٣) اخرجه الترمذى ٦١٢/٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ولفظ هذا الحديث عام يشمل كل المخلوقات لان قوله (لا تنزل قدما عند حتى يسأل نكرة في سياق النفي تشمل العموم ، ولكنه مخصوص بقوله : صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بشير حساب ويقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ادخل الجنة من امتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن .

وأخرج ابن ماجه عن ابى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول : ما منعتك اذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فاذا لقن الله عدا حجه قال : يسا رب رجوتك وفرقت من الناس) (١)

وتشير هنا الى انه قد وردت احاديث في هذا المعنى نورد لها للتنبيه على ضعف اسانيدها ومنها :

ما جاء عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا كان يوم القيامة دعا الله عدا من عبده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله) (٢)

وكذا ما جاء عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (يومئذ بالمليك والمملوك والنوح والزوجة فيحاسب المليك والمملوك والنوح والزوجة حسبي

(١) سنن ابن ماجه ١٣٣٢/٢ " في الزوائد اسناده صحيح رجاله ثقات "

(٢) قال في مجمع الزوائد ٣٤٦/١٠ رواه الطبراني في الصغير ثم قال وفيه

يوسف بن يونس اخو ابى مسلم الأندلس وهو ضعيف جدا " .

يقال للرجل شربت يوم كذا وكذا على لذة ويقال للزوج خطبت فلانة

مع خطاب فزوجتكها وتركتمهم (١)

وعن امر بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا كان

آخر الزمان صارت امتي ثلاث فرق فرقة يعبدون الله خالصا وفرقة يعبدون

الله رياء وفرقة يعبدون ليستأكلوا به الناس فاذا جمعهم الله يسوم

القيامة قال للذي كان يستأكل الناس بعزتي وجلالى ما اردت بعبادتي

فيقول وعزتك وجلالك استأكل به الناس قال لم ينفك ما جمعت شيئا

تلجأ اليه انطلقوا به الى النار ثم يقول للذي كان يعبد رياء بعزتي

وجلالى ما اردت بعبادتي قال بعزتك وجلالك رياء الناس قال لم يصعد الى

بعزتي منه شيئا انطلقوا به الى النار ثم يقول للذي كان يعبده خالصا بعزتي

وجلالى ما اردت بعبادتي قال بعزتك وجلالك انت أعلم بذلك منى اردت به

ذكرك ووجهك قال صدق عدى انطلقوا به الى الجنة (٢)

(١) مجمع الزوائد ٣٤٦/١٠ وعزاه الى البزار من رواية سعيد بن مسلمة

الاموي عن ليث بن ابي سليم وكلاهما ضعيف وقد وثقا وبقية رجاله

رجال الصحيح .

(٢) مجمع الزوائد ٣٥٠/١٠ وعزاه الى الطبراني في الاوسط وفيه عبيد بن

اسحاق العطار وقد ضعفه الجمهور ورضيه أبو حاتم الرازي ووثقه

ابن حبان وبقية رجاله ثقات .

*** الفصل العاشر ***

مهمم

((الشهود في الحساب))

ان الله سبحانه وتعالى وهو العظيم الخبير الذي يعلم السر واخفى اقتضت حكمته ان تكون الخصومة في يوم القيامة بين المهاد وبين ربهم على نحو ما تقع به الخصومة فيما بين المهاد في الدنيا ، جدال واعتذار وشهود ومناقشة ، فان الناس وهم عند الحكم العدل لابد من نقاش ودفاع وأخذ ورد وشهود وسجلات وكل هذا ليعلم الانسان ان الحكم الذي سيصدر بحقه ليس فيه أى حيف او جور فهناك علم الله تعالى ، وهناك شهود وهم الملائكة وسجل كامل ، ومع هذا فان الانسان لا يكاد يقر بما نسب اليه من أعمال الا بعد دفاع ونقاش وشهود يدفعون الكسار ومن هم هؤلاء الشهود .

الجواب انهم شهود لم يخطرأ بباله ، شهود لا يستطيع ان يدفع شهادتهم بأى حجج أو حيلة من طرق الحيل التي كان يستنجد بها في الدنيا .
وهؤلاء الشهود هم اضافة الى علم الله تعالى وتسجيل الملائكة لأعمال المهاد - شهادة لأعضاء والجوارح من الانسان وكذلك شهادة الأرض بما عمل عليها اضافة الى شهادة كتب أعمالهم عليهم ، وشهادة الملائكة والانبياء
وبين فيما يلي ادلة ثبوت شهادة هؤلاء بالتفصيل :

(اما شهادة جوارح الانسان من القرآن الكريم

فقد ذكر الله في كتابه الكريم أن اللسنة والايدي والارجل وسائر الجوارح

هم من الشهود المدول على الانسان قال تعالى :

(يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ

يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين) (١)

وقال تعالى (اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم

بما كانوا يكسبون) (٢)

فثبت ان الالسة والايدي والارجل هم من الشهود على المخلوق كما ذكر

الله ذلك في الايات السابقة وهناك شهود ايضا غير هذه الاعضاء

هناك شهادة السمع والبصر والجلد وستنشأ مشادة وعتاب شديد ببين

الانسان وجلده الذي شهد عليه كما يفيد قول الله عز وجل (حسبني

اذا ما جازها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون

وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا انطقنا الله الذي انطق كل

شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم

سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون

وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا

فالنار مثوى لهم وان يستعذبوا فما هم من المحتبين) (٣)

وحينما تتم هذه الشهادة يعلم حينئذ ان لافح في الجدال والالتباس

لان هؤلاء الشهود لا طعن في شهادتهم ولا مظنة في تحاملهم عليه واذا

كان الامر كذلك فليحذر الحافل ان يستعمل هذه الاعضاء في محصية ريسه

فانهم سيكونون ضده في يوم القيامة يحذريده ان يبطش بها الا ما يسوف

(١) سورة النور : آية : ٢٤ • ٢٥ •

(٢) سورة يس : آية : ٦٥ •

(٣) سورة فصلت : آية : ٢٠٠ - ٤٠ •

له الشرع ويحذر رجله فلا يمشى بها الا فيما ينهى ، ويحذر سمعه
فلا يسمع به الا ما يحل له سماعه ويحذر بصره فلا يبصر به الا ما أبيح له
ويحذر جلده أن يمسه ما لا يحل له مسه ليأتى يوم القيامة ظاهرا نقيصا
آمنسا .

قال قتادة : " ابن آدم والله ان عليك لشهودا غير متهمة من بدعتك
فراقبهم واتق الله في شرك وعلايتك فانه لا يخفى عليه خافية والظلمة
عنده ضوء والسر عنده علانية فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن
فليفعل ولا قوة الا بالله) (١)

وأما ما يبدو من وجه التعارض في الظاهر بين ما أخبر الله به من ان الكفار
لا يكتنون الله حديثا وبين ما أخبر الله به من ان الكفار يجحدون ما صدر
منهم من شرك ومعاصي فليس هو من باب التعارض كما سنبين ذلك بعد
استعراضنا للآيات فيما يلي .

قال الله تعالى (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض ولا يكتنون الله حديثا) (٢)

فهذه الآية تدل على ان الكفار لا يكتنون الله شيئا من أعمالهم (٣) ولا أقوالهم .
وقال تعالى (ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) (٤)

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٧٧ / ٣ .

(٢) سورة النساء : آية : ٤٢ .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤٦٦ / ١ .

(٤) سورة الانعام : آية : ٢٣ .

وقال (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالتقوا السلم ما كنا نحصي

من سوء بلى ان الله عليهم بما كنتم تحملون) (١)

وقال تعالى (ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا

عنا بل لم يكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين) (٢)

وهذه الايات تفيد انهم ينكرون ان يكونوا قد عملوا أى سوء وانهم ما كانوا

مشركين وانهم كانوا لا يدعون مع الله أحدا .

فهل هذا من باب التعارض ؟ والجواب ان هذا ليس هو من باب التعارض

ولا يمكن ان يحصل فى كلام الله تعالى تعارض كما هو معلوم فان هذا

الانكار لا يعارض ما تقدم من اعترافهم ذلك انهم ينكرون فى حال ولا ينكرون

فى حال أخرى ينكرون قبل استئذان جوارحهم ويعترفون بكل شيء بعد

استئذان جوارحهم .

أى " ان عدم الكتم المذكور هنا انما هو باعتبار اخبار ايديهم وارجلهم

بكل ما عملوا عند الختم على افواههم اذا انكروا شركهم ومعاذهم " (٣)

وقد اجاب ابن عباس نافع بن الازرن حين سأله فقال :

" يا ابن عباس قول الله تعالى (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول

لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا) وقوله (والله ربنا ما كنا مشركين)

فقال له ابن عباس ان احسبك قمت من عند اصحابك فقلت الشى على

(١) سورة النحل : آية : ٢٨ .

(٢) سورة غافر : آية : ٧٣ - ٧٤ .

(٣) اشواق البيان ١ / ٣٢٦ .

ابن عباس، متشابه القرآن فاذا رجعت اليهم فاخبرهم ان الله تعالى لا يجمع الناس يوم القيامة في بقيع واحد فيقول المشركون ان الله لا يقبل من احد شيئاً الا ممن وحده فيقولون تعالىوا نجحد فيسألهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال فيختم الله على افواههم ويستنطق جوارحهم وتشهد عليهم جوارحهم انهم كانوا مشركين فعند ذلك يتمنون لو ان الارض سويت بهم ولا يكتفون الله حديثاً (١)

وقد اتاه ايضاً رجل فقال : " يا ابن عباس سمعت الله يقول (والله ربنا ما كنا مشركين) قال : أما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فانهم رأوا انه لا يدخل الجنة الا أهل الصلاة فقالوا تعالىوا فلنجحد فيجحدون فيختم الله على افواههم وتشهد ايديهم وأرجلهم ولا يكتفون الله حديثاً فهل في قلبك الآن شيء ؟ انه ليس من القرآن شيء الا ونزل فيه شيء ولكن لا تعلمون وجهه " (٢)

وقد اجاب الرازي عن ذلك من وجوه فقال :

" الأول : ان مواطن القيامة كثيرة فمواطن لا يتكلمون فيه وهو قوله (فلا تسمع الا همساً) ومواطن يتكلمون فيه كقوله (ما كنا نحمل من سوء) وقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) فيكذبون في مواطن يعترفون على انفسهم بالكفر ويسألون الرجعة وهو قولهم (ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) وآخر تلك

(١) تفسير ابن جرير ١٦٨/٧

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٢٧/٢

المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وارجلهم وجلودهم فنعوذ
بالله من خزي ذلك اليوم .

الثاني : ان هذا الكتمان غير واقع بل هو داخل في التمني على ما بيده

الثالث : انهم لم يقصدوا الكتمان وانما اخبروا على حسب ما توهموا وتقديره

والله ما كنا مشركين عند أنفسنا بل مصيبين في ذنوبنا حتى تحققنا الآن (١)

أما ما جاء في اثبات شهادة الجوارح من السنة ففهم ما اخرج مسلم

رحمه الله عن ابي هريرة رضي الله عنه من حديث طويل جاء فيه :

" ثم يقال له الآن بحث شاهدنا عليك فيتكرف في نفسه من ذا الذي

يشهد على فيختم على فيه ويقال لفضده ولحمه وعظامه انطق فتتطلسن

فضده ولحمه بحمله وذلك ليحذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي

يسخط الله عليه (٢)

٢- وعن انس بن مالك قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال مسن

مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرتني من الظلم قال يقول بلى قال : فيقول

فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك

شاهدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركاه انطقس

قال : فتتطق باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكس

وسحقا فعنك كنت اناضل " (٣)

(١) التفسير الكبير ١٠/١٠٧ .

(٢) صحيح مسلم ٥/٨٢٤ .

(٣) المصدر السابق ص: ٨٢٥ .

وقد اعدت ذكر هذا الحديث هنا لأجل الاستشهاد به على شمس شهادة

الجوارح °

وأول ما يشهد على الانسان من اعضائه فخذة من الرجل الشمال كما روى

الامام أحمد بسنده الى عقبة بن عامر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم

يقول ان اول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه فخذة من الرجل

الشمال (١)

وجاء في شهادة الالسة ما رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا كان يوم القيامة عرف الكافر

بعمله فجحد وخاصم فقييل له هو علاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا

فيقول اهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول احللوا فيحلفون ثم يصمتهم اللسة

وتشهد السننهم ثم يدخلهم النار (٢)

وجاء في شهادة الايدي والارجل ما يروى عن ابي أيوب ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال (أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته واللسة

ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعيب لزوجهما

(١) أخرجه الامام احمد في المسند ١٥١ / ٤ والطبراني واسنادهما جيد

كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥١ / ١٠ وابن جرير في التفسير

٢٣ / ٢٤ °

(٢) مجمع الزوائد ٣٥١ / ١٠ وعزاه الى ابي يعلى باسناد حسن عيسى

على ضعف فيه كما قال وذكره كذلك ابن كثير ١٢٣ / ٢ " النهاية " °

وتشهد يده ورجلاه بما كان يوليها ثم يدعى الرجل وخدمه فعقل ذلك
ثم يدعى أهل الاسواق وما يوجد ثم دواتق ولا قراريط ولكن حسبات هذا
تدفع الى هذا الذي ظلم وسيئات هذا الذي ظلمه توضح عليه ثم يوهنسى
بالجبارين في مقامح من حديد فيقال اوردوهم الى النار فوالله ما ادري

يدخلونها او كما قال الله تعالى (وان منكم ^{ال}اواردها كان على ربك حتما

مقضيا ثم لنجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) (١)

وروى ابو بكر بن ابي شيبة من حديث معاوية بن حيدة ^{القشيري} ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال : (تجيئون يوم القيامة على افواهكم الفدام وأول

ما يتكلم من الانسان فخذة وكفه) (٢) الحديث .

واذا تقرر أن الاعضاء تشهد يوم القيامة على أهلها بما كانت تعمله في الدنيا

فما معنى تلك الشهادة وكيف تتم ؟

اما تلك الشهادة عند أهل الحق

فهم يقولون بما نطق به القرآن والسنة أن تلك الاعضاء ينطقها الله

سبحانه وتعالى فتتكلم وتشهد بما فعلته حينما يجحد الشخص ما وجه

اليه من اعمال سيئة تشهد اليه فتقول بطشت وتشهد الرجل فتقول مشيت

(١) مجمع الزوائد ٣٤٦/١٠ وعزاه الى الطبراني وفيه عبد الله بن عبد العزيز

الليثي وهو ضعيف وقد وثقه سعيد بن منصور وقال : كان مالك يرضاه

وبقية رجاله رجال الصحيح " .

(٢) ذكره القرطبي في التذكرة ص : ٢٨٥ وعزاه الى ابي بكر بن ابي شيبة .

ويشهد فرجه فيقول فعلت وهكذا جميع الاعضاء ثم بعد الادلاء بتلك الشهادة الصادقة يرجع للسان الكلام فتتطرق لسانه بما حكى الله عليهم من عتاب وشتم قائلين لهم " لم شهدتم علينا " او قول الشخص لاثك الشهود من اعضائه سحقا لكن فمكن كنت اناضل واذا كانت تلك الشهادة يمكن وقوعها من تلك الاعضاء ؟ فكيف يمكن وقوعها من اللسان بعد الختم عليهم ؟ يقول ابن جرير عن هذا (فان قال قائل وكيف تشهد عليهم السننهم حين يخنم على افواههم ؟ قيل عنى بذلك أن السنة بعضهم تشهد على بعض لان السننهم تتطرق وقد ختم على الأفواه " (١) ولكن كيف يتم هذا القول مع ان الله سبحانه وتعالى قال (يوم تشهد عليهم السننهم وايديهم وأرجلهم) . فان ظاهر الآية يدل على ان تلك الاعضاء هي جميعها اعضاء المشهود عليه وكذا ماورد من النصوص في السنة النبوية والله أعلم بصحة ذلك . وقد فسر ابن جرير رحمه الله شهادة تلك الاعضاء على ظاهر النصوص فيسره يقول عن معنى شهادة الايدي " وتكلمنا ايديهم " أي " بما عملوا في الدنيا من معاصي الله (وتشهد أرجلهم) قيل ان الذي يبتلع من أرجلهم أخذهم من الرجل اليسرى " " بما كانوا يكسبون في الدنيا من الاثام " (٢) وعن قوله تعالى " حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم "

(١) جامع البيان ١٠٥ / ١٨

(٢) تفسير ابن جرير ٢٤ / ٢٣

يقول: " حتى اذا ما جاؤا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا اليه ويستمعون له وابصارهم بما كانوا يبصرون به وينظرون اليه في الدنيا .

وأما الجلود التي ذكرت في الآية فالظاهر أنها هذه الجلود الظاهرة للمخلوقات وقد قيل ان الله عني بالجلود في هذه الآية الفروج ولكن كنى عنها ويظهر ان ابن جرير لم يوافق على هذا التأويل وان كان لا يستعده من ناحية المعنى فهو يقول :

" وهذا القول الذي ذكرناه عن ذكرنا عنه في معنى الجلود وان كان معنى يحتمله التأويل فليس بالاغلب على معنى الجلود ولا بالاشهر وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشئ الا التقرب الى غيره الا بحجة يجب التسليم لها (١) (١)

ويقول القرطبي عن معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم فأول ما يتكلم من الانسان فخذ (

يحتمل وجهين :

احدهما : ان يكون ذلك زيادة في الفضيحة والخزي على ما نطق به الكتاب في قوله (تعالى) هذا كتابنا يدنن عليكم بالحق (

لانه كان في الدنيا يجاهر بالفواحش ويخلو قلبه عندها من ذكر الله تعالى فلا يفعل ما يفعل خائفا مشفقا فيجزيه الله بمجاهرته بفحشه على رؤس

الاشهاد .

والوجه الآخر: ان يكون هذا فيمن يقرأ كتابه ولا يعرف بما ينطق به بل يجحد فيختم الله على فيه عند ذلك وتنطق منه الجوارح التي لم تكن ناطقة في الدنيا فتشهد عليه سيئاته وهذا اظهر الوجهين يسدل عليه انهم يقولون لجلودهم أي لشروجهم في قول زيد بن اسلم لم تشهدتم علينا فتمردوا في الجحود فاستحقوا من الله الفضيحة والاعزاء يعود باللحمة منهنما " (١)

والخلاصة :

ان الله تعالى قادر على انطاق تلك الاعضاء حينما يريد منها ذلك .
واما كيفية نطقها فعلمه عند الله تعالى .

اما شهادة الارض بما عمل على ظهرها فقد ذكره الله في قوله (اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدث اخبارها بأن ربك اوحى لها) (٢)

وقد جاء في السنة النبوية ايضاح شهادة الارض فيما يرويه ابو هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يومئذ تحدث اخبارها) قال : اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال : (فان اخبارها ان تشهد على كل عبد أو امه بما عمل على ظهرها ان تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا وهذه اخبارها) (٣)

(١) التذكرة ص : ٣٤٢ .

(٢) سورة الزلزلة : آية : ١ - ٥ .

(٣) سنن الترمذي ٤٤٦/٥ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وقد عزا الامام ابن كثير الى الطبراني من حديث ابن لهيعة قال : حدثني
الحارث بن يزيد سمع ربيعه الحدسي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال تحفظوا من الارض فانها امكم وانه ليس من احد عامل عليها خيرا أو شرا
الا وهي مخبره (١)

وروى كذلك عن ابن عباس في معنى قوله تعالى (يومئذ تحدث اخبارها)
قال : قال لها ربها قولي فقالت (٢)

ومعنى قول الله تعالى (يومئذ تحدث اخبارها) قال سفيان يومئذ تحدث
اخبارها قال ما عمل عليها من خير أو شر (٣)

وقال ابن زيد في قوله (يومئذ تحدث اخبارها) قال : ما كان فيها وعلسى
ظهرها من اعمال العباد (٤)

وعن مجاهد قال : " تخبر الناس " بما عملوا عليها " (٥)

وقال ابن كثير : " في قوله (يومئذ تحدث اخبارها) قال : " أي تحدث
بما عمل العاملون على ظهرها " (٦)

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٣٦/٤ وعزاه الى الطبراني .

(٢) المصدر السابق .

(٣) (٥) جامع البيان ٢٦٢/٣ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ٥٣٦/٤ .

وقد فسّر الرازي معنى اخبار الارض بالوجه الاتية :-

احدها : وهو قول ابي مسلم يومئذ يتبين لكل احد جزاء عمله فكأنها حدثت
مهممممم

بذلك كقولك الدار تحدثنا بأنها كانت مسكونة .

والثاني : وهو قول الجمهور ان الله تعالى يجعل الارض حيوانا عاقلا
مهممممم

ناطقا ويعرفها جميع ما عمل اهلها فحينئذ تشهد لمن اطاع وعلى من عصى

قال عليه السلام (ان الأرض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عليها ثم تلاه هذه

الاية .

قال الرازي " وهذا على مذهبنا غير بعيد لأن البنية عندنا ليست شرطا

لقبول الحياة فالأرض مع بقائها على شكلها وببسها وقشفاها يخلق الله فيها

الحياة والنطق والمتنوع كأن الارض تشكو من العطاسة وتشكو من اطاع الله

فتقول ان فلانا صلى وزكى وصام وحج في وان فلانا كفر وزنى وسرق وجسار

والقول الثالث: وهو قول المعتزلة ان الكلام يجوز خلقه في الجماد فلا يبعد

ان يخلق الله تعالى في الارض حال كونها جمادا اصواتا مقطعة مخصوصة

فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى (١)

وهذا تأويل بعيد ومخالف لمدلول الاية فان الله تعالى قد اسعد الحديث

الى الارض وليس اليه جل وعلا
ضمان هذا المثلح الموال لا اولئك ليس بل هو مرد
افتراسها

وقد جاء ايضا اضافة الى شهادة من تقدم ذكرهم ان المال نفسه هو ايضا من

الشهود على العبد ذلك المال الذي كان في الدنيا هو كل شيء عند بعض

الفوس يسرق ويقتل وينهب ويخسر ويركب كل صاحب وذلول لجمعه هذا
المال يكون شاهدا يوم القيامة على من جمعه وربما يكون صاحبه قد جمعه
ولم ينتفع به هو بل انتفع به ورثته وربما يكون فيهم من يستعين به على
منصية الله تعالى ومحاربه فيكون هو لاء قد تلصوا بماله وهو محاسب
عليه " ومصداتي هذا ما أورده البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قام على المنبر فقال انما اخشى
عليكم من بحدى ما يفتح عليكم من بركات الارض ، ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ
باحداهما وثنى بالاخرى فقام رجل فقال يا رسول الله او يأتى الخير بالشر؟
فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم قلنا يوحى اليه وسكت الناس كأن
على رؤسهم الطير ثم انه مسح عن وجهه الرخاء فقال اين السائل انفسا
أو خير هو - ثلاثا - ان الخير لا يأتى الا بالخير وانه كل ما يندب الربيع
ما يقتل حبطا أو يلم ، أكلت حتى اذا امتدت خاضرتها استقبلت الشمس
فقلطت وبالت ثم رتعت وان هذا المال خضرة حلوة ونعم صاحب المسلم لمن
اخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين ومن لم يأخذه
بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة) (١)

ومن الشهود كذلك الانبياء فقد جاء ان كل نبي يشهد على أمته وقد ذكر
الله تعالى ذلك بقوله (ويوم نبعث ^{من} كل امة شهيدا ثم لا يؤمن للذين

كفروا ولا هم يستعتبون) (٢)

صحيح البخاري
(١) فتح الباري ٤٨ / ٦

(٢) سورة النحل : ٨٤

وقال تعالى (ويوم نبهت في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بسببك

شهيدا على هؤلاء) (١)

وقال تعالى (ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم) (٢)

وشهيدا : أى رسولا كما قاله مجاهد . (٣)

ومعنى هذه الشهادة ان الله تعالى " يبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها

يشهد عليها بما أجابته فيما بلغها عن الله تعالى " (٤)

أما شهادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامته فقد ذكر الله ذلك بقوله

تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (٥)

وقال تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون

الرسول عليكم شهيدا) (٦)

وقال تعالى (ملأه ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون

الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) (٧)

(١) سورة الحل : آية : ٨٩ .

(٢) سورة القصص : آية : ٧٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٣٩٨ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢ / ٥٨١ .

(٥) سورة النساء : آية : ٤١ .

(٦) سورة البقرة : آية : ١٤٣ .

(٧) سورة الحج : آية : ٧٨ .

قال ابن جرير رحمه الله في معنى قول الله تعالى (فكيف اذا جئنا منسجين
كل امة بشهيد) الخ الآية الكريمة قال :

" يعنى بمن يشهد عليها باعمالها وتصديقها رسلها او تكذيبها (وجئنا
بك على هو لا شهيدا) يقول وجئنا بك يا محمد على هو لا اى على امتك
شهيدا " يقول شاهدا .

وأخرج ابن جرير عن القاسم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود
(اقرأ على قال اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : انى احب ان اسمعه من غيرى
قال : فقرأ ابن مسعود النساء حتى بلغ " فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هو لا شهيدا " قال : قال استعبر النبي صلى الله عليه
وسلم وكف ابن مسعود " (١)

ولله تعالى شهداء من خلقه كثيرون كما ذكر ذلك في كتابه الكريم كما اشرنا
اليه سابقا فيشهد كل نبي على امته وامة محمد صلى الله عليه وسلم
يكونون شهداء للرسول على اممهم انهم قد بلغوهم عن الله ما ارسلوا به
ومما جاء في السنة النبوية في هذه الشهادة التي اكرم الله تعالى بها
محمد صلى الله عليه وسلم وامله ، ما اخرج البخارى عن ابن مسعود
الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجاء بنوح يوم القيامة
فيقال هل بلغت فيقول نعم يارب فتسأل امته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا
من نذير فيقول من شهودك فيقول محمد وامله فيجاء بكم فتشهدون ثم تسأرا

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلناكم امة وسطا... قال

عدلا... لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)

وعن جعفر بن عون حدثنا الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد الخدري عن

النبي صلى الله عليه وسلم بهذا (١)

وأخرج ابن ماجه عن ابي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(يجبى النبي ومعه الرجلان ويجبى النبي ومعه الثلاثة واكثر من ذلك

واقل فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم فيدعى قومه فيقال هل بلغكم

فيقولون لا فيقال من شهد لك فيقول محمد وامته فتدعى امة محمد فيقال

هل بلغ هذا فيقولون نعم فيقول وما علمكم بذلك فيقولون اخبرنا نبينا

بذلك ان الرسل قد بلغوا فصدقناه قال فذلكم قوله تعالى (وكذلك

جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (٢)

سورة البقرة : آية : (١٤٣) .

وأما شهادة عيسى عليه السلام فقد ذكر الله ذلك بقوله سبحانه (وان من

أهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (٣)

(١) البخارى ٣١٦/١٣ وأحمد فى المسند ٥٥٨/٣

(٢) ابن ماجه ١٤٣٢/٢

(٣) سورة النساء : آية : ١٥٩

*** الفصل الحادى عشر ***

— (عدل الله تعالى فى القصاص بين الخلق) —

ان العدل فى الاحكام من الصفات الحميدة بل ان ذلك من ارقى صفات الكمال والناس يمدحون الشخص العادل ويجلونه لأجل ما امتاز به من هذه الصفة الحميدة .

واذا كان الناس يحبون هذه الصفة ويحبون من اتصف بها ويعظمونه بفطرتهم السليمة فلا شك انهم يكرهون ضد هذه الصفة وهى صفة الجور ويخشونها ويخشون من اتصف بها ويسمونه جائرا ظالما واذا اطلقت هذه الصفات الذميمة على شخص فلا شك أنه سيكون محل ازدراء ونفور من الناس فاذا كان الانسان يسره أن يقال له عادل ويخشيه ان يقال له جائر فماذا كان الا لعلمه بأن الصفة الأولى من صفات الكمال والصفة الثانية من صفات النقص والاحتقار .

وما من انسان سوى فى نفسه الا وهو يحب العدل ويكره الجور بطبعه ويحاول دائما ان يتصف بصفة العدل وينفر دائما من صفة الجور .

فاذا كان هذا حال الانسان وهو الظلوم الجهول فكيف بحال خالق الانسان القوى القدير ذى الصفات الكاملة فى كل شىء الذى لا يخلزم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوهب من لده اجرا عظيما افلا يكون له من تلك الصفات

الحميدة أعلاها واكملها بلى ، لا يشك فى ذلك مسلم بل وأى انسان سليم الفطرة .

وسلعرض الآن بحض ما يدل على ذلك من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله

صلى الله عليه وسلم °

(١) — (الأدلة من القرآن الكريم) —

١— قال الله تعالى (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله

سريع الحساب) (١)

٢— (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهمم

لا يظلمون) (٢)

٣— (فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهمم

لا يظلمون) (٣)

وقال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من

سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله

رؤوف بالعباد) (٤)

٤— (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهمم

لا يظلمون) (٥)

٥— (اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا

يكسبون) (٦)

(١) سورة غافر : آية : ١٧ °

(٢) سورة البقرة : آية : ٢٨١ °

(٣) سورة آل عمران : آية : ٢٥ °

(٤) سورة آل عمران : آية : ٢٦ °

(٥) سورة اللحل : آية : ١١١ °

(٦) سورة يس : آية : ٦٥ °

٦- (ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به واسروا الندامة

لما روا الحذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) (١)

٧- (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة

فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون) (٢)

٨- (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يحمل مثقال ذرة شرا يره) (٣)

٩- (ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب) (٤)

١٠- (ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) (٥)

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التى تخبر عن عدل الله تعالى بيمين

خلقه فى محاسبته اياهم حتى انه لهكاد القارون لتلك الآيات يشمر

انه فى موقف الحساب العادل وذلك لكثرة تكراره فى القرآن الكريم

باساليب متعددة وعبارات بليغة تصور الناس وهم وقوف للحساب

يأخذ كل عامل ما استحقه من الخير والشرف فى ابلغ صور العدل وحسد

عرض الادلة من القرآن الكريم لعرض فيما يلى الادلة من السنة النبوية

المطهرة :

(١) سورة يونس : آية : ٥٤ .

(٢) سورة النمل : آية : ٨٩ .

(٣) سورة الزلزلة : آية : ٧ - ٨ .

(٤) سورة ابراهيم : آية : ٥١ .

(٥) سورة الزمر : آية : ٧٠ .

وكما ذكر الله تعالى عدله بين خلقه في كتابه الكريم اخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وبينه . تمام البيان فقد بين صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقيم الحساب بالعدل بين خلقه بحيث يشمل ذلك حتى الحيوانات حيث تقتص البهيمة التي لاقرن لها ممن نطحتها في الدنيا من ذوات القرون كما قال صلى الله عليه وسلم :

١- لتوعدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء (١)

من الشاة القرناء (٢)

وعن ابي شريفة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجما من القرناء وحتى للذرة

من الذرة) (٣) قال ابن الاثير " الذر النمل الأحمر الصغير واحدتها

ذرة ، وسئل ثعلب عنها فقال ان مائة نملة وزن حبة والذرة واحدة منها" (٤)

وفى رواية (لهيختصن كل شىء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا) (٥)

واذا كان القصاص وظهور العدل شمل الحيوانات التي لا تعقل فكيف

بالعباد الذين هم محل التكليف والمسئولية .

(١) التي لاقرن لها .

(٢) اخرجه مسلم ١٩/٨ والترمذى ٦١٤/٤ وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) اخرجه احمد فى المسند ٣٦٣/٢ قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٥١/١٠

ورجاله رجال الصحيح .

(٤) النهاية فى غريب الحديث والاشر ١٥٧/٢ .

(٥) المسند ٢٩/٣ ، ٣٩٥/٢ .

وسرى مشاهد عديدة لاقامة العدل بين الخلق فإضافة الى المشهد الأول وهو مشهد اقتصاص الحيوانات من بعضها البعض هناك مشهد آخر وهو مشهد اقتصاص المظلوم من ظالمه حتى انه يأخذ جميع حسناته فان لم توجد أخذ من سيئات المظلوم فطرحت على الظالم كما في حديث المفلس الذي رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي^{من} يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فليت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) (١)

وما جاء عنه ايضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحللها منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لأخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه) (٢)

وعن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من رجل يضرِبُ عبداً له الا اقيد منه يوم القيامة) (٣)

(١) صحيح مسلم ٠١٨/٨ وأخرجه الترمذى ٦١٣/٤ وقال هذا حديث

حسن صحيح °

(٢) صحيح البخارى ٠١٩٢/٧

(٣) مجمع الزوائد ٢٥٢/١٠ وعزاه الى البزار ثم قال " ورجاله ثقات "

وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ضرب سوطا

ظلما اقتس منه يوم القيامة) (١)

هذا بالنسبة للظلم بالفعل وهناك ظلم بالقول ، فالغيبة التي يتساهل

الناس في أمرها ويرددونها في اجتماعاتهم اخبر صلى الله عليه وسلم

انها تكون يوم القيامة وبالا على صاحبها وخيرا لمن قيلت فيه كما جاء عن

شبيب بن سعد البلوي " ان العبد ليلقى كتابه يوم القيامة منشورا فينظر

فيه فيرى حسنات لم يعطها فيقول يارب انى هذا لى ولم أعطها فيقول

هذا ما اغتابك الناس وانت لا تشعر " (٢)

والدين الذي هو مذلة بالنهار وهموم بالليل في يوم القيامة يكون اشد وقحا

على النفس مما هو في الدنيا لانه يأخذ اعلى ما لدى الانسان واحسن ما يكون

اليه وهو الحسنات كما جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (انه ليكون للوالدين على ولد هما

دين فاذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول انا ولدكما فيودان او يتمنيان

ان لو كان اكثر من ذلك) (٣)

وعن ابي امامة رضى الله عنه " من ادان دينا هو يود ان يوده اياه الله

عنه يوم القيامة ومن استدان دينا وهو لا ينوى ان يوده فمات قال الله عز وجل

(١) المصدر السابق وعزاه الى الطبراني والبخاري قال : " واسنادهما حسن "

(٢) الاتحافات السنوية ص : ١٢٨ وعزاه الى ابن نمير .

(٣) التذكرة ص : ٣٢٤ .

يوم القيامة ظننت ان لا آخذ لمبدي بحقه فيؤخذ من حسناته فيجعل في
حسنات الآخر فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات الآخر فجعلت عليه (١)
وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
(يحشر الله العباد يوم القيامة او قال الناس عراة غلا بهما قال قلنا وما بهما
قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب
انا الديان انا الطك لا ينبغى لأحد من أهل النار ان يدخل النار له عند
أحد من أهل الجنة حق حتى اقتصه منه ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة
أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عند حق حتى اقتصه منه حتى اللطمة
قال قلنا كيف واننا نأتى عراة غلا بهما قال الحسنات والسيئات (٢)
وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس اذ رأينا ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما اضحكك يا رسول الله
يا بى انت وأمي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أهدهما
يارب خذ لي مظمتي من اخي فقال الله كيف تصنع بأخيك ولم يبق من
حسناته شيء قال يارب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالبكاء ثم قال : ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس ان يحمل عنهم
من أوزارهم (٣) فذكر الحديث .

(١) الاتحافات السنية ص : ٢٤٤ وعزاه الى الطبراني والحاكم والبيزار .

(٢) المسند ٤٩٥/٣ وقال المنذرى في الترغيب والترهيب ٤/٤٠٤ هـ .

ان اسناده حسن .

(٣) الترغيب والترهيب ٤/٤٠٥ وعزاه الى الحاكم وقال صحح الاسناد .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي مطركين يكذبونني ويخونونني ويمصونني واشتمهم واضربهم فكيف انا منهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان ا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك ، وان كان عقابك اياهم فـ ذنوبك ذنوبهم اقتضى لهم منك الفضل فتحنى الرجل وجهه ليهتف ويكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تقرأ قول الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبه من خسرل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) (١) فقال الرجل : يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم اشهدك انهم كلهم أهرار) (٢) وهذا العدل العظيم وهذا القصاص المبنى على تمام ايصال الحقوق الى أهلها انما هو بين المؤمنين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا اما الكافر فانه يأتي يوم القيامة ولا حسنات له لأن الله قدمها له في الدنيا . كما في حديث انس بن مالك انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) سورة الانبياء : آية : ٤٧ .
(٢) أخرجه الترمذي ٣٢٠ / ٥ وقال حديث غريب .

(ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة
واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى
الآخرة لم يكن له حسنات يجزى بها) (١)

ومصداق هذا من كتاب الله تعالى قوله (ويوم يعرض الذين كفروا على
النار ان هبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب
الهنون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) (٢)
وفى الثناء على الذين استبقوا طيبات حياتهم الدنيا للآخرة ثناء عظيم
من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وسلف الامة الصالح وقد ذموا
الذين ان هبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا فاستمتعوا بها كيفما شاؤوا
ولم يحجموا عن لذة الا ووصلوها حقا كانت ام باطلا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول (لو شئت كنت اطيبكم طعاما والينكم لباسا ولكنى استبقى طيباتي)
ولما قدم الشام صنع له طعام لم يرقبله مثله قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين
الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير ؟ قال خالد بن الوليد لهم
الجدة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا في الحطام وذهبوا بالجسنة
لقد بايلونا بونا بحيدا .

(١) صحيح مسلم ٨ / ١٢٥٠

(٢) سورة الاحقاف : آية : ٢٠

ولقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل الصفة - مكان يجتمع فيه فقراء المسلمين - وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا فقال :
(انتم اليوم خير او يوم يخذو احدكم فى حلة ويروح فى اخرى ويخذى عليه بجفنه ويراح عليه بأخرى ويستربيته كما تستر الكعبة ؟ قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير)^(١)

وقال ابن زيد فى قول الله عزوجل (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا الى آخر الاية ثم قرأ) (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) وقرأ (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) الى آخر الاية وقال هو^ه لا^ه الذين اذهبوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا) (١)

وقال أبو مجلز ليفقدن اقوام حسنات كانت لهم فى الدنيا فيقال (اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) (٢)

وتظهر الامور فى ذلك اليوم ظهورا كاملا وبهتك فيه ستر الظالم بل وفسى بعض الذنوب يكون القصاص فيها أمر فى غاية الخطر وجزاؤه من اعظم ما يتصوره الانسان وذلك لعظم الذنب الذى اقترفه هذا الظالم كما جاء فى حديث

سليمان بن بريدة عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة امهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى أمته فيخونه فيهم الا وثق له يوم القيامة

(١) - انظر : جامع البيان ٢٦ / ٢١٠

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٦٠

فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم (١) والظن به كما لا يخفى أنه لا يبقى له حسنة واحدة .

وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا النوع من الظلم وظلم الجهد نفسه لا بد من وقوع القصاص فيه ولا يشملها عفو الله بخلاف سائر الظلم وهذا ما يفيد حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الظلم ثلاثة فنظلم لا يخفره الله وظلم يخفره وظلم لا يتركه الله ، فأما الظلم الذي لا يخفره الله فالشرك قال الله تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) واما الظلم الذي يخفره الله فنظلم العباد لانفسهم فيما بينهم وبين ربهم .

وأما الظلم الذي لا يتركه الله فنظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين لبعضهم (من بعض) (٢)

واخيرا لا بد من الاشارة الى امر هام ورد في الاحاديث السابقة وهو أخذ المظلوم من ظالمه حسناته فان فويت حسنات الظالم طرحت عليه من سيئات المظلوم هنا يرد سؤال وهو ان لم يكن للمظلوم سيئة كالا نبياء ولا للظالم حسنة كالكفار فكيف يمكن القصاص في ذلك ؟ .

قال البرديسي في اجابته عن هذا :

" يعطى المظلوم من الثواب بقدر ما يستحقه ويزاد في عقوبة الظالم بقدر

(١) رواه مسلم ٤٢/٦ وأبو داود ٨/٢ والنسائي ٥٠/٧ .

(٢) مجمع الزوائد ٢٤٦/١٠ وعزاه الى البزار ثم قال الهيثمي ان البزار

رواه عن شيخه احمد بن مالك القشيري ولم يعرفه الهيثمي وبقيّة رجال

السند قد وثقوا على ضعفهم .

ما كان من المظلوم ان لو كان ثم ما يؤخذ (١)

وقد تبين لنا مما سبق عرضه من الأحاديث ان هذا النوع من القصاص ثابت
وانه عين العدل والحق ولكن بعض المتفلة الذين اتبعوا اهواءهم بخيبر
هدى من الله اعجابا برأيهم وتحكما على كتاب الله تعالى وسنة نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم بحقول ضعيفة وافهام سخيطة قد اعترضوا على الله

في حكمه وشرعه وذلك بعدم تسليمهم لما جاءت به تلك النصوص فقالوا :

لا يجوز في حكم الله تعالى وعدله ان يضيع سيئات من اكتسبها على من لم

يكتسبها ويؤخذ حسنات من عملها فتعطي من لم يعملها وهذا زعموا جسورا

وأولوا قول الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى (٢)

فكيف تصح هذه الاحاديث وهي تخالف ظاهر القرآن وتستحيل في العقل "

وهذا الاعتراض هو ما ذكره القرطبي رحمه الله عن هؤلاء الناس ثم قال :

في جوابه عن ذلك : " ان الله سبحانه وتعالى لم يبين امور الدين على

عقول العباد ولم يعد ولم يوعده على ما تحتمله عقولهم ويدركونها بأفهامهم

بل وعد وأوعد بمشيئته وارادته وأمر ونهى بحكمته ولو كان كلما لا تدركه

العقول مردودا لكان اكثر الشرائع مستحيلا على موضوع عقول العباد وذلك

ان الله تعالى اوجب الغسل بخروج المني الذي هو ظاهر عند بعض

المصحابة وكثير من الائمة وأوجب غسل الاطراف من الفائط الذي لا خلاف

(١) تكملة شرح الصدور ص : ١٤٠

(٢) سورة الانعام : آية : ١٦٤

بين الأئمة وسائر من يقول بالعقل وغيره في نجاسته وقذارته وتنتهـ
وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجب بخروج الخائط الكثير المتفاحش
فبأى عقل يستقيم هذا وبأى رأى تجب مساواة ربح ليس لها عين قائمة بما يقوم
عنه وتزيد على الربح نتنا وقدرا وقد أوجب الله قطع يمين مؤمن بحشرة
دراهم وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك ثم سوى بين هذا
القدر من المال وبين مائة الف دينار فيكون القطع فيهما سواءً واعطى
الأم من ولدها الثلث ثم ان كان للمتوفى اخوة جعل لها السدس من غير
ان ترث الاخوة من ذلك شيئا فبأى عقل يدرك هذا الا تسليما وانقيادا
من صاحب الشرع الى غير ذلك فكذا القصاص بالحسنات والسيئات وقد قال
وقوله الحق (ووضعت الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) الآية
وقال (وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم) وقال (ليحملوا اوزارهم كاملة
يوم القيامة ومن اوزار الذين يذلونهم بخير علم) *
وهذا يبين قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) أى لا تحمل عاملة ثقل اخرى
اذا لم تتعد فاذا تعدت واستطالت بخير ما امرت فانها تحمل عليها ويؤخذ
منها بخير اختيارها " (١)

وقال البرديسى فى الجواب عن مثل هذه النصوص :

" ولا تعارض بين هذا لأن المراد بالآية فى شخصين لا حق لواحد
منهما عند الآخر ، وأما هذه فبذنبه اخذ وبكسبه عوقب ويبنى ذلك اذا
مات وهو قادر على القضاء واما اذا مات عاجزا عنه فلا يطرح عليه من سيئاته
شيء " (٢)

(١) التذكرة ص : ٣٢٥ .

(٢) نكلمة شرح الصدور ص : ٢٩ وقد عزا هذا الكلام الى الشيخ عز الدين

وقال ايضاً :-

" وقد ذهب أهل الحق ان العبد اذا اتى بطاعات كأمثال الجبال ثم كانت له مخالفة واحدة فهو في المشيئة فله أن يعاقبه عليها ويعطيه ثواب طاعته وله أن يخفرها له وقد قيل لابي القاسم الجليل ما تقول فيمن خرج من الدنيا وما هي عليه الا قدر نواة فقال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم " (١)

وهذه الأحاديث التي ذكرت الاقتصار بالسيئات والحسنات لا تخالف القرآن وانما بيئت المراد من الايات وهي وظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام
(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) (٢)

وأما قولهم ان العقل يحيل ذلك فهذا مردود لأن معنى استحالة العقل ان لا يتصور العقل وقوع ذلك فما الذي يحيله العقل أو لا يتصوره بل العقل لا يجوز فقط وانما يحتم هذا القصاص في الاخرة التي ليس فيها ببيع ولا خسار ولا ينفخ مال ولا بنون وانما المجازات تكون بالسيئات والحسنات وهذا منتهى العدل الرباني الذي وعد به والا فكيف يجازى الذي استخاب وفعل ما فعل من الموبقات ، فالحكمة تقتضى ان يؤخذ من حسناته او تكال عليه سيئات خصمه ، وكيف لا يكون ذلك وقد دلت النصوص وجاءت الأحاديث باثباته .

(١) تكملة شرح الصدور ص : ٢٠٠

(٢) سورة النحل : آية : ٤٤

أماما يفهم من كلام القرطبي رحمه الله ان الشرع قد يأتي مخالفا للعقل وأورد على ذلك أمثلة ، كلها تثبت في رأيه مخالفة حكم العقل لحكم الشرع وخلص من كل هذا الى انه يجب التسليم للشرع من غير بحث ولا نظر فالحق الذي تهدي اليه النصوص انه لا يمكن ان يكون هناك تضارب بين المتقول الصحيح وبين العقل الصحيح بل كلما جاء به النقل الصحيح يجب ان يطابق العقل الصحيح وما يظهر في بعض الامور من المخالفة انما هو بالنظر لعدم كمال العقل واستيفاء النظر أو لعدم صحة النقل على أنه قد يخفى على الناظر بعض الحكم ولكن ليس لمناقضتها للعقل بل لعدم وجود العلم الكافي الذي يهين للعقل فهمها .

وهناك أشياء قد سلمها المسلمون السابقون من غير ان يصرفوا حكمتها وجاء العلم الحديث الذي افصح تمام الافصاح عن حكمتها وقد كانت تسمى فيما مضى بأمر غيبية تعبدية فجلاها العلم وأصبحت حكمتها ظاهرة كمسألة غسل الأياد اذا ولغ فيه الكلب سبع مرات احدا من بالتراب فقد قيل ان الغسل بالتراب امر تعبدى لان التراب ليس من أدوات التطهير والظافة فجاء العلم بوسائله الجديدة فاكتشف بواسطة الميكروسكوب والمكبرات الدقيقة الجراثيم والميكروبات التي يخلفها الكلب بلمقه للأيام فجربوا جميع الصيدات ووسائل التطهير فلم تنزل ذلك الميكروب ثم جربوا التراب فاذا هو المطهر الوحيد الذي ازال هذا الخطر .

(الفصل الثامن عشر)

الجزاء في يوم القيامة من جنس العمل

ولأن يوم القيامة هو اليوم الفاصل بين الحياتين الدنيوية والاخروية
ولأن من مقاصد البحث هو مجازاة كل عامل بحظه ولأن الاعمال
تختلف اختلافا كبيرا ((ان سميكم لشتى)) (١) ولاظهار كل جريمة
امام صاحبها مواجهة لكل هذا ولغيره مما يعلمه الله اقتضى الحال
انه لا بد وان يكون الجزاء من جنس العمل ((جزاء وفاقا)) (٢) اي موافقا
لاعمالهم (٣) كما قاله ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد ومجاهد (٤)
وقد وردت بذلك النصوص الصريحة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه
- صلى الله عليه وسلم بذلك

(١) فعما ورد في مصداق ذلك من كتاب الله تعالى قوله الكريم فسقى

بيان اشكال الجزاء وانواعه .

((ومن يفلل يأت بما غل يوم القيامة)) (٥)

وقوله تعالى : ((ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم هشرتنى

أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم

تنسى)) (٦)

(١) سورة الليل آية : ٤ .

(٢) سورة النبأ آية : ٢٦ .

(٣) تفسير النسخ ج ٤ ص ٣٢٧ وانظر جامع البيان ج ٣ ص ١٥ .

(٤) انظر جامع البيان ج ٣ ص ١٥ .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٦١ .

(٦) سورة طه آية : ١٢٥ .

وقال تعالى : ((ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم اذ هم فيها وهم لا يخرجون)) (١) ، (٢)

وقال تعالى : في شأن استعظامهم وتكذيبهم لحشرهم هم
وآباؤهم بعد ان يصيروا عظاما واستكبارهم عن الايمان بذلك
((اذنا امتنا وكنا ترابا وعظاما انا لميموثون و آباؤنا
الاولون نعم وانتم ^{قل} داخرون)) .

الى غير ذلك من الايات الواردة في اثبات الجزاء ^{ان} سيكون مثل

جنس العمل .

وبعد عرض ما تقدم من الايات نعرض فيما يلي طائفة من الاحاديث

* * *

(١) سورة غافرية : ٦٠ .

(٢) اى صاعرين اذ لا حقيرين (اضاة البيان ج ٤ ص ٢١٢) .

٢ - الأدلة من السنة النبوية

و اما ما جاء في السنة النبوية من اثبات ذلك الجزاء الواقع بحسب ما يستحقه المبدأ فهو ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من جزاء الأفعال والتكبر والبخل و الظالم و مانع الزكاة وغير ذلك مما سند كسر أدلته و كيفية وقوعه في يوم القيامة .

فأما الفأل فإنه كما ذكر الله تعالى يأتي بماغله حاملا لله على عنقه أو ظهره تشهيرا بجريمته الشنيعة وهي الغلول وقد حذر الله منه و حذر رسول - صلى الله عليه وسلم - منه اشد التحذير و اخبر عليه الصلاة والسلام عن عاقبة من يأتيه في احاديث كثيرة نذكر منها ما يتعلق بجزاء الفأل المشاهد امام الخلق في يوم القيامة في موقف فصل القضاء كثال على ذلك .

- عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال فينا النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر الغلول فعظمه وعظم امره قال لا الفين احدكم يوم القيامة على رقبته فرسله حمحة^(١) يقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك شيئا قد بلفظك و على رقبته بميرله رغاء^(٢) يقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك شيئا قد ابلفتك او على رقبته رقصاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثنى فأقول لا املك لك شيئا قد

(١) الحمحة هي : صوت الفرس دون الصهيل (النهاية ج ٢ ص ٢٤٠) .

ج - ١ ص ٤٢٦)

(٢) الرغاء هو صوت الابل (النهاية ج ٢ ص ٢٤٠) .

أبلفتك (١) .

وقال البخارى حدثنا ابو اليمان اخبرنا شعيب عن الزهري قال
اخبرني عروة عن ابى حميد الساعدي أنه اخبره ان رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - استعمل عاملا فجاءه العامل حيث فرغ من عمله فقال
يا رسول الله هذا لكم وهذا أهدي لى فقال له أفلا قعدت في بيتك
أبيك وامك فنظرت ايهدى لك ام لا ثم قام رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - عشية بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما هو
اهله ثم قال اما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا
من عملكم وهذا أهدي لى أفلا قعدت في بيت ابية وامه فنظر هل يهتدى
له ام لا فوالذى نفس محمد بيده لا يغل احدكم منها شيئا الا جاء
يوم القيامة يحمله على عنقه ان كان بميرا جاء به له رغاء وان كانت
بقرة جاء بها لها خوار وان كانت شاة جاء بها تيمر فقد بلغت
فقال ابو حميد : ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده حينئذ
انا لنظر الى غرة ابطيه قال ابو حميد وقد سمع ذلك معي زيد
بن ثابت من النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأله (٢) .

كثيرا
وقد اخرج اصحاب السنن وغيرهم من اهل التفسير كالطبري من
الاحاديث التي تصور الفال في يوم القيامة وما يلقاه من المذاب وهنتسوا
يحمل ما غله على رقبتة .

(١) البخارى ج ٦ ص ١٨٥ - مسلم ج ٣ ص ١٤٦١ .

(٢) صحيح البخارى ج ١١ ص ٥٢٤ ورواه مسلم ج ٣ ص ١٤٦٣ - بساب

تحريم هدايا العمال .

اخرج الامام ابو داود عن ابى مسعود الانصارى قال (بمشي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعيا ثم قال انطلق يا ابا مسعود
لا القينك يوم القيامة تجىء وعلى ظهرك بعير من اهل الصدقة
له رغاء قد غلته قال اذا لا انطلق قال اذا لا اكرهك) (١) .

ولا بن ماجه ، عن عمر رضى الله عنه من حديث عبد الله بن انيس
انه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يوما الصدقة فقال : (الم تسمع رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة) من غل
منها بعيرا او شاة فانه يحمله يوم القيامة قال عبد الله بن انيس (٢)

واخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - لأعرفن احدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها
شفاة ينادى يا محمد يا محمد فأقول : لا املك لك من الله شيئا
قد بلغتك ولا أعرفن احدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملا له رغاء يقسول
يا محمد يا محمد فأقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك ولأعرفن
احدكم يأتي يوم القيامة يحمل قسما من آدم ينادى يا محمد فأقول
لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك) (٣) .

وهذا الجزاء على حقيقتة فان الغنم يحمل ما غله على ظهره
ورقبته معذبا به امام الخلق .

(١) سنن أبى داود ج ٢ ص ١٢٢ زه .

(٢) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٧٩ وفيه (موسى بن جبير) قيل انه يخطىء

(٣) اخرجه ابن جرير ج ٤ ص ١٥٩ وقال عنه ابن كثير انه (لم يروه)

قال القرطبي :

(قال علماءنا رحمهم الله في قوله) ومن يغفل يأت بما غفل
يوم القيامة) ان ذلك على الحقيقة كما بينه - صلى الله عليه وسلم -
اي يأت به حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله ومرعوباً
بصوته وموحا باظهار خيانتة على رؤس الأشهاد وكذا مانع الزكاة (١)
واما حمل الاوزار التي ذكرها الله في الاية الكريمة فان اهل التفسير
يذكرون في معناها ان الله تعالى يحيل الذنوب والاثام التي كان يركبها
الفجرة الى صورة محسوسة فتركب صاحبها و تسوقه الى النار و تخاطبه
قائله له انا علك الذي كنت تعمله في الدنيا من ركوبك الشهوات
والاثام فالיום اركبك .

وقد ساق ابن جرير بسنده الى عمرو بن قيس الملائي قال : ان
المؤمن اذا خرج من قبره استقبله عمله في احسن صورة واطيبه ريحا
فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد طيب ريحك و حسن صورتك
فيقول : كذلك كنت في الدنيا انا علك الصالح طالما ركبتك في الدنيا
فأركبني انت اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا (٢)

وان الكافر يستقبله اقبح شحى صورة وانته ريحا فيقول هل تعرفني
فيقول لا الا ان الله قد قبح صورتك وانتن ريحك فيقول كذلك كنت في

== اهد من اهل الكتب الستة (ج ١ ص ٤٢١ - تفسير القرآن العظيم .

(١) التذكرة ص ٣٥٥ .

(٢) ولعل وجه الدلالة على ما فهمه الراوى ان من اكرام الوفود ان تأتي

راكبة لا ماشية وقد فسر ذلك الركوب بأنه على نوق ولم ير الخلائق

مثلها - انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٣٧ .

الدنيا انا عطك السيىء طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا اليوم اركبك
وتلا (وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يوزون) (١) .

واخرج ابن جرير كذلك عن السدى انه قال فى قوله تعالى :

((وهم يحملون اوزارهم)) . . الاية قال (ليس من رجل ظالم

يموت فيدخل قبره الا جاء رجل قبيح الوجه اسود اللون منتسن

الريح عليه ثياب دنسة حتى يدخل معه فى قبره فاذا رآه قال له ما قبج

وجهك قال كذلك كان عطك قبيحا قال ما انتن ريحك قال كذلك كان

عطك منتنا قال ما ادنس ثيابك قال فيقول ان عطك كان دنسا قال من

انت قال انا عطك قال فيكون معه فى قبره فاذا بحث يوم القيامة

قال له انى كنت احطك فى الدنيا باللذات والشهوات فانت اليوم تحملنى

قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار فذلك قوله تعالى :

((يحملون اوزارهم على ظهورهم)) (٢) .

واما حشر الكافر أعمى فانه جزءا من جنس العطل .

فانه كان فى الدنيا قلبه أعمى عن الايمان وبصره مفتوح الى الشهوات

فجازاه الله بأن سلب بصره فى يوم القيامة وما وجد من قول لبدن السلف

من تفسيرهم للعمى بالحجة اى لا حجة له كما هو رأى مجاهد و ابو صالح

والسدى أو أنّ معناه عمى كل شىء الا جهنم كما ينسب الى عكرمة

(١) جامع البيان ج ٧ ص ١٧٩

(٢) جامع البيان ج ٧ ص ١٦٩ وتبعه فى هذا علماء التفسير.

فانه تفسير بخلاف ما دلت عليه الآية من ان العمى المذكور هو عمى البصر
وذلك لوجود قرائن تدل على هذا منها قوله تعالى : ((قال رب اعمى
حشيرتى اعمى وقد كنت بصيرا)) فصرح بأن عماء هو العمى
المقابل للبصر وهو بصر المين لأن الكافر كان فى الدنيا
اعمى القلب كما دلت على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله (١) .

ويحشرون ايضا : اضافة الى العمى بكما صما لأنهم كانوا
فى الدنيا لا ينطقون بالحق والايمان ولا يسمعون ما يؤمرهم الله به
من اتباع سبيله فجازاهم الله بذلك الجزاء كما قال تعالى :
(ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء
من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم
كلما خبت زنادهم سمعيرا)) (٢) .

ومما ينبغى الاشارة اليه ان الله تعالى قد اثبت ان الكافر يحشرون
اعمى كما فى آية طه و يحشرون كذلك ابكم اصم كما فى آية الاسراء
لكنه تعالى قد اثبت فى آيات اخر ان الكفار يسمعون ويبصرون ويتكلمون
كما قال تعالى :

((اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا))

((ورأى المجرمون النار فظنوا انهم واقعوها))

((ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا))

(١) اضواء البيان ج ٤ ص ٥٩٧ .

(٢) سورة الاسراء الآية : ٩٧ .

فهل بين هذا تعارض ؟ الجواب أن هذا وان كان فيما يبدو

ظاهره التمازض لكنه في الواقع ليس فيه تعارض .

وقد اجاب العلماء عن هذا من عدة وجوه :-

الوجه الاول :

وهو ما استظهره ابو حيان من كون المراد مما ذكر حقيقته ويكون

ذلك في مبدأ الأمر ثم يرد الله تعالى اليهم ابصارهم وينطقهم وسممهم

فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم في غير

موضع .

الوجه الثاني :

(انهم لا يرون شيئاً يصرهم ولا يسمعون كذا ولا ينطقون بحجة كما

أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ولا يسمعون واخسرج

ذلك ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس وروى ايضا عن الحسن كما

ذكره الالوسي في تفسيره فنزل ما يقولونه ويسمعونه ويصرونه منزلة

المدم لعدم الانتفاع به) .

والوجه الثالث :

(ان الله اذا قال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون وقع بهم ذاك المص

والصم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج .

قال تعالى ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) وعلى هذا

القول تكون الاحوال الثلاثة مقدره ((١)) .

(١) دفع ايها الماضطراب ضمن احوال البيان ج ٩ ص ١٨٨ .

واضافة الى ذلك فانه يمكن أن يقال في وجه الجمع في هذه
الآيات التي وصفت الكافرين بما وصفت ان هذه الاوصاف ليست لكل
واحد واحد من الكفار وذلك لأن الكفار على اشكال متعددة فيكون
لكل صنف ما يناسبه من الجزاء فمنهم من يأتي أعص ومنهم من يأتي أصم
ومنهم من يأتي ابكم ومنهم ومنهم الى ما لا يعلمه الا الله عز وجل
وقيد اخبر صلى الله عليه وسلم - عن مشهد اخر من مشاهد الجزاء
وهو حشر من ظلم بأخذ ما ليس له بحق في امتلاك الأرض وان كان ذلك
يساوي قيد شهر منها فانه سيحمله يوم القيامة كما حمل الخال ما غلبه
على عنقه فهذا يحمل ما اخذه ظلما وأنه يجمل له كالطوق في عنقه .
ونظير ذلك في قوله تعالى ((سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة))^(١)
ولا يستبعد انسان برأيه وقوع ذلك فالله تعالى قادر على ذلك قال

النووي انه :

(على تقدير التطويق في عنقه يطوّل الله تعالى عنقه كما جاء

في غليظ جلد الكافر وعظم ضرسه)^(٢)

وقد استدل ابن كثير على معنى التطويق المذكور في الآية وانه

يجمل له كالطوق يوم القيامة بروايات مرفوعة عن ابي هريرة وابن عمر وعبد الله

(١) سورة آل عمران الآية : ١٨ .

(٢) والقول بأنه يطوق سبع ارضين حقيقة هو احد الاقوال التي ذكرت

في معنى التطويق . . انظر شرح النووي لمسلم ج ٤ ص ١٣١ -

وفتح الباري ج ٥ ص ١٠٤ .

• (١) بن مسعود رضى الله عنهم)

والادلة على ذلك كثيرة منها ما جاء عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول (من ظلم من الارض شيئاً طوقه من سبع أرضين) (٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لابي سلمة يا ابا سلمة اجتنب الارض فان النبي - صلى الله عليه وسلم قال من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع ارضين) (٣) .

قال النووي عن معنى هذا التطويق :

(واما التطويق المذكور في الحديث فقالوا يحتمل أن معناه انسه يحمل مثله من سبع ارضين ويكلف اطاقه ذلك ،

(و يحتمل ان يكون يجعل له كالطوق في عنقه كما قال سبحانه و تعالى و تعالى (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) (٤)

وقيل معناه انه يطوق اسم ذلك ويلزمه كغزوم الطوق بمنقه .

قال : (وعلى تقدير التطويق في عنقه يطول الله تعالى عنقه

كما جاء في غلط جلد الكافر و عظم ضرره) (٥) .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٣٣ .

(٢)(٣) البخارى ج ٥ ص ١٠٣ وسلم ج ٤ ص ١٣١ ، ١٣٣ واخرجها احمد واصحاب السنة .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٨٠ .

(٥) شرح النووي لمسلم ج ٤ ص ١٣١ .

ونقل ابن حجر عن الخطابي ان معنى التطويق له وجهان :

احدهما :

ان معناه انه يكلف نقل ما ظلم منها فى القيامة الى المحشر
ويكون كالطوق فى عنقه لا انه طوق حقيقة .

الثانى :

معناه انه يقاب بالخسف السبع ارضين اى فتكون كل ارض . . .
فى تلك الحالة طوقا فى عنقه .

وقال ابن حجر (وقيل معناه كالأول لكن بعد ان ينقل جميعه
يجعل كفه فى عنقه طوقا و يعظم قدر عنقه حتى يسع ذلك كما ورد فى
غظ جلد الكافر ونحو ذلك و يحتمل - وهو الوجه الرابع - ان يكون
المراد بقوله (يطوقه) يكلف ان يجعله له طوقا ولا يستطيع ذلك
فيمذب بذلك .

ويحتمل وهو الوجه الخامس أن يكون التطويق تطويق الاثم والمراد
به ان الظلم المذكور لازم له فى عنقه لزوم الاثم - ومنه قوله تعالى (الزمناء
طائره فى عنقه)

(ويحتمل ان تتنوع هذه الصفات لصاحب هذه الجنابة او تنقسم
اصحاب هذه الجنابة فيعذب بعضهم بهذا وبعضهم بهذا بحسب
قوة المفسدة وضعفها) (١)

وهذه الاقوال كلها لا دليل عليها وانما هي من باب الاستنباط
ولو وقف عند ذكر الحديث مع مراعاة عظم جريمة من اغتصب شـجرا
من الارض وارجاع امر هذه المقوبة وكيفيتها الى الله عز وجل مع اعتقاد
حصول ذلك العقاب لما كان في هذا - فيما اظن - حرج والله اعلم .
وابوسلمة الذي روى عن عائشة هو ابوسلمة بن عبد الرحمن (١) .
وأخبر - صلى الله عليه وسلم - أن من منع الزكاة الواجبة في أمواله
ان الله تعالى يحول ذلك الى صورة شجاع أقرع يأخذ بشدقي صاحبه
ويقول له انا كيتوك انا مالك (٢) .

كما في حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة
شجاعا أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزيمته - يـمـنـى
شدقيه - ثم يقول انا مالك انا كيتوك ثم تلا ((ولا يحسبن الذين
يـخـلـون)) (٣) ، (٤)

وفى تلاوة النبي - صلى الله عليه وسلم - الآية دليل على انها
نزلت في مانعى الزكاة وهو قول اكثر اهل العلم بالتفسير (٥) .

-
- (١) المصدر السابق ص ١٠٥ .
 - (٢) انظر فتح البارى ج ٣ ص ٢٧٠ .
 - (٣) سورة آل عمران الآية : ١٨٠ .
 - (٤) البخارى ج ٣ ص ٢٦٨ .
 - (٥) فتح البارى ج ٣ ص ٢٧١ .

وورد عن ابي هريرة رضى الله عنه فى من لم يؤد زكاة مواشيه
قوله صلى الله عليه وسلم : (تأتى الابل على صاحبها على خير ما كانت
اذا هولم يعط فيها حقها تطوه بأخفافها ، و تأتى الفم على صاحبها
على خير ما كانت اذا لم يعط فيها حقها تطوه بأظلافها و تنطحه
بقرونها قال ومن حقها ان تحلب على الماء) (١) . . الحديث . .

وأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن اشياء اذا
فعلها الانسان ابتغاء ثواب الله تعالى ان الله يجازيه بمثلها فى الآخرة
فى يوم القيامة وقد يحصل ذلك ايضا فى الدنيا وذلك كاخباره - صلى الله
عليه وسلم - عن تفريح الله كربة من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا
وعن ستر الله لمن ستر على مسلم ما يحب ستره .

كما جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال - المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة
اخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من
كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) - وفى هذا
الحديث اضافة على : (الحض على التعاون وحسن التعاشر والالفة)
(ان المجازاة تقع من جنس الطاعات) (٣) وغير ذلك .

(١) على مجتمع الناس على الماء والحديث أخرجه البخارى ج ٣ ص ٢٦٩ .

(٢) البخارى ج ٥ ص ٩٧ .

(٣) نفس المرجع السابق .

وعن ابن هزيمة رضى الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال

(١) لا يستر الله على عبد فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة) .

وفى رواية عنه :

(لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة) (٢) .

وفى رواية عنه لابن ماجه (من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا

والاخيرة) (٣) .

ومعلوم ان الستر المندوب اليه فى هذه الاحاديث يراد به

(الستر على ذوى السهيات ونههم من ليس هو معروفا بالأذى

والفساد) (٤) وهذا لا يشمل المجاهرين والاشرار ومن كان عدم

الستر عليه لمصلحة دينية او دنيوية .

وورد فى المتحابين فى الدنيا لأجل الله تعالى وحده فيما يرويه

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه (ان الله يقول يوم القيامة ايمن

المتحابون بجلالى اليوم اظلمهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى) (٥) .

ومعنى هذا الحديث فيما يذكر القاضى ان (ظاهره انه

فى ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وانفاس الخلق قال وهذا قول

الاكثرين) (٦) .

(١) ، (٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ٤٥٠ .

(٣) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٥٠ .

(٤) شرح النووى لمسلم ج ٥ ص ٤٤٢ .

(٥) صحيح مسلم ج ٥ ص ٤٣٠ .

(٦) المصدر السابق ص ٤٣١ .

وهذا الجزاء لتشريفهم وتكريمهم فانهم كما اجتمعوا تحت ظلال
محبة الله تعالى في الدنيا و الفات بينهم المحبة في الله جمعهم الله
والف بينهم تحت ظله .

واخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم ان الجزاء قد يتضا عفا
بسبب جهل الشخصى وعلمه فان الذى يعمل المعاصى وهو جاهل
بها اخف جرما ممن يعملها وهو عالم بالتحذير منها فاذا كان
الشخصى مثلا قبل ان يسلم مصرا على بعض الذنوب والتى في اولها
الشرك بالله تعالى .

ثم هداه الله الى الاسلام بتوبته عن جميع ما سلف منه ثم نكص
على عقبه ورجع الى تلك الذنوب التى سلفت منه وأعظمها الشرك فلا شك
أنه حينئذ يكون اكثر جرما منه عن ما مضى فيتضاعف عليه الجزاء
ومصداق هذا ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال
رجل يا رسول الله أنوء اخذ بما علمنا في الجاهلية ؟ قال من أحسن
في الاسلام لم يؤء اخذ بما عمل في الجاهلية ؟ ومن أساء في الاسلام
أخذ بالأول والاخر (١)

وهذا على القول بأن هذا الشخص اسلم ظاهرا وباطنا وذ هسب
بعضهم الى ان معنى الحديث وارد على من اسلم نفاقا وعلى كسل

(١) البخارى ج ١٢ ص ٢٦٥ ومسلم ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

من القولين فان الصافق بحكم اسلامه في الظاهر قد عرف كثيرا من شرائع الاسلام ثم اصير على كفره بالله فيجازى بكلتا السيئتين .

والرياء وهو احقر الاخلاق و ارنلها ان كم من عمل لو خلق عنه لكان صاحبه من الفائزين ولكنه صار بسببه هباء منثورا مهما عمل من اسباب الخير كقراءة القرآن .

والقتل في سبيل الله والتصدق فهذه اعمال عظيمة يستحق صاحبها الثواب العظيم وهي من احب الامور الى الله ولكن اذا دخلها الرياء انقلب جزاؤها الى ضدها وصار من يتصف بها من ابغض الخلق الى الله ولهذا فانه يعجل حسابهم كما ينقله الصحابي الجليل ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد اتفق ان شفيا الاصبحي (دخل المدينة فاذا هو برجس قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا فقالوا ابو هريرة فدنوت منه حتى قصدت بين يديه وهو يحدث الناس ، فلما سكت و خلا قلت له انشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقلته و علمته .

فقال ابو هريرة افعل ، لأحدثك حديثا حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم - عقلته و علمته ، ثم نشخ ابو هريرة نشفة ، فمكث قليلا ثم افاق ، فقال لاحدثك حديثا حدثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم في هذا البيتما معه احد غيرى وغيره ، ثم نشخ ابو هريرة

(١) نشخ : اى شهق حتى كاد يفسق عليه و يحصل ذلك للانسان

اذا اشتد اسغه على فائت - سنن الترمذى ج ٤ ص ٥٩١ .

نشفة اخرى ثم افاق ومسح وجهه فقال : افعل لاحدثك هديثا
حدثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم وانا معه في هذا البيت
ما سمعنا احد غيري وغيره ثم نشغ ابو هريرة نشفة شديدة ثم مال
خارا على وجهه فاسندته على طويل ثم افاق فقال : حدثني رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة ينزل
الى العباد ليقيض بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به رجل جمع
القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله
للقاريء : الم اعلمك ما انزلت على رسولي ؟ قال بلى يا رب قال فماذا
عملت فيما علمت قال كنت اقوم به انا الليل وانا النهار فيقول الله له
كذبت و تقول له الملائكة كذبت و يقول الله بل اردت ان يقال ان فلانا
قاريء فقد قيل ذاك و يوتى بصاحب المال فيقول الله له الم
اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فماذا
عملت فيما اتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت
و تقول له الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان جواد
فقد قيل ذاك و يوتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له فبماذا
قتلت ؟ فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله
له كذبت و تقول له الملائكة كذبت ويقول الله : بل اردت ان يقال
فلان جريء فقد قيل ذاك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ركبتى فقال يا ابا هريرة آلاء الثلاثة اول خلق الله تسعير
بهم النار يوم القيامة وقال الوليد ابو عثمان : فاخبرني عقبه بن مسلم

ان شغيا هو الذي دخل على معاوية فاخبره بهذا قال ابو عثمان
وحدثني العلاء بن اخي حكيم انه كان سيقا لمعاوية فدخـل
عليه رجل فاخبره بهذا عن ابي هريرة فقال معاوية قد فعل بهـو^١لاء
هذا فكيف بمن بقى من الناس ، ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى
ظننا انه هالك ، وقتلنا قد جاءنا هذا الرجل بشر ثم افاق معاوية ومسح
عن وجهه وقال : صدق الله ورسوله (من كان يريد العيادة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين
ليس لهم في الاخرة الا النار وهبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعملون) (١) ، (٢) .

وأخيرا فان اللعن والسباب وهو من المادات القبيحة المرذولة
لدى كل عاقل يفقد بسببه الشخص في يوم القيامة صفة هي من احسن
الصفات واعظمها الا وهي صفة الشفاعة والشهادة فلا يكون شفيعا
ولا شهيدا و اى خسارة كبيرة لحققت^{اعظم} من هذه والسبب في ذلك هـوا
x
استهانته باللعن للناس واكثاره منه حتى صدقت عليه صيغة المبالغة لعان .
وان ا كان للعن هو طلب عدم مغفرة الله للعبد الطعون والدعاء عليه
بالطرد والا بعماد عن رحمة الله فان اللعان يكون قد أسقط
قبول شفاعته لأنه يطلب من الله بلعنه الناس اعماد هم عن رحمة الله فكان
جزاؤه ان يحرم من شفاعته فيها والشهادة لهم ومصدان هذا ما روتـه

(١) سورة هود اية (١٥-١٦) .

(٢) أخرجه الترمذى ج ٤ ص ٥٩٣ وقال عن الحديث انه حسن غريب .

ام الدرداء قالت سمعت (ابا الدرداء) يقول قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعا ولا شهداء يوم القيامة (١) .

وبما تقدم نكتفي و خلاصة ذلك أن الله سبحانه و تعالى يجمع الجزاء معجلا من جنس العمل حتى تكون اشارة عليه و تشهيرا بذنبه امام جميع من في الموقف ، وقد تقدم في اول مبحث الحشر - ذكر بعض الصفات التي تتعلق بمجىء الخلق الى الموقف .

* * *

(١) أخرجه مسلم ج ٥ ص ٤٥٦ .

(الفصل الثالث عشر)

رحمة الله بعباده في الحساب

لقد وصف الله نفسه بأنه رؤوف رحيم في اكثر من اية في كتابه الكريم
واخير رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن رحمة الله ولطفه بعباده فـ
اكثروا من حديث وان اذا كانت الرحمة صفة مدح وكمال - يحب كل شخص
ان يتصف بها ويحب نسبتها اليه ويكره نسبة ضدها اليه وينفر عنها
فكيف بالخالق الذي خلق الخلق وخلق الرحمة ذاتها ^{فيهم} واتصف
من كل صفة بكمالها واعلاها .

وقد وصف نفسه عز وجل بالرحمة الواسعة .

وسنتبين سعة رحمته تعالى في يوم القيامة في عرضنا الاتي للدلالة

من كتاب الله وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

* * *

١ - الأدلة من القرآن الكريم

اما الايات التي ثبتت رحمة الله تعالى بمباداه فهي كثيرة جدا ففى القرآن الكريم يصف الله سبحانه وتعالى نفسه فيها بأنه الغفور الرحيم الرؤوف الرحيم الرحمن الرحيم ، العزيز الرحيم ، التواب الرحيم ، ارحم الراحمين ~~الى غير هذه الايات~~ ولكرتها فى هذا الباب وظهورها فاننسا نحيل الى كتب المعاجم لألفاظ القرآن الكريم فى مادة (رحم) .

فسيجد القارىء ايات كثيرة فى بيان ذلك كلها تبشر المسبب بأن رهم ارحم الراحمين وانه خير الفافرين وما الى ذلك من أوصاف رحمة لتطمئن قلوبهم الى رحمة بهم فلا يقنطوا لأن الانسان اذا علم ان هناك من يرحمه كان الى المودة والاقبال أقرب منه الى الغفور والابعد واذا علم ان هناك من ينصفه ويشبهه كان العمل ^{الى} اقرب منه الى السترك ويكفى ان نشير الى ان اول كلمة فى القرآن هى بسم الله الرحمن الرحيم وان اول سورة الفاتحة الحمد لله رب العالمين الرحيم الرحيم (١)

ويكفى ان الله تعالى يقول (ورحمتى وسعت كل شىء) (٢) .

(١) سورة الفاتحة آية : ٣ / ٢ .

(٢) سورة الاعراف آية : ١٥٦ .

وقوله تعالى : ((قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا

من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا (١) .

(٢) ((وقل رب اغفر وارهم وانت خير الراحمين)) .

(٣) ((انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين)) .

(٤) ((ربنا آتنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين)) .

* * *

(١) سورة الزمر : اية ٥٣ .

(٢) سورة المؤمنون : ١١٨ .

(٣) سورة الاعراف : ١٥٥ .

(٤) سورة المؤمنون : ٢٠٩ .

ب : الأدلة من السنة

و ما جاء في السنة النبوية من وصف الله تعالى بالرحمة عموماً

وفي الحساب في يوم القيامة خصوصاً ما نورد بعضه فيما يأتي :-

فما يدل على ان الله تعالى رحيم وانه كتب على نفسه وأن رحمته
(الرحمة)

سبقت غضبه ورأفته اكثر من نعمته ما اخرج الشيخان وغيرهما

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم

يقول : ((ان الله كتب كتاباً قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي

فهو مكتوب عنده فوق العرش) (١) .

وفي بعض الروايات (تغلب غضبي) فهذه بشارة عظيمة للخلق

فإذا كانت رحمته تعالى تغلب غضبه فانه لا يهلك على الله بمسئد

ذلك الا هالك .

واخبر صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها

وهي مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة وادخر عنده تسعة وتسعين رحمة

كما في حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله خلق الرحمة يوم خلقها

مائة رحمة فاصك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة

واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يبأس من الجنة

(١) اخرجه البخاري ج ١٣ ص ٥٢٢ ، ٣٨٤ ، ٤٠٤ ، ٤٤٠ .

- وخرجه مسلم ج ٥ ص ٥٩٥ وابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٥ واحمد

ج ٢ ص ٢٤٢ .

ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يؤمن من النار (١) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فيها يتماطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها واخر الله تسما وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة (١) .

وعنه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وانزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه (٢) .

(قال ابن ابي جمره يحتفل ان يكون سبحانه وتعالى لما من على خلقه بالرحمة جعلها في مائة وعاء فأهبط منها واحدا للارض) .

وقال المهلب الرحمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التبعات بينهم قال ويجوز ان يستعمل الله تلك الرحمة فيهم فيرحمهم بها سوى رحمته التي وسعت كل شيء وهو التي من صفة ذاته ولم يزل موصوف بها فهي التي يرحمهم بها زائدا على الرحمة التي خلقها لهم قال ويجوز ان تكون الرحمة التي اسكها عند نفسه هي التي عند ملائكته المستغفرين لمن في الارض ، لأن استغفارهم لهم دال على ان في نفوسهم الرحمة لأهل الارض ،

(١) البخاري ج ١١ ص ٣٠١ .

(٢) مسلم ج ٥ ص ٥٩٦ .

و يشكل على كلام المهلب أنه ليس في شيء من طرق الحديث ان السبي
عند الله رحمة واحدة بل اتفقت جميع الطرق على ان عنده تسمية
و تسمين رحمة (١) .

وعن سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين
السماء والارض فجعل منها في الارض رحمة فيها تعطف الوالدة على
ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة اكملها
بهذه الرحمة (٢) .

وعن عمر بن الخطاب انه قال قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
سبي فاذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقى اذا وجدت صبيا
في السبي فأخذته فألصقته ببطنها وارضته فقال لنا النبي صلى الله
عليه وسلم اترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قلنا لا وهي تقدر
على أن لا تطرحه فقال لله ارحم بعباده من هذه بولدها .
(٣)

قال النووي رحمه الله في بيان احاديث ^{معنى} تلك الرحمة التسمية
والتسمين المدخرة ليوم القيامة قال :

(هذه الاحاديث من احاديث الرجاء و البشارة للمسلمين ، قال
العلماء : لانه اذا حصل للانسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية
على الاكدار بالاسلام والقران والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما انعم

(١) انظر فتح الباري ج ١ ص ٤٣٢ .

(٢) مسلم ج ٥ ص ٥٩٧ وابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٥ .

(٣) البخاري ج ١٠ ص ٤٢٦ وصلم ج ٥ ص ٥٩٧ .

الله تعالى به ، فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار
الجزاء (١) .

وكلمة تسقى جاءت في رواية البخاري .

وفي رواية تسمى .

وفي رواية مسلم تبتفى أي تطلب .

والظاهر أنه لا تعارض بين رواية تسمى وتبتفى فهي قد جاءت

تسمى وتبتفى طلب ولدها ولكن القاض عياض قال إن رواية تبتفى

وهم من الرواة والصواب ما في رواية البخاري تسمى .

وقد تعقبه النووي وقال (كلاهما صواب لا وهم فيه فهي ساعية

وطالبة مبتغية لا بنها) (٢) .

وأما رواية تسقى فقد حذف بعدها كلام يبينه رواية الاسماعيليين

وفيها (إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فارضته فوجدت صبيا

فأخذته فألزمته بطنها) .

قال ابن حجر (وعرف من سياقه أنها كانت فقدت صبيا وتضررت

باجتماع اللبن في ثديها فكانت إذا وجدت صبيا ارضعته ليخف عنها

فلما وجدت صبيا بعينه أخذته فالتزمت) (٣)

(١) انظر شرح النووي لمسلم ج ٥ ص ٥٩٧ .

(٢) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٢٠ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٤٣١ .

اما قوله في الحديث لله ارحم بعباده (فالمراد بالصباح هنا اهل
التقوى لا الكفار كما قال تعالى : (ورحمتى وسعت كل شيء فساكتبها
للذين يتقون)

وان كانت رحمة الله (عامة من جهة الصلاحية ، وخاصة بمن كتبت
له) كما قاله الشيخ ابو محمد بن ابي جمرة قال أيضا (ويحتمل ان يكون
المراد ان رحمة الله لا يشبهها شيء لمن سبق له منها نصيب من اى
المصاب كان حتى الحيوانات) قال (وفيه اشارة الى انه ينبغى
للمرء ان يجعل تعلقه في جميع اموره بالله وعبده وان كل من فرض ان فيه
رحمة ما حتى يقصد لاجلها فالله سبحانه وتعالى ارحم منه فليقصد
الماقد لحاجته من هو اشد له رحمة) (١)

وعن حذيفة عن النبي - صلى الله عليه وسلم قال : (كان رجلا
من كان قبلكم يسسى الظن بعمله فقال لأهله ان اتاقت فخذوني فذوروني
في البحر في يوم صائف ففعلوا به فجمعه الله ثم قال : ما حملك على
السذى صدمت ؟ قال ما حملني عليه الا مخافتك ففقره) (٢)

وفي رواية ابي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم ذكر رجلا فيمن كان سلف - او قبلكم - اتاه الله مالا وولدا يعنى
اعطاه قال فلما حضر قال لبنيه اى ابكت لكم قالوا خير اب قال فأنه
لم يبتثر عند الله خيرا وان يقدم على الله يمد به فانظروا فان است فأهرقوني

(١) انظر المصدر السابق ص ٤٣١ .

(٢) صحيح البخارى ج ١١ ص ٣١٤ .

(٣) فسرهما قتاده لم يدهر .

حتى اذا صرت فحما فاسحقونيني اوقال فاسهكوني ثم اذا كان ريح عاصف فان روني فيها فاخذ مواثيقهم على ذلك وروي ففعلوا فقال الله كن فاذا رجل قائم قال اي عدي ما حطك طلي ما فعلت قال مخافتك او فرق منك فما تلافاه ان رحمه الله (١) .

ولمسلم عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله اذا مات فحرقوه ثم ان روا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبني عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما امرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وامر البحر فجمع ما فيه ثم قال فعلت هذا قال : من خشيتك يا رب وانت اعظم فغفر الله له (٢) .

وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه أرحم الراحمين كما في حديث ابي سمييد الخدري وهو حديث طويل وفيه ان الله تعالى يقول : (شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين) (٣) الحديث وفي المسألة الاتية بين اخر من يدخل الجنة وبين ارحم الراحمين نرى كيف ان الله تعالى يتدرج بعبده ليظمه فيها عنده من ثواب ورحمة الى ان يدخله الجنة فقد جاء :

(عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر

(١) صحيح البخارى ج ١١ ص ٣١٢ .

- واخرجه مسلم ج ٥ ص ٦٠١ واخرجه احمد في المسند ج ٣ ص ٧٨ .

(٢) مسلم ج ٥ ص ٥٩٨ .

(٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ٤٤٠ واخرجه احمد في المسند .

من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفمه النار مرة
فاذا ما جاوزها التفت اليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد اعطا نسي
الله شيئا .. ما اعطاه احدا من الاولين والاخرين فترفع له شجرة فيقول
اي رب ادنني من هذه الشجرة فلا ستظل بظلها واشرب من مائها
فيقول الله عز وجل يا ابن ادم لعلي ان اعطيتكها سألتني غيرها فيقول
لا يارب ويماهده الا يسأله غيرها وره يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه
فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي احسن
من الأولى فيقول اي رب ادنني من هذه لا اشرب من مائها واستظل
بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني الا تسألني غيرها
فيقول لعلي ان ادنيتك منها تسألني غيرها فيما هذه الا يسأله غيرها
وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها
ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي احسن من
الأوليين فيقول اي رب ادنني من هذه لا ستظل بظلها واشرب من مائها
لا اسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني الا تسألني غيرها قال بلى
يا رب هذه لا اسألك غيرها وره يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها فيدنيه
منها فاذا أدناه منها فيسمع اصوات اهل الجنة فيقول اي رب ادخلنيها
فيقول يا ابن آدم ما يصريني (١) منك ايرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها
معها قال يا رب اقتصهزى منى وانيت رب العالمين فضحك ابن مسعود
فقال الا تسألوني مم اضحك فقالوا مم تضحك قال هكذا ضحك رسول الله

(١) صرى له عدة معان انسبها هنا ان تفسر بمعنى منح اي ما يمنعي منك

لوشئت لعاقبتك ويجوز ان تكون بمعنى يكفني منك اي ما يكفك ==

- صلى الله عليه وسلم فقالوا مم تضح يا رسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال استهزى منى وانت رب العالمين فيقول انى لا استهزى منك ولكنى على ما اشاء قادر (١) .

وقد روى هذا الحديث ايضا ابو سعيد الخدرى وزاد فى روايته له ما يدل على كرم الله ورحمته وذلك بتذكير الله لهذا العبد ما يرغب فيه من الامانى التى يتناها ثم مضاعفة الله تلك الامانى فقال أبو سعيد فى رواية له :

(ويذكره الله سل كذا او كذا فاذا انقطعت به الامانى قال هولاك وعشرة امثاله) (٢) .

ومن مظاهر رحمة الله كذلك ما تقدم ذكره فى فصل (تقرير الله لعباده فى الحساب من حديث ابن عمر فى النجوى وهو مخبرج فى الصحيحين) (٣) .

وكذا حديث ابى ذر رضى الله عنه المذكور فى الموضوع المشار اليه (٤) . وعن ابى امامه قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول انى لأعلم آخر رجل من امتى يجوز الصراط يتلوى على الصراط كالغلام حين يضربه ابوه تزل يده مرة فتصيبها النار فتزل رجلاه فتصيبها النار

== عما تطلبه منى (الاتحافات) ص ٧٢ .

(١) اخرجه مسلم ج ٥ ص ٤٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥١ .

(٣) البخارى ج ٥ ص ٩٦ مسلم ج ٥ ص ٦١٣ .

(٤) اخرجه الترمذى ج ٤ ص ٧١٣ وقال حديث حسن صحيح والطبرى

ج ١٩ ص ٤٧ .

قال فتقول له الملائكة رأيت ان بعثك الله من مقامك هذا فمشيت اخبرنا
 بكل عمل عملته قال فيقول اى وعزته ولا اکتکم من علمى شيئا قال فيقولون
 له قم فامش مستويا فيقوم فيمشى حتى يجاوز الصراط فيقولون له اخبرنا
 بأعمالك التى عملت فيقول فى نفسه ان اخبرتهم بما عملت ردتنى الى مكانى
 قال فيقول لا وعزتك ما اذ نبت ذنبا قط قال فيقولون ان لنا عليك بينة
 قال فيلتفت يمينا وشمالا هل يرى من الآدميين ممن كان يشهد فى
 الدنيا فلا يرى احدا فيقول ما اتوا بينتكم فيختم الله على فيه وتنطق
 يداه ورجلاه وفخذه بحمطه فيقول وعزتك لقد عطتها وان عندى للحظائم
 المضمرات (١) قال فيقول الله اذ هب فقد غفرتها لك (٢)

وفى رواية عن ابي هريرة من حديث طويل جاء فيه :

(ثم يفرغ الله من القصاص بين العباد ويبقى رجلا مقبل بوجهه
 على النار وهو اخر اهل النار دخولا الجنة فيقول اى رب اصرف وجهى عن
 النار فانه قد قسبني ريحها واهرقني ذكاهما فيدعو الله ما شاء أن ي
 يدعوه ثم يقول الله تعالى هل عسيبت ان فعلت ذلك بك أن تسأل غيره
 فيقول لا اسألك غيره ويمطى ربه من عهد و موثيق ما شاء الله فيصرف وجهه
 عن النار فاذا اقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول
 اى رب قدمنى الى باب الجنة فيقول الله اليمى قد اعطيت عهدك وموآثيقك

(١) فى المخطوطة المظهرات ونمل الصحيح المضمرات

(٢) تكملة شرح الصدور ص ٣٠ وعزاه الى ابن ابي شيبة .

أن لا تسألني غير الذي أعطيتك وبليك يا ابن آدم ما اغدرك فيقول اي رب
لا اكون اشقى خلقك ثم يدعو الله حتى يقول له فهل عسيت ان اعطيتك
ذلك أن تسألني^{غيره} فيقول لا وعزتك فيمطى ربه ما شاء من ههود ومواثيق
فقدمه الى باب الجنة فاذا اقبل على باب الجنة فرأى زهرتها و ما فيها
من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول اي رب ادخلني
الجنة فيقول الله تعالى اليه قد أعطيت عهدك و مواثيقك أن لا تسألني
غير ما أعطيت لك وبليك يا ابن آدم ما اغدرك فيقول اي رب لا اكون اشقى
خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك و تعالى منه فاذا ضحك
منه قال ادخل الجنة فاذا دخلها قال الله تمن فيسأل ربه و يتمنى حتى
ان الله ليذكره من كذا وكذا حتى اذا انقطعت به الاماني قال الله تعالى
ذلك لك ومثله معه (١)

قال البردبليسي في الجواب عن نقض هذا العهد أيما نه في كل

مرة :

(وليين نقض هذا العهد عهده جهلا منه ولا قلة بمالاة بل على أمنه
ان نقض هذا العهد اولي من الوفاء لأن سوءه ربه اولى من ابرار قسمه
ففي الحديث من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكنف ويأتى الذي
هو خير) (٢)

(١) اخرجه مسلم ج ١ ص ٤٣١ - ٤٣٣ .

(٢) تكملة شرح الصدور ص ٣٤ وعزا هذه الفأدة الى القسطلاني .

ومن هذه النصوص نستفيد معرفة سعة رحمة الله تعالى ولطفه
بعباده في يوم القيامة غير ان المؤمن لا يففل عن الحلم بأنه مع وجود
هذه الرحمة يوجد عقاب شديد ولهذا فان المؤمن دائما بين الخوف
والرجاء يطمع في رحمة الله ومغفرته ويخاف عقابه وقد قرن الله في كتابه
الكريم بين المغفرة والعقاب في آية واحدة فقال تعالى :

(١) ((غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب))

قال الطبري في معنى الآية :

(يقول تعالى ذكره شديد عقابه لمن عاقبه من اهل العصيان ليه
فلا تتكفوا على سعة رحمته ولكن كونوا منه على جذر باجتتاب معاصيه
واداء فرائضه فانه كما أنه لا يؤميس اهل الاجرام والاثام من عفوه
وقبول توبة من تاب منهم من جرمه كذلك لا يؤمضهم من عقابه وانتقامه
منهم بما استحلوا من محارمه وركبوا من معاصيه) (٢) .

* * *

(١) بكلمة شرح الصدور ص ٣٤ وعزا هذه الفائدة الى القسطلاني .

(٢) جامع البيان ج ٢٤ ص ٤١ .

(الفصل الرابع عشر)

المنكرون للحساب والرد عليهم

بعد ما سبق عرضه من الأدلة الواضحة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - على اثبات وقوع الحساب ، فان الظن بكـل من يشهد ان لا اله الا الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يشك في وقوع الحساب فضلا عن انكاره بالكلية ذلك ان معرفة وقوع الحساب من المسائل المملومة من الدين بالضرورة فمن انكر ورد دلالة تلك النصوص المتظافرة على وقوعه فلا شك انه ملحد مكذب بكتاب الله تعالى وبسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم ويهتبر خارجا عن جماعة المسلمين واما يجدر ذكره هنا انه قد نسب الى بعض الفرق من اهل القبلة القول بنفيه .

فالجهلاني يذكر ان الفخاليه من الراضية تنكره وذلك في قوله :

(الا الفخاليه منهم فانها زعمت بأن لا حساب ولا حشر) (١) .

ويذكر البزدوي أن المعتزلة والروافض وعامة المبتدعة تنكر الحساب (٢)

والظاهر ان المعتزلة لا تنكره انكارا تاما واما ينكرون ان تكون صفته

كما هو المادة في المحاسبة في الدنيا فان القاضوعبد الجهار يقول

(واما الحساب فما لا يجوز انكاره) (٣) ولمل من نسب اليهم القول بانكاره

لاحظ ما يذهب اليه المعتزلة من ان الحساب من الله المقصود به خلق

(١) الفضية ج ١ ص ٨٧ .

(٢) اصول الدين ص ١٦١ .

(٣) شرح الاصول الخمسة ص ٧٣٦ .

علم ضروري في نفس الانسان يعرف به مقدار ثوابه وخطابه ولهذا صح
اطلاق وصف سرعة الحساب على الله تعالى وفي هذا يقول القاضي
عبد الجبار (واما الحساب فمما لا يجوز انكاره فقد قال تعالى :

((فاما من اوتى كتابه بيمنه فسوف يحاسب حسابا يسيرا و ينقلب

الى اهله مسرورا)) .

غير ان محاسبة تعالى ايانا لا تجرى على حد ما تجرى المحاسبة
بين الشريكين والمتعاطفين فان ذلك فيما بيننا انما يكون بمقد الاصابع
او ما يجرى مجراه وليس هكذا محاسبة الله تعالى عباده فان ذلك يكون
بخلق العلم الضروري في قلبه انه يستحق من الثواب كذا ومن المقويصة
كذا فيسقط الاقل بالاكثر وعلى هذا صح ذلك بسرعة^(١) .

فهم ينكرون صفة الحساب لا وقوع الحساب بالكلية حسب ما يفهمه

كلام القاضي واما غلاة الرافضة فقد جاءوا في عقائدهم بما لا يدع مجالاً
للشك في كفرهم ، ومن أراد التأكد من ذلك فليرجع الى ما ذكره

عنه ابو الحسن الاشعري رحمه الله في كتابه مقالات الاسلاميين حيث
بين عقائدهم مفصلة واستوفى ذكر فرقهم وآرائهم الضالة وكذلك ما كتبه
عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٢) وكذلك فضاءهم التي ذكرها

البغدادي^(٣) وغير بعيد ان يحصل منهم انكار الحساب .

(١) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .

(٢) انظر كتابه رسالة في الرد على الرافضة تحقيق الدكتور ناصر سعيد
الرشيد .

(٣) كتاب اصول الدين ص ٣٣١ .

وقد ذكر الأشعري أن هؤلاء النيروافض :

((يزعمون أن الأموات يرجعون إلى الدنيا قبل يوم الحساب)

وأن الخلاة منهم :

(ينكرون القيامة والآخرة ويقولون ليس قيامة ولا آخرة وإنما هي

أرواح تتناسخ في الصور : فمن كان محسنا جوزى بأن ينقل روحه إلى

جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم ومن كان سيئا جوزى : بشيء

ينقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم وليس

شيء غير ذلك .

وأن الدنيا لا تزال أبدا هكذا (١)

وفي الذي قد منا من النصوص الكثيرة من كتاب الله تعالى وسنة

نبيه - صلى الله عليه وسلم وأقوال علماء الإسلام واجماعهم على اعتقاد

الحساب ما يفسى عن اعادته هنا .

ولم نجد نصا لهؤلاء الذين أنكروا الحساب إلا من النقل ولا استندوا

إلى عقل .

فلا ينبغي أن يلتفت إلى انكارهم المظلم مع إشراف الحق وضياؤه .

* * *

(الفصل الخامس عشر)

دور العمل في دخول الجنة

وانا كما قد قد منا أن الله تعالى يحاسب عباده بأعمالهم فمن فاز بالمعمل الصالح دخل الجنة ومن أفلس منه دخل النار فان ما تجد الاشارة اليه ان نتيجة العمل مهما كانت طيبة فانها لا تدخل صاحبها الجنة الا بشئ زائد عن العمل وهو وجود فضل الله ورحمته وقد وقع في هذه المسألة خلاف ونزاع بين اهل الحق .

وغيرهم من اهل البدع ويتمثل ذلك، الخلاف فيما يلي :

اهل القول الحق :

يقولون العمل وحده لا يدخل صاحبه الجنة على خلاف فيما بينهم هول معنى ذلك والقدرية تقول دخول الجنة بالعمل وحده وهو مقابل ذلك وعوضه .

كتقابل الاعراض والجبرية انكروا ان تكون الاعمال سببا في دخول

الجنة فالقدرية والجبرية على طرفي نقيض في هذا وقد تمسك

كل منهم ببعض النصوص التي ^{تدل} بظاهرها على مدعى كل فريق .

ونعرض فيما يلي ادلة مذاهب كل طائفة .

فمن الأدلة لأهل القول الاول وهو أن العمل وحده لا يدخل صاحبه

الجنة ما جاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال - قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لن ينجى احدا منكم عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال

ولا انا الا ان يتخذني الله برهة سدوا وقاربوا واعدوا ورو

شيء من الدلجة والقصد القصد تبلنوا (١) .

وعن عائشة ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : سيدوا
وقاربوا واعملوا ان لن يدخل احدكم عمله الجنة وان احب الاعمال
ادومها الى اللهوان قل (٢) .

وعن عائشة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال سيدوا وقاربوا
وابشروا فانه لا يدخل احدا الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله ؟
قال ولا انا الا ان يتخذني الله بخصفرة ورحمة (٣) .

وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يقول : لا يدخل احدكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا انا الا برحمة
من الله (٤) .

فهذه الاحاديث تدل على ان العمل لا يكون وحده لدخول
الجنة بل الدخول فيها يكون برحمة الله تعالى وفضله مع مراعاة جانب
العمل .

٢- واما ادلة الفريق الثانى وهم القدرية الذين ذهبوا الى ان دخول
الجنة انما هو بالعمل فهو ما افادته ظواهر بعض الايات القرانية الاتية :
قال تعالى :

((ان الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا

(١) ، (٢) ، (٣)

صحيح البخارى ج ١١ ص ٢٩٤ وسلم ج ٥ ص ٦٨١ - ٦٨٤ .

(٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ٦٨٣ .

• (١) الجنسة بما كنتم تعملون ((

وقال تعالى :

*) ((ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة

الا تخافوا ولا تحزنوا و ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون (((٢) •

قال تعالى :

((قال تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء ا بما كانوا يعملون (((٣)

• ((آلك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون (((٤)

((وتلك الجنة الي اورثتموها بما كنتم تعملون (((٥)

وهي آيات كثيرة نكتفي بما تقدم ذكره (٦)

واما ادلة الفريق الثالث وهم الجبرية فقد استندوا الي ما قد مضى

من الاحاديث التي تدل على عدم دخول الجنة بالعمل وانما هو برحمة

الله حيث الفوا تأثير العمل في دخول الجنة •

(١) سورة النحل الآية : ٣٢ •

(٢) سورة فصلت الآية : ٣٠ •

(٣) سورة السجدة آية : ق ١٧ •

(٤) سورة الاحقاف آية : ١٤

(٥) سورة الزخرف آية : ٧٢

(٦) انظر شرح النووي لمسلم ج ٥ ص ٦٨٣ •

- وانظر مفتاح السعادة ص ٩٢ •
دار

والواقع ان ما ذهب اليه القدرية والجبرية غير صحيح ذلك أن تلك النصوص اذا اخذناها على مأخذ الجبرية والقدرية فانها تكون متعارضة في الظاهر فيجب حينئذ التوفيق بينها وبين ما دلت عليه وهي نصوص ثابتة كلها و يمتنع ان يحصل فيها تعارض حق يقو .

وقبل ذكر الجمع ينبغي التنبيه الى امر هام في هذا الموقف .

وهو أن الكون وما فيه ملك لله تعالى ، يفعل فيه ما يشاء

قال تعالى :

(١) ((لا يسأل عما يفعل وهم يسألون))

فلوعذب اهل الطاعة و انعم على اهل المعصية لكان ذلك عدل منه

تعالى ولكنه اخبر عز وجل انه لا يفعل ذلك ، سهل اخبر انه يشيـب

اهل طاعته بالجنة واهل عصيانه بالنار تفضلا وعدلا منه ، كما يجب

اعتقاد ان الله تعالى لا يجب عليه شيء ~~بل هو الذي يوجب على عباده~~

ما يشاء ويشيـبهم او يعاقبهم عليه ، كما انه من القول على الله بفسير

بمقله

علم ان يثبت الشخص ثوابا او عقابا دون دليل صحيح .

قال قتاده في تفسير الآية معناها :

(٢) (لا يسأل عما يفعل بعباده وهم يسألون عن أعمالهم)

وقال ابن جرير (لا الخالق عن قضاة في خلقه وهو يسأل

(١) سورة الانبياء آية : ٢٣ .

(٢) انظر جامع البيان ج ١٧ ص ٢٤ .

انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٧

(١) الخلق عن عطيم)

وقال الضحاك (لا يسأل الخالق عما يقضى في خلقه والخلق مسؤلون

عن أعمالهم) (٢) .

اما الاجابة عن الجمع بين الآيات التي تدل على ان دخول الجنة يكون بالعمل وبين الاحاديث السابقة التي تدل على ان دخول الجنة يكون برحمة الله فقد جمع العلماء بين تلك النصوص من عدة أوجه .

الأول : قاله النووي وحاصله

انه لا يستحق احد ان يدخل الجنة بعمله و ماورد من الايات خلاف هذا فان معناه ان العمل يكون سببا في دخول الجنة . . وذلك من رحمة الله تعالى .

وما جاء من الاحاديث في نفى دخول الجنة بالعمل فمعناه ان العمل بمجردة لا يكون كافيا لدخولها بل لابد من وجود الرحمة مع العمل ثم ان العمل نفسه هو من رحمة الله ايضا ان لو شاء الله لمنعه سبب حصول العمل الصالح المقتضى لدخول الجنة .

ونص كلام النووي رحمة الله هو قوله

(وفي ظاهره هذه الاحاديث دلالة لأهل الحق انه لا يستحق احد

الثواب والجنة بطاعته و اما قوله تعالى :

((ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)) (وتلك الجنة التي اورثتموها

بما كنتم تعملون) ونحوهما من الايات الدالة على أن الاعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الاحاديث بل معنى الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاق فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الاحاديث ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة (١)

وقال ابن القيم رحمه الله في الجمع بين تلك النصوص ورد زعم القدرية والجبرية قال :

(الاعمال اسباب لا أعواز واثمان والذات نفاة النبي - صلى الله عليه وسلم في الدخول بالعمل هو نفى استحقاق العوض ببذل عوضه ، فالمثبت باء السببية ، والمنفى باء المعاوضة والمقابلة وهذا فصل الخطاب في هذه المسألة) ،

قال : (والقدرية والجبرية تنفي باء السببية جملة وتكرر أن تكون الأعمال سببا في النجاة ودخول الجنة وتلك النصوص واضافها تبطل قولهم ، والقدرية النفاة تثبت باء المعاوضة والمقابلة وتزعم ان الجنة عوض الاعمال وانها ثمن لها وان دخولها انما هو بمحض الاعمال والنصوص النافية لذلك تبطل قولهم والمقل والفطر تبطل قول الطائفتين ، ولا يصح في النصوص والعقول الا ما ذكرناه من التفصيل وبه يتبين أن الحق مع الوسط بين الفرق في جميع المسائل) الى أن يقول :-

فأصاب الجبرية في نفي المعاوضة وأخطئوا في نفي السببية وأصاب
القدرية في اثبات السببية وأخطئوا في اثبات المعاوضة فإذا ضمنت
أحد نفي الجبرية إلى أحد اثباتي القدرية ونفيت باطلهما كنت أسعد
بالحق منهما (١) .

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن الباء المقتضية للدخول
غير الباء الماضية فالأولى السببية الدالة على أن الأعمال سبب الدخول
المقتضية له كإقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها والثانية بالمعاوضة نحو
اشتريت منه بكذا فأخبر أن دخول الجنة ليس في نقابة عمل أحد
وإنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة لأن العمل بمجرده ولو تهاهى
لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا أن يكون عوضا لها لأن الله
على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله بل جميع العمائل
لا يوازي نعمة واحدة فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها وهو لم يوفها
حق شكرها فلو عذبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم وإذا رحمه
في هذه الحالة كانت رحمته خيرا من عمله كما في حديث ابن كعب
الذي أخرجه أبو داود وابن ماجه في ذكر القدر ففيه (لو ان الله
عذب اهل سماواته واراضه لعذب بهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم
كانت رحمته خيرا لهم) (٢) قال وهذا فصل الخطاب مع الجبرية
الذين أنكروا ان تكون الاعمال سببا في دخول الجنة من كل وجه ، والقدرية

(١) مفتاح دار السعادة ص ٩٢ .

(٢) أبو داود ج ٢ ص ٥٢٧ (سنن ابن ماجه ج ١ ص ٣٠ .

الذين زعموا ان الجنة عوض الحنل وانها ثمنه وان دخولها بمحض الاعمال
والحديث يبطل دعوى الطائفتين (١) ،

وقد نقل الحافظ ابن حجر عدة اقوال في الجمع بين تلك النصوص
ومنها القول بأن الآية واردة على معنى اقتسام المنازل في الجنة
وذلك يكون بالصل والحديث وارد على مجرد دخول الجنة والخلود
فيها وذلك يكون برحمة الله تعالى وهذا الجمع هو للعلامة ابن بطال
رحمه الله فيما يذكره عنه ابن حجر بقوله :

(قال ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى (وتلقد
الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون)) ما محصله ان تحمل الآية على ان
الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال فان درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت
الاعمال وان يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ثم اورد على هذا
الجواب قوله تعالى ((سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون))
فصرح بأن دخول الجنة ايضا بالاعمال واجاب بأنه لفظ مجمل
بينه الحديث والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون وليس
المراد بذلك اصل الدخول ثم قال ويجوز ان يكون الحديث مفسرا للاية
والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم لأن اقتسام
منازل الجنة برحمته وكذا اصل دخول الجنة هو برحمته حيث الهم العالمين
ما نالوا به ذلك ولا يخلوشى من مجازاته لعباده من رحمته وفضله وقد

(١) انظر مفتاح دار السعادة ص ١٠٨ - ١١٠ .

تفضل عليهم ابتداءً بايجادهم ثم يرزقهم ثم بتعليمهم) .

ثم تابع ابن حجر النقل عن العلماء فن اوجه الجمع بين تلك النصوص

فذكر عن القاضي عياض انه جمع بينها بنحو ما جمع به ابن بطال وزاد فذكر

ان تلك النصوص تعود الى العمل والعمل من توفيق الله ورحمته فصح أنه

دخل الجنة برحمة الله وبالعمل الذي وفقه الله اليه وهذا ما ذكره بقوله .

٢- (وقال عياض طريق الجمع ان الحديث فسر ما اجمل في الآية فذكر

نحو من كلام ابن بطال الاخير وان من رحمة الله توفيقه للعمل وهذا يتسه

للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله وانما هو بفضل الله وبرحمته)

ثم نقل عن ابن الجوزي اربعة اوجه في الجمع :

الأول منها : هو ما افاده القاضي عياض والثالث هو ما افاده ابن بطال

وزاد فذكر ان من اوجه الجمع ان عمل العبد مهما بلغ فانه مستحق لله

استحقاق عمل العبد لسيدته وما اعطاه بعد ذلك فانه يمد تفضلاً

منه لا استحقاقاً من العبد) ثم ذكر كذلك ان من اوجه الجمع ان يقال

ان اعمال العباد كانت في زمن يسير وخلودهم في الجنة لا الى نهاية

ومعلوم ان هذا الفارق الكبير انما هو بفضل الله ورحمته ونهى ما ذكره

ابن حجر عنه هو قوله .

٣- وقال ابن الجوزي يتحصل عن ذلك اربعة اوجه :-

الأول : ان التوفيق للعمل من رحمة الله ولولا رحمة الله السابقة ما حصل

الايان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة .

الثانى : ان منافع العبد لسيدته فعمله مستحق لمولاه فمهما انعم عليه من الجزاء - فهو من فضله .

الثالث بچاء فى بعض الأحاديث ان نفس دخول الجنة برحمة الله واقتران الدرجات بالاعمال .

الرابع : ان اعمال الطاعات كانت فى زمن يسير والثواب لا ينفد فالانعام الذى لا ينفد فى جزاء ما ينفد بالفضل لا بمقابلة الأعمال .

وقال الكرمانى :

(الباء فى قوله :)) بما كنتم تعملون ليست للسببية بل للالصاق او المصاحبة اى اورثتموها ملابسة او مصاحبة او للمقابلة نحو أعطيت الشاة بالدرهم) قال : (وبهذا الاخير جزم الشيخ جمال الدين بن هشام فى المصنفى فسبق اليه فقال ترد الباء للمقابلة وهى الداخلة على الاعراض كاشتريته بالف ومنه (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) لأن المعطى بمعوض قد يعطى مجانا بخلاف المسبب فلا يوجد بدون السبب - قال وعلى ذلك ينتفى التعارض بين الآية والحديث وقول الكرمانى هذا مسبوق بما قرره ابن القيم قبله .

وقال ابن حجر عن جمعه هو :

(ويظهر لى فى الجمع بين الآية والحديث جواب اخر وهو ان يحصل الحديث على ان العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولا وان كان كذلك فأمر القبول الى الله تعالى وانما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه وعلى هذا فمعنى قوله :

((ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)) اي تعطونه من العمل المقبول
ولا يضرب بعد هذا ان تكون الباء للمصاحبة أو للالصاق او القابلية
ولا يلزم من ذلك ان تكون سببية .
والخلاصة : ان تلك الاقوال التي قيلت في أوجه الجمع بين الايات
والاحاديث تجتمع في امر واحد وهو القول بأن العمل وحده لا يكفي دخول
الجنة وأن من الفناء كالجبرية فانه على خطأ و نأخذ من لفظ الحديث
الشريف عبرة وهو :

(اذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يدخل الجنة بعطسه
بالجنة
وهو مقطوع له فكيف بخيره ممن هو الى التقصير اقرب ولهذا فان السائل
حينما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول - (لن يدخل احدكم
عمله الجنة) استعظم هذا فقال ولا أنت فقال ولا انا الا ان يتفهم نسي
الله برحمته) فاتكالم الانسان بعد ذلك على عمله وحده هو غرور
منه والاتكال على الرحمة وحدها تقصير منه .

ولهذا فانه ورد عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه :

(يبعث تعالى يوم القيامة عبدا لا ذنب له فيقول اي الامريسي
عندك
احب اليك أن أجزيك بعملك ام بنعمتي) قال يا رب انت تعلم انسى
لم اعصك قال خذوا عبادى بنعمة من نعمى فما تبقى له حسنة الا استفرغتها
تلك النعمة فيقول رب بنعمتك ورحمتك فيقول بنعمتى ورحمتى ويوتسى
بعبيد محسن فى نفسه لا يرى له سيئة فيقال له كت توالى اولياى قال رب كت
من الناس سلما قال فهل كت تعادى اعدائى قال يا رب لم أكن أحب

ان يكون بينى وبين احد شىء فيقول الله تعالى : ((وعزتى وجلالى لا ينال
رحمتى من لم يوال اوليائى ويهادى اعدائى)) (١) .

وعن انس رضى الله عنه :

((يوتى بالنعم يوم القيامة وبالحسنات والسيئات فيقول الله تعالى

لنعمته من نعمه خذى حقتك من حسنات عبدى فما تترك له حسنة
الا ذهبت بها)) (٢) .

وعن محمد بن ابى عميره رضى الله عنه وكان من اصحاب النبى

صلى الله عليه وسلم احسبه رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال

لو ان عبدا خر على وجهه من يوم ولد الى ان يموت هرما فى طاعة

الله عز وجل لحقره ذلك اليوم ولو دانه يرد الى الدنيا كيما يزداد من

الاجر والثواب (٣)

** * **

(١) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٣٩ وعزاه الى الطبرانى

وذكره صاحب التحافات ص ٢٧١ وعزاه الى الحكيم والطبرانى .

(٢) الاتحافات ص ٢٦٨ وعزاه الى ابى الشيخ وابن النجار .

(٣) رواه احمد ج ٤ ص ١٨٥ قال المنذرى ج ٤ ص ٣٩٧ (ورواته رواة الصحيح) .

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا



١٤٠٥ هـ
٤٤٤
٢٤٤
الحياة الأخيرة

ما بين البعث إلى رفول الجنة أو النار

رسالة مقدمة لنيل الشهادة العلمية العالية الدكتوراه

إعداد

مفاليح بن علي العولجي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات

بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
التاريخ / / ١٤٠٥ هـ

محمد عمر الخطيب

أستاذ بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

(الباب التاسع)

((الميزان))

و يشتمل على الفصول الآتية :-

الفصل الأول : تعريف الميزان :

١- في اللفظة .

٢- في الاصطلاح .

الفصل الثاني : أدلة اثبات الميزان :

١- من كتاب الله تعالى .

٢- من السنة النبوية .

الفصل الثالث : وجوب الايمان بالميزان واجماع الأمة على ذلك .

الفصل الرابع : المنكرون للميزان والرد عليهم .

الفصل الخامس : صفات الميزان :-

١- المثبتون لصفاته .

٢- النافون لصفاته .

الفصل السادس : ما الذي يوزن في الميزان هل هو العامل ؟ او العمل ؟

أو صحف الأعمال ؟

١- ادلة وزن العامل .

٢- ادلة وزن العمل .

٣- ادلة وزن صحف الأعمال .

(الفصل الأول)

تعريف الميزان لغة واصطلاحاً

وقبل ذكر تفاصيل ما قيل عن الميزان ، ووزن الله لأعمال العباد فسق
يوم القيامة نذكر ما قيل في تعريف لغة واصطلاحاً .

١- تعريف الميزان في اللغة :

قال الليث : الوزن ثقل شئ بشئ مثله

وقد اطلقت لفظة الوزن والميزان على عدة معان ، فهو يطلق ويراد
به بيان قدر الشئ وقيمته أو خسة الشئ وسقوطه كما قال تعالى :
(فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) - الكهف : ١٠٥ -

قال أبو المعبس قال ابن الاعرابي العرب تقول : ما لفلان عندنا
وزن أى قدر لخسته (ويقال وزن الشئ اذا قدره ووزن ثمر النخيل
اذا خرصه) .

وذكر الازهرى - بمد ما تقدم من تلك المعانى اللغوية

ان الميزان يأتي في باب اللغة مراداً به الميزان ذى الكفات
ويأتى مراداً به المعدل أيضاً كما يأتي ويراد به الكتاب الذى فيه
اعمال الخلق .

ثم قال : (وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ)^(١)

(١) انظر تهذيب اللغة ج ١٣ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

وذكر الراغب ان معنى "الميزان" على صيغة الجمع تارة ومجيئاً
تارة أخرى بالافراد فانما هو باعتبار المحاسب والمحاسبين ، فمجيئاً
بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسب ومجيئاً بالجمع اعتباراً بالمحاسبين (١)

٢ - الميزان في الاصطلاح :

اما المراد بالميزان في الاصطلاح الشرعي فهو الميزان الذي
اخبار الله تعالى عنه في كثير من آيات القرآن الكريم :
واخبار عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الشريفة فـ
اكثر من مناسبة تنويرها بعظم شأنه وخطورة أمره .
وهو ميزان حقيقى له لسان وكفتان توزن به اعمال العباد خيرها
وشرها وقد اخطب الله عنه في القرآن الكريم اخباراً مجملات من غير تفصيل
لحقيقته وجاءت السنة النبوية فبينته .
ونوضح كل ذلك فيما يأتى من ابحاث الميزان

* * *

((الفصل الثاني))

(أدلة اثبات الميزان)

ثبت ميزان الأعمال الذي ينصبه المولى جلّت قدرته لاظهار مقدار يجر أعمال الخلق الذين يحاسبهم في موقف فصل القضاء ثبوتاً واضحاً وقد جاء ذكره في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع .

و جاء ذكره كذلك في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في أكثر من مناسبة واجمع على القول به واعتقاده جميع السلف الصالح من أهل الاسلام ممن يمتد بقولهم في باب المقائد .

وسنمرض فيما يلي أدلة اثباته :-

١- من كتاب الله تعالى .

٢- من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

أ - أدلة اثبات الميزان من القرآن الكريم

١ - قال الله تعالى في كتابه الكريم : ((والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت

موازينه فألتك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فألتك الذين خسروا

انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون)) (- الاعراف : ٨ ، ٩ -)

٢ - وقال تعالى : ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس

شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين))

(- الأنبياء : ٤٧) .

٣ - وقال تعالى :

((فمن ثقلت موازينه فألك هم المفلحون ومن خفت موازينه فألك

الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون)) المؤمنون : ١٠٢ ، ١٠٣ (

٤ - وقال تعالى : ((فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت

موازينه فاه هاربة)) - القارعة : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ .

٥ - وقال تعالى :

((ألك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم

لهم يوم القيامة وزنا)) - الكهف : ١٠٥ -

ودلالة تلك الايات على اثبات الميزان أمر ظاهر - وقد وصف الله

فيها الموازين بالثقل والخفة .

ووصفها كذلك بأنها موازين عدل وأن من ثقل ميزانه فقد افلح وعاش

عيشة راضية ومن خف ميزانه فقد خسر وهوى الى جهنم وإذا كان الامر

كذلك فليستكثر المبد من العمل الصالح اذا اراد ثقل موازينه وليطمئن

الى أنه لا يفوته ما قدم من اعمال الخير شئ .

وبعد عرض تلك الايات نتبعها بأدلة اخرى من اقوال المصطفى

صلى الله عليه وسلم فيما يلي :-

٢- ادلة اثبات الميزان من السنة النبوية

وأما ادلة اثبات الميزان من السنة وهي كثيرة فمضما :

اخباره صلى الله عليه وسلم بالامور التي تكون ثقيلة في ميزان العبد اذا فعلها مخلصا من قلبه كما في حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم (كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبعمده سبحان الله العظيم) (١)

وفى قوله (كلمتان) اطلاق كلمة على الكلام وهو مثل كلمة الاخلاص وكلمة الشهادة (والمعنى محبوب قائلهما) (وخص لفظ الرحمن بالذكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازى على العمل القليل بالشواب الكثير) .

ومعنى وصفهما بالخفة والثقل هو (لبيان قلة العمل وكثرة

الشواب)

ومعنى وصفهما بالخفة (اشارة الى قلة كلاهما وأحرفهما

ورشاقتهما .. قال الطيبى : الخفة مستمارة للسهولة ، وشبه سهولة

جر يانها على اللسان بما خف على الحامل من بعض الامتعة فلا تتعبه ..

كالشىء الثقيل ، وفيه اشارة الى ان سائر التكاليف صعبة شاقة على

النفس ثقيلة وهذه سهلة عليها مع انها تثقل الميزان كثقل الشاق من

(١) صحيح البخارى ج ١٣ ص ٥٣٧ ومسلم ج ٥ ص ٥٤٨ .

التكاليف ، وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنه وخفـة السيئة فقال : لأن الحسنه حضرت مرارتها وغابت هلا وتمهنا فشقلت فلا يحملنك ثقلها على تركها ، والسيئة حضرت هلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت فلا يحملنك خفتها على ارتكابها . (١)

وعن ابى مالك الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطهور شرط الايمان والحمد لله تلاء الميزان وسبحان الله والحمد لله تلاء ما بين السموات والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موقها) (٢) .

قال النووي عن مزية هذا الحديث : (هذا حديث عظيم أصل من أصول الاسلام وقد اشتهر على مهمات من قواعد الاسلام) .
اما معنى الطهور شرط الايمان فان الشطر معناه النصف واذا كان الشطر هو النصف فكيف كان الطهور الذى اصله النظافة والتنزه نصف الايمان اخطف العلماء فى ذلك .

ف قيل معناه :

- ١ - أن الاجر فيه ينتهى تضمينه الى نصف اجر الايمان
- ٢ - وقيل معناه ان الايمان يجب ما قبله من الخطايا وكذلك الوضوء

(١) انظر فتح البارى ج ١٣ ص ٥٤٠ .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٠٤ .

لأن الوضوء لا يصح الا مع الايمان فصار لثوقفه على الايمان فسوى
معنى الشطر .

٣ - (وقيل المراد بالايمان هنا الصلاة كما قال الله تعالى ((وما كان
الله ليضيع ايمانكم)) البقرة : ١٤٣ ، والطهارة شرط فسوى
صحة الصلاة فصارت كالشطر وليس يلزم في الشطر ان يكون نصفا
حقيقيا) .

-- وقد رجح النووى القول الأخير من تلك الاقوال

وزاد فذكر انه (يحتمل ان يكون معناه ان الايمان تصديق بالقلب
وانقياد بالظاهر وهما شطران للايمان ، والطهارة متضمنة الصلاة
فهى انقياد في الظاهر)^(١) ولا يستبعد ان يكون القول الاول
هو الراجح ايضا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم اخبر عن هذه الفضائل
في معرض الترغيب في الأجر .

وهذه الالفاظ التى ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم من ان الحمد
لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض تفضل
عظيم من الله تعالى على عباده حيث جعل جزاء هذه الكلمات اليسيرة
ذلك الأجر العظيم حينما يتقبل الله قولها من العبد اذ ان ذلك شرط
لا بد منه .

فليس كل من قالها يحصل له هذا الفضل العظيم بمجرد القول

(١) انظر شرح النووى بصحيح مسلم ج ١ ص ٥٠١ .

وان لم تتحقق فيها أهلية قبولها والله تعالى كما أخبر في كتابه الكريم انه
لا يتقبل الا من المتقين لا سواهم .

واخرج النسائي عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : (اسباغ الوضوء شرط الايمان والحمد لله تملأ الميزان . .
والتسبيح والتكبير يملأ السموات والأرض والصلاة نور والزكاة برهان والصبر
ضياء والقرآن حجة لك أو عليك) (١) .

وهذا الحديث دلالة الحديث السابق - ومعنى اسباغ الوضوء :

أن يتمه كاملاً .

والزكاة برهان على ايمان صاحبها والصبر ضياء له يمشى مستضيئاً به
في طريق الصواب

واخرج الترمذي بسند حسن عن جرير النهدي عن رجل من بني
سليم قال : عدن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يدي أو في يده :
التسبيح نصف الميزان والحمد يملأه والتكبير يملأ ما بين السماء
والارض والصوم نصف الصبر والطهور نصف الايمان .

قال ابو عيسى : (هذا حديث حسن وقد رواه شعبة وسفيان الثوري

عن أبي اسحاق) (٢) . . وفي رواية لأحمد - والطهور نصف الميزان (٣) .

(١) سنن النسائي ج ٥ ص ٥ .

(٢) سنن الترمذي ج ٥ ص ٥٣٦ .

(٣) المسند ج ٥ ص ٣٧٠ .

وعن مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : (بخ بخ خصص ما اثقلهن في الميزان لا اله الا الله والله اكبر وسبحان

الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده) الحديث (١) .

وهذا الحديث ظاهراً هو في فضل تلك الأمور التي ذكرت فيه وقوله

صلى الله عليه وسلم بخ بخ .

(٢) (هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشئ و تكرر للمبالغة) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما :-

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خلطان لا يحصيهما رجل مسلم

الا دخل الجنة الا وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله فسو

د برك كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبره عشرا قال : فأنا رأيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده قال . . فتلك خمسون ومائة باللسان

والفوخسمائة في الميزان ، وان اخذت مضجعتك تسبحه و تكبره و تحمده

مائة فتلك مائة باللسان والالف في الميزان فايكم يعمل في اليوم والليل

الغين وخمسمائة سيئة ؟)

قالوا وكيف لا يحصيهما قال : يأتي احدكم الشيطان وهو في صلاته

فيقول اذ كر كذا اذ كر كذا حتى ينتقل فلم يله لا يفعل ويأتيه وهو في مضجعه

فلا يزال ينومه حتى ينام (٣) .

(١) سنن احمد ج ٣ ص ٤٤٣ .

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ج ١ ص ١٠١ .

(٣) سنن الترمذى ج ٥ ص ٤٧٨ وقال حديث حسن صحيح ، وقد

روى شمعة والثوري عن عطاء بن السائب هذا الحديث وروى الأعمش =

نحو ذلك من غير ما ذكره في الحديث
بعض ما لا يثبت في الحديث

واخبر صلى الله عليه وسلم عن بعض الأعمال وانها تكون ثابتة في ميزان

العبد ثوابا على ما عمل من الاعمال التي يوضحها .

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :

انه قال (من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعدده فسان

شعبة وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة) (١) .

وفي هذا الحديث بيان فضل من احتبس فرسا في سبيل الله تعالى

قال ابن حجر في معنى كون روثه في ميزان العبد .

(يريد ثواب ذلك لا أن الارواث بعينها توزن)

وعن فائدة تنصيص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذكر هذه

الأمر وانها تكون في ميزان العبد يقول ابن ابي جمرة : (يستفاد من هذا

الحديث ان هذه الحسنات تقبل من صاحبها لتنصيص الشارع على انها

في ميزانه بخلاف غيرها فقد لا تقبل فلا تدخل الميزان) (٢) .

ومثل الحديث السابق أيضا ما رواه

معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (والذي نفس

محمد بيده ما شحمت وجهه ولا اغبرت قدم في عمل تبتغي فيه درجات الجنة

بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله ولا ثقل ميزان عبد كدابة تنفق

== هذا الحديث عن عطاء بن السائب مختصرا ، وفي الباب عن زيد بن

ثابت والسواين عباس رضي الله عنهم - واخرج الحديث ابو داود في

سننه ج ٢ ص ٦١١ وابن ماجه ج ١ ص ٢٩٩ .

(١) اخرجه البخاري ج ٦ ص ٥٧ والنسائي في سننه ص ٢٢٥ ونحوه في

المسند ج ٦ ص ٤٥٥ .

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٥٧ .

له في سمبيل الله أو يحمل عليها في سبيل الله (١) .

واخبار صلى الله عليه وسلم عن ذلك الميزان العظيم وأنه لا يؤثّر

فيه الثقل المادى كما جاء عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم انه قال (انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن

عند الله جناح بموضة اقرأوا (فلا ^{نقيم} لهم يوم القيامة وزنا) (٢) الكهف: ١٠٥

واخرج الترمذى والامام احمد عن ابى الدرداء ان النبى صلى الله

عليه وسلم قال ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق

حسن وان الله ليفيض الفاحش البذير (٣) .

وفى هذ بين الحد يثين اثبات وزن العامل وعمله ايضا .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع فى كفة

فيوضع ما احصى عليه فتمايل به الميزان قال فيبعث به الى النار قال فاذا

ادبر به ^{اذا} صائح يصيح من عند الرحمن يقول لا تعجلوا لا تعجلوا فانه قد

بقى له فيؤتى ببطاقة فيها لا اله الا الله فتوضع مع الرجل فى كفة هتى

يميل به الميزان (٤) .

وهذا الحد يث كذلك دليل على وزن العامل ووزن صحف الاعمال

(١) المسند أحمد ج ٥ ص ٢٤٦ .

(٢) رواه مسلم ج ٥ ص ٦٥٥ .

(٣) اخرجه الترمذى ج ٤ ص ٣٦٣ وقال (وفى الباب عن عائشة وابى هريرة

وانس بن مالك واسامة ابن شريك - وهذا حد يث صحيح ^{حسن}) واخرجه احمد

فى المسند ج ٦ ص ٤٤٢ .

(٤) رواه احمد فى المسند ص ٢٢١ ج ٢ وفيه ابن لهيعة .

وسألة وزن الله للإنسان و عمله و صحف الأعمال و ما قيل حول ذلك
سيأتى الكلام عنها ان شاء الله فيما يمد مفصلة بأدلتها .
و عندما ينصب الميزان يبلغ الخوف والهلع بالناس الى أقصى حدوده
بحيث ينسى الحبيب حبيبه و يذهب فيه كل ذى لب عن أهله و عن كل شئ
الا فكره فى الميزان و ماذا ستكون نتيجة وزن عمله .

قال ابو داود فى (باب ذكر الميزان) :

عن عائشة رضى الله عنها انها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (ما يبكيك) قالت ذكرت النار فبكت فهل تذكرون اهليكم
يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر
احد أحدا عند الميزان حتى يعلم اهف ميزانه او يثقل وعند الكتاب
حين يقال هاؤم اقروا كتابية حتى يعلم اين يقع كتابه فى يمينه ام فى
شماله ام من وراء ظهره ؟ وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم (١)

- وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه
يوم القيامة قال (يا عائشة اما عند ثلاث فلا اما عند الميزان حتى يثقل
او يخف فلا واما عند تطاير الكتب فاما ان يعطى بيمينه او يعطى بشماله
فلا وحين يخرج عنق من النار فهنطوى عليهم ويضفط عليهم ويقول ذلك
العنق وكت بثلاثة وكت بثلاثة وكت بمن ادعى مع الله الهى اخر ووككت

(١) اخرجه ابو داود واللفظ له ج ٢ ص ٥٤١ .

بمن لا يؤمن بيوم الحساب ووكلت بكل جبار عنيد فينطوى عليهم ويطرحهم
 في غمرات جهنم ولجهنم جسر ارق من الشعرة واحد من السيف . . . الخ
 . . الحديث (١) .

وعن ضخامة الميزان وسعة كفاته ورد عن سلمان رضى الله عنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال (يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات
 والارض لوسمهن فتقول الملائكة : يا رب لمن يزن هذا فيقول الله لمن شئت
 من خلقي فيقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك) (٢) .

ونظرا لهذا المنظر الهائل للميزان فان الملائكة قد تقالَّت عبادتها
 رغم أنهم طول اوقاتهم في عبادة الله تعالى وطاعته فقد رأوا ان أعمالهم
 لا تساوى شيئا في جانب هذا الميزان الهائل .

وما احرى بالانسان ان يأخذ عبرة من هذا الموقف للملائكة —
 ربهم فيستحي من الله ويقصر عن غميه واعراضه عن طاعة ربه .

وعن عائشة رضى الله عنها (خلق الله عز وجل كفتى الميزان ملء السموات
 والارض فقالت الملائكة يا ربنا ما تزن بهذا ؟ قال ازن به ما شئت وخلق الله
 الصراط كحد السيف او كحد الموس فقالت الملائكة يا ربنا من يجوز
 على هذا ؟ قال أجهيز عليه من شئت) (٣) .

(١) اخرجه احمد ج ٦ ص ١١٠ (وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وقد وثق
 وبقية رجاله رجال الصحيح) .

(٢) ذكره الصندرى في الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٢٥ واسنده الى الحاكم
 وقال صحيح على شرط مسلم وذكره السفاريني ايضا في لوايح الانوار
 ج ٢ ص ١٨٥ واسنده كذلك الى الحاكم .

(٣) ذكره صاحب الاتحافات السننية ص ١٩٣ وعزاة الى الديلمي .

(الفصل الثالث)

وجوب الايمان بالميزان واجماع الأمة على ذلك

بعد ان ثبت ذكر الميزان في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لم يبق مجال لوجود أدنى شك في انكاره .

وقد تلقى المسلمون الايمان بوقوعه ولم يخالف فيه احد ممن يستند بقوله في الاسلام ، وقد جعله الرسول صلى الله عليه وسلم من الأمور التي تمتد من ضروريات الايمان بالله كما في حديث جبريل عليه السلام في رواية الامام احمد حينما قال له يا رسول الله (ما الايمان قال ان تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين و الموت والحياة بعد الموت والجنة والنار والحساب والميزان .

والقدر كله خيره وشره قال فاذا فعلت ذلك فقد آمنت قال نعم (١)

قال ابن بطة في الابانة :

(وقد اتفق اهل العلم بالاخبار والعلماء والزهاد والعباد في جميع

الامصار ان الايمان بذلك - يعني الميزان - واجب لازم (٢) .

ويقول السفاريني (والحاصل ان الايمان بالميزان كأخذ الصحف

ثابت بالكتاب والسنة والاجماع) (٣) .

(١) اخرجه احمد في المسند ج ٤ ص ١٦٤ .

(٢) الابانة ص ٩٧ تحقيق د . رضا .

(٣) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٤ .

(٣)

وقد ترجم البرد يسي لثبوته بقوله :

(باب في الموازين والكتب) ثم قال اعلم ان الموازين حق ثابت

بالكتاب والسنة واجماع الأمة (١) .

وقد بوب البخارى على اثبات الميزان وما يوزن فيه بقوله :-

(باب قول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وان اعمال بسنى

آدم وقولهم يوزن) (٢)

ومعلوم ان المراد بالميزان فيما تقدم هو الميزان الحق يقى المعلوم

بلسان المرء الذى توزن به الاشياء لا الميزان بمعنى العدل .

أو غيره كما ذهب اليه من شذ قوله :-

وقال سفيان بن عيينه :-

(السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها

شيئا فقد ترك السنة اثبات القدر وتقديم ابى بكر وعمر والحوض والشفاعة)

والميزان والصراط) (٣)

وقال الامام احمد بن حنبل اصول السنة عندنا التمسك بما كان

عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتقاد بهم)

ان يقول (والايمان بالميزان) (٤) وهو ما قاله ايضا شيخه على بن المدينى

(١) تكملة شرح الصدور ص ١٥ .

(٢) البخارى ج ٨ ص ٢١٩ .

(٣) شرح اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ج ١ ص ١٥٥ .

(٤) المصدر السابق ص ١٥٨ .

وهناك اقوال كثيرة لا هل العلم في اثبات ميزان الاعمال اثباتا حقيقيا

كما اثبت الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وبعد ان ذكرنا تلك النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى

الله عليه وسلم واقوال علماء الاسلام بعد ذلك كله هل يتصور أن يقدم مسلم

يشهد الشهادتين على انكار وقوع الميزان في يوم القيامة هذا ما سنبحثه

في الفصل الآتي .

* * *

(الفصل الرابع)

(المنكرون للميزان والرد عليهم)

لم يخالف في ثبوت الميزان - كما سبق ان ذكرنا - احد من السلف
وذلك لتواتر أدلته وصحتها .

ولقد وجد لبعضهم اقوال تخالف في ثبوتها - سالكين في ذلك مسالك
اهل البدع ول بعضهم اقوال اخرى بانكاره .

ويمكن تقسيم مواقف الناس تجاه اثباته الى ما يأتي :-

١ - منهم من ذهب الى انكار الميزان انكارا تاما دون ان يستند
الى دليل .

٢ - ومنهم من ذهب الى تأويل ما جاء في اثباته .

٣ - ومنهم من اثبت الميزان ونفى وزن الأعمال .

٤ - ومنهم من اثبت الميزان مجردا عن كل وصف .

-- -- -- -- --

١ - اما الصنف الأول من هؤلاء^٤ فهم المنكرون للميزان تمام الانكار:

وعن هؤلاء^٤ يقول ابن حزم :

١ - واما الميزان فقد انكره قوم فخالفوا كلام الله جراءة واقداما و تنطع

اخرى فقالوا هو ميزان بكفتين من ذهب وهذا اقدام اخر لا يحل

قال الله تعالى :

((ويقولون بأفواههم ما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله

(١) عظيم)) .

٢ - ويقول البغدادي عن فرقة تسمى الوزنية :

(٢) (وزعم قوم يقال لهم الوزنية ان لا حساب ولا ميزان)

٣ - وينس ابن فورك - فيما ينقل عنه - على نكران المعتزلة للميزان (بناءً

منهم على ان الاعراض يستحيل وزنها ان لا تقوم بأنفسها) (٣) .

٤ - ويقول الاشعري (وقال اهل البدع بابطال الميزان وقالوا موازين

وليس بمعنى كفات و السن ولكنها المجازات يجازيهم الله باعمالهم

وزنا بوزن و انكروا الميزان وقالوا يستحيل وزن الأعراف لأن الاعراض

لا ثقل لها ولا خفة) (٤) . . ولعله يقصد بهؤلاء المعتزلة

ويقول الجيلاني عن انكار المعتزلة للميزان .

(٥) (وانكروا الموازين و عذاب القبر) . . الخ .

(٦) (ويقول عنهم) واكرههم نفوا عذاب القبر والميزان) .

ويقول الا يحى عن انكار المعتزلة للميزان و حججهم في نفيه

(واما الميزان فانكره المعتزلة عن آخرهم لان الاعمال اعراض وان

امكن اعادتها فلا يمكن وزنها ان لا توصف بالخفة والثقل وايضا فالوزن

(١) الفصل ج ٤ ص ٦٥

(٢) كتاب اصول الدين ص ٢٤٦ .

(٣) التذكرة ص ٣١٣ .

(٤) المقالات ج ٢ ص ١٦٤ .

(٥) الفنية ج ١ ص ٩٠ .

(٦) الخفيه ج ١ ص ٩٢ .

للعلم بمقدارها وهي معلومة لله تعالى فلا فائدة فيه فيكون

قبيحا تنزه عنه الرب تعالى (١) .

وانكره كذلك الخواج و المرجئة حسبا يذكر عنهم الجيلاني بقوله

(وقد أنكرت الممتزلة مع المرجئة و الخواج ذلك فقالت أن معنى الميزان

العدل دون موازنة الأعمال) (٢) .

وقد ذكر البفدادى ان الجهمية ايضا تنكره (٣) .

وقبل ان نذكر بقية الخلاف ، أحب أن انبه الى ان ما نسب السوى

الممتزلة عامة من القول بانكار الموازين أو تأويلها بمعنى العدل ، ان

في كلامه نظرا ، وذلك لأن الممتزلة كما يظهر من كلام علمائهم لا ينفون

حقيقة الميزان ، وقد صرح به القرآن الكريم كما يقول القاضى عبد الجبار

بل ان القاضى عبد الجبار يذهب فى اثباته الى حد التشبيه لــــه

بموازيننا المعروفة فى الدنيا و يرد على من يؤوله بمعنى العدل

و يبطل قوله ،

وهذه بعض اقوال القاضى عبد الجبار فى الميزان التى تبطل قول

من نسب اليهم انكاره او تأويله بمعنى العدل ، فانه بعد أن ذكر جملة

من احوال يوم القيامة (من وضع الموازين والمسألة والمحاسبة وانطاق

الجواح ونشر الصحف وما جرى هذا المجرى) .

(١) المواقف ص ٣٨٤ .

(٢) الغنية ج ١ ص ٧٢ .

(٣) انظر كتاب اصول الدين ص ٢٤٥ .

قال (وجملة ذلك ان كل هذه الامور حق يجب اعتقاده والاقرار

بـه) .

ثم قال : (اما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه

قال الله تعالى :

(١) . ((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)) .

وقوله (٢) ((فمن ثقلت موازينه فألك هم المفلحون)) .

الى غير ذلك من الايات التي تتضمن هذا المعنى ، ولم يرد

الله تعالى بالميزان الا المقول منه المتعارف فيما بيننا دون المعدل

وغيره على ما يقوله بعض الناس لأن الميزان وان ورد بمعنى المعدل

في قوله : ((وانزلنا معهم الكتاب والميزان)) فدل ذلك على طريق

التوسيع والمجاز وكلام الله تعالى مهما امكن حطة على الحقيقة لا يجوز

ان يمدل به عنه الى المجاز يبين ذلك و يوضحه انه لو كان الميزان

انما هو المعدل لكان لا يثبت للشغل والخفة فيه معنى فدل على ان

المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين

فيما بيننا .

فلعل قول من نسب اليهم انكار الميزان او تأويله بالمعدل خاص

بطائفة منهم أو انه استند الى اقوال لم تصح عنهم

(١) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠٢ .

(٣) شرح الاصول الخمسة ص ٢٣٥ .

و من انكره كذلك الفلاسفة قال الهرا س رحمه الله

(واما اهل المروق والاحاد من الفلاسفة والمعتزلة فينكسرون

هذه الأمور من سوء ال القبور من نصيم القبور عذابه والصراط والميزان

وغير ذلك بدعوى انها لم تثبت بالمقل (١) .

٢- ومنهم من ذهب الى تأويل ما جاء في اثبات الميزان وخرجوا به

عن معناه المتبادر الصحيح ، ومن المعلوم انه لا ينبغى الخروج

عنه فاولوه بمعنى العدل والقضاء وقالوا ان ما ورد في الميزان

والوزن .

انما هو من ضرب المثل لا غير ، ومن المعلوم انه لا ينبغى الخروج

عن المعنى الصحيح الا لحارص قوى او قرينة ظاهرة .

وينسب هذا القول الى مجاهد والى الضحاك والاعمش كما حكاه

عنهم القرطبي بصيغة (روى) فيقول :

وروى عن مجاهد والضحاك والاعمش ان الميزان هنا بمعنى العدل

والقضاء وذكر الوزن والميزان ضرب مثل كما يقول هذا الكلام في وزن هذا

وفي وزانه اي يماذله ويساويه وان لم يكن هناك وزن (٢) .

ومثل هذا الرأي ما ذكره الاستاذ محمد عبد اللطيف في كتابه

(اوضح التفاسير) حيث قال (والذي يبدو انه ليس ثمت ميزان وانما

اريد بالميزان المدل (٣) .

(١) شرح العقيدة الواسطية ص ١٢١ .

(٢) التذكرة ص ٣١٣ .

(٣) اوضح التفاسير ص ٣٩٣ .

٣- ومن الناس من ذهب الى اثبات الميزان ونفى وزن الاعمال بحجة

انها اعراض لا تقبل الوزن .

وفى هو^١ لا يقول الاشعري :

(وقال قائلون باثبات الميزان واحالوا ان توزن الاعراض في كفتين

ولكن اذا كانت حسنات الانعام اعظم من سيئاته رجحت احدى الكفتين

على الأخرى فكان رجحانها دليلا على أن الرجل من اهل الجنة

وكذلك اذا رجحت الكفة الأخرى السوداء^٢ كان رجحانها دليلا على

ان الرجل من اهل النار) (١)

وهذا القول فيه غموض شديد انما الذي يوضع في تلك الكفات

حتى تظهر النتيجة الطيبة او السيئة فان وضعها هكذا مجردة عن

كل شئ^٣ امر وهمي لا يتحقق به الغرض المقصود من وضع الموازين .

٤- وضمهم من ذهب الى القول باثبات الميزان مجردا عن كل وصف

فيقولون (نو^٤ من بأن هناك ميزان في يوم القيامة لكننا لا نعلم عنه

ولا عن وصفه شيئا بل نو^٥ من به فحسب دون ذكر أى وصف له

وكمثال على هذا ما يقوله احمد محمد شاكر في تعليقه على قول الزهري

ان الوضوء يوزن فيما حكاه عنه الترمذي علق على هذا القول احمد

شاكر رحمه الله فقال (هذا تحليل غير صحيح فان ميزان الاعمال يوم

القيامة ليس كموازين الدنيا ولا بما يدخل تحت الحس في هذه

(١) المقالات ج ٢ ص ١٦٤ .

الحياة وانما هي امور من الغيب الذي نؤمن به كما ورد (١) .

وكذا ما يقوله محمد رشيد رضا عن الميزان وصفاته :

(ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته فنؤمن اذا بان في الآخرة

وزنا للأعمال قطعا ونرجح انه بميزان يلحق بذلك العالم يوزن به الايمان

والاخلاق والأعمال ولا نبحت عن صورته وكيفيته) (٢) .

ولعل احمد شاكر ومحمد رشيد ومن قال بهذا القول قد تأثروا

بما سبقهم اليه ابن هزم حيث قرر ذلك بقوله :

(ونقطع على أن تلك الموازين اشياء يبين الله عز وجل بهما

لعباده مقادير اعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة التي لا تحس

وزنها في موازيننا أصلا فما زاد ولا ندرى كيف تلك الموازين الا اننا

ندري انها بخلاف موازين الدنيا) الى ان يقول :

(واما من قال بما لا يدري ان ذلك الميزان ذو كفتين فانما قاله

قياسا على موازين الدنيا وقع خطأ في قياسه ان في موازين الدنيا

ما لا كفة له كالقسطون) (٣) .

وهذا الرأي ان كان يقصد اصحابه اثبات الميزان الوارد به وصفاته

الشرع دون التنطع بعد ذلك من وصفه بأنه من فضة او من ذهب او غير

ذلك فهذا قول صحيح .

٥ قد ذكرنا في كتابنا شرح المشركين
بعضاً من صفات الميزان وهو من
أعزها علينا لا يتغير ذلك

(١) سنن الترمذي ج ١ ص ٧٧ .

(٢) تفسير المنار ج ٨ ص ٣٢٣ .

(٣) الفصل ج ٤ ص ٦٦ .

وان كانوا يقصدون اثبات ميزان مجردا عن كل وصف فان ما ورد من

اثبات أن له لسانا وكفتين لا يتفق مع هذا القول .

بالإضافة الى هذا فان ما علق به الشيخ احمد شاکر على عبارة

الزهري غير مناسب فان مقتضى نقد عبارة الزهري أن يقول ان وزن الوضوء

لا ينافي تشييفه وأما ما ساقه من وصف الميزان فهنا ما لم يتعرض له

الزهري حسب ما ذكره عنه الترمذى هنا .

اما اثبات نسبة القول الى مجاهد من تأويله الميزان بمعنى العدل

فهو إضافة الى ما ذكره القرطبي عنه من تأويله ذلك .

فقد اخرج الطبرى أيضا ^(١) باسناده الى مجاهد أنه فسّر

الوزن المذكور فى الآية (والوزن يومئذ الحق) فسره بأنه فى هذا الموضع

المراد به القضاء والعدل خلافا لما فسره غيره بأنه وزن الأعمال .

ولكن الطبرى اخرج عن مجاهد أيضا انه قال فى الآية (والوزن

يومئذ الحق) قال (قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل الطويل

العظيم فلا يؤن جناح بموضه) .

فهل يفهم من هذا انه يقول بالميزان ان وزن الرجل ثم لا يزن

بموضه انما يفهم بالميزان . . أم أنه يؤول معناه الى ان المراد به

اظهار تفاهته وثقله شأنه احتمال لم يبينه الطبرى حينما ذكر ذلك

عنه فاذا ثبت نسبة هذا القول الى مجاهد وغيره من نسب اليه هذا

(١) جامع البيان ج ٨ ص ١٢٢ وفتح القدير ج ٢ ص ١٩٣ .

القول اى تأويل الميزان ألوازء به الشرع فى يوم القىامة بالعدل او القضاء
او اى تأويل اخر دون اثبات حق بقة الميزان فانه يعتبر خروجا به السى
غير معناه الصحيح ويكون فتح باب لتأويل كبير من امور الآخرة والمفاهيم
الى معان باطلة لم تدل عليها النصوص .

قال القرطبى رحمه الله عن تأويل هوءلاء :

(لو جاز حمل الميزان على ما ذكره لجاز حمل الصراط على الدين
الحق والجنة والنار على ما يرد على الارواح^{دون} الأجساد من الالهزان . .
والافراح والشياطين والجن على الأخلاق الذمومة والملائكة على القوى
المحمودة وهذا كله فاسد لانه رد لما جاء به الصادق (١) .

ولعل الحامل لهوءلاء الذين أولوا المراد بالميزان الى معنى
العدل او القضاء وان ذكرهما هو من باب ضرب المثل كما يقال هذا
الكلام فى وزن هذا - كما زعموا لعل الذى حملهم هو اعتمادهم على ان
ذلك التأويل سائغ من جهة اللغة .

ولكن ينبغى ان يلاحظ انه وان ساغ ذلك فى اللغة لكنه ليس

بسائغ من جهة الشرع قال الزجاج عن هذا التأويل انه :

(ساغ من جهة اللسان) لكن (الأولى ان نتبع - كما قال

الزجاج - ما جاء فى الاسانيد الصحاح من ذكر الميزان) وقد احسن الزجاج

قال القشيرى معقبا على قول الزجاج فيما قال ان لو حمل الصراط

على الدين الحق والجنة والنار على ما يرد على الارواح دون الأجساد

والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة والملائكة على القوى المحمودة)
(ولم يكمل الشوكاني الجواب عن هذا فيما ينقله عن الزجاج ولمل المعنى
ظاهر وهو (أى لكان ذلك تلاعباً بالنصوى وخروجاً عما دللت
عليه ثم قال الشوكاني متابعا نقله عن الزجاج) (وقد اجتمعت الامة
في الصدر الاول على الاخذ بهذه الظواهر من غير تأويل وانما اجتمعت
على منع التأويل وجب الاخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصاً^(١)
ويذكر الازهرى وهو من ائمة اللغة أن لفظة الميزان وان كانت
سائفة الاستعمال في عدة معان الا انه اذا جاء الشرع بقصرها على
معنى وجب المصير الى ذلك فهو يقول بمد أن ذكر معانئ
الميزان .

(هذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ الا أن الأولى من
هذا أن نتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح فان جاء في الخبر أنه ميزان
له كفتان من حيث ينقل اهل الثقة فينبغي أن يقبل ذلك)^(٢) .

* * *

(١) فتح القدير ج ٢ ص ١٩٠ .

(٢) تهذيب اللغة ج ١٣ ص ٢٥٧ .

(الفصل الخامس)

صفات الميزان

فيما سبق بحثه يتضح من خلاله ان الميزان له اوصاف خاصة فهل
تلك الاوصاف التي ثبتت له من اللسان والكفتين محل اتفاق بين العلماء
المثبتين للميزان أم أن هناك خلاف بينهم .

الواقع ان العلماء لم يتفقوا في اثبات اوصاف الميزان - وقد تقدمت
الاشارة الى بعض الجوانب في وجوب الايمان بالميزان و مواقف الناس في
ذلك و أما خلافهم في ثبوت صفاته فقد انقسموا الى فريقين :-

(١) اما الفريق الأول فهم المثبتون لصفات الميزان الحسية من ان له
كفتان الى اخر اوصافه وهو لا ء وأن اثبتوا هذا لكنهم يرجعون
صفة تلك الكفات واللسان الى علم الله تعالى .

(٢) اما الفريق الاخر فهم النافون لتلك الصفات وسند رأي الفريقين
فيما يلي :-

(١) المثبتون لصفات الميزان

يثبت هو لا ء وهم جمهور العلماء أن الميزان له كفتان حسيتان
مشاهدتان وله لسان كذلك .

يقررون هذه الحقيقة غير ملتفتين الى من تسمئز قلوبهم من
سماعها لعدم قبول عقولهم لها وعدم تفهم ماورد عن المصطفى صلى
الله عليه وسلم في ذلك .

ذلك ان الحق ضالة المؤمن و ما ورد به الشرع هو الذي ينبغي

ان يقدم على هوى النفس وحكم العقل ،

وسنذكر فيما يلي بعض أقوال هؤلاء كأمثلة على ثبوت ما

ذكرنا .

قال القرطبي ردا على من ينكر الميزان ويؤول الوزن بأنه من ضرب المثل وان الوزن يراد به المعدل والقضاء قال : (وهذا القول مجاز وليس بشيء وان كان شائعا في اللغة - للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ووصفه بكفتين ولسان وان كفة منها طباق السموات والارض) (١)

ويعزو القرطبي الى ابن عباس انه قال : (توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان) (٢) واخرج البيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس انه قال الميزان له لسان وكفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات فيؤتى بالحسنات في احسن صورة فتوضع في كفة الميزان فتثقل على السيئات فتؤخذ فتوضع في الجنة . . . ويؤتى بالسيئات في اقبح صورة فتوضع في كفة الميزان فتخف . . .) (٣)

ويقول ابن قدامة (والميزان له كفتان ولسان توزن به الاعمال فمن ثقلت موازينه فالكئيب هم المفلحون ومن خفت موازينه فالكئيب الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون) (٤) ، (٥)

(١) التذكرة ص ٣٧٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٨ .

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٧٠ .

(٤) سورة المؤمنون : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٥) ابن قدامة في لمة الاعتقاد ص ٣٣ .

ويقول ابو الحسن الاشعري في معرض بيانه لا اختلاف الناس في

الميزان ومبينا رأى اهل السنة .

(فقال اهل الحق ؛ له لسان وكفتان توزن في احدى كفتيه

الحسنات وفي الأخرى السيئات فمن رجحت حسناته دخل الجنة ومن

رجحت سيئاته دخل النار ، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله

عليه فأدخله الجنة) (١) .

ويثبت ابن كثيران للميزان كفتين حسيتين و يستدل على هذا

من السنة بحدِيث صاحب البطاقة المشهور وغيره من الاحاديث (٢) .

واخرج الطبري عن ابن جريج قال قال لى عمرو بن دينار قوله

والوزن يومئذ الحق قال انا نرى ميزانا وكفتين سمعت عبيد بن عمير

يقول يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان ثم لا يقوم بجناح ذباب (٣)

وهو القول الذي رجحه الطبري ايضا ويقول ابن ابي الفـ

(والذي دلت عليه السنة ؛ أن ميزان الاعمال له كفتان حسيتان مشأهـ (٤) دتان)

وقال ابو اسحاق الزجاج - كما نقل عنه الحافظ ابن حجر - (اجمع

اهل السنة على الايمان بالميزان وان اعمال العباد توزن يوم القيامة

وان الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال) (٥) .

(١) المقالات ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) النهاية ج ٢ ص ٢٤ .

(٣) جامع البيان ج ٨ ص ١٢٣ .

(٤) الطحاوية ص ٤٧٢ .

(٥) نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج ١٣ ص ٥٣٨ .

ويقول السفارييني :

(فقد دلت الاشارة على انه ميزان حق يقي ذوكفتين ولسان كما قال
ابن عباس والحسن البصرى وصرح بذلك علماؤنا والاشعرية وغيرهم
وقد بلغت احاديثه مبلغ التواتر وانعقد اجماع اهل الحق من المسلمين
عليه) (١) .

ويقول البرديسى (وانعقد الاجماع على انه ميزان حسى لـ
كفتان ولسان يوضع فيه صحف اعمال العباد ليظهر الراجح والخاسر)
و يروى من طريق عبد الملك بن ابي سليمان انه قال : (ذكر
الميزان عند الحسن فقال : له لسان وكفتان) (٢) .

وعن سلمان قال : (يوضع الميزان وله كفتان لو وضع في احدهما
السموات والأرض ومن فيهن لوسعته) (٣) .

ويقول الهراس :

(وهناك تنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد وهى
موازين حقيقية كل ميزان منها له لسان وكفتان ، ويقلب الله اعمال
العباد وهى اعراض اجساما لها ثقل فتوضع الحسنات فى كفة والسيئات
فى كفة) (٤) .

-
- (١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٥ .
 - (٢) تكملة شرح الصدور ص ١٤ .
 - (٣) تفسير المنار ج ٨ ص ٢٢٢ .
 - (٤) فتح البارى ج ١٣ ص ٥٣٩ .
 - (٥) شرح العقيدة الواسطية ص ١٢٣ .

ونقتصر في اثبات ان الميزان له لسان وكفتان على ما قدمناه
من ذكر اقوال العلماء .

وبهذا يتبين ان اهل الحق - اهل السنة والجماعة - يثبتون حقيقة
الميزان على ضوء ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم لا يتأولون معناه ولا يردون ما جاء في وصفه ويقولون الله وحده
هو الذي يعلم قدرهما وكيفيتهما .

ان لولم يكن له لسان وكفتان بل هو بمعنى المعدل والقضاء
كما ذهب اليه بعض العلماء لولم يكن كذلك لما وصف في السنة النبوية
بأن له لسانا وكفتين وانه يخف ويثقل ان المعدل لا يقال فيه تلك
الصفات فصح انه ميزان حقيقي يزن الله فيه اعمال العباد ، فمن رجحت
حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل
النار على ما علم من مذاهب السلف .

واذا كما نثبت صفات الميزان على ضوء ما جاء به الشرع فانه لا ينبغي ان
نتكلف
x فنثبت له اوصافا تحتاج الى اثبات من الشارع أو نستند الى اخبار
لم تثبت فان الغلو في هذا مذموم .

وكشال على هذا ما يذهب اليه بعض الناس من ان كفتي الميزان
من ذهب (١) او القول بأن كفة الحسنات من نور وكفة السيئات من ظلام (٢)

(١) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٦٥ .

(٢) التذكرة ص ٣١٣ .

او ان كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة السيئات

عن يسار العرش مقابل النار (١) .

او ما يقال ان صاحب الميزان يوم القيامة هو جبريل عليه السلام (٢)

فتلك المسائل كلها تحتاج لاثباتها فضلا عن اعتقادها التي

نص صحيح فان بعض العلماء يتساهل فيما يقرره من هذه المسائل مثل

ما يرويه السفاريني بصيغة التضعيف - يروي (ان داود عليه

السلام سأل ربه ان يويه الميزان فلما رآه غشى عليه ^{فلما} افاق قال الهو

من ذا الذي يقدر يملاء كفة حسناته فقال اذا رضيت عن عبدى ملأتهما

بتمرة (٣) .

أو ما يذكره عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه غير معزو التي

اهد انه قال (ميزان رب العالمين ينصب للجن والأنس يستقبل به

العرش احدى كفتيه على الجنة والاخرى على جهنم لو وضعت السموات

والارض في اهداهما لوسعتهن وجبريل آخذ بعموده ينظر الى لسانه (٤)

وكذا ما يروي عن ابن عمر مرفوعا من كبر تكبيره في سبيل الله كانت صخرة

في ميزانه اثقل من السموات السبع وما ^{فيهن وما} تحتهن واعطاه الله بها رضوانه

الاكبر و جمع بينه وبين محمد و ابراهيم والمرسلين في دار الجلال

سورة

- (١) المصدر السابق ص ٣١٤ وعزاة الى الترمذى المكي .
- (٢) اخرجه الطبري في جامع البيان ج ٨ ص ٢٣١ والقرطبي في التذكرة ص ٣٢٠
- (٣) ذكره السفاريني في لوامع الانوار ج ٢ ص ١٨٤ وعزاه الى الرازي والشعبي
- (٤) المصدر السابق ولم يعزه الى احد .

ينظر الى الله بكسرة وعشيا (١) .

وفى رواية أخرى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كبر تكبيرة على ساحل البحر كان فى ميزانه صخرة قيل يا رسول الله و ما قدرها قال تملأ ما بين السماء والأرض) (٢) .

ويقول السقاريسى :

(ظواهر الاثار واقوال العلماء ان كيفية الوزن فى الآخرة خفة وثقلا مثل كفيته فى الدنيا ما ثقل نزل الى اسفل ثم يرفع الى عليين و ما خف طاش الى أعلى ثم نزل الى سجين وبه صرح جموع منهم القرطبي .

وقال بعض المتأخرين بل الصفة مختلفة وان عمل المؤمن اذا رجح صعد وسفلت سيئته والكافر تسفل كفته لخلو الأخرى عن الحسنات ثم تلا قوله تعالى ((والصلح الصالح يرفعه)) (فاطر : ١٠) .

وذكر بعضهم فى صفة الوزن أن تجعل جميع اعمال العباد فى الميزان فى مرة واحدة ، الحسنات فى كفة النور ، وهى يمين المرش جهة الجنة ، والسيئات فى كفة الظلمة وهى عن يساره جهة النار ، ويخلق الله لكل انسان علما ضروريا يدرك به خفة اعماله وثقلها - وقيل بل علامة

(١) قال السيوطى فى اللآلئ المصنوعة (قال ابن حبان لا اصل له اسحق

يأتى بالموضوعات عن الثقات - قلت - السيوطى - وكذا قال الدارقطنى

فى غرائب مالك انه موضوع) - ص ١٣٧ - ج ٢ .

(٢) قال ابن عدى هذا ما وضعه النخعي وزيد ليس بشيء - اللآلئ المصنوعة

الرجحان عمود نور يقوم في كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات وعلامة
الخفة عمود ظلمه يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات لكل
اهد (١) .

والظاهر ان هذه الكيفيات كلها تحتاج الى اثبات فهي مسألة
غيبية والله تعالى له القدرة على ما يشاء .

-- -- --

٢- النافون لصفات المميزان

وهو^١ قالوا بعكس ما قاله الفريق الأول حيث اجموا عن
وصف الميزان بالاوصاف التي تقدمت و اكتفوا باثبات ان هناك ميزانا فقط .
١ - يقول محمد رشيد رضا في نفى تلك الصفات وفي رده على الزجاج :
(و ان لم يكن في الصحيحين ولا في كتب السنة المصتمدة هديت
صحيح مرفوع في صفة الميزان ولا في ان له كفتين ولسانا فلا تفتر
بقول الزجاج^{ان} هذا مما اجمع عليه اهل السنة فان كثيرا من المصنفين
يتساهلون باطلاق كلمة الاجماع ولا سيما في الحفاظ المتقين والزجاج ليس
منهم و يتساهلون في عزو كل ما يوجد في كتب اهل السنة الى
جماعتهم وان لم يعرف له أصل من السلف ولا اتفق عليه الخلف منهم وهذه
المسألة^(٢) مما اختلف فيه السلف والخلف كما علمت) .

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) تفسير المنار ج ٨ ص ٣٢٢ .

وقال ايضا

(والأصل الذي عليه سلف الأمة في الأيمان بمآل الغيب ان كل ما ثبت من اخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه نوء من بسه ولا نهكم رأينا في صفة وكيفيته فنوء من اذا بأن في الأخرة وزن للأعمال قطعا و نرجح انه بميزان يليق بذلك العالم يوزن به الايمان والاخلاق والاعمال و لا نهجت عن صورته وكيفيته ولا عن كفته ان صح الحديث فيهما كما صوره الشصراى في ميزانه (١) .

والواقع ان ما قاله محمد رشيد رضا من انكار أن يكون هناك اى اشارة الى ان الميزان له كفتين من السنة غير مسلم فقد جاء في السنة بعض الاحاديث التي تدل على وزن العمل ووزن العامل كما خرج البخارى (يوتى بالرجل فيوضع في كفة) و كقوله أيضا (فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وغيرهما من الاحاديث التي قدمنا ذكرها وفيها اشارة الى اثبات ان ميزان الاعمال له كفتان .

ثم ان اثبات ان الميزان له كفتان لم يقل به الزجاج وحده بل هو ما عليه الأئمة الذين قدمنا ذكر اقوالهم .

٢- ما علقه الدكتور / طه محمد الزينى على ترجمة ابن كثير في اثبات

ان للميزان كفتين حسيتين بقوله (لا يوجد دليل قاطع

في القرآن ولا في الحديث على أن كفتى ميزان الحساب يوم القيامة حسيتان

(١) المصدر السابق ص ٣٢٣ .

اي يدركان بأحدى الحواس الخمس واقرب الحواس الى ادراك الكفتين اللسان
بالمهد بل كل ما في القرآن والحديث يحتمل ان يكون الوزن معنويا بل
هو الارجح لأن اعمال يوم القيامة اكثرها معنوى يقرب الى الازهان . .
بتشبيهه بالحسيات (١) .

وهذا القول من الدكتور / طه الزينى يعتبر بعيدا عما قررره
العلماء ومخالفا لما جاءت به السنة فسق وزن الاعمال وليس ما يذكره
من أن اعمال يوم القيامة من الاشياء المتخيلة . التى يشبه فيها الممنوى
بالحسى .

فان القول بهذا يفتح بابا خطيرا من التشكيك فى امر
الآخرة وينبغى لمن يقول بهذا ان يعيد النظر فيه .
وقد سبق فى الاستدلال على وجوب الايمان بالميزان الاشارة
الى أن نفاة صفات الميزان من المتأخرين قد سبقهم اليه ابن حزم .

* * *

(١) النهاية ج ٢ ص ٩١ .

(الفصل السادس)

(ما الذي يوزن في الميزان ٠٠٠)

حينما ننظر في الاحاديث التي وردت في شأن الميزان نجد انها تدل

على ان الموزونات تشمل ثلاثة أشياء هي :-

- (١) وزن العامل .
- (٢) وزن الععمل .
- (٣) وزن صف الأعمال .

وقد رويت اثار كثيرة في ثبوت وزن كل واحد من تلك الثلاثة

الأمر فان شاء الله تعالى وزن العمل ، وان شاء وزن العامل وان شاء

وزن صف الأعمال وان شاء وزن الجميع .

فهل اتفق العلماء على ذلك أم لا ؟

الواقع أن فيه خلافا بينهم ، فبعضهم يثبت الميزان لواحد من

تلك الثلاثة الأمور ويضعهم يثبت وزن الكل وحينئذ فلا تبقى معارضة

ولهذا يقول الحافظ ابن كثير :

(وقد يمكن الجمع بين هذه الاثار بأن يكون ذلك كله صحيحا

فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها (١) .

ويقول العلامة شارح الطحاوية

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٠٢

(فثبت وزن الاعمال و العامل و صحائف الاعمال وثبت ان الميزان

له كفتان و الله تعالى اعلم بما وراء ذلك من الكيفيات) (١) .

و قد بوب البخارى لثبوت وزن العمل بقوله :

(باب قول الله تعالى و نضع الموازين القسط ليوم القيامة) وان

اعمال بني آدم و قولهم يوزن) (٢) .

وقال البرديسى (انمقد الاجماع على انه ميزان حسى له كفتان

ولسان يوضع فيه صحف لأعمال المباد) ثم قال فى شرحه لكلمة يوضع

فيه صحف اعمال المباد .

(هذا على قول ، وقيل تجسد الاعمال و توزن ، وقيل توزن

الذوات لحديث يوتى بالثقل العظيم فلا يزن عند الله جناح بعوضة) (٣) .

وذكر الشيخ عبد العزيز بن باز فى تعليقه على التنبيهات اللطيفة

فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنغيسة الجمع بين وزن تلك

الثلاثة الامور فقال :-

(الجمع بين النصوص الواردة فى وزن الاعمال و العاطلين و الصحائف

انه لا منافاة بينها فالجميع يوزن ولكن الاعتبار فى الثقل والخفة يكون بالعمل

نفسه لا بذوات العامل ولا بالصحيفة) (٤)

(١) الطحاوية ص ٤٧٥ .

(٢) صحيح البخارى ج ١٣ ص ٥٣٧ - الفتح .

(٣) تكملة شرح الصدور ص ١٤ .

(٤) التنبيهات اللطيفة ص ٤٠ .

وفيما يلي نورد ما جاءه في اثبات كل واحد من تلك الثلاثة الامور

بالتفصيل :-

١ - ادلة وزن الحامل

وردت النصوص باثبات ان الحامل نفسه يوزن كما سبقت الاشارة

اليه ومن ادلة اثبات ذلك :

(ما اخرجاه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم - انه قال (انه ليأتى الرجل العظيم السمين

يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بحوضه وقال اقروءا ان شئتم) فلانقيم

لهم يوم القيامة وزنا) (١) ، (٢)

وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - (يوءتى

بالرجل الاكول الشروب العظيم فيوزن بحسبة فلا يزنها قال : واقروءا

فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) (٣)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يجتنى سواكا من الاراك

وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفوه فضحك القوم منه فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم (م تضحكون ؟ قالوا يابى الله ممن

دقة ساقية فقال والذي نفسى بيده لهما اثقل فسمى

(١) سورة الكهف الاية : ١٠٦ .

(٢) اخرجاه البخارى ج ٨ ص ٤٢٦ و مسلم ج ٥ ص ٦٥٥ (النووى)

وابن جرير ج ١٦ ص ٣٥ .

(٣) ذكره ابن كثير فى النهاية ج ٢ ص ٩٥ وعزاه الى ابن ابى حاتم وعزاه

ابن حجر الى ابن مردويه .

(١) الميزان من احمد .

واخرج ابن ابى الدنيا عن عبد الله بن عمرو رفعه فى احدى

روايات حديث البطاقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال :

(يؤتى برجل يوم القيامة الى الميزان فيخرج له تسعة وتسعون

سجلا كل سجل منها مد البصر فيها ذنوبه وخطاياہ فتوضع فى كفة

ثم يخرج له قرطاس مثل الانطة فيها شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا

عبده ورسوله فتوضع فى الكفة الاخرى فترجح بخطاياہ) (٢) .

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث بقوله : (وهذا السياق فيه

غرابية وفيه فائدة جلية وهو ان المامل يوزن مع عمله) (٣) .

وقال ابن جرير فى تفسير قول الله تعالى : ((فلا نقيم لهم يوم

القيامة وزنا)) اى : (فلا نجعل لهم ثقلا وانما عنى بذلك انهم لا تثقل

بهم موازينهم لأن الموازين انما تثقل بالاعمال الصالحة وبنحو الذى

قلنا فى ذلك قال اهل التأويل) (٤) .

ويقرر ابن العز وزن العامل مستدلا بما تقدم فى الصحيحين

وهو ما يستدل به كثير من العلماء) (٥) .

(١) اخرجه احمد ج ١ ص ٤٢١ قال ابن كثير (تفرد به احمد واسناده

جيد قوى) .

(٢) النهاية ج ٢ ص ٩٣ .

(٣) النهاية ج ٢ ص ٩٣ .

(٤) تفسير الطبرى ج ١٦ ص ٣٥ .

(٥) انظر شرح الطحاوية و الاسئلة والاجوبة الاصلية ص ٢٢٢ .

وما تقدم من النصوص ظاهراً في وزن العامل غير ان في بعض اقوال العلماء من يفسر قول الرسول - صلى الله عليه وسلم في الرجل السمين الكافر انه لا يزن جناح بعوضه او حبة يوءوله بأن معنى هذا اشارة الى حقارته وعدم انتفاعه بسمته وانه لا ثواب له وفي هذا يقول القرطبي فيما ينقله عن العلماء ان معنى هذا الحديث (انه لا ثواب لهم واعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة و من لا حسنة له فهو في النار وقال ابو سعيد الخدري يؤتى باعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئاً وقيل يحتمل ان يريد المجاز والاستعارة كأنه قال فلا يقدر لهم عندنا يومئذ) (١) .

وقال السفاريني نقلاً عن الشيخ مرعي في بهجته بعد ان اورد حديث صاحب البطاقة قال (ثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون صحائف الاعمال وهو الحق فان قيل قد اخرج الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة) فقد صرح بأن الموزون نفس بدن الانسان ، فالجواب ان هذا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم مثالا للذي يفتر . ببعض الاجسام وهو كناية عن عدم اكتر الله بالاجسام فان الله لا ينظر للصورة وانما ينظر للاعمال والقلوب فكمن جسيم وسيم وهو عند الله من أصحاب الجحيم) (٢) .

(١) التذكرة ص ٣٧٣ .

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٨ .

وهذا جنوح الى التأويل وابتعاد عن ظاهري الحديث - فيما

يظهر - ان المفهوم من ظاهري الحديث انه في وزن العامل .

اما قول ابي سعيد الخدري (يؤتى باعمال كجبال تهامة فلا تزن

شيئا) فالظاهر انها أعمال فاسدة اما لأن صاحبها قد استوفى

حقها في الدنيا كما هو الحال في حسنات الكفار واما لأنها أعمال رياء

لم يرد بها وجه الله واما لغير ذلك ولا يدل ايضا قول ابي سعيد

على عدم وزن العامل وانما يدل على ان اعمالا تزن لا تساوي شيئا

ولا تنفع صاحبها .

وهذا كله جنوح الى التأويل كما قلنا من غير دليل ولا قرينة

على ارادة غير الظاهر و اذا كان وزن العامل يوم القيامة ليس مستحيلا

عقلا بل هو من الممكنات الجائزة فينبغي ان يفهم الكلام على ظاهره

من ان العامل نفسه يوزن يوم القيامة .

اذا شاء الله ذلك .

*

*

٢ - أدلة وزن العمل

جاء في السنة النبوية ما يفيد ان العمل يوزن ولا التفات الى ما يقوله
بعض اهل البدع من ان الاعمال اعراض لا تقبل الوزن فان قائل هذا
القول مبتدع راد للنصوص بهواه .

ومن الأدلة التي تثبت وزن العمل ما جاء عن ابي مالك الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الظهور شرط الايمان والحمد
لله تملأ الميزان) (١) .

وفي الصحيح وهو خاتمة كتاب البخاري عن ابي هريرة :

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كلمتان خفيفتان على اللسان
حبيبتان الى الرحمن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده وسبحان
الله العظيم (٢) .

واخرج الترمذي عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال (ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان
الله ليفيض الفاهش السبذي) (٣) . - اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح .

واخرجه ابن ابي الدنيا بلفظ (أثقل شيء يوضع في الميزان خلق
حسن) (٤)

-
- (١) اخرجه مسلم ج ٥ ص ٦٥٥ (النووي) .
 - (٢) اخرجه البخاري ج ١٣ ص ٥٣٧ والفتح ومسلم ج ٥ ص ٥٤٨ (النووي)
 - (٣) سنن الترمذي ج ٤ ص ٣٦٣ وقال حديث حسن صحيح واحمد ج ٦ ص ٤٤٢
 - (٤) ذكره ابن كثير في النهاية ج ٢ ص ٩٣ وعزاه الى ابن ابي الدنيا .

(وقال ابن ابى الدنيا فيما يعزوه اليه ابن كثير عن ابراهيم فسوى
قوله تعالى ((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) قال يجاء بحمائل
الرجل فيوضع فى كفة ميزانه ويجاء بشىء مثل الضمامة او مثل السحاب
كثرة فيوضع فى كفة اخرى فى ميزانه فيرجح فيقال اتدرى ما هذا فيقال
هذا العلم الذى تعلمته وعلمته الناس فملحوه وعلوا به بعدك) (١) .

وقال ابن كثير فى قوله - صلى الله عليه وسلم - (والعمد
لله تملأ الميزان) (فيه دلالة على أن العمل نفسه وان كان عرضاً
قد قام بالفاعل يحمله الله يوم القيامة فيجمله ذاتا وتوضع فى
الميزان) (٢) .

ويقول ابن ابى المنز :

(و قد وردت الاحاديث ايضا بوزن الاعمال انفسها) (٣) .

وهناك روايات اعرضنا عنها لضعفها تدل على ان الوضوء
يوزن مثل ما اورده الترمذى عن الزهري (٤) .

وكذا ما اورده ابن كثير عن سعيد بن المسيب فيما يعزوه الى
ابن ابى شمية انها كرهسا المنديل بعد الوضوء لأن الوضوء يوزن فلا
ينبغي تشييفه بالمنديل .

(١) النهاية ج ٢ ص ١٠٠ وعزاه الى ابن ابى الدنيا .

(٢) النهاية ج ٢ ص ٩٣ .

(٣) الطحاوية ص ٤٧٤ .

(٤) سنن الترمذى ج ١ ص ٧٧ .

وقد ذكر العلامة شاح الترمذى . بعض الأقوال فى معنى

وزن الوضوء منها :

- (١) ان الموزون انما هو ماء الوضوء فيكره ازالته بالتنشيف .
- (٢) ان ما استعمل فى الوضوء هو الذى يوزن لا الباقي على الاعضاء^(١) .
والواقع انه لم يثبت شىء فى وزن الوضوء والخلاف الذى
ذكره صاحب تحفة الاحوذى فى تنشيف الاعضاء وعدمها لكونها
توزن اولا توزن خلاف فى امر غير ثابت كما يظهر من قول الامام ابن
القيم . (وكل حديث فى التنشيف بعد الوضوء فانه لا يصح)^(٢)

* * *

(١) تحفة الاحوذى ج ١ ص ٥٧ .

(٢) المنار المنيف فى الصحيح والضعيف ص ١١٩ .

كيفية وزن العمل

=

وزن العمل وهو عرض مما لم تقبله بعض العقول و حارت في القول به استشكالا لا مكانية وقوعه ولو رجع هو لا الى عقولهم واتهموها لـنـروا انها قد افترضت - حينما نفت ذلك - نقضا في جانب الله وهو عدم قدرته سبحانه على ذلك ان لا معنى للقول باستحالة ذلك الا هـذا التوهم ولا بد .

وحاصل الخلاف في هذه المسألة يمكن تقسيمه الى ما يأتي :-

- (١) منهم من ذهب الى انه يوزن العمل نفسه .
 - (٢) ومنهم من ذهب الى ان العمل وهو عرض يحول الى جسم ثم يوزن .
 - (٣) ومعضهم لم يقل لا يوزن العمل ولا يوزن العرض بل قال يوزن الصحف .
 - (٤) وبعضهم ذهب الى ان الله يجعل علامة من نور أو ظلمة في كفتي الميزان تكون علامة على الحسنات او السيئات .
- والذي تؤيده النصوص من تلك الراء هو القول بوزن العمل نفسه دون القول بتحويله الى جسم او غير ذلك من الاقوال السابقة على انه لا مانع ان يحول الله الاعراض الى اجسام ، لكن القول بأنه تعالى لا يوزنها الا اذا حولها الى اجسام يحتاج الى دليل - فقد رأينا فيما تقدم من النصوص التي تدل على وزن العمل ما يوجب الايمان بذلك وهو وزن الله للاعمال انفسها ، وأما الذين نفوا وزن العمل فيقال لهم ما فائدة ذكر الميزان

والوزن ووصفة بالخفة والشغل ان لم يكن هناك عمل يوزن .

ان كيف يتصور ميزان وصف بصفات ظاهرة معلومة ثم وصف
كذلك في القرآن بالخفة والشغل ثم لا يكون للأعمال اي وزن فما الذي
يتصور ان يوزن اولى من الاعمال التي هي القصد الأول من الحساب
والجزاء والثواب والعقاب .

وقال ابن ابي العز (فلا يلتفت الى ملحد معاند يقول الاعمال
اعراض لا تقبل الوزن وانما يقبل الوزن الاجسام فان الله يقلب
الأعراض اجساماً) (١)

ويحمد بعضهم جدا فيرجعون وزن الله أعمال الجهاد
وهي اعراض الى النور والظلمة حيث تجعلان علامة على الخير والشر
فيقولون .

(ليس يمتنع ان يجعل الله تعالى النور علما للطاعة والظلمة امارة
للمعصية ثم يجعل النور في احدى الكفتين والظلمة في الكفة الأخرى
فان ترجحت كفة النور حكم لصاحبه بالثواب وان ترجحت الأخرى حكم له
بالأخرى) .

وهذا قول القاضي عبد الجبار وهو وان كان يرد على من يقول ان
الميزان هو العدل وبيطل قوله غير انه أول تأويل بصيدا في الموزون وهو
قوله الانف الذكر ذلك ان النصوص تدل على علم هذا التأويل ^{ترد صل} بسـ

(١) شرح الطحاوية ص ٤٧٤ .

هو قول بصيد واقرب منه قوله الذي وافق^{فيه} غيره من العلماء وهو أنه . . .
x

(لا يمتنع أن يجعل الطاعات في الصحائف ثم توضع صحائف الطاعات
في كفه و صحائف المعاصي في كفه ، فأيهما ترجحت حكم لصاحبها
به) (١) . اما قوله يوزن النور والظلمة و تكون عبارة عن الاعمال فهو
مخالف لظواهر النصوص التي تدل على وزن العمل نفسه وليس عبارته
عن النور والظلمة

ويذكر السفاريني رأيا لبعض العلماء وهو انه (توزن نفس الاعمال
فتصور الاعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح في كفة
النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه ، و تصور
الاعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في الكفة المظلمة وهي
الشمال المعدة للسيئات فتخفف بمدد الله سبحانه كما جاء به
الحديث) ثم قال (وقيل ان الله تعالى يخلق أجساما على عدد تلك
الاعمال من غير قلب لها) (٢) .

وهذا القول لا يخرج عن قول القاض عبد الجبار السابق وهو
تأويل يحتاج الى اثبات كما ثبت القول بوزن الاعمال واما ما وراء ذلك من
تلك التفصيلات فهي مسائل غيبية يتوقف القول بها على صحة الدليل
وقد رد السفاريني هذا القول لكنه اثبت ان الموزون هو صحف
الاعمال .

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٧٣٥ وهو قول الحافظ ابن كثير حيث قال

بعدم امتناع (ان يوزن بوضع الصحيفة التي كتب فيها) النهاية ج ٢ ص ٩٣

٩٣٤

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٨٢ .

ونقل عن اكثر العلماء قولهم بهذا - وهذا قول غير ان الاقتصار
على القول بوزن الصحف فقط غير مسلم ان لم يؤخف في الحساب وزن
الامور الاخرى ومنها وزن العمل كما يفهم من اقوال بعضهم مثل قول
السفاري (والحق ما قدمناه ان الموزون صحف الاعمال) وذكر من
اقوال العلماء في تأييد هذا القول فقال (صححه ابن عبد البر والقرطبي
وغيرهما وصوبه الشيخ مرغى في بهجته وذهب اليه جمهور من المفسرين
وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيامة فقال :
(الصحف) ذكره الفخر الرازى وغيره وحكاه ابن عطية عن ابى
المعالى ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات - رواه الترمذى
وحسنه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقى وقال الحاكم
على شرط مسلم (١) و يظهر ان القائلين بوزن الصحف فقط لا يسريدون
ان يقولوا بوزن الاعمال منفصلة عن الصحف .
ويعزو القرطبي الى بعض المتكلمين انكارهم لوزن الاعراض وروى عن
ابن عباس انه قال :

(ان الله تعالى يقلب الاعراض اجساما فيزنها يوم القيامة)

لكن القرطبي يذكر ان الصحيح هو (ان الموازين تثقل بالكتيب
فيها الاعمال مكتوبة وبها تخف كما دل عليه الحديث الصحيح والكتساب
المزي - قال الله عز وجل وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) .

ويمزوا هذا الى ابن عمر أنه قال (توزن صحائف الاعمال) .

ولأن الصحف اجساما فان الله يجعل كما قال القرطبي (رجحان

احدى الكفتين على الأخرى دليلا على كثرة اعماله بادخاله الجنة
أو النار) (١) .

وقد جاء في السنة النبوية ما يفيد قلب الاعراض الى اجسام

كما جاء في الصحيح ان البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنهما

غمامتان غو غبايتان او حزقان من طير صواف .

عن ابن امانة الباهلي رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول (اقروا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيحالا صحابه
اقروا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما

غمامتان او كأنهما غبايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان

عن أصحابهما اقروا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة

ولا يستطيعها البطلة) (٢) .

وجاء ايضا ان القرآن يأتي صاحبه في صورة رجل شاحب اللون

فيقول من انت فيقول أنا القرآن الذي اسهرت ليلك و اظمأت نهارك . .

اخرج الحافظ ابن ماجه عن ابن بريده عن ابيه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم (يجي القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول اننا


الذي اسهرت ليلك و اظمأت نهارك) (٣)

(١) التذكرة ص ٣١٣ .

(٢) تقدم تخريجه في شفاة القرآن .

(٣) اخرجه ابن ماجه ج ٢ ص ٢٢٤٢ (في الزوائد) : اسناده صحيح

ومن ذلك ما جاء في حديث البراء في قصة سوء آل القبر وفيه ان

المؤمن يمثل له عمله في صورة 

(رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي

يسرك - هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من انت فوجهك الوجه

يجسى بالخير فيقول انا عطفك الصالح)

وكذلك الكافر فانه يمثل له عمله في صورة (رجل قبيح الوجه

قبيح الثياب متفنن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي

كنت توعده فيقول من انت فوجهك الوجه يجسى بالشرا فيقول انا عطفك

(الخبيث) (١) - الحديث -

وقال الايام مسلم رحمه الله :

(حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة - و ابو كريب (وتقاربا في اللفظ)

قالا حدثنا ابو معاوية عن الاعشى عن ابي صالح عن ابي سعيد قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم يجا بالموت يوم القيامة كأنه كبش أطح

- زاد ابو كريب - فيوقف بين الجنة والنار وتفقا في باقى الحديث

فيقال يا اهل الجنة هل تصرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ويقولون

نعم هذا الموت قال ويقال يا اهل النار هل تصرفون هذا قال فيشربون

(١) أخرجه ابن أبي عمير في مسنده عن احمد بن محمد بن عيسى ٢٨٧، ٢٨٨، وابو داود ج٢

وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح قال ثم
يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت وبها اهل النار خلود فلا موت قال ثم
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وانذره يوم الحسرة انما قضى الامر
وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) (١) و اشار بيده الى الدنيا (٢) .

* * *

(١) سورة مريم الآية : ٣٩ .

(٢) اخرجه مسلم ج ٥ ص ٢٥٥ و البخارى بمصناه ج ١١ ص ٤١٥ و احمد
ج ٢ ص ٤٢٣ عن ابي هريرة وذكر الألبانى ان الأمام احمد اخرجته
بسند صحيح (الطحاوية) ص ٤٧٥ .

وقد اختلف العلماء في حقيقة الموت اهو عرض لم جسم وليس هذا مجال بحثه غير أن حاصل الخلاف فيه كما يتلخص من كلام العلامة السفاريني:

- ١- ان منهم من يذهب الى انه عرض ومعنى
- ٢- ومنهم من يذهب الى انه جسم لا عرض وانه مخلوق في صورة كبش والحياة في صورة فرس .
- ٣- ومنهم من قال هو لا عرض ولا جسم بل هو عدم محض وبه قال الزمخشري واجابوا عن قوله تعالى (خلق للموت والحياة) بأن الخلق في هذه الآية التقرير وقد ذكر السفاريني بعض الأدلة التي يرجح بها ان الموت جسم لا عرض (١) فاذا كان الموت عرضا فان الله تعالى يحمله في يوم القيامة الى جسم في صورة كبش امح ويذبح بين الجنة والنار وينادي كلا الفريقين لتطمين هو لا* ويتيسر التاك كما ثبت به النص وقد نقل الحكيم الترمذي ان مذهب السلف في حديث الإتيان بالموت في صورة كبش فيذبح " الوقوف حسن الخوض في معناه فنوء من به ونكل علمه الى الله تعالى " (٢)

ومما تقدم تبين لنا ان الله تعالى قادر على أن يقلب الأعراس اجساما ثم يزنها على انه لا يمنع هذا ان الله تعالى يزن الاعمال دون ان

(١) لوامع الانوار ٢ / ٢٣٥ .

(٢) ذكره السفاريني في لوامع الانوار ٢ / ٢٣٥ وعزاه الى الحكيم الترمذي .

يقلبها الى اجسام كما تقدم وقد جاءت العلوم الحديثة بوزن الاسرار
بآلاتها الخاصة وكمثال على ذلك المقاييس التي يستعملها الاطباء
لقياس درجة حرارة المريض فاذا امكن هذا في حق المخلوق فكيف بالخالق
القادر على كل شيء وربما يكون الأولى عدم الخوض في مثل هذه المسائل .
ورد علم ذلك الى الله تعالى .

(٣) - (أدلة وزن صاحائف الأعمال) -

اشرنا فيما مضى الى ان الصحف توزن وهو قول كثير من علماء السلف ومن ادلتهم ما اخرجه الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله سيخلص رجلا من امتى على رؤس الخلائق يوم القيامة - وفى رواية ابن ماجه يصاح برجل - فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول افلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال انك لا تظلم قائ فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفه فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء (١)

وهذا الحديث قد استدل به العلامة ابن ابى الحز على صفة الميزان وثبوت وزن الصحف فقال : (والذى دلت عليه السنة ان ميزان الاعمال له كفتان **حسيتان** مشاهدتان) ثم قال : " روى الامام احمد من حديث ابى عبد الرحمن

(١) اخرجه الترمذى ٠٢٥/٥ وابن ماجه فى سننه ٠٤٣٧/٢ وتسال

الترمذى بعد اخراجه له : " هذا حديث حسن غريب " والبطاقة : هى الرقعة .

قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرو الحديث (١) وهذا الحديث قد ثبتت صحته وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي وحسنه الترمذي . (٢)

وقد الف العلامة ابو القاسم حمزه بن محمد بن علي الكتاني كتابا سماه جزء البطاقة (٣) وقال عنه أنه من احسن الحديث " وكل من يثبت وزن الصحف فإنه يستدل بهذا الحديث . (٤)

ولعل بعض الناس يستقل هذه الشهادة وانها تكون اثقل من كل الصحف المذكورة في الحديث ولكن هذه الكلمة وان كانت تقال من كل احد من المسلمين الا ان مدار ثمرتها على الاخلاص واعتقاد معناها لا مجرد التلفظ بها وان المتكلمين بها ليسوا سواء فانهم يتفاوتون اشد التفاوت تبولا وردا وزيادة ونقصانا ولهذا ورد في الحديث ان من كان اخر كلامه في الدنيا شهادة ان لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان آخر كلامه في الدنيا لا اله الا الله وجبت له الجنة) (٥)

ويذكر القرطبي في التذكرة أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تكون في رقعة يلتقيها النبي صلى الله عليه وسلم في كافة حسنات العبد فترجع

(١) - (٢) شرح الطحاوية ص ٤٧٢ تعليق الالباني .

(٣) مخطوط بمكتبة الشيخ / حماد الانصاري .

(٤) انظر: الاسئلة والاجوبة الاصولية ص : ٢٢٢ .

(٥) قال القرطبي في التذكرة ص: ٣١٦ رواه صالح بن ابي فريب عن كثير ابن هرة عن معاذ .

الكفة ولم يبين القرطبي مستند هذه الرواية الا عن القشيري في تفسيره وجاء
بها على صيغة تشعر بضعفها وهي قوله :
وفى الخبر اذا اخفت حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالباقه كالانطه . فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجع
الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بأبى أنت
وامى ما احسن وجهك وما احسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد وهذه
صلاتك على التى كنت تصلى على وقد وفيتك اياها احوج ما تكون اليها (١)
وهنا استشكال وهو أنه بعد أن اثبتنا وزن العامل والعمل والصحف
فهل معنى ذلك ان الله تعالى يزن جميع هذه الامور للشخص الواحد ام انه
يوزن بعضها ولا يوزن البعض الاخر واذا كان كذلك فما الذى يوزن من تلك
الامور هل هو العمل وحده ام الصحف وحدها ام العامل وحده وهذه الاسئلة
لم أجد للعلماء كلام/فيما اعلم والذى بيد ووالله أعلم ان الله تبارك وتعالى
برحمته وشفوه يراعى الارحم بعينه اذا أراد له النجاح فى الحساب فاذا كان
الارحم به وان يزنه نفسه لأنه اقل من اعماله وصحفه مثلا وزنه واذا كانت
الصحف اكثر وزنا وزنها واذا كانت الاعمال أكثر ثقلا وزنها . والله أعلم .

*** الفصل السابع ***

ممممم

((حكمة الله تعالى في وزن أعمال العباد . . . والرد على))

صن ينكره

كل مسلم يعلم أن الله تعالى حكيم عليم يفعل ما يشاء لحكمة وقد يعرف الناس بعض الجوانب من الحكم وقد تخفى عليهم وإذا كان الناس ينزهون العقلاء من بنى آدم عن اتيانهم أعمالا لا حكمه فيها ولا فائدة من ورائها فكيف بالله سبحانه وتعالى .

وليس من صفات المسلم الحق أن يرد ما أخبر الله به أو يتأوله بما يبطل المراد منه ، ومن ذلك أمر الميزان فقد أخبر الله به وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم فيجب الايمان بذلك وان لله حكمة عظيمة في نصيبه يوم القيامة من اعلمها وأجلها اظهار اقص كمال عدله وجل وعلا بهمن عاده حتى لا يساوى المحسن بالفسق وليظهر التفاوت بين البشر جلها واضحا يقتنع كل مخلوق بذلك كما يقتنعون بما يرجحه الميزان في الدنيا ولو شاء الله أن لا يقيم الميزان ويأخذ العباد بما يعلمه سبحانه من اعمالهم الطيبة أو الخبيثة لما كان في ذلك أو نقص على العباد ولا هضم لحق أى مخلوق (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (١)

لكن الله تعالى لم يشأ ذلك بل أراد ان يعلم العباد بأعمالهم بصفا يقتنعون به هم انفسهم وحتى لا يبقى حجة ولا اعتراض لمعتزلي ولله الحجة البالغة .

وفى بيان حكمة الله فى اقامة الميزان يقول الثعلبى " بأن الحكمة فى ذلك
تعريف الله عباده عدد ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر " (١)
" وقال الشيخ مرمى فيما ينسبه اليه السفارنى بل الحكمة فيه اظهار
العدل وبيان الفضل حيث انه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر " وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما (٢) (سورة النساء : آية ٤٠)
ويقول البرديسى : " وحكمة الوزن ليبين ما يستحقه من العذاب وما يكون
فيه من درجات الجنة (٣)

ويقول القاضى عبد الجبار من كبار المعتزلة عن فائدة وضع الموازين :
" واما فائدته فهو تعجيل مسرة المؤمن وطم الكافر هذا فى القيامة
وفيه فائدة اخرى تتمثل بالتكليف وهى أن المرء مع طمته أن أعماله تسون
على الملاك ان عند ذلك أقرب الى اداء الواجبات واجتناب المقبحات وهذه
فائدة عظيمة " (٤) .

ويقول الطبرى فى رده على من يدكر الميزان والحكمة منه : " فان الكسر
ذلك جاهل بتوجيه معنى خير الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله
عليه وسلم عنه وجهته وقال أوبالله حاجة الى وزن الاشياء وهو العالم
بمقدار كل شىء قبل خلقه اياه وبعدده وفى كل حال او قال وكيف تسون

(١) - (٢) لوايح الانوار ١٨٨ / ٢ .

(٣) - تكملة شرح الصدور ص : ٢٦ .

(٤) - شرح الاصول الخمسة ص : ٢٢٦ .

والاعمال ليست باجسام توصف بالثقل والخفة وانما توزن الأشياء ليصرف
ثقلها من خفتها وكثرتها من قلتها وذلك لا يجوز الا على الاشياء التي توصف
بالثقل والخفة والكثرة والقلّة قيل له في قوله : وما وجه وزن الله الاعمال
وهو العالم بمقاديرها قبل كونها ، وزن ذلك نظير اثباته اياه في ام الكتاب
واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة اليه ومن غير نسيانه وهو العالم
بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده بل ليكون ذلك حجة
على خلقه كما قال جل ثناؤه في تنزيله " كل امة تدعى الى كتابها اليوم
تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (الاية
فذلك وزنه تعالى اعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم اما بالتقصير فسس
طاعته والتضييع واما بالتكميل والتنميم " (١)
ويقول ابن ابي الحز في رده على الذين ينفون الميزان لخفاء الحكمة
عليهم. وقولهم انه لا يحتاج الى الميزان الا اليقال والقوال ومدى خطورة
هذا الكلام يقول :-

" فحلينا الايمان بالذبيب كما اخبرنا الصادق صلى الله عليه وسلم من غير
زيادة ولا نقصان وبإخية من ينفي وضع الموازين القسط. ليوم القيامة كما اخبر
الشارع لخفاء الحكمة عليه وهقدح في الصواب بقوله لا يحتاج الى الميزان
الا اليقال والقوال وما احراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يسوم
القيامة وزنا ولولم يكن من الحكمة في وزن الاعمال الا ظهور عدله سبحانه

لجميع عباده فانه لا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك ارسل
الرسول مبشرين ومنذرين فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه " (١)
ثم ان الذين يحاولون التشكيك في الميزان او انكار حقيقته لا يستندون على
أى دليل يصح الاحتجاج به ((بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستحادات
العقلية وليس في ذلك حجة على أحد فهذا اذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته
عقول قوم هي اقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاءت
البدع كالليل المظلم وقال كل ما شاء وتركوا الشرع خلف ظهورهم ولبتهم
جاؤا بأحكام عقلية يتفنن العقلاء عليها ويتحد قبولهم لها بل كل فريق يدعى
على العقل ما يطابق هواه ويوافق ما يذهب اليه هواه ومن هو تابع لسه
فتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم يعرف هذا كل منصف ومن
انكره فليصف فهمه وعقله عن شوائب التعصب والتذهب فانه ان فصل ذلك
اسفر الصبح لعينيه " (٢)

وذكر محمد رشيد رضا " ان حكمة وزن الاعمال بعد الحساب انه يكون اعظم
مظهر لعدل الرب تبارك وتعالى أى ولعلمه وحكمته وعظمته في ذلك اليوم
العظيم اذ يرى فيه عباده افرادا وشعوبا وامما ذلك بأعيانهم ويعرفونه معرفة
ادراك ووجدان في انفسهم فان اعمالهم تتجلى لهم فيها اولا ثم تتجلى لهم
ولسائر الخلق في خارجها ثانيا فباله من مظهر مهيب وباله من مظهر رهيب

(١) شرح الطحاوية ص : ٤٧٥

(٢) فتح القدير ٢ / ١٦٠

وما اشد غفلة من قال انه لا حاجة اليه للاستغناء بعلم الله عنه (١)
ومهما قيل في الحكمة فان الامر لا يزال يتطلب الايمان الكامل بأن وزن الاعمال
هو عين الحكمة وان هذه مجرد استنباطات للملما وتبقى حقيقة علم ذلستك
الى الله وحده .

*** الفصل الثامن ***

مممم

✓ (١) مرجحات الميزان (أ) -

من الطبيعي جدا مصرفة ان مرجحات الميزان في يوم القيامة هو العمل الصالح والتقرب الى الله بالافعال الطيبة وفي ما امر به سبحانه او امر به نبيه صلى الله عليه وسلم .

والاعمال الصالحة كثيرة متنوعة يطول تعدادها وان كان بعض العلماء قد ذكر اشياء في ذلك على انها مرجحات للميزان مثل ما ذكر البرديسي في قوله للميزان مرجحات كثيرة منها قول لا اله الا الله لحديث البطاقة المشهور المتقدم .

ومنها : الخلق الحسن لقوله عليه الصلاة والسلام ما من شيء يوضع في الميزان يوم القيامة اثقل من خلق حسن ومنها قراءة كتابه حاجسمة المسلم ففي الحديث (من قضى لآخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه يوم القيامة فان رجح والا شفعت له)

ومنها قراءة القرآن وتعليم الناس الخير ومداد العلماء واتباع الجنائسز والولد الذي يموت للانسان فيحتسبه والصلاة على النبي صلى الله عليه عليه وسلم وكثرة الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصدقة وتخفيف الحمل على الخادم والاضحية واهالة التراب على قبر المسلم ورجحان الميزان في الدنيا كما ورد بذلك كله الأحاديث " (١)

وكل هذه المسائل التي ذكرها البرديسي ونيرها مما لم يذكره يشتملها
كلها وجود الممل الصالح فهو الذي عليه مدار الثقل والخفة .

*** الفصل التاسع ***

مممممم

.. (متى تنصب الموازين) ..

ما هو معلوم أن الله تعالى ينصب يوم القيامة الموازين لوزن العباد
أو أعمالهم أو صحفهم وذلك لكامل عدله ورحمته بهم وإذا تقررت
فمتى تنصب الموازين وما ترتيبها بالنسبة لمواقف يوم القيامة الواقع أن ترتيب
أعمال يوم القيامة لا يحتاج إلى أعمال فكر لأنها من المسائل الخبيبة التي
لا مجال للخوض فيها إلا بدليل ثابت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم
وحيث أنه لم يرد - فيما نيسر لي الاطلاع عليه - من يبين تلك الأعمال
مرتبة فليس أمامنا هنا إلا ما قاله أهل العلم فيها بحسب اجتهادهم
فالقريب يذكر نقلاً عن العلماء أنهم قالوا :-

" إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي

أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لا يظهر مقاديرها

ليكون الجزاء بحسبها " (١)

وهذا الترتيب مناسب من ناحية الزمن لأن الله تعالى يحاسب الشخص على
أعماله ويقرره بها ثم بعد ذلك ينصب له الميزان ليكون نتيجة تلك المحاسبة

(١) التذكرة ص : ٣٠٦

ليطلع الله العبد على صدق تلك المحاسبة ظاهرا في ميزانه .
وقال البرديسي : " وقت الوزن عند الفراغ من السؤال والحساب " (١)
هذا ما يتعلق بترتيب الميزان والحساب وهناك مسألة اخرى تتعلق بترتيب

الميزان بالنسبة للحوض هل هو قبله أم بعده فيه خلاف :

١- فقيل الميزان قبل

٢- وقيل الحوض قبل

والظاهر من النصوص ان الحوض قبل الميزان وهو ما يقتضيه الحال ولهذا

يقول ابو الحسن القاسمي : " والصحيح ان الحوض قبل " قال القرطبي

" والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون عطاشا من قهورهم كما تقدم

فيقدم على الصراط والميزان " (١)

ومعلوم انه ليس بعد الحساب والميزان الا النتيجة النهائية لكلا الفريقين .

ولا يتصور أن يؤخر الحوض بعد الميزان الا عند القائلين بوجود حوضين

احدهما قبل الصراط والاخر بعده

وموضع تفصيل هذا في بحث الحوض كما سيأتى ان شاء الله تعالى .

(١) تكملة شرح الصدور ص: ٢٩ .

(٢) التذكرة ص: ٣٠٢ .

*** الفصل العاشر ***
معمم

((لمن ينصب الميزان)) ✓

الظواهر من النصوص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تشير الى ان كل عبد لابد من اقامة الميزان له غير ان في بعض الروايات ما يفيد اختصاص طوائف من البشر بعدم اقامة الميزان لهم اما اكراما واظهارا لشرفهم وفضلهم واما اظهارا لذلتهم وخزيتهم .

قال القرطبي " الميزان حق ولا يكون في حق كل احد " (١)

ويستدل لهذا بما ورد في حديث الشفاعة عن ابي هريرة رضي الله عنه وفيه : " فيقول يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة (٠٠٠٠) (٢) الحديث .

قال وانما يكون لمن بقى من أهل المحشر ممن خلط عملا صالحا وسوءا من المؤمن وقد يكون للكافر على ما تقدم وبأني فاذا كان هؤلاء لا يحاسبون فمن باب أولى ان لا يطاق لهم ميزان .

وقال البرديسي : " لا يكون لكل احد فمن يدخل الجنة بخير حساب لا يوزن له عمل على أحد الثقلين وقيل ان أهل الدبر لا توزن اعمالهم بل ينصب لهم

الاجر صبا (٣)

(١) التذكرة ص : ٣٧٥ .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) تكملة شرح الصدور ص : ١٥ .

وتذكر هنا أخبار في عدم إقامة الميزان لأهل البلاء في الدنيا نذكر
منها ما يأتي :-

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تنصب الموازين يوم القيامة
فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصيام
فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين
ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء
فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان وينصب عليهم الأجر صا بغير
حساب " (١)

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يؤتى
بالشاهد يوم القيامة فينصب للحساب ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب
ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فينصب لهم
الأجر صا حتى ان أهل العافية ليتننن في الموقف ان اجسامهم قرضت
بالمقاريض لما يرون من حسن ثواب الله تعالى لهم " (٢)
وعن الحسن بن علي رضوان الله عليهما قال : قال لي جـ

(١) ذكره القرطبي في التذكرة ص: ٣١١ وعزاه الى القاضي منذر بن سعيد
البلوطي .

(٢) ذكره القرطبي وعزاه الى ابي نعيم وقد وصفه القرطبي في التذكرة ص: ١١٠
بأنه " حديث غريب من حديث جابر الجعفي وقائدة وتفرد به عن قتادة
عن جابر عن ابن عباس عن مجاعة بن الزبير " .

صلى الله عليه وسلم يا بنى عليك بالقناعة تكن من اغنى الناس واد الفرائض
تكن من اعبد الناس يا بنى ان فى الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى
يوهتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان
يصب عليهم الاجر صبا وقرأ صلى الله عليه وسلم (انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب) (١)

ومنه السبعون الفا الذين ورد الخبر بدخولهم الجنة بغير حساب
وفيهم بقول الغزالي : " والسبعون الالف الذين يدخلون الجنة بلا حساب
لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا وانما هى براءات مكتوبه :
لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد
سعادة لا يشقى بعدها فما مر عليه شئ أسر من ذلك المقام " (٢)

وقال القرطبي فيما يعزوه الى أهل العلم ان الناس فى الآخرة ينقسمون
الى ثلاث طبقات :

١- متقون لا كبائر لهم .

٢- مخلطون وهم الذين يوافقون بالفواحش والكبائر .

٣- كفار .

فأما المتقون فان حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وصفائهم ان كانت
لهم فى الكفة الاخرى فلا يجعل الله لتلك الصفائف وزنا وتثقل الكفة

(١) ذكره القرطبي فى التذكرة ص ٣١٢ وعزاه الى أبى الفرج ابن الجوزى .

(٢) ذكره القرطبي فى التذكرة ص ٣١١ وعزاه الى الغزالي .

النيرة حتى لا تبرح وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي .

واما المخلطون فحسنتهم توضع في الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة

ويكون لكبائرهم ثقل فان كانت الحسنات اثقل ولو بصو^ا به (١) دخل الجنة

وان كانت السيئات اثقل ولو بصو^ا به دخل النار الا ان يعفو الله وان

تساوى كان من اصحاب الاعراف على ما يأتي هذا ان كانت الكبائر فيمسا

بينه وبين الله واما ان كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فانه ينقص

من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات لكثرة ما عليه من التبعات فيحمل عليه

من اوزار من ظلمهم ثم يعذب على الجميع هذا ما تقتضيه الاخبار "

ثم ذكر تقسيما آخر ل احمد بن حنبل وهو قوله : " تبعث الناس يوم القيامة

على ثلاث فرق :

١- فرقة اغنيا^ا بالاعمال الصالحة .

٢- وفرقة فقرا^ا .

٣- وفرقة اغنيا^ا .

ثم يصيرون فقرا^ا فليس في شأن التبعات "

وقال سفيان الثوري : " انك ان تلق الله عز وجل بسبعين ذنبا فيما بينك

وبينه أهون عليك من ان تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد " (٢)

(١) الصو^ا به : بالهمزة بيضة القلمه ، مختار الصحاح : ص : ٢٨٠ .

(٢) التذكرة ص : ٣١٤ .

وقد ذكر ابن حجر في تعليقه على قول البخاري رحمه الله " باب قول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وان اعمال بنى آدم وقولهم يوزن " (١) ان ظاهره التعميم لكنه يخص بطائفتين :

١- طائفة كفار لم يعملوا حسنة فانهم يقعون في النار من غير حساب ولا ميزان .

٢- وطائفة مؤمنون لاسيئات لهم ولهم حسنات كثيرة زائدة على محض الايمان

وهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب كالسبعين الالف ومن شاء الله

ان يلحقهم بهم وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف والريح

وكأجاويد الخيل قال ابن حجر: " ومن عدا هذين من الكفار والمؤمنين

يحاسبون وتعرض اعمالهم على الموازين " (٢)

ونذكر فيما يلي مزيدا من الايضاح لمسألة وزن اعمال الكفار .

(١) صحيح البخاري ١٣/٥٣٧ .

(٢) انظر: فتح الباري ١٣/٥٣٨ .

- (هل توزن أعمال الكفار) -

سبقت الإشارة الى أن عتاة الكفار الذين لا خير معهم لا ينصب لهم ميزان ولا يوقفون لحساب .

وإذا كان المراد من الميزان تقابل حسنات العبد بسيئاته ليكون المصير بعد ذلك حسب نتيجة الوزن فما الذى يوجد مع الكافر حتى ينصب له الميزان فتتقابل حسناته بسيئاته ليتبين مقادير كل منهما فهو لا حسنات له إذ ان كفتا ميزانه قد شغلت كلها بالسيئات فهل يعنى هذا انه لا ينصب له ميزان اليقظة ام انه ينصب له باعتبار ما قد يوجد عنده من الحسنات كالتصدق وصلة الرحم وما الى ذلك من اعمال البر .

الواقع ان الوال العلماء قد اختلفت حول هذه المسألة بعضهم يقول لا توزن وبعضهم يقول توزن والمسألة فيما يظهر قابلة لكل الاحتمالات ، وفى هذا يقول القرطبي :

" انما توزن اعمال المؤمن المتقى لظهار فضله كما توزن اعمال الكافر لخزيه وذل له فان أعماله توزن تبكيها له على فراغه وخلوه عن كل خير وكذل لك توزن أعمال المتقى تحسينا لحاله وإشارة لخلوه من كل شر وتزيينا لامره على رؤس الاشهاد " (١)

وقد وجه القول فى وزن الله لاعمال الكفار وعدم وزنه لها بوجهين :

احدهما : ان الكافر يحضر له ميزان فهو وضع كفره وسيئاته فى احدى كفتيه

ثم يقال له هل لك من طاعة تضعها في الكفة الاخرى فلا يجدها فيشال
الميزان فتترفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة فذلك خفة ميزانه وهذا
ظاهر الآية لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون واذا كسان
فارغا فهو خفيف .

والوجه الآخر: ان الكافر يكون منه صلة الارحام ومواساة الناس وحق المملوك
ونحوها مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة فمن كانت له مثل هذه
الخيرات من الكفار فانها تجمع وتوضع في ميزانه غير ان الكفر اذا قابلها
رجح بها ولم يخل من ان يكون الجانب الذي فيه الخيرات من ميزانه خفيفا
ولو لم يكن له الا شبر واحد او حبه واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا^(١)
ويجزم بعض العلماء بالقول بعدم وزن الله تعالى اعمال الكفار وان الوزن
خاص بالمؤمنين ويستدلون على هذا بقوله تعالى :

١- (وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) (٢)

٢- (مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف

لا يقدرون مما كسبوا على شئ) (٣) (٤)

٣- وقوله تعالى : (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) (٥)

(١) التذكرة : ص : ٣١٢ .

(٢) سورة الفرقان : آية : ٢٣ .

(٣) سورة ابراهيم : آية : ١٨ .

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية ص: ١٢٥ لمحمد خليل هراس .

(٥) سورة الكهف : آية : ١٠٥ .

وفى هذا يقول السفاريني :

" والحق ان الكفار لا يقيم الله لهم وزنا لقوله تعالى (فلا نقيم لهم يوم

القيامة وزنا) (١)

وهذا غير مسلم عند من يقول بوزن الله تعالى اعمالهم ويجهبون عن الآية

الكريمة (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) .

يجهبون عن الآية الكريمة بأن المراد منها : " انه تعالى لا يقيم لهم وزنا

نافعا " كما فى قوله تعالى (وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء

منثورا) (٢)

أى كالهباء فى عدم نفعه وحصول فائدته . (٣)

ويقول محمد رشيد رضا : " لكن بعض العلماء يقولون ان الوزن للمؤمنين

خاصة لانه تعالى قال فى الكفار (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قال :

واجاب الآخرون بان معناه ما تقدم آنفا فى بحث الوزن فى اللغة من انه

لا يكون لهم قيمة ولا قدر " .

واستدل المثبتون كذلك بقوله تعالى من سورة المؤمنين (فمن ثقلت موازينه

فألك هم المفلحون ومن خفت موازينه فألك الذين خسروا انفسهم فى جهنم

خالدين تلافح وجوههم النار وهم فيها كالحون الم تكن آياتى تتلى عليكم

فكنتم بها تكذبون) (٤) سورة المؤمنين : آية : ١٠٢ ، ١٠٥) .

(١) لوامع الانوار ٢ / ١٨٥ .

(٢) سورة الفرقان : آية : ٢٣ .

(٣) لوامع الانوار ٢ / ١٨٥ .

(٤) تفسير المنار ٨ / ٣٢٠ .

وظاهر رأى شيخ الاسلام القول بعدم وزن الله اعمال الكفار وهذا فى قوله (واما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فانسه لاحسنات لهم ولكن تعد اعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها) (١) وقد استغرب محمد رشيد رضا قول شيخ الاسلام واعتبره سهوا منه بسببه ما كان عالقا فى ذهنه من اقوال الذين يذهبون الى عدم وزن اعمال الكفار يقول :-

" ومن المستغرب ان شيخ الاسلام ابن تيمية قال بعد ذكر آيتي الموازين فى الثقل والخفة من سورة المؤمنين ان الكفار لا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته اذ لاحسنات لهم ولكن تعد اعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها وهو سهو سببه والله اعلم ما كان علق بذهنه من هذا القول " .

وقال يرد عليه " وما من كافر الا له حسنات ولكن الكفر يحبطها فتكون هباء منثورا وهى تحصى مع السيئات وتضبط بالوزن الذى به يظهر مقدار الجزاء وتفاوتهم فيه واستدلوا على تخفيف العذاب عن الكافر بسبب علمه الصالح بما ورد فى الصحيح من التخفيف عن ابى طالب " (٢)

الى آخر كلامه فى الاحتجاج على وزن اعمال الكفار وان لهم حسنات يجاوزون بها فى الاخرة بالتخفيف عنهم وعدم تساويهم فى العذاب " .

(١) صحيح مسلم ٤٧٣/٥ . العنبر والواهب ص ٢٥
(٢) تفسير المنار ٨/٣٢٠ - ٣٢١ .

وقال الهراس مرجحا عدم وزن أعمال الكفار والصحيح أن أعمال الخير
التي يعملها الكافر يجازى بها في الدنيا فقط حتى اذا جاء يوم القيامة
وجد صحيفة حسناته بهضاء " وقيل يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر"^(١)
ولعله يشير بهذا الى ما جاء في السنة النبوية من ان الكافر يطعم بحسنات
ما قدم في الدنيا حتى اذا جاء يوم القيامة لم يجد له حسنة كما جـسـاء
في صحيح مسلم عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال (ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يحطى بها في الدنيا ويجزى
بها في الآخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى

اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنات يجزى بها " (٢)
~~وقد أورد الأمام مسلم هذا الحديث تحت الترجمة " باب جزاء المؤمن بحسنات~~
~~مرد جا هذا الحديث فصح مسلم كذا في الرسم~~

في الدنيا والآخرة وتبجيل حسنات الكافر في الدنيا " •
قال النووي : اجمع العلماء على ان الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له
في الآخرة ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربا الى الله تعالى
وصرح في هذا الحديث بأن يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات أي بما
فعله متقربا به الى الله تعالى مما لا ينتقر صحتة الى النية كصلة الرحم
والصدقة والعق و الضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها •

وأما المؤمن فيدخله حسناته وثواب اعماله الى الآخرة ويجزى بها مسج

(١) شرح الواسطية ص: ١٢٥

(٢) صحيح مسلم ٦٧٣/٥

ذلك ايضا في الدنيا ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والاخرة وقد ورد

الشرع به فوجب اعتقاده " (١)

ومعنى قوله (ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة) معناه لا يترك مجازاته بشئ

من حسناته " (٢)

وقال محمد رضا معلقا على هذا الحديث بأنه " لا يمتنع وزنها في الاخسرة

وان لا يكون لها مع الكفر والسيئات دخل في رجحان موازينهم " (٣)

وجاء ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من عهد الله بن جدعان

وقبل له انه كان يقضى الضيف ويصل الرحم ويحسين في النواصب فهل ينفعه

ذلك فقال لا لأنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين " (٤)

وسأله عدى بن حاتم عن ابيه مثل ذلك فقال ان اباك طلب امرا فأدر كنهه " (٥)

وقد اجاب القرطبي عن جواب الرسول صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم

وجوابه من ابن جدعان بعدم انتفاعهما بحملهما الحسنات بأن ذلك يطلق

(١) شرح النووي لمسلم ٦٧٤/٥

(٢) نفس المصدر وفسر المصحفة

(٣) تفسير العار ٢٢١/٨

(٤) التذكرة ص : ٣١٢

(٥) المصدر السابق

على التخفيف من العذاب وانهما لا يدخلان الجنة لا ان الله لا يجازيهمما
بحسناتهما فقد قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيئا)

" ولم يفصل بين نفس ونفس فخبرات الكافر توزن ويجزي بها الا أن الله
تعالى حرم عليه الجنة فجزاؤه أن يخفف عنه بدليل حديث ابي طالب
فانه قيل له يا رسول الله ان ابا طالب كان يحوطك ويصرك فهل نفعه
ذلك فقال : نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحراج ولولا
انا لكان في الدرك الاسفل من النار وما قاله عليه السلام في ابن جد عمان
وحاتم اما هو في أنهما لا يدخلان الجنة ولا يتلحمان بشئ من نعمهما (١)
ولا يلزم من ذلك ان الله يخفف عن الكافر بحسناته في الدنيا حتما فقد
يجازيه الله بحسنات ما قدم في الدنيا وهو الاغلب للنص السابق واذا لم
يجازيه في الدنيا فالظاهر أنه يجزيه بها في الآخرة التخفيف عنه
واما الاستدلال بحديث ابي طالب على عموم الكفار فانه لا يدل على أن الكفار
يخفف عنهم من عذابها وانما ذلك التخفيف خارج بأبي طالب وحده دون
سائر الكفار كما تنفيده ظواهر النصوص وأقوال العلماء .

*** الفصل الحادى عشر ***

(كيفية الوزن)

وقد اختلف العلماء فى كيفية الوزن هل هو على ما عهد من موازين الدنيا

أم ان الامر يختلف ؟

والجواب: ان هذه المسألة مما وقع فيها الخلاف بين العلماء فبعضهم

يذهب الى انه مثل كيفية الوزن فى الدنيا •

وبعضهم يذهب الى عكس ذلك •

وقد اشار القرطبي الى ان الوزن فى الآخرة كنهيته مثل كنهيته فى الدنيا (١)

وهذا ما ذكره البرديسى أيضا بقوله : " وكهنيته على ما عهد فى الدنيا

ما ثقل نزل الى اسفل ثم يرفح الى عليين وما خف طاب الى اعلا ثم ينزل

الى سجين "

ثم قال أيضا : " وقيل بالمعكس " (٢)

وهذا كذلك ان علامة الرجحان او عدمه أن يقوم عمود يشير الى النتيجة

فاذا رجحت الحسنات قام عمود من كفة النور حتى يكسو كفة الظلمة واذا رجحت

السيئات قام عمود من كفة الظلمة حتى يكسو كفة النور (٣) أى ليس الوزن على

ما عهد فى الدنيا •

(١) التذكرة ص : ٣١٢ •

(٢) تكملة شرح الصدور ص : ٢٦ •

(٣) المصدر السابق •

وهل توزن أعمال العباد جميعهم في مرة واحدة ام ان كل شخص توزن
أعماله بمفرده ؟

نقل البرديسي فيما يعزوه الى ابن عمراه قال :

صفة الوزن ان يجعل جميع اعمال العباد في الميزان في مرة واحدة الحسنات
في كفة النور والسيئات في كفة الظلمة ويجعل الله لكل انسان علما مستوريا
يفهم به خفة اعماله وثقلها " .

قال البرديسي : " وهو مخالف لكلام غيره من ان كل شخص توزن اعماله

وحده فتجعل حسناته في كفة وسيئاته في كفة (١)

والواقع ان تلك التفاصيل كلها مما يحتاج لاثباته الى امر اذ لا يعلم كيفية
الوزن الا الله سبحانه وتعالى والصحيح من ذلك هو ما اشار اليه جل وعلا
من أن هناك موازين تتصف بالخفة والثقل حسب عمل العبد واما هل هي
على ما عهدنا من صفة موازين الدنيا ام تختلف فالله اعلم بذلك وأما ما نسبته
البرديسي الى ابن عمر فالله اعلم بصحة ذلك عن ابن عمر وهي كذلك مسألة
تحتاج الى نص يثبتها فقد توزن اعمال العباد مرة واحدة وقد يوزن عمل كل
عبد بمفرده وربما يكون القول الاخير هو الأرجح كما تفيد ظواهر النصوص .

(١) تكملة شرح للصنوبر ص ٢٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦ .

*** الفصل الثاني عشر ***

— (هل هو ميزان واحد في يوم القيامة ام موازين متعددة) —

هذه المسألة من المسائل التي يجب ان نكل علم حقيقتها الى الله تعالى
ولأنه لم يثبت بها نس قاطح فقد صارت مسألة خلافية بين العلماء وقد ذكر
الله تعالى في القرآن الكريم الميزان بلفظ الجمع فقال تعالى (ونضج
الموازين القسط) (١)

وقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت
موازينه فانه هابية) (٢)

وقال تعالى (فمن ثقلت موازينه فألك هم المفلحون ومن خفت موازينه
فألك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون) (٣)

الى غير ذلك من الآيات •

وجاء في السنة بلفظ الافراد والجمع •

١- فمما جاء في السنة بلفظ الافراد ما تقدم في الصحيحين في بحث الأدلة

الحديث الاول والثاني والثالث وغير ذلك من الاحاديث التي اوردنا

• ذكرها

٢- ومما جاء بلفظ الجمع ما تقدم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي توضع

الموازين الى آخره ••••

(١) سورة الانبياء : آية : ٤٧ •

(٢) سورة القارعة : آية : ٦ - ٧ •

(٣) سورة المؤمنون : ١٠٢ - ١٠٣ •

ولهذا فقد اختلفت وجهات العلماء في ذلك ، وحاصل الخلاف في هذه

المسألة يرجع الى الاقوال الآتية :-

القول الأول : يجوز أن يكون هناك موازين للخاص الواحد يوزن بكل ميزان

• منها صنف من أعماله

القول الثاني :- يمكن ان يكون ميزانا واحدا عبر عنه بلفظ الجمع كما قال

تعالى (كذبت عاد المرسلين) (١) (كذبت قوم نوح المرسلين) (٢)

• وانما هو رسول واحد

القول الثالث: ان (المراد بالموازين جمع موزون اى الاعمال الموزونة لا جمع

ميزان " (٣)

وهذا ما اشار اليه القرطبي وقوله ان الموازين جمع موزون

لا يستقيم مع سائر الآيات وما جاء بعدها من اوصاف كما قال

تعالى (وضح الموازين القسط) فالقسط يأتي قطعاً للميزان

• لا للموزونات

وقال السفاريني مبيناً عدد الموازين :

اختلف في الميزان هل هو واحد أو أكثر :

١- فالاشهر انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال كفتناه

(١) سورة الشعراء : آية : ١٢٣ •

(٢) سورة الشعراء : آية : ١٠٥ •

(٣) التذكرة ص : ٣٢٠ •

كأطباق السماوات والأرض

• وقيل انه لكل امة ميزان

وقال الحسن البصرى : لكل واحد من المكلفين ميزان

وقال بعضهم الاظهر اثبات موازين يوم القيامة لاميزان واحد لقوله تعالى

(ووضح الموازين القسط) وقوله (فمن ثقلت موازينه) قال : وعلى هذا

فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق

بالقول ميزان "

قال السفارنى : " اورد هذا ابن عطية : وقال الناس على خلاقه وانما

لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد

وقال بعضهم : انما جمع الموازين فى الآية الكريمة لكثرة من توزن اعمالهم

وهو حسن " (١)

وقد رجح الحافظ ابن حجر : " انه ميزان واحد ولا يشكل بكثرة من يسوزن

هله لأن أحوال يوم القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا) (٢)

وخلاصة ذلك ان الميزان مرة جاء بلفظ الجمع وهو ما مر عنه القرآن الكريم

ومرة جاء بلفظ الافراد ولفظ الجمع ايضا وهو ما نطقت به السنة وللمسائل

الارجح فى ذلك أن يقال اننا ثبت ان هناك موازين كما نطق به القرآن

ولم نكلف البحث عما وراء ذلك من الامور

(١) لوامع الانوار : ٢ / ١٨٦

(٢) فتح البارى ١٢ / ٥٢٨

*** الفصل الثالث عشر ***

— (هل تسوزن أعمال الجن) —

تكلما فيما مضى عن أحكام الائن فى الآخرة وذكرنا لكل موقف فصلا خاصا بهم مثل وجوب الايمان بالخبىب ثم حشر . الخلق الى الموقف ثم الموقف ثم ما يقع فيه من أمور ما ذكرناه مفصلا .

ولما كان العالم الآخر الذى يشاطر الناس فى التكاليف وفى سكنى هذه الدار ويشاطرهم سكنى الدار الآخرة أيضا هم الجن ولما كنا قد فصلنا هذه المواضع وجعلناها قاصرة على عالم الائن اردنا استيفاء للموضوع وتكميلا للبحث ان تكمل هذه الدراسة بذكر ما يتعلق بالجن من أحكام الدار الآخرة .

وقبل البدء بذلك نعريف الجن فى اللغة وفى الاصطلاح .

المراد بالجن فى اللغة : الجن فى اللغة له عدة معان تدور اكثرها حول الاستتار والاختفاء وقد عرفهم الله بقوله : الجن جماعة ولد الجن وجمعهم الجنة "

" والجان هو أبو الجن خلق من نار ثم خلق منه نسله "

ويطلق الجان أيضا على الحية البيضاء الكبيرة .

ويقال " لكل ما ستر قد جنّ وقد أجنّ .

" والجنين الولد فى الرحم والجميع الأجنة "

وقال الله عز وجل (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا) (١)

"يقال جنّ عليه واجنه الليل اذا اظلم حتى يستره بظلمته"
"وسموا جناً لانهم استجنوا من الناس فلا يرون" او لاسها تتقى ولا تروى^(١)
وقال الراغب:

"أصل الجن ستر الشئ" عن الحاسية يقال هفه الليل وأجده وجن عليه
فجده ستره " (٢)

تعريف الجن فى الاصطلاح :

قال الراغب فى تعريفهم وبيان الفرق بينهم وبين الملائكة :

"والجن يقال على وجهين :

أحدهما : للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بازا^١ الاى فعلى هذا

تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة وعلى

هذا قال ابو صالح الملائكة كلها جن وقيل بل الجن بعض الروحانيين

• وذلك ان الروحانيين ثلاثة اخيار وهم الملائكة •

• وأشرار وهم الشياطين •

• وأوساط فيهم اخيار واشرار وهم الجن " (٣)

ويدل لهذا قوله تعالى حاكما عنهم قولهم (قل اوحى الى انه استمع نفسى

من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشدا فأما به ولن نشرك

ربنا احدا) (٤)

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٤١٦/١٠ - ٥٠٢ وانظر: المغرب فى

ترتيب المغرب ١٦٦/١ وانظر: القاموس المحيط ٢١٢/٤ والصحاح ٢٠١٢/٥

• وغير ذلك من كتب اللغة فى مادة "جن" •

(٢) المفردات ص : ١٨ • (٣) المفردات ص : ٩٩ •

(٤) سورة الجن : آية : ١ - ٢ •

(وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا) (١)

(وانا منا المسلمون ومنا الناسطون فمن اسلم فالثك تحروا رشدا) (٢)

.....

(١) سورة الجن : آية : ١١ •

(٢) سورة الجن : آية : ١٤ •

— ((الأدلة على وجودهم)) —

الأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم على وجود

الجن كثيرة جدا •

وقد اقتضت حكمة الله تعالى ان الانس لا يشاهدونهم مع وجودهم وكثرتهم

وقد استفادت النصوص بذكرهم وهم عالم وامم لا يعلم بتفاصيل احوالهم

وأشكالهم الا الله سبحانه وتعالى ولهم قوة على التشكل والتخييل

والعرض الآن هو اثبات وجودهم واشتراكهم مع الانس في جميع التكالييف

الدينية ثم بيان احكامهم في الآخرة بالنسبة لما قدمنا من الابواب •

١- ((الأدلة على وجودهم من القرآن الكريم)) -

=====

قال الله تعالى في بيان وجود الجن وأصل خلقهم وانها من النار

(والجان خلقناه من نهر من نار السموم) (١)

وقال تعالى (وخلق الجن من مارح من نار) (٢)

وقد بين الله سبب خلقه لهم وجعله نفس السبب الذي خلق لاجله الانس

فقال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (٣)

وقال تعالى في شأنهم مع ربهم يوم القيامة واللهم يختلفون عن الانس

(فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) (٤)

سئلوا عن ذنوبهم انهم لا يعلمون انهم خلقوا من نار
يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يخبرون عليكم آيات الله لعلكم تتقون
يا معشر الجن والانس اني قد اتاكم بالبينات وانا اليكم صاعد
والله اعلم بما كنتم تعملون

(ولقد ذرنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) (٦)

(وتمت كلمة ربك لاماكن جهنم من الجنة والناس اجمعين) (٧)

(ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) (٨) (سورة المافات : ١٥٨)

(١) سورة الحجر : آية : ٢٧

(٢) سورة الرحمن : آية : ١٥

(٣) سورة الذاريات : آية : ٥٦

(٤) سورة الرحمن : آية : ٣٦

(٥) سورة الانعام : آية : ١٣٠

(٦) سورة الاعراف : آية : ١٧٦

(٧) سورة هود : آية : ١١٦

(٨) أي علمت الجن ان الذين ينسبون الي البنات انهم لمحضرون في العذاب

يوم القيامة • انظر: تفسير ابن كثير ٢٣/٤

الى غير ذلك من الايات الكثيرة التي يخبر الله تعالى فيها عن الجنس
ودورهم مع الانس وعن تكاليفهم وحشرهم وسوء الهيم وذكرهم مع الانس
في آيات الوعد والوعيد في سياق واحد وما الى ذلك مما يطول استقصاؤه .
فكل هذه الايات كما هو ظاهر من سياقها تدل دلالة صريحة على ان الجنس
والانس حكمهم حكم واحد في الدنيا من ناحية التكاليف وفي الآخرة من ناحية
الثواب والعقاب وبعد ذكر تلك الآيات نذكر بعض الأحاديث الواردة في
المسئلة بشأنهم .

٢- ((الادلة من السنة على وجود الجن واصل خلقتهم)) -

ودخولهم في الثواب والعقاب مع الانس

=====

وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة في شأن الجن ونشير هنا إلى

بعض ما جاء بشأنهم ومن ذلك :

أخبره عليه الصلاة والسلام من خلق الجن كما في حديث عائشة رضي الله

عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خلقت الملائكة من نور

وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم . (١)

وأخبر صلى الله عليه وسلم عن صعود الجن إلى السماء لاستراق السمع

بما جاء في حديث ابن عباس قال : وكان الجن يصعدون إلى السماء

يسمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فاما الكلمة فتكون

حقا واما ما زاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال

لهم ابليس: ما هذا الا من امر قد حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين أراه قال بمكة فأتوه

فاخبروه فقال : هذا الذي حدث في الأرض " (٢)

وعن وفودهم عليه واصلهم وطعامهم يقول صلى الله عليه وسلم كما في

حديث أبي هريرة رضي الله عنه :

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٩٤ .

(٢) أخرجه الترمذي في سنته ٤٢٨/٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(انه كان يحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم اداة لوضوئه وحاجته فبينما هو يتبعه بها فقال من هذا فقال أنا ابو هريرة. فقال ابغني احجبارا استنفض بها: (١) ولا تأتني بعظم ولا بروثه (٢) فأنته باحجار احملها في طرف ثوبي حتى وضعت الى جنبه ثم انصرفت حتى اذا فرغ مشيت معه فقلت ما بال العظم والروث قال هما من طعام الجن وانه اتاني وفد جن نصيبين - ونعم الجن - فسألوني الزاد فدعوت الله لهم ان لا يمروا بعظم ولا بروثه الا وجدوا عليها طعاما " (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم في قصة الرجل الذي قتل الجنة ثم مات من وقته (ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رأيتهم منهم شيئا فاذا نوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان " (٤)

ونكتفي بهذه الاحاديث الواردة في شأن الجن .

وقد تبين لنا من عرض الادلة السابقة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم أنه لا شك ولا شبهة في وجود الجن وخلقهم وان

(١) استنفض أي: استنجدى .

(٢) الروث: هو رجم ذوات الحافر النهائية لابن الاثير ٢/٢٧١ .

(٣) اخرجه البخاري ٧/١٧١ .

(٤) صحيح مسلم ٤/١٢٥٦ .

الحكمة من خلقهم هي نفس الحكمة من خلق الانس كما قال تعالى
(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

واذا كان الله تعالى قد كلفهم بعبادته وتوحيده فقد اتفقوا مع الانس
في جميع الاحكام الدنيوية والاخروية في باب الثواب والعقاب ، وليس
لمن ينكرهم اى مستند لا من العقل ولا من النقل .
وأما مجرد الاستبعاد لوجودهم لاننا لانشاهدهم فليس بدليل اذ كس
من العوالم لانشاهدهم لا يعلمهم الا الله تعالى .

وكم من الاصوات في هذا الكون لانسمعها وقد تواترت الادلة بوجودهم
وأطبق على القبول بوجودهم
كل عاقل ولهذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" ولم يخالف احد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في ان الله

ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم المهيم وجمهور طوائف الكفار على اثبات
الجن .

أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقررون بهم كإقرار المسلمين
وان وجد فيهم من ينكر ذلك وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك كما
يوجد في طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك وان كان
جمهور الطائفة واثمتها مقرين بذلك وهذا لأن وجود الجن تواترت
به اخبار الانبياء تواترا معلوما بالاضطرار ومعلوم بالاضطرار انهم احياء
عقلاء فاعلون بالارادة بل مأمرون منهمون (١)

وقد عرفنا فيما مضى وجود الجن واصل نشأتهم وانهم من نار كما تقدم قول الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك وقد ذكرت تفاصيل كثيرة في

كتب أهل السنن مثل هواتف الجن للخرائطي (١)

واكام المرجان في أحكام الجن (٢)

وكذا كتاب عالم الجن والشياطين (٣) وغيرها من الكتب وفيها تفصيلات

لا يتسع المقام لبسط ذكرها هنا إذ الغرض هنا هو ذكر اثبات وجودهم

وانهم مكلنون وان ما يجري في الدار الآخرة على الانس يجري عليهم .

وبعد ان انتهينا من ذكر الأدلة على وجود الجن من كتاب الله تعالى

ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن أقوال أهل العلم بقي أن نصرف

احكامهم بالنسبة لامور يوم القيامة :

ومما يجدر بالذكر ان النصوص قليلة جدا - فيما اعرف - بالنسبة لما ذكر

في الجن من الوقوف في المحشر والشفاعة فيهم أو منهم وكذا محاسبتهم

ووزن اعمالهم ومرورهم على الصراط وشربهم من الحوض وايتاء صحفهم البغ

ما ذكرنا من تفاصيل ذلك مع الانس ولعل ذلك - فيما اتصور - يرجع الى

امرئين : ١- اما لأن تلك الامور تشمل الجن والانس فاكتمنى بذكر الأنس

(١) ابو بكر محمد بن جعفر بن سهل السامري الخرائطي .

(٢) لبدر الدين ابي عبد الله عمر بن عبد الله الشبلي الحنفى المتوفى سنة :

٥٧٦٩ هـ .

(٣) للدكتور/ عمر سليمان الأشقر .

٢- أو أن امرهم في الآخرة يختلف عن أمر البشر في بعض الأمور
ولم تبين التفاصيل الأخرى وإذا كان الأمر كذلك فإن الوقوف والاكتفاء
بالنصوص الواردة فيهم ما قيل من تفصيلات تحتاج إلى إثبات هو الأولى .
وتترك
×
ويكون ذلك كافياً بالنسبة لأمير الجن وأحكامهم .

- (هل توزن أعمال الجن وهل يحاسبون) -

أما بالنسبة لموضوعنا الذي نحن بصدده وهو هل توزن أعمال الجن فلننا قدر رأينا ما تقدم من النصوص انهم مكلفون وأنه يقع عليهم الثواب والعقاب ومعنى هذا انهم يحاسبون شأنهم شأن البشر من بنى آدم .
وقد اورد القرطبي سوء الا قال فيه :
" فان قيل اخبر الله عن الناس انهم محاسبون مجزيون واخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء فما القول في ذلك عندكم وهل توزن أعمالهم وقيل ذكر اجابته فان مما يرد علوه من قال بعدم وزن أعمالهم وحسابهم بحجة أن الله لم يخبر عن ثوابهم وحسابهم ، ان الله تعالى قد اخبر عن ثوابهم وعن حسابهم وسوءه لهسم في آيات كثيرة مثل قوله تعالى (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) (١) وقد بينا المقصود من هذا النفي فيما مضى من باب الحساب كذلك فان

ما يعتدل به على ثوابهم وعقابهم ووزن أعمالهم وحسابهم ادخلهم في عموم اخبار الله تعالى عنهم في وعده ووعيده ولما اجابة القرطبي في اثبات ثواب الجن ووزن أعمالهم وحسابهم فهو أن الله تعالى لما قال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى ربهم

آلئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) (٢)

دخل في الجملة الجن والانس فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية ما ثبت للانس

وقال (آلئك الذين حتى عليهم القول في امم قد خلعت من قبلهم من الجن

والانس انهم كانوا خاسرين) (الاحقاف : ١٨)

(١) سورة الرحمن : آية : ٢٦

(٢) سورة هود : آية : ٢٣

ثم قال (ولكل درجات مما عملوا) (١)

وانما اراد لكل من الجن والانس فقد ذكروا في الوعد والوعيد مع الانس
واخبر تعالى ان الجن يسألون فقل خيرا عما يقال لهم (يا معشر الجن
والانس اني اتاكم برسالة منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا

قالوا شهدنا على انفسنا) (٢)

وهذا سؤال واذا ثبت بعض السؤال ثبت كله ثم ذكر بعض الآيات التي
سبق ان ذكرنا الاستدلال بها ثم قال (ولما جعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم زادهم كل عظم وطف دوابهم كل روث فلا تستنجوا بها فانهما
طعام اخوانكم الجان فجعلهم اخوانا واذا كان كذلك فحكمهم كحكمنا في
الآخرة سواء والله اعلم " (٣)

على انه لا زال الامر مفتقرا الى دليل صريح في وزن أعمالهم كما توزن أعمال

البشر •

(١) سورة الانعام : آية : ١٢ •

(٢) سورة الانعام : آية : ١٣٠ •

(٣) التذكرة ص : ٣٨١ •

((اثبات ثواب الجن وعقابهم))

ذكر الله تعالى في آيات كثيرة ان الجن يجرى عليهم العقاب كما يجرى على
الانس فقد قال تعالى في شأن نبيه خه لهم ومن تحذيرهم هم والانس
(يا محشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم
لقاء يومكم هذا ؟ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا
على أنفسهم انهم كانوا كافرين) (١)

وفي هذه الآية التصريح بأنهم قد جاءتهم الرسل كما جاءت الانس وانذرتهم
امر الآخرة ، وقد اعترفوا بهذا في مقابل تهديد الله وتوبيخه لهم فمن
سعد منهم دخل الجنة ومن شقى منهم دخل النار .

قال تعالى (قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في
النار) (٢)

وقال تعالى (ولقد ذرنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) الم الآية الكريمة
(الاعراف : آية : ١٧٦)

وقال تعالى (لا ملأ جهنم من الجنة والناس اجمعين) (٣)

وقال تعالى في خطابه للانس والجن (ولمن خاف مقام ربه جنتان فيهما
آلاء ربكما تكذبان) (٤)

(١) سورة الانعام : آية : ١٣٠

(٢) سورة الاعراف : آية : ١٨

(٣) سورة السجدة : آية : ١٣

(٤) سورة الرحمن : آية : ٤٦ - ٤٧

وقد اختلف العلماء في ثواب الجن على أعمالهم هل لهم ثواب ام ليس لهم
ثواب الا مجرد النجاة من النار على قولين :-

فقل لا ثواب لهم الا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم
وهو قول ابي حنيفة وحكاه ابن حزم وغيره عنه .

وساق ابن ابي الدنيا بسنده الى ليث بن ابي سليم انه قال : ثواب الجن
ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا (

وساق ابو حنيفة بن شاهين بسنده الى ابي الزناد قال اذا دخل أهل
الجنة الجنة وأهل النار النار قال الله تعالى . لموهني الجن وسائر الأمم

كونوا ترابا فحينئذ يقول الكافرياليتى كنت ترابا .

والقول الثاني : انهم يثابون على الطاعة ويحاقبون على المحصية وهو قول

ابن ابي ليلي ومالك وذكر ذلك مذهبنا للوزاعي وأبي يوسف ومحمد
ونقل عن الشافعي وأحمد بن حنبل فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب
وهو قول اصحابهما واصحاب مالك .

وسئل ابن عباس هل لهم ثواب وعليهم عقاب فقال نعم لهم ثواب وعليهم

عقاب وساق ابن شاهين بسنده الى ضمرة بن حبيب بن سهيب الزبيدي هل

للجن ثواب فقال : نعم قال ارطاة ... أحد الرواة ... ثم نزع ... احتج ... ضمرة

بهذه الآية (لم يطمثوا انفس قبلهم ولا جان)

وذكر ابن ابي ليلي ان دليل ثواب الجن قوله تعالى (ولكل درجات مما

عملوا " وهو ما قاله ايضا محمد بن رمضان الزيات من علماء المالكية

وقال حرملة : سئل ابن وهب وانا اسمع هل للجن ثواب وعقاب قال ابن وهب :

قال الله تعالى (وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن

والانس الي قوله مما عملوا)

وذكر ابن رشد عن ابن القاسم انه قال : " للجن الثواب والعقاب وتلاق قول

الله تعالى (وانا من المسلمون وما القاسطون / ^{عند} ^{السل} ^{فالتك} تحروا رشدا

واما القاسطون فكانوا لجهنم خطبا)

وقال مخيث بن سمي " ما خلق الله تعالى من شئ الا وهو يسمع زفير

جهنم غدوة وعشية الا الثقلين الذين عليهم الحساب والعقاب " (١)

وقال البرديسي : " قال الماوردي اتفق العلماء على ان الجن يعذبون

في الآخرة على المعاصي قال تعالى (لا ملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين)

واختلف في موطنهم ومطبخهم هل يدخل الجنة ويذبح فيها مجازاة لسه

على طاعته ام لا يدخلونها بل يكون ثوابهم النجاة من النار ثم يقال لهم

كونوا ترابا كالبهائم ذهب الي ذلك جماعة والصحيح انهم يدخلونها ويتنعمون

فيها بالاكل والشرب وغيرهما وهو قول الحسن والضحاك ومالك بن النضر

وابي ابي ليلى وغيرهم خلافا لبعض الحنفية كما تقدم " (٢)

(١) بتصرف من كتاب آكام المرجان ص : ٥٥ - ٥٦ .

(٢) تكملة شرح الصدور ص : ٧ - ٤٨ .

سـ (وقوفهم في المحشر) --

وإذا كنا قد اثبتنا وقوف البشر في المحشر فان الجن يقفون أيضا مع الانس
وقد تقدم في أحاديث نزول الله تعالى لفصل القضاء ان الملائكة تحيط بمن

في الموقف من الجن والانس وسائر ما خلق الله دائرة •

لكنى لم أجد أنهم يأتون الى الانبياء ويطلبون الشفاعة الى الله تعالى

كما فعلته الانس او انهم يأتون الى الموقف بالهيئات والحالات التي يأتى

بها البشر •

على انه لا يمتنع ذلك من حصول هذه الامور فربما تكون ثابتة فيهم ولكن

لم يذكروا استثناء بذكر حال الانس •

((شهادتهم يوم القيامة))

وجاء في الحديث انهم يكونون من الشهداء يوم القيامة وقد ورد من حديث
ابن ابي صعصعة أن أبا سعيد قال له ابي اراك تحب الختم والبادية
فاذا كنت في باديتك او غمك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالثناء فانه
لا يسمع مدا صوت المؤذن جن ولا انس الا شهد له يوم القيامة قال ابو سعيد
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم " (١)

♦ ♦ ♦ ❦ ♦ ♦ ♦

(١) صحيح البخارى ٨٧/٢ المراد من : ٧٦

((هل الجن يرون الله في الدار الاخرة))--

اختلف العلماء في وقوع رؤية الجن لربهم فذهب بعضهم الى ان الجن

لا يرون الله تعالى وان الرؤية مخصوصة بالانس .

وذهب بعضهم الى ان الجن يرون ربهم ومن الذين مدعوا رؤيتهم

ابن عبد السلام .

ومن الذين قالوا برؤيتهم القاضي جلال الدين البلقيني وابن الحماد والشيخ

سراج الدين البلقيني فيما يذكره عنهم الشبلي . (١)

وقد وردت النصوص صريحة في رؤية المؤمنين من البشر له عز وجل أما رؤية

الجن له فلم استطع معرفة دليله .

.....

— (هل يدخل كفار الجن النار ومومئتهم الجنة) —

أما دخول كفارهم النار فهذا امر متفق عليه كما ذكر الشيلى واستدل هؤلاء

الذين قالوا بعد ابهم بقول الله تعالى (النار مثوى لهم) (١)

وقوله تعالى (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) (٢)

وأما دخول المومئ من جنهم الجنة فهى مسألة خلافية بين العلماء ويمكن حصر ذلك

الخلاف فى الامور الآتية :

- ١- انهم يدخلون الجنة وعليه جمهور العلماء .
- ٢- أنهم لا يدخلونها بل يكونون فى ربضها يراهم الانس من حيث لا يرونهم وهذا القول مأثور عن مالك والشافعى وأحمد وابى يوسف ومحمد .
- ٣- انهم على الاعراف .
- ٤- الوقف (٣) أى فلا يحكم لهم بجنة ولا نار .

(١) سورة محمد : آية : ١٢

(٢) سورة الجن : آية : ١٥ .

(٣) اكمام المرجان ص : ٥٧ .

— ((هل تشارك الجن الانس في أخذ الصحف باليمين)) —

أو الشمال

وهل يشربون من الحوض ، وهل يجتازون الصراط ، وهل

يقضون على القطرة

=====

لم يتيسر لي الاطلاع على نص يثبت هذه الامور أو ينفىها على أنه لا يمتنع
— فيما أرى — أن يكون منهم من يشرب منه ومنهم من يذاد عنه خصوصا
وانهم مكلفون مثل الانس وبنهم ونس الانس واحد وهو محمد صلى الله
عليه وسلم فاذا كان الله قد اكرم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بهمة هذه
الفضيلة له ولا تهاه عنوما فان الجن حينئذ يدخلون في هذا التكريم
من آمن منهم واستقام شأنهم شأن الانس في الشرب والمدح •
وكذلك المرور على الصراط والوقوف بالقطرة واعطاء الكتاب باليمين أو الشمال
كل هذه الامور غير مستبعد مشاركتهم الانس فيها •
والله أعلم بذلك •

((الباب العاشر : الصراط))

ويشتمل على الفصول الآتية :-

تمهيد

الفصل الأول : تعريف الصراط

(١) في اللغة

(٢) في الاصطلاح

الفصل الثاني : الأدلة على اثبات الصراط

(١) من القرآن الكريم

(٢) من السنة النبوية

الفصل الثالث : وصف الصراط والمرور عليه

الفصل الرابع : متى يتم المرور على الصراط

الفصل الخامس : الحكمة في نصب الصراط

الفصل السادس : ساقية الصراط

الفصل السابع : العنكرون للصراط

الفصل الثامن : هل يمر جميع الخلق

على الصراط

الفصل التاسع : أول من يجوز الصراط

الفصل العاشر : شعار المؤمنين على الصراط

الفصل الحادى عشر : الأعمال الموجبة للجواز على الصراط

الفصل الثانى عشر: هل الصراط قد خلق أم سيخلق

فى يوم القيامة

الفصل الثالث عشر : هل يهتق الصراط الى خروج عصاة

الموحدين من النار أم لا ؟

(١) (((الصراط)))

تمهيد :-

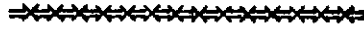
هذه السألة كغيرها من المسائل الغيبية التي يجب الايمان بها لثبوتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، واعتقاد ما أثبتته النصوص فيها هو الحق دون اللجوء الى التأويلات في النصوص التي أثبتتها لاستبعادها في عقول بعض الناس ، بل نؤمن بها كما جاءت فسي الشرع من غير تأويل ، مجتنبين ما صار عليه أهل البدع من المعتزلة بالتأويلات البعيدة عن الصواب وغيرهم ممن نفاها بالكلية ، أو أولها x - كما سيأتي - .

فان هذا ليس من الايمان بها ولا من التسليم لما جاء به الحق فيها ولا هو بالأمر الذي صار عليه عامة السلف - كما سنفصل الكلام في ذلك بمرحى الأدلة وأقوال أهل العلم .

وقبل البحث في تفاصيل ما قيل عن الصراط نصره أولاً فسي اللغة وفي الاصطلاح .

(١) بعضهم يسميه الصراط ، بعضهم يسميه جسر جهنم ، وكلا الاسمين بمعنى واحد .

((الفصل الأول : تعريف الصراط))



١ - تعريف الصراط في اللفظة : -



الصراط في اللفظة بكسر الصاد : الطريق الواضح المستقيم

وهو يستعمل بلفظ الصاد أو السين أو الزاي .

والصراط في الأصل هو البلع ومنه سمي صراطا لأنه يستترط

المارة فيه لكثرة سلوكهم به ، أي يتلعمهم .

قال الأزهري فيما ينقله عن بعض العلماء في تحليل تسمية

الطريق الواضح صراطا : " انما قيل للطريق الواضح صراطا لأنه

كان يستترط المارة " (١)

وقال الجوهري : " سرطت الشيء بالكسر اسرطه سرطسا

بلمتته واسترطه ابتلمه " (٢)

وقال الفيروز أبادي : " الصراط بالكسر الطريق " (٣)

وقال الراغب : " الصراط الطريق المستقيم ، قال : وان هذا

صراطي مستقيما ويقال له سراط " (٤)

(١) تهذيب اللفظة ج ١٢ ص ٣٣٠ .

(٢) الصحاح ج ٣ ص ١٣٠ .

(٣) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٨١ .

(٤) المفردات ص ٢٨٠ ، وأنظر نزهة الأعين النواظر ص ٣٨٤ ،

وأنظر اللالكمة البهية ص ٧١ .

وقال عن اطلاقه بالسين : " السراط الطريق المستسهل أصله
من سرتت الطعام وزردته ابتلمته فقل سراط تصورا انه يتلمسه
ساله ، أو يقطع ساله . . وكذا سمي الطريق اللقم والطقم
اعتبارا بأن ساله يلتقه " (١) .

وقال الوزاني : " الصراط بالصاد أو السين أو الزاي المحضة
ومعناه لفة الطريق الواضح مأخوذ من صرطه بصرطه اذا ابتلمه
لأنه يقطع المارة " (٢) .

وقد ذكر الله تعالى لفظه الصراط في القرآن الكريم فسو
تسعة وأربعين موضعا على معان مختلفة لكنها متقاربة في المعنى .
ونقل ابن جرير أن الأمة أجمعت على أن الصراط المستقيم
هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وأن هذا الاستعمال
كذلك في جميع لغة العرب (٣) ، وذكر أن الشواهد على ذلك أكثر
من أن تحصى ، وهذا الاجماع الذي ذكره ابن جرير في معنى
الصراط هو أحد المعاني الواردة في معنى الصراط .

أما معانيه الأخرى فمنها :

(١) بيان طريق الهداية والارشاد وهذا رأى ابن عباس .

(٢) القرآن الكريم وهذا رأى علي بن أبي طالب .

(١) المفردات ص ٢٣٠ .

(٢) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٣) جامع البيان ج ١ ص ٧٢ - ٧٥ .

(٣) الاسلام وهذا رأى جابر بن عبد الله ورواية أخرى عن ابن عباس ورأى ابن مسعود وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ونواس بن سمعان الأنصارى .

(٤) دين الله الذى لا يقبل من المباد غيره ، وهذا رأى ابن الحنفية . (١)

وهناك أقوال أخرى فى معنى الصراط ذكرها أهل العلم من علماء التفسير وغيرهم ، والواقع أن هذه الأقوال ليست متباينة فإنا لفظة الصراط تصدق عليها جميعا لأنها ترجع الى شىء واحد وهو المتابعة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن كثير . (٢)

ومن الواضح أن السلف وان كانوا يفسرون الصراط بمعناه اللغوى من أنه الطريق أو طريق الهداية والرشاد فانهم ما كانوا يغفلون حقيقة الشرعية .

(١) جامع البيان ج ١ ص ٧٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٧ .

٢ - تعريفه في الاصطلاح :-

يراد به هنا ما ثبت في السنة النبوية أنه جسر ممدود على متن
جهنم أرق من الشجرة وأحد من السيف يعبره الخلائق بقدر أعمالهم .
وقد بوب البخاري لاثباته في الشرع بقوله " باب الصراط جسر
جهنم " .

وقال ابن حجر : " أي الجسر المنسوب على جهنم لمبهور
المسلمين عليه إلى الجنة " (١) .

ويقول النووي في تعريفه له : " وهو جسر على متن جهنم يمر
عليه الناس كلهم ، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي ما زالهم
والآخرون يسقطون فيها " (٢)

وقال السفاريني : " والحق أن الصراط وردت به الأخبار
الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين
والصانيد والسنن والصحاح ما لا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر
مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق " (٣) .

وقال البرديسي : " وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من
الشجر وأحد من السيف يجوزه العباد بقدر أعمالهم " (٤)

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٩٦ .

(٢) شرح النووي لمسلم ج ١ ص ٤٣٠ .

(٣) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٦٢ .

(٤) تكملة شرح الصدور ص ٣٠ .

وقال المرادوى فى تعريفه شرعا : " وفى الشرع جسر ممدود على

جهنم فيرده الأولون والآخرون " (١)

وقد اتفق جمهور الملما^١ على تعريف الصراط. بأنه جسر ممدود على

من جهنم يمر عليه جميع الخلائق .

وما تقدم من تعريف الصراط. بأنه جسر ممدود على من جهنم

هو التعريف الواضح المفهوم ، لكن هناك من يحرف الصراط بأنه :

" الجسر الذى بين الجنة والنار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم " (٢) ،

أو أنه : " قنطرة جهنم بين الجنة والنار " (٣) .

وقد مشى على هذا التعريف بعض الملما^١ ، وفى هذا التعريف

اشكال يبدو فى قولهم : " بين الجنة والنار " ، فان المفهوم من

الأحاديث أن الصراط منصوب على من جهنم وتكون جهنم تحته ، ولهذا

يسقط فيها من يسقط أثناء^{فى} عبورهم الى الجنة ، فاذا كان الصراط ^{فى} بين

الجنة والنار ، فكيف يتصور سقوط من يسقط فيه أو خطف الكلابيب

له أثناء^{فى} سيره الى الجنة ، وقد تجاوز النار ، فتعريفه بأنه بين

الجنة والنار تعريف مشكل الا أن يراد به أنه يبتدئ من أول النار

(١) اللالكى^١ البهية ص ٧١ .

(٢) أنظر شرح الابانة ص ٩٦ .

(٣) هذا التعريف للمردار. فى اللالكى^١ البهية ص ٧١ ، وهو

ما ذكره أيضا الشيخ / عبدالعزیز محمد السلطان فى الأسئلة

والأجوبة الأصولية ص ٢٢٥ .

ويستمر عليها الى أن يصل الى الجنة مع أنه في الحقيقة انما وضع
لاجتياز الناس فوق النار ، وقد ثبت أن المؤمنين اذا نجوا من الصراط
أوقفوا على قنطرة ليقتصوا مظالم كانت بينهم وليهذبوا وينقوا ، وهذه
القنطرة غير الصراط وان كان فيها خلاف سنذكره ان شاء الله عند بحث
القنطرة ، ولعل هذا التمرير ينطبق على هذه القنطرة عند من
يسمونها صراطا آخر .

ولكن الصراط اذا أطلق في الشرع فانه يراد به الجسر المنصوب
على متن جهنم يعبره البشر الى الجنة .

ومن أول معناه وقال أن المراد به الأدلة الواضحة كما قال بعض
المعتزلة وغيرهم - كما سيأتي بيانه - لا شك أنه أبعد النجعة عن
الحقيقة وعرفه بنغير تعريفه الشرعي ، وتأول تأويلا بعيدا وقصر
حقيقته الشرعية على الحقيقة اللفوية ، والأحاديث التي صرحت بأوصافه
كما سيأتي ذكرها من أنه دحش مزلة وفيه غطا طيف وكلايب تأسس
هذا التمرير وترده .

وقد اتضح مما سبق أن الصراط في اللفظة هو الطريق .

وأما في الشرع فهو جسر على متن جهنم ، جسر حقيقي يعبره البشر

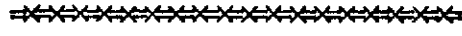
الى الجنة .

ومد أن ذكرنا تعريفه لغة واصطلاحا - نعين فيما يلي

أدلة اثباته :

(الفصل الثاني)

((الأدلة على اثبات الصراط))



أ - من القرآن الكريم :

ثبت الصراط في السنة النبوية بلفظه الصريح كما سنعرض لبعض
الأحاديث المثبتة لذلك .

أما من القرآن الكريم فإنه لم يأت التصريح به كما جاء في السنة غير
أن هناك آيات بمعنى العلماء جعلها صريحة في ذكر الصراط ، وبعضهم
يجعلها إشارة إليه ، ويحمل ما ورد في القرآن الكريم من ذكر الصراط
على ما يراد به من معناه اللغوي ، ومن تلك الآيات قول الله تعالى :

١ - (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) الصافات : ٢٣

قال الطبري في معناها : " أي " احشروا هؤلاء الشركيين

وأكفهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فوجهوهم إلى طريق الجحيم " (١)

وهذه الآية ليس فيها التصريح التام بذكر الصراط في اصطلاح

الشرع ، إلا أن يقال أن طريق الجحيم هو أخذهم إلى الصراط ومنه
إلى النار .

وقال الخازن : " فاهدوهم إلى صراط الجحيم " ، قال

ابن عباس أي دلوهم إلى طريق الجحيم وقفوهم أي احبسوهم انهم

(١) جامع البيان ج ٢٢ ص ٤٧ تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤ .

مسؤولون لما سيقوا الى النار حسبوا عند الصراط للسؤال " (١)

وهذا ما أشار اليه صاحب النشر الطيب ، وذكر أن الآية

في دلالتها على الصراط الأخرى احتمال وليس بصريح " (٢)

ومن السر في التمييز بلفظه الصراط دون غيرها من الكلمات

التي تؤدي هذا المعنى من قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم)

قال الرازي عن ذلك : " وانما قال الصراط ، ولم يقل السبيل

ولا الطريق وان كان الكل واحدا ليكون لفظ الصراط مذكرا بصراط

جهنم فيكون الانسان على مزيد خوف وخشية " (٣)

ويذكر الوازني أن أبا الحسن استدل عليه بقوله تعالى :

(فلا اقحم العقبة) البلد : ١١

بأن العقبة هنا : هو الصراط وهو ما قال به مجاهد

والضحاك (٤)

وفي تفسير العقبة أقوال كثيرة منها هذا القول (أى تفسير

العقبة بأنها الصراط الذى يضرب على جهنم كحد السيف) .

وهو ما ذكره أيضا الشوكاني ونسبه الى مجاهد والضحاك والكلبي (٥)

(١) تفسير الخازن ج ٤ ص ١٦ .

(٢) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٣) التفسير الكبير ج ١ ص ٢٥٧ .

(٤) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٧٦ .

(٥) فتح القدير ج ٥ ص ٤٤٤ .

وهذا احتمال أيضا كما قال صاحب النشر الطيب ^(١) وليس بصريح فسي
ثبوت الصراط الأخرى ، ولهذا يقول الجمل : " العقبة في الأصل
الطريق الصعب في الجبل وأقحامها مجاوزتها وليس هذا المعنى
مرادا هنا ، بل المراد بها هنا مجاهدة النفس في فعل الطاعات
وترك المحرمات والمراد بأقحامها فعلها وتحصيلها " ^(٢) ، ومن ذلك
قوله تعالى : (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جهنما) مريم : ٧١-٧٢ .
وهي اشارة الى وجود الصراط ان لا يكون الورود الا بالمرور
على الصراط على متن جهنم على احد الأقوال التي سنذكرها في بحث
الورود .

وقد صح عبدالله بن مسعود بذلك كما ذكر الطبري حيث
قال : " حدثنا خالد بن أسلم وساق بسنده الى ابن الأثير
عن عبدالله في قوله تعالى : (وان منكم الا واردها قال الصراط على
جهنم مثل حد السيف) ألخ كلامه . ^(٣)

وقال العلامة الجمل في تفسيره لمعنى الورود وأقوال السلف فيه
" وقالت فرقة الورود المرور على الصراط ، وروى عن ابن عباس وابن مسعود
وكعب الاحبار والسدي ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٢) الفتوحات الالهية ج ٤ ص ٥٣٩ .

(٣) جامع البيان ج ١٦ ص ١١٠ .

صلى الله عليه وسلم وقاله الحسن أيضا ، فالورود ان يمرؤا على الصراط
واحتجوا بقوله تعالى : (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها
صعدون) قالوا فلا يدخل النار من ضمن الله أن يباعده منها
وأجاب الأولون بأن معنى قوله (أولئك عنها صعدون) انهم صعدون
عن المذاب فيها والاحتراق بها قالوا فمن دخلها وهو لا يشعر
بها ولا يحس منها وجعا ولا ألما فهو صعد منها * (١) .

وما سبق ذكره يدل على انه لم يرد في القرآن الكريم نص صريح
متفق عليه غير قابل للاحتمال في ذكر الصراط الأخرى وهو الجسر
المدود على جنهم - فيما استطعت معرفته غير الآية المذكورة
سابقا من سورة مريم .

ولكن بعض العلماء يذكر ان أدلته في القرآن الكريم على هذا
المعنى كثيرة لكنه لم يذكر دليلا على ذلك بل يكتفى بذكر القول أن
فيه أدلة من (٢) القرآن .

(١) الفتوحات الالهية ج ٣ ص ٧٤ .

(٢) أنظر اللالكى * المهية ص ٧١ .

٢ - الأدلة من السنة النبوية على اثبات الصراط : -

ثبت ذكر الصراط بأوصافه في السنة النبوية في عدة أحاديث ونعرض فيما يلي بعض الأدلة المثبتة لذلك وأول ما نبدأ به منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال اناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فذكر الحديث وهو حديث طويل ومحمّل الشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم : ((ويضرب جسر جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز ودعاء الرسهل يومئذ اللهم سلم سلم وه كلابيب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمتها الا الله فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموق بحمله ومنهم المخردل ثم ينجو)) (١) الى آخر الحديث فسي وصف الصراط :

وفي هذا الحديث تصوير دقيق للجسر وحالة مرور الناس عليه ووصف ما عليه من الكلابيب التي تشبه شوك السعدان في الشكل لا في الحقيقة حتى ليكاد القارىء يشاهده ويشاهد مرور الناس عليه واختلاج الناس فيه وطش جهنم بهم بسبب أعمالهم .
وأما معنى تلك الكلابيب فهي جمع كلوب .

(١) أخرجه البخارى ج ١١ ص ٤٤٥ وروى له بقوله : " باب الصراط

جسر جهنم " .

قال الأزهري : " والكلاب والكلوب خشبة في رأسها عقافة
منها أو من حديد " (١) ، وقد ضبطت كلمة " الكلوب " بفتح الكاف
وضم اللام .

وقال النووي في ضبط كلمة " كلوب " انها " بفتح الكاف وضم
اللام المشددة وهو حديدة معطوفة الرأس يملق فيها اللحم وترسل
في التنور " ثم نقل عن صاحب المطالع قوله ان الكلوب هي خشبة
في رأسها عقافة حديد وقد تكون حديدا كلها ويقال لها أيضا
كلاب " (٢) .

وهذه الكلاب انما شبهت بشوك السعدان في الصورة الظاهرة
كما قلنا - والا فان كلاب جهنم ليست كهذه في الحجم ، فقد جاء
ان كل كلب من كلاب جهنم يأخذ أكبر من ربيعة ومضر .
وقد ذهب بعض العلماء في معنى تلك الكلاب الى تأويلها
بمعنى الشهوات فقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي أبي بكر
ابن الصري قوله : " هذه الكلاب هي الشهوات المشار اليها في
الحديث الماضي - هفت النار بالشهوات - قال : فالشهوات موضوعة
على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط في النار لأنها خطايتها " (٣)

(١) تهذيب اللغة ج ١ ص ٢٥٦ .

(٢) شرح النووي لسلم ج ١ ص ٤٣٠ .

(٣) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٣ .

وعن الزين بن المنير قوله : " تشبيه الكلابيب بشوك السعدان
خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تحميلا
لهم بما عرفوه في الدنيا والقوة بالباشرة ثم استثنى اشارة الى أن التشبيه
لم يقع في مقدارهما " (١) .

ومعد أن نقل ابن حجر هذا الكلام لابن الصري لم يعلق
عليه بشيء ، وشمل هذا ما ينقله الوزاني عن أبي طاهر القزويني
في قوله : " وما جاء من الكلابيب فهو عبارة عن علائق الدنيا فكما
تجذب صاحبها للدنيا كذلك تجذبه للهاوية والحيو والزحف اشارة
الى تشاغل ظهور الناس بالمظالم وأما الزالون فهم الناكبون في الدنيا
عن الصراط المستقيم " (٢)

وهذه الأقوال تأويلات تحتاج الى اثبات ، ان كيف تتفق هذه
التأويلات مع وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لتلك الكلابيب بالكهر ثم
بالتحليل لها بأشياء محسوسة معروفة فكيف تكون الشهوات مثل شوك
السعدان تخطف من امرت بخطفه ؟ هذا لا يتفق مع مفهوم الأحاديث
والله أعلم .

ثم انه لو ساغ تأويل الكلابيب بالشهوات لساغ تأويل كثير من
امور الآخرة وهو باب لا ينبغي فتحه ان أنه سيفضى الى تأويل كل

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٣ .

(٢) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠ .

ما جاء به الشرع من أخبار الغيب وأخبار اليوم الآخر وهذا أمر معلوم البطلان .

وقد بين عليه الصلاة والسلام موضع تلك الكلابيب اين تكون بالنسبة للصراط من أنها تكون في حافتيه وهو ما جاء في صحيح مسلم :
" وفي حافتي الصراط كلابيب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به " الحديث وسأتي ذكره .

وورد في بعض الروايات قوله صلى الله عليه وسلم " وفي كلابيب " أو " عليه كلابيب النار " أو كما في بعضها الآخر " وفي جهنم كلابيب " ، وليس في هذه الروايات تعارض فانه يتلخص من ذلك ان تلك الكلابيب معلقة بالصراط على امتداده ، والصراط على جهنم فاذا اضيفت تلك الكلابيب الى الصراط فباعتبار أنها معلقة به واذا اضيفت الى جهنم فباعتبار أن الصراط على جهنم .

وأما السعدان فهو جمع وواحدتها سعدانة وهو نبات ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاه ولهذا يقال " مرعى ولا كالسعدان " وهو ينبت في السهول وهو من جيد مراعي الابل . (١)

قال النووي : " وأما السعدان بفتح السين واسكان العين المهبطة وهو ينبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب " (٢)

(١) مجمع الأمثال ص ٢٧٥ والنهاية لابن الاثير ج ٢ ص ٣٦٧ .

(٢) شرح النووي ج ١ ص ٤٣٠ .

وقال البرديسي : " شوك السعدان " : بفتح المهملة وسكون
الثانية واهمال الدال نيت له شوك عظيم من كل الجهات مثل
الحسك . (١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : ((فيضرب الصراط بين ظهراى جهنم فأكون أول من
يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد الا الرسل وكلام الرسل
يومئذ اللهم سلم سلم وفى جهنم كلابيب مثل شوك السعدان هل
رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غير
أنه لا يعدم قدر عظمها الا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوق
بعمله ، ومنهم من يخرول ثم ينجو)) (٢) الى آخر الحديث .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون انا وأمتى أول من
يجيزها ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم
وفى جهنم كلابيب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان ؟ قالوا :
نعم يا رسول الله ، قال : فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم
قدر عظمها الا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموق بعمله ومنهم
المخرول أو المجازى أو نحوه)) (٣) الى آخر الحديث .

(١) تكملة شرح الصدور ص ٣١ .

(٢) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٦٣ والصند ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٣) صحيح البخارى ج ١٣ ص ٤١٦ وسلم ج ١ ص ٤٣٠ .

• وأما قوله صلى الله عليه وسلم (فأكون أول من يجيز) .

• وفى الرواية الأخرى (فأكون أول من يجوز) .

• وفى الرواية الثالثة (فأكون أنا وأمتى أول من يجيزها) .

فإن المراد من مجموع هذه الروايات هو اثبات أن الرسول صلى الله

عليه وسلم هو أول الأمم جوازاً على الصراط هو وأمته ، ثم بعده سائر

الأمم كما سيأتى بيانه .

وأما المخردل ثم ينجو فهذا وصف لصنف من أصناف المارين

على الصراط والمخردل (بالخاء المعجمة) وفى رواية بالجيم ، ورجح

ابن قرقول الخاء المعجمة والبدال المهملة .

والمضى أن كلاليب النار تقطعه فيسهوى فى النار ، كما

قال الهروى : " ويحتمل أن يكون المخردل أى جملة أعضائه

كالمخردل ، وقيل معناه انها تقطعهم عن حقوقهم بمن نجا وقيل

المخردل الصروع ورجحه ابن الجوزى فقال هو أنسب لسياق الخبر" (١)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه من حديث طويل قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ثم يؤتى بالجسر فيجمل بين

ظهرى جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال مدحضة مزلة عليه

خطاطيف وكلاليب مفلطحة لها شوكة عقيفاً تكون بنجد يقال لها

السعدان المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل

(١) أنظر فتح البارى ج١٠ ص ٤٥٤ .

والركاب فجاج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر
آخرهم يسحب سحباً (١) الحديث .

وهذا الحديث وصف آخر لمرور الأمم على الصراط وتفاوتهم
في سرعة السير وطئه وما يقع لهم في أثناء سيرهم من أهوال فالجسر
مدحضة مزلة منزلق شديد لا تثبت عليه قدم (٢) ، والخطاطيف
والكلاليب قد نصبت لخطف من أمرت بخطفه ، فمنهم من يسلمه
الله تعالى فلا يحس بألم تلك الخطاطيف والكلاليب ومنهم من ينجس
لكنه يصيبه خدوش تؤثر في جلده ، ومنهم من تخطفه فتنتهي به إلى
مقر جهنم مكدوساً فيها مسوقاً بشدة وعنف من ورائه ليكون فوق من سبقه
يكسون كما تكس الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بمضا .

فهم ثلاثة أصناف كما بينهم الحديث : قسم يسلم فلا يناله
شيء أصلاً ، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص ، وقسم يكدس ويلتقي
فيسقط (٣) ، وكل قسم منها ينقسم أقساماً ما تعرف بقوله : (بقدر
أصنافهم) كما قال ابن حجر . (٤)

(١) قال النووي في معنى دحش هو (بتنوين دحش ودالة مفتوحة والحاء
ساكنة) ، ووزن : بفتح الهم وفي الزاى لغتان مشهورتان الفتح
والكسر والدحش والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه
الأقدام ولا تستقر ومنه حضرت الشمس أي مالت وحجة داحضة
لأثبات لها (النووي ج ١ ص ٤٣٧ .

(٢) أنظر شرح النووي لمسلم ج ١ ص ٤٣٨ ، وأنظر تكملة شرح الصدور

ص ٣١ .

(٤) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٤ .

وفى حديث طويل أخبر صلى الله عليه وسلم أن الامانة والرحم
تقومان جنبتى الصراط فقال : ((وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتى
الصراط يمينا وشملا فيمرا أولكم كالبرق قال قلت بأبى أنت وأمى أى شىء
كمر البرق قال ألم تروا البرق كيف يمر ويرجع فى طرفه عين ثم كمر
الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم
على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تمجز أعمال الصباد حتى يجسى
الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفى حافتى الصراط كلاليب
معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس فى النار
والذى نفس أبى هريرة بيده ان ^{متر}مقر جهنم لسبعون خريفا (((١)

وهذا الحديث بيان لهيئة الناس فى مرورهم على الصراط .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن الامانة والرحم ترسل فتقومان
جنبتى الصراط والسبب فى قيامها ذلك هو لأدائهما الشهادة للشخص
أو عليه بما كان يفعله تجاههما من القيام بهما وأداء الواجب الذى
أمر الله به نحوهما والوفاء والتمام الذى كان يسير عليه فى حياته الدنيا
أو تشهدان عليه بالخيانة والخذل وعدم القيام بالواجب نحوهما .

قال ابن حجر فى معنى ارسالهما على جنبتى الصراط : " أى يتقان

فى ناحيتى الصراط . " قال : " والمعنى أن الامانة والرحم لمعظم

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧٥ .

شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين
والغائب والمواصل والقاطع فيحاجبان عن المحق ويشهدان على المبطل "
وقال الطيبي : " ويمكن أن يكون المراد بالأمانة ما فسى

قوله تعالى : (انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال)^(١)

وصلة الرحم ما فسى قوله تعالى : (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)^(٢)

فيدخل فيه معنى التعميم لأمر الله والشفقة على خلق الله فكأنهما
اكتفتا جنهتى الاسلام الذى هو الصراط المستقيم وفطرتى الايمان والدين
القوميم " (٣) .

فشأن الامانة والرحم عظيم وقد هدد الله ورسوله القاطع بالعدا

الشديد واللعن والسمم والعص في الدنيا ، وقد سبق للرحم يوم

خلقها الله أن تملقت به عز وجل وقالت هذا مقام العائذ بك يا رب

فقال لها أما ترضين ان أصل من وصلك واقطع من قطعك فقالت :

بلى يا رب^(٤) قال فذلك لك " .

وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس يكونون على الصراط يوم تبدل

الأرض غير الأرض والسموات كما جاء في حديث عائشة رضى الله عنهما

قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل :

(١) الأحزاب الآية ٧٢ .

(٢) النساء الآية ١ .

(٣) أنظر فتح البارى ج ١١ ص ٤٥٣ .

(٤) أخرجه البخارى ج ١٣ ص ٤٦٥ (التوحيد) ، وسلم فسى

كتاب البر ج ٤ ص ١٦٨٠ .

(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) فأين يكون الناس يومئذ
يا رسول الله ؟ فقال على الصراط " (١) .

وزاد أحمد على الزواية السابقة لمسلم " ان هذا لشيء
ما سألتني عنه أحد من أمتي قبلك " ثم ذكر الحديث (٢) وهذا
الحديث فيه اخبار بسعة الصراط وأن الناس يكونون عليه حينما يحصل
التبديل في الأرض والسماوات ، وهنا اشكال يرد وهو :
أن النصوص قد جاءت بأن الناس يقفون على الأرض الصادلة في
الموقف وهي الأرض التي تطهر لنزول المولى عز وجل .
وهذا الحديث يفيد أن التبديل يحصل والناس على الجسر .
ومعلوم أن الجسر متأخر عن الموقف فمعنى هذا أن الناس
وقفوا على الأرض قبل تغييرها وهذا معارض بالأحاديث الأخرى التي
يذكر فيها نزول الله في غير هذه الأرض أي في الأرض التي تطهر
لنزول الله تعالى .

والجواب عن ذلك كما ذكره العلامة البيهقي رحمه الله بقوله :
" فيحتمل ان يكون هذا في وقت خروجهم من الصور الى أن تبدل
الأرض وتمد مد الاديم ثم يكونون عليها " (٣)

(١) مسلم ج ٥ ص ٦٥٩ ، والترمذي ج ٥ ص ٢٩٦ ، وابن ماجه

ج ٢ ص ١٤٣٠ .

(٢) السنن ج ٦ ص ١٠١ .

(٣) أنظر كتاب البحث والنشر بتحقيق الصاعدي ص ٣٩٣ .

هذا القول الصحيح لا يصح التمسك به

وفى رواية لابن ماجة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الصراط بين ظهرا نى جهنم على حسك كحسك السمعان ثم يستجيز الناس فجاج مسلم ومخدوح به ثم ناج ومحتبس به ومكوس فيها " (١)

وفى لفظ آخر عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يوضع الصراط بين ظهري جهنم والانبياء بنا عيتيه قولهم اللهم سلم سلم اللهم سلم سلم وانه لدخلى مزلة وانه لكلايب وخطا طيف قال عبدالرحمن (٢) : ولا أدرى لعله قد قال تخطف الناس وحسكة تنبت بنجد يقال لها السمعان قال ونحتها لهم فأكون أنا وأمتى لأول من مر أو أول من يجيز قال فيمرون عليه مثل البرق ومثل الريح ومثل اجاويد الخيل والركاب فجاج مسلم ومخدوش مكلم ومكوس فسى النار " (٣) الخ .

وعن المغيرة بن شمبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شعار المؤمن على الصراط رب سلم سلم " (٤) .

وعن أنس بن مالك قال : سألت النبی صلى الله عليه وسلم ان يشفع لى يوم القيامة فقال انا فاعل قال : قلت يا رسول الله

-
- (١) ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٣٠ ، وأحمد ج ٣ ص ١١ .
(٢) يعنى عبدالرحمن بن اسحق - أحد رواة الحديث .
(٣) مسند أحمد ج ٣ ص ١٧ .
(٤) الترمذى ج ٤ ص ٦٢١ ثم قال " قال أبو عيسى هذا حديث غريب من حديث المغيرة ابن شمبة لا نعرفه الا من حديث عبدالرحمن ابن اسحاق) .

فأين أطلبك ؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني على الصراط ، قال قلت : فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان ، قلت : فان لم ألقك عند الميزان ؟ قال فاطلبني عند الحوض فأنسي لا اخطئ هذه الثلاث المواطن " (١) .

وعن أبي بكره رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتقادح بهم جنبتا الصراط تقادح الفراش في النار قال فينجى الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء " (٢) الى آخر الحديث .

وعن أنس رضي الله عنه قال : حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم اني لقاتم انتظر أمتي تصبر على الصراط . (٣) الحديث . وقد أخبر صلى الله عليه وسلم كما في بعض الاحاديث التي سقناها انه قائم على الصراط يدعو لأمته بالنجاة واجتياز الصراط بسلام وفسي بعض الروايات اخبر صلى الله عليه وسلم أن الانبياء على ناحيتي الصراط يقولون رب سلم سلم .

ويجاب عن هذا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر مرة عن نفسه ومرة أخرى عن جميع الأنبياء والله أعلم .

(١) الترمذي ج ٤ ص ٦٢١ قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب

لا نعرفه الا من هذا الوجه .

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٤٣ .

(٣) المسند ج ٣ ص ١٧٨ .

وأخرج ابن ماجة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال يا أهل الجنة فيظلمون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ثم يقال يا أهل النار فيظلمون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه فيقال هل تعرفون هذا قالوا نعم هذا الصوت قال فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كلاهما خلود فيما تجدون لا موت فيها أبدا " (١) .

وتكفى بذكر ما تقدم من الأحاديث على اثبات الصراط وما يتعلق به من أمور ، و يتضح من خلال تلك النصوص أنه : مر رهيب وعقبة خطيرة عليه من أنواع التمذيب ما لا يعلمه الا الله عليه كلابب مثل شوك السعدان تخطف من أمرت بخطفه لا يحلم قدر عظمتها الا الله لا يتكلم عليه أهد غير الرسل ودعاؤهم عليه اللهم سلم سلم وهو دعوى مولة ينزلق فيه المارة بسرعة ، وأول من يجيزه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأمه أكراما وتشريفا لهم وثبت كذلك أن الناس يختلفون فى سرعة المرور عليه ويختلفون فى أخذهم لانوارهم كل ذلك حسب الصل وهم يدعون اللهم سلم سلم وهذا ولا شك يشير الى خطورة الصراط والمرور عليه ان هو مظنة الهلكة ان لم يكتب الله السلامة لمن يجتازه

(١) أخرجه ابن ماجة ج ٢ ص ١٤١ .

فهذا يسقط وهذا يزحف وذاك يبر مسرعا وهذا تصيب جوانبه
النار وهذا تخطفه ^{الكلاب} الكلاب وحقا انه من المسالك الخطيرة الرهيبة
اعاننا الله عليه بفضله ورحمته .

~~~~~

~~~~~

~~~~~

~~~~~

(الفصل الثالث)

((وصف الصراط والمرور عليه))

=====

وقد اتضح مما سبق أن الصراط يمتاز بصفات عديدة يمكن
ايجازها فيما يأتي :

(١) أن الصراط ممر رهيب جدا تقف الرسل على جانبيه يدعون
للخلق المارين عليه بالسلامة والنجاة .

(٢) أن عليه كلاليب وخطاطيف وحسك مثل شوك السعدان معلقة
به تخطف من أمرت بخطفه .

(٣) أنه مذهبة مزلة فهو على دفته أيضا منزلق لا تثبت عليه قدم
الا اذا كتبت لها الثبات بأن كان صاحبها من أهل
السعادة .

(٤) ومن أوصاف الصراط اضافة الى ما تقدم انه أحد من السيوف
وأدق من الشعرة .

وقد خالف بعض الناس في ثبوت هذا الوصف وذهبوا الى
تأويلات وأقوال مضطربة تاركين ما بان ثبوته من أنه أحد من السيوف
وأدق من الشعرة .

فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد أنه قال : " بلغني
أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيوف " (١) .

(١) مسلم ج ١ ص ٤٤١ (النوى) .

وقد نسب ابن منده هذا القول الى سعيد بن أبي بلال (١) ،

ومضمهم يسميه سمسيد بن هلال . (٢)

وفى مسند الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال ((لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من

السيف عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء)) (٣) .

وعن عمير بن عمير رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال : ((الصراط على جهنم مثل حرف السيف بجننتيه الكلاليب

والحسك فيركبه الناس فيتخطفون والذي نفسى بيده انه ليؤخذ بالكروب الواحد

أكثر من ربيعة ومضر)) (٤)

وكان عمير بن عمير يقول : (أيها الناس انه جسر أعلاه حصى

مزلة مر الأول فنجا ومر الآخر فناج ومخدوش والملائكة على جنهات

الجسر يقولون رب سلم سلم قال : وان الصراط مثل السيف على جسر

جهنم وان عليه كلاليب وحسكا والذي نفسى بيده انه ليؤخذ بالكروب

الواحد أكثر من ربيعة ومضر) (٥)

(١) تحقيق كتاب الامان ج ٣ ص ٧٨١ للدكتور/على بن محمد ناصر الفقيهى

(٢) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨١ .

(٣) السنن ج ٦ ص ١١٠ .

(٤) قال المنذرى عن هذا الحديث انه رواه البيهقى مرسلًا وموقوفًا على

عمير بن عمير ، الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٢٩ .

ويذكر ابن حجر انه من مرسل عمير بن عمير ، فتح البارى ج ١١

ص ٤٥٤ .

(٥) النهاية ج ٢ ص ١٧٦ وعزاه الى ابن أبي الدنيا .

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((الصراط كعهد
السفرة أو كعهد السيف وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وأن
جبريل لاخذ بحجزتى ^(١) وانى لأقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات
يومئذ كبير)) ^(٢) .

وعن أنس أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((على
جهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف أعلاه نحو الجنة دحس
مزلة بجنهتيه كلاليب وحسك من النار يحبس الله بها من يشاء من
عباده الزالون والزالات يومئذ كبير والملائكة بجانبه قيام ينادون
اللهم سلم سلم)) ^(٣) ألخ الحديث .

ولابن منيع (عن أبي هريرة رفعه الصراط كعهد السيف) .

والطبراني والبيهقي بسند صحيح (عن ابن مسعود قال :

يوضع الصراط على سواة جهنم مثل حد السيف المرهف) ^(٤)

وقد روى هذا الحديث الطبراني باسناد حسن كما يذكر

المنذرى . ^(٥)

وهذه الروايات كلها تفيد صحة وصف الصراط بأنه احد من السيف

وأدق من الشعرة .

(١) حجزتى : أصل الحجزة هي موضع شد الازار . أنظر النهاية

لابن الاثير ج ١ ص ٣٤٤ .

(٢) التخويف من النار ص ١٦٦ وعزاه الى البيهقي .

(٣) التخويف من النار ص ١٦٦ وعزاه الى البيهقي .

(٤) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٢ .

(٥) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٢٥ .

وقد ذكر الأشعري أن المسلمين اختلفوا في وصف الصراط
الى قولين رئيسيين : فريق يثبت الصراط على ضوء ما تقدم من النصوص
وفريق آخر يؤل ما جاء من هذا الوصف الى تأويلات بعيدة كالتقول
بأنه طريق للصبر عليه فحسب ويغضهم يذهب الى أبعد من هذا حيث
يذكر أن هذا الوصف هو من ضرب الشل للخفي الفاضل
بالشيء المعروف .

وفي هذا يقول : (واختلفوا في الصراط فقال قائلون : هو
الطريق الى الجنة والى النار ووصفوه فقالوا هو أدق من الشعر وأهد
من السيف ينجي الله عليه من يشاء ، وقال قائلون : هو الطريق وليس
كما وصفوه بأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة ولو كان كذلك لاستحال
المشي عليه) (١) .

ولكنه وهو يذكر اختلاف الناس في ذلك لم يبين من هم
الذين وصفوه بتلك الأوصاف ومن هم الذين امتنعوا عن وصفه وسنشير
اليهم ، والواقع أن الخلاف في صفة الصراط لا ينحصر في هذين
الأمريين فقد ذكر العلماء أقوالا أخرى ، فهناك من يقول (انه
يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره فعرض صراط كل أحد
بقدر انتشار نوره) (٢)

(١) المقالات ج ٢ ص ١٦٤ .
(٢) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٢ - ٣٨٣ ، وأنظر تكملة شرح الصدور ص ٣١ .

وهناك من يذهب الى التوقف في حقيقته ، كالوزاني في قوله :

" ولو قيل بالوقف ما بعد لأن كلفيته لا تتلقى الا من الشارع ولم يسرد فيه نص صريح " (١)

وهناك من يذهب الى تأويلات أخرى كتنقل الوزاني والبرديسي

عن الكمال في شرحه لما ورد في مسلم من وصف الصراط أنه أحد من السيف

وأدق من الشعرة " بأن ذلك يضرب مثلاً للخفى الفاضل وأول كونه

أحد من السيف بسرعة انفاذ الملائكة أمر الله تعالى بإجازة الناس عليه "

الى أن يقول " وقال بعضهم كل من الرقة والحدة كناية عن شدة

الشدة " (٢)

ويقول القرطبي " ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب (٣)

في وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف ان ذلك راجع

الى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك

الا الله تعالى لخفائها وغموضها " .

وقد جرت العادة بتسمية الفاضل الخفى دقيقا فضرب المثل

له بدقة الشعر فهذا والله أعلم من هذا الباب .

ومعنى قوله : وأحد من السيف : أن الأمر الدقيق الذي

يصعد من عند الله تعالى الى الملائكة في اجازة الناس على الصراط يكون

(١) ، (٢) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٢ - ٣٨٣ ، وأنظر تكلمة شرح الصدور

ص ٣١ .

(٣) وهو يشير الى رأى الزركشي كما في تكلمة شرح الصدور ص ٣٢ .

في نفاذ حد السيف ومضيه اسرعا منهم الى طاعته وامثاله ولا يكون له
مرد كما أن السيف اذا نفذ بحدته وقوة ضاربة في شيء لم يكن له
بمد ذلك مرد واما ان يقال ان الصراط نفسه احد من السيف
وأدق من الشعر فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبه
وان فيه كلاليب وحسكا أي أن من يمر عليه يقع على بطنه ومنهم من يزل
ثم يقوم وفيه أن من الذين يمرون عليه من يحطى النور يقدر موضع قدميه
وفي ذلك اشار إلى أن للمارين عليه مواطى الاقدام ومعلوم أن رقعة
الشعر لا يحتمل هذا كله ، ثم قال أيضا : " وقال بعض الحفاظ
ان هذه اللفظة ليست بثابتة " (١)

ولكن القرطبي وهو ينقل هذه الآراء لم يوافق عليها كما

سيأتي .

وزهد القرافي كذلك الى انكار أن يكون الصراط أدق من الشعرة

وأحد من السيف كما ينقله عنه الشيخ الطيب في قوله : " وقال القرافي
لم يصح في الصراط أنه أرق من الشعر وأحد من السيف شيء والصحيح
انه عريض وفيه طريقتان يمنى ويسرى فأهل السعادة يسلك بهم ذات
اليمن ، وأهل الشقاوة ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفذ
لطبقة من جهنم " (٢)

(١) التذكرة ص ٣٣٣ ح

(٢) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨١ .

وقال السفاريني : " وانمكر العلامة القرافي كون الصراط أدق

من الشمر وأحد من السيف وسبقه الى ذلك شيخه العز بن عبد السلام" (١)

ويقول السفاريني عن القرافي انه - تبخعا للبيهقي يقول ما جاء في

وصف الصراط - السابق الذكر - بأن أمره أدق من الشمر فان يسر

الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمماضى ولا يعلم حدود ذلك

الا الله تعالى ، وقد جرت العادة بضرب دقة الشمر مثلا للغامض

الخفى وضرب حد السيف لاسراع الملائكة في المضي لامثال أمر الله

واجازة الناس عليه " (٢) .

ويذكر الوزاني ان هذا الرأي لم ينفرد به القرافي " بل

قال به جماعة من المحققين كمرالدين والزرکشي والبيهقي " (٣) .

وقد أيد الشيخ على الأجهوري رأى القرافي وذكر أنه لا ينبغي

أن يعدل عنه لتحديث عائشة رضي الله عنها في ذكر وقوف الناس على

الصراط يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات كما نقله عنه الوزاني في

قوله : " وقال الشيخ على الأجهوري الظواهر تدل لما قاله القرافي

فلا يعدل عنها منها حديث ان الناس يكونون عليه يوم تبدل الأرض

غير الأرض وهو في الصحيح " (٤)

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٣ .

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٣ .

(٣) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨١ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٨٣ .

والواقع أن تلك الأقوال تأويلات ، فقد رأينا ما سبق ثبت
وصف الصراط بأنه جسر أدق من الشجرة وأحد من السيف وأما الآراء
السابقة فيتضح من استعراضنا الآتي لها أنها ليس عليها دليل .
أما رأى القرافي الذي تقدم فانه يرد عليه أنه نفى صفات وأثبت
صفات أخرى تحتاج الى دليل وكان الأولى أن يقول بما جاء به
الدليل فاثباته ان فيه طريقين يمنى ويسرى وأنه عريضة وأن فيه
طاقات لا يتفق مع مفهوم الأحاديث الصحيحة المتقدمة التي تفيد
أنه طريق واحد كما وصف في الأحاديث السابقة .

ولهذا يذكر صاحب النشر الطيب انه قد تعقبه ابن ناجس

بحديث مسلم عن أبي سعيد . (١)

وقد انتقده أيضا صاحب اضاءة الدجنة فقال :

وما يقال أنه ارق من شعر صدقه فهو حق

وفي صحيح مسلم ما ارشدا اليد والضرير فيه انشدا

والرب لا يمجزه امشاؤهم عليه اذا لم يعميه انشاؤهم

وللقرافي هنا كلام نخط به من أجله . ملام (٢)

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨١ .

(٢) المصدر السابق

وأما الاستدلال بحديث عائشة في ذكر أن الناس يكونون على الصراط يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات على أن الصراط ليس بذلك الوصف (أى ادق من الشجرة وأحد من السيف) فإنه لا يتم الاستدلال به على نفي صفة الصراط المراد اثباته وذلك أن الجسر هذا الذى يقف عليه الناس لا يلزم منه أن يكون المقصود به جسر جهنم فقد ذهب بعض العلماء الى أن هذا مكان آخر يختلف عليه الناس وليس هو الجسر الذى يمرون فوقه الى الجنة أو لعل المراد بهذا الجسر الظلمة التى هى دون الصراط والتى فيها تقسيم الأنوار وهذا ما ذهب اليه الأبي أيضا فى شرحه لصحيح مسلم حيث قال : " الصراط يحتمل أنه الصراط المعروف ويحتمل انه اسم للموضع غيره تستقر الخلق عليه وكأنه الأظهر للحديث المتقدم وقد سألته عائشة أين يكون الناس يوم تبدل الأرض ؟ قال هم فى الظلمة دون الجسر " (١) .

ثم ما الذى يمنع ان تكون قدرة الله تعالى اقتضت أن الصراط يكون بتلك الدقة وهو مع ذلك يستوعب الخلق حينما يتم تبديل السموات والأرض فقدره الله تعالى لا يحدها .

وأما قول من ذهب الى التوقف فى صفة الصراط بحجة انه لم يرد به نص أو ورد عن الصحابة دون التصريح برفعه فإنه قول يحتاج الى اثبات ان النصوص تشهد بخلافه .

وقد تقدم في الأدلة ما يثبت وصف الصراط بالصورة المذكورة
كما أخرج مسلم عن أبي سعيد ، وهؤلاء يردون هذا الحديث ثم
يتكفون في رده اجوبة غير مقنعة فهم يمللون ردهم له تارة بأنسه
من قول أبي سعيد ، وتارة بأنه لعله أخذه عن بعض أهل الكتاب ،
وتارة يحكمون عليه بالإرسال ، وتارة يحكمون عليه بالارسال كما ذكر
صاحب النشر الطيب ذلك عن زروق وقد استنبط الوزاني من قول أبي
سعيد : (" بلخني " انه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
وهو الظاهر - كما يقول الوزاني : والا لرفعه وانما سمعه من غيره
أى صحابي آخر ولم يذكره هذا اذا قلنا انه سمعه من صحابي ، وأما
ان قلنا انه تلقاه من أهل الكتاب أو ممن أخذه منهم فليس بحديث
أصلا (١) .

وفي قول الوزاني أن أبا سعيد يحتمل أنه سمع هذا الكلام من
صحابي آخر ولم يذكره أو انه تلقاه من أهل الكتاب أو ممن أخذه منهم
كلها احتمالات لا تقوى على نفي صحة وصف الصراط بذلك ، فلو أن
أبا سعيد سمعه من صحابي آخر على أنه حديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتخرج أبو سعيد فسلم يقل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
لما عد هذا قادحا في صحة رفعه ، فان الصحابي حينما يقول

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨١ .

بلغنى لا يحتمل الا أن بلغه عن الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك مباشرة ، أو عن صحابى آخر ، ولا شك أن كلام الصحابة له حكم الرفع وخصوصا فى مثل هذه المسائل الفيبية ، ويصعد أن يكون أبو سعيد الخدرى سمعه من أهل الكتاب كما يذكر الوزانى فى تعليقه على قول أبى سعيد بلغنى بأنه " يحتمل أن يكون عن النبى صلى الله عليه وسلم أو عن أهل الكتاب الذين أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم " (١) .

فلو أنه بلغه عن أهل الكتاب لكان الظن به أن يبين ذلك فسكوته دليل على أنه بلغه عن يرتضى قوله ، ولكنه لم يشأ التصريح بنسبة ذلك الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو أن أبى سعيد كان يعتقد بطلان هذا الوصف لما أغبره اخبار مقر بذلك مع أن هذا الوصف ورد أيضا عن غيره بروايات مرفوعة عن أبى هريرة وابن مسعود وسعيد بن هلال .

والقول
وخلاصة ^x انه يتضح مما سبق فى وصف الصراط أنه أهد من السيف وأدق من الشعرة ، وان قول من ذهب الى انه من ضرب الثل للخنفسى الفامى بالشىء المعروف أو أن كونه أحد من السيف بسرعة انفسان الملائكة لأمر الله وأن كلام من . الرقة والحدة كناية عن شدة المشقة

أو أن ذلك الوصف للصراف راجع الى يسره وعسره على قدر الطاعات
الى آخر أقوالهم السابقة فانها كلها تأويلات لا تتفق مع ظواهر
النصوص وليس لأهلها ما يستندون عليه في هذا النفي الا مجرد
الاستبعاد لأن يكون الصراف بهذا الوصف الدقيق مع ما جاء أن الملائكة
تقف على جانبه وان الناس يمشون عليه ، وأن عليه كالليب وحسكا الى
آخر أوصافه التي تدل بزعمهم على نفي أن يكون أحد من السيف وأدق من
الشعرة وقد سبق ان ذلك غير مستحيل على الله تعالى .

وعلى هذا فان القول الراجح ان هذه الأوصاف وان كانت واردة
في الصراف فانها لا تنفع ان يكون الصراف بهذا الوصف من الدقّة
ويمشى عليه الناس فان قدرة الله تعالى ليس لها حدود ، ويدل لهذا
الترجيح أمور :

- أ - ورود روايات وأخبار تفيد ذلك كما ذكرت سابقا .
- ب - أن هذه الصفات هي التي قواها جمهور العلماء واعتقدوا صحتها .
كما تدل عليه أقوالهم الآتية : -

(١) قال الحافظ أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري " جاء في

الحديث انه أحد من السيف وأدق من الشعرة " (١)

(٢) وقال النووي : " وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من المسلف يقولون أن

(١) كتاب الابانة ص ٦٦ تحقيق د . رضا نعيان .

الصراط أدق من الشعرة وأهد من السيف كما ذكره أبو سميعة
الخدري رضى الله عنه " (١)

(٣) وقال السفاريني : " قال الملطاء الصراط أدق من الشمرة
وأهد من السيف وأحصى من الجمرة " (٢)

(٤) وقال القرطبي يرد على من يزعم استبعاد وصف الصراط بأنه
أحد من السيف وأدق من الشعرة .

" ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الاخبار وأن الايمان
يجب بذلك وأن القادر على امساك الطير فى الهوى قادر على أن يمسه
عليه المؤمن فيجره أو يمشيه ولا يحدل عن الحقيقة الى الجواز الا عند
الاستحالة ولا استحالة فى ذلك للأثار الواردة فى ذلك وبما بنقل
الأئمة المدول ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور " (٣)

جـ - ان الذين نفوا ثبوت تلك الصفات ليس لهم مستند فى تفهيم
الا الاستبعاد المطلق أن يكون بهذه الصفة ويمشى عليه البشر
ولكن هذا الاستبعاد كما قدمنا لا يدل على أن الصراط لا يكون بذلك
الوصف الذى يثبت أهله السنة انه أحد من السيف وأدق من الشمرة
لأن الله قادر على أن يمشيهم على ما هذه صفته وليس ذلك على الله
بمعزيز .

(١) شرح النووى لمسلم ج ١ ص ٤٣٠ .

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٠ .

(٣) التذكرة ص ٣٣٣ .

فقد عرف في الدنيا بالشاهدة ان من اتقن رياضة شىء سهل عليه ما يصعب على غيره ، وقد ذكر كثير من الناس أن بعض من أتقن الرياضة يستطيع أن يمشى على الحبل الدقيق ، فاذا كان هذا يحصل في الدنيا من البشر فكيف يعجز الله تعالى أن يمشيهم على الصراط فنفى صفة الصراط بحجة انه لا يمكن المشى عليه وهو بهذه الدقة والحدة تأويلات بعيدة جدا وذلك التأويل " باطل - كما قال السفاريني - لوجوب حمل النصوص على حقائقها " " وليس المبحور على الصراط. بأعجب من المشى على الماء أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه " (١) .

أما من ناحية مرور الخلق على الصراط فقد سبقت الإشارة اليه في

الأحاديث السابقة .

وقد بينت تلك الأحاديث أن الخلق يختلفون في مرورهم عليه اختلافا عظيما ومتفاوتا غاية التفاوت قوة وطأ صمودا وانحدارا فوزا وخسارة ذلك أن السير عليه يكون بطريقة لا شيل لها في الدنيا ومركب لا عهد للناس به ذلك المركب هو العمل وعلى كثرته أو قلته يكون السير على الصراط ، ولأن الناس أعمالهم مختلفة فان المبحور عليه يكون كذلك مختلفا ، فقسم من الناس يمرن عليه مثل طرف الصين وهؤلاء أعلى

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٢ .

الناس مرتبة وأشرفهم منزلة ، وقسم آخر يمرون مثل البرق وهؤلاء
مثل أهل المنزلة السابقة أهل الأعمال الكثيرة والدرجات المظيمنة
المالية • ومدهم قسم يمرون كالريح وهم أقل من السابقين وأكبر
من بمدهم وهم على خير كثير وفوز عظيم .

ومدهم قسم آخر وهم أناس يمرون مثل اجاويد الخيل وهؤلاء
أقل عملا وفوزا ممن سبقهم وهم أول درجات الضعف في المرور على
الصراط .. ، ثم يأتي بمدهم من يمر كاجاويد الركاب ، ثم بعد هؤلاء
الفضلاء تأتي الأقسام الأخرى وهم الذين يخاف عليهم وهؤلاء يعبرون
بعد الجهد والمشقة ومنهم من يخرج ويتم العبور ومنهم من لم تكسب
له السعادة مطلقا أو مؤقتا فتخطفهم النار ويهون فيها .

وأول هؤلاء من يخرج وهو ناج مسلم لكنه بعد أن يعس ورأى
انه من الهالكين ، ولكنه أحسن حالا ممن يليه وهم الذين ينجون
ويتمون العبور على الصراط لكن بعد أن أصابتهم الخدوش ورأوا من
الاهوال ما توقعوا به السقوط لولا لطف الله بهم وهؤلاء حينما
يخرجون يلتفتون الى النار ويقولون الحمد لله الذي نجانا منك بمد
أن أرانك ، لقد اعطانا الله ما لم يخط أحدا .

ثم يأتي بمد أولئك آخر الناجين وأضعفهم سيرا وهم من
يسحبون سحباً أو يزهقون زحفاً على الصراط ، وربما فيهم من كان
في الدنيا يقطع المسافات الطويلة في ساعات قليلة بل في لحظات

ولكنه هنا بطمل حوله وقوته فليس له مركب الا عمله الذى لم يسهفه فسى
هذا الموقف الخطير كما أسعفته قوته فى الدنيا .

ثم يبقى القسم الأخير وهم من ساء حظهم وغلبت عليه شقوته
وهؤلاء لا يتمون المرور بل يكذبون ويسقطون فى جهنم تخطفهم
الكلايب من كل جانب لأنهم ليس لهم ما يمنهم منها كما حصل لمن
سبقهم ، وهناك أحوال كثيرة فى صفة مرورهم عليه ولكنها تدل على
أن المرور على الصراط إنما يتم وفق مقدار العمل الصالح الذى قدمه
الشخص لنفسه فى حياته الدنيا فهو المركب الوحيد هنا . (١)

وعن ابن سمود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فى صفة مرورهم ذلك وتوزيع الأنوار عليهم : " فيمطون نورهم على
قدر أعمالهم وقال فمنهم من يحظى نوره مثل الجبل بين يديه ومنهم
من يحظى نوره فوق ذلك ، ومنهم من يحظى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم
من يحظى دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يحظى نوره على ابهام
قدمه يضىء مرة ويطفأ مرة اذا أضاء قدمه واذا تطفأ قام
قال فيمر ويمر على الصراط والصراط كحد السيف دحض مزلة فيقال
لهم امضوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كأنقاض الكوكب ومنهم من يمر
كالريح ، ومنهم من يمر كالطرف ، ومنهم من يمر كشد الرجل يربط رسالا

(١) أنظر صحيح البخارى ج ١٣ ص ٤٢١ وج ١١ ص ٤٤٥ ، وأنظر
صحيح مسلم ج ١ ص ٤٣٨ وص ٤٧٥ وكذا ص ٤٣٠ .

فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على ابهام قدمه تخربسد
وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فيخلصون فاذا
خلصوا قالوا الحمد لله الذي نجانا منك بعمد أن أراناك لقد أعطانا
الله ما لم يحط أحد " (١)

وعند ابن أبي حاتم في التفسير من طريق أبي الزعراء عن
ابن مسعود في صفة مرورهم على الصراط أنهم يمرون " كمر السرقة
ثم الريح ثم الطير ثم اجود الخيل ثم الابل ثم كمدو الرجل
حتى ان آخرهم رجل نوره على موضع ابهامي قدميه ثم يتكفأ به
الصراط " (٢)

وقد اختلف العلماء في اعطاء المنافقين أنواراً يحشون بها
كالمؤمنين هل يحصل ذلك أم لا ، اختلفوا فيه الى قولين ذكرهما
ابن رجب رحمه الله بقوله :

" وقد اختلف السلف هل يقسم للمنافق نور مع المؤمنين

ثم يطفأ أو لا يقسم له نور بالكلية على قولين :

١ - قول من ينفي ذلك وأنه " لا يقسم له نور بالكلية قال صفوان بن عمرو

حدثني سليم بن عامر سمع امامة يقول يفشى الناس ظلمة شديدة - يمتسى

يوم القيامة - ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا ويترك الكافر والمنافق

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٣٧٦ .

(٢) فتح الباری ج ١١ ص ٤٥٣ .

فلا يحطيان شيئاً وهو الشل الذي ضربه الله في كتابه قال تعالى :

(أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم
يجعل الله له نوراً فما له من نور) (١) فلا يستضيء الكافر والمنافق
بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير (يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نوراً) (٢) ، قال وهي خدعة الله التي خدع بها
المنافقين قال عز جلاله (يخادعون الله وهو خادعهم) (٣) ، فيرجعون
الى الموضع الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون اليهم فضرب
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمه وظاهره من قبله المذاب السى
قوله (وئس المصير) (٤) .

قال سليم (٥) فلا يزال المنافق مفترماً حتى يقسم النور ويميز
الله بين سبيل المؤمن والمنافق " (٦)

٢ - " أنه يقسم للمنافقين النور مع المؤمنين كما كانوا مع المؤمنين في الدنيا
ثم يطفأ نور المنافق اذا بلغ السور " (٧)

-
- (١) النور : ٤٠
(٢) الحديد : ١٣
(٣) النساء : ١٤٢
(٤) الحديد ١٣ - ١٥ .
(٥) يعنى الراوى عن ابى امامة وهو سليم بن عامر .
(٦) التخفيف من النار ص ١٧٢ وعزاه الى ابن أبى حاتم .
(٧) المصدر السابق وعزاه الى مجاهد .

وروى عتبة بن يقظان عن عكرمة عن ابن عباس قال : ليس أحد من أهل التوحيد الا يعطى نورا يوم القيامة فاما المنافق فيطفاً نوره فالمؤمن يشفق مما يرى من اطفاء نور المنافق فهم (يقولون ربنا اتمم لنا نورنا) (١) .

وقال آدم بن أبي اياس : انأنا المبارك بن فضلة عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يدفع يوم القيامة الى كل مؤمن نور والى كل منافق نور فيمشون معه فبينما نحن على الصراط ان غشينا ظلمة فيطفاً نور المنافق ويضيء نور المؤمن فعند ذلك) قالوا ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا) (٢) حين يطفىء نور المنافقين " (٣) .

وفى الختام أود التنبيه الى أن اخباراً وردت في صفة مرور البشر على الصراط تحتاج الى اثبات منها ما قيل من أنه لا يمر على الصراط أحد الا بجواز فيه التصريح له . بدخول الجنة وهذا كالخبر الذي أورده ابن كثير عن سلمان الفارسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يعطى المؤمن جوازا على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ادخلوه الجنة عاليه قطوفها دانية)) (٤) فهذا الخبر فيه نظر لأن ظواهر الأحاديث الصحيحة تدل على

(١) التحريم ٨

(٢) التحريم ٨

(٣) التخويف من النار ص ١٧٣ .

(٤) النهاية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٩ وعزاه الى الحافظ الضياء المقدسي

خلافه وان المؤمن يمر على الصراط بهيئات مختلفة دون جواز وانما جواز عمله لا غير .

وهناك أحاديث أخرى من هذا القبيل موضوعة مثل حديث

(ان أبا بكر رضى الله عنه قال لعلى رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على الصراط عقبة لا يجوزها أحد الا بجواز من على بن أبى طالب فقال على سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي : يا على لا تكتب جوازا لمن سب ابا بكر وعمر) .

فهذا الحديث قد رواه الخطيب وقال موضوع من عمل القصاص. (١)

وكذلك ما يروى عن على رضى الله عنه (حديث اذا جمع

الله الأولين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط لم يجز اهلالا من كان معه براءة بولاية على رضى الله عنه) .

وهذا الحديث (رواه الحاكم عن على مرفوعا قال ابن الجوزى

موضوع وقال صاحب الميزان هذا خبر باطل) .

ورواه الخطيب عن ابن عباس قال : قلت للنبي صلى الله

عليه وسلم يا رسول الله للنار جواز قال نعم قلت : وما هو ؟ قال

حب على بن أبى طالب ، وفق اسناده محمد بن فارس بن حميدان

الصبدي قال أبو نعيم : رافضى قال ، وقال الخطيب هذا الحديث

باطل وفق الميزان هذا موضوع .

(١) أنظر الفوائد المجموعة ص ٣٨١ .

(الفصل الرابع)

((متى يتم المرور على الصراط))

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

كُتِبَ المرور على الصراط من المسائل التي لم تحدد بنص ثابت فيما رأيت الا أنه بالنظر الى الترتيب الزمني فانه يمكن أن يقال انه يقع بعد الأمور التي تتم في الموقف من المرض والحساب والصحف والميزان وذلك يكون قبل انصراف الخلق وهذا هو ما اشار اليه البرديسي في قوله : (فاذا وقع السؤال ونصبت موازين الأعمال وتطايرت الكتب عن اليمين والشمال وضع الصراط على متن جهنم)^(١) ، وهو ما نقلسه أيضا عن القرافي بقوله (قال القرافي وقت المرور عليه بعد الحساب)^(١) وترجيح القول بأنه يقع بعد هذه الأمور التي تتم في الموقف نظرا الى أن الفرض من وضع الصراط انما هو لانصراف الناس الى أماكن استقرارهم من الجنة أو النار فهو متأخر عن كل ما يقع في الموقف .

قال العلامة علي بن علي بن أبي الصر الحنفي : " ونؤمن بالصراط وهو جسر على جهنم اذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف الى الظلمة التي هي دون الصراط " .

وذكر حديث عائشة ثم قال : " وفي هذا الموضع يفترق المنافقون

عن المؤمنين ويتخلفون عنهم ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يضمنهم من الوصول اليهم " ^(٢)

ويظهر أن الناس جميعهم ينتقلون من الموقف الى الظلمة التي هي

دون الجسر كما افادته النصوص .

(١) تكملة شرح الصدور ص ٣٠ (٢) المصدر السابق ص ٣٢ .

(٣) شرح الطحاوية ص ٤٦٦ .

(الفصل الخامس)

((الحكمة قى نصب الصراط))

=====

لله تعالى حكم فى خلقه وفى كل أمر من الأمور بعضها مما يكون للعقل فى استنباطه مجال ، بعضها لا يستطيع ادراك شىء منها لضعفه وقصوره عن ادراكها .

ومن تلك المسائل التى ليس للعقل فى تفصيلها مجال الا بالاستناد الى النص (الحكمة من نصب الصراط) ان الله تعالى لو شاء أن يجتاز الخلق الى الجنة والى النار دون نصب الصراط لكان ذلك ممكنا فى مقدور الله تعالى ، ان ليس الغرض من نصبه ليستطيع الخلق السير ، وانما فى ذلك حكم كثيرة وأسرار عظيمة .

ومع ذلك فان بعض العلماء يحاولون استنباط بعض الحكم ويجهدون عقولهم فى ذلك قال البدر الزركشي " الحكمة فى نصبه ظههور عظيم فضل الله تعالى للمؤمنين فى النجاة من النار ومصير الجنة بمسند اسر لقلوبهم وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم فى الورود " (١) .

ولعل هناك حكما أخرى لم يطلع عليها أحد الا الله سبحانه وتعالى وليس تكلف القول فى البحث عن الحكم مما كلفنا به ، وانما المهم فى هذا هو الايمان بما ورد به النص من نصب الصراط ومرور النجاس عليه على الحالات التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(الفصل السادس)

((مسافة الصراط))

لم أجد نصا صحيحا يثبت مسافة الصراط ومقدار ما يجتاز
العابرون عليه من الزمن ، وحيث ان المسائل الخيية ومنها هذه
السألة لا يصح فيها القول الا بدليل ثابت فاننى سوف أورد هنا ما قاله
بعض أهل العلم فى مقدار السير عليه وحكم هذه الأقوال للتنبه
عليها .

" ما جاء عن الفضيل بن عياض قال بلغنا أن الصراط مسيرة
خمسة عشر ألف سنة خمسة الاف صمود وخمسة الاف هبوط وخمسة آلاف
مستوى أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه
الا ضامر مهزول من خشية الله " (١) .

وفى رواية أخرى عنه انه قال لشربن الحارث : " يا بشر
مسيرة الصراط خمسة عشر ألف فرسخ فانظر كيف تكون على الصراط " (٢) .
" وروى فى بن اسحاق عن الفضيل قال الصراط أربعون ألف
فرسخ " (٣) .

ويمزوا بن كبير بسنده الى أبى واعظ الزاهد انه قال :
" بلغنى أن الصراط ثلاثة آلاف سنة يصعد الناس عليه

(١) فتح البارى ج ١١ ص ٤٥٤ ، لواع الأنوار ج ٢ ص ١٩١ .

(٢) التخويف من النار ص ١٧٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٦ .

وألف سنة يستوى الناس وألف سنطنة يهبط الناس " (١) .

ويقول القرطبي : " فمضم من يجوز الصراط على مائة عام

وآخر يجوز على ألف " (٢) .

وقال الوزاني فيما ينقله عن الفزالي : " وفي كلام الفزالي أن

منهم من يجوز على مائة عام ، وآخر على ألف عام " (٣) .

وعن الاقفهسي قوله " ورد في بعض الأحاديث مسيرة ثلاثة

آلاف سنة ، وألف سنة صمود ، وألف استواء ، وألف هبوط " (٤)

وقال الوزاني : " وقيل خمسة عشر ألف سنة خمسة آلاف صمود

وكذا الاستواء والهبوط " (٥) .

ويقول الجيلاني : ان " طوله ثلاثمائة سنة من سنى الاخيرة

يجوزه الأبرار وتزل عنه الفجار ، وقيل ثلاثة آلاف سنة من سنى

الآخرة " (٦) .

" وقال محمد بن السماك : سمعت رجلا من زهاد أهل

البصرة يقولون الصراط ثلاثة آلاف سنة ألف سنة يصعدون فيه ، وألف

سنة يستوى بهم ، وألف سنة يهبطون منه " (٧)

(١) النهاية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٠ وانظر ص ١٧٩ .

(٢) التذكرة ص ٣٣٠ .

(٣) ، (٤) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) الغنية ج ١ ص ٧١ .

(٧) المتخوف من النار ص ١٧٦ .

وقال البرديسي : " قال الاكثرون الصراط جسم طرفه في أرض
القيامة . وطرفه الثاني في أرض الجنة وهو على متن النار ، وقالوا أن
أرض القيامة تكون على النار وعليه يكون اجتماع الخلائق بأسرهم
ويكون الذهاب للجنة على الصراط ولا سبيل لها الا عليه وهو المعنى
بقوله تعالى : (وان منكم الا وارداها) (١) .

ونسب الى الاقنيسي قوله " قال الاقنيسي في بعض
الأحاديث سيرته ثلاثة آلاف سنة ألف سنة صمود وألف سنة
هبوط وألف سنة استوى " (٢) وهو ما نقله عنه الوزاني كما سبق
ذكره .

والواقع أن تلك الأقوال وغيرها ما ورد في تحديد مسافة
الصراط مما لم يتضح دليله وتكلف القول بالتحديد دون دليل ظاهري
فيها مما لا ينبغي ولا أدل على هذا من البيان الشاسع فيما ذكره
من المسافات ، ومعلوم أن سبب ذلك يرجع الى عدم وجود نص
قاطع عن النبي صلى الله عليه وسلم وتبقى هذه الأقوال الواردة عن بعض
العلماء أقوال لا يثبت بها مثل هذا الأمر الغيبي ، أضف الى هذا
ان العلماء وهم يذكرون تلك المسافات لم يجزموا برفضها الرسول الله
صلى الله عليه وسلم بسند صحيح صدرت عنهم عند الاخبار
لهذه المسافات بصيغ لا تدل
على الجزم بل يقولون روى ، وقيل ، بلغنا ، والظاهر السدي

(١) تكملة شرح الصدور ص ٣٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ .

يتبين من النصوص أن المسافة التي يقطع بها الجسر من الأمور التي لا تنضبط ، وذلك لاختلاف الأعمال التي هي مطية السير عليه ، فمن كان في هذه الحياة مستقيماً على الصراط المحنوي من التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قويا في دينه سرعاً إلى طاعة الله ومرضاته استقام على ذلك الصراط الحسى وسار عليه بسرعة كلعج البصر أو البرق أو الريح أو جياذ الغيل إلى غير ذلك مما ورد به النص ، ومن لم يستقم عليه لم يستقم على الصراط الحسى وزل عنه وتأخر في سيره فهو يزحف أو يسحب سحباً أو يقوم مرة ويقف أخرى .

قال أبو طاهر القزويني " ومن اعتاد المرور في الدنيا على صراط الاسلام هان عليه المرور على صراط الآخرة ، ومن لم يتمرد ذلك في الدنيا صعب عليه وزلت قدمه وهل هذا الصراط الا **مفضل** محسوس للصراط المعنوي والجملة فسرعة مرور الناس على صراط الآخرة وطؤهم يكون على حسب مبادرتهم إلى مرضاة الله وطئهم عنها . " (١)

وما تقدم من الأقوال التي تحدد مسافة الصراط فإنها إضافة إلى عدم ثبوتها لم تكن مقبولة لدى جميع العلماء ، فقد حكم الحافظ ابن حجر على رواية الفضيل بن عياض بأن خبرها " معضل لا يثبت " وعلى رواية سعيد بن أبي هلال بأن خبرها " مرسل أو معضل " (٢)

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٤ .

والوزاني بعد أن نقل بعض تلك الأقوال التي ذكرناها عنه في
تحديد مسافة المبور على الصراط ذكر أن القول الحق في هذا هو
عدم التحويل على عدد (١) .

وعلى هذا فإن القول بتحديد مسافة المبور على الصراط بمدة
محددة أمر غير ثابت وأن مسرد ذلك إلى العمل كما تفيد النص
فتكون السرعة والبطء إنما هو نتيجة للعمل لا لطول المسافة ولا لقصرها
والله أعلم بحقيقة ذلك .

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠ .

(الفصل السابع)

((المنكرون للصراط))

=====

بمعرض ما تقدم من الأدلة التي تثبت الصراط والأدلة التي
تثبت صفاته يتضح جليا أن ثبوت الصراط أمر حق لا جدال فيه
وأن الايمان به واجب وأن المنكرين له مهما تمسكوا به من تلمسات بعض
الأدلة فانها داحضة مردودة تردّها الأدلة الثابتة التي تواترت .
أما ألك المنكرون فليس لهم ما يتمسكون به لا من العقل ولا
من النقل ويتمثل انكارهم فيما يأتي :-

- (١) قسم انكره مطلقا .
- (٢) وقسم انكر الصفات الواردة له في الشرع وأرجمها الى محمان
أخرى بتأويلات باطلة .

أما الذين نسب اليهم انكاره مطلقا فهم الممتزلة - فيما يذكر
بعض العلماء عنهم كما في قول الشيخ الطيب : " وأنكره الممتزلة
رأسا قالوا لأنه لا يمكن العبور عليه وان امكن فهو تعذيب للمؤمنين " (١)
ويقول الوزاني عنهم : " وحملوا الصراط الوارد في الأحاديث
على معناه اللغوي فقالوا المراد به طريق الجنة وطريق النار " ومعنى
هذا أنهم ينكرون الصراط الوارد به وبصفاته الشرع .

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠ وانظر لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٢ .

ونقل عنهم أيضا أنهم يقولون عن الصراط أن " المراد به
الأدلة الواضحة " (١) .

وهو كذلك ما يذكره عنهم السفاريني في كتابه لوامع الأنوار . (٢)
ولكن بالرجوع الى كتب المعتزلة فاننا نجد القاضي عبد الجبار
يفسر الصراط بأنه الطريق فقط وان اثبات صراط أحد من السيف وأدق
من الشجرة انما هو من وصف الحشوية كما يزعم غير أنه لم يرتض قول كثير
من مشايخهم فيما يذكر من ذهابهم الى أن الصراط المراد به الأدلة
الواضحة .

ويظهر بوضوح^{من} تصريف القاضي عبد الجبار للصراط بأنه لا يثبت
صراحة ذلك الصراط الوارد به الشرع فهو يقول : " وهو طريق بين
الجنة والنار يتسع على أهل الجنة ويضيق على أهل النار اذا راموا
المرور عليه " (٣) .

٢ وهذا التصريف الذي أثبته عبد الجبار لا ينطبق على الصراط
الذي قدمنا وصفه من السنة النبوية بل هو اثبات للصراط دون صفاته
الذكورة في الأحاديث التي مر ذكرها .

وزعم القاضي عبد الجبار أن ما ورد من وصف الصراط بأنه أحد من

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٣ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٧ .

السيف وأدق من الشعرة وأن المكلفين يكلفون اجتيازه والمرور به فمن اجتازه فهو من أهل الجنة ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار ، زعم أن هذا الوصف إنما يمتقده الحشوية لأن تلك الدار في زعمه " ليست هي بدار بتكليف حتى يصح إيلام المؤمن ، وتكليفه المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحدة " .

وهذا غير مسلم فقد ذكر بعض العلماء في الرد على المحتزلة أهل الجنة النار وأما لهم أن التكليف لا ينقطع حتى يدخل الجنة وأهل النار والشواهد على ذلك كثيرة منها السؤال في القبر ومنها التكليف باجتياز الصراط إلى غير ذلك ، ثم يعود القاضي فيذكر عن كثير من مشائخهم أنه ليس هناك صراط حسي لا واسع ولا ضيق ، وإن ما ورد من ذكر الصراط فإنما يراد به المعاصي والطاعات كما في قوله " وقد حكى عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار "

ولكنه لم يرتضى هذا القول حيث رده بقوله أنه " ما لا وجه

له لأن فيه حملا لكلام الله تعالى على ما ليس يقضيه ظاهره "

وان هذا القول فيما يذكر القاضي لم يحك إلا عن عبادة منهم (١)

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٧٢٧ ، ٧٢٨ .

ويتحصل مما سبق تقريره من مذهب المعتزلة ان بعضهم ينفى الصراط مطلقا ، وأن بعضهم يثبته لكن بشير وصفه الذي نص عليه الحديث وانما يثبتونه على أنه طريق واضح بين الجنة والنار يضيق على أهل العصيان ويتسع للمؤمنين .

وظهر كذلك أن من نسب الى المعتزلة القول بانكار الصراط مطلقا وأنهم يؤولونه بالادلة الدالة على وجوب الواجبات وقبح المقححات ليس دقيقا في حكمه لأن هذا الرأي ليس لجميعهم وانما هو رأى تفرد به عباده حسب ما ذكره القاضى عبد الجبار .

وإذا كان المعتزلة ينكرون الصراط وما ورد من صفاته فانهم لم يكونوا وحدهم في هذا الانكار بل قد شاركهم فيه فرقة الاباضية كما يذكر ذلك الطالبى في كتابه " آراء الخواج " فيقول عنها بأنها " تعتقد أن الصراط والميزان معنويان " ثم قال ناقلا عن أحد علمائهم وهو المصعبى " وذكره عبد العزيز المصعبى صاحب كتبه في معالم الدين (١) أن الاباضية تنكر الصراط " (٢)

(١) هذا الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية كما يذكر الطالبسى وهذا النقل عنه من ص ٢٦٠ .

(٢) آراء الخواج ص ١٨٠ ثم قال الطالبى عن كلام المصعبى " ولملحه يقصد بذلك نكران الصراط الحسى " . أما بالنسبة لفرقة الاباضية فهى فرقة قائمة بنفسها حسب ما يذكرونه في كتبهم وينسبون مذهبهم الى عبدالله بن ابانى وعند علماء الفرق السابقين كالأشعري والشهرستاني وابن حزم والبفسدادى وغيرهم يذكرونهم في عداد الخواج . أنظر " الخواج تاريخهم وأراءهم الاعتقادية وموقف الاسلام منها " .

وإذا كان أنك قد نفوا وجود الصراط فان زعيم المنكريين لوجوده هو جهنم بن صفوان فهو ينكر أن يكون في يوم القيامة صراط مادي ينصب على جهنم ليحبر عليه البشر قبل ذهابهم الى الجنة وهو في انكاره هذا ليس له ما يستند عليه من الشرع ولم تعرف له حجة ولا برهان شأنه شأن غيره ممن ينفي الصراط الحسى في يوم القيامة دون دليل .

قال خالد العلى : " ولا تذكر المصادر الحجج والبراهين

التي استند عليها جهنم في نفي الصراط المادي " (١) .

وقد تلمس له بعض الحجج في هذا الانكار وهي حججٌ واعتذارا^ت غير مجددة لجهنم في نفي الصراط فيقول : " وربما كان نفي جهنم لفكرة الصراط متأثرا عن اعتقاده بأن المؤمن يذهب الى الجنة مباشرة وأن لا حاجة للجسر ليختبر عليه المباد فالمؤمنون يذهبون الى الجنة والكفار الى النار وذلك لأن جهنم يعتقد ان الايمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان فمن كان في قلبه ايمان دخل الجنة بدون اختبار ، ومن جهة أخرى قد يكون اعتقاد جهنم ان الاسلام هو الصراط وذلك يدخل الجنة كل من اتبع الاسلام وآمن به وتكون النار مصير من حاد عنه وزاغ عن طريقه " (٢) .

(١) جهنم بن صفوان ومكانته في الفكر الاسلامي ص ٢٤٣ .

(٢) جهنم بن صفوان ص ١٤٤ .

وأما القسم الآخر وهم الذين ينكرون صفات الصراط فقد تقدم

ذكرهم في مبحث وصف الصراط .

وإذا كان قد وجد من ينفي الصراط أو صفاته وهو اعتقاد

خاطيء فإنه قد وجد في الجانب المقابل من يفالي في اثبات الصراط

حتى يصل في اثباته إلى الخرافات حيث يذهب إلى القول بأن الصراط

هو شجرة من شجر جفون مالك خازن النار وهؤلاء النفاة والمثبتون

هم على طرفي نقيض فان النفاة انكروا ما ثبت وقوعه وهؤلاء اثبتوا ما لم

يثبت وقوعه . وهو ان زياتنا مع هذا افترضوا الاطلاق لميقن حجتنا بتنبؤهم

والقول الحق هو الوسط بلا افراط ولا تفريط وقول هؤلاء بأن

الصراط شجرة من شجر جفون مالك خازن النار قول ساذج وقد شنع

عليه السفاريني بقوله : " ومن الخرافات الباردة زعم من زعم أن ماهية

الصراط شجرة من شجر جفون مالك خازن النار وهو كلام تنبو عنه المسامع

ويكذبها كل سامع وان نقله الحافظ برهان الدين الحلبي فلا

ينبغي أن يلتفت إليه ولا يحول عليه " (١)

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٤ .

(الفصل الثامن)

(هل يمر جميع الخلق على الصراط)

=====

وإذا كان الصراط قد نصب لأجل مرور الأمم عليه كما هو
الفرض من نصبه فهل يمر فيه جميعهم أم أن هناك من يستثنى
من الخلق فلا يمر عليه ؟

اختلف العلماء في هذه المسألة الى فريقين :

فمنهم من يذهب الى القول بأن بعض الخلق لا يمر عليه تشريفا
لهم كالأنبياء على الخلاف الذي تذكره في محث الورود ، أو اهانة
لهم وتعذيبا كعتاة الكفار والمشركين بل يذهب بهم مباشرة الى
النار قبل وضع الصراط .

ومنهم من يذهب الى أن الكل يمر عليه وقد أشار ابن حجر
الى أن بعض الكفار لا يمرون عليه بل يقذفون في النار قبل وضع الصراط^(١)
ولعله يريد عتاة الكفار لا جميعهم ويكون مرور الكفار الآخرين على الصراط
زيادة في تعذيبهم .

وهنقل صاحب النشر الطيب عن الحلبي أنه زعم أن الكفار
" لا يمرون عليه " ، ثم قال : " ولعله أراد الطائفة التي يرمى بها في
النار من الموقف من غير مرور عليه كذا قال بعضهم : " قال " . وسئل

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٢ .

السيوطى هل يمر ابليس والكفار عليه أم لا ؟ فأجاب بقوله " صرح ابن بركان فى الارشاد بأن الكفار لا يمرون عليه وفى الأحاديث ما يشهد له وفى أحاديث أخرى ما يقتضى خلافه وأنهم يمرون " .

وهذا يحمل فى نظره على المنافقين لدلالة بعض الروايات على ذلك الى أن يقول : " وعرف أن من تلتقطه عنق من النار من الكفار لا يمر عليه وكذا بحث النار الذى يخرج من الخلق قبل نصب الصراط " .

هل يلتحق أهل الكتاب بالمنافقين فى مرورهم على الصراط أم لا ؟ أجاب صاحب النشر الطيب بقوله : " والظاهر أنه لا يمر على الصراط من الكفار الا المنافقون وأهل الكتاب اليهود والنصارى فهذه الفرق الثلاث ورد فى الحديث انهم يحملون عليه فيسقطون منه فى النار وكذا من ينصب له الميزان من الكفار وهم طائفة مخصوصة يمرون عليه ينظرون اوزانهم لأن الميزان على الصراط " (١) .

وهو جواب البرديسى أيضا .

وكون الميزان على الصراط مسألة تحتاج الى اثبات ذلك أن الظاهر من النصوص أن الحساب والميزان كل ذلك يقع فى الموقف لا على الصراط الذى هو فى الأصل موضوع العبور الخلق عليه لا لحسابهم .

(١) النشر الطيب ج ٢ ص ٣٧٦ ، وأنظر تكملة شرح المصدر

هذه استدلالات لبعض العلماء
ليس محروم للتوراة منه
وتأوردتها للتأنيده

وقال البرديسي نقلا عن شرح الجوهرة : " يمر عليه جميع
المهاد مكلفهم وغيرهم ذكورهم واناثمهم سميدهم وشقيهم فدخل الأنبياء
والصديقون والعارفون والشهداء والصالحون والمرتابون والمنافقون
والزنادقة والمسلمون " (١) .

وقال الحكيم " الكفار لا يمرون على الصراط قيل وهو محمول
على انتهاء المرور لا على ابتدائه (٢) .

وزهب ابن رجب الحنبلي الى أن المشركين لا يمرون على
الصراط فهو يقول : " وأعلم أن الناس منقسمون الى مؤمن يعبد الله
وحده لا يشرك به شيئا ، ومشرك يعبد^{مع} الله غيره فأما الشركون
فانهم لا يمرون على الصراط وانما يقعون في النار قبل وضع الصراط " (٣)

ثم استدلل لهذا بما جاء عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال : يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد
شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد
القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه
الامة فيها شافعوها أو منافقوها - شك ابراهيم - فيأتيهم الله
فيقول انا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا
عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون

(١) ، (٢) تكملة شرح الصدور ص ٣٢ .

(٣) التخويف من النار ص ١٧١ .

انت ربنا فيتبعونه ويضرب السراط بين ظهري جنهم فأكون أنا
وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ
اللهم سلم سلم ^(١) الخ الحديث في وصف الصراط والمرور عليه .
وما جاء كذلك عن أبي سعيد الخدري وفيه قوله صلى الله
عليه وسلم : " ينادى مناد ليذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون
فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم
وأصحاب كل اله مع الهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بسر أو
فاجر وفجرات من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب
فيقال لليهود ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيزا من الله فيقال
كذبتسم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون قالوا نريد أن تسقينا
فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من برأو فاجر
فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون فارقناهم ونحن أحوج
مننا اليه اليوم وانا سمعنا مناديا ينادى ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون
وانا ننظر ربنا قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته ^(٢) التي رآوه
فيها أول مرة فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فلا يكلمه الا الانبياء
فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون الساق ^(٣) فيكشف عن

(١) صحيح البخارى ج ١٣ ص ٤٢١ .

(٢) ، (٣) لا يمنع أهل الحق اطلاق الصورة على الرحمن عز وجل
لورود النصوص باطلاقهما عليه جل وعلا على صفة لا نعلمها

كما بينا ذلك فيما سبق .

ساقه فيسجد له كل مؤمن ويثق من كان يسجد لله رياءً وسميةً
فيذهب كما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ثم يؤتى بالجسر
فيجمل بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة
مزلة عليه خطاطيف وكلايب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاً تكون
ينجد يقال لها السمدان (١) ألخ الحديث في وصف المرور عليه .

ثم قال ابن رجب : " فهذا الحديث صريح في أن كل من
أظهر عبادة شيء سوى الله كالسيح والمزيير من أهل الكتاب فإنه
يلتحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط ، فعبد
الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت
تمجد في الدنيا فترد النار مع معبودها أولاً وقد دل القرآن على
هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون : (يقدم قومه يوم القيامة
فأوردهم النار وبئس المورود) (٢) .

وأما من عبد المسيح والمزيير من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون
مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء ثم يردون في النار بعد ذلك (٣) .
قال : " وقد ورد في حديث آخر أن من كان يعبد المسيح
يحل له شيطان المسيح فيتبعونه ، وكذلك من كان يعبد المزيير

(١) صحيح البخاري ج ١٣ ص ٤٢١ .

(٢) هو : ٦٨ .

(٣) التخويف من النار ص ١٧١ .

وفى حديث الصور انه يمثل لهم ملك على صورة المسيح وملك على صورة الحزير ، ولا يبقى بعد ذلك الا من كان يعبد الله وحده ففى الظاهر سواء كان صادقا أو منافقا من هذه الأمة وفيها ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود وكذلك يتعاون عنهم بالنور الذى يقسم للمؤمنين " (١) ، ~~والظاهر أن النصوص تسمى~~ ~~للقول بأن الكل ويمر على الصراط~~ ، ولكن من عدا المؤمنين لا يكملون عبوره بل يتساقطون فيه وتخطفهم كلاليب النار كل واحد فى المكان الذى شاءه الله له الا من يلتقطهم عنق النار فهؤلاء لا يبرون عليه كفلاة الكفار بل يخطفهم هذا العنق قبل اجتياز الأمم على الصراط وصفة هذا العنق حسب ما تفيد بعض الروايات ان له لسانا وعينين تمصران ^{واذ تسمى} ~~واذ تسمى~~ تسمعان ومن تلك الروايات ما يروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((اذا جمع الله الناس فى صعيد واحد يوم القيامة اقبلت النار يركب بعضها بعضا وعزنتها يكونها وهى تقول وعزة ربى لتحلن بينى وبين ازواجى او لأغشين الناس عنقا واحدا فيقولون من ازواجك فتقول كل متكبر جبار)) (٢)

(١) التخوييف من النار ص ١٧٢ .
(٢) التخوييف من النار ص ١٦٤ وعزاه الى أبى يعلى الموصلى من حديث أبى الهيثم .

و خرج الامام أحمد والترمذى من حديث الأعمش عن أبي صالح
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يخرج يوم القيامة
عنق من النار لها عيان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق تقول :
انى وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وكل من دعا مع الله الهما
آخر بالصورين (١) .

قال ابن رجب عن هذا الحديث :

" وقد قيل انه ليس بمحفوظ بهذا الاسناد (٢) وانما يرويه
الأعمش عن عطية عن أبي سميد فقد روى الأعمش وغير واحد عن عطية
عن أبي سميد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يخرج عنق من النار
يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة : بكل جبار عنيد ، ومن جعل مع الله
الها آخر ، ومن قتل نفسا بخير نفس فتتطوى عليهم فتتدفقهم فسى
فمرات جهنم " خرجه الامام أحمد وخرجه البزار ولفظه : " يخرج
عنق من النار يتكلم بلسان تطلق نلق لها عيان تبصر بهما ولها
لسان تتكلم به فتقول انى أمرت بمن جعل مع الله الهما آخر وكل
جبار عنيد وكل من قتل نفسا بخير نفس فتتطلق بهم قبل سائر
الناس بخسمائة عام " (٣) .

قال ابن رجب : " وقد روى عن عطية عن أبي سميد موقوفا " (٤)

(١) سنن الترمذى ج ٤ ع ٧٠١ وقال حسن غريب صحيح .

(٢) التخويف من النار ص ١٦٤ .

(٣) المسند ج ٣ ص ٤٠ .

(٤) التخويف من النار ص ١٦٤ .

وأخرج الامام أحمد كذلك عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال : ((يخرج عنق من النار فتنطوى عليهم ويتفريط عليهم ويقول

ذلك المئق وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة ، وكلت بمن

دعا مع الله لها آخر ، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ، ووكلت

بكل جدار عنيد فينطوى عليهم فتطرحهم في غمرات جهنم " (١)

وقد ذكر العلامة ابن رجب كثيرا من الروايات في هذا المعنى

من خروج عنق النار عن اسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم

من رواية شهر بن حوشب ومن رواية أبي الضمير ^{أبي} ~~الضمير~~ _x سيار بن سلامة عن

شهر عن ابن عباس موقوفا .

وعن أبي هريرة كما جاء في حديث الصور الذي أخرجه اسحاق

ابن راهوية وأبو يعلى الموصلي وغيرهما .

وعن أبي هريرة أيضا معزوا الى تخريج ابن أبي الدنيا من

طريق الشعبي عن أبي هريرة .

وما رواه عبد الله بن الامام أحمد باسناده الى ابي عبد الله الجدلي

عن عبادة بن الصامت وكعب . (٢)

وكل تلك الروايات تفيد ان الكل يمر على الصراط الا من غلا في

الطفيان من الأصناف الذين مر ذكرهم .

(١) السنن ج ٦ ص ١١٠ .

(٢) أنظر التخويف من النار ص ١٦٣ - ١٦٥ .

(الفصل التاسع)

((أول من يجوز الصراط))

=====

ثبت أن الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم وأمه هم أول من
يجوزون الصراط تكريما وتشريفا لهم واظهارا لمكانة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وأمه بين الأمم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم كما
في حديث أبي هريرة (ويضرب جسر جهنم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز)^(١) وهذه رواية البخارى .

وفي رواية الامام مسلم قال صلى الله عليه وسلم (ويضرب الصراط
بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز)^(٢)

ومعنى أول من يجيز : أى أول من يقطعه ويمضى عليه
قال النووى فى ضبط هذه الكلمة انها (بضم الياء وكسر الجيم والزاي
آخره ومعناه يكون أول من يمضى عليه ويقطعه ، ويقال اجزت الوادى
وجزته لفتان بمعنى واحد وقال الأصمى اجزته قطمته وجزته شبيت
فيه)^(٣) .

وقال القرطبى : " يحتمل أن تكون الهمزة هنا للتمدية لأنه
لما كان هو وأمه أول من يجوز على الصراط. لزم تأخير غيرهم عنهم

-
- (١) صحيح البخارى ج ١١ ص ٤٤٥ .
(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٤٣٠ .
(٣) شرح النووى ج ١ ص ٤٣٠ .

حتى يجوز فاذا أجاز هو وأمه فكانه أجاز الناس " (١) وصفة ذلك
انه يناديهم فناد ليصبروا وهم بين الأمم فيقوم الرسول صلى الله
عليه وسلم حين يسمع ذلك النداء ثم تتبعه أمته كما في حديث
عبدالله بن سلام وفيه : " ثم ينادى فناد ابن محمد وأمه فيقوم
فتتبعه أمته برها وفاجرها فيأخذون الجسر فيطس الله أبصار أعدائه
فيتهافتون عن يمين وشمال وينجوا النبي والصالحون " (٢) .

وعن ابن عباس مرفوعا : " فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمر
فرا محجلين من آثار الطهور فتقول الأمم كادت هذه الأمة أن يكونوا
أنبياء " (٣) .

وقال البرديسي : " وأول من يجوز عليه محمد وأمه فيمر
أولهم كالبرق الخاطف ثم كالريح ثم كالطير ثم كالخيل ثم عدوا ثم
مشيا ومن الناس من يزحف زحفا ومن الناس من يسحب سحبا فمضهم
من يسلم ومنهم من يزل فيقع في جهنم ، ومنهم من تخطقه كالليث
فتلقه في النار ويسمع للواقعين جلبة عظيمة وصياح عظيم يدهس
المقول والملائكة والانبياء يقولون رب سلم رب سلم ولا ينطق
يومئذ الا الرسل " (٤)

-
- (١) أنظر فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٢ .
(٢) ذكره ابن حجر ج ١١ ص ٤٥٢ وعزاه ابن الحاكم وهو في المستدرک
ج ٤ ص ٥٨٦ .
(٣) ذكره ابن حجر ج ١١ ص ٤٥٢ .
(٤) تكملة شرح الصدور ص ٣٠ .

ثم ذكر أن " في بعض الروايات ثم عيسى وأمه ثم موسى
بأمته يدعون نبيا نبيا حتى يكون آخرهم نوحا وأمه " (١)
غير أن الذي في الصحيح كما تقدم هو مرور النبي صلى الله
عليه وسلم وأمه قبل الأمم ، وأما ما ذكره البرديسي من تلك الروايات
فانه يتوقف القول بها على صحتها وهو لم يذكر منها شيئا .
وكذا ما قيل من أن مرور الأنبياء على الصراط يكون علس
عكس ترتيبهم . (٢)
فالله أعلم بصحة ذلك .

(١) المصدر السابق نقلا عن شرح الجوهرة .

(٢) ذكره البرديسي ص ٨٥ ممزوا إلى القرطبي .

(الفصل العاشر)

((شعار المؤمنين على الصراط))

عندما يعبر الناس الصراط تلهج الألسنة بالدعاء الذي
الله تعالى أن ينجي هؤلاء الحارين ويخرجهم منه بسلام ويكون هذا
الدعاء أو الشعار كما وردت تسميته في بعض الأحاديث " اللهم سلم
سلم " .

وهل هذا الدعاء يقوله الرسل أم كل المؤمنين ؟

اختلفت الروايات فبعضها يذكر أن هذا الدعاء خاص بالرسل
لأنهم هم الذين يتكلمون فقط . لكامل شفقتهم ورحمتهم للخلق وبعضها
يذكر أنه يقال من كل المؤمنين الذين يحبرون الصراط ، وفي صحيح
البخاري ما يفيد أن القائلين هذا الدعاء هم الرسل فان من عداهم
لا يتكلمون كما في حديث أبي هريرة " فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل
يومئذ اللهم سلم سلم " (١) وهذا صريح في اختصاص الرسل بهذا
الدعاء ، وصرح منه ما في الرواية الأخرى فأكون أول من يجوز ضمن
الرسل بأمره ولا يتكلم يومئذ أحد الا الرسل وكلام الرسل يومئذ
اللهم سلم سلم . (٢)

(١) أنظر الأدلة من السنة على اثبات الصراط .

(٢) أنظر الأدلة من السنة على اثبات الصراط .

وفى حديث آخر قال : " فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها

ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم " (١)

وهذا ظاهر فى انه لا يتكلم الا الرسل فقط .

وهناك روايات أخرى تفيد أن المؤمنين يتكلمون أيضا ويدعون

الله بالسلامة وشمارهم هو ذلك الدعاء اللهم سلم سلم .

وهذا ما يفيد حديث المصيرة بن شمعة الذى أخرجه الترمذى

وفيه " شمار المؤمن على الصراط رب سلم سلم " (٢) .

وشله ما جاء عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال شمار أمتي اذا ركبوا على الصراط بالا اله الا أنت " (٣) .

وهذا يفيد أن كل المؤمنين يقولون هذا الشمار وأن الشمار

أيضا ليس مقصورا على قولهم رب سلم سلم وهذا الحديث لو صح لكان

فيه زيادة اخبار بدعاء آخر لكن الحديث فيه راو ضعيف وفيه راو مجهول

قال الهيثمى عن سنند الحديث :

" وفيه من وثق على ضعفه وعبدوس بن محمد لم أعرفه " (٤) .

ويذكر ابن رجب أن فى هذا الحديث نكارة . (٥)

(١) أنظر الأدلة من السنة على اثبات الصراط .

(٢) سنن الترمذى ج ٥ ص ٦٢١ وقال حديث غريب قال " وفى الباب

عن أبى هريرة " .

(٣) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٥٩ وعزاه الى الطبرانى .

(٤) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٥٩ .

(٥) التخويف من النار ص ١٧٠ .

قال الحافظ ابن حجر :

" ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به بل تنطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة فسمى ذلك شعارا لهم " قال : " وهذا تجتمع الأخبار " . (١)

وقد جمع النووي بين الروايات التي تفيد عدم كلام الأمم على الصراط واختصاص الرسل بالدعاء اللهم سلم وسلم وبين ما جاء في بعض الأحاديث من تسمية هذا الدعاء شعارا للمؤمنين جمع بين تلك الروايات بأن ما ورد من عدم كلام الأمم فانه خاص بحال الاجازة على الصراط. وما ورد من كلامهم بأنه في مواطن القيامة الأخرى وهذا الجمع ذكره عند معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتكلم يومئذ الا الرسل حيث قال : " معناه لشدة الأهوال والمراد لا يتكلم في حال الاجازة والا ففي يوم القيامة مواطن يتكلم الناس فيها وتجادل كل نفس عن نفسها ويسأل بعضهم بعضا ويتلاومون ويخاصم التابعون المتبوعين " (٢)

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٥٢ .

(٢) شرح النووي لمسلم ج ١ ص ٤٣٠ .

((الأعمال الموجبة للجواز على الصراط))



هذه الترجمة هي ما اشار اليها البرديسى حيث عدد امورا يذكر
أنها من الأعمال الموجبة للجواز على الصراط وقيل ان نذكرها نقلا عنه
فان ما ينهى ملاحظته قبل كل شىء هو أن الجواز على الصراط
وعده انما يرجع الى ما جاء فى النصوص النبوية من أنها الأعمال فكل عمل
طيب خالى لوجه الله يرجى من ورائه الجواز على الصراط ، كما أن قلة
المعمل أو عدمه هو الذى يعطى بالشخص أو يسقطه فى النار .

وما ذكره البرديسى أو غيره من العلماء فى عد الخصال التى توجب

سرعة السير على الصراط فانما هو من باب زيادة التفصيل فقال :

" الأعمال الموجبة للجواز على الصراط منها ما أخرجه الطبرانى

وابن حبان وغيرهما فى مكارم الأخلاق عن عائشة قالت قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من كان وصلة لأخيه المسلم فى حاجة حتى يقضيها

ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام " .

ومنها من أحسن الصدقة فى الدنيا جاز على الصراط عدلا أى آمننا

غير خائف ومنها ان لا تحدث حدثا فى دين الله برأيك ، ومنها ما ورد

المساجد بيوت المتقين وقد ضمن الله لمن كانت المساجد بيوتهم

بالروح والراحة والجواز على الصراط مع رضوان الله ، ومنها ما ورد

أن أسرع الناس مرورا على الصراط الذين يرضون بحكم الله والسنتهم
رطبة بذكر الله . ومنها التخفيف من ائقال الدنيا * (١)
وهذه السائل لا شك انها أعمال طيبة فاذا ثقلها الله تعالى
كانت من الأسباب التي تنجي صاحبها من الوقوع في النار وكانت سببا
لاجتياز الصراط بأمان والروايات التي استدلت بها هي من باب الترغيب
بفضلي النظر عما قيل في الحكم عليها .

(١) كلمة شرح الصدور ص ٣٢ .

(الفصل الثاني عشر)

((هل الصراط قد خلق أم سيخلق في يوم القيامة))



هذه المسألة لم أجد فيها نصا من القرآن الكريم ولا من السنة النبوية ينص على وجود الصراط أو عدمه الآن ، ولذلك فانه يحتمل أن يكون قد وجد منذ أن وجدت النار كما يحتمل أن ينشئ الله خلقه في يوم القيامة لفرض اجازة الناس عليه والذي يقول بوجوده الآن يلحظ ما اتفق عليه جميع السلف من وجود الجنة والنار الآن ولكن هل الصراط موجود بوجود النار أم لا ؟ كل ذلك قابل للامكان .

قال عياض فيما ينقله ^{عن} البرديسي :

" يجوز ان الله تعالى يحدث الصراط يوم الجزاء أو أن يكون مخلوقا موجود الآن كجهنم " .

وقال البرديسي : " قال في شرح الجوهرة قلت : وفي كلام ابن الفاكهاني انه موجود وفي كثر الاسرار نقلا عن بعضهم جواز ان يخلقه الله تعالى حين يضرب على متن جهنم ويجوز أن يكون خلق حين خلقت جهنم " (١)

وظاهر كلام السفاريني يشمر بالجزم بوجوده الآن حيث قال :

" ان الصراط مخلوق الآن " . (٢)

(١) تكملة شرح الصدور ص ٣٢ .

(٢) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٤ .

- ١٢١٦ -

والواقع ان كل ما قيل عن وجوده أو عدم وجوده مجرد احتمالات

كما قلنا - والله تعالى هو وحده العالم بحقيقة ذلك .

~~~~~

~~~~~

~~~~~

~~~~~

~~~~~

(( هل ييقى الصراط الى خروج عصاة الموحدين من النار أم لا ؟ ))

هذه المسألة كما سبقها لم يرد فيها نص أو إشارة بالنفس ولا بالاثبات ، قال الحلبي : " لم يثبت أن الصراط ييقى السى خروج عصاة الموحدين من النار فيتجاوزونها عليه الى الجنة أو يزال ثم يعادلهم أو لا يعاد أو تصعد به الملائكة الى السور الذى فى الأعراف " (١) .

وهذه الاحتمالات كلها تحتاج الى نص صحيح لاعتقادها ولعل للمتوقف عن اثبات أحد الأمرين أو نفيه وترك هذه المسألة وسامقتها الى علم الله تعالى أولى .

واتماما لبحث الصراط فاننا سنخص الكلام عن القنطرة والورود وأصحاب الأعراف بأبواب مستقلة نعين فيها المراد بالقنطرة ومسدى اتصالها بالصراط وأقوال العلماء فى ذلك ، وكذلك الورود نعين فيه المراد منه واختلاف العلماء فيه والقول الراجح من اختلافاتهم . ثم نعين ما جاء بشأن أصحاب الاعراف ما هو الاعراف ومن هم أهله وأرجح الاقوال فى ذلك الى غير ذلك مما سيأتى تفصيله بشأن تلك الأمور .

(١) لوامع الأنور ج ٢ ص ١٩٤ وعزاه الى الحلبي .

وأنظر تكلمة شرح الصدور ص ٣٢ .



في القنطرة  
=

ويشمل الفصول الآتية :

تمهيد :

الفصل الأول : ادلة اثبات القنطرة .

الفصل الثاني : موضع تلك القنطرة .

الفصل الثالث : هل هي قنطرة واحدة ام هي قناطر

متعددة والراجح في ذلك .

الفصل الرابع : لماذا اخبر الله حساب هؤلاء الى القنطرة .

\* \* \*

القنطرة

تمهيد :

هذه القنطرة ثبتت في السنة النبوية وهي خاصة لسلك المؤمنين الى الجنة حيث يقفون عليها ليقتص بمضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا ان لهم بدخول الجنة كما ورد بذلك الحديث وهي اشبه ما تكون بتصفية الذهب لجعله نقياً خالصاً من كل شائبة مهما دقت وقد اختلف العلماء فيها هل هي صراط مستقل وله ميزات خاصة به ام انها من تنمة الصراط العظيم المنسوب على متن جهنم . . والخلاف المشار اليه انما هو في موضعها لا في ثبوتها فهي ثابتة بما لا شك فيه كما يتضح من ادلتها الآتية :-

\* \* \*

( الفصل الأول )

أدلة اثبات القنطرة

=

فمن الأدلة على اثباتها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن سميذ

الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( اذا  
خلع المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون  
مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا ان لهم في دخول  
الجنة فوالذي نفسي بيده لأحدهم بمسكه في الجنة ادل بنزله  
كان في الدنيا ) (١) .

وقال قتاده قال بعضهم ما يشبه لهم الا اهل جمعة حين انصرفوا

من جمعهم ) (٢) .

والمراد بهذا التقاص بينهم اي ( تتبع ما بينهم من الظالم

واسقاط بعضها بيمض ) (٣) حتى يخلصوا من الاثام بقاصة بعضها

ببعض قال ابن حجر :

( ويشهد لهذا الحديث قوله في حديث جابر الاتي ذكره فس

التوحيد " لا يحمل لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولا حسد

قبله مظلمة " ) (٤) .

---

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٩٦ وفي ج ١١ ص ٧٧ واخرجه احمد ج ٣ ص ١٣

(٢) المسند ج ٣ ص ٧٤ .

(٣) فتح الباري ج ٥ ص ٩٦ .

(٤) المصدر السابق .

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح من مرسل الحسن قال :

( بلسفنى ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ( يحبس أهل الجنة بعدما يجوزون الصراط حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلاماتهم في الدنيا و يدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم علس بمض غل ) (١) وهو شا هد كذلك - كما يذكر ابن حجر - لحد يسه ابى سميد الخدرى رضى الله عنه (٢) .

\* \* \*

---

(١) فتح البارى ج ١١ ص ٣٩٩ .  
(٢) نفس المرجع السابق .

( الفصل الثاني )

موضع تلك القنطرة

=

أما موضع تلك القنطرة :

فقد اختلف العلماء كما أشرنا سابقا في موضعها وحاصل الخلاف

يرجع الى امرين :-

الأمر الأول : ان تلك القنطرة هي جزء من الصراط وتتمه له .

الأمر الثاني : انها صراط مستقل بين الصراط الأول والجننة

خاصة بمن كتبت لهم السعادة وبعض العلماء لم يترجع

لديه احد الأمرين .

قال ابن حجر : ( واختلف في القنطرة المذكورة فقل هي من تتمه

الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة وقيل انهما صراطان ) (١)

وزهب القرطبي الى القول بأن القنطرة ليست من الصراط الأول

المظيم المنصوب على متن جهنم وانما هي صراط ثاني وقد بوب على

هذا بقوله ( باب ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين الجنة والنار )

وذكر ان المؤمنين اذا خلاصوا من صراط جهنم ( حبسوا على صراط

اخر خاص لهم ) قال : ( ولا يرجع الى النار من هؤلاء احد ان شاء

الله لانهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط

---

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٣٩٩ .

من اوقفه ذنبه و ارسى على الحسنات بالقصاص جرمه (١) .

ونقل القرطبي - عن مقاتل أيضا ما يفيد انه يرى :

ان القنطرة صراط اخر وذلك في قوله : ( قال : قال مقاتل اذا

قطعوا جسرجهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم

من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا و طيبوا قال لهم

رضوان اصحابه سلام عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها لخالد بن (٢) .

وينقل السفاريني عن السيوطي ترجيحه لكون القنطرة طرف من

الصراط الذي يلي الجنة أي انه يرى انها جزء من الصراط و تتمه

له حسب نقل السفاريني الأتى :

( قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه البدور السافرة في

في علوم الآخرة والاول يعنى انه طرف الصراط الذي يلي الجنة هو

المختار الذي دلت عليه احاديث القناطر والحساب على الصراط (٣) .

اما الامام ابن كثير فانه يجعلها بعد نهاية النار وكأنه يجعلها

صراطا مستقلا منصوب على هول لا نعلمه فهو بعد ان ذكر كلام القرطبي

ورأيه في هذه القنطرة انها صراطان .

قال مطلقا عليه ( قلت هذه بعد مجاوزة النار فقد تكون القنطرة

منصوبة على هول آخر ما يعلمه الله ولا نعلمه نحن وهو اعلم (٤)

---

(١) التذكرة ص ٣٣٩ .

(٢) التذكرة ص ٣٣٩ .

(٣) لوامع الانوار ج ٢ ص ١٩٠ وعزاه الى السيوطي في البدور السافرة ( مخطوط )

(٤) النهاية ج ٢ ص ٩٥ .

فهو لم يترجع لديه حسبما يظهر من كلامه هل هو صراط آخر  
او هو متصل بالصراط العظيم الذى هو على متن جهنم .

وكذلك ابن حجر فانه لم يرجح أيا من القولين حيث قال :

( والذى يظهر انها طرف الصراط ما يلى الجنة ، ويحتمل

ان يكون من غيره بين الصراط والجنة ) (١) .

والراجع فيما يظهر :

ان القنطرة صراط مستقل وليس بمتصل بالصراط العظيم الذى

يمبر عليه جميع البشر وذلك :-

( ١ ) ان قوله - صلى الله عليه وسلم - ( حبسوا بقنطرة بين الجنة

والنار ) يدل على ان هذه القنطرة منفصلة عن جهنم لأن الصراط

فوق النار ويمتد الى انتهائها ثم تبدأ بعد ذلك القنطرة

التي هى بين الجنة والنار كما هو ظاهر الحديث .

( ٢ ) ان المقصود من وضع الصراط العظيم غير المقصود من وضع القنطرة

ان الصراط المقصود من وصفه ليسقط عنه اعداء الله الى النار

وأما القنطرة فليست كذلك وانما هى لحكمة ارادها الله تعالى

لتفقية أهبائه من التبعات الخفيفة التى بقيت عليهم . . . هتى

يدخلوا الجنة وليس فى صدورهم غل .

---

(١) فتح البارى ج ٥ ص ٩٦ .

(٣) ان القنطرة قد اختصت بعزايها زائدة عن الصراط ومن أهمها :-

١ - انه لا يسقط فيها اهد .

٢ - انها لاقتصاص مظالم خاصة بين اهل الجنة .

٣ - ان ذلك القصاص فيما بينهم لا يستفيد حسنات اهد منهم .

\* \* \*



( الفصل الثالث )

هل هي قنطرة واحدة ام هي قناطر متعددة

والراجع في ذلك

ظهر ما سبق ان الأدلة كلها تدل على وجود قنطرة يصير عليها المؤمنون الى الجنة قنطرة واحدة وليست قناطر متعددة غير ان بعض العلماء يذكرونها قناطر متعددة ويجعلونها متصلة بالجسر بما فيه هذه القنطرة ، كما نقل القرطبي عن بعض اهل العلم ان الناس لا يتمون العبور على الصراط حتى يجتازوا سبع قناطر كل قنطرة يسأل عنها عن فعل من الافعال فقد ( روى عن بعض اهل العلم انه قال لن يجوز احد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر فاما القنطرة الأولى :  
فيسأل عن الايمان بالله وهي شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا والاخلاص قول وعمل جاز .

ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز .  
، ، ، ، الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز .  
، ، ، ، الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز .  
، ، ، ، الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامتين جاز .  
ثم يسأل في القنطرة السادسة عن الفسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز .  
ثم يسأل في القنطرة السابعة وليس في القناطر اصعب منها فيسأل عن ظلمات  
(١) الناس ) .

وهذا ما ذكره البيهقي رحمه الله عن مقاتل بن سليمان وذكر ايضا رواية  
اخرى عن عبد الله بن مسعود فيها ان وراء الصراط ثلاثة جسور وذكر  
ان هذا الخبر موقوف على ابن مسعود ومرسل بينه وبين سالم بن أبي-

الجمعد ورواه أبو فزارة عن سالم بن أبي الجمعد من قوله غير مرفوع السى  
عبد الله قال البيهقي ( وان صح فانما اراد والله اعلم ان ملائكة  
الرب يسألونه عما فرط فيه ) (١) .

ويقول السفاريني ( وفي بعض الاثار ان فيه سبع قناطر يستل كل  
عبد عند كل قنطرة منها عن انواع من التكليف ) (٢) .

وفي مجمع الزوائد عن سليمان بن حبيب المحاربي عن ابي امامة  
الباهلي من حديث طويل قال فيه .

( ان في جهنم جسرا له سبع قناطر على وسطه العصاة فيجاء  
بالعبيد حتى اذا انتهى الى القنطرة الوسطى قيل له ماذا عليك ممن  
الدين وتلا هذه الآية (( ولا يكتُمون الله حديثا )) قال فيقول يارب  
علني كذا وكذا فيقال له اقض دينك فيقول ما لي شيء وما ادري ما  
اقضى منها فيقال خذوا من حسناته فما يزال يؤخذ من حسناته حتى  
ما تبقى له حسنة ) (٣) .. الخ - الحديث -

وهذا الحديث في سنده روايان ضعيفان وما ثبت في الصحيح

من انها قنطرة واحدة هو الذي يبتغى اعتقاده .

---

(١) الاسماء والصفات ص ٥٤٦ .

(٢) لوايح الانوار ج ٢ ص ١٩١ .

(٣) مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٥٤ قال " رواه الطبراني " وفيه كلام ==

فظهر ان القول بتمدد القناطر يفتقر الى دليل يثبت اذا لثابت  
انها قنطرة واحدة لمبور اهل الجنة اليها .

وايضا فان القرطبي وهو يذكر تمدد القناطر بصدر الكلام  
بقوله ( روى عن بعض اهل العلم ) والمسائل الفيبية الاعتقاد يسه  
لا تثبت بمثل هذا الكلام ثم ان تلك الاسئلة التي تقع على القناطر المذكورة  
من اوليات ما يسأل عنه العبد في الموقف عند الحساب لانها مشتتة  
على جميع ما يحاسب عليه العبد ويتحدد مهيره بموجب النتيجة التي  
تسفر عنها .

وكذلك قول السفاريني ليس فيه الجزم برفعها الى رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - وقوله ( وفي بعض الآثار كقول القرطبي  
روى عن بعض اهل العلم .

واما الحديث الذي ذكره الهيثمي معزواً الى الطبراني  
فان في سنده روايين ضعيفين وهما كلثوم بن زياد وبكر بن سهل  
الدمياطي (١) .

وفي الحديث كذلك ما تدل ظواهر النصوص على خلافه وهو أخذ  
الحسنات فوق الجسر فان ظواهر النصوص تدل على ان الحسنات تؤخذ  
في الموقف اثناء الحساب والميزان وليس نالك حساب آخر على الجسر

---

== بن زياد بن بكر بن سهل الدمياطي وكلاهما وثق وفيه ضعف ويقبه  
رجال الصحيح .

غير ما ورد في القنطرة فالراجح من كل ما تقدم انها قنطرة واحدة  
تكون بمد عبور الجسر جعلها الله للمؤمنين خاصة الذين نجسوا  
من النار باجتياز الصراط وهذا هو الثابت في الصحيح .

ثم ان ظاهراً الحديث الذي مر معنا الذي فيه ان القناطر داخل  
جهنم يعارضه الحديث الصحيح الذي فيه ان الصراط فوق جهنم فكيف  
يمكن الجمع بين الحديثين الذي ينص الصحيح منهما ان الصراط فوق  
جهنم وينص الاخر على ان القناطر في داخل جهنم وبالإضافة الى ذلك  
فان القناطر التي ذكرت خاصة بالمؤمنين الذين يسألون عن الشهادة  
والصوم والزكاة . . . الخ . . .

فكيف يكون ذلك وقد تجاوزوا الصراط وكيف يدخلون جهنم ليجوزوا  
على هذه القناطر ويسألون عن هذه الأمور التي يقع عليها الحساب فسوى  
الموقف ولا بد فكل ذلك مما يدل على ضعف هذا الحديث ويؤكد  
انه صراط واحد وقنطرة واحدة . . .

والله اعلم

ومما ينبغي التنبيه اليه ان ما يذكره بعض العلماء من ان الجنة  
تكون بعد الصراط مباشرة فيه ايهاً وقد غفال لذكر القنطرة ولا يصدق  
هذا الا على الخارجين من النار لأنهم اذا خرجوا منها فانهم لا يحسبون  
على القنطرة لعدم الداعي لذلك ، وقد نكر القرطبي ان الدارقطني  
اورد حديثاً في هذا يفيد ان الجنة بعد الصراط ولم يذكر القرطبي

الحديث الا انه اجاب عنه بجوابين فقال :-

( ولعله اراد بعد القنطرة بدليل حديث البخارى او يكون ذلك

فى حق من دخل النار وخرج بالشفاعة فهو لاء لا يحبسون بل اذا

خرجسوا بثوا على انهار الجنة ) (١) .

\* \* \*

---

(١) المذكورة ص ٤٠٨ .

## الفصل الرابع

### لماذا اخرج الله حساب هؤلاء الى القنطرة

=

وقد يستشكل بعض الناس وقوع القصاص بين اهل الجنة على القنطرة مع انهم قد نجوا من حساب الموقف و فازوا لأن الله تعالى لا يترك فسي حساب له لعباده في الموقف أى ذنب فكيف بقيت هذه الذنوب ليحاسبوا عليها في القنطرة ؟ وما معنى هذا التقاص ؟ اما معنى هذا القصاص فقد سبق ان ذكرنا كلام ابن حجر رحمه الله عن معناه من أن المراد به تتبع ما بينهم من المظالم واسقاط بعضها ببعض (١)

وقال القرطبي ( هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله ان القصاص لا يستنفذ حسناتهم ) (٢)

ولم يتيسر لى الجواب عن مسألة ترك حساب هؤلاء السعداء الى ان وصلوا الى القنطرة الا انه يمكن ان يقال فى الجواب عن ذلك من احد وجهين :-

الأول : ان الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وما دام النص قد ثبت بذلك فليس لاهد ان يحترض على ربه ويسأله لماذا أبقيت حساب هؤلاء الى هذا المكان .

---

( ١ ) فتح البارى ج ٥ ص ٩٦ .

( ٢ ) عن فتح البارى ج ١ ص ٣٩٩ .

الثانى : أنه لا يلزم أن يحاسب الله المؤمنين عن كل شىء فى مكان واحد  
خصوصا عن مثل هذه التبعات التى لا تؤثر فى دخولهم الجنة  
ونجاتهم من النار فيما أن الله تعالى أخرها لتكون سعادتهم  
اكمل ولتكون بمثابة استعداد تام لدخول الجنة وهم على طهارة  
تامة من الغل و شوائب النقص الأخرى . . والله أعلم بحقيقة  
ذلك .

الثالث : انه يجوز أن تكون هذه التبعات لا ترقى الى حد المعاصى  
فيريد الله تبارك وتعالى ان يدخلوا الجنة وليس فى قلب  
احدهم على الاخر شىء فيتسامحون ويتصافون ويدخلون الجنة  
وليس فى قلب احد منهم على أخيه غل أو حسد .

\* \* \*

## الباب الثاني عشر / الورود

( الورود )

ويشمل الفصول الآتية :

تمهيد :

الفصل الأول : ١- اقوال العلماء في معنى الورود وذكر أدلة كل قول .

الفصل الثاني : ٢- القول الراجع في معنى الورود .

الفصل الثالث : ٣- مسألة : هل يستثنى الأنبياء من ورود النار واجتيازها .

الفصل الرابع : ٤- مسألة أخرى : ما فائدة دخول أهل السعادة النار

واجتيازهم فوقها . وقد كتب الله لهم النجاة

\* \* \*





فى النار فهل الورود المذكور فى هذه الآيات يراد به الدخول فى النار ام مجرد المرور من غير احساس بها الواقع أن هذه المسألة هى من المسائل التى وقع فيها الخلاف بين العلماء فى زمن الصحابة ومن بعدهم .

- اقوال العلماء فى معنى الورود وذكر أدلة كل قول :

اختلف العلماء فى معنى المراد بهذا الورود الى اقوال كثيرة يمكن ايجازها فيما يلى :-

- ( ١ ) الورود المذكور فى الآية يراد به الدخول فى النار .
- ( ٢ ) يراد به المرور عليها اى فوق الصراط .
- ( ٣ ) يراد به الدخول ولكنه عنى به الكفار دون المؤمنين .
- ( ٤ ) انه عام لكل مؤمن وكافر غير ان ورود المؤمن المرور وورود الكافر الدخول .

- ( ٥ ) ورود المؤمن ما يصيبه فى الدنيا من حمى و مرض .
- ( ٦ ) انه يراد بها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم .

= و تلك اشهر الأقوال =

وهناك اقوال اخرى ذكرها بعض اهل العلم منها :

- ( ٧ ) القول بالتوقف فى معنى الورود .
- ( ٨ ) ومنها القول بأن المراد بالورود هنا هو الاشراف والاطلاع والقرب منها حيث يكونون وهم فى الموقف يشاهدون النار فينجيهم الله مما

شاهدوه .

ونبدأ الآن بذكر عزو تلك الأقوال إلى أهلها ثم الترجيح

فيما يأتي :-

أما الذين فسروه بالدخول من السلف فضعف ابن عباس وابن مسعود  
وعبد الله بن رواحة وجابر بن عبد الله و أبو ميسرة و ابن جريج و خالد  
بن معدان .

أما ابن عباس ، فقد اشتهر رأيه هذا في جوابه لنافع بن الأزرق في  
مسألة نافع لابن عباس المشهورة فقد جاء نافع يسأل ابن عباس عن معنى  
الآية .

فقال ابن عباس الورود الدخول وقال نافع لا فقراً ابن عباس ( انكم  
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ) اورود هو  
أم لا ؟ وقال يقدم قومه يوم القيامة فأورد هم النار ويثس الورود المورود  
اورود هو ام لا ؟ اما انا وانت فسندخلها فانظر هل تخرج منها ام لا ؟  
وما ارى الله مخرجك منها بتكذيبك قال فضحك نافع (١) .

وفي رواية اخرى لعطاء بن ابي رباح قال ( قال ابو راشد الحروري  
( يعني نافع ابن الأزرق ) ذكروا هذا فقال الحروري لا يسمعون حسيبها  
قال ابن عباس ويلك أمجنون انت أين قوله تعالى :

(( يقدم قومه يوم القيامة فأورد هم النار ويثس الورود المورود ))

---

(١) جامع البيان ج ١٦ ص ١٠٩ .

(( ونسوق المجرمين الى جهنم وردا )) وقوله : (( وان منكم الا واردها  
والله ان كان دعاء من مضى اللهم اخرجني من النار سالما و ادخلني  
الجنة غانما )) (١) .

والروايات عن ابن عباس في هذا كثيرة وبطرق متعددة يرى ان الورود  
المذكور في الاية يراد به الدخول لكل احد مسلما كان ام كافرا  
وهو المشهور عنه (٢) .

قال الجبل : (( وهذا هو تفسير ابن عباس الصحيح عند اهل  
السنة )) (٣) .

واما جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقد جاء عن ابي  
سمية انه قال اختلفنا ههنا في الورود فقال بعضهم لا يدخلها  
مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت  
جابر بن عبد الله فقلت انا اختلفنا ههنا في ذلك فقال بعضهم لا يدخلها  
مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا فأهوى بأصبعه الى أنيه وقال صمتا  
ان لم اكن سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ( السورود  
الدخول لا يسقى برولا فاجر الا يدخلها فتكون على المؤمنين برودا  
وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار او قال لجهنم ضجيجا من بردهم  
ثم ينجي الله الذين اتقوا و يذر الظالمين ) (٤)

- 
- (١) جامع البيان ج ١٦ ص ١٠٩ .  
(٢) تفسير الدر المنثور ج ٤ ص ٢٨٠ - ٢٨١ .  
(٣) الفتوحات الالهية ج ٣ ص ٨٣ .  
(٤) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٢٧ - ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٦٠ ===

واخرج الطبري بسنده الى خالد بن معدان قال : قال اهل الجنة  
بعد ما دخلوا الجنة الم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال قد  
مررتم عليها وهي خامدة .

واخرج كذلك عن غنيم بن قيس قال : (ذكروا ورود النار فقال  
كعب تمسك النار للناس كأنها متن اهالة<sup>(١)</sup> حتى يستوى عليها اقدام  
الخلائق برهم وفاجرهم ثم يناديها ناد ان اسكني اصحابك ودعني  
اصحابي قال : فيخسف بكل ولي لها ولهي اعلم بهم من الرجل  
يولده ويخرج المؤمن ندية ابدا انهم قال وقال كعب ما بين منكبي  
الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود له شعلتان يدفع  
به الدفعة فيصرع به في النار سبعمئة الف )<sup>(٢)</sup>

واخرج عن ابي اسحاق ( قال كان ابو ميسرة اذا اوى الى فراشه

---

=== والدر الشورج ج ٤ ص ٢٨٠ وقال . . . رواه احمد ورواته ثقات . .  
والبيهقي باسناد حسن وهو في المسند ج ٣ ص ٣٢٨ .

(١) معنى اهالة قال ابن الاثير ( كل شيء من الادهان ما يؤتسدم  
به اهالة وقيل ما اذ يب من الالية والشحم وقيل الدسم الجامد  
ومنه حديث كعب في صفة النار كأنها متن اهالة اي ظهرها  
- النهاية ج ١ ص ٨٤ .

(٢) جامع البيان ج ١٦ ص ١٠٩

قال : يا ليت ابي لم تلدنني ثم يبكي فقليل و ما يبكيك يا ابا ميسرة

قال اخبرنا انا واردها ولم يخبرنا انا صادرون عنها ( ١ ) .

وعن قيس بن ابي حازم ( قال بكى عبدالله بن رواحة في مرضه

فبكيت امرأته فقال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكيت قال ابن رواحة انسى

قد عطت ابي وارده النار فما ادري اناج منها انا ام لا ( ٢ ) .

وقال ابو عمرو داود بن الزبرقان : سمعت السدي يذكر عن مسرة

الهمداني عن ابي سمود ( وان منكم الا واردها قال داخلها ( ٣ ) .

واخرج الحاكم عن ابن سمود انه سئل عن قوله ( وان منكم الا

واردها قال وان منكم الا داخلها ( ٤ ) و الروايات عن ابن سمود كثيرة

يفسر الورود في النار بالدخول فيها ( ٥ ) .

وما يدل على ان الورود المراد به الدخول ما جاء عن سهل بن

معاذ عن ابيه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انه قال ( من حرس

وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطانه بحرس لم يسر

النار بعينه الا تحلة القسم فان الله تعالى يقول وان منكم الا واردها ( ٦ )

---

(١) جامع البيان ج ١٦ ص ١٠٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٠ .

(٤) انظر الدر المنثور ج ٤ ص ٢٨١ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٨١ .

(٦) جامع البيان ج ١٦ ص ١١٤ .

وكذا اما جاء عن ابن هريرة ان النبي - صلى الله عليه وسلم - قال

من مات له ثلاثة لم تسه النار الا تحلة القسم ( يعنى الورود )<sup>(١)</sup> .

هذا ما يتعلق بالرأى الأول وهو تفسير الورود بالدخول فى النار

وهل ذلك يشمل الانبياء والرسل وخاصة المؤمنين أم لا ؟ سيأتى

جوابه فى مسألة خاصة به بعد عرض اراء العلماء فى الورود . .

٢- اما الرأى الثانى وهو تفسير الورود بالمرور عليها :

فهو رأى قتادة وغيره من علماء السلف - وفى هذا يقول الطبرى :

( حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتاده ( وان منكم

الا واردها ) يعنى جهنم مر الناس عليها ) . . وفى رواية اخرى

عن معمر عن قتادة بما سبق<sup>(٢)</sup> .

وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال اخبرتنى ام مبشر

انها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول عند حفصة لا يدخل النار

ان شا<sup>٥</sup> الله من اصحاب الشجرة اهد من الذين بايموا تحتها قالت بلى

يا رسول الله فأنتهرها فقالت حفصة ( وان منكم الا واردها ) فقال النبي

صلى الله عليه وسلم - قد قال الله عز وجل (( ثم نجى الذين اتقوا ونذر

الظالمين فيها جثيا )<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup> .

قال النووى عن معنى الحديث - لا يدخل النار ان شا<sup>٥</sup> الله من

(١) جامع البيان ج ١٦ ص ١١٤ .

(٢) جامع البيان ج ١٦ ص ١١٠ .

(٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ٣٦٤ والطبرى فى جامع البيان ج ١٦ ص ١١٢ .

(٤) سور (سور) مريم الايتان ٧١ - ٧٢ .

اصحاب الشجرة . . الخ .

( قال العلماء : معناه لا يدخلها احد منهم قطعا كما صرح به في الحديث الذي قبله حديث حاطب وانما قال : ان شاء الله للتسبرك لا للشك ) (١) .

و حديث حاطب الذي اشار اليه النووي هو ما رواه جابر رضي الله عنه : ( أن عبدا لحاطب جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشكو حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كذبت لا يدخلها فانه شهد بدرا والحديبة ) (٢) .

( واما قول حفصة ( بلى ) وانتهاز النبي - صلى الله عليه وسلم - لها فقالت ( وان منكم الا واردها )

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ( ثم ننجي الذين اتقوا ) فيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا انها ارادت <sup>رد</sup>مقالته ( صلى الله عليه وسلم ) والصحيح ان المراد بالورود في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم ) (٣) .

ويقول ابن ابي المز : ( واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى : ( وان منكم الا واردها ما هو ؟ والاظهر والاقوى انه المرور على الصراط قال تعالى : ( ثم ننجي الذين اتقوا ونذرنا الظالمين فيها جهنميا )

(١) شرح النووي ج ٥ ص ٣٦٤ .

(٢) ص مسلم ج ٥ ص ٣٦٥ .

(٣) شرح النووي ج ٥ ص ٣٦٦ .



ثم قال في تعليقه على حديث حفصة المتقدم :

( اشارة - صلى الله عليه وسلم - الى ان ورود النار لا يستلزم دخولها

وان النجاة من الشر لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه فمن طلبه

عدوه ليهلكه ولم يتمكنوا منه يقال نجاه الله منهم ولهذا قال تعالى :

(( ولما جاء امرنا نجينا هودا )) (١) - فلما جاء امرنا نجينا صالحا (٢)

ولما جاء امرنا نجينا شعيبا (٣) ولم يكن العذاب اصابهم ولكن اصاب

غيرهم ولولا ما خصهم الله به من اسباب النجاة لاصابهم ما اصابئك

وكذلك حال الوارد في النار يمرن فوقها على الصراط ثم ينجى الله الذين

اتقوا و يذر الظالمين فيها حيث يا (٤)

اما الرأي الثالث وهو القول بأن الورود هو الدخول ولكنه عني

الكفار دون المؤمنين فان هذا الرأي يحزى الى ابن عباس ايضا وقد

ذكر هذا عنه الطبري دون تعيين اسم الراوي عن ابن عباس بل قال

بسند عن شعبه قال اخبرني عبد الله بن السائب عن رجل سمع ابن

عباس يقروها (( وان منكم الا وادها )) يعني الكفار قال لا يرد لها مؤمن (٥)

(١) سورة هود الاية : ٥٨ .

(٢) سورة هود الاية : ٦٦ .

(٣) سورة هود الاية : ٩٥ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٩ .

(٥) جامع البيان ج ١٦ ص ١١٠ .

ويعزى كذلك الى عكرمه ان المراد بالورود هنا ورود الكفار (١) . .  
ويذكر ابن كثير عنهما انهما كانا يقرآن الآية (( وان منهم الا وارهـا  
يعنى الكفار (٢) قال الجمل ( لئلا يات التى قبل هذه فانها  
فى الكفار وهى قوله (( فوربك لنحشرنهم شم/ لنحصرنهم . بهم اشهد/  
شم لنحن اعلم بالذبن هم اولى بها صلياً وان منهم الا وارهـا وكذلك  
قرأ عكرمة وجماعة لكن الاكثرون على ان المخاطب العالم كلهم كما تقدم (٣) .

#### ٤ - اما الرأى الرابع وهـو

ان الورود عام لكل مؤمن وكافر غير ان ورود المؤمن المرور وورود  
الكافر الدخول ( فهذا رأى ابن زيد ) وهو عبد الرحمن بن زيـد  
بن اسلم ) .

قال الطبرى ( حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب ) قال : قال  
ابن زيد فى قوله ( وان منكم الا وارهـا ورود المسلمين المرور على الجسر  
بين ظهريها وورود المشركين ان يدخلوها قال وقال النبى - صلى الله  
عليه وسلم ( الزالون والزالات يومئذ كبير وقد احاط الجسر سمان من  
الملائكة دعواهم يومئذ يا الله سلم سلم ) (٤)

- 
- (١) جامع البيان ج ١٦ ص ١١٠ .  
(٢) تفسير القران العظيم ج ٢ ص ١٣٢ .  
(٣) الفتوحات الالهية ج ٢ ص ٧٤ .  
(٤) جامع البيان ج ١٦ ص ١١١ - وقال ابن كثير عن حديث ابى هريره  
( انه غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه ) التفسير ج ٣ ص ١٣٣ .

٥- أما الرأى الخامس وهو :

ان ورود المؤمن ما يصيبه فى الدنيا من حمى ومرض فانه يعمى هـذا

القول الى مجاهد انه قال :

( الحمى حظ كل مؤمن النار ثم قرأ " وان منكم الا واردها " ويستدل

له بما اسنده الطبرى الى ابى هريرة قال " خرج رسول الله صلى الله

عليه وسلم يعود رجلا من اصحابه وبه وعك وانا معه ثم قال - ان الله

يقول هي نارى اسلظها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار فى الآخرة (١)

٦- أما الرأى السادس وهو ان معنى الورد هو ان :

يرد ها الجميع ثم يصد ر عنها المؤمنون بأعمالهم

فهذا القول يعمى ايضا الى عبد الله بن مسعود (٢) وقد سبق

ان اشرنا الى انه يفسر الورد بالدخول - ومن الأدلة لهذا القول ما

اخرجه الترمذى والامام احمد عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم - قال ( يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم فأولهم

كلمح البرق ثم كالريح ثم كعصر الفرس ثم كالراكب فى رجله (٣) ثم كشد

الرجل ثم كشييه )

(٤) قال الترمذى بعد ان اخرجه ( هذا حديث حسن )

---

(١) جامع البيان ج ١٦ ص ١١١ - وقال ابن كثير عن حديث ابى هريرة

انه ( غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه - التفسير ج ٣ ص ١٣٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٣٢ .

(٣) اى كعدوه وجره .

(٤) اخرجه الترمذى ج ٥ ص ٣١٧ .

وهو مرفوع من رواية السدي عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود

"ورواه شعبه عن السدي فلم يرفعه" وقال عبد الرحمن بن مهدي احمد

رواة الحديث:

"قلت لشعبة ابن اسرائيل حدثني عن السدي عن مرة عن عبد الله

عن النبي - صلى الله عليه وسلم قال شعبه - وقد سمعته من السدي

مرفوعا ولكني عمدا أدعاه" (١) .

والحاصل ان الحديث مرفوع

- اما بالنسبة للقول السابع وهو القول بالتوقف

فهو ما ذكره الشوكاني بعد ان نسبه الى كثير من العلماء وذلك في

قوله : " وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورد ، وحمله

على ظاهره لقوله تعالى : (( ان الذين سبقتمنا الحسنى آتواك

عنها مبعدون )) (٢) . قالوا فلا يدخل النار من ضمن الله ان يمهده

عنها (٣) .

فسبب توقفهم عن تحقيق القول في الورد ان الله اخبر ان من سبقتم

لهم الحسنى لا يردون النار - واخبر في سورة مريم انه ما من احد الا

وسيرد النار - فصاروا الى التوقف .

لكن الآية (( ان الذين سبقتمنا الحسنى الى اخرها يقوى

---

(١) سنن الترمذي ج ٥ ص ٣١٧ و المسند ج ١ ص ٤٣٣ .

(٢) سورة الانبياء : الآية ١٠١ .

(٣) فتح القدير ج ٣ ص ٣٣٤ .

قول من ذهب الى ان الورود يراد به المرور العادي وعدم الدخول ، وهو ما يذهب اليه بعض العلماء وفقى هذا يقول الشوكاني :

( وما يدل على ان الورود لا يسلتزم الدخول قوله تعالى :

م (( ولما ورد ماء مدين )) فان المراد اشرف عليه لا أنه دخل فيه قول زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه . . . . . وضمن عصي الحاضر المتخيم (١)

اما القول الثامن وهو ما ذكره العلامة الجمل عن بعض الفرق بقوله

( "وقالت فرقة الورود هو الاشراف والاطلاع والقرب وذلك أنهم يحضرون

موضع الحساب وهو يقرب جهنم فيرونها وينظرون اليها في حالة الحساب

ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا اليه ويصار بهم الى الجنة ويكفر

الظالمين أي يأمر بهم الى النار" ) (٢) فهو قول بعيد عن معنى الآية

والمراد بها .

---

(١) فتح القدير ج ٣ ص ٢٤٤ .

(٢) الفتوحات الالهية ج ٣ ص ٧٤ .



بعد عرض ما سبق اتضح أن معنى الـورود الذي ذكره الله يحتمل  
معاني كثيرة ولهذا فقد اختلفت كلمة العلماء في تعريفه والمراد منه السي  
الاقوال التي ذكرناها والواقع ان تلك الاقوال منها ما هو قريب ومنها ما  
هو بعيد الا انه يمكن أن يقال ان القول السادس منها وهو انه يرد ها  
الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون باعمالهم هو الراجح لتصريح الآية  
به (( وان منكم الا واردها )) . . . (( ثم ننجى الذين اتقوا )) بالاضافة  
الى ما ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم في وصف الصراط  
و مرور الناس عليه بحسب أعمالهم .

ولهذا يقول الطبري في ترجيحه :

( و اولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال : يرد ها الجميع  
ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوى فيها الكفار وورود هموها  
هو ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من  
مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فجاج مسلم و مكذب فيها )<sup>(١)</sup>

وقال الشوكاني ( ولا يخفى ان القول بأن الـورود هو المرور على  
الصراط او الـورود على جهنم وهي خامده فيه جمع بين الأدلة من الكتاب  
والسنة فينبغي حمل هذه الآية على ذلك لأنه قد حصل الجمع بحمل  
الـورود على دخول النار مع كون الداخل من المؤمنين مبعدا من عذابها

أو بحمله على المضى فوق الجسر المنصوب عليها وهو الصراط (١) ..

وقد رجح ابن ابيالمز أيضا القول بأن الورود يراد به المرور على

الصراط كما سبق (٢) .

\* \* \*

---

(١) فتح القدير ج ٣ ص ٣٤٤ .

(٢) شرح الطحاوية ص ٤٠٩ .

( مسألة )

ذكرنا فيما مضى أن من معاني الورود هو ان الكل يدخل النار  
كما هو رأى ابن عباس وغيره من السلف واذا كان الامر هكذا  
فهل الانبياء يشملهم هذا الورود ام لا :

والجواب : ان ظاهر الآية يدل على انهم كفيرهم من الامم فسى  
المضى على الصراط واجتيازه .

وان الخطاب يشمل الجميع

ونذهب صاحب الفتوحات الالهية الى القول باستثناء الانبياء ولم يذكر  
دليلا على استثنائهم غير ما ذكر من ان ذلك لا يقال فى حقهم تأديبا  
لجنابهم .

وان كان ظاهر الآية - كما يذكر - فى قول يفيد مرور جميع الخلق  
على الصراط دون استثناء أحد حتى الأنبياء (١) .

ثم قال ( فان قيل فهل يدخل الانبياء النار قلنا لا نطلق هذا  
فى حق الانبياء اذ با معصم ولكن نقول ان الخلق جميعا يردونها كما  
دل عليه حديث جابر وغيره فالمصاة يدخلونها بجراثمهم والاولياء  
والسعداء يدخلونها بشفاعتهم فبين الداخلين بون ) (٢) .

---

(١) الفتوحات الالهية ج ٣ ص ٧٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٤ .



ويشهد لمرور الانبياء على الصراط ما تقدم ذكره في الاولة على  
ثبوت الصراط من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فاكون اول من يجيز  
فاكون انا وامتي اول من يجيزها حولا يعارض هذا ما جاء من أنه يقف على  
جانب الصراط ويدعو لأئمة رب سلم سلم فقد يقع هذا بعد ان يجتاز  
الصراط .

واذا كان من اتباعه - صلى الله عليه وسلم - واتباع غيره من الانبياء  
عليهم السلام من يجتاز مثل الطرف فكيف باجتياز الرسل عليهم السلام .

\*\*\* \* \*\*\*

( مسألة اخرى )

ويلتحق بالسؤال السابق سؤال اخر وهو اذا كان الله قد كتب  
النجاة لأوليائه وانهم لا يدخلون النار ولا يعذبون بها - فما الفائدة  
دخولهم النار <sup>(١)</sup> .

والجواب انه وان كان بعض العلماء يذكر حكمة في هذا فان اول ما  
يقال ان الله تعالى له الحكم والامر لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولا شك  
ان الله تعالى حكما عظيمة في خلقه وافعاله نؤمن بهذا سواء ظهرت  
لنا الحكمة ام لم تظهر نؤمن بما جاء به الشرع . . . . . ونعتقد أن فيـه  
حكما عظيمة واسراراً جليلية ومن ذلك مرور المؤمنين على الصراط وهم ممن  
كتبت لهم السعادة فلا يقال ما الفائدة على وجه الاعتراض ولكن نؤمن  
بهذا ولا مانع ان يكون الله قد الهم بمض خلقه القول الصواب في ذلك  
اما ما ذكره اهل العلم في الحكمة فهو :

- ١- ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه .
- ٢- ان فيه مزيد لهم على اهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها  
وهم باقون فيها .
- ٣- انهم اذا شا هدوا ذلك من العذاب على الكفار صار ذلك سببا لمزيد  
التقاضي لهم بنعيم الجنة <sup>(٢)</sup> والله اعلم

(١) الفتوحات الالهية ج ٣ ص ٧٤ .

(٢) المصدر السابق .

\*\*\* الباب الثالث عشر \*\*\*

مهممهمم

(( اصحاب الاعراف ))

ويشتمل على الفصول الآتية :

الفصل الأول : ما ورد في القرآن الكريم بشأن اصحاب الاعراف •

الفصل الثاني : ما هو المراد بالاعراف لغة ، واصطلاحاً •

الفصل الثالث : الخلاف في تعيين اصحاب الاعراف •

الفصل الرابع : ما هو الراجح في أهل الاعراف •

الفصل الخامس : سور الاعراف الحاجز بين الجنة والنار يكون دائماً أم فسي

فترة من الفتورات •

=====

=====

=====

==

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

" الفصل الأول "

(( ما ورد فى القرآن الکریم بشأن أصحاب الأعراف ))

يقول الله تعالى ( وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم

ونادوا اصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ) (١)

ويقول تعالى ( ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا

ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ) (٢)

( اهوؤا الذين اقستم لاينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لاخوف عليكم

ولا أنتم تحزنون ) (٣)

وقال تعالى ( فضرب بيديهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله

العذاب ) (٤) (سورة الحديد : آية : ١٣) .

---

(١) سورة الاعراف : آية : ٤٦ .

(٢) سورة الاعراف : آية : ٤٨ .

(٣) سورة الاعراف : آية : ٤٩ .

(٤) هذا بناء على ان السور هو الاعراف انظر : جامع البيان ١٨٨ / ٨ وهو رأى

بعض السلف ومنهم ابن عباس ومجاهد والضحاك وأبو جعفر .

\*\*\* الفصل الثاني \*\*\*

XXXXXXXXXX

ما هو المراد بالاعراف لفظة واصطلاحاً :  
=====

الاعراف حسب ما يظهر من اقوال العلماء هو حاجز مرتفع بين أهل الجنة وأهل النار وهو في اللغة كما قال الأزهرى رحمه الله " جمع عرف، وهو كل عال مرتفع " (١)

وقال الطبري " الاعراف جمع واحد ما عرف وكل مرتفع من الارض عند الحرب فهو عرف وانما قيل لعرف الديك عرف لارتفاعه على ما سواه من جسده (٢) وقال الشوكاني :

" الاعراف جمع عرف وهي شرفات السور المضروب بينهم ومنه عرف الفرس .  
وعرف الديك ، والاعراف في اللغة المكان المرتفع " (٣)

وفي تحليل تسمية المكان المرتفع عرفاً يقول الرازي :

" وذلك لأنه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه " (٤)

---

(=) ولا يرد على هذا ان السور لا حاجة اليه لبعده ما بين الجنة والنار اذ لا مانع

من ذلك لارادة الله تعالى له . انظر: التفسير الكبير ١٤ / ٨٧ .

(١) تهذيب اللغة ٢ / ٣٤٦ .

(٢) جامع البيان ٨ / ١٨٨ .

(٣) فتح القدير ٢ / ١٦٨ .

(٤) التفسير الكبير ١٤ / ٨٧ .

( معنى الاعراف اصطلاحاً )

وقد اختلف العلماء فى معنى الاعراف الى اقوال كثيرة وعاصلها ما يأتى :

- ١- الاعراف هو مكان مرتفع يشرف على أهل الجنة والنار .
- ٢- الاعراف هو السور الذى ذكره الله فاصلا بين الجنة والنار (١)
- ٣- هو جبل بين الجنة والنار ، أو تل مرتفع وروى عن ابن عباس انه تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب وقال سفيد بن جبير " الاعراف جبال بين الجنة والنار فهم عن اعرافها يقول عيسى على ذراها " (٢)
- ٤- الاعراف هو الصراط قال ابن جريح " زعموا انه الصراط
- ٥- هو حجاب بين فريقى أهل الجنة وأهل النار وهو قول مجاهد
- ٦- وقال القرطبي وقيل انه سور بين الجنة والنار قيل هو جبل أحمد يوضع هناك " (٣)

ومن الذين ذهبوا الى ان الاعراف هو السور المذكور فى سورة الحديد فمن قوله تعالى ( يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله الحذاب " ( الحديد : آية : ١٣ ) .

---

(١) انظر: المفردات للراغب ص: ٣٣٢ .  
(٢) فتح القدير ٢/ ٢٠٩ .  
(٣) التذكرة ص: ٣٢١ .

من الذين ذهبوا الى ذلك السدى حيث قال " هو السور وهو الاعراف "

قال " وانما سمي الاعراف لأن اصحابه يعرفون الناس " .

وقال حذيفة " الاعراف سور بين الجنة والنار " .

وعن ابن عباس في رواية عنه قال : " الاعراف هو السور الذي ذكره الله في

القرآن بين أهل الجنة وأهل النار " (١)

وقد روى البيهقي في الاسماء والصفات عن مقاتل في قوله ( ف ضرب بيدهم بسور

له باب ) قال يعنى بالسور حائطا بين أهل الجنة وأهل النار له سباب

باطله يعنى باطن السور فيه الرحمة مما يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب

يعنى جهنم وهو الحجاب الذي ضرب بين أهل الجنة وأهل النار " (٢)

وهناك أقوال اخرى ذكرها بعض العلماء غير انها لا تخرج في مفهومها عما

سبق " وعلى أى احتمال كان فان الاعراف وهو اما حجاب أو سور أو تل

مشرف أو جبال بين الجنة والنار أو أى حاجز آخر فانها كلها تهدف الى

اثبات أن حاجزا مرتفعا يجمعه الله في يوم القيامة بين الجنة والنار يشرف

منه اصحاب الاعراف على فريقى الجنة والنار يصرفون كلا بسيماهم وان اصحابه

لم ينتظر مصيرهم بعد ولكن مآلهم الى الجنة كما سيأتى بيان ذلك فيما يلي :--  
(٢)

---

(١) تفسير المنار ٨ / ٤٣١ .

(٢) أخرجه البيهقي في الاسماء والصفات ص : ٦١٦ .

(٣) فتح القدير ٢ / ٢٠٩ .

\*\*\* الفصل الثالث \*\*\*  
متمم

( ( الخلاف في تعيين اصحاب الاعراف ) ) -

اختلف العلماء في تعيين اصحاب الاعراف وفي السبب الذي صاروا به موقوفين على الاعراف كما اخبر الله عنهم اختلف العلماء في ذلك الى آراء مختلفة واقوال متباينة وفيما يلي : - نذكر ما قيل في تعيينهم ثم الترجيح مما قيل في تعيينهم :

١- انهم مساكن أهل الجنة وينسب هذا القول الى ابن مسعود وكعب

الاحبار وابن عباس . (١)

وأخرج الطبري عن ابن عباس انه قال : " الاعراف سور بين الجنة والنار واصحاب الاعراف بذلك المكان حتى اذا بدا لله - هكذا بالأصل - ان يحافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له الحياة فافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه الصك فالتقوا فيه حتى تصلح الواهب ويبدو في حورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت الواهب أتى بهم الرحمن فقال تموا ما شئتم قال فيتمون حتى اذا انقطعت أميتهم قال لهم : لكم الذي تميتهم ومثله سبعين مرة فيدخلون الجنة وفي

حورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكن الجنة " (٢)

وهو رأى عبد الله بن الحارث - أيضا - كما اخرج الطبري عن مجاهد

(١) التذكرة ص : ٣٨٦ .

(٢) جامع البيان ٨ / ١٩١ .

وهو رأى عبد الله بن الحارث - أيضا - كما اخرج الطبري عن مجاهد



عن عبد الله بن الحارث قال : اصحاب الاعراف ينتهي بهم الى بهريقال  
له الحياة حافته قذب من ذهب قال سفیان اراه قال مكلل باللؤلؤ قال  
فيختلون منه اغتساله فتهدو في حورهم شامة بيضاء ثم يعودون فيختلون  
فيزدادون فكلموا اغتسلوا ازدادت بياضا فيقال لهم تمنوا ما شئتم فيتمنون  
ماشوا<sup>(١)</sup> فيقال لهم لكم ما تمليتكم وسبحون ضعفا قال فهم مساكين أهل الجنة"

### القول الثاني :-

ابهم قوم صالحون فقها علماء وينسب هذا القول الى مجاهد (٢) وهذه  
صفة مدح لهم غير انه جاء في التفسير المنسوب الى ابن عباس ان هؤلاء  
كانوا ساكين في الرزق (٣) وهذه صفة ذم ، وقد وصف ابن كثير هذا القول  
بأن فيه غرابة . (٤)

### القول الثالث :-

ابهم الشهداء ذكرهم المهدي (٥) وعزاه الشوكاني الى القشيري وشهره بعبيل  
ابن سعد . (٦)

---

(١) جامع البيان ١١١/٨ - ١١٢ .

(٢) التذكرة ص : ٣٨٦ .

(٣) تلوير المقباس ١٧/٢ مع الدر المنثور .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢١٧ .

(٥) التذكرة ص : ٣٨٦ .

(٦) فتح القدير ٢ / ١٦٨ .

٤- هم فضلاء المومنين والشهداء فرغوا من شغل انفسهم وتفرغوا لمطالعة

أحوال الناس ذكره ابو نصر عبد الرحيم بن محمد الكريم القشيري . (١)

وعزاه الشوكاني الى مجاهد . (٢)

٥- هم المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصابة لابائهم ويمزى

هذا القول الى شرحبيل بن سعد ايضا . (٣)

وأخرج الطبري حديثين في هذا الاول منهما قال فيه : حدثني المثنى

وساق السد الى يحيى بن شبل ان رجلا من بنى النضير اخبره عن رجل

من بنى هلال ان اياه اخبره انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن اصحاب الاعراف فقال ( هم قوم فزوا في سبيل الله عصابة لابائهم فقتلوا

فاعتقهم الله من النار بقتلهم في سبيله وحبسوا عن الجنة بمعضيصة

ابائهم فهم آخر من يدخل الجنة " (٤)

وأما الحديث الثاني : فقد اخرجه عن يحيى بن شبل مولى بنى هاشم

عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : سئل رسول الله صلى الله

عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال ( قوم قتلوا في سبيل الله بمعضيصة

---

(١) التذكرة ص : ٣٨٦ .

(٢) فتح القدير ٢ / ١٦٨ .

(٣) التذكرة ص : ٣٨٦ .

(٤) جامع البيان ٨ / ١٦٢ .

آبائهم فمحصهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومعتهم محصية آبائهم أن

يدخلوا الجنة ( ١ )

وهذا الحديث قد ضعفه بعض العلماء ( ٢ )

وهو عن أبي سعيد أنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب  
الاعراف فقال : هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لا بائهم فمعتهم  
الشهادة أن يدخلوا النار ومعتهم المحصية أن يدخلوا الجنة وهم على  
سور بين الجنة والنار حتى تذبل لحومهم وشحومهم حتى يفرغ الله مسن  
حساب الخلائق فإذا فرغ من حساب خلقه فلم يبق غيرهم تخمدهم عليه  
برحمة فادخلهم الجنة برحمته ( ٣ )

وقد ذكر الرازي أن هذا القول الذي يجعل الاعراف عارة عن الرجل الذين  
يعرفون أهل الجنة وأهل النار يعود أيضا إلى قول من يجعل  
الاعراف عارة عن الامكنة العالية على السور المضروب بين الجنة وبين النار  
لأن هؤلاء الاقوام لا بد لهم من مكان عال يشرفون منه على أهل الجنة  
وأهل النار ( ٤ )

---

( ١ ) جامع البيان ٨ / ١٩٢ .

( ٢ ) النظر: تفسير المصنف ٨ / ٤٣١ .

( ٣ ) جمع الفوائد ٢ / ٢٠٨ ثم عزاه إلى الاوسط والمصنف بضعف " وفيه

محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد ٧ / ٢٣ .

( ٤ ) النظر: التفسير الكبير ١٤ / ٨٦ .

٦- هم الحباس ، وحمزة وعلى بن ابي طالب وجعفر ذو الجناحين

يُعرفون منهم ببياض الوجوه ومبغضينهم بسواد الوجوه ذكره

الثعلبي عن ابن عباس (١)

وبعد هذا القول لا يخفى لأن هذا التخصيص لا معنى له ولعله من اقوال

الشيعة : بل قد ذكر محمد رشيد رضا انه من اقوالهم وهو كذلك لم

يوجد في كتب التفسير المعتمدة عن السلف قال :

" وهذا القول ذكر الالوسي ان الضحاك رواه عن ابن عباس ولم تره في

شيء من كتب التفسير المأثورة ، والظاهر أنه نقله من تفاسير الشيعة

وفيه ان أصحاب الاعراف يعرفون كلام من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم

أى فيميزون بينهم او يشهدون عليهم وأى فائدة في تمييز هؤلاء السادة

على الصراط لمن كان يبغضهم من الامويين ومن يبغضون عليا خاصة ممن

المنافقين والنواصب وأين الاعراف من الصراط هذا بعيد عن نظم الكلام

وسياقه جدا (٢)

٧- وهم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل امة

ذكره الزهراوى واختره النحاس " (٣)

قال العلامة محمد رشيد رضا " فكما ثبت ان كل رسول يشهد على امته وثبت

---

(١) التذكرة ص : ٢٨٦ .

(٢) تفسير المنار ٨ / ٤٣٣ .

(٣) التذكرة : ص : ٢٨٦ .

ان امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على جملة من الامم بصدده  
ثبت ايضا ان فى الامم شهداء غير الانبياء عليهم السلام قال الله تعالى :

( فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ) (١)

وقال فى خطاب هذه الامة ( وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على  
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ) (٢) وقال فى صفة يوم القيامة ( واشرقت  
الارض بنور ربها ووضح الكتاب وجبى بالنبیین والشهداء وقضى بينهم بالحق  
وهم لا يظلمون ) (٣)

وهؤلاء الشهداء هم حجة الله على الناس فى كل زمان **بفضائلهم**

واستقامتهم على الحق والتزامهم للخير وأعمال البر " (٤)

لهم يوم انبياء قاله الزجاج " (٥)

" أى يجعلهم الله تعالى على أعالي ذلك السور تميزا لهم على الناس

ولانهم شهداء على الامم ورجح هذا القول **البارزى** " (٦) هذا كلام

محمد رشيد رضا عه .

(١) سورة النساء : آية : ٤١ .

(٢) سورة البقرة : آية : ١٤٣ .

(٣) سورة الزمر : آية : ٦٩ .

(٤) تفسير المنار ٨ / ٤٣٢ .

(٥) انظر : التذكرة ص : ٣٨٦ .

(٦) تفسير المنار ٨ / ٤٣٢ .

وقد أورد الرازي في تفسيره بعد ذكر هذا القول ان هذا الوجه لا يتفق مع معنى الآية ( لم يدخلوها وهم يطمعون ) أي لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها وهذا الوصف لا يلين بالانبياء والملائكة والشهداء •  
لكنه قال في الاجابة عن هذا : " اجاب الذاهبون الى هذا الوجه بأن قالوا : لا يبعد ان يقال : انه تعالى بين من صفات اصحاب الاعراف ان دخولهم الجنة يتأخر والسبب فيه انه تعالى ميزهم عن أهل الجنة وأهل النار واجلسهم على تلك الشرفات العالية والامكنة المرتفعة ليشاهدوا أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار فيلحقهم السرور العظيم بمشاهدة تلك الاحوال ثم استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار فعينئذ ينقلهم الله تعالى الى امكنتهم العالية في الجنة فثبت ان كونهم غير داخلين في الجنة لا يمنع من كمال شرفهم وعلو درجاتهم •

وأما الطمع المذكور في الآية فهو على ما ذكره هؤلاء يكون معناه اليقين لا الطمع الذي لا يثق صاحبه بحصول المراد وعلى هذا قوله تعالى عن ابراهيم ( والذي اطمعني يغفر لي خطيئتي يوم الدين ) فهذا الطمع طمع يقين " (١)

١- هم قوم كانت لهم صفات لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا فوقفوا وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك فم فيقع في مقابلة صفائهم حكاية ابن عطية القاضي ابو محمد في تفسيره (٢)

(١) انظر: التفسير الكبير ١٤ / ٨٨ •

(٢) التذكرة : س : ٢٨٧ •

١٠- ذكره ابن وهب عن ابن عباس قال اصحاب الاعراف الذين ذكر الله في القرآن أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة وذكره ابن المبارك قال اخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال اصحاب الاعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان جنيم امرهم لله فأقيموا ذلك المقام اذا نظروا الى أهل النار وعرفوهم بسواد الوجوه قالوا ربنا لا تجعلنا / القوم الظالمين واذا نظروا الى أهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم "

وفى رواية سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود وكانوا آخر أهل الجنة دخولا الجنة " (١)

١١- انهم أولاد الزنا ذكره ابو نصر القشيري عن ابن عباس (٢) .

١٢- انهم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين فيسئل ادخالهم الجنة والنار قاله أبو مجلز لاجل ابن حميد فقيل له لا يقال للملائكة رجال فقال انهم ذكور وليسوا باناث فلا يبعد ايقاع لفظ الرجال عليهم كما وضع على الجن في قوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يهودون برجال من الجن) (٣) وذكر الطبري روايات عن ابي مجلز في تنبيه هذا القول الذي يتزعمه ويجادل في ان أهل الاعراف هم رجال من الملائكة (٤) .

(١) التذكرة ص : ٣٨٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) جامع البيان ٨ / ١٩٣ .

وهناك روايات كثيرة عن ابن مجلز لا حاجة الى التطويل بذكرها فهي لا تخلو  
— سواء صحت نسبتها اليه ام لم تصح — عن كونها قول من الاقوال يحتاج  
لصحة اثباته الى نس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ابن كثير  
قد ذكر بعد ايراد الرواية عنه صحت نسبة هذا القول الى أبي مجلز ولكن  
حكم عليه بالخرابه وعدم الالسيان مع الظاهر من وصف الملائكة فقـال :  
" وهذا صحيح الى ابن مجزل لا حتى ابن حميد اجد التابعين وهو غريب  
من قوله وخلاف الظاهر من السياني " (١) وقال محمد رشيد رضا في سبب  
سبب حكم ابن كثير على قول ابن مجلز بالخرابه " وانما عده غريبا عنه  
لمخالفته لقول الجمهور ولتسميته الملائكة رجالا وهم لا يوصفون بذلك—وره  
ولا انوثته ( ٢ )

١٢— انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم " فجعلوا هناك الى أن يقضى

الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته اياهم " ( ٣ )

ويحزى هذا القول الى ابن مسعود وحذيفة ابن اليمان وابن عباس والشعبي  
والضحاك وسعيد بن جبير فما يحزى الى حذيفة بالسند ما اخرججه الطبري .  
١— عن الشعبي انه قال ارسل الى عبد الحميد بن عبد الرحمن وعده  
ابو الزياد وعده الله بن ذكوان مولى قريش واذا هما قد ذكرا من اصحاب الاعراف

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢١٧ .

(٢) تفسير المنار ٨/٤٣٢ .

(٣) جامع البيان ٨/١٩٠ فتح القدير ٢/١٦٨ .



ذكرا ليس كما ذكر فقلت لهما ان شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة فقالات  
فقلت : ان حذيفة ذكر أصحاب الأعراف  
فقال هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة  
فاذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين  
فبيناهم كذلك اطلع اليهم ربك تبارك وتعالى فقال اذهبوا وادخلوا  
الجنة فالى قد غفرت لكم )

وفى رواية اخرى للشعبي عن حذيفة انه سئل عن اصحاب الاعراف فقال :  
فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة  
وخلفت بهم حسناتهم عن النار قال فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله  
فيهم "

وعن عامر عن حذيفة قال اصحاب الاعراف قوم كانت لهم ذنوب وحسنات فقصرت  
ذنوبهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فهم كذلك حتى يقضى  
الله بين خلقه فينفذ فيهم امره وفيه روايات اخرى عن حذيفة وهى  
بمعنى ما سبق ومما يعزى الى ابن مسعود ما اخرج الطبري عن سعيد بن  
جبير عن ابن مسعود قال " يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر  
من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة  
دخل النار ثم قرأ قول الله ( فمن ثقلت موازينه فألك هم المفلحون  
ومن خفت موازينه فألك الذين خسروا انفسهم ) (١)

ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبه ويرجح قال : فمن استوت حسناته وسيئاته  
كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة وأهل النار  
فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا صرفوا ابصارهم الى

يسارهم نظروا اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فيتمودون  
بالله من منازلهم : قال فاما اصحاب الحسنات فاليهم يحطون نورا فيمشون  
به بين ايديهم وباليهم ويحطى كل عهد يومئذ نورا وكل امة نورا فساذا  
اتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقه فلما رأى أهل الجنة  
ما لقي المنافقون قالوا ربنا اتم لنا نورنا واما اصحاب الاعراف فان النور كان  
في ايديهم فلم ينزع من ايديهم فهالك يقول الله ( لم يدخلوها وهم بطمعون )  
فكان الطمع دخولا قال : فقال ابن مسعود : على ان العبد اذا عمل  
حسنة كتب له بها عشرة واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم يقول : هلئك  
من غلب وحداته اعشاره " (١)

ويجب هذا الرأي ايضا الى ابن عباس فانه كان يقول أن اصحاب الاعراف  
قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وهذا ما يدين عليه الطبري بسنده السلي  
ابن عباس انه قال " اصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم  
تزد حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم " (٢)

ويذكر قتادة عن ابن عباس انه كان يقول " الاعراف بين الجنة والنار حيس  
عليه اقوام باعمالهم وكان يقول قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تزد  
حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم " (٣)

---

(١) جامع البيان ١٦١/٨ وانظر: فتح القدير ١٦٨/٢

(٢) جامع البيان ١٦١/٨

(٣) المصدر السابق ١٦٢/٨

١٤ - هم مومنون الجن

١٥ - هم قوم كانت عليهم ديون

ويذكر السيوطى حديثا يعزوه الى البيهقى فى رفع القول الاول الى النبي صلى الله عليه وسلم فان السيوطى يحد ان ذكرتلك الاقوال السابقة أورد الحديث الآتى :-

عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( ان مومنى الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألناه عن ثوابهم فقال على الاعراف وليسوا فى الجنة معامة محمد فسألناه وما الاعراف قال حائط الجنة تجرى فيه الانهار وتنتبت فيه الاشجار والثمار " (١)

وفى هذا القول أى بأنهم مومنون الجن يقول محمد رشيد رضا :

" وروى ابن عساکر فيه حديثا مرشوعا عن انس بن مالك من طريق الوليد بن موسى الدمشقى وهو منكر الحديث فى أعدل الاقوال وربما بعضهم بالوضع" (٢)

أما القول بأنهم قوم عليهم ديون فهو ما يحزى الى مسلم بن يسار قال قتادة وقال مسلم بن يسار قوم كان عليهم دين " (٣)

ومنها القول بأن اصحاب الاعراف هم :

١٦ - أهل الفترة •

١٧ - هم أولاد المشركين الذين ماتوا قبل سن التكليف •

---

(١) الدر المنثور ٣/٨٩ ، ويعزوه الى البيهقى •

(٢) تفسير المنار ٨/٤٣٢ •

(٣) الدر المنثور ٣/٨٩ ، ويعزوه الى ابن المنذر وابن ابى حاتم •

١٨- هم أهل العجب بأنفسهم ويعزى هذا القول الى الحسن (١)

١٦- هم آخر من يفصل الله بينهم وهم عتقائه من النار " (٢)

وإذا علمنا ذلك الاختلاف الكثير والمنتبين في بعض الأقوال فإن قول الامام الحافظ ابن كثير رحمه الله في اختلاف عبارات المفسرين في اصحاب الاعراف وتعيينهم " وكلها - كما يقول - قريبة ترجح الى معنى واحد وهو انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم (٣) " فيه نظر فان هذا المعنى الذى ذكره اما هو قول من تلك الأقوال المتقدمة التى بيدها غاية العباد والتباين •

---

(١) الدر المنثور ٣ / ٨٦٠

(٢) تفسير المنار ٨ / ٤٣٢

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٢١٦

**\*\* الفصل الرابع \*\***

(( ما هو الراجح في أهل الاعراف ))

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم اصحاب الاعراف وذكر بعض اوصافهم

• على سبيل الاجمال

واختلف العلماء في تعيينهم اختلافا كثيرا فتعددت اقوالهم وتضاربت آراؤهم

• كما تقدم تفصيل ذلك

وبهذا ندرك ان ترجيح قول من الاقوال في تعيين اصحاب الاعراف امر من

الصعوبة يمكن ذلك ان القرآن الكريم لم يبين من هم بالتحديد

وما ورد في السنة من اخبار فانها كلها لا تخلو عن مقال ولم يثبت منها شيء

• بسند صحيح يكون قاطعا للنزاع والخلاف

وأما استنباطات العلماء فهي كما قدما تفتقر الى دليل صحيح بخلاف الخبر

• عن كون تلك الاقوال المنسوبة الى قائلها تصح نسبتها اليهم أم لا

وإذا علم هذا فانه لم يبق لنا من مستند الا ما جاء في القرآن الكريم فنثبت

ما اثبتته في حقهم ولا نتعداه فان هذه المسألة من الامور الشيبية الستى

• لا مجال للجزم برأى فيها دون نص ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد اخبر القرآن الكريم عنهم بأنهم رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار

بسيماهم اختصهم الله بتلك المزية من بين خلقه وقد قال ابن جرير في

• الترجيح بين تلك الاقوال

والصواب من القول في اصحاب الاعراف ان يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم

هم رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ولا يخبر عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده ولا انه متفق على تأويلها  
ولا اجماع من الامة على انهم ملائكة فاذا كان ذلك كذلك وكان ذلك لا يدرك  
قياسا وكان المتعارف بين أهل لسان العرب ان الرجال اسم يجمع ذكور  
بنى آدم دون اناثهم ودون سائر الخلق غيرهم كان بينا ان ما قاله  
أبو مجلز من انهم ملائكة قول لا معنى له وان الصحيح من القول في ذلك  
ما قاله سائر أهل التأويل غيره هذا مع من قال بخلافه من اصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ومع ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك  
من الاخبار وان كان في اسانيدها ما فيها " (١)

ولعل هذا هو الذى يتعين القول به من بين تلك الاقوال وان كان القول  
بأنهم من استوت حسناتهم وسيئاتهم هو ما ذهب اليه كثير من العلماء  
الا ان تلك الروايات لم تصف من الشوائب بل من كما قال الحافظ ابن كثير  
" الله أعلم بصحة هذه الاخبار المرفوعة وقصارا هنا ان تكون موقوفه "

غير ان الجمهور تمسك بها وعن رأيهم هذا يقول محمد رشيد رضا •  
ورجع الجمهور بكثرة الروايات انهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم " (٢)  
وقال مستنبط من دعاء أهل الاعراف ربنا لا تجعلنا من القوم الظالمين )  
والانصاف ان هذا الدعاء أليق بحال من استوت حسناتهم وسيئاتهم وكانوا  
موقوفين مجهولا مصيرهم " (٣)

---

(١) جامع البيان ١٩٤/٨ •

(٢) تفسير القرآن الكريم ٤٢٣/٨ •

(٣) المصدر السابق ٤٢٤/٨ •

ومما تقدم يظهر لنا مدى تفاوت اقوال العلماء في تعيينهم لأهل الاعراف  
على ان في بعض هذه الاقوال تناقضاً ظاهراً والمثال على ذلك ان بعضهم  
قال ان أهل الاعراف هم من الانبياء وكانوا على الاعراف لعلو منزلتهم وعظمتهم  
مكانتهم •

وعلى نقيض هذا القول من قال ان أهل الاعراف هم اولاد الزنا او مساكين  
أهل الجنة وهذان القولان بيدهما من البعد ما لا يخفى على ان هذه الاقوال  
جميعها ليس لها سند صحيح من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله  
صلى الله عليه وسلم •

ولما كان هذا الموضوع من المفاهيم فلا بد للقول باثباته على هيئته  
خاصة أو اعتقاده من وجود سند صحيح •

فالاولى أن يقال بتفويض العلم بحقيقتهم الى الله عزوجل • والله أعلم •

\*\*\* الفصل الخامس \*\*\*  
م م م م م

" سور الاعراف الحاجز بين الجنة والنار يكون دائما ام فى فترة من الفترات "

وفى ختام هذا الموضوع : فانه يتبادر الى الذهن سؤال وهو هل وضع ذلك السور الحاجز بين أهل الجنة وأهل النار يكون دائما أم فى فترة من الفترات وهى فى حالة وجود أهله عليه ، وقيل استقرارهم الابدى فى الجنة .

قال محمد رشيد رضا فى تفسيره لقول الله تعالى ( فضرب بينهم بسورا ) الى آخر الاية فان الجنة فى باطنه والنار من قبل ظاهره أى بالسبب الى ما يكون الناس عليه فى موقف الحساب " (١)

وقال أيضا : " والتحقيق ان الاعراف هو ذلك السور والحجاب بين الدارين واهلهما أو أعاليه التى يكون عليها آلك الرجال الذين يرون أهل الجنة وأهل النار جميعا قبل الدخول فيهما فيما يظهر فيعرفون كلا منهما بسيماهم التى وصفهم الله تعالى بها فى مثل قوله تعالى ( وجوه يومئذ مستبشرة ) ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة آلك هم الكفرة الفجرة ) (٢) وأما بعد الدخول فيها فالتمييز بين الفريقين من تحصيل الحاصل وذكره حيث ينزه عنه التنزيل الا اذا اريد معرفة اشخاص معينين وهو لا يظهر هنا وانما يظهر فى قوله تعالى ( ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم ) فهذه

(١)

(٢) سورة عس : آية : ٣٨ - ٤٢ .



سيما خاصة لانها لافراد مخصوصين وتلك سيما عامة لانها لفريقيين

افرادهما غير محصورين " (١)

وقال ايضا في بيانه للقول بأن اصحاب الاعراف هم من استوت حسنتهم

وسيئاتهم وتقسيم الانوار على الناس واختلافهم فيها كثرة وتله وانطفاء انوار

المنافقين قال " وظاهره أن هذا كله يقع بعد الموقف وقبل ان يجمل هؤلاء

الذين استوت حسنتهم وسيئاتهم على الاعراف فان السور الذي فسرت

الاعراف به <sup>او</sup> باعاليه يضرب بعد ذهابهم من الموقف يسيرون بنورهم الى الجنة

كما هو ظاهر آية سورة الحديد . وقد ذكرناها عند تفسير كلمة الاعراف

وفيه انه تعالى ذكر معرفتهم لاصحاب الجنة واصحاب النار بسيماهم

ونداءهم بالسلام على أهل الجنة بعنوان انهم اصحاب الاعراف ولا يصح

هذا العنوان قبل وجودهم عليها الا اذا ثبت انهم يسمون اصحابها قبل

ذلك او على التأويل بجعله من مجاز الاوّل كقوله اعصر خمرا " (٢)

---

(١) تفسير المنار ٨ / ٤٣١ .

(٢) تفسير القرآن الحكيم ٨ / ٤٣٥ .

( الباب الرابع عشر )

(( الحوض المورود ))

ويشمل الفصول الآتية : -

تهديد

- |                                                   |                |
|---------------------------------------------------|----------------|
| تعريف الحوض :                                     | الفصل الأول :  |
| (١) في اللفظة                                     |                |
| (٢) في الاصطلاح                                   |                |
| الأدلة على اثبات الحوض                            | الفصل الثاني : |
| أقوال علماء الاسلام في اثبات الحوض                | الفصل الثالث : |
| ساقفة الحوض                                       | الفصل الرابع : |
| الجمع بين الروايات التي وردت في تهديد ساقفة الحوض | الفصل الخامس : |
| صفات الحوض ومزاياه                                | الفصل السادس : |
| متى يرد الناس الحوض                               | الفصل السابع : |
| الضكرون للحوض                                     | الفصل الثامن : |
| الرد على من ينكر الحوض                            | الفصل التاسع : |
| هل ثبت أن لكل نبي حوضا يخصه                       | الفصل العاشر ✓ |

تمهيد :-

أكرم الله أحبائه بأنواع الكرامات ولطف بهم غاية اللطف في الدنيا والآخرة أما إكرامه لهم في الدنيا فهو أمر شاهد معروف وأما إكرامه لهم في الآخرة ففي أشياء كثيرة مثل ادخالهم الجنة ورؤيتهم له ورضاه عنهم فلا يسخط ثم إكرامهم بالسئلة التي نحن بصدد الكلام عنها وهي الحوض المورود الذي جعله الله غياثنا لأحبائه .

وحوض نبينا صلى الله عليه وسلم هو أشهر الأحوالي وأكبرها واردا يوم القيامة وأوسعها لكثرة اتباعه الذين يردون حوضه صلى الله عليه وسلم فهو مكرمة وهدية عظيمة على نبيه صلى الله عليه وسلم ليواصل المؤمنون به الشرب الحسى كما شربوا في الدنيا الشرب الممنوى من الاهتداء والاقتراد به صلى الله عليه وسلم ، ولا يشرب ذلك الشرب الحسى في فرصات القيامة الا من شرب الشرب الممنوى في الدنيا والا فانه ينفذ عنه ويطرده جزاء وفاقا لأنه أعرض عن الاهتداء والاقتراد بمن اصطفاهم الله لتبليغ رسالته في الحياة الدنيا فيجازى بطرده في الآخرة عن الشرب منه وقيل ذكر تفاصيله نمين المراد بالحوض في اللغة وفي الشرع فيما يلي :

( الفصل الأول )

(( تعريف الحوض في اللفظة والاصطلاح ))

(١) الحوض في اللفظة :-

الحوض في اللفظة يطلق ويراد به مجمع الماء ، وجمعه حياض وأحواض ، قال الليث : " الحوض معروف والجمع الحياض والأحواض والفعل التحويض ، واستحوض الماء أى اتخذ لنفسه حوضاً " (١) .

قال الجوهري : " الحوض : واحد الحياض والأحواض وحضت أحوض اتخذت حوضاً واستحوض الماء اجتمع والمحوض (٢) بالتشديد شئ " كالحوض يجعل للنخلة شرب منه ومنه قولهم انا أحوض ذلك الأمر أى ادور حوله مثل احوط " (٣)

٢ - المراد بالحوض في الشرع :-

أما المراد بالحوض في الشرع :

فهو ما جاء الخبر به من أن نبينا محمد (٤) صلى الله عليه وسلم

حوضا ترد عليه امته يوم القيامة جعله الله غياثا لهم واكراما لنبينا

محمد صلى الله عليه وسلم والعلماء قاطبة على تعريف الحوض بأنه حوض

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الموعود به في الآخرة والذي انفصل الكلام

عنه فيما يأتي :

- 
- (١) تهذيب اللفظة ج ٥ ص ١٥٨ .
  - (٢) بفتح الواو المشددة .
  - (٣) الصحاح ج ٣ ص ١٠٧٢ وانظر النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٤٦١  
واساس البلاغة ص ٩٩ .
  - (٤) ولفيره كذلك من الأنبياء احواض على ما سيأتى ذكره .

( الفصل الثاني )

(( الأدلة على اثبات الحوض ))

=====

لقد ثبت بالحوض بالنصوص الصحيحة الصريحة التواترة واعتقد

بصحته وثبوته جميع سلف الأمة .

أما بالنسبة لأدلته من القرآن الكريم ، فإنه لم يرد به التصريح

الا أن من العلماء من جعل الحوض بمعنى الكوثر ثم استدل لاثبات

الحوض بسورة الكوثر تغليباً لاسم الكوثر على اسم الحوض ، وسنهيّن موضع

كل منهما ووجه الاتصال بينهما في مكانه ان شاء الله تعالى :

الأدلة من السنة النبوية على اثبات الحوض : -

=====

ورد في اثبات الحوض أحاديث كثيرة من السنة النبوية بلفظ

حد التواتر <sup>(١)</sup> وفيما يلي نورد بعضها :

فمن ذلك اخباره صلى الله عليه وسلم بما أكرمه الله به من

رؤيته لحوضه وهو في الدنيا في آخر أيامه عليه الصلاة والسلام

واخباره لأصحابه أنه شهيد عليهم يوم القيامة وأنه فرط لأمته على

الحوض أي السابق لهم والمتقدم عليهم في الوصول اليه كما يتقدم فرط

الواردين على الماء لتهيئته لهم وهذا ما جاء في حديث عفة بن عاصم

---

(١) نقل التواتر جماعة من العلماء - كما سذكّر ذلك في فصل

أقوال علماء الاسلام في اثبات الحوض .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً ف صلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف على المنبر فقال (أني فرط لكم وأنا شهيد عليكم واني والله لأنظر الى حوضي الآن واني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض واني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بمسدي ولكني أخاف عليكم ان تنافسوا فيها ) (١) ، هذا لفظ البخارى .

ولفظ مسلم عن عتبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأمتوات فقال انى فرطكم على الحوض وان عرضه كما بين ايلة الى الجحفة (٢)

وانى لست اخشى عليكم أن تشركوا بمسدي ولكني أخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها وتقتلوا فتهلكوا كما هلك من قبلكم قال عتبة فكانت آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر (٣) .

وكاخباره صلى الله عليه وسلم من اختلاج اقوام عنه وطردهم عن الشرب من الحوض فيناشد ربه السماح لهم بالشرب منه فيجاب بأنهم لا يستحقون الشرب منه لأنهم من المحدثين في الدين بعده كما يفيد هديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( انا فرطكم على الحوض وليرفعن (٤) رجال منكم

---

(١) صحيح البخارى ج ٧ ص ١٧٣ وسلم ج ٥ ص ١٥٤ " النووى " .

(٢) سياىى تحديد ما بين ما فى ذكر مسافة الحوض .

(٣) مسلم ج ٥ ص ١٥٤ " النووى " .

(٤) معنى وليرفعن : أى يظهروهم الله لى حتى أراهم ( وهو

بضم أوله وفتح الفاء والميم ) .

ثم ليختلجن (١) دوني فأقول يا رب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بمدك (٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ( ليردون علي ناس من أصحابي الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بمدك ) (٣) وهذه الرواية فيها - اضافة الى اثبات الحوض - ان الذين ينادون عنه هم من أصحابه وسنيجب بعد عرض الأدلة عن هذا الاشكال وهو كيف يناد عنه هؤلاء \* وهم من الصحابة ؟

وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلسون (٤) عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بمدك أنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري ) (٥) .

وفي رواية أخرى لأبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلون (٦) عنه فأقول يا رب

- 
- (١) معنى اختلجوا ( وهو بفتح اللام وضم التحتانية وسكون الخاء المعجمة وفتح الشناة وضم الجيم بمدها نون ثقيلة أى ينزعمون أو يجذبون منى ) فتح البخارى ج ١١ ص ٤٦٩ .
- (٢) صحيح البخارى ج ١١ ص ٤٦٣ .
- (٣) أخرجه البخارى ج ١١ ص ٤٦٤ "الفتح" .
- (٤) يجلدون : أى يصرفون عنه .
- (٥) المصدر السابق الجزء والصفحة .
- (٦) يحلون : أى يطردون .

أصحابي فيقول انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على  
أدبارهم القهقري (١)

وقال شعيب عن الزهري كان أبو هريرة يحدث عن النبي  
صلى الله عليه وسلم فيجلون ، وقال عقيل فيجلون ، وقال الزبيدي  
عن الزهري عن محمد بن علي عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي هريرة  
عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا قائم  
فاذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم  
فقلت أين ؟ قال الى النار والله قلت وما شأنهم ؟ قال انهم ارتدوا  
بعدك على أدبارهم القهقري ثم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل  
من بيني وبينهم فقال هلم قلت أين ؟ قال الى النار والله قلت  
ما شأنهم قال انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص  
منهم الا مثل همل النعم (٣)

وعن أسماء بنت أبي بكر رضی الله عنهما قال : قال النبي صلى الله  
عليه وسلم انى على الحوض حتى انظر من يرد على منكم وسيؤخذ ناس  
دونى فأقول يا رب منى ومن أمتى فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك ؟

---

(١) ، (٢) ، (٣) صحيح البخارى ج ١١ ص ٤٦٥ ( مع الفتح ) .

ومعنى زمرة : أى جماعة .

ومعنى همل النعم : " معناه الابل بلا راع وقال الخطابي :  
الهمل ما لا يرعى ولا يستعمل ويطلق على الضوال ، والمعنى انسه  
لا يرده منهم الا القليل لأن الهمل فى الابل قليل بالنسبة لغيره "  
والرجل المذكور فى الحديث هو الملك الموكل بذلك .  
فتح البارى ج ١١ ص ٤٧٥ .



والله ما برهوا يرجعون على أعقابهم فكان ابن أبي مليكة يقول اللهم

انا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا (١)

وعن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم

انى فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا

ليردن على أقوام أعرفهم ويصرفوني ثم يحال بيني وبينهم ، قال

أبو حازم فسمعت النعمان بن أبي عياش فقال : هكذا سمعت من

سهل فقلت نعم فقال : اشهد على أبي سعيد الخدرى لسميته

وهو يزيد فيها فأقول سحقا سحقا لمن غير بحدى (٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول وهو بين ظهراى أصحابه انى على الحوض أنتظر

من يرد منكم فوالله ليقتطن دنوى رجال فلاقولن أى رب منى ومن

أمتى فيقول انك لا تدرى ما عملوا بحدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم (٣)

وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت : كنت

اسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح البخارى ج ١١ ص ٤٦٦ ( الفتح ) وصلم ج ٥ ص ١٥٢

( النورى ) .

وابن أبي مليكة هو : عبدالله بن عبيد الله بن عبدالله بن أبي مليكة

ابن عبدالله بن جدعان يقال اسم أبى مليكة زهير التميمى المدنى

أدرك ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثقة فقيه ممن

الثالثة مات سنة سبع عشرة . تقريب التهذيب ج ١ ص ٤٣١ .

(٢) أخرجه البخارى ج ٥ ص ٢٠٧ وصلم فى الفضائل ج ٥ ص ١٥١ ،

وقد فسر ابن عياش (سحقا) بأنها بمعنى بحدى يقال سحيق بعيد

سحقه وأسحقه أبعد .

(٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٢ .

عليه وسلم فلما كان يوماً من ذلك والجارية تشدطني فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس فقلت للجارية استأخري عنى قالت انما دعا الرجال ولم يدع النساء فقلت انى من الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لكم فرط على الحوض فاى لا يأتين احدكم فيذب عنى كما يذب البعير الضال فأقول فيم هذا؟ فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعمدك فأقول سحقاً (١)

وفى رواية شقيق عن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( انا فرطكم على الحوض ولأنزعن اقواما ثم لأغلبن عليهم ) فأقول يا رب أصحابى أصحابى فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعمدك (٢)

وهن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رأيتهم ورفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن : أى رب أصحابى أصحابى فليقالن لى : انك لا تدري ما أحدثوا بعمدك ) (٣)

واخبر صلى الله عليه وسلم انه يذود الناس ليشرب منه ناس اختصهم بمزيد المنية والتشريف اكراما لهم لاستحقاقهم ذلك بسبب ما احتازوا به عن غيرهم فقال صلى الله عليه وسلم انى لبعقر (٤) حوضى

- 
- (١) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٣ .
  - (٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٦ .
  - (٣) المصدر السابق ص ١٦١ .
  - (٤) عقر الحوض هو : موقف الابل من الحوض اذا وردته ، وقيل مؤخره .

اذود الناس لأهل اليمن أضرب بضمهاى حتى يرفض<sup>(١)</sup> عليهم فسئل  
عن عرضه فقال من مقامي الى عمان ، وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا  
من اللبن وأهل من العسل يفت فيه ميزابان<sup>(٢)</sup> يمد انه من الجنة  
أهدهما من ذهب والآخر من ورق )<sup>(٣)</sup> .

قال النووى عن سبب هذا التقديم لهم فى الشرب : " وهذا كرامة  
لأهل اليمن فى تقديمهم فى الشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم  
وتقدمهم فى الاسلام ، والأنصار من اليمن فيدفع غيرهم حتى يشربوا  
كما دفعوا فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم أعدائه والمكروهات"<sup>(٤)</sup> .  
وفى رواية أبى هريرة الآتية أن الرسول صلى الله عليه وسلم  
نفسه يذود عن حوضه من لا يستحق الشرب منه كما يذود الرجل الأبل  
الفريسة عن ابله وهذا فى قوله صلى الله عليه وسلم لأذودن عن حوضي  
رجالا كما تذاود الفريسة من الأبل .<sup>(٥)</sup>

وهل الذى يفتح الناس عن الشرب منه هو الرسول صلى الله عليه وسلم  
أم غيره من الطائفة ؟ وسيأتى الجواب عن هذا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
( ما بين يمتى ومنيرى روضة من رياض الجنة ومنيرى على حوضى )<sup>(٦)</sup>

(١) يرفض عليهم : أى يسيل عليهم .

(٢) الميزاب هو الضمب فارسى . معرب . الصحاح ج ١ ص ٢٣٢ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم ج ٥ ص ١٦٠ .

(٤) شرح النووى لمسلم ج ٥ ص ١٦٠ .

(٥) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦١ .

(٦) صحيح البخارى ج ٤ ص ٩٦ .

وسياتى كذلك بيان المراد منه .

ومعد عرض ما تقدم من الأحاديث النبوية في اثبات الحوض تبيين

ان في بعضها مسائل تحتاج الى ايضاح ومنها :

ما جاء من أن الذين يزدادون عن الحوض هم جماعة من أمة محمد

صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم ( فأقول يا رب منى ومن أمتى )

فاذا كانوا منه ومن أمته فكيف ينعمون عن الشرب من الحوض ؟ ومن هم

الذين يستحقون الطرد عن الشرب من الحوض ؟

والجواب عن هذا نلخصه فيما يأتى :

١ - أن بعض العلماء قد ذهب الى القول بأن هؤلاء الذين

يزدادون ليسوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم من أمته ولكن

هذا بخلاف ما نص عليه الحديث ( فأقول يا رب منى ومن أمتى ) ولهذا

يقول ابن حجر رحمه الله أن في معنى هذه الألفاظ من الحديث :

" دفع لقول من حملهم على غير هذه الأمة " (١) فبطل هذا الاحتمال .

٢ - وذهب بعضهم الى القول بأن هؤلاء هم أهل الكفار وقد عرفهم

بصلاة الوضوء التى فيهم ولكن يرد اشكال على هذا الجواب وهو هل

أهل الكفار يستحقون هذا الدعاء عليهم من الرسول صلى الله عليه وسلم

وهو شافهم الى ربهم يدعو عليهم بالهلاك والهدى فى النار ؟

---

(١) فتح البارى ج ١١ ص ٤٧٦ .

٣ - وذهب بعضهم الى القول ان هؤلاء كانوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتوفى عليه الصلاة والسلام وهم على الاسلام ولكنهم ارتدوا بمعد وفاته .

٤ - وذهب بعضهم الى القول بأن هؤلاء هم من المنافقين ، وعرفهم بالفرة التي اعطاها الله خدعة لهم كما خدعهم بأن اعطاهاهم نسورا على الصراط ثم ينطق فيدخلون النار " يخادعون الله وهو خادعهم " (١) وهذا الجواب والذي قبله ربما يكون هو الراجح .

ونعرض فيما يلي بعض النصوص من أقوال العلماء واختلافاتهم

في معنى الحديث وعلى من يرد .

قال النووي عن معنى الحديث :

" وهذا ما اختلف العلماء في المراد به على اقوال أحدهما

ان المراد به المنافقون ، والمرتدون ، فيجوز ان يحشروا بالفرة

والتعجيل فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي عليهم فيقال

ليس هؤلاء ما وعدت بهم ان هؤلاء بدلوا بحدك أي لم يموتوا على

ما ظهر من اسلامهم .

والثاني : ان المراد من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم

ارتد بعده فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يكن عليهم سيما

---

(١) النساء : ١٤٢ .

الوضوء لما كان يعرفه صلى الله عليه وسلم في حياته من اسلامهم فيقال  
ارتدوا بمدك ،

والثالث : ان المراد به أصحاب المحاصي والكبائر الذين  
ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام  
وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار ، بل يجوز  
أن يذادون عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة  
بغير عذاب - قال أصحاب هذا القول : ولا يمتنع أن يكون لهم غرة  
وتحجيل ويحتمل أن يكون كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومعه  
لكن عرفهم بالسيما ، ومعنى هذا أن أهل البدع من المسلمين  
يطردون عن الحوض ولهذا يقول الحافظ أبو عمرو بن عبد البر :

" كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخنواج  
والروافض وسائر أصحاب الأهواء ، قال : وكذلك الظلمة السرفسون  
في الجور وطعن الحق المعلنون بالكبائر قال وكل هؤلاء يخاف عليهم  
ان يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر " (١)

ويقول القرطبي :

" ان أشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم  
كالخنواج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والعمتلسة

---

(١) النووي في شرح صحيح مسلم ج ١ ص ٥٣٣ .

على اصناف أهوائها ، فهؤلاء كلهم مهملون وكذلك الظلمة السرفسون  
فى الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله واذلالهم ، والمعلمون  
بالكبار المستخفون بالمعاصى وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع " (١)  
ثم يذكر القرطبي أن هذا الابداع لهؤلاء الناس منهم من يعمد  
لأجل عمله المعاصى لا لأجل عقيدته وهؤلاء يرجو لهم المغفرة والشرب  
من الحوض ، وأما من اعمد لأجل عقيدته التى تنافى المقيسدة  
الصحيحة فهؤلاء يعمدون عنه أشد الهمد فالهمد " قد يكون فى حال  
ويقرون بعمد المغفرة ان كان التبديل فى الأعمال ولم يكن فى المعاشد  
وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ثم يقال لهم سحقا سحقا  
وان كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه  
عليه وسلم يظهرن الايمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر ثم يكشف لهم  
الغطاء فيقال لهم سحقا سحقا " (٢) .

ويقول ابن حجر فى بيان هؤلاء الذين يطرودون عن الحوض وتبرى  
النهى صلى الله عليه وسلم منهم ودعاه عليهم : " وحاصل ما حمل عليه  
حال المذكورين انهم ان كانوا من ارتد عن الاسلام فلا اشكال فى  
تبرى النهى صلى الله عليه وسلم منهم وابعادهم وان كانوا ممن لم يرتد  
لكن أحدث محصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة من اعتقاد القلب  
فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل ان يكون اعزى عنهم ولم يشفع لهم اتباعا

لأمر الله فيهم حتى يماقهم على جنائيتهم ولا مانع من دخولهم فسي  
عموم شفاعته لأهل الكباثر من أمته فيخرجون عند إخراج الموحدين من  
النار " (١)

لكن يرد على هذا أيضا كيف دعا عليهم لم يذكر ابن حجر  
رحمه الله الجواب ، ولعل الجواب انه غضب عليهم حين أخبر  
أنهم غيروا وبدلوا بعده فو دينهم ولا مانع بعد ذلك . أن يرضى عنهم  
ويشفع لهم .

ويقول القاضى عياض فيما ينقله عنه النووى : " هذا دليل لصحة  
تأويل من تأول انهم أهل الردة ، ولهذا قال فيهم سحقا ولا يقول  
ذلك فى مذنبى الأمة بل يشفع لهم ويهم لأمرهم قال : وقيل هؤلاء  
حنفسان احدهما عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الاسلام ، وهؤلاء  
مدلون للأعمال الصالحة بالسيئة ، والثانى مرتدون الى الكفر حقيقة  
ناكسون على أعقابهم واسم التبديل يشمل الصنفين " (٢) .

وقال الهرديسى نقلا عن شرح الجوهرة فى بيان أقوال العلماء فى  
معنى الحديث وبيان هؤلاء الذين يذادون عن الحوض :  
" اختلف العلماء فى المراد بالمطرودين على أقوال :

---

(١) فتح البارى ج ١٣ ص ٤٠٤

(٢) النووى لمسلم ج ٥ ص ١٦٢ .



(١)

أحدهما : ان المراد بهم المنافقون والمرتدون فيجوز أن لا يحشروا  
بالفرة والتحجيل فيناديهم عليه الصلاة والسلام للسيما التي عليهم  
فيقال له أن هؤلاء بدلوا بصدقك ولا يصوتوا على ما ظهر من اسلامهم .

الثاني : ان المراد من كان في زمنه عليه الصلاة والسلام ثم ارتد  
بعده فيناديهم لو كان يحرفهم في حياته من اتباعهم فيقال له  
ارتدوا بصدقك .

الثالث : أن المراد بهم أصحاب المصاصي والكبائر الذين  
ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع ، لكن على هذا القول لا يقطع لمن  
يزادون بالنار بل يجوز أن ينادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله  
فيدخلهم الجنة " (٢) .

وهو معنى قوله أيضا : " العصاة ينادون عنه في وقت  
دون وقت " (٣)

ويقول السفاريني : " ولا ريب أن كثيرا من الأعراب ومن بنى حنيفة  
ومن بنى تصم ممن كان قد أسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم  
قد ارتد لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم فقاتلهم الصديق الأعظم  
فأمر خالد بن الوليد فانكأ فيهم (٤) فمنهم من قتل ومنهم من حرق  
ومنهم من رجع الى الاسلام فالحديث من أعلام النبوة (٥)

(١) هكذا في الأصل ولعل الصحيح أن يحشروا .

(٢) تكلمة شرح الصدور ص ٢٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦ .

(٤) انكأ فيهم بمعنى : اثخن فيهم الجراح والقتل

(٥) شرح ثلاثيات المسند ج ١ ص ٥٤١ .

ويقول أيضا ملخصا من يمنع من الشرب من الحوض من أصناف الناس :

" والحاصل ان من الذين يذادون عن الحوض جنس المفترين على اللطعمالى  
وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم من المحدثين فى الدين من الروافض  
والخوارج وسائر أصحاب الأهواء والبدع المضلة وكذلك السفوف من  
الظلمة المفرطون فى الظلم والجور وطعن الحق وكذلك الصتهتكسون  
فى ارتكاب المناهى المملنون فى اقرار المعاصى " (١)

اما ما ورد من أن الرسول صلى الله عليه وسلم يذود عن الناس عن  
حوضه كما تذاو الابل الغريبة من الابل ، فان الحكمة فى هذا الذود  
ومن الذى يتولى الذود هل هو الرسول صلى الله عليه وسلم أم من  
الملائكة ؟

يقول الحافظ ابن حجر عن الحكمة فى ذلك الذود :

" والحكمة فى الذود المذكور انه صلى الله عليه وسلم يريد أن يرشد  
كل واحد الى حوض نبيه على ما تقدم ان لكل نبي حوضا وانهم  
يتباهون بكثرة من يتبعهم فيكون ذلك من جملة انصافه ورعاية اخوانه  
من النبيين لا أنه يطردهم بخلا عليهم بالماء ، ويحتمل أنه يطرد  
من لا يستحق الشرب من الحوض والعلم عند الله " (٢)

---

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٦٧ .

(٢) فتح البارى ج ١١ ص ٤٧٤ .

وأكثر الروايات جاءت في أن الرسول صلى الله عليه وسلم يطرد  
من غير هديل بعمده من أمته ولا مانع أن يتولى بنفسه الطرد لهم  
أو تطردهم الملائكة بأمره أو غير ذلك ، وقد تقدم التصريح بطرده  
الناس عن حوضه " أنى لبصقر حوضى إذ ود الناس " الحديث .  
وأما طرده لمن ليس من أمته فهو كما ذكر الحافظ ابن حجر أنه  
يطردهم إرشاداً لهم إلى حياض أنبيائهم .

وهذا على القول بأن للأنبياء الآخرين حياضاً .

وقد ورد في بعض الروايات ما يفيد أن الذى يذود الناس عن  
الحوض هو غير الرسول عليه الصلاة والسلام فقد أورد الأجرى في كتابه  
الشرعية عدة أحاديث في إثبات الحوض ومنها هذه الرواية :  
" حدثنا الفريابي قال حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس  
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قيسل :  
" يا رسول الله كيف تعرف من يأتى بعمد من أمتك ؟ قال : رأيت  
لو كان لرجل خيل فر محجلة في خيل دهم بهم الا يصرف خيله ؟  
قالوا : بلى يا رسول الله قال فأنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين  
من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض فليذادن رجال عن حوضى كما يذاد  
الهمير الضال " (١)

---

(١) الشرعية ص ٣٥٦ .

وفى رواية : " فيذب عنى كما يذب البعير الضال " (١) .

ويؤيد هذا أيضا ما جاء فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه :

" ثم اذا زومة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فمسال  
هلم (٢) . . الحديث .

معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم " ومنهرى على حوضى " :

اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث على أقوال ، فقول انه " ينقل

يوم القيامة فينصب على الحوضى " ، وقال الأكر المراد منه بعينه الذى

قال هذه المقالة وهو فوقه ، وقيل المراد المنهر الذى يوضع له يوم

القيامة ، وقيل معناه ان قصد منه والحضور عنده لملازمة الأعمال

الصالحة يورد صاحبه الى الحوضى ويقضى شربه منه " (٣) .

قال ابن حجر : " والأول أظهر " .

أما القول الأخير فانه بعيد لما يظهر من عدم ملائمة لظاهر

الحديث لأن الكلام عن المنهر نفسه لا عن من يقصده ويجتمع حوله

من الناس .

٤ - استشكل بعض العلماء ورود أهل الكباثر الحوضى بناء على أنهم

ليسوا من الذين يذادون عن الحوضى خصوصا الذين علم الله أنهم

---

(١) ، (٢) تقدم تخريجهما .

فتح البارى ج ١١ ص ٤٧٤ .

(٣) فتح البارى ج ٤ ص ١٠٠ .

سيدخلون النار فهل يشربون منه باعتبار أنهم من المؤمنين

الى الجنة أم لا يشربون لأنهم سيدخلون النار ؟ أم أنهم  
يشربون رغم دخولهم النار ولكن لا يعذبون بالمشط بخصوصه ويعذبون  
بغيره من أنواع العذاب الذى يريد الله تعالى بهم ؟

أجاب القرطبي عن هذا بقوله :

" وقد يقال أن من انفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر  
انه وان ورد الحوض وشرب منه فانه اذا دخل النار بمشيئة الله تعالى  
لا يعذب بمشط والله أعلم " (١)

ويبدو أن القاضى عياض يذهب الى القول بأنه لا يمنع أن يشرب  
أهل الكبائر من الحوض وان كان مصيرهم أولاً الى النار وأنهم فى حال  
دخولهم فيها لا يعذبون بالمشط وهذا هو ما يذكره النووى نقلاً  
عنه من انه يرى ان ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم " ومن شرب لم ينلماً  
أبداً " : ( ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار  
فهذا هو الذى لا يظلم بعده ، قال وقيل لا يشرب منه الا من قدر  
له السلامة من النار ، قال ويحتمل ان من شرب منه من هذه الأمة  
وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظلم بل يكون عذابه بغير  
ذلك لأن ظاهر هذا الحديث أن جميع الأمة يشرب منه الا من ارتد  
ومار كافراً ) (٢)

(١) التذكرة ص ٣٠٧ .

(٢) شرح النووى لصلى الله عليه وسلم ص ١٥١ .

لكن الحافظ ابن حجر قدر رد هذا القول أى بأن أهمل  
الكبائر لا يمتدبون بالمعش اذا دخلوا النار ووصفه بأنه احتمال ويدفعه  
" انه وقع فى حديث أبى بن كعب عند ابن أبى عاصم فى ذكر الحمونى  
ومن لم يشرب منه لم يروأبدا " (١) .

ورد ابن حجر لا يتناسب مع قول القرطبى السابق والقاضى  
لأن كلا منهما فى اثبات الشرب لأهل الكبائر وانهم لا يمتدبون فى  
النار بالمعش فلا يرد انتقاد ابن حجر على ذلك القول لأن أصحاب  
الكبائر قد شربوا منه فلا يمتدبون أبدا .

ومعد عرض الأدلة السابقة من أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم

نظم الكلام بأقوال علماء الاسلام فى اتفاقهم على اثبات الحمونى

---

(١) فتح البارى ج ١١ ص ٤٦٦ .

( الفصل الثالث )

(( أقوال علماء الاسلام في اثبات الحوض ))

=====

وأما علماء السلف فهم - كما أشرنا اليه سابقا - على اتفاق تمام  
على اثبات الحوض وصفاته التي وردت على لسان نبينا محمد صلى الله  
عليه وسلم كما سندعرض فيما يلي بعض أقوالهم للاستشهاد بها على صحة  
ما قلناه عنهم .

قال السفاريني :

" والحوض والكور ثابت بالنص واجماع أهل السنة والجماعة حتى  
عده أهل السنة في العقائد الدينية لأجل الرد على أهل البدع والضلال " (١)  
وقد ذكر ابن كبير رحمه الله عددا من الصحابة الذين رووا احاديث  
الحوض فقال :

" ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي سقانا الله منه يوم القيامة  
من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضافرة وان رغبت  
أنوف كثيرة من الصاعدة المعاندة المكابرة القائلين بجهود المنكرين  
لوجوده ، واخلاق بهم ان يحال بينهم وبين وزوده كما قال بمسئس  
السلف من كذب بكرامة لم ينلها ولواطع الضكر للحوض على ما سنورد  
من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها ، ثم شرع في ذكر أسماء الصحابة

---

(١) شرح ثلاثيات المسند ج ١ ص ٥٢٧ .

الذين رووا احاديث الحوض ونذكر هنا اسماءهم اجمالاً :

أبي بن كعب ، وأنس بن مالك ، والحسن بن علي ، وعمزة  
ابن عبدالمطلب ، والبراء بن عازب ، ويزيد بن حبيب ، وشومان مولى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجابر بن سمرة ، وجابر بن عبد الله ،  
وجبير بن عبد الله الهجري ، وحاته بن وهب ، وحذيفة بن أسيد ،  
وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله  
ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن مسعود ، وعتبة  
ابن عبد الله السلمي ، وعثمان بن مضمون ، والصنورد ، وعقبة  
ابن عامر الجهني ، والنواس بن سمان ، وأبو امامة الباهلي ، وأبو برة  
الأسلمي ، وأبو بكر ، وأبو زر الغفاري ، وأبو سميد الخدري ،  
وخولة بنت قيس ، وأبو هريرة الدوسي ، وأسماء بنت أبي بكر ،  
وعائشة ، وأم سلمة ، رضى الله عنهم أجمعين ، وامرأة حمزة عم  
الرسول صلى الله عليه وسلم وهي من بنى النجار راوية أبي بن كعب  
الأنصاري رضى الله عنه (١)

ويقول ابن حجر رحمه الله :

" قال القرطبي في المفهم تبعاً للقاضي عياض في غالبه  
أى أغلب الكلام الآتى - مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ، ويصدق

---

(١) النهاية ج ٢ ص ٢٦ .



به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل مجموعها العلم القطعي ، إذ روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الثلاثين منهم فـصـحـيـن الصحيحين ما ينيف فـعـلى العشرين وفي غيرها بقية ذلك ما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعيين وأمثالهم ومن بعدهم أضاف أضعافهم وهلم جرا ، وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف " (١) .

وقال القاضي عياض رحمه الله فيما ينقله عنه النووي :

" أحاديث الحوض صحيحة والايان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه ، قال القاضي : وهديته متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة " ثم شرع في ذكر اسمائهم قال النووي " وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيد وطرقه المتكاثرات " (٢) .

وكل تلك الروايات المتكاثرة تجعل المسلم يجزم دون أي تردد في

اثبات الحوض بل أن " في بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا " (٣)

---

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٢ .

(٢) ، (٣) شرح النووي لمسلم ج ٥ ص ١٥٠ .

كما قال عياض رحمه الله .

وقد ذكر ابن حجر جميع من روى أحاديث الحوض وأماكن تلك الروايات ثم قال : " فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفسا وزاد عليه النووي ثلاثة وزدت عليهم أجمعين قد رما ذكره سواء فزادت المدة على الخمسين ، ولكن من هؤلاء الصحابة في ذلك زيادة على الحديث الواحد كأبو هريرة وأنس وابن عباس وأبي سعيد وعبدالله ابن عمرو وأحاديثهم بعضها في مطلق ذكر الحوض وفي صفة بعضها وفيمن يرد عليه بعضها وفيمن يدفع عنه بعضها وكذلك في الأحاديث التي أوردها المصنف - يعني البخاري - في هذا الباب وجملته طرقها تسعة عشر طريقا ، ولغنى أن بعض المتأخرين وصلها إلى رواية ثمانين صحابيا " (١) .

---

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٩ .

( الفصل الرابع )

(( مسافة الحوض ))

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

وردت في تحديد مسافة الحوض روايات عديدة وفيها اختلاف كبير - كما ذكر ابن حجر - (١) وقد وجد بين تلك الروايات بعض التباين وهذا هو الذي حمل بمعنى الناس على الزعم بأن ذلك يقدر فيها فترد - بزعمهم - لأنها متناقضة ومتعارضة وهو ما سنبطله ببيان وجه الجمع بينها بعد أن نذكر بعض الروايات التي جاءت في تحديد مسافته فيما يأتي :

١ - أنه ما بين ايلة الى صنعاء .

كما في رواية أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ان قدر حوضى كما بين ايلة وصنعاء من اليمن وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء " (٢) .

وفي رواية عن جابر بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال " الا أنى فرط لكم على الحوض وان بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وابيلة كأن الأباريق فيه النجوم " (٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول : " ما بين ناحيتى حوضى كما بين ايلة الى صنعاء "

(١) فتح البارى ج ١١ ص ٤٧٠ .

(٢) صحيح البخارى ج ١١ ص ٤٦٤ ومسلم ج ٥ ص ١٦١ .

(٣) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٣ .

سيرة شهر عرضه كطوله فيه مرزبان ينعمان من الجنة من ورق وذهب

أبيض من اللبن وأبرد من الثلج فيه اباريق عدد نجوم السماء " (١)

٢ - انه ما بين المدينة صنعاء ، كما في رواية حارثة بن وهب

انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال حوضه ما بين صنعاء والمدينة

فقال له المستورد ألم تسمعه قال الأواني قال لا قال المستورد ترى

فيه الأنية مثل الكواكب " (٢)

٣ - انه ما بين عدن وعمان

عن أبي امامة ابي يزيد بن الأخنس قال يا رسول الله فما سمعة

حوضك ؟ قال كما بين عدن الى عمان فأوسع وأوسع يشير بيده فيه

شعبان من ذهب وفضه قال فما حوضك فقال اشد بهاضا من اللبن

وأحلى من المسل وأطيب رائحة من المسك من شرب منه لم يتظمأ

بعده ولم يسود وجهه أبدا " (٣)

وعن ابن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حوضي كما بين عدن وعمان ابرد من الثلج وأحلى من المسل

وأطيب ريحا من المسك اكوابه مثل نجوم السماء من شرب منه شربته

---

(١) أنظر موارد الظمان ص ٦٤٦ .

(٢) البخاري ج ١١ ص ٤٦٥ ، وسلم ج ٥ ص ١٥٧ .

(٣) النهاية لابن كثير ج ١ ص ٣٦٠ وعزاه الى أبي بكر بن أبي عاصم

وأورد حديثا آخر عن أبي امامة الباهلي وعزاه الى ابن أبي الدنيا ،

لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس عليه ورودا صمالك المهاجرين  
قال قائل : من هم يا رسول الله ؟ قال الشعثة رؤسهم الشحبة  
وجوههم الدنسة ثيابهم لا تفتح لهم السدود ولا ينكحون المنحصات  
الذين يمحطون كل الذي عليهم ولا يأخذون كل الذي لهم " (١)

وأورد الترمذى فى سننه حديثا عن ثمان بمعنى ما سبق من  
حديث ابن عمر رضى الله عنهما وقال فيه عن النبى صلى الله  
عليه وسلم " حوضى من عدن الى عمان البلقاء " (٢)

٤ - وورد فى تحديده انه كما بين صنعاء الى بصرى كما يفيد حديث  
عتبة بن عبد السلمى رضى الله عنه قال قام اهزابى الى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقال ما حوضك الذى تحدىث عنه ؟ فقال هو  
كما بين صنعاء الى بصرى ثم يمدنى الله فيه بكراع<sup>(٣)</sup> لا يدرى بشر  
من خلق أى طرفيه قال فكبر عمر رضوان الله عليه فقال صلى الله  
عليه وسلم أما الحوض فيزدحم عليه فقرا المهاجرين الذين يقتلون فى  
سبيل الله ويموتون فى سبيل الله وأرجو أن يوردنى الله الكراع فأشرب  
منه . (٤)

- 
- (١) رواه أحمد ج ٢ ص ١٣٢ باسناد حسن كما قال فى المنذرى فى  
الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٢٠ وأورد المنذرى أيضا ج ٤ ص ٤١٧  
حديثا بمعنى ما سبق من أنس وكذا ابن ماجة فى سننه ج ٢ ص ١٤٣٦  
والترمذى ج ٤ ص ٦٢٩ .
- (٢) باب ما جاء فى صفة أوانى الحوض ج ٤ ص ٦٢٩ .
- (٣) الكراع : فسرهما المنذرى ج ٤ ص ٤٢١ بضم الكاف هو : الأنف  
المدود من الحرة استعيرهما والله أعلم .
- وقال ابن الاثير : الكراع : جانب مستطيل من الحرة تشبيهه  
بالكراع وهو ما دون الركبة من الساق . النهاية ج ٤ ص ١٦٥ .
- (٤) أنظر موارد النيمان ص ٦٤٧ وأخرج نحوه ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٣٦  
والترمذى ج ٤ ص ٦٢٨ .

٥ - أنه كما بين الكعبة وبيت المقدس كما في حديث أبي سعيد الخدري  
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ان لي حوضا ما بين  
الكعبة وبيت المقدس أبيض مثل اللبن آتيته كعدد النجوم وانى لأكثر  
الأنبياء تبعاً يوم القيامة " (١)

٦ - أنه كما بين ايلة الى عدن كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان حوض  
لأبعد من ايلة الى عدن والذي نفسى بيده لآتيته أكثر من عدد النجوم  
ولهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، والذي نفسى بيده  
انى لأزود عنه الرجال كما يزود الرجل الابل القرية عن حوضه ، قيل  
يا رسول الله أتمرفنا ؟ قال نعم تردون على غرا محجلين من أشبر  
الوضوء ليست لأحد غيركم " (٢)

٧ - وجاء في حديث انس انه كما بين صنعاء والمدينة أو كما بين  
المدينة وعمان عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما بين  
ناحيتي حوضى كما بين صنعاء والمدينة " ( أو كما بين المدينة  
وعمان ) (٣) في رواية أخرى .

٨ - أنه كما بين الكوفة والحجر الأسود كما في حديث ابن عمر عن  
النبي صلى الله عليه وسلم قال " حوضى كما بين الكوفة الى الحجر الأسود " (٤)

---

(١) رواه ابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٨ من حديث زكريا عن عطية وهو  
الموفى عنه .

(٢) أخرجه مسلم ج ١ ص ٥٣٤ وابن ماجه ج ٢ ص ١٤٣٨ .

(٣) أخرجه البخارى ج ١١ ص ٤٦٥ ( الرقاق ) ومسلم ج ١ ص ١٦٢ .

(٤) أخرجه الترمذى ج ٤ ص ٦٣٠ ، وأخرج النسائى نحو هذا الحديث  
ج ٨ ص ٢٢٥ .

٩ - انه كما بين جرباء وأذرح " عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : امامكم حوض كما بين جرباء وأذرح " (١) وفى رواية لمسلم عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان امامكم حوضا كما بين جرباء وأذرح فيه اباريق كججوم السماء من ورده فشرب منه لم يظماً بمدّها أبدا " (٢)

١٠ - انه كما بين الجابية وصنماء كما فى حديث أبى هريرة وجابر ابن عبد الله قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " سمعة حوضى ما بين الجابية الى صنماء " (٣)

١١ - انه كما بين عمان الى ايلة : عن أبى زر قال : قلت : يا رسول الله ما آتية الحوض ؟ قال : والذي نفس محمد بيده لآتيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها الا فى الليلة المظلمة المصحبة آتية الجنة من شرب منها لم يظماً آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظماً عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأهلئ من العسل " (٤)

- 
- (١) البخارى ج ١١ ص ٤٦٣ ومسلم ج ٥ ص ١٥٨ ، وأبو داود بلفظ " ان امامكم حوضا ما بين ناحيته كما بين جرباء وأذرح " قريتان بالشام بينهما ثلاث ليال كما سيأتى ذكره .
- (٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٩ .
- (٣) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٦٥ وعزاه الى الطبرانى .
- (٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٩ .

١٢ - وهدد بأنه كما بين المدينة وعمان ، وعن ثوبان ان نبي اللسه  
صلى الله عليه وسلم قال : " انى لبعقر حوضى أزود الناس لأهل  
الين أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامي  
الى عمان ، وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأهلى من  
العسل يفيت فيه ميزابان يدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر  
من ورق " (١)

١٣ - وهدد بما بين ايلة الى الجحفة ، وعن عقبه بن عامر قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " على قتلى احد ثم صعد المنبر  
كالمودع للاعباء والاموات فقال انى فرطكم على الحوض وان عرضه كما بين  
ايلة الى الجحفة " (٢) ألخ الحديث .

وكما حدد بالمكان فقد جاء أيضا تحديده بالزمان كما فى حديث  
جسابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والحوض مسيرة شهر  
وزواياه سواء يعنى عرضه مثل طوله وكيزانه مثل نجوم السماء وهو  
أطيب ريحا من المسك وأشد بياضا من اللبن من شرب منه لم يظمأ  
بعدها أبدا " (٣)

وقال البرديسى : " وجملة ما قيل فيه أنه مسيرة شهر وقيل شهران  
وقيل ثلاثة " (٤)

- 
- (١) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٠ .  
(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٤ .  
(٣) أخرجه أحمد ج ٣ ص ٣٨٤ قال الهيثمى فى مجمع الزوائد " ورجاله  
رجال الصحيح ورواه البزار باختصار وفيه ضعف " مجمع الزوائد  
ج ١٠ ص ٣٦٤ .  
(٤) تكملة شرح الصدور ص ٢٣ .



وقد ذكر ابن حجر والبرديسي وغيرهما عدة روايات في تحديد

مسافة الحوض وهي اجمالا :

- (١) انه ما بين ايلة و صنعاء .
- (٢) ما بين عدن وايلة .
- (٣) عمان الى ايلة .
- (٤) ايلة الى الجحفة .
- (٥) صنعاء الى المدينة .
- (٦) عدن الى عمان البلقاء .
- (٧) ما بين بصرى الى صنعاء .
- (٨) ايلة الى مكة .
- (٩) مكة الى عمان .
- (١٠) صنعاء الى بصرى .
- (١١) صنعاء الى مكة .
- (١٢) الكعبة الى بيت المقدس .
- (١٣) البيضاء الى بصرى <sup>(١)</sup> وقد ذكر النووى بعضا من تلك الروايات . <sup>(٢)</sup>

أما تحديده بما بين جرباء وأذرح فقد بين الامام مسلم المسافة

بين تلك القرينتين ومكانهما بقوله : " وحدثنا ابن نمير هذتنا ابن ح

---

(١) فتح البارى ج ١١ ص ٤٧٠ ، ٤٧١ وأنظر تكملة شرح الصدور ص ٢٣ .  
(٢) شرح النووى ج ٥ ص ١٥٥ ، وقد تكررت هذه الأحاديث فذكرت  
أولا لاثبات وجود الحوض ثم اعدتها ثانية لاثبات سعة الحوض  
ومسافته .

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر قال : حدثنا  
عبيد الله بهذا الاسناد مثله وزاد قال عبيد الله فسألته فقال :  
قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال ، وفي حديث ابن بشر ثلاثة  
أيام " (١) .

وقد ضبط النووي جرباءً واذرح فقال عن جرباء " وأما جرباء  
فبجيم مفتوحة ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم الف مقصورة هذا هو  
الصواب المشهور انها مقصورة وكذا قيدها الحازمي في كتابه ( المؤتلف  
في الأماكن ) وكذا ذكرها القاضي وصاحب المطالع والجمهور ، وقال  
القاضي وصاحب المطالع ووقع عند بعض رواة البخاري ممدودا قالوا  
وهو خطأ وقال صاحب التحرير هي بالمد وقد تقصر قال الحازمي  
كان أهل جرباء يهودا كتب لهم النبي صلى الله عليه وسلم الايمان لما  
قدم عليه لحية بن رؤبة صاحب ايلة يقوم منهم ومن أهل اذرح يطلبون  
الايمان "

وقال عن اذرح أنها " بهمزة مفتوحة ثم ذال معجمة ساكنة  
ثم راء مضمومة ثم حاء مهللة هذا هو الصواب والمشهور الذي قاله  
الجمهور ، قال القاضي وصاحب المطالع ورواه بعضهم بالجيم قالوا  
وهذا تصحيف لا شك فيه وهو كما قالوا وهي مدينة في طرف الشام  
في قبلة الشوك بينها وبينه نحو نصف يوم وهي في طرف الشراط بفتح

الشين المصجمة في طرفها الشمالي وتبوك في قبلة اذرح بينهما نحو أربع مراحل وبين تبوك ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم نحو أربع عشرة مرحلة \* (١)

والقول بأن المسافة بين جرباء واذرح ثلاث ليال أو ثلاثة أيام ما وقع فيه التنازع كما ستأتى الإشارة اليه .  
وأما تحديده بما بين ايلة وصنما :

فقد قال النووى عن ايلة \* اما ايلة فبفتح الهمزة واسكان المثناة تحت وفتح اللام وهى مدينة معروفة في عراق الشام على ساحل البحر متوسطة بين مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين دمشق نحو اثنتى عشرة مرحلة ، وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل قال الحازمى قيل آخر الحجاز وأول الشام \* (٢)

وقال ياقوت الحموى عن ايلة انها :

\* مدينة على ساحل بحر القلزم ما يلى الشام وقيل هى آخر الحجاز وأول الشام ، قال أبو زيد أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهى مدينة لليهود الذين هزم الله عليهم صيد السمك يسوم السبت فخالفوا فسخوا قرده وخنازير \* .

---

(١) شرح النووى ج ٥ ص ١٥٥ .

(٢) شرح النووى لمسلم ج ٥ ص ١٥٥ .

وقال أبو المنذر سميت بايلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام

وقال أبو عبيدة ايلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر

القلزم تمد في بلاد الشام \* (١)

وقال ابن حجر عنها أنها :

\* مدينة كانت عامرة وهي بطرف بحر القلزم من طرف الشام

وهي الآن خراب يمر بها الحاج من مصر فتكون شمالهم ويمر

بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم ويجابون اليها الميرة من الكرك

والشوك وغيرها يطلقون بها الحاج نهابا واياها واليها تنسب العقبة

المشهوره عند المصريين وبينها وبين المدينة النبوية نحو الشهر يسمى

الأثقال ان اقتصروا كل يوم على مرحلة والا فدون ذلك وهي من مصر

أكثر من النصف من ذلك ، ولم يصب من قال من المتقدمين انها على النصف

ما بين مصر ومكة بل هي دون الثلث فانها أقرب الى مصر ، ونقل

عياض عن بعض أهل العلم ان ايلة شعب من جبل رضوى الذي فسق

ينبع وتعقب بأنه اسم وافق اسما والمراد بأيلة في الخبر هي

---

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٢٩٢ .

والقلزم : بالضم ثم بالسكون ثم زاي مضمومة قال ياقوت : " وهو

المكان الذي غرق فيه فرعون وآله " وقال قوم قلزم بلدة على ساحل

بحر اليمن قرب ايلة والطور ومدين والى هذه المدينة ينسب

هذا البحر وموضعها اقرب موضع الى البحر الفريسي " وقال

أبو الحسن البلخي " اما ما كان من بحر الهند من القلزم الى ما يجازي

بطن اليمن فانه يسمى بحر القلزم ومقداره نحو ثلاثين مرحلة طسولا

وأوسع ما يكون عرضا عبر ثلاث ليال ثم لا يزال يضيق " إلخ .

أنظر معجم البلدان ج ٤ ص ٣٨٧ .

المدينة الموصوفة . آنفا وقد ثبت ذكرها في صحيح مسلم في قصة غزوة تبوك وفيه " ان صاحب ايلة جاء الى رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وصالحه " (١)

قال ابن حجر : " واما صنعاء فانما قيدت في هذه الرواية باليمن احترازا من صنعاء التي بالشام ، والأصل فيها صنعاء اليمن لمسا هاجر أهل اليمن في زمن عمر عند فتوح الشام نزل أهل صنعاء في مكان من دمشق فسمى باسم بلدهم .

ونقل عن ابن التين أن المراد بصنعاء التي حدد بها مسافة الحوض صنعاء الشام وقد رد عليه ابن حجر هذا الصنف .  
وقال " انه لا يمد في حمله على المتبادر وهو صنعاء اليمن لما تقدم توجيهه "

ولورودها في الحديث مقيدة بصنعاء اليمن .

ثم قال ( يحيى ابن التين ) : " يحتمل أن يكون ما بين المدينة وصنعاء الشام قدرا ما بينها وصنعاء اليمن وقدرا ما بينها وبين ايلة وقدرا ما بين جريا واذرح " .

قال ابن حجر : " وهو احتمال مردود فانها متفاوتة الا ما بين

المدينة وصنعاء وبينها وصنعاء الأخرى " (٣)

---

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٠ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧١ .

(٣) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧٥ .

وقال ياقوت في معجم البلدان : " وصنعاء موضعان أحدهما

باليمن وهي العظمى وأخرى قرية بالفوطة في دمشق " (١)

وأما تحديده بما بين عدن وإيلة : فان عدن ( بفتحين بلد

مشهور على ساحل البحر في أواخر سواحل اليمن وأوائل سواحل

الهند وهي تسامت صنعاء وصنعاء في جهة الجبال " (٢)

وأما تحديده بما بين عمان الى ايلة ، فان عمان " بضم المهملطة

وتخفيف الميم بلد على ساحل البحر من جهة البحرين " (٣)

بخلاف عمان البلقاء التي بالشام فانها " بفتح المهملطة وتشديد

الميم للأكثر وحكى تخفيفها وتسبب الى البلقاء لقربها منها ، والبلقاء

بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها قاف وبالمددة بلدة معروفة من

فلسطين " (٤)

وأما تحديده بما بين بصرى الى صنعاء فان بصرى ( بضم الموحدة

وسكون المهملطة بلد معروف بطرف الشام من جهة الحجاز ) (٥)

قال ياقوت : بصرى في موضعين بالضم والقصر أحدهما بالشام

من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما

وحديثا . . وبصرى أيضا من قرى بغداد قرب عكبراء " (٦)

---

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٢٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٧١ .

(٣) ( ٥ - ٣ ) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧١ شرح النووي لمسلم ج ٥ ص ١٥٥ .

(٦) معجم البلدان ج ١ ص ٤٤١ .

وأما تحديده بما بين البيضاء الى بصرى فان البيضاء قريبة  
من الريزة البلد المعروف بين مكة والمدينة . (١)

وأما تحديده بما بين الكوفة والحجر الأسود ، فابح الكوفة قد  
قال عنها ياقوت " الكوفة بالضم المصر المشهور بأرض بابل من سواد  
المراق " . (٢)

وأما الجابية التي حدد بها مسافة الحوض فقال ياقوت عنها :  
" هي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان  
قرب مرج الصفر في شمالي حوران " . (٣)

وأما تحديد بما بين ايلة والجحفة :

فان الجحفة كما قال ياقوت عنها : " بالضم ثم السكون والفاء  
كانت قرية كبيرة ذات خمر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل  
وهي ميقات أهل مصر والشام ان لم يمروا على المدينة فان مسـروا  
بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة وكان اسمها مهيمة وانما سميت الجحفة  
لأن السيل اجتمعها وحمل أهلها في بعض الأعوام وهي الآن فراب " . (٤)

---

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٧١ .

(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ٤٩١ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٩١ .

(٤) معجم البلدان ج ٢ ص ١١١ .

( الفصل الخامس )

(( الجمع بين الروايات التي وردت في تحديد مسافة الحوض ))

=====

عرفنا فيما سبق ان هناك روايات عديدة في تحديد مسافة الحوض وهي مختلفة في البعد - كما رأينا - وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد حددها أحيانا بالمكان وأحيانا بالزمان فهل تلك الفوارق بين تلك المسافات تعتبر تعارضا خصوصا اذا اريد من ذلك ضبط تلك التحديدات على وجه الدقة ، فاذا كانت تلك التحديدات مقصودة على وجه الدقة فلماذا تختلف المسافة من مكان الى مكان ان لو كانت المسافة واحدة لما اختلف في البعد والقرب على جميع الروايات والا كانت مضطربة كما ذهب اليه بعض الناس واذا كانت تلك الروايات ثابتة كلها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونحن نعلم قطعا انه ليس في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم تناقض كان علينا لزاما النظر والتدقيق في فهمها والرجوع الى ما قاله أهل الحق فسي توجيهها .

والواقع أن تلك الروايات ليست جميعها على درجة واحدة من الصحة ، وقد بذل كثير من العلماء جهدهم للتوفيق بين تلك الروايات المتعددة التي انطبق عليها قول ابن حجر بان فيها :  
" اختلافات كثيرة " .

ويمكن تلخيص ما جمع به العلماء بين تلك الروايات من الأقوال فيما يلي :



- ١ - يحمل تعدد الروايات على أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث  
بذكر الحوض في مناسبات متعددة وكان يخاطب في كل مرة السائل  
مقدرا له مسافة الحوض بما يعرف من الجهات على وجه التقريب .
- ٢ - أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يقصد ذكر المسافة بين  
كل جهة وجهة بالتحديد الدقيق ولهذا فإنه كان أحيانا يحدد  
المسافة بالزمان فيقول مسيرة شهر<sup>(١)</sup> ، وأحيانا يحددها بثلاثة  
أيام<sup>(٢)</sup> ، وأحيانا يحددها بما يقرب من نصف شهر<sup>(٣)</sup> وسيأتى  
بيان اعتراض الحافظ ابن حجر على هذا الجمع الأخير .
- ٣ - أن العدد القليل لا ينافي العدد الكثير بل يكون قد أخبر  
صلى الله عليه وسلم بالقليل ثم زاده الله بعد ذلك خبرا ينص  
على مسافة أكثر من التي قبلها وهينئذ تكون المسافة الكبيرة هي  
المعتمدة والقليلة تندرج تحتها .
- ٤ - أن ذلك الاختلاف إنما هو بحسب الطول والعرض .
- ٥ - أن ذلك يختلف بحسب اختلاف السير قوة وبطأ .
- وسنذكر هنا بعض أقوال العلماء في الجمع بين تلك الروايات  
المختلفة :

---

(١) صحيح البخارى ج ١١ ص ٤٦٣ عن ابن عباس .  
(٢) كما في تحديده بما بين جريا واذرح وبينهما ثلاثة أيام أو ثلاث  
ليال صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٨ .

يقول النووي رحمه الله في الجمع نقلا عن القاضي عياض رحمه الله  
" وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجبا للاضطراب فانسه  
لعم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة  
من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضربها النبي صلى الله عليه وسلم  
في كل واحد منها مثلا لبعد أقطار الحوض وسعة وقرب ذلك فمن  
الافهام لبعد ما بين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد  
بل للاعلام بمعظم هذه المسافة فبهذا تجمع الروايات .

ثم أضاف النووي قوله في الجمع : " قلت وليس في القليل من  
هذه منع الكثير والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة " (١)  
ويقول القرطبي رحمه الله :

" ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض  
اضطراب واختلاف وليس كذلك ، وإنما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم  
بحديث الحوض مرات عديدة وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبا  
لكل طائفة - بما كانت تعرف من مسافات مواضعها فيقول لأهل الشام  
ما بين اذرح وجرباء ، ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن ، وهكذا ،  
وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول مسيرة شهر ، والمعنى المقصود أنه  
حوض كبير متسع الجوانب والزوايا فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف  
تلك الجهات فخطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها " (٢)

---

(١) شرح النووي ج ٥ ص ١٥٥ .

(٢) التذكرة ص ٣٠٤ .

و بالنسبة لكلام القاضي عياض الذى نقله عنه النووى كما تقدم فى قوله ان تلك الزوايات انما هى من اختلاف التقدير لأنه لم يقع فى حديث واحد فيعد اضطرابا من الرواة بل وقع لجملة من الصحابة سمعوه فى مواطن متعددة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يخبر عن مسافته من الأرض بحسب ما يسنح له من العبارة لتقريب المسافة لا ارادة بيان مسافة محققة .

بعد أن نقل هذا الكلام للقاضي عياض لم يرتضه بل قال ان فيه نظرا وذلك من جهة أن ضرب المثل والتقدير انما يكون فى ما يتقارب واما هذا الاختلاف المتباعد الذى يزيد تارة على ثلاثين يوما وينقص الى ثلاثة أيام فلا . (١)

وهو اعتراض فى محلة لكن القاضي - فيما أظن - لا يريد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى ذهنه مسافة يريد أن يحددها بل كان يريد مجرد الاخبار بأن هناك مسافة ما ولهذا جاء التقدير مختلفا .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر أن بعض العلماء جمع بينها بأن ذلك الاختلاف انما هو بحسب تفاوت الطول والعرض ، ولكن هذا كما يذكر مردود برواية عبد الله بن عمر " زواياها سواء " ، وهديث النواص بن سمان وجابر وابى برة وأبى ذر " طولها وعرضها سواء " .

---

(١) فتح البارى ج ١١ ص ٤٧١ .

وبعضهم ذهب الى القول أن ذلك يختلف باختلاف السير  
قوة ووطأ ، كالسير البطيء وهو سير الاثقال والسير السريع  
وهو سير الراكب المخف ، وان رواية الثلاثة أيام هي السير على البريد  
ولكن من اين لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقصد سرعة  
السير ويطئه أو السير على البريد .

وقد نقل ابن حجر عن الحافظ ضياء الدين المقدسي ان في رواية  
الثلاث نقص وأن الحافظ العلائي غلط ابن الأثير حينما حددها  
بثلاثة ، وان الغلط انما حصل في سياق لفظها ، وذلك لاختصار  
وقع في سياقه من بعض رواته ثم ساقه من حديث  
أبي هريرة وأخرجه من فوائد عبد الكريم بن الهيثم الديري قولى بسند  
حسن الى أبي هريرة مرفوعا في ذكر الحوض فقال فيه " عرضه مثل  
ما بينكم وبين جرباء " واذح ، قال الضياء فظهر بهذا انه وقع  
في حديث ابن عمر حذف تقديره كما بين مقامي وبين جرباء " واذح  
فسقط مقامي وبينى .

وقال الحافظ صلاح الدين العلائي بعد أن حكى قول ابن الأثير  
في النهاية هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام ثم غلطه في  
ذلك وقال : ليس كما قال بل بينهما غلوة سهم وهما معروفتان  
بين القدس والكرك ، قال وقد ثبت القدر المحذوف عند الدارقطني  
وغيره بلفظ : " ما بين المدينة وجرباء " واذح .

قلت : وهذا يوافق رواية ابي سعيد عند ابن ماجه " كما بين الكعبة وبيت المقدس " ، وقد وقنع ذكر جرباء واذرح في حديث آخر عن مسلم وفيه " وافى اهل جرباء واذرح بحرسهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره في غزوة تبوك وهو يؤيد قول العلائي انهما متقاربتان وانا تقرر ذلك رجع جميع المختلف الى انه لاختلاف السير البطىء والسير السريع " (١) .

وأرجح الأقوال - فيما أرى - هو القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرد ان تلك المسافات بين تلك الأماكن التي قالها متحدة ، وانما كان يريد الاخبار عن مسافة ما بين أجزاء الحوض وما قيل من انه ينبغي ان يكون المسافة واحدة مع كل سائل ، فليس ذلك بلازم لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب السائل مقرباً له المسافة ومشيراً له الى ما يعرف من الأماكن فالسائل الذى يعرف المدينة وعمان يمثل له بها ، والسائل الذى يعرف جهة جرباء واذرح يمثل له بها ، ولم يرد الرسول صلى الله عليه وسلم ان تلك المسافات بين تلك الأماكن متحدة .

---

(١) فتح البارى ج ١١ ص ٤٧٢ .

( الفصل السادس )

(( صفات الحوض ومزاياه ))

وردت للحوض صفات كثيرة جاء ذكر بعضها فيما تقدم من الأحاديث

ولتمام الفائدة نذكر كلما ورد من الصفات ملخصة من الأحاديث الشريفة

وحاصلها :

انه حوض عظيم ومورد كريم لا يعلم سمته على الحقيقة الا الله

تعالى ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأشد بردا من

الثلج وأطيب ريحا من المسك <sup>والزبد</sup> <sup>والزبد</sup> من يشرب منه شربة لم

يظمأ بعدها أبدا وهو في غاية الاتساع كلما شرب منه زاد واتسع

ينبت في خلاله المسك <sup>(١)</sup> والرضاض من اللؤلؤ وقضبان الذهب ويشمر

الوان الجواهر ، وفيه من الاباريق كعدد نجوم السماء في الليلة

المظلمة المصحبة ، آنيته من ذهب وفضه . <sup>(٢)</sup>

وكل هذه الصفات أمور سمعية ينبغى الايمان بها كما ورد ،

ونحن نعلم أن أحوال الآخرة مختلفة عن أحوال الدنيا والاسم هو

الاسم والحقيقة غير الحقيقة .

(١) الرضاض هو ما دق من صغار الحصى .

(٢) أنظر لتلك الصفات فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٣ ص ١٤٦

وشرح الطحاوية ص ٢٥١ ولوامع الأنوار للمستغفرين ج ٢ ص ١٩٦ -

وقد يقال اذا اثبت أن الهوى من شرب منه من المؤمنين شربة  
لم يصبه الظمأ أبدا فأى حاجة بعد ذلك الى الشرب فى الجنة  
من نهر الكوثر .

وقد أجاب العلماء عن هذا بأن أهل الجنة لا يشربون نتيجة  
لعطش يصيبهم ، وإنما يشربون تليذا وشهوة لا لدفع الجوع  
والعطش . (١)

---

(١) أنظر تكملة شرح الصدور ص ٢٦ .

( الفصل السابع )

(( متى يرد الناس الحوض ))

=====

هل يردون عليه حين خروجهم من القبور عطاشا فيشربون منه ؟  
أم يردون عليه ويشربون منه بعد أن يتجاوزوا الصراط ؟ أم يكون  
ذلك بعد نصب الميزان ؟ أم أن ذلك يكون قبل فصل القضاء  
أو بعده ؟

كل تلك الأقوال قد قيلت ، والواقع أنها كلها تحتاج الى دليل  
يثبتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لأن منشأ ذلك الخلاف  
هو عدم وجود النص الذي يقطع تلك الاحتمالات ، غير أن بعض  
العلماء استنهط من بعض الأحاديث أن الحوض يكون في الموقف حتما  
قبل الصراط ، وبعضهم رأى انه بعد الصراط لأنه هو الذي يقتضيه  
الحال ، وسنمرش فيما يلي بعضا من أقوال العلماء في ذلك :

ذهب القرطبي رحمه الله تبعاً لأبي الحسن القاسمي الى القول  
بأن الحوض يكون قبل الصراط والميزان ، وأن من يقدم الصراط  
والميزان على الحوض يعتبر قوله خطأ كما ينكر عن الخزالي ذلك  
فقال :

" واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر ، فقيل الميزان  
قبل ، وقيل الحوض ، قال أبو الحسن القاسمي : والصحيح أن  
الحوض قبل ، قال القرطبي : والمعنى يقتضيه فان الناس



يخرجون عطاشا من قهورهم كما تقدم فيقدم على الصراط والميزان .  
ثم نقل عن أبي حامد الفزالي ما حكاه عن بعض السلف من أهمل  
التصنيف من أن الحوض يورد بحد الصراط وان الفزالي قال : ان  
هذا القول غلط من قائله .

ثم قال القرطبي مؤيدا للفزالي :

” قال المؤلف هو كما قال ” (١) ، واستدل بما أورده البخاري

في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال بينما أنا قائم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج  
رجل من بيني وبينهم فقال لهم هلم ، فقلت الى أين ؟ قال الى  
النار والله قلت ما شأنهم ؟ قال : انهم قد ارتدوا على ادبارهم  
القهقري ، ثم اذا زمرة أخرى حتى اذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم  
رجل فقال لهم هلم هلم ، فقلت الى أين ؟ قال الى النار والله قلت  
ما شأنهم قال انهم ارتدوا على ادبارهم فلا أراه يخلص منهم الا شمل  
همل النعم ” (٢)

قال القرطبي : ” قلت فهذا الحديث مع صحته أدل دليل

على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط لأن الصراط انما هو جسر  
على جهنم ممدود يجاز عليه فمن جازه سلم من النار ” (٣)

---

(١) التذكرة ص ٣٦٢ .

(٢) صحيح البخاري ج ١١ ص ٤٦٥ .

(٣) التذكرة ص ٣٦٢ .

واستدل أيضا برواية عن ابن عباس مصدره بصيغة تشعير  
بالتضميف فقال : " وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ما  
قال أى والذي نفسى بيده ان فيه لماء وان أولياء الله تعالى ليردون حياض  
الأنبياء ويهتت الله سبعين ألف ملك بأيديهم عصى من نار يذودون  
الكفار عن حياض الأنبياء " (١)

ولم يمز هذه الرواية عن ابن عباس الى مصدر وترجيح القرطبي  
للقول بأن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط هو عكس ما ذهب  
اليه صاحب القوت وغيره من أن الحوض انما هو بعد الصراط . (٢)  
ويظهر أن القرطبي حمل قول صاحب القوت أنه يصدق على  
الكوثر الذى هو فى الجنة وهذا فى قوله " والصحيح أن للنبي صلى الله  
عليه وسلم حوضين احدهما فى الموقف قبل الصراط ، والثانى فى  
الجنة وكلاهما يسمى كوثرًا " . (٣)

ولكن يشكل على قول القرطبي أن الكوثر لا تسمى الرسول صلى الله  
عليه وسلم للكوثر انه نهر والنهر غير الحوض ولهذا يقول ابن حجر  
عن رأى القرطبي هذا ان فيه نظرا ، وسيأتى ذكر المقارنة بين الحوضين  
والكوثر فى آخر الباب .

حوض

(١) التذكرة ص ٣٦٢ .

(٢) نقله عنه القرطبي فى التذكرة ص ٣٦٢ .

(٣) التذكرة ص ٣٦٢ .

(٤) فتح البارى ج ١١ ص ٤٦٦ .

ومن يذهب كذلك الى القول بأن الحوض يكون قبل الصراط.

الامام ابن كثير رحمه الله كما في قوله :

٣ قال قائل : فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو

بعده ؟ فالجواب ان ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضى كونه

قبل الصراط لأنه يذاد عنه اقوام يقال عنهم أنهم لم يزالوا يرتدون

على أعقابهم منذ فارقتهم فان كان هؤلاء كفارا فالكافر لا يجاوز

الصراط بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه وان كانوا عصاة

وهم من المسلمين فحبيد حجبهم عن الحوض لا سيما وعليهم سيما

الوضوء ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرفكم غرا محجلين

من آثار الوضوء ثم من جاوز الصراط لا يكون الا ناجيا مسلما فمثل

هذا لا يحجب عن الحوض فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل

الصراط " (١)

وهناك من ذهب الى أن الحوض يكون بعد الصراط كما

ذهب اليه صاحب القوت فيما ذكره عند القرطبي سابقا .

ومنهم الامام البخارى كما اشار اليه ابن حجر بقوله :

" وايراد البخارى للأحاديث الحوض بعد أحاديث

الشفاعة ونصب الصراط اشارة منه الى أن الورود على الحوض يكون

بعد نصب الصراط والمرور عليه " (٢)

---

(١) النهاية ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) فتح البارى ج ١١ ص ٤٦٦ .

ومنهم القاضي عياض فيما ينقله السفاريني عنه أنه قال :

" ان الحوض بعد الصراط وان الشرب منه يقع بعد الحساب

والنجاة من النار " + .

وذكر السفاريني كذلك عن بعض العلماء كابن حمدان فـى

عقيدته حيث يقول :

" يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط " (١) .

وقال الجيلاني : " وأهل السنة يمتقدون أن لنبيننا

صلى الله عليه وسلم حوضاً فى القيامة يسقى منه المؤمنون دون الكافرين

ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة " (٢) .

ويتضح مما سبق أن الروايات متعارضة فى ترتيب الحوض

بالنسبة للصراط .

قال الهرديسى نقلاً عن شرح الجوهرة : " وقد تعارضت

الآثار فى محله ، وفى بعضها قبل الصراط والميزان ، وفى

بعضها بعد الميزان ، وفى بعضها بعد الصراط " .

ويمكن الجمع بين هذا التعارض بأن يقال أن ذلك يحصل

على تعدد الشرب منه كما اشار اليه الهرديسى " (٣)

---

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٦٥ .

(٢) الفنية ص ٧١ .

(٣) تكملة شرح الصدور ص ٢٤ .

ويظهر أن الذين منعموا أن يكون الحوض بعد الصراط هو انهم اعتمدوا على انه لو كان الأمر كذلك لما صح أن يذاد عن الشرب منه أحد وذلك لأن من جاوز الصراط فقد نجا من النار فكيف يليق أن يمنع عن الشرب منه فالصحيح ~~هنا~~ هو أنه فسي الموقف قبل الصراط . (١)

والذين توسطوا بين القائلين بأنه قبل الصراط والقائلين أنه بعده قالوا بتحدده ، فالأول وهو الذي قبل الصراط هو الذي يمكن أن يتصور وقوع الذود عنه ، وأما الثاني وهو الذي يكون بعد الصراط فهذا لا يتصور أن يذاد ويمنع عنه أحد . (٢)

وقد يرد على القول بأن الحوض يكون قبل الصراط ما جاء في حديث أنس مرفوعا يفيد تأخر الحوض عن الصراط ونص الحديث كذا جاء عن أنس قال : " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة قال انا فاعل ، قال قلت يا رسول الله فأين أطلبك يوم القيامة ؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني علي الصراط ، قلت : فان لم ألقك على الصراط ؟ قال : فأنا عند الميزان ، قال قلت : فان لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فأنا عند الحوض لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن يوم القيامة " (٣)

---

(١) ، (٦) أنظر تكملة شرح الصدور ص ٢٤ .

(٢) أخرجه الامام أحمد ج ٣ ص ١٧٨ ، ورواه الترمذي ج ٤ ص ٦٢١ .

وقد استشكل ابن كبير هذا ثم أجاب عنه بأنه يحتمل  
أن يكون هناك <sup>١٣٦</sup> حوض آخر غير الحوض الذي هو قبل الصراط بدليل  
ان هذا الحوض الأخير يذاد عنه أناس لم تكتب لهم السعادة غير  
أنه لا يعلم أحدا قد قال بهذا القول ونص كلامه :

" والمقصود أن ظاهر هذا الحديث يقتضى ان الحوض  
بعد الصراط وكذلك الميزان أيضا ، وهذا لا اعلم به قائل اللهم  
الا أن يكون المراد بهذا الحوض حوضا آخر يكون بعد الجواز  
على الصراط كما جاء في بعض الأحاديث ويكون ذلك حوضا ثانيا  
لا يذاد عنه أحد والله أعلم " (١)

الا أنه يرد على كلام ابن كبير رحمه الله سؤال وهو هل  
كان يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال هذا الحديث ترتيب  
وجوده بين هذه الثلاثة الأماكن لأنه قال أول ما تطلبني ، أم  
كان يقصد الاخبار بأنه اما أن يوجد في هذا المكان أو في  
المكان الآخر دون ملاحظة الترتيب .

فالذي يلاحظ الترتيب هو الذي يستشكل وجود الحوض بعد  
الصراط ، والذي لا يلاحظ الترتيب لا يستشكله والله أعلم بمراد  
رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) النهاية ج ٢ ص ٦٨ .

(٢) صفاة من عندي لنا أهدى الباشير من طلاب الشريعة  
السنة الثالثة - يوناني . ولعله باقظ . والله أعلم

وفيه أيضا ايراد آخر على القائلين بأن الحوض يكون بمسد الصراط وهو أن الناس اذا غدصوا من الموقف وتجاوزوا الصراط دخلوا الجنة فلم يحتاجوا الى الشرب منه .

وقد أجاب السيوطي عن هذا بقوله :

" فالجواب بل يحتاجون الى ذلك لأنهم محبوسون هناك لأجل الظالم فكان الشرب في موضع القصص " (١) .

ولعل هذا هو الحوض الذي لا يذاد عنه أحد لأن هؤلاء المحبوسين هناك لأجل الظالم هم المؤمنون الذين علم الله أنهم من أهل السعادة كما قدمنا ذلك في بحث القنطرة .

وقد أورد الحافظ ابن حجر حديث أنس الذي استشكله ابن كير واستشكله هو أيضا فقال :

" وقد استشكل كون الحوض بمسد الصراط بما سيأتى في بعض أحاديث الباب الاجماعية يدفعون عن الحوض بمسد أن يكادوا يردون ويذهب بهم الى النار " .

قال : " ووجه الاشكال ان الذي يمر على الصراط الى أن يصل الى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف يرد اليها ؟ " ثم أجاب عن هذا الاشكال بقوله :

---

(١) لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٩٥ .

" ويمكن أن يحمل على أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه  
ويرون النار فيدفعون الى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط " (١)  
وقد ورد حديث صريح في أن الحوض يكون قبل الصراط كما  
ذكر ابن حجر وهو حديث لقيط بن عامر الذي أخرجه الامام أحمد  
في مسنده وفيه : " ثم ينصرف نبيكم وينصرف على أثره الصالحون  
فيسلكون جسرا من النار يطأ احدكم الجمرة فيقول حس (٢)  
فيقول ربك اوانه (٣) الا فيظلمون على حوض الرسول على أظلماً  
والله نا هلة (٤) رأيتها أبدا ما يبسط أحد منكم يده الا وقع على  
قدح " (٥) الحديث .

قال ابن حجر : " وهو صريح في أن الحوض قبل الصراط " (٦)  
وحديث لقيط ظاهره يفيد أن الحوض يكون بعد الصراط  
لا قبله ان أخبر صلى الله عليه وسلم انهم يسلكون الجسر ثم يظلمون  
على الحوض

وحديث أبي هريرة السابق بيننا أنا قائم على الحوض  
ان زمة . . الخ يفيد أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط .

- 
- (١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٦ .  
(٢) كلمة يقولها الانسان اذا أصابه ماضه وأحرقه غفلة كالجمرة  
والضربة ونحوهما .  
(٣) أي حين وزمان .  
(٤) تشبيهاً بالابل المطاش الشارعة في الماء .  
(٥) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ١٤ وابن أبي عاصم والطيبراني  
والحاكم .  
(٦) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٧ .



وحديث لقيط يفيد أنه بعد الصراط ، وليس هذا من باب التعارض الذى لا يمكن الجمع معه ، فقد سبق أن ذكرنا أن بعض العلماء قد قال بأن هناك حوضين قبل الصراط ومعه وربما يشيرون بما بعد الصراط الى الكثر كما ذكر سابقا ، ومعنى العلماء مثل الشيخ حافظ بن محمد الحكيم رحمه الله يجعل هذه الأحاديث من باب كون الحوض قابلا لها بسبب اتساعه ، فهو يقول عن حديث أبى هريرة وحديث لقيط :

” وليس بين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعارض

ولا تناقض ولا اختلاف وحديثه كله يصدق بعضه بعضا وأصحاب هذا القول ان أرادوا أن الحوض لا يرى ولا يوصل اليه الا بعد قطع الصراط فحديث أبى هريرة هذا وغيره يرد قولهم وان أرادوا

أن المؤمنين اذا جاوزوا وقطعوه بدا لهم الحوض فشربوا منه فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا ، وهو لا يناقض كونه قبل الصراط فان قوله ( طوله شهر وعرضه شهر ) فاذا كان بهذا الطول والسعة فما الذى يحيل امتداده الى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط ومعه فهذا فن حيز الامكان ووقفه موقوف على خبر الصادق ” (١)

وقد جمع الجلال السيوطي بين الروايات التى تفيد أن الحوض

بعد الصراط ، والروايات التى تفيد أنه قبله بقوله :

" ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والأوزار حتى يهذبوا منها على الصراط " ، ثم قال : " ولعل هذا أقوى " (١)

وقد امتدح الشيخ مرعي - كما نقل عنه السفاريني هذا الجمع

بقوله : " وهذا في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق " (٢)

أما بالنسبة لأسبقية الحوض على فصل القضاء أو بعده

فالترجيح بينهما يتوقف على وجود نص ثابت غير أن الذي يظهر أن

الحوض يكون قبل فصل القضاء ، وإن كان الحافظ ابن كثير يذكر

أن المسألة فيها احتمال كلا القولين وهو ما أفاده قوله :

" وإذا كان الظاهر كونه - يمتنى به الحوض - قبل الصراط

فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي للفصل أو بعد ذلك هذا مما

يحتمل كلا الأمرين ولم أرى في ذلك شيئا فاصلا فالله أعلم

أى ذلك يكون " (٣)

وبعد عرض ما تقدم فإن الذي يبدو أنه الراجح - فيما أراه -

أن الحوض يكون قبل الصراط وقبل فصل القضاء وقبل الميزان أيضا

لأنه كما - تقدم - ليس بعد الصراط إلا دخول الجنة أو النار

---

(١) ، (٢) نقلا عن لوامع الأنوار ص ١٦٦ ج ٢ .

(٣) النهاية ج ٢ ص ٦٦ .

ولأنه ورد كذلك أن ناسا يذاون عن الحوض والذين نجوا مسن  
الصراط وتجاوزوه هم من أهل الجنة فلا يذاون ، وان القول  
بوجود حوضين انما هو من باب تغليب تسمية الكثر بالحوض للاتصال  
الذى بينهما ، وانما حمل القائل به التوفيق بين الروايات وتسميته  
للكثر حوضا آخر ، وكذلك الميزان فانه معلوم أنه يكون في الموقف  
ويعمد القول بأن الحوض يكون بعد وزن الأعمال لأن الوزن في الموقف  
ولأنه كذلك ليس بعد وزن الأعمال الا اعطاء النتيجة ، أما الجنة ،  
وأما النار كما تفيد النصوى .

والحاصل من هذا كله أن الحوض يكون في الموقف وقبل الصراط  
وقبل الميزان وقبل فصل القضاء أيضا كما يستفاد من مجموع النصوى  
ولا يمنع أن يكون الحوض أيضا متدا الى ما وراء الصراط حسبما ذهب  
اليه بعض العلماء فيما سبق ذكره والله أعلم .

( الفصل الثامن )

(( المنكرون للحوض ))

=====

ورغم ما تقدم من تظافر الأدلة الصحيحة التي بلغت حشد

التواتر كما مر ورغم اطباق جميع السلف على القول باثباته .

فانه وجد من بين من ينتسب الى الاسلام من : ينفي وجود

الحوض مطلقا ، ومنهم من يجوز التوقف فيه .  
وهو من كونه كذا هو من السائل الواجب المتقارنها

أما الذين ينسب اليهم انكاره فهم :

( ١ ) فرقة المعتزلة .

( ٢ ) الخوارج .

( ٣ ) ومن افراد الناس الذين كانوا ينكرونه ابن زياد .

أما الذين توقعوا فيه فهم الاباضية .  
وهو من كونه كذا هو من السائل الواجب  
أخفا دها  
فتم الإيضاح

وفيما يلي بيان اثبات ذلك عنهم

١ - أما انكار المعتزلة للحوض : فهو ما أثبتته عنهم السفاريني في

كتابه ( لواعق الأنوار ) بقوله :

" خالفت المعتزلة فلم تقل باثبات الحوض مع ثبوته بالسنة

الصحيحة الصريحة " (١)

---

(١) لواعق الأنوار ج ٢ ص ٢٠٢ .

ويقول الجيلاني :

" وقد أنكرت ذلك الممتزلة فلا يسقون منه ويدخلون النار  
وردا عطشا ان لم يتبوا عن مقاتلهم وجهودهم الحق ورد الآيات  
والأخبار والآثار " (١) .

وأما عن انكار الخواج والممتزلة أيضا ، فهو ما ذكره الحافظ  
ابن حجر بقوله :

( قلت انكره الخواج بمعنى الممتزلة ) (٢)

ويقول الجيلاني عن انكار الخواج له :

" ولا يؤمنون بعذاب القبر ولا الحوض ولا الشفاعة ولا يخرجون  
احدا من النار " (٣) .

وأما الفرق التي نسب اليها القول بانكار الحوض دون ذكر

اسمها فهو ما ذكره الأشعري عنهم بقوله :

" قال أهل السنة والاستقامة ان للنبي صلى الله عليه وسلم

حوضا يسقى منه المؤمنون ولا تسقى منه الكافرين ، وانكروم الحوض  
ودفعوه " (٤)

---

(١) الفنية ج ١ ص ٨٥ .

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٧ .

(٣) الفنية ج ١ ص ٨٥ .

(٤) المقالات ج ٢ ص ١٦٥ .

وقال ابن حجر :

" وانكرت ذلك طائفة من المتدعة واحالوه <sup>(١)</sup> على ظاهره  
وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حملته  
على ظاهره وحقيقته ولا حاجة تدعو الى تأويله فخرق من حرفه  
اجماع السلف وفارق مذهب ائمة الخلف " <sup>(٢)</sup> .

ولعمداه يشير بهذه الطائفة التي ذكرها الى الخوارج والمعتزلة

كما مر .  
اما قوله ~~بأنه لو نفيه فهم الاباضية حسب~~  
الواجب اعتقادها

ما يظهر من كلام علمائهم فهم يشبهونه على أنه من مسمات الفحاش  
وليس من المسائل التي يجب اعتقادها .

فالسالى من علمائهم يقول :

والكسب والصحف حوت اعمالا والحوض حق فاترك الجسد الا

وهند شرح السالى لهذا البيت من النظم قال

" هذه المسألة مما يسع جهله لمن لم ييلفه تواتر الأخبار

ويجوز التصديق بخبر الواحد فيها لأنها من زيادة الفضائل لنبينا

عليه الصلاة والسلام فالتصديق بها تصديق بمزيد فضيلة له ، ولذا

(١) أى جعلوه مستحيلا .

(٢) فتح البارى ج ١١ ص ٤٦٧ .

قال الصنف والحوض حق ولم يقل والايمان به واجب ولم يذكره مع  
السائل التي يجب اعتقادها في أول الفصل .  
وعن معنى قوله : " فأترك الجدالا " يقول أى في حقيقته  
فان الأخبار واردة به كما رأيت فان انكرتها وهى في نفس الأمر  
مطابقة للواقع كمت منكر لما هو حق في نفس الأمر فالوقوف ان لم  
تصدق أولى من الانكار وأسلم فانها وان كانت لا تقوم بها حجة  
عليك فلا يصح تكذيبك لراويها ، وهكذا يجب في كل حديث  
ورد فيه محتمل للحق ان لا يرد فان قامت به حجة فذاك والا فأمر  
راويه الى الله " (١)

وأما انكار ابن زياد له :

فقد اشتهر عنه هذا الانكار وكان شديدا على من يقول به  
وقد جرت بينه وبين بعض الصحابة الذين كانوا يحدثون بالحوض  
مساءلات ومشادة بلغت الى حد السباب من قبل عبيد الله بن زياد  
كما وقع ذلك مع الصحابي أبو برزة الاسلمي رضى الله عنه حينما دخل  
عليه فقد قابله ابن زياد بسوء الأدب والتكذيب ، ولكن أبو برزة  
غضب من انكار ابن زياد ورد عليه ردا عنيفا كما في رواية عبد السلام  
ابن أبى حاتم أبو طالوت : " قال شهدت أبا برزة دخل على

---

(١) مشارق أنوار العقول ص ٢٨٢ .

عبيد الله بن زياد فحدثني فلان سماه مسلم<sup>(١)</sup> وكان في السماط<sup>(٢)</sup>  
فلما رآه عبيد الله قال ان محمديكم هذا الدهداح<sup>(٣)</sup> ففهمها الشيخ  
( أبو برزة ) فقال ما كنت احسب اني ابقي في قوم يعميرون بصحبة  
محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال له عبيد الله ان صحبة محمد  
صلى الله عليه وسلم لك زين غير شين ثم قال اله انما بعثت اليك  
لأسألك عن الحوض سممت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه  
شيئا ؟ فقال أبو برزة نعم لا مرة ولا اثنتين ولا ثلاثا ولا أربعاً  
ولا خمساً فمن كذب به فلا سقاه الله منه ثم خرج مفضياً<sup>(٤)</sup>  
أما زيد بن أرقم فكان له معه موقف أغلظ من الموقف السدي  
كان مع أبي برزة فقد أخرج الامام أحمد عن يزيد بن حيان التميمي  
قال حدثنا زيد بن أرقم قال : " بعث الي عبيد الله بن زياد فأتيته  
فقال ما أحاديث تحدثها وترويها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لا نجدها في كتاب الله تحدث أن له حوضاً في الجنة ؟ قال قد حدثناه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدناه ، قال كذبت ولكك شيخ  
قد خرفت ، قال اني قد سمعته انماى ووعاه قلبي من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول من كذب على محمد فليتبوأ مقعده من

---

(١) يعنى به مسلم بن ابراهيم الذى روى عنه أبو داود هذا  
الحديث .

(٢) هم الجماعة من الناس .

(٣) هو التصير جامع الاصول ج ١٠ ص ٤٦٦ .

(٤) أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٥٣٩ .



جهنم وما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم " (١)

وكذلك أنس رضى الله عنه فانه قد حضر مجلس ابن زياد

وهم يذكرون الحوض فقال ابن زياد هذا أنس قال أنس فقلت

لقد كانت عجائز بالمدينة كثيرا ما يسألن ربهن أن يسقيهن

من حوض نبيهن " قال ابن حجر (٢) وسنده صحيح .

وفى رواية عن أنس أيضا أنه قال : " ما حسبت أن أعيش حتى

أرى مثلكم ينكر الحوض " (٣) .

وما يجدر ذكره ان ابن زياد قد رجع اخيرا عن تكذيبه

بالحوض حينما بين له أبو سبرة الامر وفى هذا يقول ابن حجر رحمه الله

" ومن كان ينكره - يبنى الحوض - عبيد الله بن زياد أحد أمراء الصرق

لعاوية وولده " ، الى أن يقول ابن حجر : " ومن طريق يزيد

بن حبان التيمي : شهدت زيد بن أرقم ومث اليه ابن زياد فقال

ما أحاديث تبلغنى انك تزعم أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم

حوضا فى الجنة ؟ قال : حدثنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعند أحمد من طريق عبد الله بن بريدة عن نبي سبرة - بفتح المهملة وسكون

الموحدة الهذلى قال : قال عبيد الله بن زياد ما أصدق بالحوض

---

(١) أخرجه الامام أحمد : ج ٤ ص ٣٦٧ .

(٢) ، (٣) فتح البارى ج ١١ ص ٤٦٨ .

وذلك بعد أن حدثه أبو هريرة والبراء وعائذ بن عمرو فقال له أبو سبرة  
بعثني أبوك في مال إلى معاوية فلقيني عبد الله بن عمرو فحدثني  
وكتبته بيدي من فيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
" موعدهم حوضي " الحديث فقال ابن زياد حينئذ : أشهد أن الحوض  
حق " (١)

---

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٤٦٨ وانظر الشريعة للأجري ص ٣٥٤ .

(( الرد على من ينكر الحوض ))

=====

رأينا فيما سبق بحثه مما أوردنا من الأدلة القاطنة  
التواترة ومن أقوال العلماء في اثبات الحوض ما يدحض شبهة من كان  
في قلبه شبهة في ثبوت حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .  
كما أنه لا يجحد بعد ذلك مدلول تلك النصوص الصحيحة  
الصريحة التواترة بمد أن يقف عليها الا من كان في قلبه زيغ وسلك  
مسالك أهل البدع <sup>(١)</sup> ، وهو في انكاره هذا ليس له ما يثبت به  
انكاره لا من العقل ولا من النقل ، قال السفاريني " ان الحوض  
ثابت بالسنة التواترة وظاهر الكتاب فمكره زائع عن الصواب " <sup>(٢)</sup> .

وقال أبو محمد بن حزم :

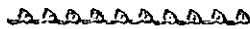
" وأما الحوض فقد صحت الاثار فيه وهو كرامة للنبي  
صلى الله عليه وسلم ولمن ورد عليه من أمته ولا ندرى لمن انكره متعلقا  
ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا ولا غيره " <sup>(٣)</sup>  
وبالاضافة الى ما تقدم فان العقل لا يستبعد ذلك ولا يحيله  
ويكفى في ذلك الامكان .

---

(١) ، (٢) أنظر لوامع الأنوار ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٣) الفصل ج ٤ ص ٦٦ .

وقد كان السلف يقولون عن مفكرى الحوض عارتهم المشهورة  
" من كذب به فلا سقاء الله منه " ، وكانوا يستمظمون انكاره ويشددون  
في الرد على من ينكره كما وقع لكثير من الصحابة الذين ذكرنا مواقفهم  
مع ابن زياد فيما سبق كذلك فان المنكرين له ليس لهم دليل لا من  
العقل ولا من النقل فيبقى انكارهم لا معنى له ، بل هو اتباع الهوى  
الذى يستحق صاحبه الذم .



(( هل ثبت أن لكل نبي حوضا يخصه ))

=====

فيما سبق بحثه ثبت أن للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حوضا مورودا كرامة من الله تعالى له ، ورأينا أنه لم يخالف في ثبوته الا بعض أهل البدع ، واذا كان حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتا بما لا ريب فيه فهل هذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم أم أن لكل نبي حوضا ؟

الواقع أن هذه المسألة محل خلاف ، وان كان كثيرا من العلماء يذهب الى أن لكل نبي حوضا الا أنه لا يزال فيها بعض الغموض اذا ادلة التي يستدلون بها لا تفي باثبات ان لكل نبي حوضا يخصه .

ومن أدلة الاثبات ما جاء عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون <sup>الجميع</sup> ~~الجميع~~ أكثر واردة (١) وانى أرجو أن أكون أكثرهم واردة " (٢)

وهذا الحديث مرسل لأنه من رواية الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولولا تلك العلة لكان الحديث قاطعا لكل شك فسي هذه المسألة .

---

(١) الواردة القوم يردون الماء .

(٢) أخرجه الترمذى ج ٢ ص ٧٢ ثم قال : " قال أبو عيسى هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح " .

وأخرج الهزار من حديث بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي حوضا ما بين بيت المقدس الى الكعبة ماءؤه ابيض من اللبن فيه عدد الكواكب آتية وانا فرطكم على الحوض ولكل نبي حوض وكل نبي يدعو أمته فمنهم من يرد عليه الفئام من الناس ومنهم من يرد عليه ما دون ذلك ومنهم من ترد عليه المصابة ، ومنهم من يرد عليه الرجلان والرجل ومنهم من لا يرد عليه احد فيقول اللهم قد بلغت اللهم قد بلغت ثلاثا " (١) .

وقال ابن حجر : " وقد اشتهر اختصاص نبينا صلى الله عليه عليه وسلم بالحوض لكن اخرج الترمذى من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا ، وأشار الى أنه اختلف في وصله وارساله ، وان المرسل أصح قلت : والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته الا أنهم يتباهون ايهم أكرت بها واني لأرجو أن أكون أكرهم بها .

وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن سمرة موصولا مرفوعا مثلثه وفق سنده لين ، وأخرج ابن أبي الدنيا أيضا من حديث سميد رفعه " وكل نبي يدعو أمته ولكل نبي حوض فمنهم من يأتيه الفئام ومنهم من يأتيه المصبة ، ومنهم من يأتيه الواحد ، ومنهم من يأتيه الاثنان ، ومنهم

من لا يأتيه أحد وانى لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وفي أسناده  
لين وان ثبت فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذى يصب  
من مائه فى حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الاثتان عليه به فى  
السورة المذكورة - يعنى الكوثر - (١)

وقد أخرج الامام مسلم فى صحيحه - كما قدمنا - عن أبى هريرة  
رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " انى لأزود عن  
حوضى رجالا كما تزداد الفريضة من الأهل " (٢)

وهذا الحديث قد يستدل به من يقول بتمدد الأحواض  
وان كل نبي يزود عن حوضه لكنه ليس صريحا فى اثبات ذلك ، وقد  
تقدم النقل عن ابن حجر فى تحليله لذور الرسول صلى الله عليه وسلم من  
ليس من أمته عن حوضه بأن ذلك ارشادا منه صلى الله عليه وسلم لاتساع  
الانبياء ليردوا أحواض أنبيائهم ، وان هذا انصاف منه صلى الله  
عليه وسلم ورعاية لحرمة اخوانه من النبيين .

وقال السفاريني : " وورد فى بعض الأخبار أن لكل نبي حوضا  
الا صالحا عليه السلام فان حوضه ضرع فاقته " (٣)

ولم يذكر تلك الأخبار ولم اجدها فى نص ثابت .

---

(١) فتح البارى ج ١١ ص ٤٦٧ .

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦١ .

(٣) لوامع الأنوار ج ٢ ص ٢٠٣ .

ويقول القرطبي : " وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون أيضا في الموقف " (١) .

ويقول ابن أبي المز : وقد ورد في أحاديث ان لكل نبي حوضا وان حوض نبينا صلى الله عليه وسلم أعظمها وأهلها وأكبرها واردا جعلنا الله منهم بفضله وكرمه " (٢) .

ويقول السيد سابق : " ان لكل نبي حوضا يشرب هو وأمة منه بعد الموقف وقيل دخول الجنة ولنبينا حوض كذلك " (٣) .

وهعد عرض اقوال العلماء هذه فانه يستفاد من تلك الأقوال

مع النصوص الأخرى :

ان اثبات أحواض الأنبياء الآخرين غير نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ما يحتاج الى دليل ثابت خال عن شائبة الضعف على أن من أثبت ذلك استغناسا بتلك الروايات وأقوال العلماء لا حرج عليه - فيما أرى - ومن توقف فكذا ان الأحاديث التي تقدمت ضعيفة وأقوال العلماء مهما كانت محترمة فان طلب الدليل الصحيح ، ونصوصا في مثل هذه المسائل الغيبية أمر لا جدال فيه ، على أن مقتضى الحال لا ينفى أن يكون لكل نبي حوضا ينضمه وذلك لاشترك جميع

---

(١) التذكرة ص ٣٠٣ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ .

(٣) العقائد الإسلامية ص ٢٨٧ .



الأمم في الحاجة الى الشرب في ذلك الموقف العظيم لأن الشرب منه  
انما يكون لما يلحق الناس من العطش كما جاء عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، والمطش لا يقتصر على أمة دون أخرى ، واذا كان  
المؤمنون من أى أمة كانت قد اشتركت في الضرورة الى الماء فهم كذلك قد  
اشتركوا في الايمان بالله وطاعته والمفاضلة بينهم لا يلزم أن تكون فسق  
السقى من الماء وهو أمر ضرورى .

\* \* \*

\* \*

\*

\*\*\* الباب الخامس عشر \*\*\*

(( الكوثر ))  
م م م م م م

ويشتمل الفصول الآتية :

الفصل الأول : تعريف الكوثر في اللغة والاصطلاح .

الفصل الثاني : الأدلة على إثبات الكوثر : ١- من القرآن الكريم .

٢- من السنة النبوية .

الفصل الثالث : تسمية الكوثر بالحوض ، والحوض بالكوثر وبيان وجه الاتصال

• بينهما .

الفصل الرابع : اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم بالكوثر دون غيره

• من الأنبياء .

الفصل الخامس : صفات الكوثر .

=====

=====

=====

=====

(( لماذا اثبت بحث الكوثر وهو من الامور التي في داخل الجنة )) -

لم تتفق كلمة العلماء على التفرقة بين الحوض والكوثر في التسمية بحيث يقع بينهما التباين حتى يتضح الحكم بعد ذلك بشأنهما بل وقع التداخل في تسميتهما عند كثير من العلماء .

فبعضهم يذهب الى ان الحوض هو الكوثر والكوثر هو الحوض ، وبعضهم يذهب الى الفصل في التسمية ثم يفاجأ ببعض النصوص الواردة في الكوثر والتي هي تصدق على الحوض فيذهب في التكلف للجواب عن ذلك باجابات بعيدة عن الصواب كما سنذكر مثال ذلك .

كما أن الذي حملنى ايضا على ذكر الكوثر هنا ان هناك أحاديث تدل على ان الكوثر وهو في داخل الجنة ميزابان يسبان في الحوض الذي هو في الموقف ليشرب منه من شاء الله من السمداء .

فلاجل هذا الاتصال فيما بين الحوض والكوثر أحببت أن ادخله في بحث الرسالة ايضا وتعيما للفائدة بطريقة موجزة اعرف الكوثر ثم ابين وجه اتصاله بالحوض ومكان كل منهما فيما يأتي :-

تعريف الكوثر في اللغة والاصطلاح :

تعريفه في اللغة

يطلق الكوثر في اللغة على عدة معان دائرة حول الكثرة والاتساع ومن تعريفات أهل اللغة له ما قاله الأزهرى :

" الكوثر فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير " (١)

وقال الصهرورز آبادى :

" والكوثر الكثير من كل شىء ، والكثير الملتف من الخير والاسلام والنبوة

والرجل الخبير المعطاء <sup>بمعنى</sup> والسيد واليه ونهر في الجنة تتفجر

منه جميع انهارها " (٢)

وعرفه الراغب بقوله :

" قيل هو نهر في الجنة يتشعب عنه الانهار وتيل بل هو الخير العظيم

الذى أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم وقد يقال للرجل السخى كوثر

ويقال تكوثر الشىء كثر كثرته متناهية قال الشاعر وقد ثار نوح الموت حتى تكوثر<sup>(٣)</sup>

وكل تعريفات أهل اللغة في مادة " كثر " تدور حول معنى الكثرة والاتساع .

(١) تهذيب اللغة ١٠ / ١٧٨ .

(٢) القاموس المحيط ٢ / ١٢٦ .

(٣) المفردات ص : ٤٢٦ وانظر : اساس البلاغة ص : ٣٨٧ .

٢- تعريفه فى الاصطلاح : وبيان المراد من الكوثر

اما تعريفه فى الاصطلاح فهو حسب مفهوم تعريفات العلماء له ... على ضوء ما عرفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه نهر فى الجنة ، اعطاه الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم زيادة فى اكرامه ولطفه به وبأتمته . وهو متصل بالحوش الذى هو فى الموقف كما اشرنا الى ذلك فى مبحث الحوش وكما سيأتى ايضا .

وقد فسر الكوثر بأنه نهر فى الجنة كما جاء فى حديث ابن عبادة عن عائشة رضى الله عنها انه قال سألتها عن قوله تعالى ( انا اعطيناك الكوثر ) قالت هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجسوف آيته كعدد الدجوم ( ١ )

فهذا الحديث ليس فى تفسير الكوثر بأنه النهر الذى اعطيه الرسول صلى الله عليه وسلم على انه قد جاء فى رواية ابن عباس انه فسر الكوثر تفسيراً عاماً يدرج تحته الكوثر الذى هو النهر فى الجنة وغيره وذلك فيما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فى الكوثر هو الخير الذى اعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبيرة فان الناس يزعمون انه نهر فى الجنة فقال سعيد : النهر الذى فى الجنة من الخير الذى اعطاه الله اياه (٢)

---

(١) البخارى ٨ / ٧٢١ .

(٢) المصدر السابق .

وهذا جمع من سعيد بن جبير بين حديثي ابن عباس وعائشة وما في معناه  
ما يدل على تفسير الكوثر بالنهر ، قال ابن حجر :  
هذا تأويل من سعيد بن جبير : بين حديثي عائشة وابن عباس  
وكأن الناس الذين عناهم ابو بشر ابو اسحاق وقتادة ونحوهما ممن روى  
ذلك صريحا ان الكوثر هو النهر (١) على انه لا تعارض بين تفسير ابن عباس  
وتفسير عائشة للكوثر كما ذكر ابن حجر الحسقلاني اذ ان حاصل ما قاله  
سعيد بن جبير ان قول ابن عباس رضي الله عنهما انه الخير الكثير لا يخالف  
قول غيره ان المراد به نهر في الجنة لأن النهر فرد من افراد الخير الكثير  
ولعل سعيدا أو ما الى ان تأويل ابن عباس أولى لعمومه لأنه يشمل كل  
خير كثير مفرد من علم وعمل وشرف الدارين وهذا وان كان تأويلا حسنا  
لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم من عدة طرق  
عن عدد من الصحابة فلامعدل عنه لثبوت ذلك وصحته عن الذي انزل  
عليه الوحي " (٢) وقد أيد سيد قطب رحمه الله تفسير ابن عباس للكوثر  
بأنه الخير الكثير وقال " ان هذا هو الاسبب في هذا السياق وفي هذه  
الملايسات (٣) على انه قد جاء في بعض الروايات عن ابن عباس انه فسر  
الكوثر بالنهر الذي في الجنة (٤) كما في التفسير المنسوب اليه وكما اخرج  
ابن مردويه عنه ذلك (٥) وهذا هو رأي حذيفة (٦) أيضا

(١) فتح الباري ٨ / ٧٢٢ .

(٢) شرح ثلاثيات المسند ١ / ٥٣٥ وفتح الباري ٨ / ٧٢٢ .

(٣) في ظلال القرآن ٣٠ / ٣٩٨٨ .

(٤) انظر: تنوير المقباس ٦ : ٤٠٠ مع الدر المنثور .

(٥) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٥ / ٥٠٣ .

(٦) المصدر السابق .

وهناك اقوال لاهل العلم في بيان معنى الكوثر هي في الواقع لا تخرج عن  
مضمون ما سبق قال الشوكاني : \* ونذهب أكثر المفسرين كما هناك الواحدى  
الى ان الكوثر نهر في الجنة وقيل هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في  
الموقف قاله عطاء وقال عكرمة الكوثر النبوه وقال الحسن هو القرآن وقال الحسن  
ابن الفضل هو تفسير القرآن وتخفيف الشرائع وقال أبو بكر بن عياش هو كثر  
الاصحاب والامة وقال ابن كيسان هو الايثار وقيل هو الاسلام وقيل رفعه  
الذكر وقيل نور القلب وقيل الشفاعة وقيل المعجزات وقيل اجابة الدعوة ، وقيل  
لا اله الا الله ، وقيل الفقه في الدين وقيل الصلوات الخمس ( ١ ) وذكر

السيوطى عن مجاهد رضى الله عنه قال : الكوثر خير الدنيا والاخرة (٢)  
فهذه الاقوال لا ينافى بعضها بعضا اذ انها تشترك في اثبات ان خيرا خسر  
الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم اكراما وتشريفا له وهذا يصدق على كل  
ما قيل في ذلك اما القول الاول وهو ان الكوثر نهر في الجنة فهذا هو الراجح  
في بيان معناه والذي تشهد له النصوص كما اشرنا اليه .

وأما القول الثانى وهو ان الكوثر هو نفس الحوش الذى وعد به نبينا محمدا  
صلى الله عليه وسلم فهو من باب تغليب التسمية باعتبار ما يصب فيه من الكوثر  
الذى هو داخل الجنة كما سيأتى في وجه الاتصال بينهما واما الاقوال  
الاخري فانها كلها تهدف الى اثبات خير اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم

( ١ ) فتح القدير ٥ / ٥٠٢ - ٥٠٣ فتح البارى ٨ / ٧٣٢ .

( ٢ ) الدر المنثور ٦ / ٤٠٣ وعزاه الى ابى جرير وابن عساكر .

وكلمها تدخل في تعريف من عرف الكوثر بأنه الخير الكثير وان كان في تلك الصفات ما يختص به وهذه ومنها ما يشركه فيها غيره من الانبياء والرسائل واتباعهم كالشفاعة مثلا وفي هذا يقول الخازن في تفسيره " فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم اعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واطهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى الاقوال في الكوثر الذي عليه جمهور العلماء انه نهر في الجنة<sup>(١)</sup> وقال النيسابوري: " قال أهل المصنعي ولعله انما سمي كوثرًا لأنه اكثر انهار الجنة ماء او خيرا ولا ن انهار الجنة تتفجر منه " (٢)

ويقول ابن حجر: " والكوثر فوعل من الكثره سمي بها النهر لكثرة مائه وآبئته وعظم قدره وخيره " (٣)

وقد ذكر النيسابوري اضافة الى ما سبق من الاقوال قولين يبدو عليهما اثر التكلف مثل القول بأن المراد بالكوثر هم اولاد الرسول صلى الله عليه وسلم أي اولاد ابنته فاطمة أو هم علماء امته (٤) وهما وان كانا داخلين في عموم

---

(١) تفسير الخازن ٤/١٤٤ تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل .

(٢) غرائب القرآن ٣٠/١٩٤ .

(٣) فتح الباري ٨/٨٣١ .

(٤) غرائب القرآن وغرائب القرآن ٣٠/١٩٥ .



لفظ الكوشر بمعناه اللغوي الا انها لا دليل عليهما وفيما يلي تعرض ادلة

اثبات الكوشر من القرآن الكريم والسنة النبوية .

- ١٣٥٥ -

\*\*\* الفصل الثاني \*\*\*

— ( الادلة على اثبات الكوثر ) —

=====

١- من القرآن الكريم

=====

جاء في كتاب الله عز وجل الامتان على نبي الله محمدا صلى الله عليه

وسلم بما حباه به ربه من اعطائه الكوثر فقال عز وجل مبشرا له .

( انا اعطيناك الكوثر فضل لترك وانحر ان شانئك هو الابتر ) ( ١ )

فهذه الاية الكريمة صريحة في ثبوت الكوثر لكنها لم تحدد موقعه ولكن جاءت

السنة النبوية فوضحت ذلك وأنه نهر في الجنة .

وهذا ما نتبينه في الادلة الاتية من السنة النبوية .

٢- أدلة اثباته من السنة :

=====

اخرج البخارى عن ابى عبيدة عن عائشة رضى الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى ( انا اعطيناك الكوثر ) قالت هو نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم

شاطئه عليه در مجوف أنيته كمد د النجوم " (١)

وعن أنس رضى الله عنه قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء

قال : أتيت على نهر حافظاه قباب اللؤلؤ مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال

هذا الكوثر . (٢)

وفى رواية اخرى للبخارى عن انس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال بينما انا اسير فى الجنة اذا انا بنهر حافظاه قباب الدر المجوف قلت

ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى اعطاك ربك فاذا طينه او طيبه مسك

ان فر " (٣) وهذه الرواية همدت ليلة الاسراء .

وعن انس رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

بين اظهرنا ان اغفى اغفاءة (٤) ثم رفع رأسه ميتسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله

قال أنزلت على آتفا (٥) سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر

فصل لربك وانحر وان شانك هو الأبر (٦) (٧)

---

(١) سبق تخريجه . (٢) المصدر السابق .

(٣) البخارى ١١ / ٦٤٤ والذى شك هو هذبة راوى الحديث هل قال الرسول

صلى الله عليه وسلم طينه او طيبه ( ) .

(٤) اغفى اغفاءة : أى نام

(٥) آتفا : أى قريسا .

(٦) شانك : أى ميفضك .

(٧) الأبر : هو المنقطع المقب .

ثم قال : ( اندرون ما الكوثر (١) فقلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه  
رس عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم  
فيختلج (٢) العبد منهم فأقول رب انه من امتي فيقول ماتدرى ما أحدثت  
بعدك زاد ابن حجر في حديثه بين اظهرنا في المسجد وقال ما احدث بعدك<sup>(٣)</sup>  
والقائل له هذا القول : يحتمل ان يكون من الملائكة ويحتمل ان يكون الله  
تعالى (٤) .

ولعل هذا الحديث انما يتوجه الى الحوض الذي هو خارج الجنة بدليل ما يقع  
فيه من اختلاج اقوام ومنعهم من الشرب منه ان لو كان المراد النهر الذي هو  
داخل الجنة لما حصل المنع والاختلاج واما تسميته بالكوثر فان ذلك يرجع  
الى ملاحظة أن ماء الحوض انما هو من الكوثر حيث يمد منه بواسطة ميزابيين  
ولهذا فان الداودي استشكل ما جاء من اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم  
بأن نهر الكوثر داخل الجنة بقوله عليه الصلاة والسلام بينا انا اسير فسى  
الجنة ان انا بنهر الخ . . . . الحديث .

وبين ما جاء في طرد اناس واختلاجهم عنه بعد ما يراهم وينادي بهم ومعلوم أن  
تلك الرواية له صلى الله عليه وسلم حصلت في ليلة الاسراء فظن الداودي

---

(١) الكوثر: نهر في الجنة كما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم هنا وفسى

بعض الاحاديث انه الخير الكثير .

(٢) يختلج اي ينتزع ويقطع .

(٣) مسلم ٣٧/٢ .

(٤) شرح ثلاثيات المسند ٥٣٦/١ .

- كما يذكر ابن حجر - أن هذا يكون في يوم القيامة لانه قال : " ان كان هذا محفوظا دل على ان الحوض الذي يدفع عنه اقوام غير النهر الذي فسق الجنة ويكون يراهم وهو داخل الجنة وهم من خارجها فيناديهم فيصرفون عنه" قال ابن حجر: مملقا على هذا القول :

" وهو تكلف عجيب يفتى عنه ان الحوض الذي هو خارج الجنة يمد من النهر الذي هو داخل الجنة فلا اشكال أصلا " (١)

وقد جاء التصريح كذلك بأنه نهر في الجنة في رواية الامام احمد وقد ذكرها بما تقدم عند مسلم بزيادة قال هو نهر اعطاه ربي عز وجل في الجنة

الحدِيث (٢) .

وقد قال النووي في شرحه للحدِيث :

" والكوشر هنا نهر في الجنة كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم وهو في موضع

آخر عبارته عن الخير الكثير " (٣)

هـ - وعن المختار بن فلفل قال : سمعت انس بن مالك يقول اغفى رسول الله

صلى الله عليه وسلم اغفأة بنحو حديث ابن مسهر ( أى السابق ) غير انه

قال نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه حوض ولم يذكر انيته عدد النجوم (٤)

---

(١) فتح البارى ١١ / ٤٧٣ .

(٢) المسند ٣ / ١٠٢ .

(٣) شرح النووي لمسلم ٢ / ٣٧ .

(٤) مسلم ٢ / ٣٨ " النووي " وأبو داود ٢ / ٥٣٨ .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الكوشر  
نهر من الجنة حافظاه من ذهب مجراه على الياقوت والدر تربته اطيب من  
المسك وماؤه أحلى من العسل واشد بياضا من الثلج " (١)  
وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ما الكوشر فقال ( ذاك نهر اعطانيه الله - يمشى فى الجنة - اشد بياضا من  
اللبن وأحلى من العسل فيه طير اعناقها كأعناقى الجزر (٢) قال عمر : ان هذه  
لنا عمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اكلتها انعم منها ) (٣)  
واخرج الطبرى (٤) عن انس ان القائل " انها لنا عمة " هو ابو بكر رضى الله  
عنه واخرج ايضا رواية اخرى ان القائل هو عمرو ولا مضافة فى هذا فيمكن أن  
يكون كل منهما قد قال هذا القول ولا مانع من حصول هذا والله أعلم .  
وفى رواية الامام أحمد " أكلتها انعم منها "  
وعند الطبرى " أكلها انعم منها " وفى الاولى جاء الوصف لبيان لذة أكلها  
وفى الثانية جاء الوصف لبيان نعومة أكلها وفى كلتا الحالتين فالأمر لا يختلف  
فان أكلها ناعم ولذيذ وأكلها كذلك ناعم .

- 
- (١) ابن ماجه ١٤٥٠/٢ والترمذى فى جامعه ٤٥٠/٥ .  
(٢) الجزر : جمع جزور وهو البصير ذكرا كان او انثى الا ان اللفظة مؤنثة .  
جامع الاصول ٤٦٧/١٠ .  
(٣) اخرجه احمد فى المسند ٢٢٠/٣ .  
(٤) جامع البيان ٣٢٤/٣٠ .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الكوثر  
نهر فى الجنة هافته من ذهب والماء يجرى على اللؤلؤ وماؤه اشد بياضا  
من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك اكوابه مثل نجوم السماء  
من شرب شربة لم يظمأ بعدها أول الناس ورودا على صمالك المهاجرين  
قليل من هم يارسول الله قال الشمثة رؤسهم النخيفة وجوههم الدنسه ثيابهم  
لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المنعمات الذين يعطون كل الذى عليهم  
ولا يأخذون كل الذى لهم ) (١)

وعن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( اعطيت الكوثر قلبت  
يا رسول الله وما الكوثر قال : نهر فى الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق الى  
المغرب لا يشرب منه احد فيظمأ ولا يتوضأ منه احد فيشمت لا يشرب منه من  
اخفرتى ولا من قتل أهل بيتى ) (٢)

وبعد ذكر ما تقدم من الادلة المثبتة للكوثر فان ما يعتقد به بعض الناس من أن  
خيرير الكوثر يسمع عند ما يضع الشخص أصبعيه فى اذنيه قول غير صحيح  
وما استدلوا به من حديث يروى عن عائشة رضى الله عنها فى اثبات ذلك فقد  
ذكر العلماء أن الحديث لا يصح ونص الحديث عن عائشة رضى الله عنها

---

(١) اخرجه ابن ماجه ١٤٣٨/٢ والترمذى ٦٢٩/٤ .

(٢) ذكره السيوطى فى البدور السافرة ص ٤٢ " فلم " وعزاه الى الطبرانى .

انها قالت من احب ان يسمع خرير الكوثر فليجعل اصبعه في اذنه " (١)

ذكره السيوطي في كتابه البدور السافره وعزاه الى هناد في الزهد وقد

أخرج الحديث الطبري وقال في سنده حدوثا احمد بن سريج الرازي الى

أن يقول: " عن مجاهد عن رجل عن عائشة ثم ساق الحديث باختلاف فسق

الالفاظ واخرجه الطبري كذلك من رواية اخرى عن ابن ابي نجيع عن عائشة<sup>(٢)</sup>

وقد وصف ابن كثير هذه الرواية بأنها منقطعة بين ابن ابي نجيع وعائشة

وقال السهيلي فيما ينقله عنه ابن كثير وصاحب النشر الطيب انه رواه الدارقطني

مرفوعا من طريق مالك بن مفلح عن الشعبي عن مروان عن عائشة عن النبي

صلى الله عليه وسلم (٣) وقال الوزاني ولم ارى احدا صححه بل هو منقطع

وقد علق الشيخ عبدالله محمد الصديق - فيما يذكره عنه الوزاني - على هذا

الحديث بقوله " هذا حديث موضوع " (٤)

وعلى هذا فلا صحة للقول بأن خرير الكوثر يسمع في الدنيا عندما يضع

الشخص اصبعه في أذنه وعلى فرض صحة ذلك فالمعنى انه يسمع نظير خرير

الكوثر لا الكوثر نفسه وبما تقدم نكتفي من ايراد الادله من السنة على اثبات

الكوثر .

---

(١) البدور السافره " فلم " .

(٢) جامع البيان ٣٠ / ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٥٧ .

(٤) النشر الطيب ٢ / ٣٩١ .



\*\*\* الفصل الثالث \*\*\*\*

~~~~~

- (تسمية الكوثر بالحوض والحوض بالكوثر وبيان وجه الاتصال بينهما) -

=====

فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الكوثر بأنه نهر في الجنة من انهارها
وأخبر عن الحوض بما يدل على انه في الموقف في عرصات القيامة وأخبر عن وجه
الاتصال بينهما بأن ذلك يتم بواسطة ميزابين يجريان من الكوثر الى الحوض
ولكن وقع خلاف بين العلماء في اطلاق التسمية فهل هناك فرق بينهما وكيف
أطلق بعض العلماء التسمية على الحوض انه الكوثر واستدل لاثباته من القرآن
الكريم بسوره الكوثر .

والجواب عن ذلك :

ان تفسير الكوثر بأنه نهر في الجنة هو ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما تقدمت ادلة ذلك وعلى هذا الرأي كثير من العلماء ومنهم :

الامام الطبري حيث قال بعد ان ذكر اقوال العلماء في معنى الكوثر :-

وأولى هذه الاقوال بالصواب عندي قول من قال هو اسم النهر الذي أعطيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة وصفه الله بالكرة لعظم قدره " (١)

ومنهم كذلك الشوكاني فهو بعد ان اورد بعض الاحاديث التي تثبت الكوثر

بأنه نهر في الجنة قال :-

فهذه الاحاديث تدل على ان الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتمتع المصير

اليها وعدم التمويل على غيرها) (١)

وليس معنى هذا ان يفصل اتصال الكوثر بالحوض فان اتصالهما امر معلوم
كما ورد .

وأما الذين أطلقوا تسمية الكوثر على الحوض فهو من باب تغليب الاصل على
الفرع وقد اصبح معلوما ان موقع الحوض غير موقع الكوثر وتسمية الحوض بفض
النظر عن اتصاله بالكوثر - غير الكوثر ، ولكن الايراد يأتي على من فسر
الكوثر بالحوض حيث غلب الفرع على الاصل مثلما كان يفسر عطاء الكوثر لمن
يسأله عنه بالحوض الذي يكثر الناس عليه أي حوض نبينا صلى الله عليه وسلم (٢)
وكذلك ما يذكره صاحب النشر الطيب ان الكوثر هو الحوض وان هذا هو قول
الجمهور وذلك في قوله (اختلف في تفسير الكوثر على اقوال الاول انه الحوض
وصححه ابن جزى وعليه الجمهور لظاهر هذا الحديث - يعنى به حديث
أنس في وصف الكوثر والطير التي ترد عليه - ولما في الصحيحين عن انس عنه
صلى الله عليه وسلم حين انزلت عليه سورة الكوثر اتدرون ما الكوثر (٣) الشيخ
الحديث .

ومثله ما ذكره عاشور في كتابه " نعيم الجنة من ان " الكوثر هو حوض النبي
صلى الله عليه وسلم وهو رأى الجمهور " (٤)

(١) فتح القدير ٥/٥٠٣

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير ٩/٢٤٩ وجامع البيان ٣٠/٣٢٣

(٣) النشر الطيب ٢/٣٩١

(٤) نعيم الجنة ص : ٤٨

وأما هجتهم في تسمية الحوض بالكوثر فهو ما أشار إليه ابن حجر من أنهم
تسكوا بحد يث المختار بن فلفل .

قال ابن حجر: " وجاء إطلاق الكوثر على الحوض في حديث المختار بن فلفل^(١)
وقد قدمنا ذكر هذا الحد يث وهو واضح في إطلاق الكوثر على الحوض لما فيه
من الصفات التي تليق بالحوض " ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال
هذا لعلة غلب تسمية الكوثر على الحوض مع مراعاة الفوارق بينهما .

أما من ناحية وجه الاتصال بينهما حقيقة فهو ما أخبر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أنه يشخب فيه ميزابان من الكوثر يمدانه .

وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث ثوبان الذي قدمنا
ذكره في باب الحوض بالرابطة التي تربط بين الحوض والكوثر وهو قوله صلى الله
عليه وسلم (يفت في ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخـر

من ورق) (٢)

ومثل حديث ثوبان حديث آخر عن ابن مسعود وفيه التصريح ببيان وجه الاتصال
بين الحوض والكوثر أيضا وهو حديث طويل نأخذ منه قوله صلى الله عليه وسلم

(ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض) (٣) الحديث .

وهو واضح في وجه الاتصال بينهما لولا أن في سند الحديث عثمان بن عمير

(١) فتح الباري ١١ / ٤٦٧ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم ٥ / ١٥٩ / ١٦٠ .

(٣) المسند ١ / ٣٩٩ .

وهو ضعيف كما قال الهيثمي (١) وهذا الضعف لا يؤثر في حقيقة الاتصال
بينهما لثبوت ذلك في صحيح مسلم وهو الحديث السابق .

- (أقوال العلماء) -

~~~~~

وبعد ان أورد الامام ابن كثير بعض الاحاديث في اثبات الكوثر انه نهر في الجنة قال عن وجه الاتصال بينه وبين الحوض " ومعنى ذلك انه يشخب من الكوثر مزابان الى الحوض ، والحوض في العرصات قبل الصراط لانه يختلج منه ويمنع منه اقوام قد ارتدوا على اعقابهم ومثل هو " لا يجاوزون الصراط " (١) ويقول ابن حجر عن سبب اطلاق الكوثر على الحوض ووجه الاتصال بينهما ان " الكوثر نهر داخل الجنة كما تقدم ويأتي ، وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه " (٢)

وقال أيضا : " المراد بالكوثر النهر الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض " (٣)  
أى فليس المقصود بالحوض هو النهر كما هو الواقع .

---

(١) النهاية ٣١/٢ وانظر: الطحاوي ص : ٢٥٠ .

(٢) فتح الباري ٤٦٦/١١ - ٤٦٧ .

(٣) المصدر السابق .

\*\*\* الفصل الرابع \*\*\*

مصمم

— ( . اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم بالكوثر دون غيره من الانبياء ) —

=====

الكوثر نهر من انهار الجنة جعله الله كرامة لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو —

خاص به عليه الصلاة والسلام دون غيره كما تفيد النصوص الثابتة فانه لم ينقل

نظيره لغيره ووقع الامتان عليه به في السورة المذكورة (١) " الكوثر " ويؤيد

هذا ما جاء في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك مرفوعا وفيه : " ثم

مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده

فاذا هو مسك انفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي هبأ لك

ريك (٢)

وذكر السيوطي حديثا عن ابن عباس فيه التصريح على اختصاص الرسول صلى الله

عليه وسلم بالكوثر دون غيره من الانبياء وعزاه الى ابن مردويه .

فقال : واخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله ( انا اعطيناك

الكوثر قال نهر في الجنة عمقه سبعمون الف فرسخ ماؤه اشد بياضا من اللبن

واحلى من المسك شاطئاه الدر والياقوت والزبرجد خشي الله به نبيه محمدا

صلى الله عليه وسلم دون غيره من الانبياء " (٣)

ولم أجد نصا - فيما رأيت - في اثبات عمق الكوثر غير ما تقدم من قول ابن عباس.

---

(١) فتح الباري ١١/٤٦٧ " سورة الكوثر " .

(٢) اخرجه البخاري ١٣/٤٧٨ .

(٣) الدر المنثور ٦/٤٠٢ .

\*\*\* الفصل الخامس \*\*\*

ممم

-( صفات الكوثر ) -

ممممم

وبعد ايراد ادلة اثبات الكوثر نخص بالذكر الصفات الواردة له وهى وان كانت ثابتة ضمن الاحاديث السابقة الا اننا نحب ابرازها كما قدمنا فى ابراز صفات الحوض فبالنظر الى ما اسلفنا من الاحاديث المثبتة للكوثر نجد ان الصفات الواردة له هى نفس الصفات الثابتة للحوض وهذا امر ظاهر وذلك لان الماء الذى فى الحوض انما جاء من الكوثر فهو الاساس وان كانت العناية قد توجهت لدى كثير من الناس الى ابراز صفات الحوض والا اهتمام بها يفض النظر عن صفات الكوثر وعلى اى حال فقد اودع الله تعالى فى الكوثر صفات ومزايا عظيمة .

كيف وقد اعده الله اكراما لنبيه وخليفه محمد صلى الله عليه وسلم وان كان الناس يختارون لضيوفهم احسن المآكل والمشارب فما الظن بالله تعالى الذى هو على كل شىء قدير وقد وعد اهل طاعته بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقد جاء فى رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال : ( نهر من انهار الجنة اعطانيه الله عرضه ما بين ايلة وعدن ) (١) الخ . . . الحديث . فهذا الوصف هو نفس الوصف الذى جاء للحوض كما تقدم غير انه لا يمنع ان يحمل هذا الوصف على الكوثر حقيقة ويكون هذا التحديد

---

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦ / ٤٠٢ .

من باب التقريب ايضاً لمسافة عرض الكوثر ومجمل صفات الكوثر كما وردت بها  
الاحاديث انه نهر في الجنة ماؤه اهلئ من العسل واشد بياضاً من الثلج  
ومن اللبن ماؤه كبير مبارك حافظه خيام الدر المجوف وفي رواية حافظاه من  
ذهب يجرى على الياقوت والدر المجوف طينه من المسك الاذ فربل هو اطيب  
ريحا منه ارضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤه يجرى عليه الماء عرضه وطوله ما بين  
المشرق والمغرب )

آتيه عدد نجوم السماء لا يشرب منه احد فيظماً او يتوضأ منه احد فيشمت وفيه  
طير خلقها الله كأن اعناقها اعناق الابل لنمويتها وسمنها جملة الله فسق  
اعلى الجنة وارفصها موضعاً هذه اهم الصفات الثابتة له والله اعلم .  
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين .



هذا وفي ختام بحث الحوض والكوشر أتوجه الى الله العلى القدير أن  
يشينى على ما بذلته من جهد فى اعداد هذا البحث وان يجعله خالصا  
لوجهه الكريم وان يغفر لى ولكل مسلم ما جانب الصواب من القول كما أسأله  
تعالى ان يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه  
بمنه وفضله .

ثم اود التنبيه الى انى اخرت مبحث الحوض والكوشر فى الترتيب الى آخر  
الرسالة لتسلسل الاعمال الاخرى التى تقع فى يوم القيامة من الحشر والوقوف  
وما بعدهما من أعمال .

كذلك فان تأخير بحث الحوض الى آخر الرسالة ليس أمرا غريبا فقد رأينا  
فيما سبق من قرر من العلماء ان الحوض يكون بعد الصراط والميزان ثم اضافة  
الى ذلك فانى اخرت رغبة فى أن يكون ختامها بالحوض والكوشر تقاؤلا لى  
ولكل قارىء وسامع فو<sup>أن</sup> يسقينا الله تعالى بمنه وكرمه منه انه سميع مجيب  
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين الذى تتم بنعمته الصالحات.

**\*\* الخاتمة \*\***

وبعد الانتهاء - بعون الله تعالى وتوفيقه - من دراسة تلك الفترة الزمنية من أمور اليوم الآخر ، الواقعة ما بين البحث الى دخول الجنة أو النار تبين لى من تلك الدراسة أمور أوجز أهمها فيما يأتى :

١- ان أمر اليوم الآخر والتصديق به من الأمور التى لا يدخل الشخص فى الايمان حتى هو من بها على وفق ما اخبر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عنها ، وان الايمان بذلك مما يحتاج الى يقين قوى اذ ان أكثر ما يضعف من عقيدة الشخص هو الجانب الاخرى وما يقع فيه من أحداث .

٢- ان القرآن الكريم والسنة النبوية قد أوليا اليوم الآخر البيان والايضاح التام الكافى فى أكثر من آية فى القرآن الكريم وأكثر من حديث فى السنة النبوية المطهرة .

٣- ان الايمان بالغيب أمر من العقيدة بالمكان الأعلى ، اذ يتوقف ض ايمان الشخص على الايمان بالغيب .

وقد مدح الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من اتصف بتلك الحقة وهى الايمان بالغيب فى نصوص كثيرة ، ومن ذلك الايمان الجازم بوقوع اخبار اليوم الآخر وهى الحياة الاخرى الخالدة حيث يحيا صاحبها ابدا اما فى نعم واما فى جحيم .

٤- تبين كذلك ان الله تعالى قد ذكر فى القرآن الكريم عدة اسما لىوم القيامة ويعود سبب ذلك الى شدة الاهتمام والعناية بها .

٥- ان البحث أمر واقع وليس بم نحيل افادة الخلق كما كانوا للحساب والجزاء حفاة عمرا فلا كما كانوا فى الدنيا وليس لمن انكره اى مستند

لا من العقل ولا من النقل وليس له ما يدفع به تلك النصوص المتكاثرة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد رأينا من عرض ادلة البعث واليوم الآخر جوانب من مناية القرآن الكريم ، والسنة المطهرة بذكره حيث جاء اثباته بطرق ومسالك عديدة تدل على صفة البعث وكيفية وانه بالروح والجسد معا .

٦- النفخ فى الصور نفخة البعث ثبتت بالقرآن الكريم والسنة المطهرة وظهر كذلك ان العلماء لم يتفقوا على عدد النفخات كما رأينا فيما سبق ذكره .

٧- تبين ان الناس يحشرون على صور شتى وهيئات مختلفة تبعا لما كانوا عليه من الاعمال الطيبة او الخبيثة فى الدنيا .

٨- تبين ان الخلق يحشرون حفاة عراة غرلا مصداقا لقوله تعالى

( كما بدأنا اول خلق نعيده ) ( ١ )

وان اعادة الاعضاء التى يلحقها النقص فى الدنيا او هى ناقصة بطبيعتها محل نظر فيحتمل ان تعاد قياسا على الفرلة ويحتمل ان لا يقع ذلك وان الأولى هو القول باعادتها .

٩- بعث الموتى فى اكفانهم مسألة وقع فيها الخلاف والذى يترجع من ذلك حسبما تفيد النصوص ان الناس فى حالة حشرهم يكونون حفاة عراة غرلا وان ماورد من نصوص تفيد حشرهم فى ثيابهم فان المراد بها الاعمال . والله أعلم .

١٠- تبين ان جميع الخلق يحشرون بما فيهم اضافة الى الجن والانس جميع المخلوقات الاخرى وان قال بعدم حشر الحيوانات فقد أخطأ خطأ فاحشا .

- ١١- ماورد من ان الكفار يسمعون ويتكلمون ويهجررون وما ورد كذلك من عدم كلامهم وعدم وجود سمعهم وبصرهم انما هو بالنسبة للمواقف التي همرون بها فى يوم القيامة .
- ١٢- تبين ان مراتب الأعمال التى تقع فى الموقف كاملة مما لم يثبت بها نص صحيح - حسب مصرفتى -
- ١٣- الناس فى الموقف يكونون على هيات مختلفة واحوال متباينه على ما لا يتصور من الهم والكرب كما وردت بذلك النصوص من كتاب اللسنة عز وجل ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتبين ان ماورد من خلاف العلماء فى طول مدة الموقف وقصرها انما هو بالنسبة للأشخاص حسب أعمالهم .
- ١٤- الارض التى يقف عليها الخلق مما وقع فيه الخلاف بين العلماء فى صفتها وكيفيتها ، والذي يترجع من ذلك هو القول بأنها ارض مستوية تطهر لنزول الله تعالى لفصل القضاء ، واما حقيقتها ومم تكون فعلم ذلك الى الله تعالى .
- ١٥- تبين لى كذلك ان الشفاعات تنقسم الى شفاعات ثابتة وشفاعات منفية . وان من الشفاعات ما هو خاص بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومنها ما هو مشترك بينه وبين بقية المخلوقات . وتبين كذلك ان هناك شفاعات ثابتة جاء بها النص ، وشفاعات غير ثابتة بنص صحيح .
- ١٦- وتبين كذلك ان بعض الاعمال مما يثبت به الشفاعة وبعضها لم يثبت به نص صحيح . وان فيه أمور تمنع الشفاعة وامور لم يحج ما قيل من نفى الشفاعة بسببها .

- ١٧- تبين ان من الشفعا الذين اكرمهم الله بقبول شفاعتهم الانبياء والملائكة والشهداء والولدان وشفاعة المؤمنين بعضهم في بعض وشفاعة القرآن الكريم .
- وفي مقابل آلك فان هناك شفعا لم يثبت بهم نص صحيح .
- ١٨- تبين ان الله تعالى منزل نزولا يلحق به جل وعلا للفصل بين الخلق في يوم القيامة وهذا هو ما توهمه الادلة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم واقوال علماء السلف وان من اوله الى أى معنى من معانى التأويل كمجيب امره او غير ذلك فان قوله باطل .
- ١٩- تبين ان رؤية الله تعالى في مرصات القيامة أمر ممكن عقلا وهو ما قررت النصوص الكثيرة من كتاب الله ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وان من قال باستحالة رؤيته تعالى فانه ضال عن الهدى غير متبع للحق .
- وان ما ظهر من الخلاف في رؤية غير المؤمنين لربهم مما وقع فيه النزاع بين العلماء وهى من المسائل التى سكت عنها الصدر الأول من السلف وخاض فيها من جاء بعدهم وكذلك مسألة رؤية الله تعالى في جهة .
- ٢٠- تبين كذلك ان كلام الله تعالى صفة حقيقية له جل وعلا وان الله يكلم خلقه في يوم القيامة كما ثبت ذلك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة واقوال علماء السلف ومن انكر هذا فقله باطل وان ما ورد من عدم كلام الله تعالى لبعض خلقه في يوم القيامة فانما هو من باب العقوبة لهم او انه لا يكلمهم بكلام الرضى والسرور بل بكلام التقرير والتوبيخ .

وأما نهای لغة يتكلم الله يوم القيامة فهذا مما لم يرد بيانه بنسب صحيح وعلمه الى الله تعالى .

٢١- تبين ان الصرض على الله جل وعلا في موقف فصل القضاء أمر ثابت كما نص عليه كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وان اثبات ذلك على ضوء تلك النصوص هو القول الحق دون الالتفات الى أقوال المؤولين وتحريفاتهم .

٢٢- ظهر كذلك ان ايتاء الصحف او كتاب الاعمال من الأمور الثابتة في يوم القيامة لورودها في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واقوال علماء الاسلام ولا عبرة بقول من انكرها .

وان كل انسان لا بد وان يقرأ كتابه بعد ان يأخذه بيمينه او بشماله سواء كان قارئاً أم لم يكن قارئاً وان لله تعالى حكمة في ذلك .

٢٣- ومن الأمور الاخرى التي تقع في الموقف الحساب فقد ثبت وقوعه بالكتاب والسنة وان الله تعالى هو المتولى حساب خلقه حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى وان الحساب له كيفيات مختلفة وان من الناس من يستثنى من الحساب فلا يشمل .

وان ما جاء في أول من يحاسب وفي أول ما يسئل عنه العبد هو من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين العلماء .

وقد ثبت ان الله تعالى يقرر عباده ويسائلهم عن كل ما صدر منهم ويقيم عليهم الشهود العدل من انفسهم ومن غيرهم بالعدل الكامل في القصاص بينهم . وان الجزاء من جنس العمل جزاءً وفاً .  
وان العمل نفسه لا يمكن ان يستحق به صاحبه الجنة اذا لم تداركه رحمة الله تعالى .

٢٤- ان الميزان العظيم الذى يزن الله به أعمال خلقه هو ميزان حقيقى له لسان وكفتان وقد ثبت ذكر الميزان فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية واجماع الامة بما لا يدع مجالاً للشك فيه .  
وأن المنكرين له أو لصفاته لا دليل لهم لا من العقل ولا من النقل وقولهم مردود عليهم وان الذى يوزن فى الميزان هو العامل والعمل وصحف الاعمال لحكمة يعلمها الله جل وعلا .  
ينصبه الله جل وعلا ثم يزن اعمال الخلق فى كيفية لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى .

وقد جاء كذلك اطلاقه بلفظ الافراد ولفظ الجمع ولذا كان محل خلاف بين العلماء هل هو ميزان واحد ام موازين متعددة .  
٢٥- الصراط الذى اعدّه الله لعبور الخلق مما ثبت ذكره بلفظه الصريح فى السنة النبوية وفى القرآن الكريم عند بعض العلماء وعدم ذكره صراحة فى القرآن الكريم عند البعض الآخر الذين قالوا ان ماورد من ذلك فى القرآن فهو احتمال وليس بصريح كما بينا ذلك .  
وان وصف الصراط بأنه احد من السيف وادق من الشمرة هو الوصف الحق الذى ثبت له وان من تأول ذلك أو انكر الصراط فانه لا حجة له .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى ان يجتازه الخلق وهى من المسائل التى لا مجال للعقل فى الخوض فيها وما قاله العلماء فى ذلك فانما هو مجرد استنباط دون الاستناد الى نص ثابت وظهر كذلك ان مسافة الصراط أمر لا يعلمه الا الله وان الأقوال التى قيلت فى تحديده تفتقر الى نص يثبتها .

أما بالنسبة لمرور الخلق عليه جميعهم أو بعضهم فإنها مسألة خلافية فقد ذهب بعض العلماء الى القول بأن كل الخلق يعرون عليه ومنهم من يقول بعدم مرور بعض الخلق <sup>لهم</sup> اما اكراما أو اهانة لهم .  
والظواهر من النصوص تدل على أن الكل يمر عليه فينجوا اولياء الله ويسقط فيه الكفار الا من يلتقطهم عنق النار كما بينا ذلك وأما بالنسبة لأول من يجوز الصراط فقد تبين انه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وامته .

وان شعار المؤمنين على الصراط اللهم سلم سلم .  
أما بالنسبة لخلق الصراط ووجوده الآن او عدم وجوده وكذا القول ببقائه الى خروج عصاة الموحدين او عدم بقاءه فالله تعالى أعلم بحقيقة ذلك فقد يكون موجود الآن وقد يوجد في يوم القيامة وقد يبقى الى خروج عصاة الموحدين فيعبرون عليه وقد لا يبقى .

٢٦- وظهر لي كذلك ان المؤمنين الذين قد كتبت لهم السعادة يقفون بعد اجتيازهم الصراط على قنطرة دون الجنة ليقتصوا مظالم كانت بينهم فاذا ذهبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة وهي ثابتة وقد وقع الخلاف في موضعها هل هي جزء من الصراط وتتمه له أم هي صراط آخر غير الصراط العظيم المنصوب على متن جهنم وان الصحيح انها قنطرة واحدة وليست قناطر متعددة .

٢٧- وتبين ان الورد الذي ذكره الله بقوله وان منكم الا واردها مما وقع الخلاف في معناه بين العلماء وان الراجع من ذلك هو القول بأن الجميع يردها ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم كما أفادته النصوص الثابتة من كتاب الله تعالى وستة نبيه صلى الله عليه وسلم .



٢٨- تبين ان فئة من الناس يسمون اصحاب الاعراف قد تضاربت اقوال العلماء

فهمم وتباينت آراؤهم فيهم يقفون على الصراط اما اكراما لهم واما اهانة لهم ثم يكون مصيرهم بعد ذلك الى الجنة .

٢٩- تبين أن الحوض المورود الذي وعد الله به نبيه محمدا صلى الله عليه

وسلم قد ثبت بالسنة المطهرة بلفظه الصريح وفي القرآن الكريم عند من

يسمى الحوض كوثرًا ثم يستدل لاثباته بسورة الكوثر وان من انكره ليس

له دليل لا من العقل ولا من النقل وانما هو مجرد الاستبعاد فقط

واتضح ان مسافة الحوض قد وردت بروايات كثيرة مختلفة وليس

فيها تعارض ولا اضطراب كما رأينا في الجمع بينها وان الناس يردون

عليه حين خروجهم من قبورهم يشربون منه وهم في الموقف على الصحيح

من اقوال العلماء .

وقد ميّزه الله بمزايا عديدة والله تعالى القدرة والحكمة على ما يشاء .

٣٠- الكوثر الذي ذكره الله تعالى هو نهر في الجنة كما افادته النصوص

الصريحة في ذلك وان بعض العلماء قد اطلق تسمية الكوثر على

الحوض ، والحوض على الكوثر بسبب الاتصال الذي بينهما كما بينا

ذلك .

وتبين ان الكوثر ما اختص الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم

تشريفا له دون غيره من الانبياء كما قال تعالى ( انا اعطيناك الكوثر )

تلك أهم النتائج التي ظهرت لي في هذا الموضوع اسأل الله العلي

المعظم ان يتقبل مني ويثيبني فيما أصبت الحق فيه وان يغفر ويتجاوز

عما اخطأت فيه وان ينفع بهذه الدراسة انه سميع مجيب .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

- ( قائمة باسماء المراجع ) -

القرآن الكريم :

- كتاب ذكر اخبار اصفهان / تأليف الامام الحافظ ابي نعم احمد  
ابن عبد الله الاصبهاني / طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٣١ م
- كتاب الأسماء والصفات تأليف الحافظ ابو بكر احمد بن الحسين بن علي  
ابن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري المولود في شهر ربيع الثاني سنة  
اربع وثمانين وثلاثمائة / المتوفى يوم عشرة جمادى الأولى سنة ثمان  
وخمسين واربعمائة / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة  
الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م.
- الامتداد والهداية الى سبيل الرشاد للامام الحافظ ابي بكر احمد  
ابن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨ هـ / تعليق كمال يوسف  
الحوت / عالم الكتب / الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- كتاب الايمان لابن مندة الحافظ محمد بن اسحق بن يحيى بن منده  
٣١٠ هـ / ٣٩٥ هـ / تحقيق الدكتور/ علي بن محمد بن ناصر  
القميبي / الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م / مطابع الجامعة  
الاسلامية بالمدينة المنورة .
- اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة  
والتابعين من بعدهم / تأليف الامام ابي القاسم هبة الله بن الحسين  
ابن منصور الطبري اللالكائي ٤١٨ هـ .
- تحقيق الدكتور/ احمد سعد حمدان / الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع  
الرياض .

الابانة عن اصول الديانة للامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري  
المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة . / الناشر المكتبة السلفية لصاحبها  
عبد المحسن الكتبي بالمدينة المنورة .

آراه الخواجه / تأليف د / عمار الطالبي / الناشر المكتب المصري  
الحديث بالاسكندرية .

اعلام الموقعين عن رب العالمين لابي عبد الله محمد بن ابي بكر  
المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١هـ . بتعليق طه  
عبد الروف، سعد / دار الجميل ( بيروت ) ١٩٧٣م .

اساس البلاغة / تأليف الامام جار الله ابي القاسم محمود بن عمرو  
الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ . بتحقيق الاستاذ عبد الرحيم محمود  
دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

الاتحافات السنوية في الاحاديث القدسية للشيخ العلامة محمد المدني  
بتصحیح الشيخ محمود أمين النوالی .

الطبعة الثانية ١٩٧٠هـ . الناشر مكتبة الكلمات الازهرية

حسين محمد امباني ( بميدان الازهر )

الاستعداد لعلوم المعاد للامام احمد بن علي بن محمد بن احمد  
ابن حجر العسقلاني / مكتبة المعارف ( بيروت ) الطبعة الثالثة  
اذار - مارس ١٩٧٩م .

كتاب الازهار المتناثرة في الاخبار المتواترة لجلال الدين عبد الرحمن  
ابن ابي بكر السيوطي / مطبعة دار التأليف بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ  
الله والانسان / تأليف عبد الكريم الخطيب / دار المعرفة للطباعة

والنشر/ بيروت / لبنان / الطبعة الثالثة ١٣٩٥ - ١٩٧٥م .

✓ أوضح التفاسير لابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف / الطبعة

الثامن / المطبعة المصرية ومكتبتها .

✓ كتاب اصول الدين / تأليف الامام ابى منصور عبد القاهر بن طاهر

البغدادى التميمى البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ .

الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م / دار الكتب العلمية .

اكمام المرجان فى أحكام الجان / تأليف الشيخ بدر الدين ابى عبد الله

عمر بن عبد الله الشبلى الحنفى المتوفى سنة ٧٦٩ هـ . / دار المعرفه .

الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية / تأليف الشيخ

عبد العزيز محمد سلمان . / الطبعة الخاصة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م

✓ اضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن / تأليف محمد الامين بن محمد

المختار الشنقيطى / دار الاصفهانى وشركاه بجده ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م

✗ ابانة المناهج فى نصيحة الخوارج / تأليف القاضى جعفر بن احمد

ابن عبد السلام / مخطوط بدار الكتب المصرية .

✓ (ب) / البدور السافرة فى أمور الآخرة للسيوطى / مخطوط فى فلم رقم ٥٨٠

بمكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية .

✓ البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية / تأليف

عبد الرحمن الوكيل / الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ . ١٩٦٢ م / مطبعة

السنة المحمدية بالقاهرة / مصر .

✓ البيان فى تفسير القرآن للسيد أبو القاسم الموسوى الخونى / الطبعة

الثانية ١٣٨٥ هـ . ١٩٦٦ م .

✓ البدع والنهى عنها / تأليف محمد بن وضاح القرطبى المتوفى سنة

٢٨٦ هـ . أو ٢٨٧ هـ والمولود عام ١٩٩ هـ . وقيل : ٢٠٠ هـ .

✓ بتحقيق محمد أحمد دهمان / دار البصائر / دمشق / ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

الطبعة الثانية .

البيهقي وموقفه من الالهيات / تأليف الدكتور/ احمد بن عطية  
على الفامدى / الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م / مطابع  
الجامعة الاسلامية .

بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية او نقض تأسيس  
الجهمية لشيخ الاسلام ابن تيمية بتعلق محمد بن عبدالرحمن  
ابن قاسم . / الطبعة الاولى بمطبعة الحكومة السعودية بمكة المكرمة  
سنة ١٣٩٢هـ .

جامع الاصول فى أحاديث الرسول / تأليف الامام مجد الدين  
أبى السعادات المبارك بن محمد بن الاثير الجزرى ٥٤٤ - ٦٠٦هـ  
بتحقيق عبد القادر الارناؤوط / نشر وتوزيع مكتبة الحلوانى مطبعة  
الفلاح مكتبة دارالبيان / طبعة سنة ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م .  
الجامع الفريد يحتوى على كتب ورسائل لائمة الدعوة الاسلامية  
الطبعة الثانية .

جهم بن صفوان ومكانته فى الفكر الاسلامى / تأليف خالد العلي  
منشورات المكتبة الاهلية لصاحبها السيد شمس الدين الحيدرى /  
مطبعة الارشاد / بغداد ١٩٦٥م .

الجامع لاحكام القرآن لابي عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي  
المتوفى سنة ٦٧١هـ ١٢٧٣م .  
دار احياء التراث العربى / بيروت ١٩٦٦م .

جامع البيان عن تأويل آى القرآن للامام أبى جعفر محمد بن جرير  
الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ . الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ . ١٩٦٨م  
شركة مكتبة ومطبعة المنصطفى البابى / خلفاء بالقاهرة .

- كتاب الجرح والتعديل للامام الحافظ ابي محمد عبد الرحمن بن  
ابى حاتم الرازي / المتوفى ٣٢٧ هـ . / الطبعة الاولى بمطبعة  
مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد / الدكن / الهند
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله للامام  
المحدث ابي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الاندلسي  
المتوفى ٤٦٣ هـ . / دار الفكر .
- تفسير الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للامام عبد الرحمن بن الكمال  
جلال الدين السيوطى ٩١١ هـ . الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م  
دار الفكر / بيروت .
- دفع ايها الاضطراب عن آيات الكتاب لصاحب الفضيلة الشيخ  
محمد الامين الجكنى الشنقيطى .
- (( و )) -
- الوسيلة فى شرح الفضيلة فى علم اصول الدين تأليف العلامة  
السيد عبد الرحيم الكردى الملقب بالمولوى تأليف الشيخ عبد الكريم  
محمد الهديس / الطبعة الاولى سنة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م .  
مطبعة الارشاد / بغداد .
- (( ز )) -
- الزواجر عن اقتراف الكبائر / تأليف ابي العباس احمد بن محمد  
ابن على بن حجر المكي الهيثمى ٩٠٩ - ٩٧٤ هـ . شركة مكتبة  
ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي  
وشركاه / خليفاه بالقاهرة / الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م .

- ١٣٨٤ -

- (( ج )) -

حادي الارواح الى بلاد الافراح للعلامة محمد بن ابي بكر  
ابن أيوب بن سعد بن خريز الزرعي ثم الدمشقي شمس الدين  
ابى عبد الله بن تيمم الجوزية المولود سنة ٦٩١ هـ المتوفى سنة  
٧٥١ هـ دار الكتب العلمية / بيروت .

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للامام  
ابى القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الاصبهاني  
المتوفى سنة : ٥٣٥ هـ .

تحقيق د / محمد ربيع .

حلية الاولياء وطبقات الاصفهيا للحافظ ابي نعيم احمد بن  
عبد الله الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . / المكتبة السلفية

- ٣٩ -

- (( ي )) -

اليوم الاخر لعبد القادر الحاج مطلق الرحباوي الطبعة الرابعة  
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م . نشر وتوزيع دار الكتاب الاسلامي / حلب  
باب الحديد .

اليوم الاخر في ظلال القرآن / جمع احمد فائز / الطبعة الثالثة  
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- (( ك )) -

الكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة من اللغة الفرنسية  
الدكتور / يوسف حنا نصر الله / الطبعة الثانية / بيروت ١٣٨٨ هـ  
١٩٦٨ م .

- ١٣٨٥ -

- ( ( ل ) ) .

لمعة الاعتقاد / تأليف الامام الموفق ابن قدامة المقدسي / المكتب

الاسلامي / الطبعة الرابعة ١٣٩٥ هـ . / بيروت .

لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية بشرح الدرة المضية

في عقد الفرقة المرضية / تأليف العلامة الشيخ محمد بن أحمد

السفارييني الاثرى الحنبلي .

الآلئى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للامام جلال الدين

عبد الرحمن السهوطى / المتوفى سنة ٩١١ هـ . المكتبة التجارية

الكبرى / مصر .

الآلئى البهية فى شرح لامية شيخ الاسلام ابن تيمية / تأليف

أحمد بن عبد الله المرادوى الحنبلي / الطبعة الاولى مؤسسة

النور للطباعة والتجليد ( الرياض ) .

- ( ( م ) ) -

منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية تصنيف الامام

ابى العباس تقي الدين احمد بن عبد الحلیم الحرانى دمشقى

الحنبلي الشهير بابن تيمية / الناشر مكتبة الرياض الحديثة

( الرياض ) .

كتاب الموضوعات للعلامة ابى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى

القرشى ٥١٠ - ٥٩٧ بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان / الناشر

محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة

الاولى ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

مفيد الانام ونور الظلام فى تحرير الاحكام لحج بيت الله الحرام

تأليف الشيخ / عبد الله بن جابر النجدى التميمي الوهيبي الاشعري

ثم المكى السلفى / الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م . مكتبة

النهضة المصرية لاصحابها حسن محمد وأولاده . شارع عدلى باشا

القاهرة .



- موارد الظمان الى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين علي بن  
ابى بكر الهيثمي / دار الكتب العلمية .
- مقالات الاسلاميين واختلف المصلين / تأليف الامام ابى الحسن  
علي بن اسماعيل الاشعري / المتوفى عام ٣٣٠ هـ بتحقيق  
محمد محي الدين عبد الحميد / الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ —  
١٩٦٩ م . مكتبة النهضة المصرية .
- الملل والنحل / تأليف ابى الفتح محمد بن عبد الكريم بن  
ابى بكر احمد الشهرستاني / ٤٧٩ - ٥٤٨ هـ . بتحقيق محمد  
سعد الكيلاني / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي  
وأولاده بمصر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / تأليف الحافظ نور الدين علي  
ابن ابى بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ . الناشر / مكتبة  
القدسى بالقاهرة / سنة ١٣٥٢ هـ .
- معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول / تأليف  
الشيخ حافظ ابن احمد الحكيم رحمه الله ١٣٤٢ هـ - ١٣٧٧ هـ  
من مطبوعات الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء  
والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية .
- المواقف / تأليف عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الابعسي  
القاضي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ .
- مختار الصحاح / تأليف الامام محمد بن ابى بكر بن عبد القادر  
الرازي بترتيب السيد محمود خاطر / دار نهضة مصر للطباعة  
والنشر / الفجالة / القاهرة .

١٧

المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١) للعلامة الامام  
يحيى بن شرف بن مرى حسن بن حسين بن حزام النووى الشافعى  
طبعة الشعب / القاهرة .

مناهج الادلة فى عقائد الملة لابن رشد المولود فى اوائل القرن  
السادس الهجرى / الطبعة الثانية / تحقيق الدكتور/ محمود  
قاسم عميد كلية دارالعلوم / نشر مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٤ م

معجم مقاييس اللغة لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا  
المتوفى ٣٩٥ هـ . بتحقيق عبد السلام هارون / الطبعة الثانية  
١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م . / مطبعة مصطفى البابى الحلبي بالقاهرة .

موازن الاعتدال فى نقد الرجال / تأليف ابي عبد الله محمد  
ابن احمد بن عثمان الذهبى / المتوفى ٧٤٨ هـ . / دار المعرفة  
بيروت / الطبعة الاولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

المستدرک على الصحيحين فى الحديث للحافظ الكبير ابي عبد الله  
محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى / المتوفى فى صفر  
٤٠٥ هـ . / طبعة دار الفكر / بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة / تأليف الحافظ جلال الدين  
السبوتى المتوفى سنة ٩١١ هـ . / الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م  
مطابع الرشيد بالمدينة المنورة .

المعجم الصغير للطبرانى للحافظ ابي القاسم سليمان بن أحمد  
اللخمي الطبرانى / المتوفى سنة ٣٦٠ هـ . / دار الكتب العلمية  
بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(١) هذا هو الاسم الذى اختاره النووى لكتابه على شرح صحيح مسلم  
انظر: ج ١ ص: ج من المقدمة .

المعجم الكبير: / للحافظ ابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني

٥٢٦. هـ / مطبعة الوطن العربي / الطبعة الاولى

١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م

كتاب المستصفي من علم الاصول للامام ابي حامد محمد بن محمد

ابن محمد الفزالي / الطبعة الاولى بالمطبعة الاميرية ببولاقي / مصر

سنة ١٣٢٢ هـ

معجم الالفاظ والاعلام القرآنية / تأليف محمد اسماعيل ابراهيم

طبعة دار الفكر العربي / القاهرة .

كتاب الموطأ للامام مالك بن انس منشورات الافاق الجديدة / بيروت

الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

مختصر الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية / تأليف

عبد العزيز محمد سلمان / الطبعة العاشرة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات للشيخ محمد الاميسين

الشنقيطي من محاضرات ١٣٨٥ هـ

مجمع الامثال لابي الفضل احمد بن محمد النيسابوري الميدانسي

المتوفى ٥١٨ هـ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / مطبعة

السنة المحمدية / ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسننة

لل امام ابي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٤٠٢ هـ

بتعليق عبد الله محمد الصديق / دار الكتب العلمية بيروت / الطبعة

الاولى ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية / للحافظ ابن حجر  
احمد بن علي العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢ هـ . / بتحقيق المحسنة  
حبيب الرحمن الاعظمي .
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف للامام شمس الدين ابي عبد الله  
محمد بن ابي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية  
٦٩١ - ٧٥١ هـ . / بتحقيق عبد الفتاح ابو غدة / الناشر مكتبة  
المطبوعات الاسلامية بحلب / سوريا / الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ
- ٠م١٩٨٢
- مسند الامام احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن  
الاقوال والافعال للعلامة علي بن حسام الدين الشهير بالمتنبي  
الطبعة الثانية ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م . / المكتب الاسلامي للطباعة والنشر  
بيروت .
- المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي لطائفة من المستشرقين  
مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٤٣ م .
- مقدمات وابحاث تمهيدية في العقيدة الاسلامية تأليف الشيخ / محمد  
نصر الخطيب رئيس قسم علم الكلام والفلسفة بكلية الشريعة بجامعة  
بغداد / دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / الطبعة  
الاولى ١٤٠٢ هـ ٠م١٩٨٢
- مفتاح . دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة لابن القيسم  
دار الكتب العلمية / بيروت .
- مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية / تصوير الطبعة الاولى  
١٣٩٨ هـ . جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محسن .

المغرب فى ترتيب المغرب / تأليف الامام اللغوى ابى الفتح ناصر

الدين المطرزي ٥٣٨ - ٦١٠ هـ .

بتحقيق محمود فاخورى وعبد الحميد مختار / الناشر مكتبة اسامة

ابن زيد / حلب / سوريا / الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

المفردات فى غريب القرآن لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف

بالراغب الاصفهاني ( دار المعرفة بيروت ) .

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ترتيب محمد فواد عبد الباقي

مطابع الشعب .

- ( ن ) -

كتاب النهاية ، أو الفتن والملاحم للامام ابى الفداء اسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤ هـ / بتحقيق الدكتور / طه محمد الزينى / الطبعة

الاولى / طبعة دار النصر للطباعة احمد حمدى احمد شعبان .

نهر البرهان فى توطيد عقائد الايمان تأليف / محمد على الشمرقى

استاذ بدار العلوم بصنعاء / الطبعة الاولى .

النهاية فى غريب الحديث والاثار للامام مجد الدين ابى السعادات

المبارك بن محمد الجزرى ابن الاثير ٥٤٤ - ٦٠٦ هـ .

بتحقيق طاهر احمد الزواوى ، ومحمود بن محمد الطناحى / الناشر

المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ .

نعيم الجنة فى القرآن والسنة / تأليف عبد اللطيف عاشور .

نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر / لجمال الدين  
ابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى / تحقيق محمد عبد الكريم كاظم

الراضى / مؤسسة الرسالة / الطبعة الاولى ١٤٠٤ - ١٩٨٤م

بيروت .

القصيدة النونية للعلامة ابى عبد الله محمد بن ابى بكر ابن القيم  
التي سماها الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية / دار المعرفة

بيروت .

- ( ( س ) ) -

سنن الترمذى ( الجامع الصحيح ) لابى عيسى محمد بن عيسى

ابن سورة ٢٠٩ - ٢٧٩ هـ . بتحقيق وشرح الاستاذ احمد شماكر

الاجزاء الاول - الى الرابع / الطبعة الاولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م .

والجزء الخامس بتحقيق الاستاذ ابراهيم عطوة عوض / الطبعة الثانية

سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

سنن ابى داود ٢٠٢ - ٢٧٥ هـ . للحافظ ابى داود سليمان بن

الاشعث بن اسحاق الازدى السجستاني / بتحقيق احمد سعد على

الطبعة الاولى ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م . نشر شركة مطبعة ومكتبة

مصطفى البابى الحلبي / مصر

سنن ابن ماجه للحافظ ابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ٢٠٧ هـ .

٢٧٥ هـ . / تحقيق محمد فواد عبد الهامى ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢م

دار احياء الكتب العربية / عيسى البابى الحلبي وشركاه .

سنن النسائي للحافظ ابي عبد الرحمن احمد بن شعيب بن عيسى  
النسائي ١٤ أو ١٥ ومائتين هجرية ، وتوفى سنة ٣٠٣ هـ . بشهر  
الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي / دار اعيان  
التراث العربي / بيروت / مطبعة الشركة العامة / الطبعة الاولى  
سنة ١٣٤٨ هـ . ١٩٢٠ م .

سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة واثرها السيوطي في الامة تخريج  
محمد ناصر الدين الالباني / الطبعة الرابعة / المكتب الاسلامي  
دمشق ١٣٩٨ هـ .

سنن الدارقطني للامام علي بن عمر الدارقطني / عالم الكتب / بيروت  
الطبعة الثانية ١٤٠٣ - ١٩٨٢ م .

السيرة النبوية لابن هشام / الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .  
مطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر .

:- ((ع)) :-

عون المعبود شرح سنن ابي داود للعلامة ابي الطيب محمد شمس  
الحق العظيم ابادي مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ضبط وتحقيق  
عبد الرحمن محمد عثمان الناشر محمد عبد المحسن الكتبي بالمدينة  
المنورة / الطبعة الثانية ١٣٨٩ - ١٩٦٩ م .

مقائد السلف للائمة احمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وثمان  
الدارمي / دكتور / علي سامي النشار / عمار جمعي الطالب / منشأة  
المعارف بالاسكندرية جلال حربي وشركاه ١٩٧١ م .

العلل المتناهية في الاحاديث الواهية للامام ابي الفرج عبد الرحمن  
ابن علي بن الجوزي التيمي القرشي ٥١٠ - ٥٩٧ هـ . / الناشر  
ادارة العلوم الاثرية فيصل آباد / دار نشر الكتب الاسلامية / لاهور .

عقيدة البعث الاخر رسالة ماجستير للشيخ / سويلم بن عقاب التوم

العقائد الاسلامية / تأليف السيد سابق / الناشر دار الكتاب

العربي بيروت .

عالم الجن والشياطين للدكتور/ عمر سليمان الاشقر/ مكتبة الفلاح

الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- ( ف ) -

كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل تصنيف الامام ابي محمد

ابن علي بن حزم الاندلسي الظاهري / المتوفى سنة ٤٥٦ هـ .

الفوائد للامام ابن قيم الجوزية / مطبعة الامام بالمنشأة بالقلمنة

بمصر .

كتاب الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير للسيوطي

مطبعة دار الكتب العربية الكبرى .

كتاب في ظلال القرآن / الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

دار الشروق ( بيروت ) .

فتح الباري في شرح صحيح البخاري للامام الحافظ احمد بن علي

ابن حجر العسقلاني ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ . / مكتبة الرياض الحديثة

البيضاء ( الرياض ) .

الفتوى الحموية الكبرى تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / تأليف

محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ . / شركة

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي / القاهرة .

الفرق بين الفرق / تأليف عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي

المتوفى عام ٤٢٩ هـ . ١٠٣٧ م / تحقيق محمد محي الدين

عبد العميد / الناشر دار المعرفة - بيروت .



— الفتح الزباني لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني ومعه كتساب

ومعه كتاب بلوغ الاماني من اسرار الفتح الرباني / ط الاولى سنة ١٣٥٢ هـ

١٠- الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق النفيسة

تأليف سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل / المتوفى

سنة ١٢٠٤ هـ / مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .

- الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للعلامة محمد بن عيسى

الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ / دار الكتب العلمية / بيروت

لبنان / بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي .

— الفرق في اللغة / تأليف العلامة ابو هلال العسكري ( الحسن

ابن عبد الله بن سهل العسكري أبو هلال ) منشورات / دار الافاق

الجديدة / بيروت / الطبعة الثالثة / ١٩٧٩ م .

- ( ( ص ) ) -

صحیح البخاری للامام ابی عبد الله محمد بن اسماعيل / طبعة

بالاوفست عن طبعة دار الطباعة السامرة باستانبول / دار الفکر

صحیح مسلم ابن الحجاج : للامام مسلم بن الحجاج بن مسلم

القشيري النيسابوري / طبعة دار الشعب .

صحیح الصارم المنکی فی الرد علی السبکی / تأليف العلامة ابی عبد الله

محمد بن حمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي / الطبعة الاولى

بالمطبعة الخيرية لمالكها ومديرها السيد عمر حسين خشاب بالقاهرة

— الصلة بين التصوف والتشيع / تأليف الدكتور / كامل مصطفى الشيبلي

الطبعة الثانية / دار المعارف بمصر .

— مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة / تأليف الامام

المحقق محمد بن ابى بكر ابن قيم الجوزية المتوفى ليلة الخميس

ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة . وقد كانت ولادته

في سنة احدى وتسعين وستمائة هجرية .

صحیح البخاری / للإمام ابی عبد الله محمد بن اسماعیل طبعة اوفست  
عن طبعة دار الطباعة العامة باستانبول ( دار الفكر )

صحیح مسلم ابن الحجاج / للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشیری  
النيسابوری طبعة دار الشعب.

الصارم المنکری فی الرد علی السبکی / تألیف العلامة ابی عبد الله محمد  
ابن احمد بن عبد الهادی الحنبلی المقدسی الطبعة الاولي بالمطبعة  
الخيرية لمالكها ومديرها السيد عمر حسين خشاب/ القاهرة .

الصلاة بين التصوف والتشيع / تألیف الدكتور كامل مصطفى الشيبی / ط .  
الثانية / دار المعارف بمصر .

مختصر الصواعق المرسله علی الجهمية والمعطله / تألیف الامام المحقق  
محمد بن ابی بكر ابن قيم الجوزية المتوفى ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة  
احدى وخمسين وسبعمائة . وقد كانت ولادته فى سنة احدى وتسعين  
وستمائة هجرية .

---

٥ - الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية / تأليف اسماعيل حماد  
الجهوري / تحقيق احمد عبد الغفور عطار / الطبعة الثانية  
١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

- ( ق ) -

٦ - القرى لقاصد ام القرى / تأليف الحافظ ابي العباس احمد بن عبد الله  
ابن محمد بن ابي بكر محب الدين الطبري ثم المكي المولود سنة ٦١٥ هـ  
والمتوفى سنة ٦٩٤ هـ . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي

وأولاده بمصر محمد محمود الحلبي وشركاه - خلفاء - / الطبعة الثانية  
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

٧ - القول السديد في علم التوحيد / تأليف الاستاذ محمود أبو دقيقة  
سنة ١٣٥٤ هـ . ١٣٩٦ م مطبعة ومجلة الارشاد لصاحبها أمين  
الجزيري .

٨ - قاعدة جلية في التوسل والوسيلة تأليف شيخ الاسلام تقي الدين  
احمد بن تيمية سنة ١٣٨٨ هـ . / شركة المدينة للطباعة والنشر  
جدة .

٩ - القاموس المحيط / تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي  
الطبعة الثانية - ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م . مكتبة ومطبعة امصطفى  
البابي الحلبي بمصر .

١٠ - القائد الي تصحيح العقائد / تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن  
ابن يحيى المعلمي اليماني / بتعليق الشيخ محمد ناصر الدين  
الألباني / الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ( المكتب الاسلامي )

- قرة عيون الموحد بن / حاشية الشيخ عبد الرحمن بن حسن على كتاب التوحيد بتصحيح الشيخ اسماعيل الانصاري ١٣٩٤ هـ .
- القصيدة النونية / تأليف ابي عبد الله محمد بن ابي بكر المعروف بابن القيم الجوزية السماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت .

- ( ر ) -

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ادارة الطباعة المنيرية / دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان .
- الرد على الزنادقة والجهمية للامام احمد بن حنبل ١٦٤ - ٢٤١ الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٣٩٩ هـ . / المطبعة السلفية ومكتبتها بالروضة / القاهرة / نشرها قصي محب الدين الخطيب .
- كتاب الرد على الجهمية / تأليف الامام ابي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي / بتحقيق زهير الشاويش / المكتب الاسلامي / الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- رسالة في الرد على الرافضة / تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتحقيق د . ناصر بن سعد الرشيد من مطبوعات مركز البحث العلمي بمكة المكرمة / الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

١- شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن احمد / بتعليق الامام

احمد بن الحسين بن ابي هاشم / الناشر مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة

الطبعة الاولى ذوالحجة ١٣٨٤ هـ . ١٩٦٥ م .

مطبعة الاستقلال الكهري شارع نجيب الريحاني بالقاهرة .

٢- شفاء السقام في زيارة خير الانام / تأليف الشيخ علي بن عبد الكافي

تقي الدين السبكي الشافعي ٦٨٣ - ٧٥٦ هـ . نشر لجنة التراث العربي

بيروت .

٣- كتاب الشريعة للامام ابي بكر محمد بن الحسين الأجرى المتوفى سنة

ستين وثلاثمائة بتحقيق محمد حامد الفقي / مطبعة السنة المحمدية

١٣٦٩ هـ . ١٩٥٠ م .

٤- شرح المواظف للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة

٨١٦ هـ . / دار الطباعة العامة .

٥- شرح الأبي لصحيح مسلم المسمى اكمل اكمال المعلم للامام ابي عبد الله

محمد بن خليفة الوشائني الأبي المالكي المتوفى سنة ٨٢٧ - أو ٨٢٨ هـ

دار الكتب العلمية / بيروت .

٦- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية / تأليف العلامة

محمد خليل هراس / الطبعة الثالثة / الناشر محمد عبد المحسن الكتبي

من مطبوعات الجامعة الاسلامية .

٧- شرح حديث النزول / تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية / منشورات المكتب

الاسلامي / الطبعة السادسة ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م .

٨- شرح ثلاثيات مسند الامام احمد / تأليف العلامة الشيخ / محمد السفاريني

الحنبلي ( المكتب الاسلامي ) الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ / بيروت .

- ١- شرح العقيدة الطحاوية للعلامة علي بن علي بن محمد ابن ابي العز  
الحنفي / المكتب الاسلامي / الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ .
- ٢- كتاب الشرح والابانة على اصول السنة والديانة لابي عبد الله عبيد الله  
ابن بطه العكبري المتوفى سنة ٣٨٧ هـ / تحقيق د / رضا نصيبان .
- ٣- الشفاعة في الاسلام / رسالة ماجستير للشيخ / عايش عياش الجبشي .
- ٤- شرح جوهرة التوحيد للعلامة الشيخ ابراهيم اللقاني المسماة تحفنة  
المريد / تأليف العلامة الشيخ ابراهيم بن محمد البيجوري / دار الكتب  
العلمية / الطبعة الاولى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٥- الشفاعة تأليف ابي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي / نشر وتوزيع  
دار الارقم / الكويت / الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م . مطبعة  
المدني / بالقاهرة .
- ٦- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض / مطبعة مصطفى البابي  
مبصر سنة ١٣٦٩ هـ . ١٩٥٠ م .

- ( ت ) -

- ١- كتاب التمهيدي للقاضي ابي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني / المكتبة  
الشرفية / بيروت ١٩٥٢ م .
- ٢- تبويب آي القرآن الكريم ، قام به الدكتور / احمد بن ابراهيم مهني  
طبعة دار الشعب .
- ٣- تحفة المودود باحكام المولود / تأليف الامام شمس الدين محمد بسن  
ابي بكر بن قيم الجوزية ٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ ، ١٢٩١ - ١٣٥٠ م .  
نشر المكتبة القيمة بالقاهرة .

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع / للامام ابي الحسين  
محمد بن احمد بن عبد الرحمن الملقب الشافعي / المتوفى  
سنة ٣٧٧ هـ . / بتعليق محمد زاهد الكوثري نشره مكتب نشر الثقافة  
الاسلامية ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م .

التزيب والترهيب من الحديث الشريف / تأليف الامام الحافظ زكي  
الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري / المتوفى سنة ٦٥٦ هـ  
بتعليق مصطفى محمد عمارة نشر دار احياء التراث العربي / بيروت  
لبنان / الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ -

تاريخ الفرق المعاصرة ومذاهبها / تأليف الدسوقي الملاح و ابراهيم  
مسعود وعلى عبد المنعم عبد الحميد . / الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ  
١٩٥٥ م . / مطابع دار الكتاب العربي بمصر .

التذكرة في احوال الموتى وامور الآخرة للامام الحافظ القرطبي  
شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج  
الانصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ / المكتبة السلفية بالمدينة  
المنورة .

تفصيل آيات القرآن الحكيم وضمه بالفرنسوية جول لا بوم / الطبعة  
الثانية / نشر دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان ومعه المستدرك  
لا دوايرد مونتيه .

تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل / تأليف  
الامام العلامة علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي  
الصوفي المعروف بالخازن / المتوفى سنة ٧٢٥ هـ .  
وبهامشه تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق  
التأويل / تأليف الامام الجليل ابن البركات عبد الله بن احمد بسن  
محمود النسفي / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت - لبنان .

- كتاب تبسيط العقائد / تأليف / حسن أيوب الطبعة الثالثة  
١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨ م . / دار الاعتصام .
- تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي / المتوفى سنة ٥٠٥ هـ .
- تهافت الفلاسفة للعلامة خوجه زاده المتوفى سنة ٨٩٣ هـ .  
طبعة مصر سنة ١٣٢١ هـ .
- تهافت التهافت لابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ . بتحقيق الدكتور  
سليمان دنيا الطبعة الثانية / دار المعارف بمصر .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / تأليف علامة القصيم  
الاستاذ الجليل الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٥ هـ  
المطبعة السلفية ومكتبتها .
- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث  
المنيفة / تأليف / عبد الرحمن الناصر السعدي .
- تكملة شرح الصدور / تأليف محمد أمين بن محمد البرديسي  
( مخطوط ) .
- التفسير الواضح : تأليف الدكتور / محمد محمود حجازي / الطبعة  
الخامسة سنة ١٣٩٥ هـ . ١٩٧٥ م . / مطبعة الاستقلال الكبرى .
- كتاب تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين للإمام ابي القاسم  
الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني المتوفى في رأس  
المائة الخامسة طبع في بيروت ١٣١٩ هـ .
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة او مردولة : تأليف أبو الريحان  
محمد بن احمد البيروني / المتوفى سنة ٤٤٠ هـ . ١٠٤٨ م / طبع  
بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد / الدكن / بالهند  
سنة ١٣٧٧ هـ . ١٩٥٨ م .



١٠ - تاج العروس من جواهر القاموس / للامام اللغوي محب الدين ابي الفين

السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي / الطبعة الاولى

بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية - مصر سنة ١٣٠٦ هـ .

١١ - كتاب التوحيد / تأليف الاستاذ محمود أبو دقيقة / دار الطباعة

الحديثة ١٣٥٦ هـ ١٣٥٧ هـ

١٩٣٧ م ١٩٣٨ م

١٢ - التفسير الكبير / للامام الفخر الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن

حسين المولود سنة ٣ أو ٤ أو ٥ واربعمين وخمسائة والمتوفى سنة

٦٠٦ هـ . الطبعة الثالثة / دار احياء التراث العربي / بيروت .

١٣ - تفسير القرآن العظيم للامام عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير

القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ . الناشر دار المعرفة / بيروت

لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

١٤ - تفسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / تأليف الشيخ سليمان

ابن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب / المتوفى سنة ١٢٢٣ هـ

الطبعة الرابعة ( المكتب الاسلامي ) بيروت .

١٥ - التخويف من النار والتصريف بحال دار البوار للحافظ أبي الفتح

زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي البغدادي ٧٢٦

٧٩٥ . / مكتبة دار البيان / الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

دمشق .

١٦ - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار تأليف محمد رشيد رضا

دار المعرفة / بيروت / الطبعة الثانية .

١٧ - تفسير النسفي للعلامة ابي البركات عبد الله بن احمد بن محمود

النسفي / الناشر دار الكتاب العربي / بيروت .

- ١٠٠- تريب اللغة لابي منصور محمد بن احمد الازهرى ٢٨٢ - ٣٧٠  
بتحقيق عبد السلام هارون / المؤسسة المصرية العامة للتأليف  
والانباء والنشر دار المصرية للتأليف والترجمة .
- ١٠١- تقريب التهذيب للعلامة احمد بن على بن حجر العسقلانى / ٧٧٣هـ  
٨٥٢هـ . / تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف / الناشر محمد  
سلطان النمنكانى صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .  
الطبعة الاولى ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م / مطابع دار الكتاب العربى  
بمصر .
- ١٠٢- تحفة المودود باحكام المولود تأليف الامام شمس الدين محمد بن ابي بكر  
ابن قيم الجوزية / ٦٩١ - ٧٥١ - ١٢٩١ - ١٣٥٠م .  
الناشر المكتبة القيمة بالقاهرة / مطبعة المدنى ٦٨ شارع العباسية .
- ١٠٣- كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل للامام محمد بن اسحاق بن  
غزيمة بتعليق محمد خليل هراس / دار الكتب العلمية / بيروت  
١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
- (( خ )) -
- ١٠٤- كتاب خلق افعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التسطيل للامام  
ابى عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى ١٩٤هـ ٢٥٦هـ .  
نشره ابو خالد عبد الوكيل / مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة  
١٣٨٩هـ ١٣٩٠هـ .
- ١٠٥- الخواص تاريخهم واراؤهم الاعتقادية وموقف الاسلام منها / رسالة  
ماجستير للباحث .

- ١٤٠٤ -

- (( غ )) -

الفنية لطالبي طريق الحق في الاخلاق والتصوف والآداب الاسلامية

للشيخ عبدالقادر الجيلاني الحسني ٤٧٠ - ٥٦١ هـ .

الطبعة الثالثة ١٣٧٥ هـ . ٠٤١٩٥٦ / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى

البابى الحلبي وأولاده بمصر .

\*\*\*\*\*

- ( لهرس البحث ) -

| الصفحة | الموضوع                                               |
|--------|-------------------------------------------------------|
| ١      | <u>الباب الاول البحث والحشر ووقوف الخلق في الموقف</u> |
| ٤      | الفصل الأول : الايمان بالغيب .....                    |
| ٥      | مدخل .....                                            |
| ٧      | معنى الغيب في اللغة .....                             |
| ٩      | معنى الغيب في الاصطلاح .....                          |
| ١١     | الايمان بالغيب وادلته .....                           |
| ١٨     | أسماء يوم القيامة .....                               |
| ٣٠     | <u>الفصل الثالث : التعريف بالبحث</u>                  |
| ٣١     | تعريف البحث في اللغة .....                            |
| ٣٣     | المراد بالبحث في الشرع .....                          |
| ٣٥     | الفاظ ينبغي التنبيه اليها .....                       |
| ٣٦     | النشور .....                                          |
| ٣٩     | المعاد .....                                          |
| ٤١     | الحشر .....                                           |
| ٤٤     | مراتب الموقف .....                                    |
| ٤٥     | <u>الفصل الرابع : ادلة البحث</u>                      |
| ٤٧     | عناية الكتاب والسنة بالايمان باليوم الآخر .....       |

| الصفحة | الموضوع                                                        |
|--------|----------------------------------------------------------------|
| ٤٩     | بعض اسباب العناية باليوم الاخر .....                           |
| ٥٢     | أدلة البعث من القرآن .....                                     |
| ٧١     | أدلة البعث من السنة .....                                      |
| ٧٣     | دلالة العقل على البعث .....                                    |
| ٨٠     | <u>الفصل الخامس</u> . المنكرون للبعث واقسامهم .....            |
| ١٠٤    | <u>الفصل السادس</u> : اسباب انكار البعث .....                  |
| ١٠٩    | <u>الفصل السابع</u> : كيفية البعث كما في الكتاب والسنة .....   |
| ١١٠    | كيفية البعث في القرآن الكريم .....                             |
| ١١٦    | كيفية البعث في السنة النبوية .....                             |
| ٢٢١    | <u>الفصل الثامن</u> : اقوال علماء الاسلام في كيفية البعث ..... |
| ١٣٥    | الرد على الفلاسفة وابطال حججهم في انكار البعث .....            |
| ١٥٠    | <u>الفصل التاسع</u> : النفخ في الصور - نفخة البعث .....        |
| ١٥١    | نفخة البعث .....                                               |
| ١٥٢    | معنى النفخ في اللغة .....                                      |
| ١٥٣    | معناه في الاصطلاح .....                                        |
| ١٥٦    | عدد النفخات .....                                              |
| ١٥٨    | الخلاف في عدد النفخات .....                                    |
| ١٦٦    | الأدلة على اثبات النفخ في الصور .....                          |
| ١٦٧    | ١- الأدلة من القرآن الكريم على اثبات النفخ في الصور .....      |
| ١٦٩    | ٢- الأدلة من السنة على اثبات النفخ في الصور .....              |
| ١٧٢    | مقدار ما بين النفختين .....                                    |

| الموضوع                                                 | الصفحة |
|---------------------------------------------------------|--------|
| الفصل العاشر: صفة حشر الخلق وانهم على صور شتى . . . . . | ١٧٣    |
| ١- حشرهم حفاة عراة غرلا . . . . .                       | ١٧٤    |
| ٢- حشر بعض الناس من الكفار على وجوههم . . . . .         | ١٧٥    |
| ٣- حشر المتكبرين . . . . .                              | ١٧٧    |
| ٤- حشر السائلين . . . . .                               | ١٧٨    |
| ٥- حشر اصحاب الغلول . . . . .                           | ١٨٠    |
| ٦- حشر اهل الوضوء ، اهل العزة والتحجيل . . . . .        | ١٨٢    |
| ٧- حشر الشهداء . . . . .                                | ١٨٢    |
| مسائل . . . . .                                         | ١٨٦    |
| ١- الحكمة في اعادة الخلق غرلا . . . . .                 | ١٨٧    |
| ٢- بحث الموتى في اكفانهم . . . . .                      | ١٩٠    |
| ٣- هل تحشر بقية المخلوقات غير الجن والانس . . . . .     | ١٩١    |
| ٤- دفع تعارض . . . . .                                  | ١٩٥    |
| فوائد : . . . . .                                       | ٢٠٢    |
| ١- أول من يحشر من الخلق . . . . .                       | ٢٠٢    |
| ٢- أول من يكسى من الخلق . . . . .                       | ٢٠٣    |
| الفصل الحادى عشر: الموقف . . . . .                      | ٢٠٦    |
| تعريفه : فى اللغة والاصطلاح . . . . .                   | ٢٠٧    |

| الصفحة | الموضوع                                                        |
|--------|----------------------------------------------------------------|
| ٢٠٩    | صفة حالة الناس وهم في الموقف .....                             |
| ٢١٠    | ١- صفته في القرآن الكريم .....                                 |
| ٢١٤    | ٢- صفة في السنة النبوية .....                                  |
| ٢١٨    | ٣- صفة الارض التي يقف الخلق عليها .....                        |
| ٢٢١    | بيان الخلاف في ارض المحشر .....                                |
| ٢٢٦    | مدة وقوف الخلق في الموقف .....                                 |
| ٢٢٧    | ١- ما جاء في القرآن الكريم .....                               |
| ٢٣٦    | ٢- ما جاء في السنة النبوية .....                               |
| ٢٤٣    | <u>الباب الثاني : في الشفاعة</u> .....                         |
| ٢٤٦    | <u>الفصل الاول : تعريف الشفاعة في اللغة وفي الشرع</u> .....    |
| ٢٤٧    | تمهيد :                                                        |
| ٢٤٨    | معنى الشفاعة في اللغة .....                                    |
| ٢٥١    | معنى الشفاعة في الشرع .....                                    |
| ٢٥٣    | <u>الفصل الثاني : اقسام الشفاعة</u> .....                      |
| ٢٥٥    | الشفاعات المثبتة والشفاعات المنفية                             |
| ٢٦٢    | <u>الفصل الثالث : اقسام الشفاعات الثابتة</u> .....             |
| ٢٦٦    | النوع الأول : من انواع الشفاعات المثبتة " الشفاعة العظمى " ... |
| ٢٩٠    | الشفاعة لاناس قد امر بهم الى النار ان لا يدخلوها               |
| ٢٩٥    | الشفاعة في أهل الكبائر                                         |

| الصفحة | الموضوع                                                          |
|--------|------------------------------------------------------------------|
| ٢٩٦    | تمهيد : .....                                                    |
| ٢٩٧    | آراء الفرق في الشفاعة لأهل الكبائر و اخراجهم من النار . . .      |
| ٣٠٣    | ادلة اثبات الشفاعة لاهل الكبائر من القرآن الكريم . . . . .       |
| ٣٠٤    | وجه استدلالهم بالآيات السابقة على ثبوت الشفاعة . . . . .         |
| ٣١٢    | ادلة اثبات الشفاعة لأهل الكبائر من السنة . . . . .               |
| ٣١٨    | آراء الفرق الاخرى في تلك الشفاعة . . . . .                       |
| ٣٣٢    | ادلة نفاة الشفاعة في أهل الكبائر من القرآن الكريم والجواب عنها   |
| ٣٣٥    | وجه استدلالهم بالآيات السابقة والجواب عنها . . . . .             |
| ٣٥٩    | ادلة نفاة الشفاعة في أهل الكبائر من السنة والجواب عنها . . . . . |
|        | شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لطائفة من المؤمنين بدخول         |
| ٣٧٢    | الجنة بغير حساب . . . . .                                        |
|        | شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن سكن في المدينة المنسورة      |
| ٣٧٦    | ومات فيها                                                        |
| ٣٨٠    | شفاعته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بدخول الجنة . . .             |
| ٣٨٤    | شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في رفع درجات أهل الجنة           |
|        | شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لعنه ابي طالب في تخفيف           |
| ٣٨٩    | العذاب عنه                                                       |
| ٣٩٤    | <u>الفصل الرابع: ثبوت الشفاعة في بعض الاعمال . . . . .</u>       |
| ٤٠٠    | <u>الفصل الخامس: الشفاعات التي لم يثبت بها نص صحيح . . . . .</u> |



| الموضوع                                                          | الصفحة |
|------------------------------------------------------------------|--------|
| الفصل السادس : الامور التي تمنح الشفاعة                          | ٤١٨    |
| الفصل السابع : نوبال لم يثبت نفى الشفاعة فيها                    | ٤٢١    |
| الفصل الثامن : اقسام الشفعا                                      | ٤٢٨    |
| أقسام الشفعا الذين ثبتت صحة شفاعتهم                              | ٤٢٩    |
| ١- شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم                           | ٤٣٠    |
| ٢- شفاعة الانبياء الاخرين غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم      | ٤٣١    |
| ٣- شفاعة الملائكة                                                | ٤٣٤    |
| ٤- شفاعة الشهداء                                                 | ٤٤١    |
| ٥- شفاعة الولدان                                                 | ٤٥٧    |
| ٦- شفاعة القرآن الكريم                                           | ٤٨٦    |
| الشفعا الذين وردت بهم روايات لم تبلغ درجة الصحة فلم تثبت شفاعتهم | ٤٩١    |
| الباب الثالث : مجيب الله تبارك وتعالى لفصل القضاء                | ٥٠٠    |
| تمهيد :                                                          | ٥٠١    |
| الفصل الاول : الادلة على نزول الله تعالى لفصل القضاء             | ٥٠٤    |
| ١- الادلة على نزول الله تعالى لفصل القضاء                        | ٥٠٤    |

| الموضوع | الصفحة |
|---------|--------|
|---------|--------|

٥٠٥ ٢- الادلة من السنة النبوية على نزول الله عز وجل لفصل القضاء

٥١٥ الفصل الثاني : معنى مجيء الله تبارك وتعالى .....

٥١٦ مذهب السلف .....

٥٢٥ مذهب المؤولين .....

٥٤٤ الخلاصة .....

٥٤٧ الباب الرابع : روية الله تعالى في عرصات القيامة .....

٥٤٨ تمهيد : .....

٥٥٠ الفصل الاول : الادلة على امكان وقوع روية الله تعالى

١- الادلة من القرآن الكريم وفيه تفصيل شامل لادلة أهل السنة

٥٥٠ وادلة المخالفين والرد عليهم

٢- الادلة من السنة على اثبات وقوع روية الله تعالى وذكر شبهه

٦٠٤ المخالفين والرد عليهم

٦٤١ الفصل الثاني : آراء الفرق في امكان وقوع روية الله تعالى

٦٥٠ الفصل الثالث : الخلاف في روية غير المؤمنين لربهم

بيان الخلاف بين المثبتين للروية والنافين لها وهل هو خلاف

٦٥٨ حقيقي أم هو خلاف لفظي .....

| الصفحة | الموضوع                                                                  |
|--------|--------------------------------------------------------------------------|
| ٦٦١    | <u>الفصل الرابع : هل تستلزم رؤية الله تعالى الجهة أم لا</u>              |
| ٦٧٠    | ورود النفي والاثبات في جهة العلو .....                                   |
| ٦٧٣    | <u>الباب الخامس : كلام الله تعالى في يوم القيامة ( كلامه في الموقف )</u> |
| ٦٧٥    | تصهيد : .....                                                            |
| ٦٧٦    | <u>الفصل الاول : اثبات صفة الكلام لله تعالى</u> .....                    |
| ٦٧٧    | اثبات صفة الكلام من القرآن الكريم .....                                  |
| ٦٧٩    | اثبات صفة الكلام من السنة النبوية .....                                  |
| ٦٨٣    | اجماع المسلمين على ان الله تعالى متكلم                                   |
|        | <u>الفصل الثاني : اثبات صفة كلام الله تعالى للخلق في يوم القيامة</u>     |
| ٦٨٥    | في موقف فصل القضاء                                                       |
| ٦٨٦    | ١- الادلة من القرآن الكريم لاثبات كلام الله تعالى لخلقه يوم القيامة      |
| ٦٩٠    | ٢- الأدلة من السنة لاثبات كلام الله تعالى لخلقه يوم القيامة              |
|        | <u>الفصل الثالث : اثبات ان الله تعالى لا يكلم بعض خلقه</u> .....         |
|        | في يوم القيامة                                                           |
| ٧٨٠    | ١- ادلة ذلك من القرآن الكريم .....                                       |
| ٧٨٣    | ٢- ادلة ذلك من السنة النبوية .....                                       |

| الصفحة | الموضوع                                                              |
|--------|----------------------------------------------------------------------|
| ٧٨٨    | <u>الفصل الرابع : بيان اقوال أهم المذاهب في كلام الله تعالى</u>      |
| ٨٠٣    | شبه الممتزلة في نفيهم كلام الله تعالى .....                          |
| ٨٠٦    | الرد على الممتزلة في نفيهم الكلام عن الله تعالى .....                |
| ٨١٧    | مسألة : بأى لغة يخاطب الله عز وجل الخلق يوم القيامة .....            |
| ٨١٩    | الباب السادس : العرض على الله جل وعلا في موقف فصل القضاء ..          |
| ٨٢٠    | تمهيد : .....                                                        |
| ٨٢١    | <u>الفصل الاول : معاني العرض لفة واصطلاحا</u> .....                  |
|        | <u>الفصل الثاني : الادلة على حصول العرض على الله</u>                 |
| ٨٢٣    | ١- من القرآن الكريم                                                  |
| ٨٢٥    | ٢- الادلة من السنة على وقوع العرض على الله .....                     |
|        | <u>الفصل الثالث : بيان دلالة تلك النصوص على كيفية العرض على الله</u> |
| ٨٢٩    | وبيان اقوال الحق واقوال من خالفهم في ذلك والقول الصحيح ...           |
| ٨٤٠    | <u>الباب السابع : الصحف او كتاب الاعمال</u> .....                    |
| ٨٤١    | تمهيد : .....                                                        |
| ٨٤٢    | <u>الفصل الاول : الادلة على كتابة الملائكة لكل ما يصدر عن العباد</u> |
| ٨٤٣    | ١- الادلة من القرآن الكريم .....                                     |

| الموضوع                                                                   | الصفحة |
|---------------------------------------------------------------------------|--------|
| ٢- الادلة من السنة على كتابة الملائكة لاعمال الحباد . . . . .             | ٨٤٦    |
| <u>الفصل الثاني : المنكرون كتابة الملائكة أعمال الحباد . . . . .</u>      | ٨٥٠    |
| <u>الفصل الثالث : اثبات ان كل انسان يقرأ كتابه في يوم القيامة والادلة</u> |        |
| على ذلك - الادلة من القرآن الكريم . . . . .                               | ٨٥٢    |
| ٢- الادلة من السنة النبوية . . . . .                                      | ٨٥٧    |
| <u>الفصل الرابع : كيفية أخذ الكتاب . . . . .</u>                          | ٨٦٣    |
| <u>الفصل الخامس : وجوب الايمان بالصحف وابطال قول من انكرها</u>            | ٨٦٦    |
| ملاحظات :                                                                 | ٨٦٩    |
| <u>الفصل السادس : ما قيل من الحكمة في ايتاء الصحف . . . . .</u>           | ٨٧٤    |
| <u>الفصل السابع : ما معنى تبديل السيئات بالحسنات الواردة في الصحف</u>     | ٨٧٦    |
| ** الباب الثامن **                                                        |        |
| مممم                                                                      |        |
| - ( الحساب ) -                                                            |        |
| مممم                                                                      |        |
| تعريف الحساب في اللفظة : . . . . .                                        | ٨٨٢    |
| تعريفه في الشرع :                                                         | ٨٨٦    |

| الصفحة | الموضوع                                                           |
|--------|-------------------------------------------------------------------|
| ٨٨٨    | <u>الفصل الثاني : ادلة اثبات الحساب - تمهيد -</u>                 |
| ٨٨٩    | ادلة اثبات الحساب من كتاب الله عز وجل                             |
| ٨٩٢    | الادلة من السنة النبوية على اثبات وقوع الحساب                     |
| ٨٩٨    | <u>الفصل الثالث : متى يكون الحساب واين يكون المعاسبون</u>         |
| ٩٠٤    | <u>الفصل الرابع : من يتولى حساب الخلق .....</u>                   |
| ٩٠٧    | <u>الفصل الخامس: كيفية الحساب .....</u>                           |
| ٩٠٩    | <u>الفصل السادس : من هم الذين يشملهم الحساب .....</u>             |
| ٩١٥    | فائدة .....                                                       |
| ٩٣٢    | <u>الفصل السابع: اول من يحاسب من الناس</u>                        |
|        | <u>الفصل الثامن : أول ما يسأل عنه العبد .....</u>                 |
| ٩٤٢    | <u>الفصل التاسع : تقرير الله لعباده في الحساب .....</u>           |
| ٩٥١    | <u>الفصل العاشر: الشهود في الحساب</u>                             |
| ٩٦٨    | <u>الفصل الحادي عشر: عدل الله تعالى في القصاص بين الخلق .....</u> |
| ٩٦٩    | ١- الادلة من القرآن الكريم .....                                  |

| الصفحة | الموضوع                                                   |
|--------|-----------------------------------------------------------|
| ٩٧١    | ٢- الادلة من السنة .....                                  |
| ٩٨٣    | الفصل الثاني عشر: الجزاء في يوم القيامة يكون من جنس العمل |
| ٩٨٣    | ١- الادلة من القرآن الكريم .....                          |
| ٩٨٥    | ٢- الادلة من السنة النبوية .....                          |
| ١٠٠٣   | الفصل الثالث عشر: رحمة الله بعباده في الحساب .....        |
| ١٠٠٤   | ١- الادلة من القرآن الكريم .....                          |
| ١٠٠٦   | ٢- الادلة من السنة النبوية .....                          |
| ١٠١٧   | الفصل الرابع عشر: المنكرون للحساب والرد عليهم .....       |
| ١٠٢٠   | الفصل الخامس عشر: دور العمل في دخول الجنة .....           |
| ١٠٣٢   | - ( الباب التاسع: الميزان ) -                             |
| ١٠٣٤   | الفصل الاول : تعريف الميزان لغة واصطلاحا .....            |
| ١٠٣٤   | تعريفه في اللفظة .....                                    |
| ١٠٣٦   | تعريفه في الاصطلاح .....                                  |
|        | الفصل الثاني : ادلة اثبات الميزان                         |
| ١٠٣٧   | ١- من القرآن الكريم .....                                 |
| ١٠٣٩   | ٢- من السنة النبوية .....                                 |

| الصفحة | الموضوع                                                         |
|--------|-----------------------------------------------------------------|
| ١٠٤٨   | <u>الفصل الثالث: وجوب الايمان بالميزان واجماع الامة على ذلك</u> |
| ١٠٥١   | <u>الفصل الرابع: المنكرون للميزان والرد عليهم</u>               |
| ١٠٦١   | <u>الفصل الخامس: صفات الميزان</u>                               |
| ١٠٧١   | <u>الفصل السادس: ما الذى يوزن فى الميزان</u>                    |
| ١٠٧٣   | أدلة وزن العامل                                                 |
| ١٠٧٧   | أدلة وزن العمل                                                  |
| ١٠٨٠   | كيفية وزن العمل                                                 |
| ١٠٨٩   | أدلة وزن صحائف الاعمال                                          |
|        | <u>الفصل السابع: حكمة الله تعالى فى وزن أعمال العباد</u>        |
| ١٠٩٢   | والرد على من ينكره                                              |
| ١٠٩٧   | <u>الفصل الثامن: مرجحات الميزان</u>                             |
| ١٠٩٩   | <u>الفصل التاسع: متى تنصب الموازين</u>                          |
| ١١٠١   | <u>الفصل العاشر: لمن ينصب الميزان</u>                           |
| ١١٠٦   | هل توزن أعمال الكفار                                            |
| ١١١٣   | <u>الفصل الحادى عشر: كيفية الوزن</u>                            |



| الموضوع                                                            | الصفحة |
|--------------------------------------------------------------------|--------|
| <u>الفصل الثاني عشر: هل هو ميزان واحد في يوم القيامة ام موازين</u> |        |
| متعددة .....                                                       | ١١١٥   |
| <u>الفصل الثالث عشر: هل توزن اعمال الجن</u>                        |        |
| وتفصيل أحكامهم التي تتعلق باليوم الآخر .....                       | ١١١٨   |
| <u>( الباب العاشر: الصراط ) -</u>                                  |        |
| ١١٣٩                                                               |        |
| تصحيح: .....                                                       | ١١٤١   |
| <u>الفصل الأول: تعريف الصراط في اللغة</u>                          |        |
| ١١٤٢                                                               |        |
| تصريفه في الاصطلاح .....                                           |        |
| ١١٤٥                                                               |        |
| <u>الفصل الثاني: الادلة على اثبات الصراط</u>                       |        |
| ١١٤٨                                                               |        |
| ١- من القرآن الكريم .....                                          |        |
| ١١٤٨                                                               |        |
| ٢- من السنة النبوية .....                                          |        |
| ١١٥٢                                                               |        |
| <u>الفصل الثالث: وصف الصراط والمرور عليه</u>                       |        |
| ١١٦٦                                                               |        |
| <u>الفصل الرابع: متى يتم المرور على الصراط</u>                     |        |
| ١١٨٦                                                               |        |
| <u>الفصل الخامس: الحكمة في نصب الصراط</u>                          |        |
| ١١٨٧                                                               |        |
| <u>الفصل السادس: مسافة الصراط</u>                                  |        |
| ١١٨٨                                                               |        |
| <u>الفصل السابع: المنكرون للصراط</u>                               |        |
| ١١٩٣                                                               |        |
| <u>الفصل الثامن: هل يمر جميع الخلق على الصراط</u>                  |        |
| ١١٩٩                                                               |        |

| الصفحة | الموضوع                                                     |
|--------|-------------------------------------------------------------|
| ١٢٠٧   | <u>الفصل التاسع: اول من يجوز الصراط.....</u>                |
| ١٢١٠   | <u>الفصل العاشر: شعار المؤمن على الصراط.....</u>            |
| ١٢١٣   | <u>الفصل الحادى عشر: الاعمال الموجبة للجواز على الصراط.</u> |
|        | <u>الفصل الثانى عشر: هل الصراط قد خلق ام سيخلق فى يوم</u>   |
| ١٢١٥   | القيامة.....                                                |
|        | <u>الفصل الثالث عشر: هل يبقى الصراط الى خروج عصاة</u>       |
| ١٢١٧   | الموحدين من النار ام لا؟.....                               |
| ١٢١٨   | الباب الحادى عشر: القنطرة.....                              |
| ١٢١٩   | تصهيد:.....                                                 |
| ١٢٢٠   | <u>الفصل الاول: ادلة اثبات القنطرة.....</u>                 |
| ١٢٢٢   | <u>الفصل الثانى: موضع تلك القنطرة.....</u>                  |
|        | <u>الفصل الثالث: هل هى قنطرة واحدة ام هى قناطر متعددة</u>   |
| ١٢٢٦   | والراجع فى ذلك.....                                         |
| ١٢٣١   | <u>الفصل الرابع: لماذا اخر الله حساب هو لا الى القنطرة</u>  |
| ١٢٣٣   | الباب الثانى عشر: الورود.....                               |
| ١٢٣٤   | تصهيد:.....                                                 |
| ١٢٣٥   | اقوال العلماء فى معنى الورود.....                           |
| ١٢٤٧   | القول الراجع فى معنى الورود.....                            |

| الصفحة | الموضوع                                                                |
|--------|------------------------------------------------------------------------|
| ١٢٤٩   | مسألة في هل الانبياء يشتمهم هذا الورد                                  |
| ١٢٥١   | مسألة                                                                  |
| ١٢٥٢   | <u>الباب الثالث عشر: اصحاب الاعراف</u>                                 |
| ١٢٥٣   | ماورد في القرآن الكريم بشأن أصحاب الاعراف                              |
| ١٢٥٤   | <u>الفصل الثاني: ما هو المراد بالاعراف لفة واصطلاحا</u>                |
| ١٢٥٧   | <u>الفصل الثالث: الخلاف في تعيين اصحاب الاعراف</u>                     |
| ١٢٧٠   | <u>الفصل الرابع: ما هو الراجع في أهل الاعراف</u>                       |
|        | <u>الفصل الخامس: سور الاعراف الحاجز بين الجنة والنار يكون دائما ام</u> |
| ١٢٧٣   | في فترة من الفترات ؟                                                   |
| ١٢٧٥   | <u>الباب الرابع عشر: الحوض المورود</u>                                 |
| ١٢٧٦   | تمهيد:                                                                 |
| ١٢٧٧   | <u>الفصل الاول: تعريف الحوض في اللفه والاصطلاح</u>                     |
|        | <u>الفصل الثاني: الادلة على اثبات الحوض</u>                            |
| ١٢٧٨   | ١- من القرآن الكريم                                                    |
| ١٢٧٨   | ٢- من السنة النبوية                                                    |
| ١٢٨٥   | اجابة عن اشكال                                                         |
| ١٢٩١   | اجابة عن اشكال آخر                                                     |
| ١٢٩٣   | معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ومنبرى على حوض                      |

| الصفحة | الموضوع                                                    |
|--------|------------------------------------------------------------|
| ١٢٩٤   | هل يشرب اهل الكباثر من الحوض .....                         |
| ١٢٩٦   | الفصل الثالث: اقوال علماء الاسلام فى اثبات الحوض. . . . .  |
| ١٣٠٠   | الفصل الرابع: مسافة الحوض. . . . .                         |
|        | الفصل الخامس: الجمع بين الروايات التى وردت فى تحديد        |
| ١٣١٣   | مسافة الحوض. . . . .                                       |
| ١٣١٩   | الفصل السادس: صفات الحوض ومزاياه . . . . .                 |
| ١٣٢١   | الفصل السابع: متى يرد الناس الحوض. . . . .                 |
| ١٣٣٣   | الفصل الثامن: المنكرون للحوض. . . . .                      |
| ١٣٤٠   | الفصل التاسع: الرد على من ينكر الحوض                       |
| ١٣٤٢   | الفصل العاشر: هل ثبت ان لكل نبى حوضا يخصه . . . . .        |
| ١٣٤٧   | الباب الخامس عشر: الكوثر . . . . .                         |
| ١٣٤٨   | لماذا اثبت بحث الكوثر وهو من الامور التى فى داخل الجنة     |
| ١٣٤٩   | الفصل الاول: تعريف الكوثر فى اللغة وفى الشرع . . . . .     |
|        | الفصل الثانى: الادلة على اثبات الكوثر. . . . .             |
| ١٣٥٥   | ١- من القرآن الكريم . . . . .                              |
| ١٣٥٦   | ٢- من السنة النبوية . . . . .                              |
|        | الفصل الثالث: تسمية الكوثر بالحوض والحوض بالكوثر وبيان وجه |
| ١٣٦٢   | الاتصال بينهما                                             |

| الصفحة | الموضوع                                                    |
|--------|------------------------------------------------------------|
| ١٣٦٦   | اقوال العلماء .....                                        |
|        | <u>الفصل الرابع: اختصاص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم</u> |
| ١٣٦٧   | بالكوثر دون غيره من الانبياء .....                         |
| ١٣٦٨   | <u>الفصل الخامس: صفات الكوثر .....</u>                     |
| ١٣٧٠   | سبب تأخير بحث الحوض والكوثر الى آخر البحث<br>.....         |
| ١٣٧١   | الخاتمة : .....                                            |
| ١٣٧٩   | اسماء المراجع : .....                                      |
| ١٤٠٥   | الفهرس : .....                                             |

- ( تم بحمد الله وتوفيقه ) -

الانتهاء من طبع رسالة الدكتوراة بعنوان : الحياة الآخرة ما بين البعث  
الى دخول الجنة أو النار للطالب / غالب على عواجى فى يوم الثالث  
والعشرين من شهر ربيع الثانى عام ١٤٠٥ هـ . وقام بطبعها  
عصام الدين عبد السلام هاشم . افاد الله بها الاسلام والمسلمين  
وأخسر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

=====  
=====  
====